سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء التاسع

موسوعة مصر القديمة (الجزء التاسع)

نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين

تأليف
سليم حسن



موسوعة مصر القديمة (الجزء التاسع)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٥٣٧ ٢

المحتويات

تمهيد

وصل بنا المطاف في «الجزء الثامن من تاريخ أرض الكنانة» إلى فترة حاسمة أخذت بعدها البلاد تتجه وجهة أخرى غير التي كانت عليها أكثر من نحو خمسة وعشرين قرنًا من الزمان؛ فقد فقدت البلاد وحدتها الداخلية بانتهاء أسرة الرعامسة الضعفاء حوالي عام ١٠٨٥ق.م، ثم انقلبت إلى حالتها الأولى من الانقسام قبل أن تتوحد على يد بطلها الأول «مينا». فمصر المتحدة أصبحت مصر الشمالية أو الوجه البحري وعاصمتها «تانيس»، ومصر العليا أو الوجه القبلي وعاصمتها «طيبة»، وكانت حكومة الوجه البحري حكومة سياسية تسيطر على كل البلاد المصرية من جميع أقطارها، ولكنها سيطرة اسمية، كما كانت حكومة الجنوب حكومة دينية تدين لها مختلف بقاع الوجه القبلي بالزعامة الدينية المعقودة لطيبة، وكان أمراؤها يحكمون باسم الإله وأوامره وما يوحى به إليهم، ولم يكن لهم من الأمر شيء ظاهر إلا تنفيذ أحكام إلههم «آمون» — ملك الآلهة — التي كان يصدرها بالوحي في صوره المختلفة، وقد ظلت الحال في البلاد على هذا المنوال طوال عهد الأسرة الواحدة والعشرين كما فصلنا القول في ذلك في «الجزء الثامن» من هذا المؤلَّف.

وفي تلك الفترة من تاريخ البلاد — التي مُزِّقتْ فيها وحدتها على أيدي أبنائها أنفسهم — كان ملوك «تانيس» يستعينون على قضاء مآربهم وتنفيذ أغراضهم بالجنود المرتزقة الأجانب الذين كانوا قد وطدوا أقدامهم في داخل البلاد باحتلال المناصب العالية والتدخل في شئون إدارة البلاد اجتماعيًّا وحربيًّا منذ أوائل الأسرة العشرين، وذلك عندما أخذ ملوك الرعامسة يُكثرون من استخدام جنود لوبيا الأشداء البطش، ولا غرابة في أن يصير لهم هذا الشأن؛ فقد اشتبك معهم المصريون في مواقع حربية جبارة عَجَمُوا فيها عُودهم، وخبروا

قوتهم؛ ولذلك أَلَّفوا منهم فرقًا عديدة وضعوها في العاصمة وفي أمهات المدن المصرية حامياتٍ لحفظ النظام وقمع الثورات التي كانت تهب من وقت لآخر، ولم تلبث هذه الحاميات أن تَكَاثَرَ عددها واشتد بأسها وأصبح رؤساؤها هم المسيطرون على أهم المدن وأعظمها خطرًا من الناحيتين الإدارية، والسياسية، فكسر ذلك من شوكة ملوك «تانيس» وأمراء طيبة شيئًا فشيئًا إلى أن أصبح ملوك «تانيس» لا حول لهم ولا قوة، كما أصبح أمراء طيبة في خوف ووجل من سلطان طوائف الجنود اللوبيين المرتزقة وتزايد قوتهم في مختلف جهات القطر.

ولم يمضِ طويل زمن حتى وجدنا أحد كبار رجال اللوبيين يعتلي عرش الكنانة ويلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر إيذانًا بأنه صار ملك مصر الموحدة ثانية.

وهذا الأمير الكبير الذي أصبح ملك مصر هو «شيشنق الأول» فاتحة ملوك الأسرة الثانية والعشرين، ومؤسس الدولة اللوبية في مصر حوالي عام ٩٥٠ق.م.

وملوك هذه الأسرة كانوا في ظاهرهم أجانب، غير أنهم قد تمصروا بمكثهم في البلاد أجيالًا عديدة. ومَثَلُ ملوك هذه الدولة اللوبية كمَثَلِ ملوك المماليك من نواحٍ كثيرة؛ فقد دخلوا كالمماليك لخدمة المَلِك والاشتراك معه في شن الحروب على أعداء مصر، ولكن بعد أن قَوِيَ سلطانهم واستولوا على كثير من مرافق البلاد وانتشروا في جهات متفرقة من المملكة أخذوا يعملون في الخفاء على إضعاف المَلِك وسحب السلطة منه شيئًا فشيئًا إلى أن حان الوقت، وقفزوا إلى عرش المُلك دون كبير عناء، أو عنيف مقاومة.

وقد دلت الوثائق التاريخية التي في متناولنا على أن أسرة «شيشنق» هذا كانت تقطن مصر منذ ثلاثة عشر جيلًا في «أهناسية» المدينة التي اتخذوها موطنًا ومعقلًا لهم، وقد توارث حكم مقاطعة هذه المدينة هؤلاء الأمراء اللوبيون الذين يُنسبون إلى قبيلة «المشوش» صاحبة الكلمة النافذة في عهد الأسرة العشرين في بلاد لوبية.

وكان لأمراء مقاطعة «أهناسية المدينة» شأن يذكر في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، كما تدل على ذلك الوثائق التي وصلت إلينا عنها؛ فقد كانت فروعها منتشرة في أنحاء البلاد وبخاصة «منف»؛ فقد ظهر أن أصل الكهنة العظام للإله «بتاح» في هذه العاصمة القديمة من قبيلة «المشوش»، ولهم صلة رحم «بشيشنق الأول». وقد دلت الآثار فيما بعد على أنه عند فتح «بيعنخي الكوشي» للبلاد المصرية وتوحيد كلمتها كرَّة أخرى في عهد الأسرة الخامسة والعشرين أن كان كل الأمراء حكامُ المقاطعات من أصل لوبي يلبسون على رءوسهم الريشة التي كانت تعد شعارهم الخاص، وهنا نجد نقطة تشابه بينهم وبين

المماليك عندما تولى «محمد علي» ملك مصر؛ إذ كانت كل مديريات القطر في قبضة حكام من المماليك. فإذا كانت الحالة على هذا الوضع عندما تولى «شيشنق الأول» مقاليد الأمور في مصر، فإنه لم يكن أمامه صعوبات أو عقبات يجتازها ليصل بعدها إلى اعتلاء عرش الفراعنة.

والواقع أنه لم تصل إلينا حتى الآن تفاصيل عن كيفية اعتلاء «شيشنق الأول» مؤسس هذه الأسرة عرش الكنانة، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد تسلم مقاليد الحكم دون أية مقاومة، وكيف تكون هناك مقاومة وكل البلاد في قبضة أتباعه؟ والظاهر أن طول مقام اللوبيين في مصر علَّمهم كيف يستطيعون الاستيلاء على الملك دون أن يقاومهم الشعب المصري، وذلك بالحرص الشديد على تقاليد المصريين السياسية والدينية الموروثة من أقدم عهود التاريخ.

والواقع أن «شيشنق» كان قبل اعتلاء عرش الملك في موقف حرج؛ لأنه لم يكن من دم ملكي خالص، ولم يكن متزوجًا من أسرة يجري في عروقها الدم الملكي ليكون أهلًا لتولي عرش الملك، ولكنه خرج من هذا المأزق بأنْ زوَّج ولي عهده وابنه «أوسركون الأول» من ابنة «بسوسنس» آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين؛ ولذلك استتب له الأمر وحكم البلاد في هدوء وسكينة، وكان جُلُّ همِّه أن يعيد إلى مصر قوتها ووحدتها، ويسترجع لها عظمتها ومجدها الإمبراطوري في الخارج، كما فعل ملوك المماليك، وكان له بعض ما أراد؛ فقد قام في بادئ الأمر ببناء ما تهدم من المعابد وإعادة أوقافها والقضاء على الفوضى وإرجاع الأملاك إلى ذويها، وبعد ذلك عمل على توحيد البلاد ثانية، واتبع في ذلك سياسة حكيمة لم يلجأ فيها إلى القوة، وذلك أنه بدلًا من أن يضم حكومة طيبة المستقلة إلى حكومته في عاصمته الجديدة «بوبسطة» اكتفى بتنصيب أحد أبنائه في وظيفة الكاهن الأكبر لآمون في الكرنك، وكان الكاهن الأكبر يُعَدُّ الحاكمَ الديني المطلق للوجه القبلي حتى بلدة «طهنة الجبل». وبهذا التغيير الجديد قضى على أسرة الكهنة القدامى الذين كانوا يتوارثون هذا المنصب الخطير منذ أوائل الأسرة الواحدة والعشرين في أفراد أسرتهم. ويقال: إن هذا العمل قد أغضب أسرة كهنة «آمون» لدرجة أنهم خَفُّوا إلى «نباتا» في بلاد النوبة العليا عند الشلال الرابع تقريبًا، وهي التي كان يأوي إليها منذ الأسرة الثامنة عشرة طائفة من الكهنة في معبد أقامه «التحامسة» في هذه الجهة.

وقد ظل هؤلاء اللاجئون — على ما يقال — هناك إلى أن سنحت لهم فرصة العودة إلى مصر في العهد الكوشي. وهذا الرأي تحوم حوله الشكوك بما حدث من كشوف حديثة.

كما يقال إن هذا العمل — وهو تنصيب ابن «شيشنق» في وظيفة رياسة الكهنة — قد أعاد للبلاد وحدتها، أو على الأقل أصبحت حكومة «طيبة» الدينية وحكومة «بوبسطة» الدنيوية محصورة في أسرة واحدة موحدة جغرافيًّا لفترة من الزمن إلى أن قامت المنازعات ثانية وأخذ الكهنة يسعون وراء الانفصال عن حكومة «بوبسطة»؛ مما أدى إلى تمزيق شمل البلاد مرة أخرى. وبعد قيام «شيشنق» بهذه الإصلاحات الداخلية وتوطيد أركان السلام في جميع أنحاء البلاد — حتى الواحات نفسها التي كان يحكمها أحد أولاده — ولَّى وجهه شطر الفتح الخارجي. والظاهر أن «شيشنق» كان غرضه الأول استرجاع مجد مصر في آسيا وفي السودان.

وقد كان أول همٍّ له في سياسته الخارجية أن يستولي أولًا على فلسطين المتاخمة لحدود بلاده، وكانت وقتئذ في يد اليهود والإسرائيليين. وقد جاء ذكر «شيشنق الأول» — الذي حكم من حوالي (٩٥٠–٩٢٩ق.م) — في التوراة باسم «شيشق» في موضعين بمناسبة حروبه مع الإسرائيليين كما سيرى القارئ بعد، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن المتون المصرية المهشمة التي بقيت لنا من عهده لم تزد في فهمنا للغزوات التي قام بها في فلسطين بدرجة يمكن القول بها إنها أضافت معلومات جديدة أكثر مما جاء في التوراة.

والواقع أن المعلومات الوحيدة التي وصلت إلينا عن مملكة إسرائيل وعلاقتها بمصر مستقاة من الكتاب المقدس. وقد بدأ الاتصال بمصر يظهر جليًّا في عهد «داود» ملك اليهود، ويحتمل جدًّا أنه كان معاصرًا للملك «بسوسنس» آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين حوالي ٩٦٠ق.م وفي نهاية عهد «سليمان» — عليه السلام — كان «شيشنق» فرعون مصر قد انتهز ما كان في بلاد اليهود من خلاف وتدابُر وأغار على فلسطين حوالي عام ٩٣٠ق.م وانتصر على العبرانيين انتصارًا عظيمًا.

وتدل شواهد الأحوال على أن «شيشنق» لم يَتَعَدَّ في حملته هذه الحدود الشمالية لبلاد «جليلى» (بيت أنات).

ولا نزاع في أن حملة «شيشنق» هذه كانت لها نتائج عظيمة؛ إذ قد انتشر بعدها النفوذ المصري ثانية في هذه الأصقاع الآسيوية، كما أنها عادت على خزانة مصر بالثراء العظيم؛ فإن «داود» و«سليمان» قد جمعا أموالًا طائلة في بلادهما واستولى عليها «شيشنق»، ولا بد أن «أورشليم» بوجه خاص كانت من أوفر بلاد الشرق غنًى وثروة. وذكرت لنا التوراة أن «شيشنق» قد استولى على كل كنوزها واستغلها في بلاده، وهذا نفس ما تثبته ظواهر

الأحوال في مصر في تلك الفترة؛ فقد عاشت بعدها مصر مدة تقرب من قرنين من الزمان تنفق من الغنائم التي حملها «شيشنق» من فلسطين، يدل على ذلك العمائر التي أخذ في إقامتها ملوك هذه الأسرة في الكرنك وغيرها مما يدل على بسطة في الحال، وسعة في الرزق، مما لم يكن يُنْتَظَرُ من مصر الفقيرة التي مزقتها الحروب الداخلية في عهد الأسرة العشرين بصورة لم يسبق لها مثيل.

وهذه الآثار التي أقامها «شيشنق» وأحلافه في الكرنك و«بوبسطة» لا تزال باقية معالمها حتى الآن، ويلفت النظر بوجه خاص القناطير المقنطرة من الذهب والفضة التي أنفقها «أوسركون» بن «شيشنق» على إصلاح المعابد المصرية وإقامتها، وإعادة أوقافها من جديد؛ مما يؤكد ما كان «لسليمان» من الكنوز الضخمة التي نقلها «شيشنق» إلى مصر.

غير أن هذه الكنوز لم تلبث أن نفدت وعادت البلاد إلى ما كانت عليه من فقر مدقع؛ لفقدانها الموردين الهامين من موارد ثروتها، وأعني بذلك ممتلكاتها في «آسيا» وضياع «السودان» منها؛ فبلاد «فلسطين» أصبحت مستقلة، وبلاد «النوبة» بدأت تبتعد عن مصر بعد أن قهرها «شيشنق» وأعادها إلى حوزة مصر وأجبرها على دفع الجزية، فلم نعد نعرف عنها شيئًا في تلك الفترة الغامضة من تاريخ البلاد، ولكن ذلك لم يكن عائقًا لإقامة علاقات سياسية جديدة بين «مصر» وبلاد «فلسطين»؛ فقد دلت الآثار المكشوفة من عهد «أوسركون الثاني» على تبادل الهدايا بين ملوك مصر وملوك العبرانيين؛ فقد وُجِد إناءٌ فاخرٌ من المرمر في بلدة «السامرة» عليه اسم «أوسركون الثاني»، هذا إلى أشياء أخرى تدل على وجود علاقات وُدٍّ ومصافاة بين البلدين.

وبانقطاع موارد البلاد الخارجية — وبخاصة الذهب الذي كان يُجبَى من بلاد «النوبة» — لم يجد الفراعنة الطموحون أمامهم موارد رزق مفتوحة لإقامة المعابد لآلهتهم ونحت التماثيل لهم ولآلهتهم إلا هدم معابد ملوك مصر السالفين، واستعمال أنقاضها في بناء العمائر وعمل التماثيل دون أن يراعوا في ذلك إلًّا ولا ذمة.

وتدل شواهد الأحوال على أنهم كانوا أحيانًا يعجزون عن هدم هذه المعابد الضخمة؛ لِمَا كان يكلفهم ذلك من مجهود جبار، فكانوا يكتفون بمحو اسم صاحبها من الملوك السالفين ووضع أسمائهم بدلًا منها، وتلك كانت سليقة متأصلة في نفوس الملوك المصريين من الأزمان الغابرة، غير أنها قد اشتدت وطأتها في العهد الذي بدأت فيه مصر تتدهور ويختل ميزان قوتها. حقًّا وجدنا أن «رعمسيس الثاني» كان يغتصب كثيرًا من آثار

أسلافه، ولكنه في مقابل ذلك ترك لنا آثارًا أقامها بنفسه أكثر عددًا وأعظم ضخامة مما اغتصبه، ولكن ملوك الأسرة الثانية والعشرين الذين نتحدث عنهم لم يتركوا لنا من آثارهم غير المغتصبة شيئًا يُذكر، ولا أدل على ذلك مما فعله «أوسركون الثاني» في «بوبسطة»؛ فقد محا اسم «رعمسيس الثاني» من كل أجزاء معبدها الكبير وأهداه للإلهة «باست» (القطة) بعد أن غير اسم الآلهة الأصليين الذين أهدى لهم المعبد في الأصل، وكذلك نجد أن نفس القبر الذي دفن فيه هذا الفرعون — وهو من أكبر فراعنة هذه الأسرة — كان مُغْتَصَبًا.

وقد اتخذ ملوك هذه الأسرة بلدة «تانيس» — («صان الحجر» الحالية) التي كانت تعد أعظم البلاد الأثرية في أرض «الكنانة» بعد «طيبة» — بمثابة منجم لانتزاع الأحجار من مبانيها التي مثلت فيها كل العصور التاريخية؛ لإقامة مبانيهم وصنع تماثيلهم وتوابيتهم. ولقد غالى «شيشنق الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة في هذا النوع من التخريب والتعمير المزدوج، لدرجة أنه أقام بوابته الهائلة التي شيدها في «تانيس» من عمائر أخرى يرجع تاريخها من عهد الدولة القديمة حتى الأسرة الواحدة والعشرين، فهي في الواقع سجل تاريخي لما أنشئ من مبانٍ في هذه البقعة ومن معابد وتماثيل. ومن الغريب أنه لا يوجد في هذا المبنى الضخم حجر واحد قطعه «شيشنق الثالث» هذا من محجر خارج «تانيس»! وهذا العمل إن دل على شيء فعلى فقر البلاد وإفلاس ملوكها إلى درجة قاسية. والواقع أن البلاد كانت ترزح تحت عبء من الفقر شديد بَدَا بصورة واضحة في مظهر ملوكها في مختلف النواحي، وبخاصة في إقامة مقابرهم؛ فقد انتحوا لأنفسهم ناحية في معبد «تانيس» الكبير الذي أقامه «رعمسيس الثاني»، وأقاموا فيها مقابرهم التي كُشِفَ عن بعضها حديثًا، فهي — على الرغم مما وجد فيها من آثار ذات قيمة — تتضاءل بجانب ما كُشِفَ عنه من مقابر سليمة، ولا نقول لملوك الأسرة الثامنة عشرة، بل لأفراد عظماء الدولة الذين كُشِفَ عن مقابرهم سليمة في هذه الأسرة الأخيرة، هذا إلى حقارة مباني مقابر هؤلاء الملوك؛ إذ لا يجد الباحث في مبانيها حجرًا واحدًا غير منزوع من مبنى آخر من مباني المعبد الذي أقيمت داخله، أو من المباني القديمة الأخرى التي في «تانيس»، وكل هذه المباني فوق ذلك قد أقيمت على الرمال. والطريف في أمر هذه المقابر الملكية أنها على الرغم من حقارة مظهرها قد جمع ملوكها فيها معهم بعض آثار جنازية غاية في دقة الصنع، وجمال الذوق، مما أسبغ عليها طابعًا مميزًا لها، ولقد كُشِفَ لنا، فضلًا عن ذلك، بعض حقائق تاريخية ظلت مجهولة لنا حتى الآن، وبخاصة عن بعض الكهنة العظام

الذين كانوا يتولون مهام الأمور في «طيبة» ومع ذلك فإنهم قد دُفِنُوا على ما يظهر في «تانيس»، ونخص بالذكر منهم الكاهن الأكبر لآمون «حورنخت» الذي وُجِدَ قبره بجوار قبر والده «أوسركون الثاني»، وعلى الرغم من أن قبره قد سلب فإن ما بقي منه يدل على عظم ما كان مودعًا معه من آثار جنازية فخمة تمتاز بدقة الصنع، وحسن الذوق بالنسبة لعصره.

والظاهر أنه في عهد «أوسركون الثاني» أخذ سلطان كهنة «آمون» يظهر ثانية في «طيبة»؛ إذ نجد منذ هذه الفترة أنهم أخذوا يستقلون في «طيبة» عن عاصمة الملك في «بوبسطة» على الرغم من نسبتهم لملوكها، والاتصال بهم اتصالًا وثيقًا؛ فقد كان الكاهن الأكبر، فضلًا عن أنه من أسرة «شيشنق» اللوبية، يحمل لقب «القائد الأكبر لكل جنود الفرعون»، و«حاكم الجنوب»، والظاهر أنه منذ ذلك العهد أخذت الخلافات الأسرية والأحقاد الشخصية تظهر في البلاد بصورة واضحة، مما أدى إلى انفصال كهنة «آمون» عن ملوك «بوبسطة»، وقد أدى هذا الخلاف إلى حروب داخلية غامضة قطعت أوصال البلاد كرة أخرى.

وفي هذه الفترة من تاريخ البلاد — أي: في نهاية عهد «أوسركون الثاني» — نصَّب الكاهن الأكبر «حورسا إزيس» نفسه ملكًا على «طيبة»، وخَلَفَهُ هناك «بدوباست» الذي يَعُدُّهُ «مانيتون» مؤسسَ الأسرة الثالثة والعشرين. والغالب أنه من نفس الأسرة اللوبية، وهذه الأسرة — كما فصلنا القول في ذلك — لم تَخْلُفِ الأسرةَ الثانية والعشرين، بل كانت معاصرة لها تحكم في «بوبسطة»، وقد عرفنا بعض تفاصيل عن تاريخ هاتين الأسرتين الغامضتين من تماثيل عظماء القوم التي وجدت في خبيئة الكرنك، وبخاصة أن نقوشها تحدثنا عن سلسلة نسب هؤلاء العظماء ومصاهرتهم للملوك وما بينهم من صلات قرابة لم تكن من قبل في الأسرات السالفة بهذه الصفة، هذا إلى سلوكهم مسلكًا جديدًا في أسلوب نحت تماثيلهم مما أسبغ عليها طابعًا جديدًا مميزًا.

وقد انتهز ملوك «كوش» — الذين كانوا يحكمون على بلاد «النوبة» السفلية والعلوية حتى الشلال الرابع — فرصة هذا الانقسام في الديار المصرية، فزحف «كاشتا» ملك «كوش» من عاصمته «نباتا» على مصر حتى وصل إلى «طيبة» حوالي عام ٧٥٠ق.م، والظاهر أنه لم يجد في طريقه أية مقاومة، بل سُلمت له المدينة، فاتخذها عاصمة لملكه في مصر، ولم يمد فتوحه إلى أبعد من هذا، وكان ذلك حوالي عام ٧٥٠ق.م، والظاهر أن كلًّا من «أوسركون الثالث» و«تاكيلوت» كانا يحكمان البلاد بالاشتراك في تلك الفترة في «طيبة»، وقد كانت

«شبنوبت» بنت «أوسركون الثالث» تحمل لقب «المتعبدة الإلهية» أو «الكاهنة العظمى لآمون»، فأجبر «كشتا» هذه الكاهنة العظمى على أن تتبنى ابنته «أمنردس»، وهذا التبني قد منح أسرة «كشتا» الكوشي حقوقًا زادت في ادعائه لعرش مصر. وبعد اختفاء «رود آمون» خلف «تاكيلوت الثالث» وهو آخر ملوك هذه الأسرة أصبح تولي «أمنردس» عرش رياسة كهنة «آمون» بعد موت «شبنوبت» مضمونًا؛ وذلك لاختفاء أسرة الأخيرة نهائيًّا وحلول الأسرة الكوشية محلها.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن لقب «الكاهن الأكبر» لآمون قد اختفى من هذه اللحظة، وحل محله لقب «المتعبدة الإلهية» في «طيبة»، وقد كان هذا اللقب موجودًا من قبل، ولكن نجد الآن أن حاملته قد رفعت نفسها إلى مرتبة لم يكن يتمتع بها إلا الكاهن الأكبر لآمون. وتدل شواهد الأحوال على أن «أوسركون الثالث» هو الذي فكر في هذا التغيير حتى لا يجعل أحد أبنائه أو أي رجل آخر يستولي على وظيفة الكاهن الأكبر التي كانت تعد غاية في الأهمية من حيث القوة والسلطان في البلاد؛ لدرجة أن حاملها كان في مقدوره أحيانًا أن يضعف من قوة الملك ونفوذه إلى حد بعيد جدًّا يسهل عليه أن يعتلي عرش الملك، ومن أجل ذلك ألغى «أوسركون» وظيفة الكاهن الأكبر وأنشأ بدلًا منها وظيفة الكاهنة العُظْمى الملكية أو «المتعبدة الإلهية»، ونصب فيها ابنته «شبنوبت»، وهي التي أجبرها «كشتا» على تبني ابنته «أمنردس» لتَخْلُفَها في هذا المنصب الفذ، وبذلك تنتقل بعد موت «شبنوبت» قوة «طيبة» من أسرة «أوسركون» إلى أسرته. وهكذا أصبح للسودان حق شرعي في عرش مصر، كما سنفصل القول في ذلك في الجزء التالي عند الكلام على حكم السودان لمصر.

ولما تولى «بيعنخي» عرش الملك في «نباتا» بعد والده «كشتا» أخذ في فتح مصر الوسطى والدلتا، وفي تلك الأثناء كانت البلاد في يد عصابة من حكام الأقطاع، ولكنه هزمهم وأصبح ملكًا على كل مصر في عام ٧٢١ق.م وذلك بعد أن وقف له «تفنخت» الذي يَعده بعض المؤرخين مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين في «سايس» القريبة من بلدة «كفر الشيخ» الحالية. وبتسليم «تفنخت» هذا أصبح «بيعنخي» ملكًا على مصر كلها، وبذلك طُوِيَتْ صفحة الحكم اللوبي في مصر بعد حكم البلاد قرابة قرنين ونصف قرن من الزمان قد انتعشت في خلالها أرض الكنانة بعض الشيء في الداخل والخارج، غير أنه كان انتعاشَ نهاية الشمعة المحترقة؛ إذ لم تقم للبلاد بعدها قائمة؛ على الرغم مما بُذِلَ من محاولات لإنعاشها والنهوض بها، وبخاصة أن سقوطها قد جاء في فترة كانت فيها الأمم التي حولها أخذت تنمو وتترعرع حتى بلغت فتوتها في عهد كانت فيه مصر في

غاية الضعف، فكان طبيعيًّا أن تصير نهبًا مقسَّمًا بين تلك الأمم الفتية، فتوالى عليها بعد الكوشيين (السودان) الأشوريون، ثم احتلها الفرس فاليونان فالرومان فالعرب، وهكذا دولة بعد أخرى إلى يومنا هذا في عهد الإنجليز البغيض الذين يسيطرون على البلاد بيدٍ سياسية خفية، وبوضع جيش قوي عند قناة السويس.

وعلى الرغم من حكم البلاد في تلك الفترة بطائفة تعد من أصل أجنبي عن مصر، فإنهم لم يغيروا من سير الحياة في البلاد، بل ساروا بها وسارت بهم في طريقها الطبيعي في كل مرافق الحياة، سواء أكانت اجتماعية أم دينية أم سياسية؛ وذلك لأن اللوبيين الذين كان في يدهم زمام الأمر في مختلف مقاطعات البلاد كانوا بطبيعة الحال قد تمصروا، وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من أهل البلاد في طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم، ولا غرابة في ذلك فإنهم من أصلٍ حاميٍّ، وقد اختلطوا بالمصريين جيرانِهم منذ فجر التاريخ، وكانوا يتكلمون بلغة القوم ويدينون بدينهم.

والواقع أن الحكام اللوبيين لم يغيروا شيئًا في البلاد، بل ساروا على نهج أسلافهم ملوك الأسرة الواحدة والعشرين في كل شيء، وزادوا مع ذلك بأنهم نهضوا بالبلاد نهضة حربية مباركة أعادت لها بعض مجدها في «آسيا» و«السودان» لوقت ما. هذا من الناحيتين: السياسية، والحربية. أما من الناحية الدينية، فنجد أن الملوك اللوبيين على الرغم من محاولتهم توحيد كلمة البلاد لم يفلحوا في ذلك إلا فترةً وجيزة لم تلبث بعدها أن عادت إلى ما كانت عليه من الانقسام في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فكانت «طيبة»، أو بعبارة أخرى الوجه القبلي، يحكمه الكاهن الأكبر مستترًا وراء الإله «آمون» الذي كان يعد وقتئذ ملك الآلهة والناس أجمعين، فكان ما يوحي به هذا الإله في كل أمور الدنيا هو القول الفصل ولا راد لحكمه، وكانت تُهْرَعُ إليه الناس في أثناء الأعياد لتقديم شكاياتهم ومختلف مظالمهم، كما كانت الجهات الأخرى من البلاد تصنع تماثيل لهذا الإله وتسميها بأسماء أماكنها، وتقدم لها مظالمها للفصل فيها بصور مختلفة؛ فقد كانت أحيانًا تقدم الشكاوى في صورة بطاقات مكتوبة يجيب عنها تمثال الإله الذي كان يُحْمَلُ في قارب خاصٍّ على أعناق الكهنة بإيماءة خاصة تدل على الرضا، وبأخرى تدل على الرفض.

ومن أجل ذلك أصبح الإله «آمون» في تلك الفترة من تاريخ البلاد هو الإله الأحد، الفرد الصمد، الذي لا معبود سواه، أما الآلهة الآخرون فلم يكونوا بالنسبة له إلا مخلوقاته وخدامه، وإن كان القوم يتقربون إليهم زلفى تمسكًا بالقديم، وبذلك خطت الديانة المصرية خطوة أخرى جبارة نحو التوحيد الحقيقي الذي أخذت تبدو مظاهره عند

العبرانيين جيرانهم في صورة الإله «يهوه». ولا نزاع في أن التوحيد العبراني يرجع منشؤه إلى عبادة «آمون»؛ فقد كان إله العبرانيين يدل على معناه اللفظي وهو الهواء (يهوه) أي: الذي لا يرى، كما أن «آمون» معناه (الخفي)، ومن صفاته أنه يمثل الهواء. وكان رمز «يهوه» هو التابوت عند العبرانيين، كما كان «آمون» يُحمل في قارب على الأعناق، أو يوضع في قدس الأقداس في أعماق المعبد، وغير ذلك من أوجه الشبه الأخرى التي تَحَدَّثْنا عنها في هذا المؤلَّف، ومنها نجد أن الديانة اليهودية قد تأثرت كثيرًا بعبادة «آمون».

وكان من جراء تمسك كهنة «آمون» بالسلطة في البلاد أن جعلوا إلههم «آمون» ملكًا حقيقيًّا، وادعوا أنهم ليسوا إلا منفذين لتعاليمه وما يوحي به، حتى إنهم وضعوا اسمه في طغراءين كاللتين يوضع فيهما اسم الملك الحقيقي، وبهذا أصبحوا — وعلى رأسهم الكاهن الأكبر — الحكام الحقيقيين للبلاد، وبخاصة الوجه القبلي. وظلت الحال على هذا المنوال إلى أن جاء «أوسركون الثالث» آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين البارزين، ونصب ابنته كاهنة كبرى في معبد آمون؛ ليضعف من شوكة هؤلاء الكهنة الذين كانوا قد ابتلعوا كل ثروة البلاد، كما استولوا على كل مرافق الحكم فيها، وبهذا تلاشت سلطة هذه الفئة نهائيًّا.

أما دَهْمَاءُ الشعب — الذين يعيشون في كل أطوار التاريخ المصري على هامش الحياة في حالة فقر — فقد دلت الأحوال على أنهم قد انتعشوا بعض الشيء في عهد «شيشنق» وربما في عهد أخلافه أيضًا؛ إذ نجد في وثيقة من الوثائق التي تحدثنا عنها في هذا المؤلف ببعض التفصيل أن الضرائب كانت تصاعدية، فلم يؤخذ من أحد أكثر مما كان يجب أن يدفعه على أملاكه، كما نعرف أن هذه الضرائب كانت تُجْبَى من الغني والفقير، ومن مختلف أهل الحرف والصناعات بصورة تدل على العدالة الاجتماعية التي ننشدها الآن ولا نجدها، لا في الداخل، ولا في الخارج. والظاهر من الوثائق التي فحصناها هنا أن حالة الفلاح لا تدل على أنه كان يعيش في ضنك من العيش، أو على أقل تقدير لم يكن الفلاحون جميعهم عبيدًا لأصحاب الإقطاع؛ بل كان من بينهم مُلَّاك صغار يملكون مقادير صغيرة من الأرض يتصرفون فيها كيفما شاءوا، ويدفعون عنها ضرائب عادلة؛ فقد شاهدنا أميرًا من البيت المالك يشتري أرضًا من أسرة صغيرة ويدفع لها ثمنًا نقدًا على حسب نوعها؛ وذلك لأن أرض مصر كانت في تلك الفترة والتي قبلها مقسمة أنواعًا حسب جودة الأرض وسهولة ريها، ومن أجل ذلك كان يُجْبَى منها الخراج على مقدار جودتها بصورة تصاعدية؛ أي إن الفقير كان لا يدفع إلا خراجًا ضئيلًا. هذا، وتدلنا نفس الوثيقة التي

استقينا منها هذه المعلومات عن الأراضي على أن نظام شراء العبيد وبيعهم كان شائعًا في البلاد.

وكانت طبقات الشعب على حسب ما ذكره لنا «هردوت» مقسمة سبع طوائف وهي: طائفة الكهنة، وطائفة المحاربين، وطائفة رعاة الخنازير. وطائفة التجار، وطائفة المترجمين (مما يدل على أن البلاد كان يزورها أجانب أو يقطنونها في تلك الفترة) ثم طائفة الملاحين. وذكر المؤرخ «ديودور» ثلاث طوائف فقط وهم: الرعاة، والفلاحون، وأصحاب الحرف.

ويلاحظ هنا أن «هردوت» لم يذكر طائفة الفلاحين، وربما لم يكن ذلك من باب النسيان؛ لأن السواد الأعظم من السكان كان من الفلاحين بطبيعة الحال فلم يكن هناك ما يدعو لذكرهم. والظاهر أن هذا التقسيم الذي أورده «هردوت» كان ينطبق بوجه خاص على عهد حكم «الفرس» لمصر وما قبله بقليل وحسب. وعلى أية حال تدل الأسانيد التاريخية التي في متناولنا على أن نظام وراثة الوظائف والحرف كان شائعًا في مصر منذ أقدم العهود، غير أنه لم يكن حتميًّا كما ذكر لنا «هردوت»؛ فابن المغني لا بد أن يكون مغنِّيًا ولو كان صوته يخدش الآذان، وابن الكاهن لا بد أن يكون كاهنًا ولو كان مُلحدًا، وابن الجندي لا بد أن يكون جنديًّا ولو كان جَبَانًا مُخَنَّثًا. ولكن لا غرابة في ذلك؛ لأن المصري كان بطبعه محافظًا في كل مظاهر حياته بدرجة لا تُعْرَفُ في أية أمة أخرى من أمم العالم، ولا أدل على ذلك من أننا نجد بعض التقاليد والعادات المصرية لا تزال باقية حتى يومنا هذا.

هذه إلمامة عابرة عن عهد حكم طائفة اللوبيين في مصر الذي انتهى بدخول الكوشيين — أو كما يسميهم المؤرخون «الأثيوبيين» في مصر — وتولي الحكم فيها. وهذا العهد من تاريخ مصر يمتاز باحتكاكه بدولة العبرانيين الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة من تاريخ العالم بصورة جلية، وقد أقاموا لهم ملكًا في فلسطين، ووضعوا مبادئ التوحيد الصحيح الذي تعتنقه شعوب العالم كما نزله الله عليهم. منذ تلك الفترة أخذت العلاقات تنمو بين ملوك مصر وملوك إسرائيل على أسس الصداقة والمهادنة؛ إلى أن اجتاح الأشوريون كلًّا من مصر وبلاد إسرائيل وضموهما إلى مُلك «أشور» الشاسع فترة من الزمن لم تلبث أن استَرَدَّتْ مصرُ بعدها استقلالها.

وقد أوردنا في نهاية هذا المؤلف فصلًا خاصًّا مختصرًا عن تاريخ العبرانيين؛ ليكون عونًا لقراء تاريخ الشرق المقارن عامة، وتاريخ مصر خاصة، على تفهم سير الأحوال

العالمية. ويبدو لزوم هذه النبذة عن تاريخ العبرانيين جليًّا عندما نعلم أن هؤلاء القوم هم رابع أقوام قد استوطنوا بلاد سوريا المجاورة، وهؤلاء الأقوام هم: الأموريون، والكنعانيون، والأراميون، ثم العبرانيون. وكان لكل قوم من هؤلاء مركزُ جاذبيةٍ خاصٌّ به، واتصالٌ بمصر كما فصَّلنا القول في ذلك في أماكن مختلفة من هذه الموسوعة عن تاريخ مصر؛ ففي العهد الأموري كان مركز الجاذبية للشئون السورية في الشمال، وفي العهد الكنعاني انتقل مركز الجاذبية إلى الشاطئ، وفي عصر الأراميين كان في الداخل، وفي زمن العبرانيين كانت القوة في جنوبي فلسطين، وقد بقي العبرانيون هناك مدة طويلة، وقد أخذوا ثقافتهم عن الكنعانيين. وتدل الآثار على أن العبرانيين قد دخلوا أرض فلسطين في ثلاث هجرات لم تحددها لنا الوثائق التاريخية تحديدًا شافيًا. والظاهر أن هجرتهم الأولى كانت من بلاد ما بين النهرين في خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد، والهجرة الثانية كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والهجرة الثالثة — وهي التي نعرف عنها الشيء الكثير بالنسبة لسابقتيها — كانت على ما يقال من مصر ومن الجنوب الشرقي لآسيا في عهد «موسى». وقد تحدثنا في هذا الموجز عن تقلبات الأحوال في فلسطين في زمن هؤلاء القوم الذين مكث ملكهم في فلسطين منذ عهد «رعمسيس الثاني» إلى أن قُضِيَ عليهم نهائيًّا ومُحِيَتْ مملكتهم من الوجود على يد الكلدانيين حوالي عام ٥٨٦ق.م ومما يؤسف له جد الأسف أن المصادر التاريخية لا تزال تعوزنا عند فحص تاريخ هؤلاء القوم فحصًا دقيقًا، وليس لدينا مصدر نعتمد عليه إلا ما جاء في التوراة، وهذا المصدر على الرغم من عظم قيمته من الوجهة التاريخية قد وصل إلينا عن طريق الرواية، وهو في ذلك كالأحاديث النبوية التي وصلت إلينا من طريق السند، وهو يحتاج إلى روية وإمعان نظر، وبخاصة عندما نعلم أنه قد كُتب في أزمان مختلفة ولم يدون كالقرآن في زمن واحد معين.

وسيرى القارئ أننا قد اعتمدنا في كتابة هذا الفصل في معظم الأحيان على هذا المصدر الديني الوحيد وغيره — عندما تسنح الفرصة — من المصادر التي كشفت عنها الآثار. ومع هذا فقد وجدنا في كثير من الأحيان أن المصادر المعاصرة في تواريخ الأمم المجاورة تتفق مع ما جاء في التوراة إلا في نقط قليلة لا تزال غامضة لا تغير مجرى التاريخ.

وإني أتقدم هنا بعظيم شكري لصديقي الأستاذ محمد النجار ناظر مدرسة الحلمية الابتدائية لِمَا قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة، كما أتقدم بوافر الثناء على حضرة الأستاذ محمد زكي خليل مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول لِمَا بذله من مجهود مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلَّف.

أما ما بذله صديقي وتلميذي الأستاذ أحمد عزت بجامعة إبراهيم من مجهود عظيم في مراجعة الأصول على المتون الأصلية، والعناية الفائقة بتنظيم فهرس الأعلام ووضعه؛ فإني أتركه للقارئ المحقق الذي يتصفح هذا المؤلَّف بعين فاحصة. وإني أقدم له بالغ شكري وعظيم تقديري لهذا المجهود.

فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس

مقدمة

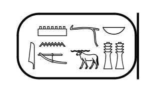
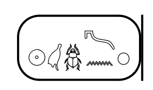
يبلغ فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين سبعة على حسب قائمة «مانيتون»[1] وقد حكموا نحو ثلاثين ومائة سنة، ولكن الآثار التي كشفت حتى الآن لم يظهر عليها إلا خمسة فراعنة، هذا بصرف النظر عن الكهنة العظام «لآمون» في «طيبة» الذين تحدثنا عنهم في «الجزء الثامن»، وسنتحدث عن هؤلاء الملوك الخمسة فقط هنا.

ويقول «جوتييه»: إن الملك السادس وهو «بسوسنس» الثالث يحتمل أنه نفس الكاهن الأكبر «بسوسنس» بن «بينوزم» الثاني كما ذكرنا آنفًا (راجع L. R. III p. 285).

---

[1] راجع Monlet, Le Drame D'avaris, p. 188.

الفرعون سمندس

حزي خبر رع-ستبن رع   مري آمون-نسبانبدد

لم يصل إلينا للآن عن هذا الملك أي تاريخ على الآثار، ومن أجل هذا لا يمكننا أن نقبل الرقم الدال على حكم هذا الفرعون كما جاء في «مانيتون» إلا بكل تحفظ؛ لعدم وجود الوثائق التي تؤكده.

وقد كان أول ذكر لهذا الرجل العظيم ما جاء في قصة «ونآمون» التي تحدثنا عنها فيما سبق (الجزء الثامن). والحقائق التي ورد ذكرها في هذه الوثيقة حدثت في السنة الخامسة من عهد «النهضة»[١] التي حدثت في عهد «رعمسيس» الحادي عشر؛ أي في السنة الرابعة والعشرين من عهد هذا الفرعون، وقد جاء ذكر «حريحور» في هذه الورقة بوصفه كاهنًا أعظم لآمون مرتين، ونجد من سياق الكلام أن «سمندس» صاحب «تانيس» لم يكن ملكًا بعد، والظاهر أنه لم يَعْتَلِ عرش الملك إلا بعد أن تخلى «حريحور» عن ملك «تانيس» وقصر همه على ملكه في «طيبة»، ومن جهة أخرى يظن «دارسي» أن «سمندس» توفي قبل «حريحور» (راجع Rev. Arch I. p. 84) غير أننا لا نعرف شيئًا على وجه التأكيد في هذا الموضوع، بل العكس هو المحتمل.

---

[١] راجع الجزء الثامن.

وكان «سمندس» على ما يظهر في بادئ الأمر وزيرًا قبل أن يكون ملكًا، وهو كما يدل اسمه المصري «نسبانبدد» خادم كبش «منديس»، وهذا الإله كان له الحق في أن يثوي في «تانيس»، وقد عرف كيف يُفِيد من المصائب التي حاقت بهذه البلدة؛ ليزيد في أملاكه أو نفوذه أكثر من مرة.[٢]

وعلى ذلك نجد كبش «منديس» قد عقد محالفة مفيدة له مع كبش «آمون»،[٣] ولما أصبح «حريحور» الكاهنَ الأكبر «لآمون» نسب ألقابه الملكية وطغراءيه إلى هذا الإله، ولما تولى «سمندس» عرش الملك فعل بالمثل، ففي العهد الذي قام فيه «ونآمون» بسياحته في «سوريا» كان «سمندس» وزيرًا، وقد رُزِقَ من زوجته «تنتآمون» ابنة أسماها «حنت تاوي»، وهي التي أصبحت فيما بعد تلقب (المتعبدة للإلهة «حتحور») ثم زوجة ملكية، وأمها «نتسآمون» كما نعلم، كانت بنت رجل يدعى «نبسني» وهو الذي وُجِدَ تابوته في خبيئة «الدير البحري» (راجع L. R. III p. 288 V p. 258)، وسنجد أنها أصبحت كاهنة «آمون» الأولى، وزوجة «بينوزوم» الأول، وقد رُزقت منه ولدًا وهو الذي صار فيما بعد «بسوسنس الأول»، وقد دُوِّنت نقوشهما على مجوهرات وُجدت على مومية «بسوسنس»؛ فعلى خلاخيل الركبة نجد على التوالي طغراء الملك واسم والده، وعلى خلاخيل الكعب نجد اسم الملك قد كُتب على خارج الخلخال، وعلى داخله اسم الوالد والجد، وكذلك نجد اسم الملكة «موت نزم» أم «بسوسنس» وزوج «سمندس» على «سوارين».[٤]

وأخيرًا استولى «سمندس» على الألقاب الملكية، وهو الذي يعده «مانيتون» الملك الشرعي والمؤسس لأسرة «تانيس»، ولم يذكر لنا «حريحور»، ومن المحتمل أنه لم يعترف به ملكًا على مصر كلها مثل سلفه «أمنحتب» الذي كان رئيسًا لكهنة «آمون». وقد تحدثنا عنه في الجزء الثامن.

ونحن نجهل تمام الجهل أين دُفن «سمندس»، ولم يصل إلينا أي نشاط له في «تانيس»، والنقشُ الوحيد الذي يُنْسَبُ إليه وُجِدَ في «طيبة»؛ أي بعيدًا عن مقر ملكه «تانيس».

---

[٢] راجع Monlet, Le Drame D’avaris, p. 188.

[٣] كان آمون يُمَثَّل على الآثار بصورة كبش رابض على هيئة أبي الهول.

[٤] راجع Le Drame D’avaris. p. 189.

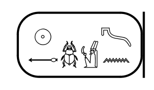
(١) نقوش الجبلين

حُفِرَ هذا النقش على عمود في محجر «جبلين»، ومما يؤسف له أن كل سطر قد فقد أكثر من ثلثه الأول، هذا فضلًا عن أنه قد نُقِلَ بدون عناية، فلم نصل منه إلى معرفة ما حدث على وجه التأكيد؛ فقد أرسل الفرعون موظفيه ومعهم ثلاثة آلاف رجل لمحجر الجبلين للحصول على أحجار لإصلاح التلف الذي حدث في مباني تحتمس الثالث بالكرنك. وفي المتن إشارة تدل على أن الملك كان حاضرًا في هذه المحاجر، ويُفْهَمُ من الوثيقة أن «سمندس» كان يحكم في «طيبة»، ويظهر أنه كان يقبض على زمام الأمور في مصر كلها. ولا بد أن «حريحور» كان قد مات قبل نهاية حكم «نسبانبدد» (سمندس). وهاك النصَّ الباقي من هذا النقش دون ذكر الألقاب:

> تأمل، كان جلالته في مدينة «منف» مقرِّه الفاخر ذي القوة والنصر مثل «رع» ... «بتاح» (٤) سيد حياة الأرضين، و«سحمت» العظيمة محبوبة «بتاح» ... «منتو» والآلهة العظام القاطنين في «منف». تأمل؛ فإن جلالته جلس في قاعة قصره وقد أتى رسل يخبرون جلالته بتداعي جدار القناة الذي يؤلف حدود الأقصر، وهو الذي أقامه الملك «منخبررع» (تحتمس الثالث) ... (٦) مكوِّنًا فيضانًا عظيمًا وتيارًا قويًّا فيها على الرقعة العظيمة لبيت المعبد، وقد أحاطت بالأمام ... فقال جلالته (٧) لهم: أما عن هذا الأمر الذي بلغ إليَّ فلم يوجد شيء في مدة جلالته من قديم الزمان مثله ...
>
> وقد «أرسل جلالته رؤساء بنائين» (٩) وثلاثة آلاف رجل معهم من خيرة رجال جلالته. وأَمْرُ جلالتِه لهم هو: أسرعوا إلى ... (١٠) الجبل ... أناس جلالته بمثابة رفاق قدامى (...) ... (١٢) (...) ... هذا المحجر منذ زمن الأجداد حتى هذا اليوم، جبلين ... (١٣) ... وقد حفروا هذا المرسوم الذي يخلد ذكرى جلالته سرمديًّا ... (١٤) ... وقد وصل أمر جلالته لتجميل العمل على اللوحة ... (ولم) (١٦) يُفعل مثله في زمن الأجداد. تأمل لقد أمر جلالته به بفضائل ممتازة مثل «تحوت» ... (١٧) ... وكانت المكافأة عليه (أي للملك) القوة والنصر والظهور على عرش حور (الأحياء سرمديًّا) ... (راجع Br. A. R. IV § 627–630).

وفضلًا عن ذلك عُثِرَ له على خرزة من اللازورد عليها اسمه، وهي جزء من مجموعة «ماك جريجور»، وقد نسب الأستاذ «نيوبري» هذه الخرزة خطأً للملك «تاكيلوت الثاني» أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الطغراء الخاصة بلقب هذا الملك موحدة مع طغراء «سمندس».

الفرعون «بسوسنس» (باسب خعنوت)[١]

عا-خبر رع-ستبن آمون   مري آمون-باسب خعنوت

ويُعَدُّ هذا الفرعون ثاني ملوك مصر الذين حكموا البلاد في عهد هذه الأسرة، وقد وقع له حادث مشئوم يذكِّرنا بالحادث الذي أصاب الفرعون «توت عنخ آمون» وهو الكشف الحديث عن مقبرته التي وُجدت سليمة، ولكنه مع ذلك أخرجه من عالم النسيان إلى عالم الشهرة ما وُجد معه من أثاث كان في الوقت نفسه سببًا في إقلاق راحته الأبدية، كما حدث لسائر ملوك مصر الذين كُشف عن مومياتهم.

وسنتكلم عن «بسوسنس» أولًا من الوجهة التاريخية، ثم نَصِفُ بعد ذلك مقبرته التي عُثر عليها حديثًا.

فنعرف له زوجتين كلتاهما ابنة «سمندس»، وهما إما أختاه من أبيه وأمه، أو أختاه من أبيه، فالأولى تدعى «استمخب»، وقد رُكِّب اسمها مع اسم بلدة خبيت[٢] التي ولد فيها «حور خبيت» ابن وزير في أعالي الدلتا، والثانية هي المتعبدة «لحتحور حنت تاوي»، وهي معروفة أكثر من الأولى؛ فقد كانت بنت «تنتآمون» زوج «سمندس» عندما كان لا يزال

---

[١] انظر تقرير دري (A. S. Vol. 40 p. 969) عن مومية «بسوسنس».

[٢] كوم الخبيزة الحالي في شمالي الدلتا.

وزيرًا، وهاك ألقابها: البنت، والزوجة، والأم الملكية، وأم المتعبدة الإلهية لآمون، وكاهنة الإلهة «موت»، وأم الإلهة «خنسو» الطفل الإلهي. وهذه الألقاب تعبر عن تعبد فريد لآمون ولزوجه ولابنه (أي ثالوث طيبة). وكان زوجها يشاطرها تمامًا عواطفها، فعندما نصب كاهنًا أكبر لآمون وضع هذا اللقب في كل من طغراءيه، وكذلك نجد أن النقوش والعناوين التي حُفرت على مجوهراته وعِصِيِّهِ وأوانيه تبرهن على ولائه الخالص للإلهة «موت»، وقد عُثر في قبره على كأس من الذهب النُّضار كان قد أهداه له «بينوزم» الكاهن الأكبر ابن «بيعنخي». ومن ذلك نفهم أن الأسرتين اللتين حكمتا البلاد كانتا على أحسن ما يكون من صلات الود والمهادنة، غير أنه يلاحظ أن الملك «بسوسنس» كان يحكم صعيد البلاد وريفها جميعًا، وألقابُه تدل على ذلك دلالة واضحة؛ فاسمه العَلَم يعني في الواقع «الثور الشجاع منحة آمون» «والثري الذي يظهر في طيبة»، واسمه الذي يرمز إليه بالنسر والصل هو: «العظيم الآثار في الأقصر»، أما اسم التتويج فعاديٌّ جدًّا: «الكاهن الأول لآمون» أو «عاخبر رع»، واسمه العَلَم هو «باسب خعنوت»؛ أي النجم الذي يظهر في المدينة (أي طيبة).[٣] والواقع أن آثار نشاطه كانت بارزة بوجه خاص في «تانيس»؛ فقد أصلح سور مقر الملك الذي كان قد أحدث فيه المحاصرون ثغورًا عظيمة خلال الحروب الأخيرة التي أشرنا إليها (راجع الجزء الثامن).

وفي داخل هذه المدينة أقام جدارين قويين ليكونا بمثابة حاجز يصد أية غارة أخرى يقوم بها الأنجاس وحلفاؤهم على المعبد ومساكنه وجبانته، وكذلك بدأ في إقامة المعبد كما يدل على ذلك ودائع الأساس التي عَثَرَ على جزء منها «مريت» والتي عثر على جزء آخر منها حديثًا «مونتييه». ويدل على مقدار ما لمشروعاته من مزايا قِطَع الحجر الجيري الأبيض المنقوشة والملونة التي عُثر عليها في المعبد الكبير أو في معبد الإلهة «عنتا». وعلى أية حال فإن العمل الرئيسي الذي قام به «بسوسنس» في «تانيس» هو إقامة قبر له على الرمل على مسافة بضعة أمتار من المسلة الأولى للمعبد، فإذا وازنَّا بين قبره وبين أهرام الملوك في «منف» ومقابر الملوك في وادي الملوك ظهر حقيرًا ضئيلًا، ولعل العذر في ذلك أنه أراد أن يجعل مثواه في داخل سور المعبد، وكان هذا المكان محدود المساحة. والقبر يتألف من مبنى منخفض مربع الشكل تقريبًا، أقيم الجزء الشرقي منه من الحجر الجيري،

[٣] وُجدت هذه الألقاب على مشبك قلادة موضوعة فوق موميته كما سنرى ذلك فيما بعد.

والغربي من الجرانيت، ولم تُقطع أحجاره من المحاجر مباشرة؛ لأن العمال امتنعوا عن قطع الأحجار من المحاجر المشهورة منذ أن قاموا بالإضرابات التي سبق ذكرها، واشتركوا مع أهالي أواريس وجماعات الأجانب في نهب مقابر الملوك وتخريبها في أواخر عهد الأسرة العشرين، ومن أجل ذلك أقيم هذا القبر وغيره من المباني من أنقاض الخرائب التي تخلفت من مدينة «بررعمسيس» و«أواريس».

ويصل الإنسان إلى القبر من بئر مربعة تؤدي إلى ممر، وهذا الممر يوصِّل إلى حجرة بنقوش غائرة ملونة تلوينًا جميلًا تُخفي وراءها الممرات التي تؤدي إلى الحجرتين المصنوعتين من الجرانيت، ولكنهما كانتا مسدودتين بأحجار من مسلات، ومن ثم إلى ضريح صغير من الحجر الجيري لا تزال النقوش الغائرة التي على جدرانه حافظة لرونقها بحالة مدهشة، وهذا المأوى الجنازي كان على حسب المعتاد — كما دل الفحص وقتئذ — مخصَّصًا لأشخاص عديدين. وإذا كان ضريح «بسوسنس» بذاته قد روعيت قداسته؛ فإن الأضرحة الأخرى قد تناولتها يد الإنسان بالعبث؛ فنجد في الضريح الصغير المصنوع من الحجر الجيري أن اسم ساكنه الأول وصُوَرَه قد محيت، وفي الحجرة الأولى وُجدت أواني أحشاء وتماثيل صغيرة جنازية لعدة أشخاص مكدسة على غير نظام أو ترتيب تقرأ عليها اسم ابن ملكي لرعمسيس يدعى «عنخف نموت»، وهذا الأمير بالذات قد صنع للفرعون «بسوسنس» قدحًا من الفضة ممهورًا باسمه. ثم مدير معبد «خنسو» ويدعى «أوندباوندد» وقد عثر على قبره فيما بعد. وكذلك وُجد من بين تابوتين مصنوعين من الخشب المذهب تابوت الملك «حقا-خع خبر شيشنق» المصنوع من الفضة، والظاهر أن أيديًا أمينة وضعته في هذا المكان بعد مضي قرنين من دفن الفرعون «بسوسنس».

أما «بسوسنس» نفسه فنعلم كما أسلفنا أن قِطع الجرانيت والحجر الجيري الخاصة بقبره قد أُخذت من الخرائب المجاورة؛ فلدينا التابوت الضخم المصنوع من الجرانيت الوردي والمزين بصورة فخمة لأوزير مضطجعًا على ظهره، وبصورة الإلهة «نوت» إلهة السماء مرسومة رسمًا بارزًا، وكذلك زُين برسوم غائرة، هذا إلى التابوت الداخلي المصنوع من الجرانيت الأسود. والتابوتان ليسا من القطع الفنية الأصلية التي صُنعت لهذا الفرعون بخاصة، فنجد مثلًا أن طغراءات «بسوسنس» العديدة قد نُقشت نقشًا غائرًا؛ مما يبرهن على أن طغراء المالك الأول الذي كان على التابوت قد محيت، وقد وجدت بعض إشارات في داخل الطغراءات وبخاصة في صورة العلامة الدالة على كل من الإلهين: «بتاح» و«رع»، وبالفحص وُجد أن الأسماء التي مُحيت كانت على وجه التأكيد تقريبًا هي أسماء الفرعون

«مرنبتاح»، وقد ترك المغتصب سهوًا طغراء على حزام صورة أوزير التي على التابوت للملك «مرنبتاح»؛ مما يقدم لنا برهانًا قاطعًا على أن التابوت لم يكن في الأصل للفرعون «بسوسنس». وعلى ذلك يمكن القول بأن الفرعون «مرنبتاح» كان قد أمر ببناء مقبرة له في جبانة «تانيس» العاصمة الثانية الدينية وأمده بتابوت فخم، غير أنه على ما يظهر قد تركه بدون استعمال؛ وذلك لأننا وجدنا أن «مرنبتاح» قد دُفن في مقبرة فخمة حفرها لنفسه في طيبة الغربية بوادي الملوك، وقد نُقلت جثته كما ذكرنا آنفًا (راجع الجزء السابع) إلى خبيئة «الدير البحري»، والأثاث الجنازي الذي وجد في هذا القبر — إذا استثنينا بعض القطع وبخاصة إبريق من الذهب من عهد الملك «أحمس الأول» وموقد من البرنز من عهد «رعمسيس الثاني» — كله من صناعات الصياغ والنحاتين من عصر الأسرة الواحدة والعشرين.

وهذه الصناعات تضارع في إتقانها ودقتها صناعات الدولة الحديثة الممتازة بأناقتها؛ فالنقوش الصغيرة التي حُفرت على الأواني والأسلحة والمجوهرات قد أبرزت لنا فعلًا ألقابه كاملة، وكذلك أسماء والديه وزوجاته، وقد أدهشنا كمية الذهب التي وجدت في أثاثه، وكذلك كانت دهشتنا عظيمة لِمَا وُجد من حجر اللازورد بكمية عظيمة في هذا القبر؛ فقد عُثر على اثني عشر قلبًا وجعلًا، هذا إلى مائة خرزة من هذا الحجر بين صغيرة وكبيرة، وقد نُظِمَ من كل هذا عقدان، ونُقِشَ على محبس أكبرهما — وهو المصنوع من الذهب: «الملك «بسوسنس» قد صنع عقدًا من اللازورد الحقيقي مما لم يعمل مثله ملك.» ونحن نعلم أن اللازورد ليس من أحجار الصحراء المصرية، وقد جلبه القدامى والمحدثون على السواء من بلاد «أفغانستان» كما ذكر ذلك الأستاذ «لوريه». والواقع أن لدينا حبة صغيرة من حبات العقد الصغير قد مُيِّزَتْ من بين أترابها لا بلونها الأزرق المنقطع النظير فحسب، بل بوجود ثلاثة أسطر متوازية بالخط المسماري نُقشت على سطحها بدقة متناهية، وكنا نأمل أن يصل علماء اللغة البابلية إلى حل رموز هذه الحبة ومعرفة اسم الملك المحالف لمصر الذي أرسل هدية اللازورد، غير أن البحث لم يسفر عن حقيقة تشفي الغلة، ولكن مع ذلك يمكن أن نسجل هنا أن الملك «بسوسنس» كان له علاقات مع ملك آسيوي على أية حال.

ويقول «مونتيه»: إن الملك «بسوسنس» قد اشترك معه في أواخر حُكمه مَلِك يُدعى «نفر كارع حقا واست» (ملك طيبة) ابن الشمس «أمنمسوت» (آمون ملك)، وقد نُقش طغراءا هذين الملكين معًا على منزعَتَيْنِ (كَمَّاشَتَيْنِ) من الذهب يحتمل أنهما كانتا

تغطيان طرفي قوس. والمقصود هنا من الملك الجديد — بطبيعة الحال — هو نفرخرس Nefercheres الذي حشره «مانيتون» في الأسرة الواحدة والعشرين بعد «بسوسنس» وقبل الملك «أمنمأبت»، ولم نكن نعرف كتابة اسمه بالمصرية القديمة حتى هذا الكشف الجديد، ولكن جاء الأثري «جردزلوف» وعارض «مونتيه» في هذا الرأي، وجعل «نفر كارع» قبل «بسوسنس» كما سنرى بعد.[٤]

(١) مقبرة الملك «بسوسنس» ومحتوياتها

والآن نتحدث عن مقبرته بشيء من التفصيل لأهميتها: كان الكشف عن المقابر الملكية الخاصة بفراعنة الأسرتين: الواحدة والعشرين والثانية والعشرين أكبر حادث لفت أنظار علماء الآثار في عام ١٩٣٩، وقد عُثر على مقابر هؤلاء الملوك في جبانة «تانيس»، ويُعد هذا الحادث في نظر علماء التاريخ انتقالًا مدهشًا في تاريخ البلاد السياسي والديني؛ فقد ظل ملوك الأسرات السابقة يُدفنون في «وادي الملوك» حتى نهاية الأسرة العشرين، ثم استمر من بعدهم رؤساء كهنة «آمون» الذين استقلوا بالملك في الوجه القبلي يُدفنون في «طيبة» الغربية خلال الأسرة الواحدة والعشرين، على حين كان فراعنة مصر يُدفنون في مدينة «تانيس» التي اتخذها «سمندس» ومَن بعده مِن ملوك هذه الأسرة مقرًّا لملكهم كما دلت الكشوف الحديثة على ذلك. ولعل السبب في ذلك يرجع أولًا إلى أن «تانيس» كانت قد أصبحت العاصمة السياسية للبلاد، كما كانت تتمتع بشهرة عظيمة من الوجهة الدينية، يضاف إلى ذلك أن الفقر الذي شاع وعمَّ حَدَا بالناس إلى نهب مقابر الملوك وعظماء القوم، وإلى الاستيلاء على ما فيها من ذهب وآثار ذات قيمة، حتى إن كهنة «آمون» لم يكن في مقدورهم حماية هذه المقابر من عبث العابثين، فنقلوا موميات هؤلاء الفراعنة إلى أماكن مجهولة، وكذلك موميات مَن تُوفي مِن الكهنة العظماء أنفسهم؛ فقد أُخفيت مع ملوك الدولة الحديثة، وبقيت كذلك حتى كُشف عنها حديثًا على يد أحفاد اللصوص القدامى الذين لم يتورعوا عن نهب ملوكهم الذين يعبدونهم ويؤلهونهم في حياتهم ومماتهم، وبذلك ضربوا أكبر مثل للنفاق الإنساني الذي نجده يُمَثَّل في كل أطوار التاريخ، ولا غرابة في ذلك؛ فإن الأصفر الرنان كان — ولا يزال — فتنة الإنسان، وقد استوى في ذلك الفقير

[٤] راجع Le Drame D'avaris p. 194.

المحتاج، والملك صاحب الثراء والتاج. ولقد كان للمصريين أكبر العذر في ذلك في هذه الفترة من تاريخ البلاد؛ إذ كان الفقر من جهةٍ ضاربًا أطنابه في طول البلاد وعرضها، كما كانت الثورات قائمة على قدم وساق تهب في جنوبي الوادي وشماله؛ مما أدى إلى وقف العمل في كل مرافق الحياة، وعَجَزَ الفرعون عن دفع أجور العمال مما دعاهم إلى الإضراب عن العمل في حفر مقابر الملوك، وبذلك أصبحوا وليس لديهم ما يسدون به رمقهم، وهذا ما جعلهم يفكرون في الحصول على المال بأية وسيلة، فقاموا — وعلى رأسهم رجال الدين وحراس الجبانة الملكية — بنهب مقابر الملوك الذين كانوا بالأمس يعبدونهم ويحافظون على مقابرهم. وهكذا اضطر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين — على ما يظهر — إلى أن يبعدوا مومياتهم وما معها من أثاث ثمين عن خطر أولئك اللصوص الذين أصبحوا لا يرعون عهدًا ولا ذمة، هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يرون أن دفنها في جبانة العاصمة التي يسكنونها فيه صيانة وحفظ لها. ولقد كان هذا الإجراء من جانب ملوك الأسرة الواحدة والعشرين في «تانيس» ذا فائدة عظيمة لتاريخ مصر؛ إذ أبقت لنا يد اللصوص مقابر بعض ملوك هذه الأسرة وما بعدها حتى الآن محفوظة سليمة مما سهَّل علينا معرفة ما كانت عليه البلاد من فقر وغنًى، وما وصل إليه الفن في ذلك العهد. هذا إلى أن هذه الكشوف قد أجْلَت لنا بعض النقط التاريخية التي كانت غامضة، ولعل الأيام القريبة المقبلة تكشف لنا عن سائر ملوك هذه الأسرة الذين حكموا في الدلتا.

وقد كان من أهم المقابر التي كُشف عنها قبرُ الفرعون «بسوسنس الأول»، ويقع هذا القبر وغيره من مقابر الملوك التي كشف عنها حديثًا داخل أسوار المعبد العظيم الذي أقامه في الأصل «رعمسيس الثاني» (انظر صورة رقم ٧). وقد كان أول قبر ملكي كُشف عنه في هذه البقعة هو قبر الملك «أوسركون الثاني» أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين؛ فقد وُجد أن سقف مقبرة «أوسركون» كان ممتدًّا من جهة الشمال بوساطة كتل من الحجر الضخم الصلب تغطي سقف مقبرة أخرى دل الكشف بعد التنظيف على أنها مقبرة الملك «بسوسنس الأول».

ولم يكن بد من العمل المتصل مدة أسبوعين لإزالة مبنًى مقامٍ فوق هذا السقف من الحجر الجيري يبلغ عرضه ستة أمتار ونصف متر، وارتفاعه أحد عشر مترًا، وكانت الكتل التي يتألف منها سقف هذا المبنى من الحجر الجيري، وقد بنيت على هيئة سلم ضخم، وقد لُحِظَ أن المسافات بين كل حجر وأخيه قد سُدت بدقة بالجص، ولم يلاحَظ في السقف كسر أو أثر لثقب.

وقد كانت الطريقة الوحيدة لاقتحام القبر الذي كان يُعتقد أنه سليم هي خلع الكتل التي يبلغ طول الواحدة منها أربعة أمتار، وبعد أن نزعت كتلة عظيمة وجدت البئر التي كان يؤدي بابها إلى القبر الذي وجد مبنيًّا، وعند فتح هذا الباب وُجد أن القبر يحتوي أولًا على حجرة صغيرة تبلغ مساحتها أربعة أمتار في مترين تقريبًا، وقد زُينت جدرانها بالنقوش وصور الآلهة، كما وجد منقوشًا عليها مرات عدة طغراءات الفرعون «عاخبررع بسوسنس». وفي هذه الحجرة الخارجية وجد تابوت الملك «شيشنق» — لا تابوت الملك «بسوسنس» — ومعه ثروة جنازية عظيمة سنتحدث عنها فيما بعد عند الكلام على الأسرة الثانية والعشرين.

وبعد أن نُظفت هذه الحجرة ونُقلت كل أمتعتها إلى المتحف المصري وُجدت — بعد فحص بسيط في جدارها الخلفي — فتحتان مربعتان مبنيتان ومزينتان بالنقوش الغائرة، وقد نزعت أولًا قطع الحجر التي تخفي مدخل الحجرة الشمالية فوُجد ممر خلف هذه الأحجار غير أنه كان مسدودًا بقطعة حجر من مسلة مصنوعة من الجرانيت بإحكام، وقد نزعت بعد عدة محاولات، وظهر أن المصريين عندما أدخلوا قطعة الجرانيت هذه في الممر لسده كانوا قد وضعوها على أسطوانتين صغيرتين من البرنز لتنزلق السدادة بسهولة، وقد وُجدتا سليمتين وقامتا بوظيفتهما خير قيام.

ويؤدي هذا الممر إلى حجرة ضيقة طويلة وُضع فيها تابوت من الجرانيت الوردي شغل نصفها، وعلى غطاء هذا التابوت نُحتت صورة الفرعون «بسوسنس» مضطجعًا على ظهره قابضًا بيديه على صولجان الملك وسوط أوزير وخلفه آلهة صغيرة راكعة تُرَبت حديه بكلتا يديها، وعلى صدر الملك مضخة من الذهب البراق، وتغطي جدران هذه القاعة نقوش وصور آلهة، وقد شوهدت في النصف الأول من الحجرة قطع من الأثاث عديدة؛ ففي ركن الجهة اليمنى وجد هيكل حيوان وإناء كبير من المرمر مختومًا وأربعة أواني أحشاء، رأس كل منها ملون باللون الأزرق والذهبي ومحلًّى بِصل من الذهب، وفي وسط الحجرة قطعة من الحجر الجيري خشنة وضعت بين هذه الأشياء والتابوت، وأمام قطعة الحجر هذه كُدِّست مئات من التماثيل الصغيرة، وقد خُيِّل للإنسان أنها كانت في الأصل موضوعة في صندوقين رُكِّبا على رقعة الحجرة، وأخيرًا يلفت النظر على اليسار حامل طويل من الفضة رُكِّب فيه «طشت» موضوع على موقد مربع من البرنز، ووضع على قطعة الحجر ثلاث أوان بالقرب من الحامل، وكذلك وجد على اليسار بالقرب من المدخل أشياء من المعدن ظهر للكاشف في بادئ الأمر أنها تشبه الكنز الذي عثر عليه في «بوبسطة» ملقاة على رقعة الحجرة المصنوعة من الجرانيت.

والواقع أن المحصول الذي جُمع من هذا القبر كان فخمًا فاق ما عُثر عليه في الحجرة الخارجية لمقبرة هذا الفرعون؛ فقد حَفِظَ لنا تابوته الذي يحمل رأس صقر كلَّ محتوياته الثمينة كاملة، ولكن أواني الأحشاء والتماثيل الجنازية الصغيرة التي نقش عليها أسماء مختلفة برهنت على أن هذا الجزء من القبر قد عبثت به يد الإنسان مرات عدة بين العهد الذي بني فيه وعهد «شيشنق الثاني». وبعد ذلك نجد أنفسنا في ضريح «بسوسنس» الذي عمل له بخاصة ولم يستعمله غيره. وتدل شواهد الأحوال على أن أحدًا لم يدخله منذ أن خرج منه الكهنة تاركين مضخة الخشب المذهَّبة على يدي الملك المضطجع.

وبعد نقل كل محتويات الحجرة كُشف غطاء التابوت، وقد كان مزيَّنًا من أسفله بصورة للإلهة «نوت» نحتت نحتًا مدهشًا، وزُين جسمها بنجوم وامتدت ذراعاها إلى جانبيها، وساقاها ملتصقتان، وتحرسها السفن النجمية. وكان يوجد في التابوت نفسه تابوت آخر من الجرانيت الأسود مُثِّل على غطائه بالحفر صورة الفرعون أمام الإلهة «نوت» وجسمها ممتد فوق جسم الملك كأنما تريد أن تفتنه بجمالها، كما أن الملك لم يألُ جهدًا في تأمل جمال هذه الإلهة (صورة رقم ٢). وقد ظل الملك المتوفى سويًّا مع تلك الإلهة السماوية منذ ثلاثة آلاف سنة في هذا السجن الحجري. وعند إزالة الغطاء الثقيل الذي كان على هذا التابوت ظهرت مجموعة من الأسلحة والصولجانات موضوعة في التابوت المصنوع من الجرانيت الوردي، وعلى امتداد التابوت الثاني المصنوع من الجرانيت الأسود، ثم على غطاء التابوت الأخير.

وبعد ذلك تابوت ثالث من الفضة في صورة قراب لمومية منقوش كله، وكان الملك يضع شريطًا من الذهب على جبينه وقد برز من شعره المستعار صل ملكي، وكان يقبض بيديه المطويتين إلى صدره على السوط والصولجان، وقد كان التابوت المصنوع من الفضة يملأ بإحكام تابوت الجرانيت الأسود الذي وُضع فيه، وكان الغطاء مثبتًا في التابوت بعدة دُسُرٍ من المستحيل نزعها أو نشرها لضيق المكان، ولُحِظَ من جهة أخرى أن الغطاء إذا كان في حالة سليمة، فإن التابوت المصنوع من الفضة لم يكن سليمًا؛ لأن الرطوبة كانت تغمر القبر بدرجة جعلت الماء يتدفق من الجدران، وقد نفذت هذه الرطوبة إلى التابوتين المصنوعين من الحجر، وتجمدت داخل التابوت المصنوع من الجرانيت الأسود واجتاحت الفضة وجعلتها هشة، وقد تراكمت طبقة من الأكسيد في قعر هذا التابوت المصنوع من الفضة مما جعله يلتصق بالتابوت المصنوع من الجرانيت الذي كان فيه، وعندما بُدئ برفع التابوت الفضي انفصل قعره عن جسمه، ولكنَّ كلًّا من غطائه وجداريه كان سليمًا

تقريبًا، وبعد ذلك بُدئ في أخذ ما على هيكل «بسوسنس» من حلي؛ فنُزع منه أولًا قناع فصِّلت فيه قسمات وجه «بسوسنس» بصورة مدهشة، وقد صيغ هذا القناع من الذهب، ثم صفيحة رقيقة من الذهب المنقوش كانت تغطي جميع الجسم، وكذلك نُزع عن المومية اثنا عشر سوارِ ذراعٍ من ذراعه اليسرى، وعشرة أخرى كانت في الذراع اليمنى، ثم أغطية أصابع اليد، هذا إلى ثلاثين خاتمًا. وكل هذه المجوهرات كانت من الذهب المطعَّم بالأحجار. وقد سبَّب إدخال المومية في الضريح وتحطيم الحبال المصنوعة من الجلد والنسيج عدم بقاء القلائد والجعارين والصدريات التي كان يتحلى بها «بسوسنس» منظمة، وقد جمعت آلاف القطع الصغيرة والخزف من الذهب واللازورد هذا إلى ستة مشابك قلائد من التابوت، وقد نظمت ثانية كل هذه القطع بسرعة حتى أمكن رسمها (صورة رقم ٤، ٥، ٦).

وأخيرًا وجدت على المومية صدريتان مفرغتان، وأربعة جعلان كبيرة، ولوحة صغيرة من الذهب منقوشة، وبعض تمائم، وكذلك وجد على الساق سواران، وعُملت أغطية أصابع الرجلين على شكل حُقٍّ من الذهب، وأخيرًا وجد مع المومية خُفَّان من الذهب أيضًا. وبذلك تمت هذه المجموعة المدهشة. وقد حفظ «بسوسنس» لنفسه الحجرة الشمالية من هذا المبنى المقام من الجرانيت، وهي التي وصفنا محتوياتها، أما الحجرة الجنوبية فكانت لملكة تدعى «موت نزم».

(١-١) حجرة الملكة «موت نزم»

وقد وُجد فيها تابوت من الجرانيت الوردي عليه اسم الملكة الذي جاء بعد ذكر طغراءي الفرعون كما يأتي: ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عاخبررع ستبن آمون» ابن الشمس «محبوب آمون بسوسنس».

والزوجة الملكية والأخت الملكية ربة الأرضين «موت نزم».

ونجد اسم «موت نزم» هذه في غير هذا المكان على غطاء تابوت من الجرانيت موضوع في الحجرة الثانية، وكذا على الجدار الخلفي لهذه الحجرة، وقد هُشِّمَتْ نقوشها ووضع مكانها نقوش باسم الملك «أمنمآبت»، ولكن المغتصبين لقبرها لم يفطنوا إلى أن ألقاب الملكة كلها كانت مكتوبة على جانب التابوت الملتصق بالجدار الخلفي من الحجرة. ويكشف هذا النقش الهام سر حقيقة هذا التابوت: «أوزير الكاهنة الثانية لآمون ملك الآلهة، والزوجة الملكية الأولى والعظمى لجلالته، والراهبة الأولى لآمون ملك الآلهة، والمديرة العظمى لبيت

«موت» العظيمة سيدة «أشرو»، وكاهنة موت العظيمة، وسيدة «أشرو»، وكاهنة «خنسو» الطيبي صاحبة الراحة الجميلة، والأم الإلهية «لخنسو» الطفل الأول العظيم لآمون.

والبنت الملكية، والأخت الملكية، والزوجة الملكية، وسيدة الأرضين «موت نزم» صادقة القول لدى أوزير.»

ولو لم تكن لدينا معلومات أخرى سابقة عن الملكة «موت نزم» لَخُيِّل إلينا أنها زوج الملك «بسوسنس»، غير أنها في الواقع كانت أمه؛ إذ وجد على إبريق من الذهب في مقبرة «بسوسنس» نقوش تقدم لنا البرهان على ذلك وهي: «الملك الطيب رب الأرضين وسيد القربان، الكاهن الأول «لآمون بسوسنس»، والتي أنجبته الزوجة الملكية العظيمة ربة الأرضين «موت نزم».»

وقد جاء نفس هذا المتن مع بعض اختلاف بسيط فيه على سوارين للملك «بسوسنس» (راجع Kemi, IX, Inv. No. 539 St 549). ومن المعلوم من جهة أخرى أن «بسوسنس» كان ابن «سمندس» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين. وفي الوقت الذي قام فيه «ونآمون» بسياحته المشهورة كانت زوج «سمندس» تدعى «تنت آمون» وفيما بعد تزوج من «موت نزم» التي كانت ابنة ملكية؛ أي إنها بطبيعة الحال تُنْسَب إلى أسرة «رعمسيس الحادي عشر» آخر ملوك الرعامسة. ومن المعلوم بداهة أن مؤسسي الأُسَر كانوا لا يترفعون عادة عن الزواج من ابنة ملكة من الملوك الذين خلفوهم على العرش، وسنرى مثالًا لذلك فيما بعد في زواج «أوسركون» الأول من ابنة «بسوسنس الثالث (؟)» آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين.

وقد كانت أم الملك دائمًا في مصر شخصية لها احترام عظيم جدًّا، ولا أدل على ذلك من أننا نجد أقدم المؤرخين يذكرون بعد اسم الفرعون في الأسر المصرية الأولى اسم الأم الملكية.[٥]

وقد ظهر كذلك من نقوش مقبرة «بسوسنس» اسم شخصية أخرى ثالثة وهو «عنخف نموت»، ويلقب على حسب ما جاء على إحدى أواني أحشائه: «القائد الأول لجيش جلالته، والمدير العظيم لبيت «آمون رع» ملك الآلهة، وابن الملك لرعمسيس.»

[٥] وفضلًا عن ذلك كانت هؤلاء الملكات هن الروابط بين الأسر القديمة كما فصَّلنا القول في ذلك عند الكلام على الملكة خنتكاوس التي حكمت البلاد، وكانت حلقة الاتصال بين الأسرة الرابعة والخامسة (راجع مصر القديمة الجزء الأول).

(راجع Kemi IX p. 30)، ويحمل ألقابًا أخرى تُذَكِّرُنا بالنقوش التي على تابوته: الرئيس الأعلى للخيل لآمون ملك الآلهة، وسائق العربة الأول العظيم لجلالته، وكاهن الإلهة «موت» سيدة «أشرو»، ورفيق سيد الأرضين.» وقد آمر هذا العظيم بعمل إناء من الفضة للملك وأمه، عُثر عليه في ضريح «بسوسنس» بين الأواني المصنوعة من الذهب والفضة التي كانت في تابوته (صورة رقم ٨) (راجع Inv. No. 408 ef. Mon. Piots). والآن يتساءل الإنسان: هل كان لهذا القائد العظيم علاقة أسرية مع «بسوسنس»؟ وهذا جائز، غير أنه ليس لدينا عن هذا النسب معلومات قاطعة، ويُخَيَّل إلينا أنه يمكن توحيده مع رابع أولاد «بيعنخي» الكاهن الأكبر لآمون في طيبة (ابن حريحور) الذي يسمى كذلك «عنخف تموت» وهو الذي يحمل ألقابًا مشابهة كثيرة له (راجع L. R. III. p. 243). ونحن نعلم من جهة أخرى أن الأسرة المالكة وأسرة الكهنة العظام لآمون في طيبة كانتا على غاية من الود والمهادنة، كما كانتا ترتبطان معًا بالزواج في كثير من الحالات. ومهما يكن من أمر فإنه عندما تم العزم — على ما يظهر — على دفن هذا الرجل العظيم في قبر الملك في أثناء حياة «بسوسنس»، فإنه وُسِّع من جهة الجنوب البناءُ الذي كان مُقامًا من الحجر الجيري لأجل أن تُجَهَّز فيه حجرة صغيرة له موصلة إلى المدخل، وهذه الحجرة الصغيرة قد زُينت بالنقوش الغائرة الملونة، وقد مُثِّل «عنخف نموت» على جدرانها أربع مرات يتعبد للإله «آتوم وحوراختي» على الجدار الخلفي وهو يقرأ أناشيد نقشت على الجدران الجانبية، وقد زين له تابوت بالنقوش الغائرة مصنوع من الجرانيت الوردي وغُطِّي بغطاء من حجر البازلت.

هذه كانت الحالة الأولى للمقبرة، وقد بقيت حجرة دفن «بسوسنس» لم تُمَسَّ قط حتى كُشف عنها في أيامنا هذه، ولكن من جهة أخرى لم تتمتع الملكة ولا ابن الملك «لرعمسيس» مدة طويلة في هدوء بمثواهما الأبدي؛ إذ تدل شواهد الأحوال على أن الملك «أمنمآبت» الخلَف الثاني للملك «بسوسنس» جهز لنفسه مقبرة صغيرة في الجهة الشمالية الغربية من مقبرة «بسوسنس»، وقد دفنت فيه فعلًا موميته، غير أنه في عهد غير معروف لنا قد تقرر نقله إلى ضريح الملكة «موت نزم» فنُزعت قطعة الحجر التي تُخفي المدخل المؤدي إلى الممر الذي ينتهي بالضريح، وبعد ذلك نقلت مومية «موت نزم» وأثاثها الجنازي، ثم هُشِّمَتِ النقوش التي جاء فيها اسم «موت نزم» وبخاصة الظاهرة للعيان، ثم نقل تابوت «أمنمآبت» الخشبي المذهَّب الذي كان يشمل تابوبتًا آخر فيه المومية، ولكن التابوت الخارجي «لأمنمآبت» كان كبيرًا لا يمكن إدخاله في تابوت الملكة «موت نزم»؛ ولذلك تُرك في

الجزء الخارجي من الضريح، ووُضع صندوق أواني الأحشاء وصندوق التماثيل المجيبة وإناء من الذهب وأوانٍ من الفضة والنحاس وآنية عظيمة من المرمر كل هذه نُظِّمَت على نسق أثاث «بسوسنس» تقريبًا أمام التابوت الحجري، وكذلك سُدَّ الممر بقطعة من مسلة، وبني المدخل وزينت قطع أحجار السدادات بمنظر يمثل «أمنمآبت» الذي احتل القبر وهو يقدم القربان لأوزير. أما الحجرة التي كانت مجهزة لأجل «عنخف نموت» فقد احتُلَّت، يدل على ذلك أننا وجدنا في حجرة المدخل آنية أحشاء باسمه. وعلى أية حال فقد وجدنا التابوت خاويًا تمامًا، وكذلك هُشم اسمه من على جدران الحجرة وبقي على جدران التابوت، ولا يرجع ذلك إلى خطأ المغتصبين؛ لأن مساحة التابوت كانت تعادل بالضبط مساحة الحجرة؛ لدرجة أنه لم يُعرف أن جدرانها كانت مزينة بالنقوش.

والآن نعود إلى وصف بعض ما وُجد في قبر الفرعون «بسوسنس».

(١-٢) النقوش الغائرة

قُسِّمت جدران حجرة المدخل ثلاثة صفوف أفقية؛ ففي الصف الأعلى مَتْنَانِ متضادان في اتجاههما ويتقابلان في منتصف الجدار الغربي، وينتهيان في منتصف الجدار الشرقي، وهذان المتنان خطبتان قيلتا في مدح الملك «بسوسنس» نَطَقَ بهما الآلهة الذين كانوا في ركاب الإله أوزير، ونطق بهما كذلك الآلهة الذين كانوا في حاشية الإله الممثَّل في صورة كبش (آمون)، وهذه الآلهة تشغل صورها الصف الثاني من الجدران؛ فالآلهة أصحاب الشمال كانوا يمشون نحو اليسار على حسب اتجاه الهيروغليفي الذي يتحدث عنه، والآلهة أصحاب الجنوب قد رُسموا في الجهة المقابلة، وتتقابل صورهم مثل النقوش في وسط الجدار الغربي. وقد نقشت الإشارات الهيروغليفية نقشًا متقَنًا، وكذلك مُثِّل الأشخاص بكل دقة وعناية، ولُوِّن الجميع باللون الأزرق المتناسق. ومن الأشكال السارة التي تسترعي النظر من بين هذه صورة الإلهة «تواريس»، وصورة الطائر الذي يمثِّل الروح «فتكس»، وصورة الإله «بس» والأطفال الجالسين في الهواء القابضين على سحليات وثعابين. أما النقوش التي في الصف الأسفل فأقل جودة بكثير عن السابقة، وهذا فضلًا عن أن ماء الرشح قد تسرب إليها وأتلفها. ويلاحظ فيها أن «بسوسنس» يقدم الخبز للإله «حوراختي» ولسيدة الغرب، وقد صورت بجسم امرأة ورأس ثعبان على الجدار الشرقي، وفي الجهة الشمالية نشاهده يقدم رغيفًا للإله «أوزير».

وفي الجهة الغربية نرى «أوزير» تساعده إلهتان يتقبَّلُ تحيات «بسوسنس». هذا، ونشاهد من جهة أخرى الإله «سكر» ممثَّلًا في صورة صقر متوجًا بالتاج «أتف» وهو واقف على مذبح، ويفصل المنظر السابق عن منظر آخر من نفس الطراز، وفيه نشاهد الملك الفرعون «أمنمآبت» أمام «أوزير» و«إزيس»، وهذان المنظران هما اللذان أشرنا إليهما بأنهما يخفيان وراءهما مدخل الممرين المؤديين لضريحي الملكين «بسوسنس» و«أمنمآبت».

(١-٣) التوابيت

وُجد للفرعون «بسوسنس» أربعة توابيت، وقد تحدثنا من قبل عن الجمال الخارق للعادة الذي امتاز به تابوتا «بسوسنس» وغطاءاهما، وهما اللذان مثل عليهما الفرعون بطريقة بسيطة اتحاد الملك المتوفى مع إلهة السماء «نوت»، وهذان التابوتان المصنوعان من الجرانيت ليسا للفرعون «بسوسنس» في الأصل، كما أنهما ليسا من صنع الأسرة الواحدة والعشرين. حقًّا، إن الطغراءات التي تزين النقوش التي في داخل التابوتين والتي في خارجهما هي لهذا الفرعون، ولكن دل الفحص على أن الطغراءات الأصلية التي كانت عليهما قد محيت ونُقش بدلًا منها، غير أن المغتصبين الذين قاموا بهذا العمل قد تركوا إشارات تدل على اغتصابهم، بل أظهرت لنا في الواقع أن صاحب التابوت الأصلي هو الملك «مرنبتاح» بن «رعمسيس الثاني».

(١-٤) التابوت المصنوع من الفضة

وقد حُفظ لنا في مقبرة «بسوسنس» تابوتان من الفضة في حالة سليمة تقريبًا؛ أحدهما للملك «بسوسنس» نفسه، والثاني للملك «شيشنق»، وهما على هيئة غلاف للمومية، ولكنْ هناك فرق ظاهر يلفت النظر بين هذين التابوتين، وذلك أن تابوت الملك «شيشنق» له رأس صقر، وتابوت «بسوسنس» له رأس إنسان يكاد يكون حيًّا؛ لفرط دقة صنعه! رُكِّبت فيه عينان وحاجبان، وله قسمات تدل على شرف المَحْتِد والنضارة، ويحيط به لباس «نمس» (كوفية) يعلوه شريط وصل ملكي من الذهب، ولحيته المستعارة مثبتة بأربطة. ولم يمثَّل بهذه الصورة عن طريق الصدفة، بل إن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين كانوا يقدسون الإله «آمون» — الذي كان يمثَّل في صورة بشرية — تقديسًا خاصًّا، حتى إنهم وصلوا في ذلك إلى إهمال الآلهة الآخرين.

ويلاحظ أن غطاء تابوت «بسوسنس» لم يكن الغطاء الفضي وحده المغطى بنقوش هيروغليفية، بل كانت هذه النقوش تعم التابوت نفسه، وقد كانت كالعادة فيغطي صدر الفرعون لباس كالدرع، ويتبع ذلك ثلاثة طيور منتشرة الأجنحة، ثم نقش في سطرين ينتهي عند القدم، وهذا النقش صلوات يقدمها الفرعون لأمه «نوت»؛ لتجعله بين النجوم التي لا تفنى (النجم القطبي) والنجوم التي لا تغيب (أي النجوم السيارة).

وعلى قعر التابوت من الخارج مثِّلت صورة رائعة للإلهة «نوت» ناشرة جناحيها لتحمي مومية الفرعون، وحول حافة التابوت نقش متن أفقي.

(١-٥) أغطية المومية

دل الفحص على أن الاستعمال لأغطية المومية كان يتغير، كما يلاحظ ذلك في الأسرتين الواحدة والعشرين، والثانية والعشرين، فنجد أن مومية الفرعون «بسوسنس» كانت مكسوة كلها بالذهب، فقد كانت تلبس غطاء رأس فاخرًا يغطي الرأس حتى الصدر، وقرابًا نصف أسطواني يغطي الجسم حتى القدمين. وغطاء الرأس هذا يمثل «بسوسنس» في صورة فتى ذي عينين مفتوحتين تمامًا، عليه سيما الملك، ويُحَلِّي جبينَه صل من الذهب الصلب بارز من تحت تاجه، ولحيته مجدولة ومثبتة في ذقنه، وتُشاهَدُ اليدان تقبضان على الصولجان والزخمة على القراب، ثم طائر برأس كبش. وفي الطرف الآخر تجلس كل من «إزيس» «نفتيس» على مقعد من الذهب. وقد قُسِمَتِ المسافة التي بين ذلك قسمين بكتابات هيروغليفية.

(١-٦) القلائد

وجد مع مومية «بسوسنس» ما لا يقل عن ست قلائد عظيمة، وهي تختلف في منظرها، غير أنها كلها من عناصر واحدة، فتتألف الواحدة من صف أو عدة صفوف من الخرز أو قطع الحلي الصغيرة، ومشبك، ثم عذبة من الذهب منتشرة على الظهر.

وقد نُقش على أحد مشابك هذه القلائد من الجهة المسطحة متن يقول: «إن الملك «بسوسنس» قد عمل عِقدًا عظيمًا للرقبة من اللازورد الحقيقي لم يَعمل مثله أي ملك.»

وهذا المشبك عبارة عن صندوق صغير مستطيل ومسطح من الجهة المنقوشة، وغليظ من طرفيه، ومثقوب من جانبيه بثقبين لتنتظم فيه الخيوط التي نظم فيها ثلاثون خرزة

كبيرة من اللازورد، وخرزتان من الذهب، وفي أسفل المشبك ركِّبت خمس حلقات في خط مستقيم مفصولة بمسافات توضع فيها خمس حلقات أخرى تنتهي بخمس سلاسل، ويخترق عشر الحلقات هذه دبوس قوِّست طرفاه، وتنقسم السلاسل حلقات يجد الإنسان في كل منها زهرة في البداية وأخرى في النهاية، ومن كل هذا يتألف شبه طاقة مقلوبة يبلغ عدد زهراتها ستين، يحدث عند كل حركة صوت له رنات ممتعة.

وكذلك وُجدت قلادة أخرى مؤلفة من كُرَات من اللازورد والذهب، ومشبك من نفس الطراز السابق، غير أنها أقل حجمًا وبدون شرابة، وقد عوَّض صِغَرَها وجودُ كرة من اللازورد الأزرق اللامع يزينها ثلاثة أسطر متوازية من الخط المسماري. ومما يؤسف له أن حل رموزها لم يسفر عن نتيجة مُرضية؛ إذ قد كان المَظْنون أنها ستحدثنا عمن أرسل قطع اللازورد هذه من البلاد الآسيوية، كما ذكرنا ذلك من قبل.

وأفخم قلادة من الذهب عثر عليها في قبر هذا الفرعون تتألف من مشبك على هيئة حُقٍّ مسطح حلي وجهاه بطغراءي «بسوسنس»، ونعوته المنقوشة بإشارات هيروغليفية مطعمة من الوجه، ومحفورة حفرًا بسيطًا من الظهر، وقد ثقب جنباه الصغيران بستة ثقوب ثبتت بمسمارين، وقد نُظِمَ في ستة الخيوط التي نفذت في هذا الحُق آلاف القطع الصغيرة المثقوبة من وسطها، وعُلِّق في قاعدة هذا المشبك أربع عشرة سلسلة مقسمة حلقات تحمل أربعًا وثمانين زهرة. ولا يقل وزن هذه القلادة عن ثمانية كيلو جرامات. وعثر كذلك على قلادة أخرى لا تقل فخامة عن السابقة، وتحتوي على سبعة صفوف من القطع الصغيرة من الذهب، وقد نُقش على مشبكها كل ألقاب الفرعون «بسوسنس» التي لم نعرف منها قبل ذلك إلا اثنين من خمسة. (انظر صورة رقم ٤ و٥ و٦).

(١-٧) الصدريات

إن الصدريات التي صيغت على هيئة مبنى تعد من المخترعات التي تدعو إلى الإعجاب الشديد، وقد نسب بحق ابتداعها إلى الصائغ المصري، ففي عهد الأسرة الثانية عشرة كانت هذه الصدرية تحتوي على منظر صغير يدل على عظمة الفرعون أو على تقاه وصلاحه، أما في العصر الذي نحن بصدده فلا تدل الصدرية إلا على تعويذة سحرية وحسب.

وقد خلَّف لنا «بسوسنس» صدريتين تتألفان من جزءين: الجزء الأعلى قد أُحيطَ بإطار مستطيل يشبه الجزء الأعلى منه «كرنيشا» على هيئة النخل، والجزء الأسفل كذلك كبير غير أنه أقل ارتفاعًا ويتصل بالأعلى بوساطة مفصلة. وكل من الجزءين ذو ثقوب،

وقد رُكِّب في الجزء الأول من الطبقة العلوية جعْل في الوسط، وعلى اليمين وعلى الشمال نشاهد كلًّا من الإلهتين: «إزيس» ونفتيس بعد أن نشرت جناحيها الطويلين بعض الشيء.

أما الطبقة السفلية فقد حُدِّدت من جهة بعمود «أوزير» الدال على الثبات 𓊽، ومن الجهة الأخرى بعلامة الغرب، وعلى اليمين نجد صورة في الوسط تمثل الملك المتوفى «أوزير» يتنزه في قاربه، وعلى اليسار نشاهده يعبر بالطائر «فنكس»، وفي إطار الصدرية الثانية نشاهد قرص الشمس المجنح يضم جناحيه على جماعة مؤلَّفة من جعل مجنح و«إزيس» و«نفتيس»، وفي الطبقة السفلى نشاهد صور «إزيس» و«أوزير» تتبادلان معًا.

(١-٨) الجعارين

رأينا فيما سبق أن العصر الذي كان يتوسط الصدريات هو الجعران، ولكن يحدث كذلك أن الجعران نفسه كان يؤلف تحفة منفردة. وقد وجد في مقبرة الملك «بسوسنس» أربعة أمثلة جميلة من هذه الجعارين؛ فلدينا جعران من الجرانيت وآخر من اللازورد، ومن اليشب المصقول تمامًا، والمرصع والمحوط بإطار بيضي من الذهب، وله جناحان من الذهب المَوَشَّى بالأحجار، وهذا الجعران الأخير يظهر كأنه يدفع بأرجله الأمامية طغراء الفرعون، ويجر بحلقه، وإذا قلبنا هذا الجعل فإنه يُرى محفورًا على الجناحين وعلى الطغراء والحلقة تفاصيل الحفر التي عملت بالأحجار، والتي حددت بالألوان المختلفة، وعلى الجزء المسطح من الجعران نقرأ متنًا مقتبسًا من الفصل الثلاثين من «كتاب الموتى» خاصًّا بالدور الذي كان يقوم به القلب مع المتوفى في عالم الآخرة، ويشاهَد على جناحي الجعل كبشان، ولكن وُجد جعران واحد محلًّى بسلسلة جميلة من الذهب، أما الجعارينُ الأخرى فكانت موضوعة على المومية وحسب.

(١-٩) تعاويذ القلب

وكذلك كان يوضع مع الجعارين على المومية تماثيل قلوب مصنوعة من اللازورد أو الأحجار الأخرى، وقد وجد مع مومية «بسوسنس» عشرة قلوب من الحجر، وأضخمها ارتفاعه عشرة سنتيمترات، وأصغرها سنتيمتران، وقد حُلِّي أحد هذه القلوب بسلسلة من الذهب، وحلي كل من الجعارين الأخرى بمسمار مخروم مغطى بالذهب، وبذلك يمكن حمله بوساطة خيط، وقد نُقش على كل هذه الجعارين حتى أصغرها طغراء «بسوسنس»

في حضرة ثلاثة آلهة. وقد وجدت تعاويذ أخرى مع مومية «بسوسنس» كانت تعلق إما في الرقبة أو مع الصدريات، فمثلًا وجدت رءوس ثعابين، وهذه كانت تُصنع من حجر اليشب الأحمر أو من الكرنالين (حجر الدم) أو من عجينة الزجاج، وكان يوضع في طرفها مقبض من الذهب مخروم بثقب لتدخل فيه سلسلة أو شريط. وقد كان الثعبان في نظر المصري القديم — كما هو في نظر المصري الحديث — حارسًا لمزلاج الباب أو البيت، وهذا هو السبب الذي من أجله وجدنا منقوشًا على رأس ثعبان في مقبرة «بسوسنس» فصلًا من الأدب الجنازي يدعى فصل المزلاج. على أن كل هذه التعاويذ قد لا تكون كافية لحماية المتوفى من أخطار عالم الآخرة لو لم يُضف إليها مَدَد آخر من التعاويذ الأخرى وصور الآلهة، فنجد مثلًا أن «بسوسنس» الذي حفظ لنا تعبده «لآمون» معتقدات محلية، كان يعتقد بوجه خاص في قوة الرموز الخاصة بالملكية الفرعونية مثل الصل والنسر والصقر، هذا بالإضافة إلى الطائر الذي كان يمثَّل برأس إنسان بروح. وكل هذه كانت حِليات يتحلى بها الفرعون، وقد وجدت على موميته خمسة أزواج من التعاويذ منفردة على لوحة من الذهب كلها متشابهة، ولا يتميز بعضها عن بعض إلا بالرأس (انظر الصورة رقم ٦).

(١-١٠) الأساورة

لم يكن «بسوسنس» يملك أقل من عشرين سوارًا، اثنا عشر في الذراع اليمنى، وعشرة في الذراع اليسرى، واثنان في الفخذ، وزوجان في الكعب، وبذلك ضرب الرقم القياسي في التحلي بالأسورة.

ويمكن تمييز ثلاثة أنواع رئيسية: السوار المؤلف من الحلقات الصلبة، والسوار الأسطواني المكون في العادة من لوحين صغيرين متماسكين بمقابض وبعضها صلب والبعض الآخر مفرغ، وأخيرًا السوار المصنوع بنفس طريقة صناعة الخواتم بوساطة محبس يضم طرفيه خيط يمر بحجر أو أسطوانة وفي الغالب في جعران. وقد لوحظ أن كثيرًا من هذه الأسورة على ما يظهر ضيق جدًّا بالنسبة للأحياء، وربما كانت مصنوعة للمومية بخاصة، ولكن تلك التي يبلغ طولها أكثر من ستة عشر سنتيمترًا كانت تُلبس فعلًا.

والنوع الأول من هذه الأسورة قد وجد في الكشف الحديث مع مومية «بسوسنس» فقط، ويلاحظ بوجه خاص أسورة من الذهب الصلب قطاعها مثلث يزن ثمانمائة وألف جرام، وقد نُقش في داخلها نقش متقن يمجد شجاعة الفرعون، وكذلك نجد في مجموعة

هذا الفرعون «أسورة» أخرى أقل من السابقة غير أنها ذات وزن محترم نسبيًّا، وقطاعها مستدير، ولها زوجان من الحلقات محلى من الخارج بحلزونات ونقوش هيروغليفية، وفي داخل إحداهما نقشت العلامة الدالة على اليمين، وفي داخل الأخرى العلامة الدالة على اليسار.

وتختلف الأسورة التي وجدت على فخذ «بسوسنس» وكعبه عن السابقة بعض الشيء، وتتألف الأولى من أربعة مستطيلات من الذهب ثبت بينها بوساطة حلقات في صورة أَهِلَّة مصنوعة من الذهب واللازورد على التوالي، أما أسورة الكعب فقد قسمت أربعة أقسام متساوية؛ واحد من الذهب، والثاني مكون من أهلَّة مصوغة من الذهب الذي يتخلله حجر اللازورد المنظم بمهارة على التوالي.

وهذه الأسورة تقدم لنا حقيقة تاريخية هامة نقشت بالهيروغليفية لم تكن معروفة من قبل، وهي أن الفرعون «بسوسنس» هذا هو ابن الملك «سمندس» أول ملوك هذه الأسرة، والأخير ابن شخص يدعى «منخبررع» ولا نعرف عنه شيئًا غير اسمه، وأم «بسوسنس» هي «موت نزم» وقد كتب اسمها على زوجين من أسورة المعاصم.

(١-١١) غطاء الأصابع والخواتم والنعال

كان لا بد أن تكون غطاءات أصابع القدمين واليدين في شكل حِقاق من الذهب المتين، وقد شاهدنا ذلك في الأغطية التي وجدت مع مومية «بسوسنس»، أما الخواتم فكانت ملبسة في حقاق الأصابع، وقد وجدنا منها تسعة وعشرين مع مومية «بسوسنس»، وكثير من هذه الخواتم يتألف من حلقة بسيطة من الذهب الرفيع أو السميك وعليها نقش هيروغليفي من الخارج، وقد نُقش على سُمك هذه الخواتم متن جاء فيه: «ألف أسد وفهد تكون الحماية، وإن «آمون رع» ملك الآلهة هو قوة «بسوسنس».» وكذلك من بين هذه الخواتم خاتم أسطواني يبلغ ارتفاعه سنتيمترًا ونصف سنتيمتر، مزيَّنٌ بطغراءات وأشرطة وأشكال معينة مرصعة بالذهب. وأما الخواتم الأخرى فتتركب من جسم الخاتم المصنوع من الذهب يركب فيه العين السليمة وجعران، وقد يكون بسيطًا أو له تركيبة من الذهب والنقوش التي عليه بطبيعة الحال مختصرة جدًّا، فعليه اسم الملك وحسب.

(١-١٢) الحذاء

وقد وُجد للملك «بسوسنس» زوجان من النعال غاية في الجمال، ويتألف كل منهما من نعل مزيَّن بزخرف هندسي الشكل، ومن جهة يتصل نصفاه المتوازيان بالنعل بوساطة سير من الجلد، وينضمان فوق أعلى القدم بأنبوبة تخترق مسمارًا طويلًا.

(١-١٣) منوَّعات

وقد وجد غير هذه التحف بعض أشياء صغيرة على مومية «بسوسنس»؛ منها آنية صغيرة مستديرة غطاؤها من الذهب، وكانت على ما يُظَنُّ تنتظم بعض حبات من البخور.

وقد كان من الضروري عند فتح بطن المومية لاستخراج الأجزاء القابلة للتلف ووُضِعَ محلها العقاقير التي كانت تستعمل في التحنيط، من حدوث جرح لا بد من معالجته، وقد تُوُصِّلَ إلى معالجة ذلك بوضع لوحة صغيرة من الذهب على مكان الجرح، وكان يصور عليها صورة كبيرة للعين السليمة، أو كان يفضل على ذلك تصوير هذه العين يحيط بها الآلهة الأربعة الذين كانوا موكلين بحفظ أواني الأحشاء وهم: «أمستي» و«دواموتف» و«قبح سنوف» ثم «حابي». وقد وُجدت لوحة من هذا النوع مع مومية الملك «بسوسنس»، وكذلك وجدت بعض أسلحة من الذهب على شكل إصبعين، وكذلك الآلة التي كانت تسمى «بشس كاف» التي كان يستعملها الكهنة لفتح فم المومية، وكل هذه الأشياء وجد منها نماذج مع الملك «بسوسنس».

(١-١٤) أثاث الحُجَر

وجد في حجرة المدخل لمقبرة «بسوسنس» وكذلك في الحجرتين المُقامتين من الجرانيت — غير التوابيت — عدد عظيم جدًّا من الأثاث، حتى إن الكاشفين لهذه المقبرة عند دخولهم فيها لم يجدوا في رقعتها موضعًا لقدم خاليًا من الآثار، وقد وجد في حجرة مدخل مقبرة «بسوسنس» آنية عظيمة يبلغ ارتفاعها تسعين سنتيمترًا، وهي من الفخار الأحمر، وكانت موضوعة في الركن القريب من النافذة التي تطل على الحجرة الأولى، وقد وجدت مملوءة بالتراب حتى حافتها.

(١-١٥) أواني الأحشاء

وجدت أواني أحشاء «بسوسنس» سليمة وكلها من المرمر، ومعظم الأواني التي كُشف عنها حديثًا أسطوانية الشكل وليس من بينها إلا اثنتان بيضيتا الصورة، ويبلغ ارتفاع الواحدة حوالي ثلاثين سنتيمترًا، وقطرها عشرة سنتيمترات، والنقوش التي عليها تضمن للمتوفَّى حماية أربعة آلهة وهم: «أمستي» و«دواموتف» و«قبح سنوف» ثم «حابي»، وتصحبهم على التوالي الإلهات «إزيس» و«نفتيس» و«نيت» ثم «سلكت»، وهن اللاتي رأيناهن ممثَّلات على تابوت «بسوسنس» المصنوع من الفضة.

والواقع أن أهم الأواني من الوجهة التاريخية هي الأواني الفردية التي عثر عليها في الحجرة الخارجية للفرعون «بسوسنس»؛ وذلك لأن النقوش التي عُثر عليها قد حفظت لنا ألقاب كثير من الشخصيات التي عاشت بين عهدي «بسوسنس» و«شيشنق»؛ فمنهم الأمير «أمنحتب» وكاهن «خنسو» «أوند باوندد» وكاهن «آمون» المسمى «أمنموس»، والمدير العظيم لآمون رع ملك الآلهة «عنخف نموت» الذي يحمل لقب ابن الملك لرعمسيس (أي بلدة برعمسيس).

ويُلحَظ في النقوش الغائرة أن الإله «أمستي» ملون باللون الأحمر برأس بشر، والإله «دواموتف» مثِّل برأس كلب، والإله «قبح سنوف» برأس صقر، والإله «حابي» برأس قرد. وهذا هو السبب في أن غطاءات أواني الأحشاء قد مثِّلت برأس إنسان وكلب وصقر ثم قرد على حسب ما خصصت له كل آنية من أولاد «حور» الأربعة. والمادة التي تصنع منها هذه الأواني في العادة هي مادة المرمر مثل الأواني الأخرى، ولكن بعض الأغطية كانت تُعمل من الحجر الجيري أو من الجص، وأواني أحشاء «بسوسنس» الأربع قد زُيِّن سطحها باللون الذهبي، والعيون باللون الأسود، والصدر بألوان مختلفة، وقد رسم على الشعر المستعار لرءوس هذه الأواني أشرطة مذهبة وزرقاء بالتوالي وفي الجبهة مثل الصل الملكي.

(١-١٦) التماثيل الجنازية الصغيرة

يُستنبط من التماثيل الصغيرة الجنازية التي وُجدت في مقبرة «بسوسنس» أنه قد أُمر بعمل مجموعة مزدوجة من هذه التماثيل؛ واحدة منها من الخزف الملون بالأزرق والأسود منقوشة بمتن هيروغليفي، وهو نسخة من «الفصل السادس» من كتاب «الموتى»، والمجموعة الثانية من البرنز وليس عليها إلا متن قصير. ومع هاتين المجموعتين بعض

الآلات المصنوعة من الخزف، وهي التي كان يُظَنُّ أنها لازمة لهذه التماثيل المجيبة لتأدية واجباتهم في عالم الآخرة كما كان المنتظر منهم، وأهم هذه الآلات هي: المدقات، والأوتاد، والفئوس، والمقاطف، والسلات، وحمَّالات لحمل الدلاء. وقد كُتب على كل هذه الأشياء تقريبًا اسم الفرعون «بسوسنس» بالمداد الأحمر.

وقد وُجدت تماثيل مجيبة أخرى لأشخاص آخرين (راجع Tanis p. 162)، وبخاصة لكاهن مدير معبد «خنسو» المسمى «أوند باوندد»؛ فقد وُجد له مجموعتان من التماثيل المجيبة؛ واحدة من الخزف كاملة، وأخرى أقل بكثير من الأولى من النحاس، وقد كتب عليها اسمه وألقابه، وسنتحدث فيما بعد عن مقبرة هذا الكاهن.

(١-١٧) الأسلحة والسيوف

وجد في قبر هذا الملك بعض أسلحة وسيوف غير أنها ليست في حالة سليمة بأكملها؛ وذلك لأن ما كان عليها من خشب وجلد قد أصابه التلف كلِّيَّة، وكذلك تلف الجزء المعدني منها بفعل الزمن، أما الجزء الذهبي منه فقد بقي محفوظًا بحالة جيدة، وقد وُجد مع مومية «بسوسنس» عدة أشياء غامضة الأصل منها درقة غريبة التركيب، وبجانب هذه الدرقة وُجدت مناقشُ من العاج وحِرَاب من البرنز ورءوس سهام، وأخيرًا آلتان على هيئة إصبع قد دل البحث على أن كلًّا منهما رأس سهم وقد نقش عليهما طغراء ملك لم يكن معروفًا على النقوش من قبل، وهو الملك «نفرخرس»، وقد قال عنه «مونتيه»: إنه هو الملك «نفر كارع حقا»، وإنه اشترك مع «بسوسنس» الذي وُجد طغراؤه مع طغراء هذا الملك على هذا الأثر الصغير، وقد جاء اسم هذا الملك في قائمة «مانيتون» ثالث ملك بالنسبة لملوك هذه الأسرة كما يأتي:

(١) سمندس: حكم ٢٦ سنة.
(٢) بسوسنس: حكم ٤١ سنة.
(٣) نفرخرس: حكم ٤ سنوات.
(٤) أمنوفتيس: حكم ٩ سنوات.

وقد برهن الأثري «جرد زلوف» — في مقال رائع — بالبراهين القاطعة على أن هذا الملك المسمى «نفر كارع حقا» قد حكم البلاد حقًّا من قِبَل الملك «بسوسنس»، وكذلك قال: «إن شواهد الأحوال تدل على أن هذين الملكين لا بد كانت تربطهما علاقة قرابة قوية، وإنه

يمكن القول بأن «بسوسنس» كان أخًا أصغر للملك «نفر كارع حقا».» وعلى ذلك يكون من حقنا أن نفرض أن هذين الملكين حكما سويًّا لمدة قصيرة. وعلى أية حال يجب أن نغير ترتيب ملوك هذه الأسرة الذي وضعه «مانيتون» ونأتي بدله بالترتيب الآتي: (١) سمندس. (٢) نفر كارع حقا (نفرخرس). (٣) بسوسنس. (٤) أمنوفتيس (أمنمأبت) (راجع A. S. XLII p. 207ff).

وفي التابوت المصنوع من الجرانيت الوردي وُضعت على يمين وشمال التابوت المصنوع من الجرانيت الأسود بعض أسلحة ثمينة وصولجان وعِصِيٌّ. وهنا نلاحظ كذلك أن الخشب قد تلف ولم يبقَ إلا الذهب سليمًا، وكذلك وُجد مقبض خنجر، هذا إلى قطعة من سيف آخر كُتِبَ عليه اسم «أوند باوندد» الذي وُجدت باسمه آنيةُ أحشاء في حجرة المدخل.

(١-١٨) أدوات إقامة الشعائر

يوجد من هذه الأشياء في مقبرة «بسوسنس» موقد من البرنز على هيئة قطعة أثاث، وحامل طويل، وطست من الفضة، وإبريقان؛ أحدهما من الفضة، والآخر من الذهب، وآنية ذات قعر مسطح وفتحة ضيقة ولها فوهة يمكن أن تستعمل لتحضير المشروبات الساخنة.

(١-١٩) الأواني المنزلية

لقد شاهدنا في مقابر العظماء في الأجزاء السابقة من هذا المؤلَّف (راجع مصر القديمة الجزء الرابع) أن مناظر الولائم في مقابر الدولة الحديثة كانت كثيرة، فكان يُصَوَّرُ فيها المتوفى وزوجه وأولاده وأقاربه وأصحابه جالسين على فراش وثير، ويقوم على خدمتهم فتيات في مقتبل العمر وغضارة الشباب؛ فيقدمن لهم العطور والمأكولات والمرطبات، هذا إلى عازفات ومغنيات يضفين على الوليمة بهجة وسرورًا؛ فنجد صاحب القبر يمد يده بقدحه، في حين نجد أن زوجه تصب له من الإبريق والمصفاة اللذين في يديها شرابًا سائغًا. ولما كان تحت تصرف المتوفى المواد اللازمة لخدمة الآلهة فقد كان من الواجب إعطاؤه — كذلك — الأطباق والأواني والأقداح من الذهب والفضة، وهذه كانت تؤخذ من أواني الأسرة التي تستعمل في الحياة الدنيا، وقد وجد من هذه الأواني مع الفرعون «بسوسنس» أربع عشرة آنية؛ خمس منها من الذهب؛ واثنتان من الفضة والذهب، وثمانٍ من الفضة.

والأواني الذهبية وجدت سليمة تمامًا وبخاصة زجاجة كبيرة، وقدح بمقبض، وإبريق، وقِدر صغيرة، وكوبة؛ مما يذكرنا ببعض أواني كنز «بوبسطة».[6] فقد وجدت صحفة من الفضة ذات مقبض من الذهب تشبه الصفحة المشهورة التي وُجدت في هذا الكنز، وكذلك يلحظ أن الأقداح والأواني الفضية خليقة بأن تكون لملك. وفي الوقت الذي نجد فيه أن النقوش التي على الأشياء الجنازية لا تَذكر إلا الملك والآلهة الجنازية، نجد أن الأواني التي وجدناها في مقبرة «بسوسنس» لا تمُتُّ للشعائر الدينية بصلة، فكل ما نُقش عليها هو اسم الملك أو أسماء ملكات أو أميرات أو بعض أشخاص معاصرين.

(١-٢٠) مومية الفرعون بسوسنس الأول[7]

لقد أسفر فحص جمجمة هذا الملك وهيكله العظيم عن أنه كان متقدمًا في السن عند وفاته.

وقد وجد أن حفرة الجمجمة تحتوي على كمية قليلة من نسيج المخ. والظاهر أن الباقي قد انتُزع من الأنف، ويدل على ذلك أن عَظم المصفاة وُجد مكسورًا، كما وجد جزء كبير من جسم العظم الوتدي والجزء الأعلى من حاجز الأنف مكسورًا أيضًا.

وقد وُجد مقدار عظيم من رواسب كربونات الصوديوم في حفرة الجمجمة، ويحتمل أن هذا قد رسب بين الأم الجافية dura-mater والعظم؛ وهذا يصحب التقدم في السن، وقد دل فحص باقي الأعضاء على أنه قد أصابه كساح.

وقد لُوِّنَتْ المومية باللون الأحمر كما كانت العادة في الأسرة الواحدة والعشرين، أما النساء فقد كنَّ يُلَوَّنَّ باللون الأصفر. ويمكن رؤية بقايا اللون الأحمر على قمة جميع الجمجمة، وربما كان ذلك ناتجًا من لفائف الكتان التي بليت من رطوبة القبر. وقد وُجدت اللوحة الذهبية التي توضع دائمًا على مكان الفتحة التي تُعمل عادة في البطن لاستخراج الأمعاء منها، وهذا دليل على أن هذه الفتحة قد عملت في جسم «بسوسنس».

ويدل الفحص على أن «بسوسنس» كان له رأس كبير وجمجمة واسعة، وعلى الرغم من أنه لم يكن طويل القامة؛ فقد كان طوله حوالي ١٫٦٦ مترًا، وكان قوي الجسم متين

---

[6] راجع Maspero Guide Du Visiteur du Mus’ee Du Caire. p. 442. Fig 127.

[7] Derry A. S. Vol. XL. p. 969ff.

التركيب. وقد ذكر لنا «مانيتون» أنه حكم إحدى وأربعين سنة، وفي رواية أخرى: ستًّا وأربعين سنة. ولكن يقول «جوتيه»: «إن عدد السنين هذا مبالغ فيه، وينبغي أن يُنسبَ إلى خلفه «أمنمأبت» الذي دلت الآثار الباقية على أنه حكم حتى السنة التاسعة والأربعين.» (L. R. III p. 289 note 3). ولكن نعلم من جهة أن «بسوسنس» قد اشترك في المُلك مع أخيه «نفر كارع حقا» وهو صغير السن، وبقي وحده على عرش الملك حتى وفاته بعد أن بلغ من العمر أرذله على حسب فحص موميته كما ذكر لنا ذلك الدكتور «دري».

(٢) الموظفون في عهد بسوسنس

(٢-١) «أوندباوندد» رئيس كهنة كل الآلهة وقائد الرماة

وجد قبر هذا الكاهن العظيم ملاصقًا لمقبرة الملك «بسوسنس»، وكان قد عُثر له على بعض آثار كتب عليها اسمه في الكشوف الحديثة التي قام بها «مونتييه» عام ١٩٣٩ وأهمها ما يأتي:

(١) آنية من المرمر عليها اسمه.
(٢) مجموعة كاملة من التماثيل المجيبة من الخزف المطلي.
(٣) عدد عظيم من التماثيل المجيبة من البرنز من طرازين مختلفين.
(٤) آلات صغيرة كان يستعملها التمثال المجيب في عالم الآخرة من الخزف المطلي مثل: المقاطف، والسلات، وحاملات المياه والفئوس.
(٥) بعض آلات من هذا الصنف من البرنز: كئوس، ومقاطف، وأسلحة. وكذلك وُجد أثر عثر عليه في تابوت «بسوسنس» بين الأسلحة والسيوف والعصي الخاصة بالفرعون، جاء عليه ذكر هذا الموظف العظيم بوصفه «الذي في قلب سيده»، وهذا الأثر هو سيف رَكِبَه الصدأ، ويمكن أن نقرأ عليه حتى الآن اسم «أوندباوندد» (راجع A. S. XL VII p. 250).

وصف المقبرة

وقد زُيِّنت جدران هذه المقبرة الأربعة برسوم جنازية؛ ففي الجهة الجنوبية كان يقدمه الإله «أنوبيس» بعد عودته للحياة أمام «أوزير» و«أزيس»، وعلى الجدار الشمالي نشاهد

روحه (با) تحميه عين مجنحة وهي واقفة على باب الإله تسبقه الإلهة «أمنت» إلهة الغرب، ويتعبد هذا القائد على اليمين وعلى الشمال للعمود الصغير «دد» 𓊽 الذي يمثل الثبات، وهو رمز الإله «أوزير»، وعلى الجدار الغربي يُرى «أوندباوندد» يتعبد للإلهة «حتحور» في أثناء نزولها من الجبل الغربي والإله «سكر»، وعلى الجدار الشرقي نشاهده يتلو أنشودة للإله «أوزير» ممثَّلًا بالعلامة الدالة على مقاطعة العرابة، وهي التي دفن فيها رأس هذا الإله ويحيط بها «إزيس» الأم الإلهية و«نفتيس» الأخت الإلهية.

أثاث حجرة الدفن

ويحتوي أثاث هذه الحجرة على تابوت فقط غطاؤه على هيئة إنسان مثبَّت بأربع قطع من الحجر الجيري، وفي ركن من أركان الحجرة أربع أواني أحشاء كانت كلها مسدودة بأغطية على صورة رأس إنسان، ووُجد أن محتويات هذه الأواني مغمورة بالراتنج. أما التابوت وغطاؤه المصنوعان من الجرانيت فكان قد استعمله قبل ذلك الكاهن الثالث «لآمون»، والكاهن أعظم الرائين «لرع» في طيبة المسمى «أمنحتب»، وقد ترك لنا «أوندباوندد» نقوش هذا الكاهن سليمة؛ فقد كان كل ما فعله أن وضع عليها طبقة من الصمغ وحفر عليها صورًا جنازية ونقوشًا باسمه هو، وقد غُطِّيَ كلُّ ذلك بورق رقيق من الذهب، وثُبِّتت لحيته المستعارة المصنوعة من البرنز في الذقن، ووُضِعَت علامة «دد» 𓊽 في يده اليمنى، وعلامة «تيت» 𓎬 = «تمثال أوزير» في يده اليسرى، غير أنه قد تحول الصمغ إلى قطع صغيرة أو تحول إلى تراب على الأرض، أما ورق الذهب فقد حَفِظَ بعض الشيء الزخرف الذي عمله «أوندباوندد».

والتابوت المصنوع من الجرانيت كان يحتوي على تابوت آخر من الخشب المذهَّب ومجهَّز بِلِحْية مجدولة وبعلامة «دد»، وكذلك بعلامة «تيت»، وقد وُضع على غطاء التابوت ثلاث صحاف، وكأس من الذهب والفضة، وآخر من الذهب والسام، وخنجر من الحديد له مقبض من البرنز، وعِصِي مجهزة بحلقات ورمانات ومقابض من الذهب، وكذلك سهام. وقد تلف الخشب تمامًا وأصبح لا وجود له، ولم يبقَ إلا المعدن، وقد لحظ أن التابوت الخشبي كان يحتوي على تابوت من الفضة أصابه كذلك عطب كبير بسبب الرطوبة التي كانت تعم مقبرة «بسوسنس»، وقد نجا جزء كبير من غطائه المزخرف، ووضع له بدلًا من

اللحية المجدولة لحية صغيرة قصيرة، وكانت علامة «دد» وعلامة «تيت» فيه مصنوعتين من البرنز المزخرف.

المومية

وكانت المومية قد حُلِّيَتْ بسخاء، ووضعت في التابوت المصنوع من الفضة، وقُنِّعَتْ بغطاء وَجْهٍ من الذهب ملتحم برداء من الخرز (انظر صورة رقم ٩)، وكانت أصابع اليد وأصابع القدمين لابسة أغطيتها المصنوعة من الذهب. ووجد مع المومية كذلك سواران وخمسة خواتم في أماكنها الخاصة لها، أما الصدريات وتماثيل الآلهة الصغيرة الحجم والتعاويذ فكان من المستحيل تقريبًا أن نعرف ما إذا كانت معلقة في رقبة المومية (انظر صورة رقم ١٠) أو وضعت فقط على الصدر؟ وكان لخمس من هذه الحلي سلاسل من الذهب حُفِظت لنا حفظًا تامًّا، وقد جُهزت صدريتان بسلسلة مزدوجة مؤلفة من الخرز المصنوع من الذهب ومن الحجر، ولكن خيوطهما قد اختفت وسقط الخرز في قعر التابوت. ويحتمل أن الأشياء الأخرى كانت منظومة في خيوط من الجلد والنسيج، غير أن هذه الخيوط قد تلفت ولم يبقَ لها أثر.

وقد أصبح قائد الفرعون هذا معروفًا لنا إلى حد كبير، وقد عرفنا قراءة اسمه على وجه التأكيد من الروايات التي كتب بها، فهو يسمى «أوندباوندد» ومعناه «توجد فائدة لمدينة «دد».» وكلمة «ددت» تعني — في هذا العهد — عاصمة المقاطعة الحادية عشرة من مقاطعات الوجه البحري، كما تعني عاصمة المقاطعة الخامسة عشرة، ويحتمل أن المقصود هنا بلدة «منديس» (تل الربع الحالية).

والواقع أن هذا القائد كان يعلن تعبده الخالص للكبش الذي كان يعد الحيوان المقدس لبلدة «منديس»، وقد كان يحمل له صورًا عدة. ومن أجمل التعاويذ التي كان يحملها من تعاويذ مجموعته صورة كبش مصنوعة من اللازورد مغطاة بغطاء من الذهب على قاعدة من نفس المعدن وموضوعة في حُق من الذهب ومزينة بصورتين لهذا الحيوان المقدس، ونقش كذلك على أحد أسورته صلاة للكبش ذي الوجوه الأربعة، وإلى الكبش (سر) سيد اللهب ضد أعدائه، والذي يحرق باللهب الخارج من فمه. ولا نزاع في أن مؤسس الأسرة «نسبانبدد» كان من أصل «منديسي»، ولا بد أن مواطنيه قد أفادوا من اعتلائه عرش البلاد.

وكان مَثَلُ «أوندباوندد» كمَثَلِ كل الشخصيات العظيمة التي تحمل ألقابًا مدنية وحربية ودينية، فكان يلقب «الأمير الوراثي»، أما لقب «الوحيد العظيم مدير الثناء» الذي كان يلقب به بهذه الصورة دائمًا فلا بد أن يُنظر إليه من جهة معناه العام. وقد نال — بالعطف الملكي كما يقول هو — كأسين وعصا حَفِظَها لتوضع معه في قبره، ولقد كان بذلك منعَمًا عليه قبل أن يكون مكلَّفًا بتنظيم احتفال الإنعامات على الآخرين.

أما لقب الكاهن (خادم الإله) فكان في العادة يطلق على الكاهن الإله، وعندما يذكر هذا اللقب دون أن يُتبع بوصف له فإنه يعني أن «خادم الإله» كان يؤلف جزءًا من أية جماعة كهانة. والظاهر أن «أوندباوندد» لم يكن غريبًا عن عبادة كبش «منديس» غير أن ذلك لم يذكر صراحة، ولكنه يقول ويكرر قوله: إنه كان المدير العظيم لبيت «خنسو في طيبة»، «السعيد والمنشرح».

وكان يحمل خلافًا لذلك لقبًا ذا أهمية عظيمة جدًّا وهو «رئيس كهنة كل الآلهة»، وهذا اللقب كان يحمله في عهد الأسرة الثامنة عشرة رئيس كهنة الإله «آمون»، ثم انتقل إلى كهنة الإله «ست» العظام، ثم عاد ثانية في عهد الأسرة الثانية والعشرين لكهنة «آمون»، ولكن لمدة قصيرة، ومن المهم أن نلحظ أن «بسوسنس» الفرعون كان في الوقت نفسه يحمل لقب الكاهن الأول «لآمون»، وكانت أمه «موت نزم» كاهنة «آمون» الثانية، وخادمة الإله، والراهبة الأولى للإلهة «موت» العظيمة سيدة «أشرو» كل ذلك في وقت واحد.

وكان «عنخف نموت» جار «أوندباوندد» كذلك كاهنًا، وكان مديرًا لبيت الإلهة «موت»، وهكذا كان المحتلون لقبر «بسوسنس» يتقاسمون فيما بينهم أعضاء ثالوث «طيبة»، وقد ظنوا أن في إمكانهم أن يرتكنوا على حمايتهم طوال الأبدية.

ونحن لا نعرف أبًا ولا أمًّا «لأوندباوندد»، وكانت إحدى أسورته مِلكًا لسيدة تدعى «تاروديت» ابنة السيدة «حورورو»، غير أننا نجهل مقدار قرابته لهاتين السيدتين، وإذا كان هو من جهة أخرى ابن ملك، فإنه كان لا يفوته ذكر هذا النسب العريق على الآثار التي تركها لنا، ويحتمل أن جاره في الضريح هو نفس الابن الرابع للكاهن الأول «بيعنخي» في عهد «بسوسنس»، وكان يسمى كذلك «عنخف نموت» ويحمل نفس الألقاب تقريبًا؛ كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وتدل شواهد الأحوال على أن «بسوسنس» لم يذكر لنا سكانًا آخرين لقبره غير والدته في بادئ الأمر، ولكنه بعد ذلك أعاد النظر وأقام ضريحين لرجلين من عظماء رجال جيشه، وقد كانا في الوقت نفسه من كبار رجال الكهانة، وقد ظن أنه بهذا العمل سيكون

مضاعف الحماية بجوارهما هو وزوجه الملكة. وعلى الرغم من أنه ليس لدينا أية معلومات عن والدَيْ «أوندباوندد»، فإن دلائل الأحوال تُشْعِرُ بأنه كان من بيت حسب؛ إذ نجد عددًا لا بأس به من الأشياء التي كانت معه في قبره من عصره، كما وُجدت أخرى قديمة وهي:

(١) جعْل كبير من الحجر الأخضر منقوش بالذهب ومحلًّى بسلسلة من الذهب يرجع عهدها إلى «رعمسيس الثاني».

(٢) تمثال للإلهة «باستيت» (القطة) من البلور الصخري والذهب، وقد نقش عليه اسم الإلهة على الظهر ثم اسم «وسر ماعت رع» على القاعدة.

(٣) خاتم محلًّى بزهرة مستطيلة.

(٤) خاتم محلًّى بزهرة من الكرنلين (حجر الدم) وقد نقش عليه: إنه آخذ مدينة — يقول الأعداء — لأن جنود رع تحرس رأس «رعمسيس وبسوسنس» والاسم الأخير قد كتب بحروف صغيرة جدًّا.

(٥) ودَلَّاية (عقد) من الكرنلين نُقش عليها تَمَنٍّ لأوزير الكاهن الأكبر لآمون «بارع ننفر»، وقد أضيف إلى ذلك سطر صغير: لراحة المدير العظيم لبيت «خنسو» «أوندباوندد» صادق القول (أي المرحوم).

والواقع أنه قد لوحظ في الكشوف التي قامت في «تانيس» حديثًا من عهد الأسرتين؛ الحادية والعشرين، والثانية والعشرين أن الملوك كانوا يحملون معهم أشياء تذكارية من التي كانوا يقتنونها في الحياة الدنيا، وكذلك من آثار غيرهم ممن سبقوهم من الملوك أجدادهم، وكذلك كان الأفراد يتبعون مثلهم كما سنرى بعد؛ ولذلك لا يبعد أن يكون أجداد «أوندباوندد» قد خدموا تحت إدارة الملوك السالفين، ونالوا منهم إنعامات ومكافآت قد بقيت في الأسرة من جيل إلى جيل (راجع A. S. XL VII p. 249ff).

(٢-٢) عنخفنآمون: كاهن بيت آمون في «خابو»، ورئيس تشريفات الفرعون

ليس لدينا معلومات عن هذا العظيم إلا لوحة تمثال عثر عليه في مكان بالقرب من «تانيس»، وعلى مسافة قليلة من «كفر صقر»، وقد باعه عبد الرحمن صادق أفندي للمتحف المصري (رقم ٨٦١٢٥)، ونشره الأستاذ لبيب حبشي (راجع A. S. XL VII p. 261ff).

وهذا التمثال غريب بعض الشيء في صورته؛ فهو يمثل المتوفى في صورة «أوزير» واقفًا على قاعدة ومستندًا على قطعة حجر في هيئة لوحة، ويلاحظ أن التمثال نصفه غائر في اللوحة المستند عليها. وقد كان هذا تجديدًا في صناعة التماثيل مأخوذًا على ما يظهر من تأثير الفن الآسيوي (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

ويبلغ ارتفاع التمثال حوالي ١٥٥ سنتيمترًا، وعرضه ٢٧ سنتيمترًا، وقد مُثِّل المتوفى في صورة «أوزير» العادية مع بعض فروق بسيطة.

واللوحة التي يستند عليها التمثال قد نُقش عليها أربعة أسطر عمودية؛ كل اثنين منها على أحد جانبي التمثال، وهذه تستمر على قمة القاعدة ومقدمتها. وكذلك نقش سطران أفقيان على مقدمة القاعدة بين نهاية أربعة الأسطر الأفقية، وهاك ما جاء في هذه النصوص على يمين التمثال: «قربان يقدمه الفرعون إلى «أوزير» رئيس الغرب، سيد العرابة، الإله العظيم، حاكم الأبدية؛ لِيُهَبْ كل ما يخرج على موائده من قرب، وبخور، ونبيذ، ولبن، وقربان، ومؤن مما يعيش منه الآلهة لأوزير كاهن «وعب» «آمون رع» ملك الآلهة، والكاهن والد الإلهة «لموت» العظيمة سيدة «أشرو»، والكاهن والد الإله «خنسو»، وكاتب معبد «خنسو» والعظيم جدًّا، وبكر «آمون رع» ملك الآلهة، والمشرف على تشريفاتي الفرعون العائش والسعيد والمعافى «نسنآمون» المنتصر أمام كل آلهة «طيبة» وقد بلغ طول حياته (أي عنخفنأمون) على الأرض اثنين وسبعين عامًا وخمسة أشهر وأربعة عشر يومًا عندما وُضع في قاعة التطهير (التحنيط) تحت إشراف «أنوبيس»، وقد عُمِلَ له كل ما ينبغي أن يُعمل لشخص متوفى عظيم ممتاز، وقد أتم اثنين وسبعين يومًا في بيت التحنيط، ولما صار مرتاحًا بحالة التبجيل جُر (بزحَّافة) إلى بيت الأبدية ليثوى هناك أبديًّا.»

ونقش على الجانب الآخر من التمثال ما يأتي:

> قربان يقدمه الملك «لأوزير» رب «بوصير» الذي يبعث بصحة جيدة، والمقدم في مقاطعة «طينه» والإله العظيم حاكم الجبانة: لِيُهَبْ ألف رغيف، وألف إبريق جعة، وألف ماشية، وألف طائر، وألفًا من كل شيء طيب طاهر، وألفًا من كل شيء حلو، وكل القربان والخضر التي تعيش منها الآلهة إلى «أوزير» مغنية «آمون رع» ملك الآلهة، والمغنية الأولى لخنسو في «طيبة» «نفرحتب»، ومغنية جوقة «موت» العظيمة سيدة «أشرو»، والمرضع الملكية «أرموت بانفر»، والمتوفاة بنت رئيس «تشريفاتية» الفرعون «عنخفنأمون» المتوفى، وزوجة

الكاهن والد الإله «لخنسو»، والمراقب على المحراب (قنت) للملك «بسوسنس» محبوب «آمون» الإله العظيم «سيا» المتوفى. ومدة حياتها (أي حياة «أرموت بانفر») على الأرض كانت ثلاثًا وأربعين سنة وتسعة أشهر وستة وعشرين يومًا، وقد عُمل لها كل ما يُعمل لكل شخص متوفًّى منعَّم ممتاز، وقد وضعت في قاعة التطهير تحت مراقبة «أنوبيس»، وقد أتمت سبعين يومًا في بيت التحنيط وهي مطمئنة آمنة سعيدة بالحالة المبجلة (التي يكون عليها المتوفى).

وعلى واجهة قاعدة التمثال نُقِشَ ما يأتي:

قربان يقدمه الملك لأوزير «وننفر» الإله العظيم حاكم الأحياء ملك الأبدية ورب الخلود الذي يمضي الأبدية بمثابة حياته، وإنه يظهر و«إزيس» على يمينه، و«نفتيس» على يساره.

تعليق: على الرغم من أن متن هذا التمثال كان الغرض منه إظهار مناقب صاحبه — كما جرت العادة — إلا أنه يكشف لنا عن بعض نقط هامة من حيث الحياة الأسرية والعادات الجنازية التي كانت تَجري في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وكذلك مكان الآلهة الذين كانوا يُعبدون في ذلك العهد في «تانيس» و«طيبة».

ولا نزاع في أن «آمون» ملك الآلهة كان في هذا الوقت هو وأفراد أسرته لهم المكانة الأولى في عبادة القوم، وبخاصة عندما نعلم أنه في معظم الأحيان كان ملوك «تانيس» وكهنة «آمون» العظام على ود وصفاء ومصاهرة في معظم عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ويلاحظ في خلال هذه الأسرة أن اسم «آمون» وأسرته كان يُرَكَّبُ تركيبًا مَزْجِيًّا في أسماء الأفراد، ولم يُجارِهِ في ذلك إلا اسم كبش «مندس» «بانب دد»؛ وذلك لأنه كان معبودًا شائع العبادة في جهة «تانيس».

وسنبتدئ الآن بفحص ألقاب هذا العظيم وأفراد أسرته:

ألقاب «عنخفنأمون» (= حياته ملك آمون)

(١) كاهن (وعب) آمون ملك الآلهة.

(٢) الكاهن والد الإله للإلهة «موت» العظيمة سيدة «أشرو».

(٣) الكاهن والد الإله (لخنسو) وكاتب معبد «خنسو» والبكر العظيم ابن «آمون رع» ملك الآلهة.

(٤) رئيس «تشريفاتية» الفرعون، له الحياة والفلاح والصحة.
(٥) كاهن بيت «آمون» في «خابو».

ومن هذه الألقاب نلحظ علاقة «عنخفنأمون» بثالوث «طيبة». أما اللقب الثالث فليس له علاقة بالأمور الدينية بل كان لقبًا حكوميًّا؛ مما يدل على أن الكهنة كانوا يجمعون بين الألقاب الدينية والألقاب الدنيوية وبخاصة كهنة الإله «آمون» كما نوَّهنا عن ذلك في مواضع كثيرة في الأجزاء السالفة، وقد قال البعض عن هذا اللقب: إنه كان يعطاه الكاهن الذي يقوم بالإشراف على معبد الملك الجنازي، غير أن الأستاذ «جاردنر» ترجمه أخيرًا بأن حامله كان رئيس التشريفات في القصر الملكي، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.
واللقب الأخير يشير إلى أن «عنخفنأمون» كان خادم الإله (أي الكاهن) لبيت «آمون» في «خابو»، وهو اسم مكان لم يرد من قبل في النقوش المكشوفة حتى الآن.

ألقاب والده «نسنأمون»: (معنى الاسم: من يملكه آمون)

(١) رئيس تشريفاتي الفرعون له الحياة والفلاح والصحة. وقد ورث هذا اللقب ابنه «عنخفنأمون» صاحب التمثال عن والده، وتلك كانت عادة شائعة عند المصريين في وراثة الألقاب والوظائف الدينية بنوع خاص.
(٢) المنتصر أمام كل آلهة طيبة. ومن المدهش أننا لا نجده يحمل هنا ألقابًا تظهر لنا علاقته بآلهة ثالوث طيبة، وعلى أية حال فإن اللقب الذي أبرزه لنا يعد من أعظم الألقاب في الدولة.

ألقاب «أرموت بانفر» بنت «عنخفنأمون»: (معنى الاسم: الإلهة «موت» توجد السعادة)

(١) مغنية «آمون رع» ملك الآلهة.
(٢) المغنية الأولى «لخنسو» في طيبة «نفرحتب».
(٣) مغنية الجوقة للإلهة «موت» العظيمة سيدة «أشرو».
(٤) المرضع الملكية.

ونفهم من الألقاب الثلاثة الأولى أن «أرموت بانفر» كانت تشغل وظائف كهانة هامة لها علاقة بثالوث «طيبة»، وهذا ما يلاحَظ في مقابر عظماء القوم في تلك الفترة؛ إذ نجد أن لمعظم نساء الأسرة وظائف دينية، يضاف إلى هذا أن المرأة قد أخذت تلعب دورًا هامًّا حتى في سياسة البلاد، كما ألمحنا إلى ذلك من قبل عند التحدث عن نساء الكهنة العظام لآمون.

أما لقب مرضع فرعون فكان من أعظم الألقاب وأهمها في خلال الأسرة الثامنة عشرة؛ إذ كان لمرضعات الفراعنة مكانة ممتازة في نفوس الفراعنة، وكان أولادهن يعينون في أكبر مناصب الدولة، كما كانت بناتهن يتزوجن من الفراعنة (راجع مصر القديمة الجزء الخامس)؛ ولذلك فإنه لا يبعد أن ابنة «عنخفنأمون» الذي شغل مكانة ممتازة، كانت تحمل هذا اللقب بحق، أو كان لقبَ شرفٍ وحسب.

أما زوج «أرموت بانفر» المسمى «سيا» (الصقر المقدس) فكان يحمل الألقاب التالية:

(١) الكاهن والد الإله للإله «آمون».
(٢) الكاتب الملكي.
(٣) المشرف على مخازن غلال الفرعون.
(٤) الكاهن والد الإله للإله «خنسو».
(٥) المراقب على محراب «قنت» للملك «بسوسنس» محبوب آمون الإله العظيم.

وتدل ألقاب هذا الموظف على أنه كان صاحب مكانة عظيمة في الدولة، وبخاصة أنه كان يحمل لقب المشرف على مخازن غلال الدولة، وهي تعد أكبر وظيفة في البلاد بعد الوزارة، وكذلك نجد أن الفرعون قد خصه بمراقبة شئون محرابه الجنازي، فكان لذلك من المقربين لدى الفرعون مثل صهره «عنخفنأمون».

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المحراب الجنازي لم يكن بعيدًا عن عاصمة الملك، وبخاصة أننا لم نجد لهذا الفرعون ولا لغيره من الملوك الذين دُفنوا معه محاريب جنازية بجوار مقابرهم، وإن كانوا قد دفنوا في داخل أسوار المعبد الكبير، وعلى ذلك نستنبط أن «خابو» هذه التي كان فيها معبد «بسوسنس» الجنازي لا بد أنها كانت قريبة جدًّا من مكان دفن الفرعون، كما يقول الأستاذ «لبيب حبشي» في مقاله الممتع عن «عنخفنأمون».

ولا نزاع في أن هذا التمثال قد عُمل في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ومن المحتمل أنه عمل في عهد الفرعون «بسوسنس الأول».

ومن أهم النقط التي أشار إليها متن تمثال «عنخفنآمون» عدد الأيام التي كان يتم في خلالها تحنيط المومية في بيت التحنيط؛ فقد جاء على هذا التمثال أن مومية هذا العظيم قد أنجز تحنيطها في اثنين وسبعين يومًا، على حين أن تحنيط ابنته لم يستمر أكثر من سبعين يومًا. والعدد الأخير يذكرنا بما ذكره «هيرودوت» عن طرق التحنيط الثلاث التي كان يجريها المصريون في أجسامهم بعد الموت، وأن أحسن طريقة كان يلزم لإنجازها سبعون يومًا (راجع A. S. XL VII. p. 273). ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن كثيرًا من المتون المصرية الخاصة بالعصر الذي نحن بصدده قد تحدثت عن تجهيز الجسم للدفن، فمثلًا نجد على لوحة عظيم يدعى «تحوتي» (قبر رقم ١١٠ في طيبة الغربية) أنه قد خوطب بالعبارة التالية: «إن دفنًا جميلًا سيحدث لك في سلام، والأيام السبعون الخاصة بك قد أنجزت في مكان تحنيطك.» وقد جاء نفس هذا المتن في مقبرة «انتف» (المقبرة رقم ١٦٤ بطيبة الغربية)[٨] وهذان القبران من عهد الأسرة الثامنة عشرة، غير أن هذين المثلين وغيرهما لا يعنيان أن عدد الأيام هذا كان محددًا،[٩] بل كان قابلًا للزيادة والنقصان، فمثلًا نجد في حالة أن الكاهن الأكبر لمنف المسمى «بشر دنبتاح» قد مكث في الجبانة مائتي يوم قبل الدفن، وفي حالة أخرى نجد أن الملكة «مريس عنخ الثالثة» إحدى حفيدات «سنفرو» قد دفنت بعد مضي ٢٧٢ يومًا من موتها،[١٠] ولكن في حالات أخرى نجد أن عدد الأيام لا يعدو الأيام السبعين بكثير؛ فمثلًا على لوحة «بولوني رقم ١٠٤٢» نجد أن المتوفى قد دُفِنَ بعد ثمانين يومًا.[١١]

وفي ورقة بالمتحف البريطاني خطاب هام من محنط يقول فيه لعميله: إنه سيحنط جسم ابنه في مدة اثنين وسبعين يومًا (وهي المدة التي كانت لازمة لتحنيط جسم «عنخفنأمون» على شرط أن يمده بالنطرون والمواد الأخرى) (راجع A. Z. 54, p. 111–4). ولكن في أحوال أخرى نجد أن عدد هذه الأيام كان أقل بكثير، فمثلًا نجد على لوحة من العهد الصاوي لكاهن يدعى «بسمتيك» بن «أعح وين» قد أمضى اثنين وثلاثين يومًا تحت يد «أنوبيس» رئيس الجبانة (و«أنوبيس» هو إله التحنيط).[١٢] ومن ذلك نعلم أن

[٨] راجع Gardiner. The Tomb of Amenmhat. p. 56.

[٩] راجع Labib Habashi. A. S. XLVII. p. 279.

[١٠] راجع Ibid. p. 279; Reisner Bull. Mus, Boston (1927) p. 64ff.

[١١] راجع Piehl, Iuse, ljierog I, p. 48.

[١٢] راجع Piehl Ibid III, I’J, XXVIII.

مدة التحنيط كانت تختلف على حسب الأحوال، ولكن يظهر أن مدة الأيام السبعين كانت متوسط المعتاد عند علية القوم.

(٣) آثار «بسوسنس» الأخرى

(١) وجد لقب هذا الملك على قطعة حجر مؤرخة بالسنة الثانية، الشهر الأول من فصل الشتاء، في اليوم الثاني والعشرين. وقد عثر عليها في ردهة الأسرة الثانية عشرة بمعبد الكرنك.[١٣]

وقد جاء في نفس النقش السالف بعد أسطر قليلة من التاريخ الأول تاريخ آخر بالسنة السابعة عشرة من حكم الفرعون «سيآمون»، وعلى ذلك يقول «جوتييه» (L. R. III. p. 289 note 5): إن ملكنا أي: «بسوسنس» جاء قبل «سيآمون» هذا، وهو الذي أمر بهذا النقش، غير أن «لجران» قد اتبع الترتيب غير المقنع كثيرًا الذي اختاره «دارسي» وهو الذي صححه «بتري» مع ذلك، وسمي ملكنا «بسوسنس الثاني».

(٢) وعثر له على قطعة من لوحة في الجيزة مُثِّل عليها كاهن راكع أمام اسم هذا الملك. وهذا الأثر محفوظ بمتحف القاهرة، ويلاحظ فيه أن طغراء لقب هذا الفرعون قد نُقش فيه «ستبن آمون» بدلًا من «ستبن رع»؛ أي المختار من «آمون» بدلًا من المختار من «رع» كما جرت العادة. وهذه القطعة مأخوذة من معبد بني علي تل بالقرب من شرقي هرم من أهرام أسرة «خوفو»، ويلقب الكاهن الراكع على هذه اللوحة والد الإله للإلهة «إزيس». وقد رأى «بتري» قطعة أخرى باسم هذا الملك غير أنها هُشِّمَتْ بعد رؤيتها[١٤] (راجع The Sphinx and its history in the light of Recent Excavations p. 217).

(٣) وفي «تانيس» وُجدت بعض تماثيل «بولهول» منقوش عليها اسم هذا الفرعون غير أنها مغتصَبَة من ملوك سابقين (راجع L. R. III p. 290 note 1).

---

[١٣] راجع Roe, TRav, XXII, p. 53; Ibid XXX. p. 87–88.

[١٤] راجع Petrie, Pyranids of Giza 2nd p. 65.

(٤) ووجد في السور العظيم الذي أقامه هذا الفرعون في «تانيس» لبنات عليها طغراؤه، وكذلك لوحات من الخزف المطلي من «تانيس» وهي مبعثرة الآن بين متحفي: «القاهرة» و«المتحف البريطاني».[١٥] وقد صور واحدة منها «بتري» في كتابه «تاريخ مصر».[١٦]

(٥) وفي «تانيس» ببحيرة المنزلة وُجدت قاعدة تمثال له من الجرانيت راكعًا، وهي محفوظة «بالمتحف المصري».[١٧]

---

١٥ راجع Petrie Tanis I. p. 17–18.

١٦ راجع Petrie, History of Egypt III p. 222 Fig 89.

١٧ راجع Journal D'Entree. N. 41644.

الفرعون «أمنمأبت»




أمنمأبت مري آمون   وسر ماعت رع ستبن آمون

تدل الآثار الباقية — كما يدل فحص مومية هذا الفرعون — على أنه بلغ من العمر أمدًا بعيدًا؛ فقد جاء اسمه على إحدى لفائف موميات كهنة «آمون».[١]

وقد عثر له على خاتم من الفخار كتب عليه: «الكاهن الأكبر لآمون ملك الآلهة «أمنمأبت» محبوب «آمون».» ويلاحظ هنا أن التاريخ قد هشم، وهذا هو الأثر الوحيد الذي عثر عليه في الآثار يذكر «أمنمأبت» فرعون المستقبل بوصفه مجرد كاهن أكبر لآمون.

(١) الكشف عن مقبرة «أمنمأبت»

تقع مقبرة الفرعون «أمنمأبت» في الشمال الغربي من مقبرة «بسوسنس» (انظر صورة رقم ١١)، وهي في الأصل حجرة صغيرة مقامة من الحجر الجيري مغطاة بقطع من نفس الحجر، ولم يكن فيها أية زينة، وقد وُجد هذا القبر منهوبًا؛ إذ دخله اللصوص — على ما يظهر — من السقف الذي وُجد أن حجرين من أحجاره قد زُحْزِحَا، وفي الداخل وُجد تابوت جميل من الحجر الرملي الدقيق يغطيه قطعة من حجر الجرانيت مأخوذة

---

[١] راجع Daressy. Rev. Archeal T. I. p. 78.

من جبانة يرجع عهدها للدولة القديمة، يدل على ذلك أنها كانت محلاة بصورة الإله «أنوبيس» وبإشارات هيروغليفية من صنع هذا العصر، ونُقش على التابوت أدعية للملك «أمنمأبت»، وفي داخل هذا التابوت وُجدت بقايا عظام القدمين، وخمسة ألواح كانت قد استُعملت لتثبيت تابوت من الخشب، ووجد في المسافات الخالية بين ألواح الحجر نحو ثلاثين تمثالًا جنازيًّا، وهذه كانت تؤلف جزءًا من مجموعة؛ وُضِعَ الجزء الأكبر منها في القائمة الأمامية من مقبرة الفرعون «بسوسنس». وكل هذه التماثيل صغيرة قبيحة المنظر، وقد بقي على أفخاذها أثر كتابة بالحبر الأسود يدل على اسم هذا الملك: «أوزير» الملك «أمنمأبت» محبوب «آمون».

ويمكن — على حسب هذه التحقيقات — القول بأن الملك «أمنمأبت» كان يثوي في هذا القبر الصغير، ولكن نُقل — فيما بعدُ — تابوتُه الخشبي المُذَهَّب ومحتوياته وسائر أثاثه الجنازي إلى مقبرة الملكة «موت نزم»، عَدَا بعض تماثيل مجيبة قد انزلقت بين قطع الأحجار. وقد احتل هذا القبرَ ساكنٌ آخر لا نعرف عنه أي شيء؛ وذلك لأن اللصوص بعد أن خربوا القبر تركوا السقف مفتوحًا، ولم يبقَ شيء من التابوت الخشبي والعظام في القبر؛ إذ تَلِفَتْ بفعل مياه الرشح.

(٢) مدفن «أمنمأبت» الجديد

سبق أن ذكرنا أن تابوت الملك «أمنمأبت» وأثاثه الجنازي قد نُقِل إلى مقبرة الملكة «موت نزم»، وأن الباحثين قد عثروا على مدخلها، وقد فُتح بابها في السادس عشر من أبريل سنة ١٩٤٠، ووُجد أن الضريح كان مؤثَّثًا تقريبًا مثل أثاث مقبرة الفرعون «بسوسنس» (راجع Tanis. p. 127 Fig. 36)؛ ففي نهاية الحجرة يشاهَد تابوت من الجرانيت، وفي النصف الأول من الحجرة وُضعت أواني الأحشاء، والأواني المصنوعة من المعدن، وإناء كبير مختوم، وتماثيل جنازية، وصندوق واسع من الخشب المذهَّب كان قد تداعى بفعل الزمن والرطوبة. وبعد أن وُضعت هذه الأشياء في مكان أمين وُضِع مكانها غطاء التابوت. ويدل ما وجد في القبر على أن هذا الفرعون كان أقل ثراءً من «بسوسنس»؛ فقد قنع بتابوت واحد من الحجر، وتابوت في صورة آدمي من الخشب المَوَشَّى بالذهب، وقد تحول الخشب تقريبًا إلى رماد وبقيت ألواح الذهب. ولسنا في حاجة إلى القول بأن المومية قد تأثرت تأثرًا عظيمًا حتى أصبحت في حالة سيئة، وكانت الحلي التي عليها أقل عددًا بكثير من حلي «بسوسنس»، ومع ذلك كانت تؤلف مجموعة جميلة نسبيًّا؛ فقد غطَّى الوجهَ قناعٌ

من الذهب، كما وُجد مع المومية قلادتان، وصدريتان، وجعرانان، وقلوب من اللازورد والخلدكون، وأساور، وخواتم، وصقر كبير من الذهب ذو جناحين منتشرين، وعِصِيٌّ.

وكان تابوت الخشب المذهَّب وأواني الأحشاء والتماثيل المجيبة، وكل أدوات الزينة منقوشة باسم «أمنمأبت»، ومع ذلك فإن هذا الملك لم يكن — كما قلنا من قبل — أول من ثوى في هذا الضريح. وقد وجدنا قطعة من حجر مزينة بنقوش كانت تُخفي خلفها مدخل مقبرة «أمنمأبت»، وهذه النقوش كانت باسم الملك «بسوسنس».

(٣) شرح ما وُجد في قبر هذا الملك

تابوت «أمنمأبت»

لم يوجد أي أثر في تابوت هذا الفرعون يدل على أنه اغتُصب من مَلِكٍ آخر، ولكن دل البحث على أنه — على الرغم من كونه عملًا أصليًّا — قد نُحت في قطعة حجر من تمثال ضخم من الحجر الرملي، ولا تزال قدم هذا التمثال ظاهرة حتى الآن. أما غطاء هذا التابوت فهو من الجرانيت الوردي، وقد أُخذ من تابوت يرجع عهده إلى الدولة القديمة التي لا يمكن تقليد فنها كما ذكرنا من قبل، وقد كان الغطاء أكبر بقليل من التابوت فعُدِّل ليتفق معه تمامًا. وهكذا نرى أن ملوك «تانيس» لما أعوزتهم الموارد لتثمير المحاجر التي كان يعمل فيها آلاف من العمال في عهد «رعمسيس الثاني»، فضَّلُوا أن يَسْلبوا جبانة أجدادهم أحجارَها ويستعملوها في مقابرهم بمصاريف قليلة.

وقد لُحِظَ أن الخشب الذي كان في التابوت الجرانيتي لم يتلف كله، وقد أمكن نزع قطعة كانت عليها إشارات عدة، غير أنها كانت في آخر رمق من المقاومة، وتحولت إلى رماد بمجرد رفعها.

وعلى أية حال، فإن الغطاء الذهبي الذي كان عليها كان سميكًا لم يشوَّه، وبقي حافظًا — بعض الشيء — لهيئته (انظر صورة رقم ١١). وهذا الغطاء — عند تصليحه — ظهر بمظهر جميل (انظر صورة رقم ١٢). وفي التابوت المصنوع من الحجر الرملي لهذا الفرعون لم يمكن معرفة وجود تابوت من الخشب إلا بوجود ثمانية ألواح من البُرْنز مجهزة بمسمارين. ويلاحظ أن الفرعون «أمنمأبت» لم يعمل قرابًا لموميته كما فعل «بسوسنس»، بل اكتفى بعمل قناع من الذهب يغطي من الرأس حتى الصدر، وقد أصاب هذا القناعَ بعضُ العطب؛ إذ التوى وتجعَّد بسبب التلف الذي حدث في التابوت

الخشبي ببطء، هذا إلى نقل التابوت من مكان إلى مكان، وقد كان ذلك كله سببًا في أنه جعل القناع يظهر بمظهر قبيح، غير أن مُفْتَنِّي «المتحف المصري» أعادوا له بهاءه الأصلي (انظر صورة رقم ١٣).

حُلِيُّ المومية

لم يوجد مع «أمنمأبت» إلا قلادتان؛ واحدة منهما نُظِمَتْ في ثلاثة صفوف وبدون «علاقة»، والثانية تشمل أحد عشر صفًّا من الخرز الأسطواني الشكل بحوافَّ مسنَّنةٍ من الذهب الصلب ومن الذهب المرصع باللازورد، وهذه الخرزات مركبة بعضها في بعض، وكذلك رُسم على المشبك رسمٌ خلَّاب، وقد عُلِّق بهذا المشبك خمس حلقات من نفس صناعة الصفوف وفيها خمس عشرة زهرة من البشنين.

الصدريات

وُجد على مومية «أمنمأبت» صدريتان؛ إحداهما صلبة، والأخرى مُفرغَة. والأولى تشبه صدريات «بسوسنس»، والثانية مزينة بنقش غائر يمثل من الداخل الملك مادًّا يده بالمبخرة للإله «أوزير»، ويشاهَد نفسُ المنظر منقوشًا من الخارج.

الجعارين

صُقِلَتِ الجعارين التي وجدت مع «أمنمأبت» بدقة بالغة، وقد نقشت أيضًا وأحيطت بإطار بسيط أبيض الشكل من الذهب، وليس لها سلاسل ولا أجنحة، ولم تنقش عليها طغراءات.

حلي أخرى

وقد وجدت لهذا الفرعون في تابوته حلي أخرى تُحَلِّي جِيدَه؛ فقد وُجِدَ على صدره صقر فاخر ناشر جناحيه، مصنوع من الذهب والأحجار المنظمة، ومجهز بحلقتين نُظِمَتَا في خيط في طرفي الجناحين، وكذلك جُهِّز في الطرف الآخر بلوحين صغيرين يغطي بعضهما ذيل الصقر، وقد نُقش المتن التالي على اللوح الذي على اليمين: «وسر ماعت رع ستبن آمون» (= لقب «أمنمأبت») محبوب «أوزير» صاحب «رستاو».

وعلى اللوح الذي على اليسار نقرأ: «أمنمأبت» محبوب «أوزير» سيد «العرابة».
وكذلك وُجدت رءوس ثعابين مع «أمنمأبت» ويتألف منها قلائد.
ووُجد له تمثال صقر في هيئة «حور» كُتب عليه اسمه بوصفه ملكًا، وبوصفه الكاهن الأكبر لآمون.

الأسورة

وُجد للملك «أمنمأبت» سواران مؤلفان من قطعتين مفرغتين كانتا تُحَلِّيان ذراعيه، وقد نُقش عليهما طغراءا الملك «بسوسنس» وهما متساويان في الحجم، وقد حُلِّيَتَا بجعرانين مجنَّحَيْن من الذهب واللازورد، ويكتنف كلًّا منهما طغراءان. وهذه الزينة قد أُحكمت مع ما فوقها وما تحتها بدائرتين صلبتين زرقاوين وذهب.

التماثيل الجنازية

وُجد مع «أمنمأبت» مجموعتان من التماثيل المجيبة.
فالمجموعة التي استُخرجت من ضريح هذا الفرعون لا تخرج عن حد المألوف من هذه التماثيل، أما المجموعة الثانية فقد قسمت بين المقبرة الرابعة التي استُخرج منها التابوت الخالي باسم «أمنمأبت»، والحجرة الأولى من مقبرة «بسوسنس».
ويبلغ ارتفاع الواحد من هذه التماثيل تسعة سنتيمترات، ويمثل رجلًا مسنًّا قد قَوَّسَ الدهر قَنَاتَهُ بعض الشيء، والرأس مُنْحَنٍ، وقد كُتب اسم الفرعون على كثير منها.

الأسلحة والصولجانات

لم يُعثَر في مقابر الملوك التي كُشفت حديثًا على أسلحة إلا في مقبرة «أمنمأبت» و«بسوسنس»، وقد تكلمنا عن الأخير [راجع فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس الفرعون «بسوسنس» (باسب خعنوت)]، أما في قبر «أمنمأبت» فقد وُجدت فيه مجموعة من الحراب أصغر من التي وجدت في مقبرة «بسوسنس»، وكذلك وجد فيه أغشية من الذهب كانت على عصي وصولجانات.

أواني الشعائر

لم يوجد بين الأثاث الشعائري للفرعون «أمنمأبت» موقد كالذي في مقبرة «بسوسنس»، ولكن وجدت حوامل عليها «طشوت» يبلغ عددها ثلاثة، هذا إلى أوانٍ لإغلاء المشروبات الساخنة؛ بعضها من الفضة، وبعضها الآخر من البرنز، ولا يوجد من بينها ما صُنع من الذهب إلا إبريق واحد.

وتفسر لنا الصورة التي على مدخل ضريح «أمنمأبت» (راجع Tanis, Fig. 31) استعمال هذه الأواني، فنشاهد الفرعون وقد أخذ في يده اليمنى إبريقًا يَصب منه سائلًا في الطشت الذي على الحامل الموضوع على قاعدة مستطيلة تشبه المَوْقِد، وعندما يوقد تصل الحرارة بوساطة الحامل إلى الطشت، وعندما يقع السائل على المعدن المتوقد يتبخر منه في الحال عبيره الذي كان أذكى رائحة بكثير مما لو كان نُشِرَ على أشياء بدرجة الحرارة المعتادة، وقد كان الفرعون يقوم بأداء هذه الشعيرة تبجيلًا «لأوزير» و«إيزيس»، كما كان يُتْبِعُ اسمَه على كل الأشياء التي ذكرناها هنا بعبارة: «محبوب «أوزير» أو محبوب «سكر» (صورة أخرى من «أوزير»). وعلى الرغم من أن هذه النقوش قصيرة؛ فإنها تثبت أن هذه الأشياء كانت قد وضعت في القبر لتسمح للفرعون أن يبرهن على صلاحه، وإخلاصه لآلهة العالم السفلي طوال مدة السرمدية.

مومية الملك «أمنمأبت»

كان الهيكل العظمي للملك «أمنمأبت» عند استخراجه من تابوته مهشَّمًا تمامًا بفعل الزمن والرطوبة على ما يظهر، ولم يبقَ سليمًا منه إلا عظامُ الفخذ، وعظم العَجُز، وعظم المنكب الأيمن، والترقوة، وعظم الزند، أما الجمجمة فكانت مهشمة قِطَعًا.

ومن هذه الأجزاء الباقية نفهم أن «أمنمأبت» كان رجلًا طويل القامة، متين البناء، وكان عند مماته قد بلغ من الكبر عِتيًّا، ولدينا من البراهين التي استُخْلِصَتْ من الفحص ما يدل على ذلك.[٢]

[٢] راجع Dr. Derry. A. S. XLL. p. 149.

(٤) آثاره الأخرى

وُجد اسمه على لفافة المومية رقم ١٣٤ لأحد كهنة «آمون» في خبيئة الدير البحري.[٣]

وقد كتب عليها: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين، أمنمأبت، محبوب آمون. لفافة عملها الكاهن الأكبر «بينوزم» بن «منخبررع» لربه «آمون» في السنة ...» ويلاحظ هنا أن التاريخ قد مُزِّقَ، وتدل شواهد الأحوال على أنه ينسب للملك «أمنمأبت»، وقد قرأ الأثري «دارسي» هذا التاريخ: «السنة ٢٢» (؟).[٤]

وقد لاحظنا من قبل أنه من الصعب الاعتراف بأن ابن «منخبررع» كان فعلًا الكاهن الأكبر لآمون في السنة الثانية والعشرين من عهد الملك «أمنمأبت»؛ ذلك لأننا نعرف من نقوش لفافة أخرى من لفافات كهنة «آمون» أن «منخبررع» كان لا يزال في عام ٤٨ من عهد ملك لم يُسَمَّ يقوم بعمله، وهذا الملك لا يمكن أن يكون إلا الملك «أمنمأبت»؛ فمن الجائز جدًّا أن هذا التاريخ المهشم الذي على لفافة المومية السابقة يكون العام الثالث والخمسين أو الثاني والخمسين، وبخاصة بعد أن برهن لنا الدكتور «دري» أن الفرعون «أمنمأبت» كان عند وفاته متقدمًا جدًّا في السن.

هذا وقد وُجدت لفافة أخرى مؤرخة بالسنة التاسعة والأربعين عليها اسم هذا الفرعون (Ibid).

الجيزة: وقد عُثر على نقوش في منطقة «الجيزة» في «معبد إزيس»، وهذا النقش محفوظ «بمتحف القاهرة»، حيث كُتب عليه اسمه ولقبه (L. R. III. p. 293). هذا إلى عقد باب من الحجر الجيري محفوظ الآن «بمتحف برلين» عُثر عليه كذلك في «معبد إزيس» وهو الذي أعاد بناءه أو أصلحه.[٥]

هذا، وقد وُجدت حمالة من الجلد في مجموعة «فيدمان» مكتوب عليها اسم هذا الفرعون (راجع L. R. III p. 293). وقد كُتب اسمه على حمالات أخرى ولفائف بردي مستخرَجة من موميات مختلفة (راجع Ibid p. 293).

---

[٣] راجع Daressy, A. S. VIII. p. 33 No. 124.

[٤] راجع Rec. Trav, XXX. p. 1, note 3.

[٥] راجع L. R. III p. 292 note 5. وللمؤلف The Sphinx & its history in the light of Recent Exoavations p. 219.

الفرعون سيآمون



نتر–خبر–رع ستبن آمون   سا آمون–مري آمون

لم تحدثنا الآثار بالشيء الكثير عن هذا الفرعون، وقد ذكره المؤرخون القدامى غير أنهم حرفوا اسمه؛ فذَكر «سنسل Syncelle» أن خامس ملوك الأسرة الواحدة والعشرين كان يسمى «سيتيس»، على حين أن القوائم الأخرى تذكره باسم «أوسوكور» على حسب ما جاء في «مانيتون»، وهذا الاسم الأخير يذكِّرنا بالفرعون «أوسركون» أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين. ويجوز أن اسم «سيتيس» يمكن تقريبه من اسم «سيآمون» الذي جاء على الآثار، غير أنه ليس لدينا براهين قاطعة تؤكد هذا الزعم.[١]

ويقول المؤرخ «سنسل»: إنه حكم خمس عشرة سنة. وفي رواية أخرى على حسب «مانيتون»: حكم ست سنين. ويقترح «بتري» أن تُصحح هذه المدة إلى ست وعشرين سنة.[٢]

هذا، وتدل الآثار على أن أكبر مدة حكمها هي سبع عشرة سنة، وذلك على حسب ما جاء في نص من تواريخ كهنة «آمون» بالكرنك، وكذلك على حسب نقش حُفر في جبل

---

[١] راجع Ungar Chronologie des menetho. p. 230, L. R. III, p. 294 note. 1.

[٢] راجع Pertie, Hist. of Egypt, III p. 224.

العرابة، كما سيأتي بعد. ويكفي هنا أن نلاحظ في هذا الصدد أن «دارسي»[٣] قد قرأ السنة الثامنة عشرة على التأشيرة التي كُتبت على تابوت «سيتي الأول»، وقد قُرئت قبله السنة السادسة عشرة.

(١) آثار سيآمون

خلف «أمنمأبت» على عرش «تانيس» الملك «سيآمون» محبوب «آمون»، وقد ترك لنا آثارًا عدة في «تانيس»؛ ففي معبد «عنتا» أعاد بناء البوابة والسور، وفي المعبد الكبير أتم إصلاح المحراب الذي قد بدأ إصلاحه الفرعون «بسوسنس»، وقد سلك مسلك خلفه في استعمال أحجار خرائب «أواريس» و«بررعمسيس» القريبة منه (قنتير الحالية)؛ فأخذ منهما المسلات، والنقوش الغائرة من الجرانيت، واللوحات، والتماثيل، ولكن عندما تمت هذه الأعمال في معبد «تانيس» ظهرت كالثوب الخَلَقِ الذي رُقِّع، ولكن بعض تماثيل الدولة الوسطى التي أخطأتها يد التهشيم في الحروب الأهلية، وكذلك تماثيل «رعمسيس الثاني» الضخمة التي لم يكن لدى المخربين الوقت لإتلافها قد أضفت على المعبد شيئًا من العظمة؛ مما جعله يحتل المنزلة الأولى بين معابد مصر السفلى. ومن المحتمل جدًّا أن «سيآمون» قد دُفن في «تانيس» كباقي أفراد أسرته بالقرب من آبائه، ولم يُعثَر على قبره بعد، غير أنه عُثر في جنوب المعبد الكبير على أحجار كثيرة هامة تدل شواهد الأحوال على أنها إما أن تكون ضمن أحجار قصره، أو ضمن أحجار معبده الجنازي؛ فقد وُجد له تمثال من الجرانيت المَحَبَّب نُقش عليه اسم «أوزيرسيآمون»، كما وُجد نَقْش غائر عليه مسحة من الجمال مُثِّلَ فيه هذا الفرعون يقضي على عدو بمقمعته (راجع La. Drame D'Avaris fig. 58).

على أن موضع هذا الرسم ليس جديدًا، غير أنه يوجد فيه تفاصيل تسترعي التفاتنا؛ إذ نجد أن المصريين قد وضعوا في يد الأسير السلاح الخاص الذي يعد رمزًا لبلاده من هذه الوجهة؛ فنجد في الصورة أن المنهزم يحمل بلطة ذات حدين، وهذا السلاح لا يؤلِّف جزءًا من مُعَدَّات الحرب السامية، بل هو سلاح من أصل إيجي، وأقوام البحار في «سوريا» قد

[٣] راجع Daressy Cercueils des Cachettes Royales, p. 30.

ظلوا على ولاء له. والواقع أننا نعرف من كتاب «الملوك» أن «جيزر» قد فتحها فرعون بانتصاره على الفلسطينيين قبل أن تُمنَح مهرًا للأميرة التي تزوجها «سليمان».[٤]

وفي الحق نجد أن «سيآمون» كان معاصرًا «لداود» لا «لسليمان»، غير أن التوراة لا تحدثنا عن المدة التي كانت فيها «جيزر» في قبضة الفرعون عندما نزل عنها لملك إسرائيل، وعلى ذلك فمن المحتمل أن «سيآمون» قد أعلن حربًا على الفلسطينيين، وأن قطعة الحجر التي وجد مرسومًا عليها وهو يقضي على أسير تُنْسَبُ إلى انتصاره على هؤلاء الأعداء، ومن المحتمل إذن أن «بسوسنس» كان كذلك ملكًا حربيًّا إذا حكمنا عليه بما وُجد معه من أسلحة جميلة وجدت في قبره، وأنه يفتخر بالقضاء على أعدائه.[٥]

معبد الإلهة «عنتا»

وُجِدَ في الجزء الجنوبي الغربي لمعبد «صان الحجر» الكبير سهلٌ طويل يبلغ امتداده حوالي ثلثمائة متر، وقد أحيط بتلال، وفي وسط هذا السهل وجدت بعض آثار تدل على بقايا معبد، وبخاصة بقايا عُمُدٍ من الجرانيت، وكذلك مجموعة من التماثيل من الجرانيت تمثل هذه الإلهة الكنعانية جالسة بجانب «رعمسيس الثاني»، وكذلك وُجِدَ تمثال من الجرانيت الأسود لكاهن الإله «خنسو الطفل».

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أنه يوجد في متحف «شرليز» ب «لاهاي» لوحة من العصر المتأخر أهداها شخص يدعى «بتيموتيس» للإلهتين: «موت» و«عنتا» سيدة موطن «عنتا»، ولكن مما يؤسَف له جد الأسف أننا لا نعرف المكان الذي عُثر فيه على هذه اللوحة! فإذا جادت الصُّدف بكشف يدل على أنها وجدت في «صان الحجر»، فإن ذلك يكون برهانًا على أن هذا المبنى الذي يحتوي على تمثال «عنتا» الذي ذُكر على لوحة «بتيموتيس»، وكذلك تمثال كاهن «خنسو» هو معبد «عنتا» الذي ذُكر على لوحة «بتيموتيس»، وهذا من الجائز جدًّا؛ لقلة ما لهذه الإلهة من آثار.

---

[٤] راجع كتاب «الملوك الأول»، الإصحاح التاسع، سطر ١٦.

[٥] راجع La. Drame D’avaris. p. 169ff.

السور والبوابة اللذان أقامهما «سيآمون»

ومعبد الإلهة «عنتا» مَثَله كمَثَل المعابد المصرية كلِّها مُحَوَّطٌ بسور قوي من اللبنات يبلغ عرضه ٧٫٥ مترًا، وجانباه (الشمالي والجنوبي) صغيران يبلغ طول كل منهما ٨٥ مترًا، والشرقي والغربي يبلغ طول كل منهما ١١٠ مترًا، وهذا السور يدخله الإنسان من الشمال من باب كان مصنوعًا من الحجر الجيري الأبيض، غير أنه لم يبقَ منه حجر واحد في مكانه تقريبًا؛ إذ أُخِذَتِ أحجاره واستُعملت في أماكن أخرى.

وعلى أية حال، فقد كان عرض المدخل حوالي أربعة أمتار؛ ولذلك كان من الصعب علينا تحديد عصر بناء هذا المعبد لولا أنه — لحسن الحظ — وجد في الرمال في أربع جهات متقابلة أربع ودائع أساس أمكننا بوساطتها معرفة من أقام هذا المعبد، وقد عرفنا منها أنه الملك «سيآمون» الذي نحن بصدده الآن، وهو الذي أتم في المعبد الكبير المحراب الذي بدأه الفرعون «بسوسنس» (انظر صورة رقم ٧).

والواقع أنه لم يوجد في وديعة الأساس التي في الركن الشمالي الغربي إلا بعض لوحات من الخزف؛ وذلك لتهشم ما كان فيها من آثار، ولكن ودائع الأساس الثلاث الأخرى وجدت سليمة، ومُحتَوَيَاتُ كلٍّ منها مماثلة للأخرى على وجه التقريب، وتشمل لوحة صغيرة من الذهب، ولوحة أو لوحتين من الفضة، ولوحة أو ثلاث لوحات من البرنز أقل حجمًا من بطاقة الزيارة، وقد نقش على كل من هذه الآثار أحد طغراءي الفرعون أو طغراءاه معًا، وكذلك وُجدت ألواح من الخزف الأخضر نُقش عليها إما طغراءا الفرعون أو رموز كانت تُنْقَش علامة على الحظ السعيد.[٦]

وأخيرًا وُجدت أشياء صغيرة جدًّا من المرمر، والكرنالين، واللازورد، والفيروزج، وهي عينات من الأحجار نصف الكريمة ترمز للقربان والمأكولات، وكذلك أشياء صغيرة خاصة بالعبادة، وقد وُجد مع هذه الأشياء بعض عظام طير ولبنة، ويوجد من هذه الأشياء وديعتان من ودائع الأساس، وكذلك ثالثة، وما تبقَّى من الوديعة التي وجدت في الجهة الشمالية الغربية محفوظ بمتحف «اللوفر» بباريس (راجع Tanis, I. p. 187ff).

وقد كُتب اسمه على تمثال ضخم من الجرانيت الوردي مهشم، كما كتب عليه أسماء بعض ملوك آخرين: رب الأرضين «سيآمون» محبوب «آمون رع» ملك الآلهة. ويلاحظ أنه كتب اسمه على اسم الفرعون «مرنبتاح» (راجع Rec. Trav. IX, p. 15).

---

[٦] راجع Tanis fig. 54.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الفرعون كان مهتمًّا بكتابة اسمه على أسماء الرعامسة في هذه الجهة.

وفي «تانيس» عُثر له على تمثال من البرنز مرصَّع في صورة «بولهول» عليه اسم هذا الفرعون، وهو محفوظ الآن بمتحف «باريس».[٧]

ووُجد له كذلك في «تانيس» قاعدة عمود عليها اسمه، وقد وَجَدَ «بتري» عدة آثار عليها اسم هذا الفرعون،[٨] وبخاصة لوحات صغيرة من الخزف المطلي، وكذلك من البرنز ومن الذهب كما ذكرنا سابقًا.[٩]

منف

عَتَبُ بابٍ للملك سيآمون: يوجد على شمال هذا العتب طغراء الفرعون «نتر خبر رع» مختار آمون وتحته: «محبوب بتاح جميل الوجه.» وطغراؤه الثاني: «سيآمون محبوب آمون.» وتحته: «محبوب آمون سيد اللازورد الحقيقي.» ونشاهد خلف الإله «آمون» إلهة وأمامها النقش التالي: «في معبد «بتاح» سيدة السماء وربة اللازورد الحقيقي.» وأمام «آمون» نقش: «آمون رع رب اللازورد الحقيقي، لقد أعطيتك كل الثبات والحياة والقوة أمامي.» وأمام الملك نقش: «تقديم قربان من البخور والماء البارد لوالده لأجل أن يمنح الحياة.» (راجع Palace of Apries, Memphis II, PI. XIX). وقد وُجد ست عتبات وكثير من عوارض الأبواب في «منف» باسم هذا الفرعون، وهي الآن في لندن، وكوبنهاجن، ومانشستر، وفلولدلفيا، وبترزبرج، وأكبر هذه العتبات العتبة الموجودة في «كوبنهاجن» (راجع Ibid. PI. XXIV).

ونشاهد على يسار العتبة «سيآمون» يتعبد للإله «بتاح» والإلهة «حتحور»، ويلاحظ عليها حول وجه الإله «بتاح» أن الأرض قد انخفضت في صورة مربع كأنه قد ثُبِّت عليه لوح رقيق من المعدن، وخلف الملك نشاهد صورة كاهن أكبر لابسٍ قُرْطًا يتدلى منه أربع كرات، ويحمل نباتًا في يده، وعلى كتفه جلد فهد، وهو رمز الكهانة. وقد لُقِّبَ الأمير

[٧] راجع: Naville. Inscription Historique, p. 16 note2.

[٨] راجع: Petrie, Tanis II, PI. VIII & p. 11–12.

[٩] راجع: L. R. III. p. 297 no. 3.

الوراثي، والكاهن والد الإله، والمشرف على أسرار السماء والأرض، والعالم السفلي ذاهبًا إلى عالم أوزير، والكاهن، والرئيس الأعلى لعمال بتاح (أي الكاهن الأكبر) «نتر-خبر-رع مرنبتاح» وهو الذي يسمى «بوبي»، ويلاحظ أن اسمه الأول هو اسم الفرعون الحاكم.

وعلى يمين اللوحة يشاهَد الملك يقرب قربانًا للإله «بتاح» والإلهة «سخمت» التي تحمل علم ابنها «نفرتم»، ويتبع الملك «عنخف نموت» الذي أقام كل العتبات الأخرى، وهو ابن «أي» كاتب معبد «بتاح» وحساب ماشية «بتاح»، وهذه العتبة كما قلنا وعارضة الباب كلها وكذلك نصف عارضة أخرى في متحف «ني كالرسبرج بمدينة كوبنهاجن».

ويشاهَد أسفلها عتبة أخرى من نفس الطراز، وكذلك نقوش من ثلاث عتبات مماثلة وهي موجودة الآن كما قلنا في المتحف البريطاني، و«منشستر» و«فلدلفيا» و«بترزبرج»، هذا إلى جزء من عارضة باب كتب عليها إهداء للإله «بتاح» والإلهة «حتحور» من مقيمها «عنخف نموت» (راجع Ibid).

ووُجدت كذلك قطعة من عمود حجر في «منف» باسم «سيآمون»،[10] وقد كُتب تحت اسم هذا الفرعون اسم كاهن للإلهة «عشتارت» واسم الملك «سحورع» أحد ملوك الأسرة الخامسة.

وَكَتَبَ هذا الفرعون اسمه على مسلتين كانتا في الإسكندرية؛ واحدة منهما الآن في «لندن»، والأخرى في «نيويورك»؛ حيث نجد «سيآمون» نقش اسمه على الهوامش وفي أسفل النقوش الأصلية. وهاتان المسلتان قد أقام إحداهما «تحتمس الثالث» والثانية من عمل «رعمسيس الثاني»، ولكنهما نُقلتا من هليوبوليس إلى الإسكندرية في العهد الإغريقي (راجع L. R. III p. 296).

الخطعنة

وفي بلدة «الخطعنة» القريبة من «فاقوس» عَثر «نافيل» على قطعة من الحجر عليها طغراء الفرعون «سيآمون» (راجع Naville, Goshen, p. 21 & PI, 9 E & Bubastes, p. 46) ووجد لهذا الفرعون عدة جعارين باسمه.[11]

---

[10] راجع: Brugsch, Recueil, Vol. I PI. IV.

[11] راجع: Petrie, Hist. of Egypt III p. 225 fig. 92 & L. R. III, p. 298.

ويقول الأستاذ «فيدمان»: إنه يوجد في «متحف القاهرة» صدرية من الذهب باسم هذا الفرعون.[١٢]

الفسطاط

عقد شراء أطيان من عهد سيآمون: وقد عُثر على لوحة في خرائب مدينة «الفسطاط»، والظاهر أنها كانت في الأصل في «منف»، وهي محفوظة الآن في مجموعة كلية «سنت جوزف» بالقاهرة.

ويشاهد في وسط هذه اللوحة على اليمين صورة شخص — لا بد أنه هو الفرعون — يقدم قربانًا من الخمر كتب أمامه اسمه، وتحته: «تقديم نبيذ.» وأمام الملك يقف الإله «بتاح» في صورة مومية وفي يده صولجان، وخلف «بتاح» تقف زوجه الإلهة «سخمت» بجسم امرأة ورأس لبؤة، وعلى رأسها قرص الشمس والصل الملكي، وكتب أمامها: «سخمت العظيمة محبوبة «بتاح».» ويأتي بعد ذلك في اللوحة المتن التالي: «السنة السادسة عشرة، الشهر الثالث من فصل الفيضان في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «نتر-خبر-رع-مري آمون» بن رع «سيآمون».»

في هذا اليوم دفعت دفعة من الفضة من محصل مالية «بتاح» (؟) المسمى «أتي» للكاهن المظهر «بتاح عنخفن خنسو» ابن الحارس الأول للكتب التي في مخزن غلال «بتاح» «باسبني» ثمنًا لحقل مساحته أزوران يقع على حافة «القنال» «بعحت» في «منف» غربي حديقة «تايت»، وقد دفعت له دبنًا وقدتين من الفضة، وذلك بمثابة ثمن لأرض توجد في «بعحت» «بمنف» نزل عنها الكاهن المطهَّر التابع للإله «بتاح» «سخمت عاحور»، وهو عبارة عن حقل مساحته أزوران، وقد دفعت ثمنه دبنًا من الفضة.

تعليق: تدل الكشوف الحديثة على وجود عدة لوحات نعلم من متونها أن الأفراد كانوا يَقِفُونَ للآلهة أو للأموات أراضيَ ليصرف من ريعها على معبد الإله أو مزار المتوفى الذي وُقِفَتْ عليه.[١٣]

---

[١٢] راجع: Wiedemann, Goschichte p. 533.

[١٣] راجع: Soutas, la Preservations de ia properiet’e funeraire dans l’Aneienne Egypte Daressy, A. S. XV, p. 140–42; Tom. XVI. p. 61–62; Tom XVII p. 43.

وهذه اللوحات قد أُلِّفت على نسق واحد، وتحتوي كل منها في نهايتها عادة على تهديد لكل من لم ينفذ ما جاء فيها.

والوثيقة التي نحن بصددها تنحصر في أنها عقد شراء حقيقي لشخص من عامة الشعب أصبح بها مالكًا عقارين صغيرين.

وهذا التعاقد حدث في عهد الملك «سيآمون» الذي نتحدث عنه.

ويتلخص في أن صائغًا اشترى من شخصين من عامة الشعب قطعتين من الأرض في جهة تقع بالقرب من قناة معروفة تمامًا في «منف» (راجع Brugsch. Die, Geogr. p. 633). ولم يذكر في هذا الوثيقة مقدار الضرائب على العقارات، ولا الضمانات إلخ … وبالاختصار لا نجد في هذه الوثيقة شيئًا من الشروط الإجبارية التي نجدها في الأوراق الديموطيقية واليونانية.

وثمن هاتين القطعتين واحد تقريبًا، وهو على وجه التقريب دبن من الفضة لكل أرورين، ولكن نجد أنه في نفس الأسرة في عهد «بينوزم الثاني» كان نفس الثمن يُدفع لشراء عشرة أرورات من أرض العرابة، حيث كانت الأرض أقل إنتاجًا (راجع Br. A. R., IV. & 681).

وهذه الوثيقة دليل آخر — غير ما ذكرنا عند الكلام على ورقة فلبور — على أنه كانت هناك ملكيات شخصية يتصرف فيها الفرد كما يشاء.[١٤]

(١-١) مقبرة نسبا نفرحر

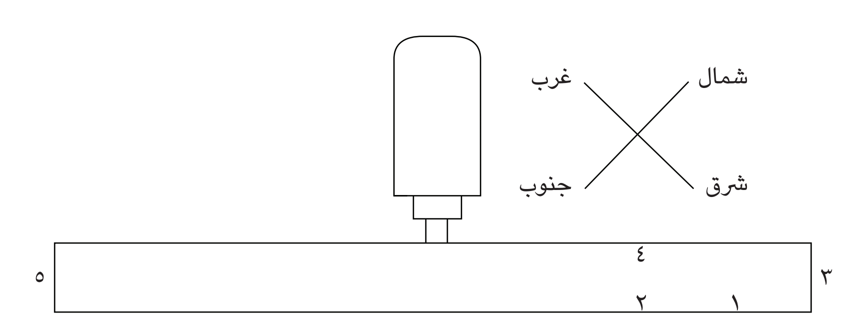
ذكر كل من الأستاذ «جاردنر» و«ويجول» في كتابهما عن مقابر «طيبة» وتواريخها[١٥] أن القبر رقم ٦٨ مِلك كاهن «آمون» ورئيس الكتاب للمعبد الخاص بمَأوى آمون «نسبا نفرحر»، وأنه عاش في عهد الملك «حريحور» بصورة مؤكدة، ولكن عندما فحص الأستاذ «شرني» نقوش هذا القبر، اتضح له أن «نسبا نفرحر» هذا لم يكن المالك الأصلي لهذا القبر، ولكنه اغتصبه في عهد الفرعون «سيآمون» الذي نحن بصدده الآن. ومن المحتمل

---

[١٤] راجع: Recueil, D’Etudes Dedi’es a La memoir de jean Francois Champolion (Paris 1922) p. 362ff.

[١٥] راجع Gardiner Wolgall, Topographical, Catalogue, p. 22.

أن نسبة هذا القبر لعهد الفرعون «حريحور» ترجع إلى أن هذا الملك كان يُدْعى «سيآمون حريحور»؛ ولذلك خلط بعض المؤرخين اسمي هذين الفرعونين، وظنوا أنهما واحد، وقد ظلت الحال كذلك إلى أن برهن «دارسي» بجلاءٍ على أنهما ملكان منفصلان،[١٦] وكذلك لاحظ الأستاذ «شرني».



عند فحصه لنقوش هذه المقبرة أن الرسوم الأصلية قد غُيِّرَتْ ووُضعت عليها طبقة جديدة من الألوان، جعلت الوصول إلى كنهها أمرًا يكاد يكون مستحيلًا، وكل ما أمكن قراءته هو جزء من اسم صاحب المقبرة الأصلي وبعض علامات أخرى، وقد أمكنه بموازنة الكتابة أن يحكم بأنها ترجع على أكثر تقدير لعصر الأسرة العشرين.

أما ألقاب واسم المغتصب وزوجه وابنه، فإن النقوش التي نشاهدها في المنظر بالقرب من المنظر (١) تقدم لنا معلومات تامة؛ ففي هذا المنظر نرى المتوفى وزوجه قد رُسِمَا جالسين وأمامهما رجلان واقفان؛ يرتدي أولهما جلد الفهد ويقدم قربانًا، وألقاب الرجل وزوجه هي:

الزوج: أوزير كاهن آمون رع ملك الآلهة، ورئيس كهنة معبد مقام «آمون»، ورئيس كتبة مائدة معبد آمون «نسبا نفرحر» المرحوم.

ألقاب الزوجة: أخته وزوجه مغنية آمون، ومغنية الإلهة «موت» «باكنموت» المرحومة.

والنقوش التالية تتبع الرجلين الواقفين أمام المتوفى وزوجه، وهي: (١٠) «ابنه» الذي

---

[١٦] راجع Rev. aroheologique (1896) Tom. I p. 79.

يقدم الماء البارد. «أوزير» (الكاهن) والد الإله لآمون قاطن الكرنك، وكاتم السر في السماء والأرض، وفي العالم السفلي، وفاتح باب السماء (المحراب) في الكرنك، والكاتب الملكي لمائدة رب الأرضين في معبد «آمون». «حور» المرحوم ابن كاهن آمون «نسبا نفرحر» المرحوم.

تقديم قربان ملكي أمام أوزير الكاهن المطهَّر لآمون رع ملك الآلهة، والكاهن والد الإله لموت العظيمة سيدة «أشرو»، وكاتب معبد آمون «نسعاشفيت» المرحوم، ويوجد سطران من النقوش طويلان تحت السقف الذي فوق هذا المنظر، وفيه تُقرأ من بين كتابته ألقاب المتوفى وابنه:

> إطلاق البخور (؟) وتقديم الماء البارد لأوزير الكاهن والد الإله لآمون رع ملك الآلهة، والكاهن والد الإله للإلهة «موت» العظيمة سيدة «أشرو»، والكاتب الملكي لمائدة بيت آمون «حور» المرحوم ابن كاهن آمون رع ملك الآلهة، وكاتب معبد بيت آمون، وكاتب مائدة بيت آمون «نسبا نفرحر» المرحوم.

أما اسم والد «نسبا نفرحر» فلم يُحْفَظْ إلا في مكان واحد في رسوم المقبرة (٣) «أوزير» كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاتب مائدة بيت آمون «نسبا نفرحر» المرحوم بن «أفنآمون» المرحوم.

ومما سبق نعرف أن الشخصيات الثلاثة التي نجدها مدوَّنة على جدران المقبرة هم: «أفنآمون» و«نسبا نفرحر» و«حور»، وهؤلاء معروفون لنا من وثائق أخرى من نقوش هذا العصر، وبين هذه الوثائق واحدة يمكننا بها أن نحدد على وجه التأكيد العصر الذي اغتُصبت فيه هذه المقبرة (رقم ٦٨)، وهذا النقش هو قطعة من عمود مربع نُحِتَ في الحجر الرملي عَثَرَ عليه «لجران» في الكرنك، وقد نَقَشَ عليه كاهنٌ من عهد الأسرة الثانية والعشرين بعض مقتطفات من تاريخ أسرته خاصة بأجداده في عهد الأسرة الواحدة والعشرين.[١٧]

---

[١٧] راجع Legrain. Rec. Trav. XXII p. 53–54. Ibid Tom XXX p. 87 (ef p. 75).

وهاك ترجمة هذه الوثيقة:

(١) السنة الثانية، الشهر الأول من فصل الفيضان، اليوم العشرون، في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد القطرين «عاخبررع» بن رع «باسبخعنوت» … (٢)، يوم تنصيب الكاهن والد الإله التابع لآمون رع ملك الآلهة، وكاتب معبد الإلهة «موت» العظيمة سيدة أشرو، ورئيس كهنة مائدة قربان بيت آمون … «نسبا نفرحر» المرحوم ابن «أفنآمون» في المكان العظيم، والممتاز «لآمون رع» ملك الآلهة على حسب كل القواعد الخاصة بالكهنة.

السنة السابعة عشرة، الشهر الأول من فصل الفيضان في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين، الفرعون «سيآمون»، وهو يوم تنصيب الكاهن والد الإله التابع لآمون رع ملك الآلهة، وكاتب معبد الإلهة «موت» سيدة «أشرو» العظيمة، ورئيس كتاب موائد قربان بيت آمون «حور» المرحوم ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، رئيس كتبة معبد بيت آمون، والمشرف على معابد الآلهة كلهم والإلهات كذلك في الشمال والجنوب «نسبانفرحر» المرحوم في المكان العظيم الفاخر لآمون رع ملك الآلهة …

ومما سبق نعلم أن ألقاب «نسبانفرحر» في متن الكرنك، وفي المقبرة رقم ٦٨ موحدة، وهذا كافٍ لإثبات أنهما لشخص واحد. أما من جهة ابنه فنجد في متن الكرنك أنه يحمل ألقابًا كان يحملها والده كما ذكرناها فيما سبق، ولم يحمل منها في القبر إلا الأول منها، في حين أن الألقاب الأخرى: الكاهن والد الإله، محبوب آمون في الكرنك، ورئيس أسرار بيت آمون في السماء والأرض، والعالم السفلي، وفاتح أبواب السماء (المحراب) في الكرنك، والكاتب الملكي لقربان رب الأرضين في بيت آمون. واللقب الأخير يمكن تقريبه من اللقب: رئيس كتاب بيت آمون، على أن الفرق بينهما ليس بذي أهمية تُذكَر.

ولما كان «حور» هذا يحمل لقبًا في القبر هو لقب: «الكاهن. والد الإله لآمون رع» — وهو اللقب الذي كان يحمله من قبل في السنة السابعة عشرة من عهد الفرعون «سيآمون» — فإنه يُستَنْبَط من ذلك أن اغتصاب «نسبانفرحر» للمقبرة كان قبل هذا التاريخ.

وخلاصة القول أن المقبرة (٦٨) في طيبة كانت قد جهزها كاهن لآمون في «أبت» وكاهن لموت يدعى …

وهذا القبر قد اغتصبه «نسبانفرحر» أو ابنه «حور».

وأخيرًا حدث هذا الاغتصاب بعد السنة السابعة عشرة من عهد الملك سيآمون.[١٨]

---

[١٨] راجع A. S. Tom XI p. 235ff.

حور بسوسنس الثاني



مري آمون حور باسب خعنوت   حز حقا رع

إن هذا الفرعون الذي جاء ذكره على الآثار باسم «حور باسب خعنوت» وأسماه جوتيه «بسوسنس الثاني» (L. R. III p. 299) لم يذكره «دارسي» في مقاله الذي كتبه عن الملوك الذين تسَمَّوْا بهذا الاسم (راجع Rec. Trav. XXI p. 9–10)، وقد ذكره «بتري» في تاريخه عن مصر (راجع Petrie Hist. III p. 225–6)، وفي ملاحظة أخرى (راجع Proc, S. B. A. XXVI (1904) p. 283). ويقول «جوتيه»: «إنه من الحزم أن نشك شكًّا كبيرًا في وجود هذا الملك إلى أن تظهر آثار تؤكد حقيقته.»

ويقول «بتري»: «إن طغراءي هذا الفرعون قد رآهما «ولكنسون» في مقبرة في طيبة.» (راجع Petrie, Ibid. p. 225).

وقد وجد اسم هذا الفرعون على تمثال للنيل محفوظ الآن بالمتحف البريطاني (p. 254; & Guide, Sculpture p. 211 No. 76 وBudge, Guide (1909)) غير أن «برج» قد قرأ الطغراء قراءة خاطئة.

ومن النقش الذي جاء على هذا التمثال نعلم أن امرأة «أوسركون الأول» ثاني ملوك الأسرة الثانية والعشرين كانت بنت الملك «حور باسب خعنوت» هذا، وهذا الملك يجب إذن أن يوضع في نهاية أسرة «تانيس»؛ أي الأسرة الواحدة والعشرين. ومن المدهش أن «لجران» عثر على تمثال في خبيئة الكرنك (رقم ٢٢١) يؤكد كل الحقائق التي جاءت

على تمثال النيل (راجع Legrain, Rec. Trav. XXX (1908) p. 89–90). غير أن طغراء «حور باسب خعنوت» قد وجد مهشَّمًا كما سنرى بعد.

ولدينا قطعة من تواريخ كهنة «آمون» العظام بالكرنك (رقم ١٧) (راجع Legrain, Rec. Trav. XXII (1900) p. 58 ef. Petrie Ibid P. 219) يَرْجع تاريخها إلى عهد الملك «أوسركون الأوَّل» ثاني ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وقد جاء عليها ذكر أحد أحفاد (؟) الملك «باسب خعنوت الثاني» يُدعى «نس باوت تاوي» ويحمل لقب: «الكاهن والد الإله لآمون»، غير أنه يجب أن نذكر هنا أن الملك لم يُدْعَ في هذا النقش «حور باسب خعنوت» ولكن سُمِّيَ «باسب خعنوت» وحسب، ومن المحتمل أن المقصود هنا هو الملك «بسوسنس الثالث» (؟) كما سنرى بعد.

وتوجد في مجموعة «بتري» خرزة كُتِبَ عليها اسم الفرعون «حور باسب خعنوت» (راجع Petrie, Hist. III p. 226 Fig. 93).

ذكرنا أنه قد جاء اسم «ماعت كارع الثانية» بنت الملك «حور باسب خعنوت» على تمثال للنيل، ويجب ألا نخلط هنا بين هذه الأميرة وسَمِيَّتِها «ماعت كارع الأولى» التي وجد اسمها منقوشًا على معبد «خنسو»، وعلى الورقة الجنازية المحفوظة بالمتحف المصري؛ إذ إن الأخيرة كانت بنت «باسب خعنوت» الأول، وكانت الزوجة الإلهية لآمون بطيبة في عهد تولي «بينوزم الأول» رياسة كهنة آمون (راجع L. R. III 252)، وهذا الخلط بين هاتين الملكتين اللتين تحملان نفس الاسم، بما كتبه «لبسيوس» (راجع A. Z. XX. p. 115 PI. II). وقد تزوجت الأميرة «ماعت كارع» الثانية هذه الملك «أوسركون» الأول ثاني ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وقد أنجبا «شيشنق مري آمون» الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لآمون، كما جاء على تمثال وَجَدَه «لجران» في خبيئة الكرنك، وقد اعتَبَرَ كلٌّ من «بتري» (Petrie Ibid 237–238) ومس «بتلز» خطأً (راجع Miss Buttles, The Queens of Egypt. p. 191ff). هذه الأميرة أنها زوج الفرعون «شيشنق الأول» ووالدة «أوسركون الأول» (راجع Rec. Trav. XXX (1908) p. 89–90 L. R. III 300 Note 3)، وما جاء على هذا التمثال يؤكد ما جاء من سلسلة النسب على تمثال النيل السالف الذكر، ونعرف مما جاء عليه فضلًا عن ذلك أن «ماعت كارع» الثانية بنت «حور باسب خعنوت» الثاني وزوج «أوسركون الأول»، وأم الكاهن الأكبر «شيشنق» كانت في الوقت نفسه كاهنة الإلهة «حتحور» صاحبة «دندرة»، وكذلك الأم الإلهية «لحور سماتوي».

وقد تركت لنا هذه الملكة مرسومًا وضعه الإله «آمون» في صالح «ماعت كارع» خاصًّا بميراثها، وقد نُقش هذا المنشور بحروف كبيرة على الجدار الشمالي من جدار البوابة الثالثة

الواقعة في الجنوب من معبد آمون بالكرنك، ويلاحظ أن النصف الأعلى من هذا الجدار قد هُدِمَ تمامًا، وفي هذه الحالة نجد أن الأسطر الأولى من النقش — وهي التي كانت تحتوي على اسم الملك وتاريخه — قد ضاعت بكل أسف! غير أنه من سياق الكلام نعرف أنه كان لها. على أن ضياع هذه الأسطر قد جعل «بركش» يخلط في نسب هذه الملكة (راجع Egypt, under the Pharoahs p. 373).

وسنضع هنا ترجمة حرفية لِمَا تبقَّى من هذه الوثيقة؛ لِمَا لها من أهمية تاريخية:

وهكذا تحدث «آمون رع» ملك الآلهة، والإله العظيم أول كل المخلوقات، و«موت» و«خنسو»، والآلهة العظام: أما عن أي شيء من أي نوع قد أَحْضَرَتْه معها «ماعت كارع» بنت ملك الوجه القبلي «مري آمون باسب خعنوت»، وهو المتاع الموروث الذي ورثته من الإقليم الجنوبي للبلاد، وكذلك عن أي شيء من أي نوع مهما كان قد أهداه إياها أهل البلاد، وكانوا قد أخذوه في أي وقت من السيدة الملكية فإنَّا نعيده لها.

وأي شيء من أي نوع يكون ملكًا لأولادها بمثابة ميراث للأطفال فإنَّا نعيده هنا لأولاده أبديًّا. وهكذا تكلم آمون رع ملك الآلهة والملك العظيم الأول لكل الموجودات، و«موت» و«خنسو»، والآلهة العظام: وكل ملك، وكل كاهن أكبر لآمون، وكل قائد، وكل ضابط، والناس من كل رتبة سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا لهم مشاريع عظيمة، والذين ينفذون مشاريعهم فيما بعد فعليهم أن يعيدوا المتاع من كل الأنواع، وهو الذي أَحْضَرَتْه معها «ماعت كارع» بنت ملك الوجه القبلي «مري آمون باسب خعنوت» بمثابة ضيعة موروثة في الإقليم الجنوبي من البلاد، وكذلك كل الممتلكات من كل نوع التي منحها إياها سكان البلاد، وكل ما أخذوه من هذه السيدة في أي وقت فإنه سيُرَدُّ إلى يدها، وإنَّا سنرده إلى يد ابنها وحفيدها، ولابنتها ولحفيدتها، ولابن ابن بنتها، وسيُحفظ إلى آخر الأزمان. وتَحَدَّث ثانيةً «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم بداية كل الموجودات، و«موت» و«خنسو» والآلهة العظام: سيُذْبَحُ كل أناس من أية مرتبة في الأرض جميعًا سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا، يَدَّعُون ملكية أي شيء من أي نوع مهما كان قد أَحْضَرَتْه معها «ماعت كارع» بنت الملك وسيد الأرضين مري آمون «باسب خعنوت» بمثابة ضيعة موروثة من أرض الجنوب، وأي شيء من أي نوع مهما كان قد منحه إياها الأهلون وقد استولوا عليه في أي وقت من

السيدة بمثابة ملكية، وأن الذين سيَحْجِزُون أي شيء من هذه الأشياء ضحوة بعد ضحوة، فإن روحنا ستنزل عليهم بثقل، ولن نكون مساعدين لهم، (؟) وإنهم سيكونون مملوئين مملوئين (بالمكايد؟) من جهة الإله العظيم، و«موت» و«خنسو»، والآلهة العظام. ثم تكلم «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم بداية الكائنات، و«موت» و«خنسو»، والآلهة العظام: «إنَّا سنذبح كل ساكن من أي مرتبة في الأرض جميعًا، سواء أكان ذكرًا أم أنثى سيَدَّعي ملكية أي شيء من أي نوع مما كان قد أَحْضَرَتْه «ماعت كارع» بنت ملك الوجه القبلي ورب الأرضين «مري آمون باسب خعنوت» بمثابة ضيعة موروثة من الأرض الجنوبية، وأي شيء من أي نوع مما كان قد منحه إياها سكان البلاد، وكانوا قد استولوا عليه في أي وقت من السيدة بمثابة ملكية لهم، وإن من يحتجز أي شيء منها ضحوة بعد ضحوة، فإن أرواحنا العظيمة ستكون ثقيلة عليهم، ولن نمد لهم يد أي مساعدة، وستُرغم أنوفهم في الأرض وسا …» (راجع Brugsch, Ibid. p. 373).

وهكذا نرى أن الشك والإبهام والغموض تحيط بنهاية هذه الأسرة، حتى إنه أصبح من المتعذر علينا معرفة ترتيب أواخر ملوكها.

بسوسنس الثالث (باسبخعنوت) (؟)

اقترح الأثري «دارسي» وضع هذا الفرعون والكاهن الأكبر في أول الأسرة بين اسم الملك «حريحور»، و«بيعنخي»، ولكنا نعرف أنه يجب أن يوضع الآن على العكس في أواخر الأسرة. ويَلُوحُ أن الأستاذ «بتري» كان على حق عندما وحَّده بالكاهن الأكبر «بسوسنس» بن «بينوزم الثاني».[١]

وقد حكم هذا الفرعون على حسب ما جاء في «مانيتون» أربع عشرة سنة، وقد اقترح «دارسي» مدة حكم أطول لهذا الفرعون[٢] على ما يظهر؛ فقد ذكر أنه حكم ثلاثين عامًا على حسب «أفريكانوس»، وخمسة وثلاثين عامًا على حسب «يوزيب Eusebe». والظاهر أنه اقترح الرقم ٣٥ سنة؛ لأجل أن يجعله يتمم رقم ١٣٠ سنة الذي ذكره «مانيتون» بوصفه مجموع مدة حكم هذه الأسرة التي يبلغ عدد ملوكها سبعة، فإذا جُمِعَ مُدَدُ حُكمهم بفرض أن «بسوسنس الثاني» حكم ١٤ سنة، فإنه يكون ١٠٩ فقط، أما إذا جعلناه ٣٥ سنة فإن المجموع يكون صحيحًا، غير أن «بتري» قد أضاف الفرق بين ١٤ و٣٥ وهو حوالي عشرين سنة لحكم الملك «سيآمون»، وذلك بتصحيح ست السنين التي قدرها «مانيتون» لهذا الملك إلى ٢٦، وهذا التصحيح يظهر مقبولًا عندما نعلم أنه جاء على الآثار ذكر السنة السابعة عشرة من حكم «سيآمون» (راجع L. R. III p. 301 Note2)، (راجع ما كتبناه عن الكاهن بسوسنس جزء ٨). ويقول «جوتيه»: إذا لم يُعترف بوجود الملك «حزحقارع» الذي ذكره «بتري»، فإن كل الآثار التي نسبتها لهذا الملك (أي بسوسنس

---

[١] راجع Petrie, History of Egypt Vol. III p. 219.

[٢] راجع Rev. Arch, (1896) Tom I p. 80.

الثالث) يجب أن تُنسب إلى الملك الملقب «تات خبرورع» «بسوسنس»، وإن «ماعت كارع الثانية» زوج «أوسركون الأول» وأم «شيشنق» الكاهن الأكبر يجب أن تعد بنت «تات خبرورع» (بسوسنس الثاني). (راجع L. R. III p. 302).

وفي اعتقادنا أن كل هذه الآثار تُنسب إلى «بسوسنس الثاني».

الأسرة الثانية والعشرون

مقدمة

كانت المواقف الحربية الهامة التي وقعت بين الفرعون «مرنبتاح» واللوبيين خاتمة الحروب التي نشبت منذ أزمان سحيقة بين المصريين والغزاة واللوبيين، وقد دل عددهم الهائل الذي هاجم الديار المصرية مع أن غزوتهم هذه لم تكن كغزواتهم السابقة لمجرد السلب والنهب، بل إنهم زحفوا في هذه المرة بجيش له قيادته العليا، وكان غرضه الأول احتلال مصر واستيطانها، وعلى الرغم من الانتصار العظيم الذي أحرزه «مرنبتاح»، وخلَّدَ أخباره على جدران معبد مدينة هابو (راجع مصر القديمة الجزء السابع)، فإن اللوبيين قد أخذوا بعد تلك الحرب الأخيرة يوطِّدون أقدامهم في أرض الكنانة، والواقعُ أنهم كانوا حتى بعد ذلك الوقت في عهد «رمسيس الثالث» الذي حاربهم وأوقع بهم الهزيمة يتدفقون على البلاد بكثرة وينتشرون في أرجائها، وبعد موته لم يكن في مقدور مصر أن تقاوم أي غزو من جهة الغرب بصفة جدية؛ لضعف ملوكها.

على أن اللوبيين أنفسهم بما لهم من اتصال وثيق بالمصريين بحق الجوار لم يعتمدوا في استيطانهم أرض مصر على الحرب فحسب، بل أخذوا يَنْفُذُون إلى البلاد بالطرق السلمية، وبخاصة إذا علمنا أن مصر في أواخر الأسرة العشرين وطوال الأسرة الواحدة والعشرين كانت تتخبط في مجاهل الثورات والفتن التي قضت على كل مواردها وأفقدتها نفوذها وسلطانها على كل ممتلكاتها في آسيا وأفريقيا تقريبًا، هذا إلى أن جيش فرعون قد أصبح معظمه يتألف من الجنود المرتزقة الذين كانوا جُلُّهم من اللوبيين وكان همهم السلب والنهب. من أجل كل ذلك لم نشهد لفراعنة هذه الفترة مناظر انتصارات على

جدران المعابد ترتكز على حقائق تاريخية، كما يُثبت لنا ذلك الصورةُ التي تركها لنا «رمسيس السادس» وقد مُثِّلَ فيها منتصرًا على اللوبيين، وقد خلف لنا تمثالًا صغيرًا محفوظًا بمتحف «القاهرة»، وهو يأخذ بناصية أسير لوبي (راجع Bissing Denkm. Taf. 55 B). وليس لدينا أية حقائق تاريخية تشير إلى وقوع حرب بين هذا الفرعون وأهالي «لوبيا»، بل على العكس، نجد أن تيار نزوح اللوبيين وقبائل «المشوش» بخاصة كان — على ما يظهر — لا ينقطع سيلهم عن البلاد، وإذا علمنا أن عدد الجنود المرتزقة من «المشوش» قد ارتفع بدرجة عظيمة، وأخذ هؤلاء الأجناد يستولون على زمام الأمور في البلاد لا بكثرة عددهم، بل بما أوتوا من شباب وروح وثَّابٍ طَمُوح، أدركنا أنه لم يكن للمصريين قِبَلٌ بمقاومتهم. ولم يمضِ طويلُ زمنٍ على تسرب هؤلاء القوم في داخل البلاد حتى أَلَّفوا لأنفسهم طائفة حربية كان معظم رجال الجيش من شبابها؛ لما كان جُلُّ الرتب الحربية وأعظمها خطرًا في قبضتهم، فكانوا يؤسسون لأنفسهم إقطاعات في أنحاء البلاد، وبخاصة في «أهناسية المدينة» التي كانت تعد مسقط رأسهم،[١] و«منف»، وغيرها من كبريات البلاد.

وقد ظهر نفوذ هذه الطائفة الحربية في «مصر» وكان يطلق عليها أجناد «المشوش»، واختُصر هذا الاسم إلى أجناد «مي»، ثم أخذ ينمو في خلال الأسرتين؛ العشرين، والواحدة والعشرين بدرجة مستمرة، وقد أدت جرأة هؤلاء القوم وشدة بطشهم إلى أن استولت طائفة من لصوص «المشوش» وعصابات اللوبيين على «طيبة» نفسها (راجع مصر القديمة الجزء الثامن)، وبذلك أصبحوا أسياد البلاد، وانتهى الأمر بتولي واحد منهم — وهو «شيشنق الأول» — عرش المُلك بعد موت آخر فرعون من فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين عام ٩٤٥ق.م، وأسس الأسرة الثانية والعشرين التي اتخذت «بوبسطة» (الزقازيق الحالية) عاصمة للملك.

ولقد كان هؤلاء الغزاة الأجانب من وقت لآخر يَتَسَمَّوْنَ بالأسماء المصرية مثل: «عنخ حور»، مع أن حامل الاسم لم يكن مصري المنبت. وبتعاقب الزمن أصبح اسم «مي» — وهو اختصار «مشوش» — لا يطلق على أولئك اللوبيين وحسب، بل كان يطلق على طبقة

---

[١] لأن آخر ملوك الرعامسة في الأسرة العشرين طلب إليهم أن يحموا الحدود الغربية من غارات قبائل الصحراء الغربية المتزايدة، فكانت هذه المدينة — وهي عاصمة المقاطعة العشرين من مقاطعات الوجه القبلي — هي مركز قيادتهم، وبخاصة أنها قريبة من البلاد اللوبية الأصلية (موطنهم الأصلي).

الأشراف الذين كان بعضهم من أصل مصري، وبوجه عام نجد أنهم كانوا قد حافظوا على أسمائهم اللوبية كما حافظوا على لقبهم «مي» اللوبي، وهو اللقب الذي كانوا يُنعتون به، ومعناه: السيد أو الأمير. فكان يقال: «مي»؛ أي «المشوش»، كما كان يقال: الرئيس العظيم لقوم «مي» باختصار، وكذلك كان يقال: رئيس «مشوش» بكتابة الاسم دون اختصار، وكذلك كان رؤساؤهم يسمون الرئيس العظيم لقومٍ «ريبو»؛ أي «لوبيا».

فراعنة الأسرة الثانية والعشرين

كان فراعنة الأسرة الثانية والعشرين يُسَمَّوْن على رأي «مانيتون» ملوك «بوباسطة»، في حين أن مؤرخي اليونان كانوا ينعتونهم فراعنة «تانيس» (راجع Ungar chronologie des Manetho p. 232). ومن الصعب أن يقرر الإنسان على وجه التأكيد أين كانت عاصمة الملك في زمنهم، وأين كان مقرهم في معظم الوقت، وإن كانت الكشوف الحديثة قد أثبتت أن ما كُشِفَ من مدافنهم حتى الآن موجود في «تانيس» (صان الحجر). ولا نزاع في أننا وجدنا آثارًا لهؤلاء الملوك في طول البلاد وعرضها، هذا بالإضافة إلى أن الجزء الأعظم منها عُثِرَ عليه في الوجه البحري؛ مما يدل على أن نفوذهم كان في شمال البلاد أعظم منه في جنوبها. وقد دلت الكشوف التي قام بها كلٌّ من الأثَرِيَّيْنِ؛ «ليجران» و«دارسي» على أنه أصبح في مقدورنا أن نميز عصرين ظاهرين ظهورًا واضحًا في تاريخ الأسرة الثانية والعشرين، فنجد أولًا: من بداية حكم «شيشنق الأول» حتى حكم «أوسركون الثاني» أن سلسلة الفراعنة كانت متصلة، وأن مصر في هذه الفترة كانت مملكة موحدة، فكان الوجه القبلي والوجه البحري موحدين توحيدًا قويًّا تحت صولجان واحد، وثانيًا: نلحظ أنه منذ حكم الفرعون «أوسركون الثاني» أخذ أمراء «الدلتا» الصغار ينسبون لأنفسهم صفات الملك وألقابه، وقد ساعد على ذلك ضعف الحكومة المركزية؛ مما أدى في نهاية الأمر إلى تأليف نوع من الإقطاع في الدلتا، كان معظم أمرائه يعترفون في بادئ الأمر بسيادة «أوسركون الثاني» عليهم وكذلك بأخلافه الشرعيين.

هذا، ويلاحَظ أنه منذ عهد «أوسركون الثاني» أخذت السلطة في البلاد تنقسم قسمين كما كانت الحال في عهد الأسرة الواحدة والعشرين عندما كان الكهنة العظام مستقلِّين بمقاليد الحكم في «طيبة» تمام الاستقلال من الوجهة الدينية والإدارية، في حين كان ملك

مصر في تانيس يسيطر على الوجه البحري فقط، وإن كان يعد في الظاهر ملكًا لمصر عامة؛ شماليها وجنوبيها، وقد ظل هذا الانقسام باقيًا حتى الاحتلال الأثيوبي.

وبعد ذلك قامت في طيبة أسرة حقيقية مناهضة للأسرة الحاكمة، وهذه الأسرة هي التي يسميها «مانيتون» الأسرة الثالثة والعشرين، وقد جعل مقرها «طيبة»، ومن ثم نفهم أن الأسرتين؛ الثانية والعشرين، والثالثة والعشرين كانتا تحكمان في وقت واحد جنبًا لجنب، فواحدة كانت تحكم في الشمال، والأخرى كانت تحكم في الجنوب. وتدل شواهد الأحوال على أنهما كانتا من نسل واحد، ولم يمضِ طويل زمن حتى نشأت أسرة أخرى جديدة في «سايس» (صان الحالية)، وهي الأسرة الرابعة والعشرون على حسب رأي «مانيتون»، ومؤسسها الفرعون «بكنرف» الذي أطلق عليه اليونان اسم «بوكاريس» المشهور.

وقد استمر تمزيق شمل البلاد منذ ذلك الوقت دون انقطاع إلى أن أفضى إلى حكم البلاد بأكثر من اثني عشر مَلِكًا قسموا البلاد فيما بينهم حوالي عام ٨٦٠ق.م، ونعرف جزءًا كبيرًا من هذه الممالك الصغيرة، غير أننا لا نزال عاجزين حتى الآن عن تحديد مواقعها كلها. وعلى أية حال، فإن هذه الدويلات لم يمتد أجلها أمدًا طويلًا؛ إذ انتهز الأثيوبيون (الكوشيون) تلك الفوضى التي سادت البلاد وغزوا كل وادي النيل واستولوا عليه عَنْوَة، وأعادوا النظام في البلاد ولكن لمصلحتهم الشخصية، وليس لدينا مصادر وثيقة عن هذا العصر خاصَّةٌ بمدة حكم كل ملك أكثر مما ذكره «مانيتون»، وبعض مصادر أخرى جديدة، ولكن يمكن أن نحكم أن المدة التي انقضت بين تولِّي الفرعون «شيشنق الأول» — وهو أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين — وتولِّي الملك «شبكا» — أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين — هي حوالي مائتين وخمسٍ وعشرين سنة تقريبًا على حسب ما جاء من توافق في التواريخ بين مصر والأمم المجاورة لها، ومن المحتمل أن آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين كان لا يزال على عرش الملك في مصر عند غزو الأثيوبيين لها، وأن الأسرة الخامسة والعشرين قد حلت مباشرة محل الأسرة الثانية والعشرين في مصر العليا التي كان يحكمها رؤساء كهنة «آمون»، في حين أنها حلت محل الأسرتين؛ الثالثة والعشرين، والرابعة والعشرين في الدلتا، وهذا هو رأي «بريستد» (راجع Br. A. R. IV p. 693) الذي دافع عنه عندما قدَّر مدة حكم الأسرة الثانية والعشرين بما يقرب من مائتين إلى مائتين وثلاثين سنة، ولكن الظاهر أن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين هم الذين كانوا يحكمون في «طيبة» كما سنرى بعد.

وعلى أية حال، فإن تولي ملوك الأسرة الثانية والعشرين عرش الكنانة قد جاء في أحوال يحوطها الغموض والإبهام؛ إذ لا نعلم شيئًا قط محددًا عن نهاية الأسرة الواحدة والعشرين، ولعل الكشوف المقبلة تُميط اللثام عن هذا الموضوع.

ولما كانت الأسرة الثانية والعشرون قد حكمت البلاد مدة قصيرة منفردة، ثم اشترك معها بعد هذه المدة الأسرة الثالثة والعشرون، ثم الأسرة الرابعة والعشرون، وكانت كل أسرة تحكم في جهة خاصة، فإنَّا سنحاول هنا أن نضع قائمة بملوك كل أسرة من هذه الأسر الثلاث فيها موازنة بقدر ما يسمح به ما لدينا من معلومات عن هؤلاء الملوك ومدة حكم كل واحد منهم، ويلاحَظ أن علماء الآثار لم يستقروا حتى الآن على رأي قاطع بالنسبة لمدة حكم كل ملك من هؤلاء الملوك. هذا، وسنُلْحِق بهذه القائمة رؤساء الكهنة الذين كانوا يحكمون في طيبة في خلال تلك الأسر؛ لما لهم من أهمية بالغة في حكم البلاد؛ إذ كانوا يُعَدُّون بمثابة ملوك مستقلين في جنوب البلاد في عاصمتهم «طيبة» المقر الديني العظيم.

ملوك الأسرة ٢٢				الكهنة العظام
	عدد السنين			
	مانيتون	آثار		
شيشنق الأول	٢١	٢١ + س	٩٥٠ق.م إلى ٩٢٩ق.م	أوبوت
أوسركون الأول	١٥	٣٦ + س	٩٢٩ إلى ٨٩٣	شيشنق
تاكيلوت الأول	—	٢٣ + س	٨٩٣ إلى ٨٧٠	حورسا أزيس (١)
أوسركون الثاني	—	٢٣ + س	٨٧٠ إلى ٨٤٧	نمروت؛ حورنخت
شيشنق الثاني	—	—	—	—
تاكيلوت الثاني	١٣	٢٥ + س	٨٤٧ إلى ٨٢٣	أوسركون
شيشنق الثالث	—	٥٢	٨٢٣ إلى ٧٧٢	حورسا أزيس (٢) أوسركون
بامي …	—	٦	٧٧٢ إلى ٧٦٧	تاكيلوت
شيشنق الخامس	—	٣٧ + س	٧٦٧ إلى ٧٣٠	أورات
				سمندس

ملوك الأسرة ٢٣	عدد السنين			ملوك الأسرة ٢٤	عدد السنين			ملوك الأسرة ٢٥	عدد السنين		
	مانيتون	آثار			مانيتون	آثار			مانيتون	آثار	
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
بدوباست	٤٠	٢٣ + س	٨١٧ ؟٧٦٣	—	—	—	—	—	—	—	—
شيشنق (٤)	—	٦ + س	؟٧٦٣ ؟٧٥٧	—	—	—	—	—	—	—	—
أوسركون (٣)	٩	٦ + س	؟٧٥٧ ؟٧٤٨					بيعنخي	—	٢١	٧٥١ ٧١٦
تاكيلوت الثالث	—	—	٧٤٨ إلى ٧٣٠	تفنخت	—	١٠	٧٣٠ ٧٢٠				
آمون رود	—	—		بكنرف (نوكاريس)	٦	٦	٧٢٠ ٧١٥				
أوسركون (٤)	—	—									

أصل الأسرة الثانية والعشرين

حكَم فراعنة الأسرة الحادية والعشرين أرض الكنانة قرابة قرن وربع قرن من الزمان، وقد واجهتهم في خلال تلك المدة صعاب كثيرة خلقتها الحروب الداخلية التي قامت بين أهل البلاد والأجانب الذين استوطنوها، وقد اتخذ ملوك هذه الأسرة — كما ذكرنا من قبل — مقرهم الأخير في «تانيس» فأقاموا مقابرهم في خرائب معبد تلك المدينة العظيمة التي هدموها وأقاموا من أنقاضها معابد وقصورًا ومقابر، ولم يكن للإله «ست» فيها أثر يذكر بعد أن كان أهم معبود فيها. ومما يلفت النظر أن مقابر ملوك هذه الأسرة التي أقيمت في هذه البقعة لا تزيد في أهميتها وعظمتها عن مقابر علية القوم وأوساطهم في العصور السابقة لذلك العصر، وبخاصة إذا قيست بمقابر علية القوم في الأسرة الثامنة عشرة، غير أن الموميات الملكية التي عُثر عليها حديثًا من عهد هذه الأسرة كانت تمتاز بجهازها الجنازي الفاخر، وما يتبعه من زينة وزخرف.

وقد ادَّعى ملوك الأسرة الواحدة والعشرين أنهم حكموا مصر من أقصاها إلى أقصاها، غير أنهم في الواقع أحجموا عن منازلة كهنة آمون الأشداء البأس، الأقوياء السلطان في أي أمر من الأمور الدينية أو الأمور الدنيوية الخاصة بمصر العليا، ومن أجل ذلك كانوا يُحِلُّون ثالوث «طيبة» في المنزلة الأولى من حيث الخضوع والتعبد، وكذلك كانوا يعيشون مع جيرانهم اليهود في فلسطين في ود ومصافاة؛ وقد حاولوا أن تكون علاقتهم مع جبيل (ببيلوص) علاقة مُرْضِية أساسها الود والمهادنة، ومن ثم كانت اتصالاتهم مع بلاد سوريا والأقاليم التي يرويها الفرات لا غبار عليها، وقد كان مَثَلُ ملوك الأسرة الثانية والعشرين — الذين تولوا زمام الأمور في مصر بعد الأسرة الواحدة والعشرين — كمَثَلِ فراعنة الرعامسة الذين اتخذوا «بررعمسيس» (قنتير الحالية) مقرًّا لحكمهم مدة طويلة؛ إذ كانوا ينتسبون

إلى أسرة قديمة يرجع عهد استيطانها في البلاد إلى أزمان بعيدة، كما تدل على ذلك الوثائق التي في متناولنا حتى الآن.

(١) الوثائق الخاصة بأصل أسرة اللوبيين

لوحة «حور باسن»

تعد لوحة «حور باسن» — التي سنورد ترجمتها والتعليق عليها هنا — أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» بباريس (راجع Louvre No. 278. Mariette Le Serapeun Memphis III, PI. 31)، وقد عُثر عليها في «السربيوم» (مدافن العجل أبيس) «بمنف»، وقد أقامها «حور باسن» القائد الحربي والكاهن الأعظم للإله «حرشف» (حرسافيس) لمدينة «أهناسية المدينة» في السنة السابعة والثلاثين من حكم الفرعون «شيشنق الرابع»؛ أي عند نهاية الأسرة الثانية والعشرين بمناسبة دفن عجل أبيس.

وهاك ترجمة هذه اللوحة قبل التحدث عن محتوياتها وأهميتها في تاريخ هذه الأسرة.

تاريخ العجل أبيس

قدم هذا الإله لوالده «بتاح» في السنة الثانية عشرة (ويلاحظ أن سلف هذا العجل قد دفن في السنة الحادية عشرة في شهر بئونة) (راجع Le Serapeum de Memphis PI. 30)، في الشهر الرابع من الفصل الثاني، اليوم الرابع من حكم الملك «عا–خبر–رع» ابن «شيشنق (الرابع) معطي الحياة»، وقد ولد (هذا العجل) في السنة الحادية عشرة من عهد جلالته، وقد دفن في مأواه الأخير بالجبانة في السنة السابعة والثلاثين، الشهر الثالث من الفصل الأول، اليوم السابع والعشرين من عهد جلالته.

الجيل السادس عشر: من أسرة حور باسن؛ ليته (أي الإله) يمنح الحياة والسعادة والصحة وفرح القلب لابنه المحبوب كاهن الإلهة «نيت» (المسمى) «حور باسن».

الجيل الخامس عشر: ابن الأمير حاكم الجنوب، ورئيس كهنة «أهناسية المدينة»، وقائد الجيش «حمبتاح» الذي أنجبته كاهنة «حتحور» صاحبة «أهناسية المدينة» أخته ربة البيت (التي تدعى) «إرترو».

الجيل الرابع عشر: ابن مثيله (أي إن والده كان يحمل نفس الألقاب ويشغل نفس الوظائف مثل الابن) «حور باسن» الذي أنجبته حاملة الصاجات التابعة للإله «حرشف» ملك الأرضين وحاكم الشاطئين «بتبتدس».

الجيل الثالث عشر: ابن مثيله «حمبتاح» الذي أنجبته مثيلتها، (أي إنها مثيلة «بتبتدس» في ألقابها) (التي تدعى) «ثانقمت».

الجيل الثاني عشر: ابن مثيله المسمى «وز-بتاح-عنخ» الذي أنجبته كاهنة «حتحور» صاحبة «أهناسية المدينة» بنت الملك السيدة «تنتسبح».

الجيل الحادي عشر: ابن مثيله «نمروت» الذي أنجبته حاملة الصاجات الأولى للإله «حرشف» ملك الأرضين وحاكم الشاطئين، المسماة «تنتسبح».

الجيل العاشر: ابن رب الأرضين أوسركون (الثاني) الذي أنجبته «وازمرت-أنخوس» (؟).

الجيل التاسع: ابن الملك «تاكيلوت» (الأول) والأم الإلهية «كابس».

الجيل الثامن: ابن الملك «أوسركون» (الأول) والأم الإلهية «تاشد خنسو».

الجيل السابع: ابن الملك شيشنق (الأول) والأم الإلهية «كارعمعت».

الجيل السادس: ابن الكاهن والد الإله الرئيس العظيم «نمروت» والأم الإلهية «تنتسبح».

الجيل الخامس: ابن مثيله (في الألقاب) «شيشنق» وابنة والد الملك «محتنوسخت».

الجيل الرابع: ابن مثيله «باثوت».

الجيل الثالث: ابن مثيله «نبنشي».

الجيل الثاني: ابن مثيله «ماواساتا».

الجيل الأول: ابن اللوبي (تحن) المسمى «بويوواوا».

فيلبث الرجل ابن الرجل الآخر منهم لبثًا، ويبقى بقاءً، ويُخَلَّد تخليدًا، ويفلح فلاحًا في معبد الإله «حرشف» ملك الأرضين وحاكم الشاطئين دون أن يفنى أبد الآبدين في «أهناسية المدينة».

وأول ما يلاحظ في نقوش هذه اللوحة أنه جاء فيها ذكر ستة أفراد عاشوا قبل «حور باسن» الذي أقامها، وقد عاش «حور باسن» هذا في أواخر الأسرة الثانية والعشرين. والواقع أنه يحدثنا في نقوش لوحته عن أجداده حتى الجيل السادس عشر من أسرته، ويُلحَظ أن قائمة أجداده التي وضعها أمامنا تبتدئ بذكر أربعة أشخاص لا نعلم عنهم شيئًا أكثر من أسمائهم:

(١) «بويوواوا» وهو من أصل لوبي (تحنو).
(٢) وابنه «ماواساتا» على حسب قراءة «مونتيه»، و«ماوش» على حسب قراءة «برستد».
(٣) ثم ابنه «نبنشي».
(٤) وأخيرًا شخص يدعى «باثوت».

وأول ما يسترعي النظر في هذه الأسماء هو أن الاسمين الأولين ليسا من المسميات المصرية، ولا بد أنهما من أصل لوبي أو زنجي، وعلى أية حال، فهما ليسا من أصل سامي من حيث النطق والشكل، أما الاسمان الأخيران فهما مصريان في تركيبهما وشكلهما. ويُلحَظ فضلًا عن ذلك أنه لم يُذكر لنا في هذه اللوحة ألقاب هؤلاء الأشخاص الأربعة كما لم تُذكر أسماء زوجاتهم، كما هي الحال في الأسماء الأخرى، ولم يبدأ ذكر العلاقات الأسرية في نقوش اللوحة إلا عندما ذكر لنا «حور باسن» كاتبها أن «شيشنق» هو ابن «باثوت». ولا بد من التنويه هنا بأن المصري كان في غالب الأحيان يستعمل كلمة والد أو ابن بمعناها الواسع، وعلى ذلك يجدر بنا أن نعد أربعة الأجداد الأُوَل الذين ذكرهم «حور باسن» في أول اللوحة بمثابة أجداد ينتسبون إلى الماضي البعيد؛ هذا إذا لم نَعُدَّهم من الشخصيات الأسطورية، وعلى هذا الزعم يمكننا أن نضع بينهم وبين الأسماء التي تلي «باثوت» السالف الذكر فاصلًا؛ لأن الأشخاص الذين ذُكروا بعده يعدون شخصيات معروفة لنا تمام المعرفة.

هذا، ونعرف مما لدينا من وثائق أخرى «شيشنق» وزوجه الأم الملكية «محتنوسخت» وابنها الذي يحمل لقب الكاهن والد الإله، والرئيس الأعظم لقوم «مي» المسمى «نمروت»، وكذلك نعرف اسم زوجه، وهي الأم الملكية «تنتسبح»، ويلي ذلك في نقوش اللوحة أسماءُ أربعة الملوك الأُوَل للأسرة الثانية والعشرين، وهم:

(١) شيشنق الأول.

(٢) أوسركون الأول.
(٣) تاكيلوت الأول.
(٤) أوسركون الثاني.

أما «حور باسن» الذي أقام اللوحة فهو ابن «نمروت» أحد أبناء «أوسركون الثاني»، ولم يكن «نمروت» هذا الوارث لعرش الكنانة بعد والده؛ ولذلك لم تُتَحْ له فرصة حكم البلاد قط.

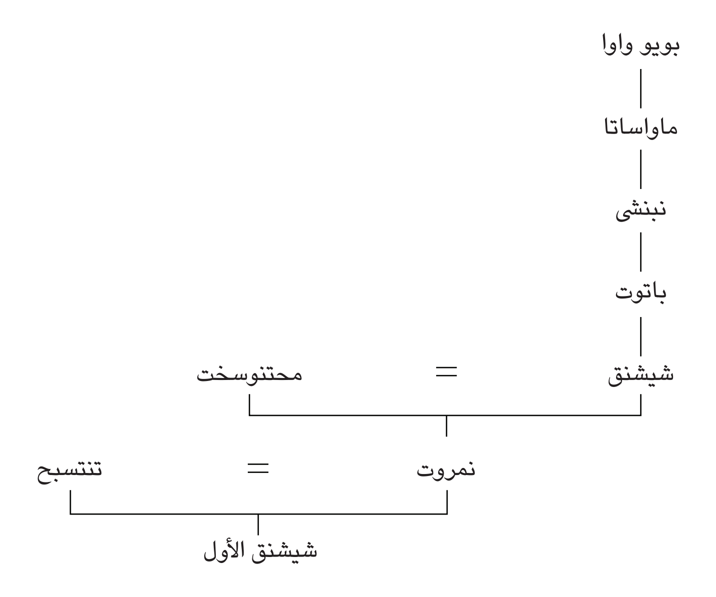
وقد جاء ذكر أجداد «شيشنق» الأول في وثيقتين أخريين؛ الأولى: لوحة نشرها الأثري «دارسي» (راجع A. S. Tome XVI. p. 177)، فنشاهد على الجزء الأعلى المستدير منها منظرًا مثلثًا فيه شخصية واقفة تتعبد للإله «أوزير» رب السماء، وتلقب هذه الشخصية الرئيس العظيم لقوم «مي» (المشوش) المرحوم، وفي الجزء الأسفل من اللوحة نقرأ المتن التالي: «عمله الرئيس العظيم لقوم «مي»، «عظيم العظماء» «شيشنق» المرحوم، ابن الرئيس العظيم لقوم «مي» (المسمى) «نمروت» المرحوم، وأمه هي بنت الرئيس العظيم لقوم «مي» (وتسمى) «تنتسبح» المرحومة بجوار العائش إبديا.» (يقصد هنا «أوزير» إله الموتى).

ويُلحظ أن هذا النسب الذي على هذه اللوحة يتفق مع ما وجدناه مذكورًا على لوحة «حور باسن»، وكذلك يتفق مع ما جاء في مرسوم «العرابة» (راجع مصر القديمة الجزء الثامن). ونص هذه اللوحة يحدد لنا قراءة اسم والد الملك، ويلحظ كذلك أن لقب «مشوش» أو «مي» قد اختُصِرَ فأصبح يدعى رئيس الأجانب وحسب، وهذا ليس بالمَثَلِ الوحيد الدال على ذلك.

أما الوثيقة الثانية: فهي صدرية عُثر عليها في «تانيس» حديثًا على مومية الملك «حقاخبررع» «شيشنق (الثاني)»، وقد نُقش عليها نَسَبُ هذا الملك (راجع Le Drame D'varis p. 198ff). وهاك ما نُقِشَ عليها: «ليت «آمون رع» — حور أختي يخترق السماء كل يوم ليحمي الرئيس العظيم لقوم «مى» «عظيم العظماء».» والظاهر أن الشخصيتين اللتين ذُكرتا على الصدرية واللوحة السالفة الذكر واحدة، غير أنه من الصعب وضعها في مكانها الأكيد في قائمة الأجداد التي دُوِّنت في لوحة «حور باسن».

والواقع أن علماء الآثار قد اختلفوا في هذا الموضوع؛ فيظن «دارسي» أن اللوحة كانت قد عُملت قبل تولي الأسرة الثانية والعشرين، وأن «شيشنق» الذي ذُكِرَ عليها هو الفرعون الأول الذي حمل هذا الاسم، غير أن مدلول اللوحة لا يوحي بذلك قط. والواقع أننا لا نعرف

من مصدر موثوق به إذا كان الملك «شيشنق» يحمل لقب الرئيس العظيم لقوم «مي» قبل توليته العرش أم لا، ولكن من جهة أخرى نعرف أن جد هذا الملك كان يسمى كذلك «شيشنق»، وأنه كان يحمل لقب الرئيس العظيم لقوم «مي»، وعلى ذلك تكون هذه اللوحة قد أُهْدِيَت للجد لا للحفيد، وأن الرحمة التي كان يُرجَى إنزالها من «آمون رع حورأختي» كما جاء في نقش الصدرية كانت لهذا الجد، ومن المهم جدًّا إذن أن نلحظ هنا أن والد هذه الشخصية كان يدعى «نمروت»، وأنه قد تزوج من سيدة تدعى «تنتسبح». هذا، ويلاحَظ كذلك منذ ظهور هذه الأسرة أن اسم «شيشنق» كان يأتي بعده اسم «نمروت» على التوالي؛ وذلك لأن كل ابن بكر كان يسمى باسم جده. ومما سبق يُمْكِنُنَا مما جاء على لوحة «حور باسن» ومن المتون الأخرى أن نضع سلسلة أجداد الأسرة الثانية والعشرين. وهاك سلسلة النسب:[1]



[1] ويلاحَظ أن الأستاذ مونتيه قد جاء بسلسلة نسب لهذه الأسرة كان للخيال فيها مجال واسع (راجع Le Drame D’Avaris. p. 200).

هذا هو تسلسل نسب الأسرة التي انتهت بتولي «شيشنق الأول» ملك مصر، وأسس الأسرة الثانية والعشرين.

وسنحاول هنا أن نتحدث أولًا عن مملكة طيبة الإلهية في عهد الأسرة الثانية والعشرين، ثم نشفع ذلك بالكلام عن ملوكها بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، متبعين في ذلك الطريقة التي جرينا عليها عند الكلام على الأسرة الواحدة والعشرين.

المملكة الإلهية الطيبية[١] في عهد الأسرة الثانية والعشرين

تدل شواهد الأحوال على أن انتقال الحكم من ملوك الأسرة الواحدة والعشرين إلى ملوك الأسرة الثانية والعشرين قد حدث في جو يسوده الهدوء، كما يوحي بذلك ما قام به «شيشنق» من تجديد تمثال الملك «بسوسنس» آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين (راجع Legrain, Cat. Gen. Stat. III p. 1)، وهذا التمثال منحوت في حجر «البروفير»، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٣٥ سنتيمترًا، عُثِرَ عليه في خبيئة «الكرنك»، ويُعَدُّ قطعة من آيات الفن المصري، ويمثل الفرعون جالسًا على عرشه، غير أنه مما يؤسف له أن الرأس وجد مهشمًا! وقد مُثِّلَ حول قاعدة هذا التمثال تسعة من الأقوام المغلوبين على أمرهم. هذا، ومما يؤكد انتقال الحكم إلى يدي «شيشنق» في جو يخيم عليه السلام، ما جاء على لوحة الواحة الداخلة التي سنتكلم عنها فيما بعد؛ فقد ذُكر في نقوشها تسجيل مساحة أرض أُجْرِيَ في السنة التاسعة عشرة من حكم فرعون يدعى «بسوسنس»؛ غير أننا لا نعلم على وجه التأكيد أي «بسوسنس» يقصد هنا؛ هل هو «بسوسنس الأول» أم «الثاني»؟ وقد لقب

[١] إن أهم مصدر عن مملكة طيبة الدينية هو ما كتبه الأستاذ «إدورد ماير»، مضافًا إلى ذلك ما جاء في الكشوف الحديثة التي قام بها «مونتيه» (راجع Gottestaat. Militar Herrschaft in Aegypten Zur Geschichte der 21 und 22 Dynastrie Von Edward Meyer. Sitzungsberichte der Prous-sichen Akademie Der Wissinschaften XXVIII, Sitzung der philosophisch-historischen-Klasse 15. Nov. 1928. p. 495 etc).

«بسوسنس» في هذه اللوحة «بسوسنس» الإله العظيم، ونحن نعلم من ناحية أخرى أن بنت «بسوسنس» آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد تزوجت من «أوسركون» ابن «شيشنق الأول»، وهو الذي أصبح «أوسركون الأول» بعد وفاة والده (راجع Rec. Trav. XXXIII. p. 10, J. E. A. VI XIX. p. 230ff).

وقد كان لزامًا على القائد «شيشنق» عندما أقصى آخر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين من الحكم، وأسس حكومة عسكرية في مصر أن يُخْضِعَ لسلطانه كذلك الحكومة الإلهية التي كانت قائمة في «طيبة» وقتئذ، وتدل الأحوال على أنه لم يغير شيئًا في النظام الذي كان قائمًا هناك؛ إذ بقيت «طيبة» كما كانت عليه من قَبْلُ، مقاليدُ أمورها في يد الإله «آمون».

ولا أدل على ذلك من أننا نجد «أوسركون الثاني» يقول في نقش له نقشه في عيده الثلاثيني أمام والده «آمون» ما يأتي: «إني أحمي طيبة طولًا وعرضًا، طاهرة معدة لسيدها فلا يطؤها موظفون تابعون لبيت الملك، وكذلك أصبح كل سكانها محميين بالاسم العظيم لهذا الإله.» (أي الملك) (راجع Naville, Festival Hall of Osorkon II. PI. 6).

وقد بقي النظام في «طيبة» كما كان في «منف»، حيث كانت رياسة الكهنة مستمرة يتولى شئونها أفراد من الأسرة المالكة،[٢] فنجد أن الفرعون «شيشنق» — بدلًا من أن يترك رؤساء الكهنة العظام القدامى يستمرون في شغل هذه الوظيفة الهامة — نصَّب ابنه «أوبوت» فيها، وظلت الحال على هذا المنوال طوال حكم هذه الأسرة. ومن ثم نفهم أن رياسة الكهنة للإله «آمون» في «طيبة» يعد أفرادها فرعًا ثانيًا من الأسرة المالكة، ومن ثم قضى على أسرة الكهنة العظام في «طيبة» بوصفها أسرة أخرى قائمة بجانب الأسرة الحاكمة للبلاد.

ويجب أن نلحظ هنا أن الكاهن الأكبر في «طيبة» لم يكن الابن الأكبر للملك الحاكم دائمًا؛ بل كان ابن الملك الذي سيخلفه (راجع Wreszinski. Die Hohenpriester des Amon. Diss. Berlin, 1904).

[٢] راجع ما كتبه «دارسي» عن سلسلة النسب التي بين أسرة الكاهن الأعظم للإله «بتاح» في تلك الفترة، وبين أسرة الفرعون «شيشنق الأول» (راجع Rec. Trav. XVIII. p. 46ff).

ولم نجد إلا عددًا قليلًا من بين هؤلاء الكهنة العظام الذين تولوا الرياسة في طيبة قد حل محل والده على عرش الملك، كما كانت الحال مع «بينوزم» الأول في عهد الأسرة الواحدة والعشرين (راجع مصر القديمة الجزء الثامن).

ونجد من جهة أخرى أن الكاهن الأكبر «لآمون» كان يحمل — فضلًا عن لقب رياسة الكهنة — لقب رئيس الجيش، والرئيس الأعظم، كما كانت الحالة في عهد الأسرة السابقة، ونعرف كذلك أن «أوبوت» ابن الفرعون «شيشنق» الأول كان يلقب زيادة عن الألقاب السابقة: «الذي على رأس الجيش العظيم للجنوب كله» (راجع L. D. III, 254 C. & 253 C). ويُلحَظ هنا أن لقب القائد الأول لجيوش جلالة الفرعون، والرئيس الأعلى كان كذلك مستعملًا في عهد الأسرة السادسة والعشرين، ويحمله رجل يدعى «سحر Teos, Tachos» نُقش على تمثاله الذي عُثر عليه في «تانيس»، وهو من بين الكهنة العظام لآمون (راجع Mariette. Mon. Divers, p. 107: Wreszinski Ibid. p. 69).

وخلف «أوبوت» في رياسة كهنة آمون الكاهن الأكبر «شيشنق»، وهو ابن الفرعون «أوسركون» الأول خلف «شيشنق» الأول، ونجد في النقوش التي وجدت على تمثال هذا الكاهن الذي أهداه «لآمون» أن اللقب الأخير الذي كان يحمله الكاهن الأكبر قد زيد فيه بعض الشيء؛ فأصبح يدعى سيد الجنوب والشمال، والرئيس الأعلى «شيشنق» محبوب «آمون»، وقائد الجيش الأعظم لمصر كلها. هذا، ونجده فضلًا عن ذلك يطلب الحياة، والصحة، والعافية، والعمر المديد، والشيخوخة الجميلة، والقوة، والنصر على كل بلد في الداخل والخارج. هذا بالإضافة إلى أن اسمه وضع في طغراء، وهو الذي أصبح يعد «شيشنق الثاني» كما سنرى بعد. وقد كُشف عن مقبرته حديثًا، وليس لدينا من الآثار ما يدل على أنه قام بأي عمل تعسفي، أو أنه قد أثار أية فتنة على والده لِنَيْل لقب الملك. ويقول «إدورد مير»: إن والده قد منحه لقب الملك؛ ليكون مثله في ذلك مثل «حريحور» عندما تولى الملك وأشرك معه «سمندس»، كما تحدثنا عن ذلك من قبل (جزء ٨)، وقد كان كل منهما يحمل لقب الملك، غير أنه في الحالة التي نحن بصددها نجد أنها جاءت بطريقة مخفية بعض الشيء، ولكن «مونتيه» يقول: «إنه على حسب الكشف الأخير عن مقبرة «شيشنق» هذا إنه تولى الحكم بعد موت والده «أوسركون» الأول كما سنرى بعد.»

وتولى رياسة الكهنة بعد «شيشنق» ابنه «حورسا إزيس» في طيبة (راجع Bisstatue. Birch, Catalogue of Alnwick Castle no. 313). ويتعلق بهذا الموضوع تمثال لكاهن يدعى «نختفموت» صنع من الجرانيت وعثر عليه في خبيئة الكرنك عام ١٩٠٤

(راجع Legrain. Cat. Gen. Stat. III. p. 20, et Legrain. Rec. Trav. XXVII. p. 75ff)، وقد نُقش على جلد الفهد الذي يرتديه اسم الفرعون «أوسركون الثاني»، وهذا التمثال كان قد أهداه لهذا الكاهن الملك «مري آمون حورسا إزيس»، ويرجع نسب «نختفموت» هذا من جهة أمه — كما سنرى بعد — للكاهن الأكبر «أوبوت» بن «شيشنق الثاني»، وهذا هو الرأي الصحيح، أما ما رواه «دارسي» من أن «نختفموت» هذا هو حفيد بعيد للملك «حورسا إزيس» فقول مردود؛ وذلك لأنه خلط بين «نختفموت» هذا وسَمِيٍّ له بينهما قرابة.

ومما تحسن الإشارة إليه هنا أن اللقب الحربي الذي كان يحمله الكاهن الأكبر لا يمكنه أن يكون مجرد لقب لا أهمية له فِعليَّة، ويجدر بنا أن نفهم أن الجنود اللوبيين وضباطهم من «المشوش» كان يتألف منهم في عهد الأسرة الواحدة والعشرين معظم رجال الجيش في البلاد، وكذلك في عهد الأسرة الثانية والعشرين كانوا تحت إدارة الكاهن الأكبر «لأمون»، ولكن كان يوجد بجانب جيش السيادة الروحية أو الدينية جيوش المقاطعات، وكانت قيادتها في إقليم «طيبة» في يد «شيشنق الأول»، ثم تخلى عنها لابنه الكاهن الأكبر «لآمون». ونعلم كذلك من جهة أخرى أن «أوسركون» الأول قد وسَّع سلطان ابنه على رياسة الجيش — ولو اسمًا — في كل مصر.

وتدل النقوش على أن توَلِّي «شيشنق» رياسةَ الكهنة، ومن بعده «حورسا إزيس» كان في عهد الفرعون «أوسركون الأول» و«تاكيلوت الأول» «أوسركون الثاني»: وقد خلفهما في رياسة الكهنة «نمروت»، وهو ابن الملك «أوسركون الثاني»، وكان الأخير بدوره على ما يُظَنُّ الكاهنَ الأكبر للإله «حرشف» إله «أهناسية المدينة» الأعظم، ويدل ما لدينا من آثار باقية على أن هذه الوظيفة كانت وراثية في الأسرة المالكة، وسلسلة نسب هذه الأسرة معروفة لدينا من لوحة «حور باسن» التذكارية التي أقامها في مدفن «السربيوم» كما شرحنا ذلك فيما سبق [راجع الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين]. ومن جهة أخرى نجد أن «أوسركون الثاني» نصب ابنه «نمروت» كاهنًا أكبر «لآمون»، وفي الوقت نفسه أشرك ابنه «تاكيلوت» الثاني في المُلك وجعله خليفته. ونعرف على حسب ما جاء في التواريخ الخاصة بمقاييس ارتفاع النيل التي نُقشت على مرسى الكرنك (راجع A. Z. 34. p. 112 no. 12) أن السنة الثامنة والعشرين من حكم الفرعون «أوسركون الثاني» موحدة بالسنة الخامسة من حكم ابنه «تاكيلوت»، وقد لاحظ الأستاذ «إدورد مير» أن التغير الذي عمله «دارسي» في قراءة السنين ٢٢، ٢٣ إلى ٣٥، ٣٨ غير مقبول، في حين

أن القراءة التي أدلى بها كلٌّ من «برستد» و«بتري» و«جوتييه» يجب الأخذ بها وإن كانت لا تزال موضع شك (راجع Br. A. R. IV § 697; L. R. III p. 337).

والمقصود من ذلك أن البلاد كان يحكمها وقتئذ ملكان؛ أحدهما في الشمال وهو «أوسركون الثاني» وعاصمته «بوبسطة»، والثاني يحكم في الجنوب وهو «تاكيلوت» الثاني وعاصمته طيبة. ويضيف «جوتييه» إلى ذلك أنه في الإمكان أن يُعْزَى هذا التاريخ المزدوج إلى الملك «أوسركون» الثالث وابنه «تاكيلوت» الثالث؛ وذلك لأن كلًّا منهما كان يُنعَت بلقب «سا إزيس» (أي ابن إزيس)؛ فقد ذكر الأول بأنه الملك «أوسركون» الثالث ابن «إزيس»، وذكر الثاني بأنه «تاكيلوت» الثالث ابن «إزيس» (راجع L. R. III p. 337)، وهذا هو الرأي المرجَّح.

وعلى هذا الزعم نعلم أن «نمروت» قد ورث عن أخلافه رياسة الكهنة في «طيبة»، وتشمل سلسلة نسبه ستة أجيال باستثناء «حور باسن» الذي كان لا يحمل إلا لقب كاهن الإلهة «نيت»، فكان كل واحد من أخلافه يُلقَّب الرئيس الأعلى المشرف على الجنوب، ورئيس كهنة «أهناسية المدينة»، وكذلك كان يلقب «نمروت» هذا كاهن «آمون» بالإضافة إلى لقب رئيس جند «أهناسية»، والرئيس الأعلى. وكان كل الوجه القبلي حتى الفيوم وكذلك رياسة جيش الرديف فيما مضى في يده وحده.

وتُحَدِّثُنا النقوش أن «تاكيلوت الثاني» تزوج من «كارمعمع» ابنة «نمروت» (أي تزوج من ابنة أخيه)، وأنه في السنة الحادية عشرة من حكمه نصب ابنه «أوسركون» كاهنًا أكبر لآمون في طيبة (راجع L. D. III p. 257 a L. 6, 7; & Br. A. R. IV § 770 note C.)، ثم نصَّبه في الحال القائد العام للجيش، والرئيس الأعلى لكل الأرض، أو رئيس الجنوب. ونعلم من البقية الباقية التي وصلتنا من تاريخ نقوشه العظيمة (راجع Br. A. R. IV, § 756ff) أنه في السنة الخامسة عشرة من حكم والده شبت نار ثورة عظيمة امتد لهيبها إلى جنوب البلاد وشمالها، وقد انقضت عدة سنين والثورة متأججة حارب فيها «أوسركون» والده وحزبه. وفي جزء آخر من نقوشه نقرأ أن «أوسركون» نزل في النيل متجهًا نحو الشمال من «النوبة» راجعًا إلى «طيبة»، وهناك قدم قربانًا عظيمًا لآمون فتقبله قبولًا حسنًا.

وليس لدينا معلومات دقيقة عن الزمن الذي استغرقته هذه الحروب، يضاف إلى ذلك أن التواريخ التي لدينا عن العصر الذي أعقب تلك الحروب ليست كافية، فنعلم حسب نقش مؤرَّخ بالسنة الخامسة والعشرين من حكم «تاكيلوت» أن «أوسركون» كان وقتئذ

كاهنًا أكبر لآمون على حسب ما جاء في لوحة وجدت في معبد قديم يرجع عهده إلى أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة، كان قد أقيم للإله «أوزير» رب الأبدية، ثم أعيد تجديده في عهد الأسرة الثانية والعشرين وما بعدها، وهذه اللوحة خاصة بأملاك مغنية بيت آمون «كارمعمع» كما سنرى بعد (راجع A. S. IV p. 183) وتنحصر أهمية هذا الأثر في أنه يحدثنا أولًا عن أعلى تاريخ عرف للملك «تاكيلوت الثاني» وهو السنة الخامسة والعشرون، وقد دوَّن عليه هِبتَه خمسةً وثلاثين ستات (أرورا) من الأرض الأميرية لمغنية معبد آمون تدعى «كارمعمع»، غير أننا لا نعرف إذا كانت هذه الهبة خُصِّصَت لقربان قبرها أو لإمداد تمثالها بالمؤن في المعبد، والصورة التي في أعلى اللوحة يشاهَد فيها الإلهان؛ «آمون» و«خنسو» على اليسار، وتظهر أمامهما المغنية «كارمعمع» خارجة من مقصورة أو تابوت وفي يدها إضمامة من البردي وهي تتعبد لهذين الإلهين، ويحتمل أن هذه الإضمامة هي الوثيقة بهذه الهبة من الأرض، وفي أسفل اللوحة النقش التالي: «السنة الخامسة والعشرون من عهد ملك الوجهين القبلي والبحري «تاكيلوت الثاني» العائش سرمديًّا، والكاهن الأكبر لآمون «أوسركون».

في هذا اليوم ثبتت ملكية خمسة وثلاثين أرورا من الأراضي المدنية لمغنية معبد آمون ابنة الملك «كارمعمع».»

وكذلك نعلم من النقوش أن «أوسركون» هذا كان كاهنًا أكبر من السنة الثانية والعشرين إلى السنة السادسة والعشرين، ومن السنة الثامنة والعشرين إلى السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك «شيشنق الثالث»، وقد ذكرت لنا الأوقاف التي عملها في خلال تلك المدة، ولدينا كذلك تاريخ مدون في مقاييس النيل التي دونت على مرسى الكرنك يدل على أنه في السنة التاسعة والثلاثين من حكم الملك «شيشنق الثالث» كان «أوسركون» لا يزال يشغل منصب الكاهن الأكبر لآمون (راجع Legrain, A. Z. 34 p. 113 No 22). وفي نفس هذه السنة يحدثنا نقش خاص بتنصيب وزير أن الكاهن والمشرف على الجنوب والرئيس الأعلى «أوسركون» ابن الملك «تاكيلوت» محبوب «آمون» احتفل في اليوم السادس والعشرين من الشهر التاسع بعيد «آمون» مع أخيه قائد جنود «أهناسية المدينة» والرئيس الأعلى المسمى «باكبتاح»، وبعد فجوة قصيرة في المتن الخاص بذلك نقرأ: «سقط كل محارب ضدهما.» (راجع Rec. Trav. 22, p. 55)، وهذه العبارة الأخيرة تدل على أن الاضطرابات لم تكن قد انتهت بعد. هذا، إلى أن الإمارتين الروحيتين في كل من «طيبة» و«أهناسية المدينة» كانتا قد انفصلتا ثانية، ونصِّب في كل منهما أحد أبناء الفرعون الذي كان يعمل

فيها بنفسه، غير أنه لم يظهر في شجرة النسب التي وردت في لوحة «حور باسن» [راجع الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين] اسم الأمير «باكبتاح»، وعلى ذلك فإنه لا بد كان قد ورث وظيفته الروحية من فرع آخر من فروع الأسرة التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد.

ويمكن القول من النقوش التي اقتبسناها خاصة بحكم الفرعون «تاكيلوت» الثاني: إنه حكَمَ على أقل تقدير خمسًا وعشرين سنة، وعلى ذلك تكون مدة تربع «أوسركون» على عرش رياسة كهنة آمون بدأت من السنة الحادية عشرة من حكم «تاكيلوت» الثاني حتى السنة التاسعة والثلاثين من عهد الفرعون «شيشنق» الثالث — وهو الذي كان مثل «أوسركون» من أبناء الملك «تاكيلوت» الثاني — الذي حكم اثنين وخمسين عامًا (راجع Br. A. R. IV § 778).

ويُلَقَّب «شيشنق الثالث» في نقوش الكاهن الأكبر «أوسركون» الفرعون «وسرماعت ستبن رع» «مري آمون شيشنق باستت» (راجع L. D. III. 258 A. L. 7). في تاريخ السنة الثامنة والعشرين من حكمه، وكذلك يلقب بهذا في مقاييس النيل المدونة على مرسى الكرنك في تاريخ السنة التاسعة والثلاثين من حكمه (راجع Legrain Ibid, 34 No. 22) وذلك بإضافة العبارة التالية: في زمن الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون» وهذا يتفق سويًّا، ولكن لدينا من جهة أخرى كذلك مقياس نيل آخر رقم ٢٣ مؤرخ بالسنة السادسة من حكم الفرعون «مري آمون شيشنق» ويحمل اسم التتويج: «وسر ماعت رع ستبن آمون» مع إضافة العبارة التالية: في زمن الكاهن الأكبر «حورسا إزيس»، وقد فرَّق الأثري «دارسي» بين هذين التاريخين، وعد الأخير الذي يحمل لقب «ستبن أمون» «شيشنق الثاني» وأنه هو التاريخ الأقدم على حسب رأيه، أما الفرعون الذي يحمل لقب «ستبن رع» فقد عَدَّه أحدث مِنْ سابِقِه وعَدَّه «شيشنق الثالث»، ولكنا بوساطة لوحات عجول أبيس التي عُثِرَ عليها في «منف» أمكننا أن نستخلص منها أن الأسرة الثانية والعشرين قد خُتمت بترتيب الملوك على الوجه الآتي: «شيشنق الثالث» (على حسب الترتيب المتفق عليه) وحكم اثنتين وخمسين سنة، وخلفه الفرعون «بامي» (ومعنى بامي = القط) وحكم على أقل تقدير ست سنوات، و«شيشنق الرابع» وحكم على أقل تقدير سبعًا وثلاثين سنة.

ويقول «إدورد مير»: «إنه على حسب هذا الترتيب لا يكون هناك مجال لوجود «شيشنق» آخر، بل الواقع أننا نجد أن «شيشنق الثالث» الذي مات في السنة الثامنة والعشرين من عهده أحد عجول «أبيس» ونُصب مكانه أبيس آخر جديد، كان لقب هذا

الملك في هذه السنة التي أقام فيها اللوحة باسم التتويج «ستبن آمون»، وفي السنة التي مات فيها العجل الثاني ونصب آخر مكانه أقام لوحة أخرى، لقب نفسه فيها «ستبن رع» بدلًا من «ستبن آمون».» (راجع Serapeum Stele PI. 24 & PIs. 27, 28). وعلى ذلك نجد أن الاسمين يدلان على ملك واحد، ومن ثم لا نجد لدينا إلا مخرجًا واحدًا لتفسير ذلك، وهو أنه في عهد «شيشنق الثالث» حدثت فترة في عهد رياسة «أوسركون» لكهنة آمون كان قد أقصى فيها الأخير عن مزاولة وظيفته، وفي خلالها تولى مكانه رياسة الكهنة «حورسا إزيس»، ويحتمل أن تلك الفترة كان لها علاقة بزمن الفتن التي حدثت في عهده، وهي الفتن التي قال عنها «أوسركون» نفسه: إنها ابتدأت في السنة الخامسة عشرة من حكم والده «تاكيلوت»، ويبرهن على ذلك بعض تواريخ مقاييس النيل المدونة على مرسى الكرنك، فنعلم أن «حورسا إزيس الثاني» كان يقوم بأعباء وظيفة الكاهن الأكبر لآمون في السنين السادسة والسادسة عشرة والتاسعة عشرة من حكم الملك «بدوباست»، وهذا الملك هو الذي يقول عنه «مانيتون»: إنه أول ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.

والواقع أنه ليس لدينا شيء كثير يُذكر عن هذه الأسرة. وقد قال عنها «مانيتون»: إنها نشأت في «تانيس». غير أن شواهد الأحوال تدل على أن اسم أول ملك من ملوكها وهو «بادوباست» (هدية الإلهة باست) يرجع أصله إلى «بوبسطة» (تل بسطه؛ أي الزقازيق الحالية)، ومن ثم يظهر أن ملوكها كانت لهم صلة نسب بملوك الأسرة الثانية والعشرين.

وقد استولى «بادوباست» أولًا على الدلتا ثم نال بعد ذلك السيادة على طيبة كما تُحَدِّثنا عن ذلك لوحة من لوحات «السرابيوم». هذا، وتدل الأحوال على أن الأسرة الثانية والعشرين قد مكثت في «منف» حتى نهاية حكم الملك «شيشنق» بوصفها الأسرة المسيطرة هناك.

وتدل الآثار على أن «بادوباست» والكاهن الأكبر «حورسا إزيس» كانا موجودين في نفس الوقت الذي كان يحكم فيه «شيشنق»، وقد برهن على صحة ذلك الأثري «لجران» في شجرة النسب التي وضعها مما جاء على نقوش التماثيل التي كشف عنها في «طيبة» في خبيئة الكرنك، وهي الخاصة بعظماء تلك الفترة، وسنتحدث عنها بعد، فنجد أنه بعد ذكر اسم «بادوباست» كاملًا نقرأ في السطرين اللذين يليان ذلك ما يأتي: «إن القائد الأكبر للجيش، والرئيس الأعلى «بادوباست» ابن الملك «شيشنق» محبوب آمون قد أقام الباب العظيم من الحجر.» وهذا يدل على أن حكم «بادوباست» قد وقع جزء منه على الأقل بعد حكم «شيشنق» الثالث؛ وذلك لأن هاتين الأسرتين؛ الثانية والعشرين، والثالثة

والعشرين كانتا تحكمان في وقت واحد في جزءَين مختلفين من البلاد، وعلى هذا النحو نجد التواريخ المزدوجة النادرة على نقوش مرسى الكرنك الخاصة بمقاييس النيل، فنجد المقياس رقم ٢٤ جاء فيه: «السنة الثانية عشرة التي تقابل السنة السادسة من حكم «بادوباست».» ويلاحَظ أن التاريخ الأول قد ذُكر دون أن يُذكر معه اسم الملك الذي نقشه. ويَظُن الأثري «دارسي» أنه خاص بالملك «شيشنق الثالث». وفي المقياس رقم ٢٦ نجد أن السنة السادسة عشرة من حكم الملك محبوب آمون «بادوباست» تقابل السنة الثانية من عهد الملك «أوبوت»، ولكن من جهة أخرى لا يمكن أن يكون الملك «أوبوت» هذا هو حاكم بلدة «تنتريو» الواقعة في الدلتا موحدًا مع الملك «أوبوت» الذي ذُكر على لوحة «بيعنخي» الأثيوبي كما سيأتي بعد. بل يجوز أن يكون سلفًا وتابعًا لفرع من فروع الأسرة الثانية والعشرين المنتشرة في البلاد، وأنه ذهب إلى «طيبة» يبغي الاعتراف به ملكًا، ولكنه لما خاب مسعاه عاد إلى الدلتا (راجع Rec. Trav. 30. p. 202).

وتدل الآثار على أنه كان حاكمًا لمقاطعة «ليونتوبوليس» (تل المقدام)، وكان يحمل لقب «وسرماعت رع ستبن آمون»، وهو اللقب الملكي العادي وقتئذ، وقد أضاف إليه عبارة: «ابن باستت» وتدل النقوش على أن «حورسا إزيس» كان كاهنًا أكبر في عهد «بادوباست»، وذلك على حسب ما جاء في ملاحظة تاريخية في السنة الثامنة من حكمه، خاصة بتنصيب كاهن في السنة الثامنة من حكم هذا الفرعون (راجع Rec. Trav. 22, p. 52, 57) ولكنه اتخذ لنفسه لقب الملك كما فعل من قبل الكاهن الأكبر «شيشنق» ابن «أوسركون الأول»،[3] وهو الذي كان ابنه الكاهن «حورسا إزيس»، ونجد كذلك اسمه على آنية عُثر عليها في «قفط» نُقش عليها لقب الملك كاملًا بما في ذلك الاسم الحوري واسم التتويج، وبجانب ذلك نجد لقب الكاهن الأكبر لآمون (راجع A. S. VI. p. 123). ونقرأ مدوَّنًا على تمثال الكاهن «زد خنسو فعنخ» أن ابن أخته في شجرة نسب الأسرة كان يدعى «حورسا إزيس مري آمون»، وقد وضع اسمه في طغراء ملكية مع لقب الملك (راجع Legrain Cat. G'en. Stat, III p. 25ff)، ومن ثَمَّ يشعر الإنسان أنه كان قد ادعى لنفسه كذلك حق الملك التام نقلًا عن رؤساء كهنة الأسرة الواحدة والعشرين، غير أنه لم يجسر على إعلان ذلك بصفة جدية بل أعلن ذلك في خوف، وجعل هذا اللقب ضمن متاع بيته الذي تركه لخلفه يتوارثونه على آثارهم.

[3] وقد دلت الكشوف الحديثة على أنه كان ملكًا فعلًا كما سنرى بعد.

ولدينا حالة أخرى من هذا القبيل أكثر تعقيدًا وأشد ارتباكًا وهو نقش خاص بزيادة النيل ضمن نقوش مرسى الكرنك، وأعني بذلك النقش رقم ٢٩ المؤرَّخ بالسنة الثالثة والعشرين من عهد الملك «بادوباست»، وهو لكاهن أكبر يدعى «تاكيلوت»، والأخير بلا نزاع خلف «حورسا إزيس الثاني» ومن المعلوم أن «تاكيلوت» هذا كان كاهنًا أكبر في السنة السادسة من عهد الملك «مري آمون شيشنق» الذي يحمل لقب التتويج «وسرماعت مري آمون» وهو شيشنق الرابع». ولكن يدل ما لدينا من نقوش حتى الآن على أن «شيشنق الرابع» كان يحمل لقب «عا — خبر-رع»، وهو الفرعون الذي دفن في السنة السابعة والثلاثين من حكمه آخر عجل أبيس من عهد الأسرة الثانية والعشرين كما جاء في لوحة «حور باسن». وينبغي على ذلك أن يكون «شيشنق» هذا هو «شيشنق الخامس»، وهو الذي جاء بعد «بادوباست» الذي عاصر عهده حكم «شيشنق الثالث» البوبسطي.

ومما سبق يشعر القارئ أننا قد لجأنا إلى وضع فروض للوصول إلى تلك النتائج؛ مما يدل على عدم الاستقرار في الحكم والارتباك في داخل البلاد. وعلى أية حال، فإنَّا لا زلنا — مع ذلك وعلى الرغم من الكشوف الحديثة — بعيدين عن الوصول إلى رأي حاسم في ترتيب هؤلاء الملوك، اللهم إلا إذا وصلت إلينا مادة جديدة واضحة تزيح هذا الغموض وتذهب بهذا الارتباك.

ومما تجدر ملاحظته فضلًا عمَّا ذكرنا أنه قد نقش على الكتف اليمنى لتمثال خال الملك «حورسا إزيس» السابق الذكر أسماء ملكين نفهم منهما أنهما متحدان، وأنهما كانا يحكمان بوصفهما ملكًا واحدًا لمصر؛ فنقرأ المتن التالي: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «مري آمون تاكيلوت سا أزيس» ملك الأرضين — ابن رع «مري آمون أوسركون ابن أزيس» سيد الأرضين.» (Cat. Gen, Stat. III p. 28 Daressy. Rec. Trav. 38. 17.) ومن مضمون هذا المتن نعلم أن هذين الملكين كانا يؤلفان وحدة من نوع نادر في الألقاب الملكية؛ أي إنهما ضمَّا مُلْكَيْهِمَا معًا ليتألف منهما وحدة مثالية، والملك «أوسركون» الذي ذكر في هذا المتن لا يمكن أن يكون إلا الفرعون «أوسركون الثالث» أحد ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، وهو الذي خلف «بادوباست» على حسب قول مانيتون، وفي زمنه نُقش على ما يظهر بعض مقاييس النيل على مرسى الكرنك (من رقم ٦ إلى ٢١).

غير أن هذه المقاييس لم تؤرَّخ بِسِنِي حكم الملك بل أُرِّخت بِسِنِي حكم الكاهن الأكبر لآمون في «طيبة»؛ فنُسبتْ للكاهن الأكبر «سمندس» السَّنَتَان: الثامنة والرابعة عشرة، وللكاهن الأكبر«أورات» السنة الخامسة، وهذان التاريخان يُعَدَّان إثباتًا لعهد ملك يدعى «أوسركون»، غير أنه مما يؤسف له أنه ذُكر دون تدوين اسم تتويجه.

ونجد في نقوش مرسى الكرنك بلا شك أصل هؤلاء الكهنة العظام؛ ففي النقوش القديمة منها نلحظ أنها تَذكر أسماء الملوك فقط، ولكن النقوش التي من عهد الفرعون «شيشنق الثالث» وكذلك التي من عهد الملك «بادوباست» نجد أنه قد أضيف إلى النقش الذي على المرسى العبارة التالية: «من عهد الكاهن الأكبر «حورسا إزيس» و«تاكيلوت» و«أوسركون».» ونفهم من هذه النقوش مباشرة كيف أن «حورسا إزيس» كان يرنو إلى لقب الملك، وكيف أن «أوسركون» ابن الملك «تاكيلوت الثاني» قد حكم بمثابة ملك في طيبة، وقد أبرز ذلك بصورة واضحة في نقوشه التي خلَّفها لنا على جدران معبد الكرنك وعلى جدران ردهة «بوباسطة». هذا، ونجد كذلك أن كلًّا من الكاهنين العظيمين؛ «سمندس» و«أورات» قد أُرِّخا بِسِنِي حكمهما، وقد ذكر بجانب ذلك اسم والدهما بوصفه ملكًا اسميًّا وحسب.

ونجد أنه حتى عندما كان يجب أن تشير هذه التواريخ إلى هؤلاء الكهنة — كما يلاحظ في التواريخ التي من عهد الكهنة العظام في عهد الأسرة الواحدة والعشرين — فإن هذا يدل على أن هؤلاء الكهنة كانوا هم الحكام الحقيقيين، ويؤكد كذلك تمامًا ما نجده مذكورًا من أسماء هؤلاء الكهنة في نهاية كل تاريخ من سلسلة تواريخ مقاييس النيل التي دُوِّنت على مرسى الكرنك.

ونعرف — فضلًا عما سبق — اسم الكاهن «أورات» من مرسوم تركه لنا عن اتفاق خاص بمساحة من الأرض لابنه، وقد لُقِّب هذا الكاهن في هذا المرسوم «قائد الجنود الأعلى» و«الرئيس الأعلى» «أورات» الذي على رأس جيش الجنوب حتى إقليم أسيوط (راجع Ermann A. Z. 35. p. 13ff). وهذه الألقاب تدل على أنه كان لا يزال يحمل الألقاب الحربية التي كان يحملها من قبل «أوبوت» و«شيشنق»، غير أن امتداد ملكه كان لا يتعدى أسيوط.

ولكن من جهة أخرى نجد أنه في عهد «بيعنخي» كانت «هرموبوليس» (أشمونين) قد أصبحت مملكة خاصة تحت حكم «نمروت»، وهنا يمكن القول بأن الملك «تحوعحب» محبوب «تحوت» كان صاحب «هرموبوليس»، وقد وجد اسمه منقوشًا على كتف تمثال لأحد المقربين المسمى «تاحسرت» (راجع A. S. X. p. 101. et Legrain. Cat. Gen. Stat. III. p. 32).

ولا نعلم على وجه التأكيد أين كان يحكم «تاكيلوت الثالث» الذي ذكر مرتبطًا مع «أوسركون» على نقوش تماثيل، غير أنه يمكن للإنسان مع نفس اسمه أن يصل إلى أنه كان ضمن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين كما سنرى بعد.

ويتساءل المرء الآن: هل ينبغي علينا أن نفهم أنه قد حدث اتحاد بين الأسرتين فحكَمَا معًا؟ والواقع أننا نعرف أن كلًّا من هذين الملكين قد أقام محرابًا للإله «أوزير» في معبد الكرنك، وقد تم بناؤهما في عهد الملك «شابا تاكا»، وبجانب هذين الملكين نجد ذكر بنت الملك «أوسركون» المسماة «شبنأبت» وهي التي نصبها والدها في وظيفة زوج أمون.

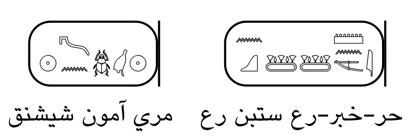
وقد ظهرت كذلك بوصفها بنت الملك «أوسركون» على تمثال «أمنردس» (راجع Lieblein. Agp. Denkm. Aus Petersburg T. I & 2).

وبذلك نصل إلى العهد الأثيوبي؛ إذ كانت «شبنأبت» هذه معروفة بأنها تبنت «أمنردس» بنت الملك «كشتا» الأثيوبي، وكان يحكم في نفس الوقت الذي يحكم فيه هؤلاء الملوك في الصعيد منذ سنين طويلة من أواخر الأسرة الثانية والعشرين الملك «عاخبررع» «شيشنق الخامس» في منف. وفي هذه الفترة كان «تفنخت» صاحب بلدة «سايس» (وهي صا الحالية القريبة من كفر الزيات) قد بدأ سلطانه يظهر واستولى كذلك على «منف»، ولمَّا كان «بيعنخي» الأثيوبي قد تغلب عليه — كما سنفصل القول في ذلك بعد — كان على ابنه «بوكاريس» مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين أن يعيد ملك والده. وهنا نجد أمامنا نقطة هامة يمكن الارتكاز عليها في تاريخ هذا العهد الغامض، وذلك أنه في السنة السابعة والثلاثين من عهد «شيشنق الخامس» مات عجل من عجول أبيس المقدسة، ودُفن سَلَفُهُ في السنة السادسة من حكم الملك «بوكاريس» في نفس حجرة الدفن التي دفن فيها العجل السابق، ونحن من جانبنا لا نعلم مدة حياة العجل؛ فإذا فرضنا أنه عاش حوالي عشرين سنة فإنه يمكننا القول: إن «بوكاريس» قد حكم من سنة ٧٢٠ إلى سنة ٧١٥ق.م، وجاء قبله حكم «تفنخت» وحملة «بيعنخي» على مصر، وكذلك حَكَمَ «شيشنق الخامس» بما يقدر من حوالي ٧٧٠ إلى ٧٣٠ق.م، وحَكَم سلفه «بامي» مدة قصيرة، وحكم «شيشنق الثالث» حوالي ٥٢ سنة ويقدر ذلك من سنة ٨٢٥ إلى ٧٧٤ق.م تقريبًا. وعلى هذا الفرض تقع السنين العشر الأولى من حكم «بادو باست» حوالي ٨٠٠ سنة ق.م، وهذه التواريخ كلها تقريبية؛ إذ لا يمكننا بما لدينا من معلومات أثرية حتى الآن إعطاء تواريخ محددة.

وكان الأثيوبيون قبل أن يمد «تفنخت» فتوحه في الشمال قد بسطوا سلطانهم على «طيبة» بقيادة ملكهم «كشتا»، وقد خلفه «بيعنخي» ولكن لم يشتبك مع «تفنخت» للمرة الأولى إلا في السنة الواحدة والعشرين من حكم «بيعنخي»، أما الملك «أوسركون» الذي كان يحكم في «بوصير»، فهو الذي كان يلقب «أوسركون الثالث»، ولا بد أنه كان قد سحب نفسه من هناك هو أو أحد أخلافه الذي كان يحمل نفس الاسم.

وخلافًا لذلك نعلم من أثرين صغيرين اسم ملك يدعى «رود آمون» ويحمل لقب الملك المعتاد «وسرماعت رع ستبن آمون» (راجع L. R. III. p. 392)، وقد نقش عليهما ما يوحي أنه ابن ملك يدعى «أوسركون» (راجع Rec. Trav. 19, 20)، وقد قضى على الحكومة الإلهية في طيبة منذ أن بدأ الحكم الأثيوبي في مصر، وحل محل الكاهن الأكبر منذ ذلك الوقت امرأة كانت تُدعى «زوج الإله» وكانت تعد الرئيسة الدينية والوصية على أملاك معبد آمون، كما سنتحدث عن ذلك بعد بالتفصيل.

الفرعون شيشنق الأول



(١) مقدمة

تحدثنا في الفصل السابق عن دولة الكهنة العظام في عهد الأسرة الثانية والعشرين وما كان لها من شأن في تاريخ البلاد وعلاقتها بملوك مصر الذين اتخذوا مقرهم في الدلتا، غير أننا لم نتحدث عن الملوك إلا بقدر محدود، مُرجئين ذلك للتحدث عنهم بالتفصيل بقدر ما وصل إلينا من معلومات، وبخاصة ما كُشف من مقابرهم أخيرًا في «تانيس»؛ مما مهد لنا السبيل إلى معرفة ما كانت عليه البلاد من الوجهة الدينية والمادية بعض الشيء.

حَكَمَ «شيشنق» على حسب ما جاء في «مانيتون» إحدى وعشرين سنة (راجع Unger Chronologie des Manetho p. 232. Variants Sesonchusis, Senechosis, Sesochons, M. Wiedemann, Aegyp. Gesch. p. 548 note 2.)، وقد وحَّد «فيدمان» هذا الملك بالملك المسمى «سوساكوس Sousakos» الذي ذكره «جوسيفس»، وبالملك الذي ذكره «أبو الفرج» باسم «شساكوس».[١]

---

[١] وقد اختُلف في نطق اسم «شيشنق»؛ فبعضهم ينطقه «شوشنق» وقد كُتب بالمصرية «شيشق» (راجع في هذا الموضوع J-Simons. Egyptian Topographical Lists p. 88). وإنه لمن الصعب القول بأن

وأحدَثُ تاريخٍ عُثر عليه لهذا الملك على الآثار هو السنة الواحدة والعشرون والرابعة والعشرون (راجع Rec. Trav. XX. p. 12–21).

والظاهر أن حكم «شيشنق» كان معاصرًا بضع سنين لحكم آخِر فراعنة «تانيس»، وهو على حسب رأي «جوتييه» «بسوسنس الثالث» (راجع Rec. Trav. XXVII. p. 76 et Ibid XXV. p. 144).

وتاريخ تولية «شيشنق» الملك لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، ولكنه لا بد قد وقع بعد عام ٩٤٥ق.م.

وقد كَشَفَتْ لنا اللوحة التي دوَّن عليها «حور باسن» تاريخ أحد عجول أبيس عن تاريخ أسرة «شيشنق» ورسوخ قدمها في مصر منذ زمن طويل، وقد عرفنا منها ومن غيرها من النقوش ما كان لهذه الأسرة اللوبية من نفوذ في أنحاء البلاد، وبخاصة من الوجهة الحربية والوجهة الدينية.

وقد رأينا فيما سبق (في الجزء الثامن من مصر القديمة) أن «شيشنق» أمير «أهناسيا المدينة» قد دفن ابنه «نمروت» في معبد «العرابة»، وأنه لجأ إلى قرار الوحي الإلهي عندما اعتُدِيَ على هذا القبر، كما كان يفعل المصريون القدامى في كل عصور تاريخهم، ومع ذلك نجد أن هؤلاء «المشوش» أو اللوبيين كانوا يحتفظون بأسمائهم اللوبية، وكذلك كانوا يحتفظون بعادة وضع ريشتين في شَعرهم المستعار وهي عادة لوبية. ولا غرابة في ذلك فقد كان يُطلَق عليهم القوم الذين يلبسون الريشتين.

أسرة «شيشنق» ترجع إلى أصل بابلي، غير أن الأثري «مونتيه» قد قرر ذلك دون أن يفسر لنا السبب الذي دعاه إلى اتخاذ هذا الرأي تفسيرًا شافيًا. وعلى أية حال، فإن هؤلاء الأمراء اللوبيين قد تمصَّروا بمرور الزمن. أما موضوع وجود أسطوانات بابلية في مقابر «شيشنق حقا خبر رع» والأمير «حورنخت» ابن «أوسركون» الثاني فيمكن أن تكون دليلًا يَعْضُدُ فكرة أن هذه الأسرة من أصل شرقي، وقد كان في الإمكان أن نضيف إلى ذلك عادة وجود الضحايا الإنسانية التي تبرهن على وجودها الهياكل الإنسانية في الرمال موضوعة على سرير مثلث من اللبنات بجوار المقابر الملكية إذا لم يكن أقرب هذه المقابر الملكية من هذه الدفنات هو قبر الملك «بسوسنس» الذي لم يكن من أسرة «شيشنق»، وكذلك إذا لم يكن قرب آسيا كافيًا لتفسير هذه العلاقات الدالة على تأثير عاداتها في مصر (راجع Chronique D'Egypte p. 47 1949).

وتدل ظواهر الأمور على أن أسرة «شيشنق» كان لها شأن خاص إذا ما قُرنت بالأسر اللوبية الأخرى المنتشرة في أنحاء البلاد؛ فقد كانوا أصحاب النفوذ والسلطان في «أهناسيا المدينة» منذ زمن بعيد؛ إذ إن جدهم «ماواساتا» كان يعمل في بادئ الأمر بوصفه الكاهن والد الإله في هذه المدينة، وعلى الرغم من أن أخلافه كانوا يحملون نفس هذا اللقب فإنَّا نجد فيما بعد أنهم قد أصبحوا ذوي نفوذ في هذه المقاطعة وكذلك في مصر الوسطى، فنجد أن «شيشنق» قد أفلح في بسط سلطانه الحربي بوصفه الرئيس الأعلى الحربي لهذه المستعمرة اللوبية التي كان مقرها «أهناسيا المدينة»، وكان كما ذكرنا من قبل يحمل بجانب هذا اللقب الوراثي (الرئيس الأعظم لقَوْمِ «مي») وهو اللقب الذي كان يحمله ابنه (نمروت) و«شيشنق» نفسه قبل توليته عرش الملك. وقد ذكر لنا «مانيتون» أن هذه الأسرة من أصل بوباسطي لا من أصل أهناسي، وتدل الأحوال على أن ابن «نمروت» قد أفلح في بسط نفوذه في أواخر عهد آخر ملك في «تانيس» حتى مدينة «بوباسطة»؛ وذلك لأنه قد عثر في أثناء الحفائر التي قامت في تلك الجهة على قاعدة تمثال كُتب عليها (الرئيس العظيم لقوم «مي» «شيشنق»). وهذا الأثر يدل على أنه قد عُمِلَ قبل تولي هذا العاهل ملك مصر. وبدهي أن هذا الفرعون لم يَعْتَلِ عرش الملك إلا بعد موت الملك بسوسنس آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وليس لدينا أي دليل على أن شيشنق قد اغتصب الملك قسرًا، أو ما يشير إلى قيام أي ثورة للاستيلاء على العرش، بل على العكس نرى أن هذا الفرعون كان يمجد آثار من سبقه من ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، والظاهر أنه قد عمل على أن تكون توليته الملك بصفة شرعية، ويدل على ذلك أنه زوَّج ابنه أوسركون الذي أصبح فيما بعد الفرعون أوسركون الأول من ابنة الملك «بسوسنس» التي تُدْعى ماعت كارع.

هذا في الوجه البحري، أما في طيبة عاصمة الملك الدينية فتدل الظواهر على أن «شيشنق» لم يمد سلطانه على الوجه القبلي و«طيبة» كما حدث في شمالي البلاد، حقًّا إن كهنة آمون لم يكن في مقدورهم تجاهل حادث تولية شيشنق عرش الملك الذي أُعلن في كل أنحاء البلاد، والظاهر أنهم لم يعترفوا بلقب الملك له في الحال، كما يدل على ذلك نقش وجد على قطعة حجر بالكرنك نقش على أحد وجهيها التاريخ التالي: «السنة الثانية من عهد الرئيس العظيم لقوم مي شيشنق.» وعلى الوجه الآخر نجد نقشًا مؤرَّخًا بالسنة الثالثة عشرة من عهد الملك شيشنق محبوب آمون (راجع Rec. Trav. 22 p. 54 note 4).

ويظن بعض المؤرخين بحق أن تولية شيشنق ملكًا على البلاد وتنصيب ابنه أوبوت كاهنًا أكبر على طيبة قد أحفظ معظم كهنة آمون وجعلهم يتركون البلاد ويلجئون إلى

أعالي بلاد النوبة في إقليم «نباتا» القريبة من الشلال الرابع، ومن هؤلاء الكهنة كان أصل ملوك أثيوبيا الذين فتحوا البلاد المصرية، وأسسوا فيها الأسرة الخامسة والعشرين كما سنرى بعد.

ولا غرابة في ذلك؛ فقد كان كهنة آمون هم المسيطرون على شئون الوجه القبلي خلال الأسرة الواحدة والعشرين، وكانوا يُعَدُّون بمثابة ملوك لهذا الجزء من البلاد كما تحدثنا عن ذلك من قبل، فكان غضب بعضهم وتركه للبلاد أمرًا لا يدعو للدهشة.

وأقدمُ أثر لدينا يدل على تولية أوبوت وظيفة الكاهن الأكبر في «طيبة» من قبل والده شيشنق يرجع إلى السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون؛ فقد عُثر باسمه واسم والده على لفافة من نسيج الكتان مهداة إلى الكاهن الثاني زد بتاحف عنخ الذي كان يلقب ابن الملك لرعمسيس، وقد وجدت لفائف أخرى مؤرخة بالسنة الحادية عشرة والسنة العاشرة.

(٢) مباني «شيشنق» في الكرنك

ترك لنا «شيشنق» آثارًا عدة من الأهمية بمكان في تلك الفترة من تاريخ البلاد التي قلَّت فيها الآثار.

ويدل ما بقي لدينا من نقوش في «طيبة» على أن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين وكهنتها العظام لم يقوموا بأعمال جليلة في نفس معبد «الكرنك» الكبير، وأنهم وجهوا عنايتهم لمعبد «خنسو» كما فصلنا القول في ذلك في الجزء الثامن من مصر القديمة، ولكن لَمَّا تولى «شيشنق» مقاليد الحكم أخذ أولًا في توطيد أركان السلام والأمن في ربوع البلاد، وبعد ذلك عزم على أن يقوم لآلهته الذين نصروه وعززوه بتجميل معابدهم، وبخاصة معبد الكرنك الذي كان مقر ملك الإله آمون رع بما يليق بأسرته؛ ولذلك صمم على أن يقيم أثرًا شاهقًا بارزًا يسترعي الأنظار بعظمته على غرار ما أقامه الملوك العظام في عهد الدولة الحديثة، فأقام بوابة النصر التي تقع بين معبد رعمسيس الثالث الصغير الذي أقامه للإله «آمون رع» (راجع مصر القديمة الجزء السابع) والبوابة الثانية التي كانت تعد وقتئذ واجهة معبد الكرنك العظيم، وتؤلِّف بوابة شيشنق جزءًا من امتداد الجدار الجنوبي لقاعة العمد العظيمة، وقد غطت هذه البوابةَ نقوشٌ تاريخية لرعمسيس الثاني واقعة في الطرف الغربي للجدار، وكذلك على الطرف الجنوبي للبوابة الثانية، وهذه البوابة تدعى عادة بوابة «بوباسطة»، وقد نقش عليها سجلات أسرة «بوباسطة» في «طيبة»، وسنرى

بعد أنه قد نُقش عليها مناظر النصر التي خلدت غزوة شيشنق على فلسطين، كما نَقَش عليها الكهنةُ العظام أبناء هذه الأسرة تواريخهم.

وتدل النقوش التي تركها لنا على صخور بلدة السلسلة — وهي الخاصة بقطع الأحجار لإقامة المباني — على أنه كان قد صمم كذلك على إقامة الردهة الأولى لمعبد الكرنك بما في ذلك البوابة الأولى التي أمامها (راجع American Journal of Semetic Languages & Literature XXI. p. 24).

(٢-١) متن لوحة السلسلة[٢]

ترك لنا رئيس البعث الذي أرسله «شيشنق» لقطع أحجار البوابة المعروفة ببوابة «بوباسطة» في محاجر السلسلة لوحة ذكر عليها أعماله والغرض منها، وهذا المبعوث يدعى «حور مساف»، وفي حين نجد أن الفرعون «شيشنق» هو الذي فكر في هذا العمل نلحظ من جهة أخرى أن ابنه الكاهن الأكبر لآمون المسمى «أوبوت» قد اتخذ مكانة بارزة في منظر اللوحة ونقوشها تعادل مكانة الفرعون نفسه، ومن ألقابه الكثيرة يشعر القارئ أنه كان يتمتع بسلطان كأنه حاكم شبه مستقل في الوجه القبلي.

ويشاهَد في أعلى اللوحة الملك تقوده الإلهة (موت) إلى حضرة كل من الآلهة «آمون» و«حوراختي» و«بتاح»، وخلف الفرعون يظهر ابن الملك الكاهن الأكبر «أوبوت» ممثَّلًا بنفس الحجم الذي مُثِّلَ به الفرعون مقدِّمًا البخور. ويلاحَظ أن ألقابه على العُمُد الجانبية تمثل مكانةً تُعادل مكانة ألقاب والده.

وأسفل هذا المنظر نقش يعزو فتح هذا الجزء من المحاجر للملك، وكذلك يعزوه بنفس الكلمات للكاهن الأكبر «أوبوت»، وتحت هذا النقش نشاهد «حورمساف» رئيس البعث ممثَّلًا راكعًا وأمامه نقش سُجِّل فيه الغرض من بعثه وتنفيذه، وهاك النص:

الألقاب الملكية: «محبوب الإلهتين المنير في التاج المزدوج مثل «حور بن إزيس»، والمرضي الآلهة بالعدالة «حور الذهبي» العظيم القوة ضارب أقوام الأقواس التسعة العظيم النصر الإله الطيب، و«رع» في صورته وصورة «حوراختي» والذي وضعه آمون

[٢] حُفر هذا المتن في محاجر السلسلة الواقعة بين إدفو وأسوان (راجع Champ. Mon II, 122 bis; L. D. III 254 C; Brugsch Thesaurus VI. 1241).

على عرشه ليثبت ما بدأه ولينظم مصر من جديد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حز-رع-خبر-ستبن رع-شيشنق الأول» فاتح المحجر، لقد قام بفتح المحجر من جديد بداية للعمل الذي عمله ابن رع «مري آمون شيشنق الأول» الذي يقيم الآثار لوالده «آمون رع» رب طيبة ليحتفل بالأعياد الثلاثينية لرع، ويقضي سِنِي «آتوم» عائشًا أبديًّا أنت يا سيدي الطيب، ليتك تجعل أولئك الذين يأتون خلال عشرات آلاف السنين يقولون: إن ما عُمل لآمون ممتاز، وليتك تشهد أني حكمت حكمًا عظيمًا.»

«أوبوت» الكاهن الأعظم فاتح المحجر: «لقد قام بفتح المحجر من جديد بداية للعمل الذي عمله الكاهن الأكبر لآمون ملك الآلهة والقائد الأعلى للجيش «أوبوت» المنتصر والذي يقود الجيش العظيم لكل الجنوب، والابن الملكي لرب الأرضين «مري آمون شيشنق الأول» لسيده (الملك) لأجل «آمون رع» ملك الآلهة حتى يحصل على الحياة والفلاح والصحة وطول العمر والقوة والشيخوخة المديدة في «طيبة» أنت يا سيدي الطيب، ليتك تجعل الذين يأتون خلال عشرات آلاف السنين يقولون: إن ما أنجزت لآمون ممتاز، وليتك تشهد بأني قد عملت عملًا عظيمًا.»

إرسال حور مساف على رأس البعث: «السنة الواحدة والعشرون، الشهر الثاني من الفصل الثالث (لم يذكر اليوم) في هذا اليوم كان جلالته في بيت «إيزيس» (الذي يسمى) روح «حوراختي» العظيمة، وقد أمر جلالته أن يصدر الأمر للكاهن والد الإله لآمون ملك الآلهة ورئيس الأشياء السرية لبيت «حوراختي» ورئيس أعمال رب الأرضين «حورمساف» المنتصر؛ ليقود كل عمل (…) أحسنها من السلسلة ليقوم بعمل آثار عظيمة لبيت والده الفاخر «آمون رع» رب طيبة.»

التصميمات التي وضعت لإقامة بوابة بوباسطة بالكرنك: «وقد أعطى جلالته شروطًا لإقامة بوابة عظيمة جدًّا من … لأجل أن تضيء طيبة، وإقامة أبوابها المزدوجة من عشرة آلاف الأذرع (ارتفاعًا)؛ وذلك لإقامة ردهة أعياد لبيت والده «آمون رع» ملك الآلهة، وليحيطها بأعمدة.»

عودة حورمساف: «وقد عاد في سلام إلى المدينة الجنوبية «طيبة» إلى المكان الذي كان فيه جلالة الكاهن والد الإله «لآمون رع» ملك الآلهة، ورئيس الأشياء السرية لبيت «حوراختي»، ورئيس الأعمال في بيت «حز خبر رع-ستبن رع» في طيبة، والعظيم الحب لدى سيده الملك «حورمساف» المنتصر قال: إن كل ما قلتَه قد أُنجز يا سيدي الطيب، فلم أنم ليلًا ولم أَغْفُ نهارًا، بل كنت أبني العمل الخالد دون انقطاع.»

مكافأة حورمساف: «وقد منح الإنعامات في حضرة الفرعون فكانت مكافأته أشياء من الفضة والذهب.» (باقي المتن غير مفهوم).

المناظر التي خلفها «شيشنق» على جدران معبد الكرنك خاصة بحروبه: بعد أن عاد «شيشنق» الأول من حملته على فلسطين نقش مناظر عظيمة يتبعها قائمة طوبوغرافية احتفالًا بهذه الحملة التي قام بشنها على أهالي فلسطين، وقد حُفرت هذه الرسوم على خارج الحائط الجنوبي (الجنوبي الغربي لمعبد آمون بالكرنك) (ولدينا مرجعان آخران عن هذه الحملة في المتون المصرية) (راجع Br. A. R. XIV. 248 note B).

ويشار عادة إلى المكان الذي فيه هذه المناظر باسم «بوابة بوباسطة» وهي في الواقع امتداد في معبد الكرنك بدأ عمله «شيشنق الأول»، ويمكن رؤية هذه المناظر على مسافة قريبة من هذه البوابة على الجزء الأول من امتداد الجدار الجنوبي لقاعة العمد بالكرنك كما ذكرنا آنفًا، ويلاحظ أنه إذا ابتدأ الإنسان من ظهر جدار البوابة الثانية يجد أن هذا الجدار قد أمده «شيشنق» نحو الغرب، وقد نتج عن ذلك أن غطَّى الجزء الأخير من المناظر الحربية الخاصة «برعمسيس الثاني» على جانب البوابة الثانية، وبذلك هُيِّئَتْ مساحة متساوية من الجدار لنقش منظر النصر الجديد الذي أحرزه «شيشنق» على الفلسطينيين، وتقع مباشرة في الغرب من ذلك بوابة بوباسطة. على أن الآراء لم تتفق بعد على مقدار المباني التي أضافها «شيشنق» للردهة العظيمة وإلى البوابة الأولى التي لم تتم بعد (راجع Legrain, les Temples de Karuak p. 929. pp. 44ff; Borchardt Zur Baugeschichte des Amonstempels von Karnak Sethe Untersu-chungen etc V. I. pp. 36-37 & Chevrier, Le Temple reposoir de Ramses III a Karnak (Text) p. 3).

ويمثِّل نقشُ المنظر كالعادة ذبح الأسرى أمام آمون، ويلاحَظ أن صورة الفرعون هنا لم تكن قد تم نقشها فيشاهَد على المسافة غير المنحوتة على يمين الجدار رسم تخطيطي لتاج الفرعون. والواقع أن هذا التاج قد رسمه الرسام رسمًا تخطيطيًّا، ولكنه لم يُنقش نقشًا غائرًا، وفي أسفل المنظر يلاحظ أن المتون كانت قد نقشت في أسطر أفقية وفوقها القائمة، ولكن لم يبقَ من تلك إلا بعض قطع من طرفيها، أما الباقي فقد أُتلف تمامًا (راجع ما بقي من هذه النقوش Muller, Egyptian Research. p. 113 fig. 38)، أما باقي المتون التابعة للمنظر فلا تحتوي إلا مدائح لقوة الفرعون وليس لها علاقة بالقائمة الطوبوغرافية، والاسمُ البارز من الأعداء الذين غزاهم «شيشنق» هو «قوم متني». وفي ذكر هذا الاسم هنا ما يكفي للدلالة على أن هذه المتون ليست كلها تاريخية، وأنها كانت تنقل

من القوائم التي تركها لنا «تحتمس الثالث» وأخلافه بالتوارث؛ لأن «شيشنق» لم يغزُ قط بلاد «متني».

وتحتوي هذه القائمة على عشرة صفوف من الأسماء الموضوعة في طغراءات يصحب كلًّا منها أسير يدل على اسم المكان الذي أُسر منه، ويحتوي كل من الصفوف العليا من ١–٥ على ثلاثة عشر اسمًا في طغراءات يقودها الملك للإله آمون، أما الأسماء التي في الصفوف من ٦–٩ وهي التي يحتوي كلٌّ منها على سبعة عشر اسمًا فتقودها الإلهة «واست» (أي طيبة).

والصف الأسفل؛ أي الصف العاشر من الأسماء الموضوعة في طغراءات وهو الذي يمتد أسفل المنظر؛ فقد كَشَفَ عنه الأثري «مولر» سنة ١٩٠٤، وكان يحتوي في الأصل على أقل من خمسين اسمًا مقسمة مجموعتين؛ فالمجموعة التي على اليسار وُجدت مهشَّمة وبخاصة في البداية، في حين أن المجموعة التي على اليمين لم يبقَ منها إلا الأسماء الخمسة الأخيرة، ولا بد أن المجموع الأصلي لأسماء هذه القائمة العظيمة كان لا يقل عن نحو مائة وثمانين اسمًا، ولكن عدد الأسماء التي بقيت فعلًا أقل بكثير. ويلاحَظ أن الأجزاء التي أصابها التلف لا تقتصر على الصف الأسفل، بل كذلك في الأجزاء العليا، وبخاصة الصفَّان الرابع والخامس.

ولما كنا نجد — فضلًا عن ذلك — أن الأسماء التسعة الأولى هي أسماء أقوام الأقواس التسعة، وأن عددًا عظيمًا من الأسماء المركبة يشغل كل منها طغراءين؛ فإنه لم يصل إلينا من الأسماء الطوبوغرافية الفلسطينية إلا حوالي ثمانين اسمًا من الأسماء المختلفة من هذه القائمة، وقد نقل «لبسيوس» قطعة حجر عليها أربعة أسماء من هذه القائمة إلى برلين، وهي الآن محفوظة بالقسم المصري (راجع Agyp. Inschriften aus Staatlichen Museen zur Berlin 2 Band. p. 207).

وتمتاز قائمة «شيشنق» الطوبوغرافية عن القوائم الأخرى بما لها من علاقة بتاريخ الكتاب المقدس، وبتحديدها جغرافية فلسطين. وقد جاء ذكر غزو مصر لفلسطين على يد «شيشنق» في مناسبتين في كتاب «العهد القديم»، ومن الغريب أن اسم «أورشليم» — وهي البلدة الوحيدة التي ذكر اسمها بوضوح في التوراة عند الكلام لغزو«شيشنق» لفلسطين — لم يدون اسمها في قائمة الكرنك، إلا إذا كان هو أحد هذه الأسماء المفقودة من القائمة، (وقد لاحظ ذلك العلماء الذين درسوا هذه القائمة في بادئ الأمر، وظنوا أن ذلك ضرب من المستحيل، وهذا هو السبب في محاولاتهم العدة في الكشف عن هذا الاسم تحت

اسم مستعار) (راجع J. Simons, Egyptian Topographical lists, p. 96). وهاك المصدرين اللذين جاء ذكرهما في التوراة:

أولًا: في كتاب «الملوك الأول» الإصحاح ١٤ سطر ٢٥: «وفي السنة الخامسة للملك «رحبعام» صعد «شيشق» ملك مصر إلى «أورشليم» وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع طروس الذهب التي عملها «سليمان».»

ثانيًا: كتاب «أخبار الأيام الثاني» الإصحاح ١٢ سطر ٢–٤: «وفي السنة الخامسة للملك «رحبعام» صعد «شيشق» ملك مصر على أورشليم؛ لأنهم خانوا الرب، بألف ومائتي مركبة وستين ألف فارس، ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسيكيين وكوشيين، وأخذ المدن المحصنة التي ليهودا وأتى إلى «أورشليم».»

وقد فحص علماء الكتاب المقدس فحصًا مستفيضًا طبيعة الحملة الحربية التي قام بها «شيشنق» على «فلسطين»، وبخاصة إذا كانت هذه الحملة تنحصر في جنوبي مملكة يهودا، أو كانت تشمل إسرائيل أيضًا. والواقع أنه لم يُذكر في التوراة من البلاد التي جاء ذكرها فيه خاصًّا بحملة «شيشنق» إلا بلدة «أورشليم»، وهي التي استولى عليها هذا الفرعون، وقد أضاف إلى ذلك بصفة عامة «كتاب الأيام» المدن المحصنة التابعة ليهودا. وعلى أية حال؛ فإنه من وجهة نظر تاريخ التوراة يمكن البرهنة بصفة عامة على أن التوراة لم تحفظ لنا إلا قصة غير كاملة عن هذه الحملة التي كان قد امتد مداها في إقليم كبير في المملكة الجنوبية (راجع Alt Israel und Agypten Beitrage Z. Wiss. V. A. T. Heft 9 Leipzig (1909) p. 25ff).

أما من جهة قائمة «الكرنك»؛ فمما لا شك فيه أنها تشمل جزءًا كبيرًا من الأسماء الخاصة بشمال فلسطين، ويمكننا القول (دون أن نفرض أن هذه القائمة في كلياتها يُعتمد عليها تاريخيًّا): إن احتواءها على أماكن في الشمال والجنوب يمكن أن نعرف منه جيدًا مدى اتساع رقعة الغزو المصرية. والواقع أنه قد عثر في «تل المتسلم» (مجدو) الواقع في شمال فلسطين على نقش مصري عليه اسم «شيشنق» (راجع Fischer. The Excavations of Armageddon O. I. C., 4. Chicago 1929, p. 13).

وهذه الحقيقة تتفق مع الرأي القائل بأن حملة «شيشنق» كانت جغرافيًّا أوسع مما كان يُظَن، وإن كان هذا المصدر لا يعد برهانًا قاطعًا.

تقسيم الأسماء الجغرافية مجموعات: وعلى الرغم من أن عددًا عظيمًا من أسماء هذه القائمة قد فُقِدَ، وعددًا آخر لا يمكن قراءته على الآثار، وعلى الرغم من أنه لم يُحَقَّقْ من

تلك الأسماء طوبوغرافيًّا إلا عشرون اسمًا فقط؛ فإن كثيرًا من المؤرخين قد اقترح تقسيم هذه القائمة أقسامًا طوبوغرافية متماسكة كما فعل «برستد» مثلًا (راجع Br. A. R. IV §§ 712–717)، فقسمها الأقسام الثلاثة التالية: الأقواس التسعة، ومملكة إسرائيل، ومملكة الأردن. وقسمها موللر (راجع Muller, Egyptian Research. II, 114-115) الأقسام الأربعة التالية: الأقواس التسعة، ومملكة إسرائيل، ومملكة شرق الأردن، وإقليم فلسطين. وكل هذه الأقسام الواضحة قد تحتاج إلى قاعدة ثابتة من المسميات المعروفة لتبرهن على صحتها، وعلى أية حال، يمكن القول على وجه التأكيد: إنه بعد تعداد أسماء الأقوام الأجانب وهم أقوام الأقواس التسعة من ١–٩ نجد أن رقم ١٠ يحتوي على عبارة تدل على أن ما يأتي بعدها هي أسماء الأماكن التي يدَّعي «شيشنق» أنه أخضعها، ويبحث الجزء الأول من هذه القائمة (ويشمل الصفوف: الثاني والثالث، ويحتمل كذلك الرابع والخامس) بوجه خاص الأماكن الواقعة في شمالي فلسطين على وجه التقريب، في حين أن العددين ٦٥، ٦٦ (وهما اسم مركب) ويحتمل إلى رقم ١٤٩-١٥٠ (ويحتمل أن يكون اسمًا مركبًا أيضًا) نجد عددًا عظيمًا منها خاصًّا بجنوب فلسطين؛ أي إقليم «يهوذا» و«نجب».

والقطعة التي تحتوي على خمسة أسماء، التي في نهاية القائمة، صغيرة جدًّا لا تحقق نظرية الأستاذ «موللر» عن وجود مجموعة من البلاد الفلسطينية، وبخاصة رقم واحد مكرر (شردد) وخمسة مكرر (هام) يظهر أنهما لا يقعان في هذا الجزء من بلاد فلسطين.

ومن خصائص قائمة «شيشنق» وجود عدد عظيم من الأسماء المركبة فيها، والتي يشغل كل منها طغراءين متتاليين؛ الأولى فيها كلمة تدل على الجنس، والثانية فيها اسم علم مميز (راجع Simons, Ibid p. 97).

والواقع أن دراسة هذه القائمة من الوجهة الطوبوغرافية تدل على أنها تختلف من بعض الوجوه عن باقي القوائم الأخرى التي نجدها في تواريخ الملوك الآخرين في العهد الفرعوني؛ وذلك أنه على الرغم من الرأي المتَّفَق عليه عادة الذي يخالف ما ذكرناه، فإن شواهد الأحوال لا تدل على أن محتويات هذه القائمة على وجه عام ليست بأقل من سابقتها في أصليتها، ولقد كرر كثير من المؤرخين القول بأن قائمة «شيشنق» لا تخرج عن كونها ضم بعض قوائم قديمة معًا، وبذلك تكون مجردة عن كل قيمة تاريخية. غير أن المصادر التي أخذ عنها «شيشنق» إذا كان ذلك صحيحًا لم يُكشف عنها بعد، على أن ذلك لا يمنع أن بعض المصادر القديمة استُعملت في تأليفها، غير أن تحريم استعمال مصادر أخرى

في تكوين هذه القائمة ليس بالحقيقة المؤكدة كما هي الحال في بعض القوائم الخاصة «بسيتي الأول» و«رعمسيس الثاني» و«رعمسيس الثالث». وأخيرًا يمكن أن ننفي نفيًا قاطعًا أن قائمة «شيشنق» ليس فيها شيء أصلي، وأن نحو خمسين اسمًا قد ذكرت فيها لم تذكر في قوائم أخرى أقدم منها.

قائمة الحيبة: ولدينا قائمة أخرى يظهر أنها مقتطفة من قائمة «الكرنك» الكبرى الخاصة «بشيشنق» غير أنها مهشَّمة الآن تمامًا. والواقع أنه لم يبقَ لنا من نقش هذا المعبد إلا الشيء القليل (راجع A. S. 2; pp. 84–91; & Daressy Ibid. pp. 154–156; Ranke. Koptische Friedhofe bei Karara und der Amontempel Sches-chonks bei el Hibe (Bericht uber die Badischen Grabungen in Agypten in den Winter 1913 & 1914 Berlin, Leipzig 1936 p. 50–52).

وهو الذي كان قد أقامه «شيشنق» تكريمًا للإله آمون، وعندما زار «دارسي» هذا المكان كانت المعالم الهامة لهذه النقوش، وكذلك اسمان من «الأقواس التسعة» لا تزال ظاهرة، كما يدل على ذلك الوصف الذي كتبه لنا (راجع A. S. 2. 1901. PI. 45-6) إذ يقول: «قد نُقش على الجدار الأيسر من الردهة الثانية لوحة كبيرة مرسوم عليها الملك «شيشنق» يقدم لإله جالس طائفة من الأسرى راكعين، وفوق ذلك نُقِشَ سطرٌ أفقي … وأخيرًا نجد صفًّا من الأسرى الأجانب حاملين على صدورهم طغراءات تحتوي على أسماء جغرافية لم يبقَ منها مما يمكن قراءته إلا اثنان.»

والآن بعد أن استعرضنا وصف هذه الأماكن الطوبوغرافية وما لها من أهمية في تاريخ «شيشنق الأول» نعود الآن إلى ذكر الأسماء الجغرافية التي بقيت من هذه القائمة، ونبتدئ أولًا بلمحة صغيرة عن أقوام الأقواس التسعة التي جاءت في أول هذه القائمة فنقول:

الأقواس التسعة: إن عبارة (الأقواس التسعة) التي يرمز بها للأقوام الخاضعين أو الذين قهرتهم مصر يرجع تاريخها إلى أقدم عصور التاريخ المصري؛ إذ نجد على مقمعة من عصر ما قبل الأسرات (راجع Quibell, Hierakonpolis I. PI XXVIe note 5; Roeder in Ebert Reallexikon d. vorgeschichte. S. V. Neunbogen-volker; & Gardiner. Ancient Egypt. Onomastica text Vol. I. p. 207) أقواسًا معلقة على شارات المقاطعات، وكذلك نجد منذ بداية عصر الأسرات هذه الأقواس التسعة مرسومة على قاعدة تمثال الملك «زوسر» (راجع A. S. XXVL (1926) p. 183 fig. 4 & 9. Sethe, Pyr. Texte Uber-sitzung und Kommentar I. p. 119-120).

والظاهر أن الأقواس التسعة في هذا العهد كانت تعني عالم بَنِي الإنسان الذي كان قد خضع للملك بالنسبة لعالم الآخرة. (راجع Pyr. Tetxe 202). والواقع أنه منذ الدولة الحديثة قد بدأ سوء فهم المقصود من الأقواس التسعة، فقد عُدُّوا أجانب عن مصر، وقد كانت الفكرة على ما يظهر في بادئ الأمر أن هؤلاء الأقوام خاضعون لمصر سواء أكانوا ساكنين واديَ النيل أم لا يحكمهم «الفرعون»، ولا شك أننا سنضطر لفهم معنى الأقواس إلى أن نتحدث هنا عن الأجناس التي كانت تتألف منها؛ فنجد على مقمعة «هراكنبوليس» وكذلك على قاعدة تمثال الملك «زوسر» أن كلمة الأقواس يقابلها كلمة «رخيت» الدالة على كائنات بشرية لا بلاد، وهذا هو السبب في أن عهد الدولة الحديثة عندما كان يذكر عبارة (الأقواس التسعة) كان لا بد أن يكون المقصود هنا هو «أقواس» أو «قوس» بلاد كذا؛ أي قوم بلد كذا.

وعلى ذلك؛ فإنه عند تحليل المتون القديمة نجد أن ذلك يقودنا إلى التفرقة بين عبارة الأقواس التسعة الدالة على تسعة الأجناس البشرية التي كان يعتقد في وجودها في أول العهد الفرعوني، وأنها منفصلة عن الجنس المسيطر عليها وبين القائمة المفصلة للأقواس التسعة الأجانب عن مصر كما وصلت إلينا من وثائق الأسرة الثامنة عشرة. غير أن فحص هذه القائمة قد أظهر لنا أن عهدها يرجع إلى ما قبل الدولة الحديثة بزمن بعيد، وأن فكرتها لا تكاد تكون حديثة عن الفكرة القديمة.

حقًّا، إن متون «الأهرام» ووثائق الدولتين القديمة والمتوسطة لا تقدم لنا معلومات مفصلة عن الأقوام التي تحويها عبارة (الأقواس التسعة)، وكذلك لم تُعرف أسماء كل واحد منها إلا من وثائق يرجع عهدها إلى ما بعد الدولة الوسطى، وهذه الأقواس تُقَدَّم لنا في صورةِ قوائمِ أقوامٍ مقهورين. ويمكننا أن نميز منها:

(١) قوائم الأقواس التسعة بصفة مبهمة؛ أي القوائم التي لا تحتوي إلا لفظة الأقواس دون ذكر أسماء أخرى.

(٢) قوائم بأسماء أقوام منوعة يسبقها تعداد الأقواس التسعة، وفي بعض الأحوال تجد أن في قائمة الأقواس التسعة قِسمًا يتخلله أسماء أقوام مختلفة بين الاسمين الأولين من القائمة.

(٣) نجد قوائمَ أقوامٍ مقهورين يتخللها أسماء أقوام من أقوام الأقواس التسعة.

(٤) وفي عهد البطالمة نجد أن المؤرخين والكتَّاب قد استعملوا القائمة البسيطة، ولكن كانوا يشفعونها بتعليق يختلف في مقدار تفاصيله. والواقع أننا حتى الآن لم نرَ قائمة

لأقوام الأقواس التسعة مفصلة إلا في عهد «أمنحتب الثالث» (راجع Wresz. Atlas. I. PI 203; Davies. Bull. metr. Mus. New York Egyp. Expedition, 1914–15, Vol. X (1915). p. 233; A. S. T. XLII (1943) p. 462, PI. XXXIX).

وقد مُثِّل كل واحد من هذه الأقواس التسعة بأسيرٍ ذراعاه مقيدتان خلفه، وجذع هذا الأخير يعلو شكلًا بيضيًّا أو طغراء كتب فيه الاسم، ويميِّز قومُ كلِّ قوس بالصورة التي تمثَّل فوقه. وهذه الأقوام هي: (١) حاو-نبوت (أقوام بحر إيجه). (٢) شات. (٣) تاشمع (الوجه القبلي). (٤) سخت يام (الواحة). (٥) تامحو (الوجه البحري). (٦) بزت شو. (٧) تحنو (لوبيا). (٨) أوتيو-سبتي (النوبة). (٩) منتيو-نو-ستت (آسيا).

وهذا الترتيب الذي يظهر فيه هذه الأسماء لم يكن وليد الصدفة؛ بل وُجد في كثير من مقابر هذا العصر على هذا النظام، أما قائمة «شيشنق الأول» للأقواس التسعة، فإنها قد وُجدت في معبد الكرنك تسبق أسماء الأقوام التي أخضعها هذا الفرعون كما هي العادة، غير أن نظام ترتيبها يختلف عن القوائم الأخرى وهي: (٣) تاشمع. (٥) تامحو. (٦) بزت شو. (٤) سحت يام. (٩) منتيو-نو-ستت. (٧) ربو (لوبيا). (٢) شات. (١) حاو-نبو.

ويلاحَظ هنا أن ترتيب الأسماء مختلف، غير أن أسماء الأقواس التسعة ليست مختلفة إلا الاسم القديم للوبيين «تحنو»، فقد وُضع بدلًا منه اسم «ربو» الحديث، وهو يميز قومًا من الناس يسكنون هذه الجهة اشتق منه اسم «لوبيا».

ويلاحَظ منذ الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية العصر الإغريقي أن الأسماء التي يتألف منها أقوام الأقواس التسعة لم تتغير، اللهم إلا كتابة هذه الأسماء؛ فقد حُدِّدت في عهد البطالمة مع عدم تغييرها. وهذا الاستمرار في عدم تغيير الأسماء ملحوظ جدًّا؛ لأنه على الرغم من تغير ترتيب الأسماء يدل على أن القائمة كانت تقليدًا متبَعًا.

وعلى أية حال، فإن وجود اسمي: «تاشمع» و«تامحو» (الوجه القبلي والوجه البحري) في القائمة يبرهن على أنها ترجع في قِدمها إلى عهد كانت فيه «الأقواس التسعة» تعني مجموع الرعايا التي يحكمها الفرعون. ولكن من جهة أخرى نجد أن عبارة (الأقواس التسعة) لا تعني إلا الأقوام الأجانب كما تدل على ذلك الجملة التالية: «إن الأقوام التسعة يأتون إليك في مصر حاملين الهدايا.» (راجع Pap. Chester Beatty I verso BI. 30 = Gardiner Vol. I P. XXI a) وهذا التعبير يعني منذ الدولة الوسطى الأجانب (راجع. Senouhi B, 259 et 276). وعلى ذلك يجب أن نبحث في عهد قبل الدولة الحديثة وحتى

قبل الدولة الوسطى عن الأصل الذي أُخذت عنه القوائم التي نجدها في مقابر «طيبة» خلال الدولة الحديثة.

وقد ذكرنا في «متون الأهرام» أن تعبد «الأقواس التسعة» يعني مجموع رعايا الملك، وعلى ذلك يظهر من الجائز جدًّا أن قائمة «الأقواس التسعة» ترجع في قِدَمِها في الواقع إلى عهد الدولة الحديثة، بل يجوز إلى عهد ما قبل الأسرات؛ وذلك لأن وجود لفظَي «الوجه القبلي» و«الوجه البحري» في القائمة لا يمكن تفسيرهما إلا على هذا الوجه.

والواقع أن قوائم «الأقواس التسعة» كانت تُفهَم بمعنًى مختلف في خلال العصور التاريخية، وعلى ذلك فإنه على حسب التقليد العتيق كان قوم «تاشمع» و«تامحو» يُرسمان على هيئة مصريين في قوائم الأسرة الثامنة عشرة، ولكن منذ الأسرة التاسعة عشرة كان قوم «تامحو» يعدون آسيويين، وقوم «تاشمع» يعدون نوبيين، وعلى ذلك فإن الاسم وإن لم يتغير كتابةً فإنه يمكن أن يتغير في المعنى. ولدينا متن منقوش على سور معبد «إدفو» من عهد البطالمة غاية في الأهمية لدرس الأقوام التسعة من الوجهة الجغرافية في هذا العهد، وهذا المتن يتضمن معناه ضمان ملك العالم الدنيوي للملك، فنجد فيه أن حمل محاصيل الأرض للإله قد رُمز له بتسعة أشخاص يتبعون الملك حاملين قربانًا، وهؤلاء الأشخاص قد مثِّل كل منهم في هيئة الإله «حعبي» (الفيضان).

وأمام الشخص الأول من هؤلاء الأشخاص المسمى المشرف على «إدفو» نقرأ ما يأتي:

الملك يخاطب الإله

إنه يحمل إليك البحيرات[٣] (أو المدن) الثمانية المصرية التي يقاد بوساطتها «حعبي» (الفيضان) حتى البحر الذي خلف بلاد «حاو نبو» (البلاد الواقعة في الشمال الشرقي من مصر).

وخلف الإله الثاني: الذي يشرف على المحراب الجديد (اسم معبد إدفو):

إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «أونتيو» ومعنى ذلك السودان النوبيون لهذا الإقليم الجبلي الواقع شرقي النوبة وهم الذين يعيشون من ماء الآبار.

[٣] أو الأقاليم التي على حدود مصر (W. B. III. p. 195, 1. 20).

وخلف الإله الثالث: الذي يشرف على «تاور-خبشت» (مكان في المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري (؟) أو المقاطعة الخامسة عشرة من الوجه البحري):

إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «منتيو»، ومعنى ذلك بلاد «إشرو» (البلاد السورية المسوبوتامية) التي تعيش من ماء «حعبي»[٤] في الشرق، ومن ماء المطر في الغرب …

وخلف الإله الرابع: الذي يشرف على نخن (الكاب؟):

إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «تحنو»، ويعني بذلك بلاد «نابيت» (اللوبيون أو يحتمل سرنيقا) التي تعيش من ماء المطر …

خلف الإله الخامس: الذي يشرف على تست (اسم لإدفو):

إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «سخت-يام»، ويعني بذلك البلاد الجبلية (أي الصحراوية) للواحات التي توجد في غربي حدود «تا-إهت» (واحة الفرافره) التي تعيش من ماء «حعبي» في الغرب، ومن ماء الآبار في الشرق. (أي إن البلاد التي في غربه تعيش من ماء الفيضان، والتي في شرقه تعيش من ماء المطر).

خلف الإله السادس: الذي يشرف على «أو-بجا» (مكان له علاقة بالعرابة):

إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «شو» (أيزت شو)، ويُعنَى بذلك الأقواس التسعة البدويون، والمقصود من ذلك بلاد موتيب (بلاد مديا) التي تعيش من ماء الفيضان (حعبي = الفرات) وكذلك من ماء النهر.

وخلف الإله السابع: الذي يشرف على بوصير (؟):

إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «شات»، والمعني بذلك بلاد «هكرو» (عرب الشمال) الذين يعيشون من ماء الغدران ومن ماء الآبار …

---

[٤] المقصود هنا من «حعبي» هو فيضان الفرات.

وخلف الإله الثامن: الذي يشرف على «ست ورت» (إدفو، كوم امبو، قوص أو هرمويوليس):

> إنه يحمل إليك الأقواس التسعة «حاو-نبوت»، والمقصود من ذلك جزر البحر وبلاد عدة شمالية تعيش من ماء الغدران.

ونرى من الشروح التي وُضعت لهذا المتن أنه لا يوجد من بين أسمائها اسم قد حُفظ معناه الأصلي الذي وضع له، والظاهر أن المؤلف البطلمي قد اجتهد في أن يجعل هذه القائمة الخاصة بالأقواس التسعة تمثل مجموع العالم كما هو ظاهر من المتن. ويلاحَظ هنا أن «تامحو» يقصد بها فلسطين لا مصر السفلى، و«تاشمع» تعني الصحراء الشرقية النوبية، و«تحنو» يقصد بها برقة. إلخ (راجع Bulletin De L'Iustitut Francias D'archeologie Orientale Tome. XL VIII. p. 108ff).

هذه لمحة عن أقوام الأقواس التسعة التي تحتل الأرقام من واحد إلى تسعة في القوائم الجغرافية للبلاد التي فتحها الفراعنة العظام.

وبعد ذكر أقوام الأقواس التسعة في قائمة «شيشنق» تأتي العبارة التالية: (١٠) صورة من أسماء الآسيويين الذين غزاهم «شيشنق».

(١١) «جما» (؟) (١٢) «ارا» في شمال فلسطين (١٣) «ربات» في شمال فلسطين (١٤) «تاعنكيا» في شمال فلسطين (١٥) «شنمايا» في شمال فلسطين (١٦) «بيت-شانرايا» (١٧) «رحبيا» (١٨) «حبرميا» (١٩) «ادرم» (٢٠) ... الاسم مهشَّم (٢١) «شواد» (؟) (٢٢) «محنم» (٢٣) «قبعي» (٢٤) «بيت حورن» (٢٥) «قدتم» (٢٦) «إيرن» (٢٧) «مكديا»؟ (٢٨) «ادر» (٢٩) «يدهمرك» (٣٠) ... (الاسم مهشم) (٣١) «حينم» (٣٢) «عرن» (٣٣) «برم» (٣٤) «زدبتر» (٣٥) «يحم» (٣٦) «بيت عرم» (٣٧) «كاقاري» (٣٨) «شيك» (٣٩) «بيت تبوح» (؟) (٤٠) «ابريا» (يحتمل أن هذا الاسم يكون مع رقم «٤١» المفقود اسمًا مركبًا). من «٤١-٤٤» ... مهشمة (٤٥) بيت زابي (؟) (٤٦) ككما (؟) (٤٧-٥٠) ... أسماء مهشمة (٥١) سسد ... (؟) (٥٢) ... مهشم (٥٣) بانير (؟) (٥٤) قدشت (٥٥) باكتت (عين بركت) (؟) (٥٦) إدميا (أدوم) (راجع «يوشع» الإصحاح ٣ سطر ١٦) (٥٧) صم-رم (= صمارايم في «يوشع» ١٨ سطر ٢٢)، وكذلك راجع «أخبار الأيام» ١٣ سطر ٤؛ حيث يقول: «وأقام إبيا على جبل «صمارايم» الذي في إفرايم.» (٥٨) «مجدر» (مجدل) (٥٩) ... (٦٠) ... (٦١-٦٣) أسماء فقدت

(٦٤) ... مهشم (٦٥) باعمق (أمق الحالية) (٦٦) «عيزميا» (٦٧) «أنمر» (٦٨–٦٩) باحقل-فتيشيا (اقرن هذا الاسم بالاسم المركب «وادي قطسيس») على مسافة أربعة عشر ميلًا من الجنوب الشرقي من غزة (٧٠) إرهرر (٧١–٧٢) باحقل-أبرام = حقل إبراهيم، ويقول عنه «برستد»: «إن هذا أقدم ذكر لاسم إبراهيم.» (راجع Br. A. R. IV. p. 353 note a).

(٧٣–٧٤) شبرت نخبري (٧٥–٧٦) «شبرت — وركيت» (٧٧–٧٨) «باحقل-نعزيت» (٧٩) ... (٨٠) «زبكيا» (٨١) ... (٨٢) ... (٨٣) خاناي (٨٤–٨٥) بانجب-عزحت (يحتمل أن يكون اسمًا مركبًا) (٨٦) «تشدنو» (؟) (٨٧–٨٨) باحقل-شنيا (٨٩) هقق (؟) (٩٠–٩١) بانجب-وهتورك (٩٢–٩٣) «بانجب-إشحرت» (٩٤–٩٥) باحقل-حنن (٩٦–٩٧) باحقل-ارقد (٩٨) «ادمم» (٩٩) حنني (١٠٠) «إدريا» (١٠١–١٠٢) باحقل-ترون (١٠٣–١٠٤) «حيدب-شرنر» (١٠٥–١٠٦) حيدب-ديوت (١٠٧–١٠٨) حقلم[٥] — عرد (؟) (١٠٩) ربت (١١٠–١١١) عرد-نبت (١١٢) يرحم (١١٣–١١٥) أسماء فقدت (١١٦–١١٧) «إدر» (هذا الاسم مكرر) (١١٨) «با-بي» (هذا الاسم دون أداة التعريف «با» قرنه «برستد» باسم «با» الذي وجد على لوحة «لسيتي الأول» وجدت في تل شهاب في شرق الأردن) (١١٩) «محخ» (؟) (١٢٠) مهشم (١٢١) «فريم» (١٢٢–١٢٣) ابر-ببرد (١٢٤) بيت عنت (١٢٥) شرح (؟) (١٢٦) «إرمتن» (١٢٧) خرن (١٢٨) ادمم (١٢٩) مهشم (١٣٠) مهشم (١٣١) مهشم (١٣٢) «ارر» (؟) (١٣٣) «ير» (؟) (١٣٤–١٣٧) فقدت تمامًا (١٣٨) مهشم (١٣٩) «يرحم» (١٤٠) «إنن» (١٤١) فقد الاسم تمامًا (١٤٢) مهشم (١٤٣–١٤٤) فقد تمامًا (١٤٥) مهشم (١٤٦) «ادر»؟ (١٤٧–١٤٨) فقد (١٤٩) مهشم (١٥٠) «يردن» (وهو اسم مركب مع الاسم المفقود في رقم ١٤٩) من «١٥١» إلى النهاية أسماء فقدت إلا الأسماء الخمسة التي في أقصى اليمين (راجع Simons, Egyptian Topographical Lists p. 94 note 2). والأسماء الخمسة الباقية هي: (١) «شردد» (٢) «ربح» (٣) «ريني» (٤) «عنجرن» (٥) «هام».

وهكذا نجد (بعد دراسة هذه القائمة) أن معظم بلادها لا تتفق مع البلاد الأخرى التي ذكرت في قوائم الفراعنة العظام، ومن المحتمل أن معظمها قد فتحها «شيشنق الأول».

---

[٥] «حقلم»: جمع «حقل» بالعبرية.

(٢-٢) المتون التي نقشت مع المناظر التي تركها لنا «شيشنق»

والآن بعد أن استعرضنا وصف هذه الأماكن الطوبوغرافية وذِكْر أسمائها وما لها من أهمية في تاريخ «شيشنق» الأول؛ نعود إلى ذكر النقوش التي جاءت مع المناظر التي تصور لنا هذه الحملة. أولًا: نجد على صور الأسرى الراكعين المتن التالي:

ضرب رؤساء النوبيين وكل البلاد الوعرة المسالك وكل أراضي الفنخو والممالك.

وأمام الملك نقش: «إن «شيشنق الأول» ملك عظيم الشهرة ضارب الممالك التي تهاجم والمنفذ بسيفه؛ لتعلم الأرضان أنه أخضع رؤساء كل الممالك.»

ونقش مع «آمون» ما يأتي: «مرحبًا بابني المحبوب «شيشنق» … الجبار في قوته، لقد أخضعت البلاد والممالك، وحطمت بدو النوبة، وكان سيفك جبارًا بين الآسيويين، وقد مُزقوا إربًا إربًا في كل لحظة، وشهرة انتصاراتك … كل البلاد (٣) وإنك تخرج بالنصر وتعود بالقوة، وإنك جمعت … وإني … لأجلك البلاد التي لم تعرف مصر، والتي بدأت تغزو حدودك لتقطع رءوسهم (٤) وإن النصر قد أعطى يديك، وكل البلاد وكل الممالك قد اتحدت … والخوف منك قد امتد حتى عمد السماء الأربعة، والرعب من جلالتك بين الأقواس التسعة، وإنك قد … قلوب الممالك، وإنك حور (الملك) على الأرضين (٥) وإنك … على الأعداء عندما تخضع القرن، خذ سيفي المنتصر (مشيرًا إلى السيف الذي يقدمه في الصورة إلى الملك) أنت يا من أخضعتْ مقمعته رؤساء الممالك.»

ما نطق به «آمون رع»: (يأتي بعد ذلك لقب الإله): (٧) إن قلبي لفرح جدًّا عندما أرى انتصاراتك يا بني محبوب آمون «شيشنق» يا محبوبي الذي خرج مني ليكون بطلي، وإني رأيت امتياز تصميماتك التي نفذتها وال… لمعبدي الذي مكنته لي في طيبة، العرش العظيم الذي يميل إليه قلبي، وإنك قد بدأت إقامة آثار في هليوبوليس الجنوبية (طيبة) وهليوبوليس الشمالية (عين شمس)، وفي كل مدينة … هناك لإلهها الفريد بمقاطعته، وإنك أقمت معبدي ملايين السنين من الشام حيث أنا (١٣) … وإن قلبك مرتاح من «…» … وإنك … (١٤) أكثر من أي ملك منهم كلهم، وإنك أخضعت كل أرض، وإن سيفي الجبار كان مصدر الانتصارات التي منحتها … كل الآسيويين، وإن النار قد اندلعت كاللهيب خلفهم، وقد حاربت كل أرض وقد جمعتها معًا، وهي التي أعطاها جلالتك بوصفك منتو الجبار هازم أعدائه، وإن مقمعتك قد أسقطت أعداءك وهم آسيويو البلاد النائية وصل جبينك كان جبارًا بينهم.

ولقد جعلت حدودك تصل إلى ما ترغب فيه، وجعلت أهل الجنوب يأتون طائعين لك، وأهل الشمال يفدون لعظمة شهرتك، وإنك أوقعت مذبحة عظيمة بينهم يخطئها العد، فسقطت أقوام مهزومون في وديانهم، وقد حاق بهم الهلاك فيما بعد كالذين لم يكونوا قد ولدوا قط، وكل البلاد التي … (١٩) فإن جلالتك قد أهلكتها في لحظة، وإني قد دست لك أولئك الذين عصوك، وأخضعت لك الآسيويين التابعين لجيش «متن» (٢٠) وقد أذللتهم تحت قدميك، وإني والدك سيد الآلهة «آمون رع» رب طيبة والقائد الفريد الذي لا تهرب فلوله (أي فلول الجيش الذي هزمه هو) حتى أجعل شجاعتك تذكر في المستقبل في آباد كل السرمدية.

وكذلك لدينا في معبد الكرنك نقش في حجرة تقع في الشمال الغربي مباشرة من المحراب غير أنه مهشم، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان تابعًا لمنظر يمثل تقديم جزية «لأمون»؛ وذلك لأن هذا المنظر يصور لنا «شيشنق» يخاطب آمون ويضع أمامه خراج «سوريا» وبلاد النوبة. ولكن مما يؤسف له أن تاريخ هذا النقش فُقِد، غير أنه مما لا شك فيه أنه دوِّن بعد حملة هذا الفرعون على فلسطين. ويُستخلَص منه أن شيشنق — فضلًا عن سيطرته على بلاد سوريا — كان يسيطر كذلك على بلاد النوبة السفلى، وإن ما دون هنا ليس من النقوش التقليدية، وبخاصة إذا علمنا أن عدد ما قدمته هذه البلاد لمصر من جرية فقد ذُكر بنوع من التخصيص الذي لا يدل على أنها مجرد ألفاظ فخر. وهذا يتفق مع ما جاء في النقش الكبير الذي ذكرناه آنفًا من أن «شيشنق» قد أخضع بلاد النوبة، وإن كان ذكره لإخضاع بلاد «متني» يوحي ببعض الشك، ولكن يظهر أنها ذكرت من باب المبالغة، وهاك النص:

> السنة … في عهد جلالة الملك «شيشنق» (يأتي بعد ذلك ألقاب الفرعون) في بيت ملايين السنين للملك «حز خبر رع-ستبن رع» محبوب آمون «شيشنق الأول» الذي في منف (حكبتاح) … يأمون يا صانع أرض السود … جزية أرض سوريا … إني أحضرها لك من أرض السود … مواشي حمر وهي باكورتك وغزلانك وجلود فهودك.

تعليق: لا شك أن تولي «شيشنق» الأول عرش ملك الكنانة بوصفه فاتحة فراعنة الأسرة الثانية والعشرين يعد بداية عصر إنعاش للروح الحربية والسياسية في تاريخ مصر الحربي والسياسي؛ مما أعاد لها بعض مجدها السالف، وقد دلت الظواهر على أن

هذا الفرعون الجديد كان جنديًّا عظيمًا صاحب مطامح واسعة المدى، وبخاصة أنه كان ينظر وراءه إلى سلسلة طويلة من القواد الشجعان من الأجناد المرتزقة من اللوبيين، الذين أعدوا أنفسهم لحماية أهم الحصون القائمة في مصر الوسطى والدلتا. والواقع أن هذا الفرعون كان يتوق لنيل السيطرة الحربية؛ لتمكين نسله على العرش الذي كسبه حديثًا بقوته ومَضَاء عزيمته.

وقد لاحظنا أن العلاقات الخارجية بين مصر والبلاد المجاورة تكاد تكون معدومة، اللهم إلا بعض اتصالات مع بلاد النوبة التي كانت في غالب الأزمان على وئام مع «مصر» وكذلك مع «فلسطين»، ومن جهة أخرى لا نعرف إلا النَّزْر اليسير عن هذه البلاد المتاخمة لمصر وبخاصة «فلسطين»، وقد انتهز «شيشنق» الفرصة لإعادة بعض ما كان لمصر من مجد وسلطان في آسيا وبلاد النوبة. والمعلومات الوحيدة التي وصلت إلينا عن مملكة «إسرائيل» التي كانت في فلسطين وقتئذ وعلاقتها بمصر؛ قد جاءت إلينا عن طريق الكتاب المقدس، فنعلم مثلًا أنه في عهد الملك داود (رجل الحرب) المؤسس الحقيقي للمملكة العبرانية (١٠٠٤–٩٦٠ق.م) بدأت سلسلة حملات كان من نتائجها رفع نِيرِ الاستعباد عن عاتق العبرانيين، وكذلك أخضع أدوم ومئواب وبلاد عمون لسلطانه.

وأهم ما يلفت النظر بالنسبة لمصر أنه في عهد «داود» هرب «هدد» أمير «أدوم» إلى بلاط الفرعون ومعه بعض حاشيته لينجو من المذبحة التي أوقعها القائد اليهودي «بواب» فيهم، وقد استقبل فرعون مصر هذا الأمير ومن معه استقبالًا حسنًا وآواهم وحمى ذمارهم، (ويحتمل أن الفرعون الذي كان يحكم مصر وقتئذ هو بسوسنس الثاني)، ويقال: إنه كذلك تزوج من أخت ملكة مصر «تاشبنس» (راجع «سفر الملوك» الأول الإصحاح ١١ الأسطر ١٤–٢٢).

وهاك النص: «وأقام الرب خصمًا لسليمان «هدد» الأدومي، كان من نسل الملك في أدوم، وحدَث — لما كان داود في «أدوم» عند صعود «يوآب» رئيس الجيش لدفن القتلى وضرب كل ذكر في «أدوم»؛ لأن «يوآب» وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر في «أدوم» (١٧) إنَّ «هدد» هرب هو ورجال أدوميون من عبيد أبيه معه ليأتوا إلى مصر، وكان «هدد» غلامًا صغيرًا، وقاموا من «مديان» وأتوا إلى «فاران» وأخذوا معهم رجالًا من «فاران» وأتوا إلى مصر إلى فرعون ملك مصر فأعطاه بيتًا وعيَّن له طعامًا وأعطاه أرضًا (١٩) فوجد «هدد» نعمة في عيني فرعون جدًّا وزوجه أخت امرأته أخت نحفنيس الملكة، فولدت له أخت نحفنيس جنوبث ابنه وفطمته نحفنيس في وسط بيت

فرعون وكان جنوبث في بيت فرعون بين بني فرعون (٢١) فسمع «هدد» في مصر بأن داود قد اضطجع مع آبائه، وبأن «يوآب» رئيس الجيش قد مات، فقال «هدد» لفرعون: أطلقني؛ فأنطلق إلى أرضي. (٢٣) فقال له فرعون: ما أعوزك عندي حتى إنك تطلب الذهاب إلى أرضك، فقال: لا شيء، ولكن أطلقني.»

وبعد ذلك العهد بزمن قصير نجد أن ملكًا — ويحتمل أنه نفس «بسوسنس» السالف الذكر — قد ولى وجهه شطر «كنعان» في أحوال ليست معلومة لنا، واستولى على مدينة «جازر» وأحرقها كما جاء في التوراة؛ حيث نقرأ (راجع كتاب «الملوك الأول» الإصحاح التاسع سطر ١٦): «صعد فرعون ملك مصر وأخذ «جازر» وأحرقها بالنار، وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة، وأعطاها مهرًا لابنته امرأة سليمان.» وهذا يبرهن لنا على أن فرعون كان قد حاول التقرب لجارته «فلسطين».

وفي نهاية عهد «سليمان» كان «شيشنق الأول» على ملك مصر وقتئذ وهرب «يربعام» بن «نباط» الأفرامي من «صرده» عبد «سليمان» إلى مصر، وهو الذي قد وعده الله — على لسان «أخيا الشليوني» النبي — مملكةَ إسرائيل، وقد كان «سليمان» يهدده بالموت (راجع سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر من سطر ٢٦)، وهاك النص: «ويربعام بن ناباط أفرامي من «صردة» عبد «لسليمان»، واسم أمه «صروعه» وهي امرأة أرملة، رفع يده على الملك (٢٧) وهذا هو سبب رفعه يده على الملك، إن سليمان بنى القلعة وسد شقوق مدينة داود أبيه (٢٨) وكان الرجل يربعام جبارَ بأسٍ، فلما رأى سليمان الغلام أنه عاملٌ شغلًا أقامه على كل أعمال بيت يوسف (٢٩) وكان في ذلك الزمان لما خرج يربعام من أورشليم أنه لاقاه «أخيا الشليوني» النبي في الطريق وهو لابس رداءً جديدًا وهما وحدهما في الحقل، فقبض «أخيا» على الرداء الجديد الذي عليه ومزقه اثنتي عشرة قطعة (٣١) وقال ليربعام: خذ لنفسك عشر قطع؛ لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنا أمزق المملكة من يدي سليمان وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط واحد من أجل عبدي داود، ومن أجل أورشليم المدينة التي اخترتها من كل أسباط إسرائيل (٣٣) لأنهم تركوني وسجدوا «لعشتروت» إلهة الصيدونيين و«لكموش» إله الموآبيين و«لملكوم» إله بني عمون، ولم يسلكوا في طريقي ليعملوا المستقيم في عيني وفرائضي وأحكامي كداود أبيه، ولا آخذ كل المملكة من يده بل أصيره رئيسًا كل أيام حياته لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي (٣٥) وآخذ المملكة من يد ابنه وأعطيك إياها الأسباط العشرة، وأعطي ابنه سبطًا واحدًا؛ ليكون سراج لداود عبدي كل الأيام أمامي في أورشليم المدينة

التي اخترتها لنفسي لأضع اسمي فيها (٣٧) وآخذك فتملك حسب كل ما تشتهي نفسك، وتكون ملكًا على إسرائيل (٣٨) فإذا سمعت كل ما أوصيك به، وسلكت في طريقي، وفعلت ما هو مستقيم في عيني، وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي، أكون معك وأبني لك بيتًا آمنًا كما بنيت لداود، وأعطيك إسرائيل (٣٩) وأذل نسل داود من أجل هذا، ولكن لا كل الأيام. (٤٠) وطلب سليمان قتل يربعام، فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى «شيشنق» ملك مصر، وكان في مصر إلى وفاة سليمان … إلخ.»

والواقع أن السياسة المصرية على ما يظهر كانت في ظاهرها تدل على المصافاة والود مع ملوك «إسرائيل»، غير أن الفراعنة لم يتركوا وقتئذ أية فرصة لإضعافهم؛ وذلك بانتهاز كل وسيلة لبث الخلاف بينهم، وبذلك كان يأمل الفراعنة في التدخل يومًا في أمور بلاد «فلسطين» الداخلية وتسترد لمصر نفوذها الذي كان عظيمًا فيما مضى في تلك البقاع، وهو ذلك النفوذ الذي كسبته الفراعنة بحد السيف. ولم يمضِ طويل زمن حتى حانت تلك الفرصة؛ وذلك أنه على إثر موت «سليمان» حدث التمزق الذي تنبأ به النبي «آخيا» في «فلسطين»؛ وذلك أنه بعد أن عاد «يربعام» من مصر إلى «فلسطين» أسس دولة «إسرائيل» التي كانت تشمل الاثنتي عشرة قبيلة، في حين أن «رحبام بن سليمان» أسس دولة يهودا الصغيرة التي كانت تتألف من القبيلتين الصغيرتين؛ «يهودا» و«بنيامين»، وقد حدث ذلك حوالي عام ٩٣٥ق.م، وبعد هذا التاريخ بخمس سنين قام «شيشنق» بحملة على «فلسطين»، ومن ثم نعلم أنه قد انتصر انتصارًا عظيمًا، وقد ذكرنا ما قالته النصوص المصرية في هذا الصدد غير أنه مبهم، والظاهر أن الفرعون في هذه الحملة لم يتعدَّ الحدود الشمالية لجليلي (بيت أنات).

وعلى أية حال؛ فإن حملة «شيشنق» لا بد كان لها نتائج حسنة في انتشار النفوذ المصري في تلك الأصقاع الآسيوية، كما أنها زادت في خزائن مصر، وخاصة عندما نعلم أن «داود» و«سليمان» بوجه خاص قد جمعا أموالًا طائلة في بلادهما، ولا نشك في أن «أورشليم» كانت من أغنى البلاد في هذا العهد. وقد علمنا أن «شيشنق» — على حسب ما جاء في التوارة — استولى على كل ما له قيمة هناك واستعمله في بلاده، والواقع يدل على ذلك؛ لأن مصر قد عاشت قرنين من الزمان على الغنائم التي حملها «شيشنق» من «فلسطين»، ولا أدل على ذلك من العمائر التي أخذ في إقامتها ملوك هذه الأسرة؛ مما يدل على بسطة في المال وسعة في الرزق، وهذه الآثار لا تزال باقية حتى الآن بمعبد «الكرنك»، وهي التي فصلنا القول فيها فيما سبق.

(٣) آثار الفرعون شيشنق الأول

ترك لنا «شيشنق الأول» عدة آثار هامة في أنحاء مصر، نخص بالذكر منها ما يأتي:

(٣-١) لوحة الكرنك

عَثَرَ الأثري «لجران» على قطع من لوحة من الحجر الرملي عام ١٨٩٤ وعام ١٩٠٣ (راجع Legrain, A. S. V. p. 38: Br. A. R. IV Par 924)، في قاعة «الكرنك»، ونشاهد على هذه اللوحة الملك وابنه «أوبوت» الكاهن الأكبر يقدمان قربان النبيذ للإله «آمون»، وقد دُوِّن على هذه اللوحة تقرير هام عن حملته في آسيا، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن ما تبقى من نقوشها لا يقدم لنا إلا بعض جمل يفهم منها أنه قد وقعت بعض حادثة — ويحتمل أن تكون واقعة حربية وقعت — على شواطئ البحيرات المرة في خليج السويس. وما تبقى من النقوش لا يمكن فهم شيء كثير منه وهو:

> ... فقال جلالته للبلاط ... الأشياء الشريرة التي فعلوها، فقالوا ... خيله خلفه، في حين أنهم لم يعرفوها، تأمل ... وقد عمل جلالته مذبحة عظيمة بينهم وهو على جسر شاطئ كمور (البحيرات المرة)، وأنه هو الذي كان ...

(٣-٢) لوحة الواحة الداخلة

(راجع J. E. A. Vol. XIX. pp. 19ff). عَثَرَ على هذه اللوحة الكبتن «ليونز» في «الواحة الداخلة» عام ١٨٩٤ ومعها أخرى أصغر منها في بلدة «موت»، وكان أول من نشر نقوشها الأثري «سبيجلبرج» (راجع Rec. Trav. XXI (1889) p. 12–21)، وقد قام بنشر اللوحة الأولى من جديد الأستاذ «جاردنر» وعلق عليها تعليقًا ممتعًا، وصحح بعض الشيء الترجمة التي وضعها سلفه.

واللوحة تنقسم قسمين: الأعلى ويحتوي على منظر غريب في بابه؛ ففي وسطه نشاهد مبنًى غامضًا في كنهه يظهر لأول وهلة أنه محراب يخرج منه عمود مزين بإكليل يحمل ما يسمى «الشعر المستعار لأوزير»، وهذا الشعر هو رمز عبادة بلدة «العرابة المدفونة»، ويزين جدران هذا المحراب صورتان للإلهة «حتحور»، غير أنه لا توجد أية علاقة على ما يظهر بالإله «أوزير» والنقوش التي تتبع هذا المنظر تُشْعِر بأن هذا المبنى يعد بمثابة

محراب للإله «ستخ» (أوست) نفسه، وإن كان من المستحيل علينا أن نجد العلاقة بين الصورة التي تتوسط المحراب وبين صورة الإلهة «حتحور».

وعلى يمين هذا المحراب نشاهد أميرًا ممسكًا بيده مصباحًا، واسم هذا الأمير «وايهيست» صاحب «أرض الواحة»، ويُرَى خلفه كاهن يتعبد واقفًا ويُلقب كاهن «ستخ» «نسوباست» المرحوم بن «باتي»، وعلى يسار المحراب نشاهد امرأة لم يُذكر اسمها، والمحتمل أنها أم «نسوباست» التي تسمى «توحنوت»، وخلفها امرأة أخرى تُلقب زوج كاهن «ستخ» «بيتباست» بن «باتي»، ويحتمل أن الاسم الأخير هو تحريف لاسم «نسوباست»، غير أن ذلك ليس مؤكدًا؛ إذ من المحتمل أن يكون اسمَ أخي صاحب البئر التي عليها النزاع كما سنرى بعد.

وفي أسفل المنظر السابق من جهة اليمين نشاهد امرأتين تضربان على الدف، وقد كان اسماهما ولقباهما مدونين في النقش الذي يصحبهما، غير أنه لم يبقَ إلا بعض كلمات هي: «الزوجة ربة البيت المغنية … المرحومة مغنية «ستخ» … المرحوم.»

والظاهر أن الأم والأخت كانتا قد رُسِمَتَا هنا، ويحتمل أن الابنة كانت زوج «نسوباست»، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون الصورة التي في النصف الأعلى هي صورة زوج نفس الرجل إلا إذا كان هذا الرجل له زوجان؛ إحداهما على قيد الحياة، والأخرى توفيت، أو أن كلتيهما عائشة أو متوفاة، وإن كان هذا احتمالًا يصعب قبوله.

(أ) متن اللوحة

وفي أسفل المنظر السابق نقش متن اللوحة وهو:

> (١) السنة الخامسة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم السادس عشر من عهد الفرعون «شيشنق» محبوب «آمون»، في هذا اليوم أتى (؟) ابن أمير «مي».
>
> (٢) ورئيس مستخدمي الأراضي، وكاهن «حتحور» صاحبة «ديوسبوليس»، وكاهن حوروسخمت (؟) صاحبة برزازه، وكاهن (ستخ) رب الواحة والمشرف على الأراضي التي يغمرها الفيضان والمشرف على المزارع (؟) وأمير الأرضين صاحب الواحة «وايهيست» القاطن ببلدة «ساواحيت» بعد أن أرسله الفرعون لإعادة النظام في أراضي الواحة.
>
> (٤) وذلك بعد أن وجدها في حالة حرب واضطراب (؟) وفي هذا اليوم عندما ذهب ليفحص الآبار التي تفيض والآبار الأخرى التي في بلدة «سواحيت»

سواء أكانت آبارًا مسدودة أم آبارًا للري وصل ليرى بئر العين الجارية المسماة «وبن رع».

(٦) وذلك بعد أن تكلم أمامه كاهن «ستخ» «ناسوباست» قائلًا: تأمل أن عين ماء جارية قد انفجرت وهي هنا بجوار هذه البئر الفائضة المسماة «وبن رع»، فافحصها؛ أي هذه البئر ملك «وبن رع» التي أنت بجوارها؛ لأنها بئر خاصة وهي ملك والدتي «توحونوت» بنت «حنتنتري». وعندئذ قال له الكاهن والأمير «وايهيست»: قف في حضرة الإله «ستخ» وادعيها لنفسك.

في السنة الخامسة، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الخامس والعشرين؛ أي في هذا اليوم عندما طلع هذا الإله الشريف «ستخ» العظيم القوة بن «نوت» في عيده المسمى «جمال النهار»؛ وقف الأمير «وايهيست» في حضرته (٩) وعندئذ قال «ستخ» الإله العظيم: إن «نسوباست» بن «باتي» على حق، إن ماء الفيضان هذا الذي في الشمال الغربي من البئر ذات الماء الجاري الخاص «بوبن رع»، هذه البئر التابعة «لبيرع» التي تقع في «سواحيت» هي ملك والدته المسماة «توحنوت» (١٠) ثبتها له هذا اليوم. وعندئذ قال الإله العظيم: لا توجد بئران «جاريتان» تابعتان «لوبن رع»، وهذه البئر ملك «بيرع» التي في «سواحيت»، غير أنه وجدت بئر واحدة في سجل المساحات الخاصة بالآبار والبساتين التابعة «لبيرع»، وهو؛ أي «السجل» الذي أصدره المراقب «عنخف» بن «ستنخت» بمثابة نسخة من سجل الفرعون «بسوسنس العظيم» في السنة التاسعة عشرة. وعندئذ قال «ستخ» (١٢) الإله العظيم: أما عن كل عين جارية في هذا الإقليم فإن التي تقع منها غربي «سواحيت»، فإنها فروع انطلقت من عيون «حوى» الجارية كما يطلق عليها.

وهذه مياه خاصة وليس من بينها مياه ملك الفرعون، وهي ملك للفرد الذي سيديرها هذا اليوم. ثم قال الإله: أما عن العيون الجارية التي ادَّعاها لنفسه «نسوباست» ابن «باتي» فإنه سيديرها حتى يمكن … (؟) الخصب، هذا بالإضافة للعين الجارية ملك والدته «توحنوت»، فثبتوها له، وإنها ثابتة لابن ابنه (١٥) ووارث وارثه ولزوجه ولأولاده؛ ولن يكون هناك ولد آخر حر منسوب إلى «توحنوت» له نصيب فيها إلا «نسوباست» بن «باتي».

وهكذا تحدث «سوتخ» الإله العظيم أمام شهود عديدين.

قائمة بأسمائهم

(١) كاهن «ستخ» صاحب الواحة، والأمير والرئيس «وايهيست».
(٢) ماتواهر (وظيفة) «باورود».
(٣) ماتواهر (وظيفة) «وايكسهر».
(٤) ماتواهر (وظيفة) «تن» ...؟ (١٨).
(٥) ماتواهر (وظيفة) «كايهام».
(٦) ضابط حملة الدروع «بتي ...»
(٧) المزارع «عنخف» بن «تفنيونخت».
(٨) الكاهن والد الإله وكاتب الختم «باتي» بن «كانا».
(٩) الكاهن والد الإله وكاتب المعبد «تيرستخ» بن «سرتحوت».
(١٠) الكاتب «بكوم».
(١١) ... ابن «باتي».
(١٢) الكاهن والد الإله ...
(١٣) الكاهن والد الإله ... «قرستخ» بن «عنخف».
(١٤) كاهن امنآبي (؟) «بنآمون» بن «باتي».
(١٥) حارس الباب «بعنخ» بن «بنجبج».
(١٦) حارس الباب «بونيش».

تعليق: لا نزاع في أن محتويات هذه اللوحة تعد من الطراز الأول بالنسبة لتاريخ مصر في هذه الفترة الغامضة من تاريخ أرض الكنانة، وبخاصة عندما عرفنا أنه قد عُثِر عليها في الواحة الداخلة، وقد زاد من أهميتها أنها تبحث في الأحوال الطبيعية والإدارية والدينية والطوبوغرافية لهذا الإقليم النائي عن مصر ذاتها. يضاف إلى ذلك أن العصر الذي نقشت فيه هذه اللوحة يعد من العصور الهامة في سياسة البلاد، وكما هو نعرف العصر الذي حكمت فيه البلادَ طائفة من الأجانب المجاورين لمصر، وهم اللوبيون الذين استوطنوا البلاد منذ زمن بعيد، وأسسوا الأسرة الثانية والعشرين، والمتون الخاصة بملوك هذه الأسرة قليلة نسبيًّا. وتمتاز هذه اللوحة بأنها الأولى من نوعها التي وجدنا في نقوشها أن لقب الفرعون قد وضع قبل اسمه الملكي، وذلك على غرار ما جاء بالتوراة؛ حيث ذكر الفرعون «حفرة» والفرعون «نخو». يضاف إلى ذلك أنه لدينا في متن هذه اللوحة

مثال غريب عن المحاكمة، أو بعبارة أخرى الفصل في قضية بوساطة الوحي، ويمكننا أن نضم هذا المثل للأمثلة التي ذكرناها من هذا القَبِيل في أثناء بحوثنا في «الجزء السابق من مصر القديمة)، وهذه اللوحة كما ذكرنا من قبل هي واحدةُ اثنتينِ، وقد قطعت من الحجر الجيري الأبيض، ويبلغ طولها ٣٧ بوصة وعرضها ٢٦ بوصة، والإله الذي قضى في موضوع عيون الماء في هذه الجهة هو الإله «ستخ» الذي كانت عبادته شائعة في الواحات على وجه عام على الرغم من تغلب عبادة آمون على كل عبادة أخرى.

أما العيون المتفجرة فهي التي كانت تعيش على مائها السكان في الواحات، وهي عيون في غالب الأحوال صناعية؛ أي إما آبار كان يحفِرها الأهلون على عمق بعيد إلى أن تصادف تيارات مائية تنساب في جوف الأراضي المنخفضة وهي منحدرة من النيل، وعند بلوغها كانت تتفجر من خلالها العيون الصافية الماء فيُزرع بها أنواع الحبوب والفاكهة، ولكن في حالات أخرى كانت لا تصل هذه المياه إلى مستوى الخصب، وكان يحدث أحيانًا أن بعض الآبار يفيض ماؤها بسبب تجمع الرواسب والأقذار على فوهتها. ولا نزاع في أن ملكية الآبار كانت ولا تزال تعد من الأهمية بمكان، والواقع أنها كانت موحدة بملكية الأراضي، وإن كان في أيامنا يوجد أفراد يملكون عيون ماء ولا يملكون أرضًا، في حين أنه يوجد أشخاص آخرون يملكون أرضًا ولا يملكون عيون ماء! ونفهم من المتن الذي أوردناه هنا أنه في عهد الأسرة الثانية والعشرين كان لمالك البئر الحق في ملكية الأراضي التي تغمرها مياه هذه البئر. والواقع أن هذه هي الحالة التي نفهمها من المتن، وسنستعرض بعد هذه الإيضاحات البسيطة مضمون المتن الذي نحن بصدده على ضوء الترجمة التي أوردناها من قبل.

والظاهر أنه في نهاية الأسرة الواحدة والعشرين قامت بعض اضطرابات في الواحة الداخلية، كما كانت الحال في معظم جهات القطر، وهذا ما دلت عليه شواهد الأحوال عند تغير الملك من أسرة لأسرة؛ ولذلك نجد أن الملك «شيشنق الأول» اللوبي المَنْبت قد اضطر إلى إرسال ابنه «وايهيست» إلى هذه الواحة حاكمًا، ولا نزاع في أنه في عهد قيام الاضطرابات وانتشار سوء النظام الداخلي تكون الملكيات عرضة للضياع والاغتصاب على يدي الأقوياء، كما كانت الادعاءات بملكيتها زورًا وبهتانًا متفشية، وعلى ذلك نجد أنه كان من أولى الأعمال التي قام بها الحاكم الجديد «وايهيست» فحص الآبار وعيون الماء التي كان يتوقف عليها حياة سكان هذه الواحة، واتفق أنه عندما كان هذا الأمير في بلده

«ساواحيت» طلب إليه أحد كهنة الإله «ستخ» الذي يدعى «نسوباست» أن يفحص ملكية أرض بجوار عين ماء «وبنرع»، وكان قد ادعى أن هذه العين كانت ملكًا لأمه، وبنى ادعاءه أولًا على أن عينًا جديدة من المياه الفائضة قد ظهرت بجوار هذه العين، وقد احتج «نسوباست» بأن المساحة التي تغمرها هذه العين كانت تأخذ ماءها من ماء عين «وبنرع» لا من عين غيرها، وقد كانت الأحكام في هذه الفترة من تاريخ البلاد تصدر عن لسان الوحي كما فصلنا القول في ذلك من قبل في مواضع شتى، وعلى ذلك فإن «وايهيست» دعا الكاهن «نسوباست» للمثول أمام الإله «ستخ» إله الواحة، وذلك في وقت الاحتفال بِعِيد هذا الإله الذي كان وشيك الانعقاد، وفي اليوم المعلوم وضع الأمير نفسه الأسئلة الخاصة بهذه القضية للإله «ستخ» الذي أجاب بدوره عنها بإشارات خاصة ظاهرة لكل الشهود الذين حضروا المحاكمة، وهم الذين ذُيلت بأسمائهم هذه الوثيقة.

وكان المحراب الذي فيه تمثال الإله كما هو معلوم محمولًا على أعناق الكهنة من حُجرة قدس الأقداس حتى قاعة العمد، وهناك كان يُحرَّك تمثال الإله على حسب الطرق والنظم الموضوعة لذلك للإجابة بالقبول أو بالرفض، ولسنا في حاجة إلى القول بأن الأمير هو الذي كان يقرر نتيجة الحكم، ولا نزاع في أن كل الكهنة دون استثناء يعلمون هذه الحقيقة، ومع ذلك فإن الحكم كان يُقبَل على أنه صادر عن الإله نفسه.

ومن المحتمل أن «نسوباست» قد قدم ادعاءه في عدة خطابات منفصلة، ولكن بعد إلقاء كلماته التي اختصرت لم يدون فيها إلا إجابات الوحي، وتدل شواهد الأحوال على أن بعض الوثائق قد فُحصت قبل المحاكمة، والقرار النهائي قد جاء في أربع إجابات للوحي مميزة؛ فالقرار الأول يعلن أن ادعاء «نسوباست» كان حقًّا، وأن الأرض المغمورة بالمياه الواقعة في الشمال الغربي لعين «وبنرع» كانت في الواقع ملك والدته «توحنوت» بنت «حنتنترو». أما إجابة الوحي الثانية فقد بينت لنا سبب هذه المحاكمة، وهو أنه توجد عين واحدة جارية كانت لها علاقة بالعين المسماة «وبنرع» في قطعة الأرض المعروفة باسم «بيرع»، وقد وجد أن البئر الوحيدة المسجلة باسم «توحنوت» في السجلات الرسمية التي نسخت من سجلات أخرى كانت قد دُونت في السنة التاسعة عشرة باسم ملك يدعى «بسوسنس» ونشرها المراقب «عنخف» بن «ستنخت» بوصفها معتمدة. وقد أجاب الوحي الإلهي بجواب ثالث منح به «نسوباست» حقوقًا أخرى؛ إذ الظاهر أن كل العيون الجارية غربي بلدة «ساواحيت» — بما في ذلك بطبيعة الحال عين «وبنرع» — كانت تستمد

مياهها من الآبار المعروفة بأنها ملك «حوى»، وهي التي لم تكن ملك «التاج»، ويمكن أن تكون على ذلك ملك أفراد خاصين، ومن أجل هذا كانت تحت تصرف أي مواطن يمكنه أن يتصرف في مائها. والنطق الرابع والأخير الذي أدلى به الوحي نجد فيه أن «نسوباست» قد منح فيه تصريحًا بيِّنًا بتملك كل هذه الآبار بالإضافة إلى بئر «وبنرع»، وقد أعلن أن أية ملكية قد اكتسبت بهذه الطريقة ستثبت «لنسوباست» وأخلافه من بعده سرمديًّا دون أن يكون لأي ابن من أبناء «تحنوت» أَخْذُ نصيب منها.

(٣-٣) لوحة شيشنق الخاصة بالضرائب الدينية التصاعدية

ومن الآثار الهامة التي خلفها لنا الفرعون «شيشنق الأول» لوحة وجدت في «أهناسية المدينة» — التي كانت تعد المقر الأصلي لأسرته — في عام ١٩٠٧، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري، ويبلغ ارتفاعها «٥٧» سنتيمترًا، وعرضها «٥٦» سنتيمترًا، وقد نقش عليها تسعة وعشرون سطرًا، غير أنها وصلت إلينا مهشمة بعض الشيء، وكان أول من درس نقوشها «أحمد بك كمال» عام ١٩٠٩ (راجع Rec. Trav. XXXI. p. 33–38)، ثم فحصها «دارسي» عام ١٩١٣ (راجع Ibid XXXV p. 133)، كما درس الأسماء الجغرافية التي تحتويها (راجع Dic. Geog. (I–VI) & L. R. III. 312 et 324)، وقد أضاف الأثري «مسبرو» بعض ملاحظات على مقال «أحمد بك كمال» قال فيها: «إن هذه اللوحة لها أهمية عظيمة من حيث موضوع الأوقاف في مصر القديمة.» هذا، وقد درست أخيرًا هذه اللوحة (راجع Melanges Maspero, T. II, p. 817ff)، وقد اختلف الأثريون في كنه هذا الأثر؛ فيقول «أحمد بك كمال» و«جوتييه»: إنها كانت في الأصل مائدة قربان قطعت من حجر مكعب الشكل، غير أن نوع الحجر لم يعرف على وجه التأكيد. ويقول «أحمد بك كمال» وكذلك الأثري «فاري»: إنه من الجرانيت الأسود أو الرمادي.

ويلاحظ أن سمك هذا الأثر قد نُقش من كل جوانبه ولم يبقَ منه واحد دون نقش، فعلى وجهين نجد سلسلة من التفاصيل حُفر فيها ثماني حفر ربما كانت لوضع أحجار الضامة فيها، وقد نقش على وجه آخر أربعة أحواض ربما كانت خاصة بوضع القربان فيها ويرجع عهدها للعصر القبطي، ونقش على الوجهين الباقيين المتن المصري القديم.

وهاك ترجمة المتن:

(١) … السكتيو، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين (خبرحزت-رع-ستبن رع) ابن رع رب التيجان (مري آمون شيشنق)،

(٢) عندما كان جلالته له الحياة والفلاح والصحة يبحث (في نفسه) عن كل أنواع الأشياء المفيدة ليخبرها لوالده الإله «حرشف» ملك مصر وسيد «أهناسية المدينة»، وهو شيء كان على أية حال يحفظه في قلبه منذ توليه (٣) العرش، وجاء إليه الأمر الملكي رئيس الجيش «نمروت» في حضرته وقال له: حقًّا، إن معبد الإله «حرشف» سيد مصر يتوق بشدة إلى ثور القربان اليومي؛ (أي الثور الذي كان يقدم قربانًا يوميًّا إلى هذا الإله)، وقد وجدت أن توريد هذا الثور قد تُغُوضِيَ عنه تقريبًا، مع أنه كان موجودًا منذ زمن بعيد قبلي في عهد (٥) الأجداد، وإذا أعدنا تقريره ثانية كان ذلك شيئًا ممتازًا. فأجاب الملك: إني أهنئك يا ولدي الذي أنجبته؛ (٦) فإن قلبك يشبه قلب من أنجبك وكأنه هو في شبابه، وإن والدي «حرشف» سيد مصر ورب أهناسية المدينة الذي جعل كل ما يخرج من فمك نافذًا أبديًّا في معبده، فليُعمل مرسوم في القصر (له الحياة والصحة والقوة) خاص بتموين معبد «حرشف» ملك مصر وسيد أهناسية المدينة؛ ليستمر توريد ثور القربان هذا يوميًّا كما كان يحدث في عهد الأجداد.

وقد صدر على ذلك المرسوم الخاص بتموين المحراب، وقد ضربت الضرائب من أجل الثور اليومي، ووضح تمامًا بألا يكون هناك أية مخالفة (١٠) من الضياع والأماكن والمستعمرات (الإقطاعات) التابعة لأهناسية المدينة، وأن يستمر توريد هذا الحيوان دائمًا طوال الأبد السرمدي — ملك الوجه القبلي والوجه البحري — رب الأرضين (خبر-حزت رع-ستبن رع) ابن رع رب التيجان (مري آمون شيشنق) معطي الحياة مثل رع سرمديًّا.

مقدار الضرائب التي تساوي «٣٦٥ ثورًا»، وهي الضرورية لحاجيات السنة حتى نهاية الأبدية:

(١٢) رئيس جيش أهناسية المدينة نصيبه … لشَهْرَيْ؛ توت وبابه	٦٠ ثورًا
السيدة الرئيسة العامة لحريم الإله «حرشف» ملك الأرضين وبنت الرئيس العظيم للجيش (التي تسمى) «استنخب» …	١٠ ثيران
(١٣) رئيس «توهارو»* الخاص بأوزير «ماعت رع» …	١٠ ثيران
رئيس توهارو «أهناسية المدينة» …	١٠ ثيران

كاهن الإله «ست» سيد «سسو» (؟) وهذا لشهر «هاتور»	١٠ ثيران
(١٤) رئيس مُسَمِّنِي الثيران لمعبد الإله حرشف ملك الأرضين ...	١٠ ثيران
رئيس «أمي-باح» ...	٦ثيران
الأمين العام لمعبد مأوى الإله «حرشف» ملك مصر ...	١٠ ثيران
مدير المعبد ...	١ ثور
...	٣ ثيران

* «توهارو» اسم قوم من الساميين قد أتى بهم الفراعنة إلى مصر من حملاتهم في آسيا، وتدل الأحوال على أنه كانت توجد طائفتان جيء بهما إلى مصر في عهدين مختلفين، وقد احتلت إحداهما مكانًا غير معروف في مقاطعة أهناسية المدينة، حيث وضعها «رعمسيس الثاني» كما يدل على ذلك اسمها «توهارو وسرماعت رع» (أي توهارو رعمسيس الثاني). أما الثانية فكانت تحمل اسم «توهارو» «أهناسية المدينة»؛ ولذلك يحق لنا أن نجعل مكانها في أهناسية المدينة أو بالقرب منها، وكان على رأس كل من هاتين الطائفتين رئيس يدعى كبير توهارو (راجع Melanges Maspero p. 838).

وهذه لشهر كيهك.

كاهن الإله «حرشف» ملك الأرضين ...	٧ ثيران
مدير مخزن هذا المثوى ...	١ ثور
رئيس فرقة الحرس لمخازن هذا المثوى ...	١ ثور
(١٦) ...	...

وهذه لشهر طوبة.

... لمخزن ...	٤ ثيران
... القائد ...	٨ ثيران
رئيس مخازن القائد ...	٨ ثيران
...	١٠ ثيران

وهذه لشهر أمشير.

رئيس رماة أسطول الحرب للقائد …	١٠ ثيران
مدير بيت القائد …	٥ ثيران
(١٨) …	…

وهذه لشهر برمودة.

رئيس كتبة الحامية التابعة للمكان المحصن «مري أم شعف»	٥ ثيران
عظماء … «مري أم شعف» …	٦ ثيران
كاتب الجنود …	…
(١٩) … «أهناسية المدينة» …	٢ ثَور
مدير الـ … العاصمة للقائد …	٥ ثيران
الخادم الأول لبيت جرسافيس …	١ ثور

وهذه لشهر برمهات.

(٢٠) … مدينة «باسجري-ني حانتيت» ومدينة «تاعت-باقن-بامشع»	٢ ثور
مدينة بوصير …	٢ ثور
مدينة تاوحيت-سسو ومدينة … ومدينة باسيج نفر …	١ ثور
مدينة بابخن-ني-بانحسي …	٢ ثور

وهذه لشهر بشنس.

مدينة بابخن	...
ومدينة بابخن-ني-نفررنبت ...	١ ثور
مدينة تا إت-با ... بست ...	١ ثور
مدينة بر ... تف ...	١ ثور
مدينة بروازو ...	١ ثور
مدينة تا-شات راسا ...	١ ثور
... (٢٣) مدينة إت-شات حرآس ...	٢ ثور
مدينة برنبت ...	١ ثور
مدينة حات-نبت-منتو ...	٣ ثيران

وهذه لشهر بئونة.

مدينة سا واحت-كنت ...	١ ثور
... (٢٤) ...	١ ثور
مدينة تا أت تات ...	١ ثور
مدينة آت نيت وعب ...	١ ثور
مدينة حات تيت نبس ...	٢ ثور
مدينة حات نزست ...	١ ثور
مدينة تا-وحت إوا ...	١ ثور
... (٢٥) ... مدينة: نكر ...	١ ثور
قرية با-ا هـ-ني-شد-سوخنسو ...	١ ثور
قرية با-ا هـ-ني-نب-سمن ...	١ ثور
قرية-با-ا هـ-ني-بن-رع ...	١ ثور
... (٢٦) رئيس خدم حجرة القائد ...	٢ ثور
صناع رأس ...	١ ثور

وهذه لشهر أبيب.

مدير مخزن سجلات القائد ...	٢ ثور
مدير ...	...
(٢٧) ... رئيس ماعز بيت الإله «حرشف» ...	١ ثور
السباكون وصانعو الحلوى ...	١ ثور
البستانيون والعسالون ...	١ ثور
رئيس الفلاحين (؟) ...	١ ثور
(٢٨)	١ ثور
العمال صانعو عربات الحرب ...	١ ثور
كاهن آمون ...	١ ثور
الحفارون ...	١ ثور
صانعو الفخار ...	١ ثور
البناءون	١ ثور

وهذه لشهر مسرى.

مدينة	٤ ثيران
كاهن معبد الإله «حرشف» التابع «لرعمسيس» ...	١ ثور

وهذه لأيام النسيئ.

تعليق: لا نزاع في أن هذا المتن الذي خلفه لنا الفرعون «شيشنق الأول» له أهمية كبيرة؛ إذ يقدم لنا معلومات هامة من الوجهتين الدينية، والجغرافية عن مقاطعة أهناسية المدينة، كما أنه في الوقت نفسه يعد من المتون التاريخية الثمينة في تاريخ هذه الأسرة، وبخاصة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية من حيث توزيع الضرائب.

ويمكننا أن نؤكد هنا أن تاريخ هذا المتن معروف لنا دون أي ريب؛ لأنه على الرغم من وجود طغراء الفرعون «شيشنق الأول» مرتين فيه، فإنه يحتوي على إشارات وتلميحات تدل على حقائق تاريخية ثابتة من عهد هذا الفرعون؛ إذ ليس لدينا أي ريب في أن المتن الذي بين أيدينا يرجع إلى الفترة الأولى من عهد «شيشنق الأول»، وهو العهد الذي كانت فيه مصر خارجة من الاضطرابات والقلاقل التي كانت البلاد غارقة في لُجَّتها في عهد الأسرة الواحدة والعشرين حوالي عام ١٠٩٠ق.م. ولدينا البرهان على التدهور فيما جاء على هذا الأثر نفسه الذي بين أيدينا وهو الخاص بعبادة الإله «حرشف» الإله الأعظم في مقاطعة «أهناسية المدينة»، ولا بد أن هذا التدهور كان يشمل كل البلاد، وقد شاهدنا من قبل ما كان في الواحة الداخلة من منازعات في بادئ حكم هذا الفرعون [الأسرة الثانية والعشرون الفرعون شيشنق الأول]. وليس لدينا من شك في أن «شيشنق» عندما أخذ مقاليد الأمور في يده قد بدأ إصلاحاته بمدينة أهناسية المدينة ومعبد الإله «حرشف» معبودها العظيم؛ إذ قد دلت البحوث على أن هذه المدينة كانت كما قلنا من قبل موطن هذه الأسرة وحصنها الحصين؛ ولذلك نجد أن رئيس كهنة الإله «حرشف» كان دائمًا في عهد هذه الأسرة من أفرادها كما ذكرنا ذلك من قبل، من أجل ذلك نجد أن أول اسم يصادفنا في متن هذه اللوحة هو «نمروت»، وهو — كما سنرى بعدُ — اسمٌ أُطلق على ثلاث شخصيات عظيمة في هذه لأسرة. والذي يعنينا هنا هو «نمروت» ابن «شيشنق» كما يدل على ذلك لقبه «ابن الملك»، وقد وصلت إلينا معلومات عنه من وثيقتين أخريين؛ أولاهما الجزء الأول الأسفل من تمثال من الجرانيت عثر عليه في «تل المقدام» (مركز ميت غمر) وهو محفوظ بالمتحف المصري راجع Gauthier. L. R. III. p. 324)، واسم «نمروت» الذي كان يحمله للمرة الأولى والد «شيشنق الأول» يلاحظ عليه ما يأتي:

(١) على الرغم من أن الاشتقاق اللغوي لاسم «نمروت» غير معروف فإنه يجب أن يُلحظ الصعوبة التي تعترضنا عندما نريد أن نقرب هذا الاسم من الكلمة العبرانية «نمرود». والواقع أن هذه الصعوبة ليست بأقل من الصعوبة التي تصادفنا عندما نريد أن نُرجع اسمي؛ «أوسركون» و«تاكيلوت» إلى الاسمين البابليين «سرجون» و«تجلات» (راجع Maspero, Hist. Anc. II. p. 769 note1). وعلى أية حال؛ فليس مدهشًا أن نجد أعضاء أسرة أصلها لوبي صريح ينسب اسم من أسمائها إلى أصل أجنبي تمامًا بدلًا من أن نبحث عن أصله في لغة السلالة نفسها.

(٢) يجب أن نفرق بين اسم «نمروت» الذي ورد في السطر الثالث من اللوحة التي نحن بصددها الآن، وبين اسم الموظف الأهناسي الكبير الذي جاء ذكره في السطر الثاني عشر بنفس النطق والرسم، وذلك خلافًا لما ذكره «مسبرو» في ملاحظته عن هذا المتن (راجع Rec. Trav. XXXI. p. 38)؛ إذ يقول: «وهنا كان أحد أبناء الملك «نمروت»، وهو الذي كان قد عينه والده قائدًا حربيًّا في مقاطعة أهناسية المدينة العظيمة، وهو الذي على ما يظهر قد فكر أولًا واقترح بعد ذلك في عمل الإصلاحات.» والواقع أننا أمام شخصين مختلفين كان يقوم كل منهما بعمل مميز عن الآخر؛ فأحدهما — وهو الذي ذُكر في السطر الثاني عشر — قد عُين قائدًا لجنود أهناسية المدينة، في حين أن «نمروت» الآخر الذي ذكره في السطر الثالث كان يقوم بإدارة جيش مصر كلها كما يؤكد ذلك ما جاء على تمثال ليونتوبوليس (تل المقدام) (راجع L. R. III. p. 323–324).

والاسم الثالث الهام الذي يصادفنا في السطر الثاني عشر هو اسم السيدة «استنخب»، وهو بلا شك اسم امرأة ذات نسب عريق، ولا ريب في أنها من الأسرة المالكة، وهذا ما يوحي به لقبها: ابنة الرئيس الأعظم «للمشوش»، وكذلك توحي بذلك وظيفتها الرئيسية العامة لحريم الإله «حرشف» … ويمكن تقريب هذه الوظيفة من وظيفة «كبيرة الحريم لآمون رع ملك الآلهة» أو الرئيسة العظيمة الأولى لحريم «آمون رع ملك الآلهة»، وهذا اللقب كانت تحمله الملكات والأميرات في عهد الأسرة الواحدة والعشرين. ومن الأمور الهامة التي ينبغي الوصول إليها هو أن نتعرف على شخصية هذه الأميرة، وبخاصة أن ذلك يمكِّننا من تحديد تاريخ الحاشية التي جاءت في السطر الثاني عشر من هذا المتن، غير أن الوصول إلى حل هذا الموضوع يكاد يكون ضربًا من المستحيل، كما يؤكد لنا ذلك عدم إمكان إيجاد الروابط التي بين ثمانية الأميرات اللائي تحدث عنهن الأثري «جوتييه» في الجزءين: الثالث والرابع من كتاب «الملوك» وقد لُقِّبن بهذا اللقب، وكذلك كانت الحالة مع ابنة الملك «شبكا» (في الأسرة الخامسة والعشرين)؛ فقد ذُكرت كذلك باسم «استنخب»، ومن أجل ذلك نتساءل — على عكس ما قرره «مسبرو» وقد رأى أن هذه السيدة إما أن تكون أم الرئيس الحربي لمدينة أهناسية المدينة أو زوجه، إذا لم تكن هناك امرأة تُدعى «استنخب» ليست معروفة حتى هذا العهد، وأنها عاشت في عهد كان فيه سلطان «المشوش» مزدهرًا، وأنها قد أرادت أن تفخر به؛ أي إنها كانت على قيد الحياة في عهد الأسرة الثانية والعشرين، ويحتمل أن ذلك كان في السنين التي أعقبت موت الملك «أوسركون الثاني» حوالي عام ٨٥٠ق.م، وربما كان السبب في ذلك أن هذا الفرعون الذي

نعرف نشاطه مدةَ حكمه الذي امتد نحو ثلاثين سنة والفرعون «شيشنق الأول» الذي كان يعد حارسًا غيورًا على الامتيازات الفرعونية، كان لا يسمح واحد منهما لأحد رعاياه — حتى ولو كان قد وصل إلى أعلى الرتب الاجتماعية — بأن يقوم بعمل أية إضافة في وثيقة رسمية يمزق وحدتها، وكان لا بد لأجل ارتكاب مثل هذه الجرأة أن تكون السلطة المركزية في البلاد قد أصبحت في أيدٍ ضعيفة تخضع لأية قوة. والواقع أن هذه كانت الحالة في عهد الفراعنة الخمسة الذين خُتمت بهم الأسرة الثانية والعشرون، وهؤلاء هم الذين تركوا «طيبة» بين عامي: ٨٥٠–٧٢٥ق.م؛ لتعلن من جديد استقلالها عن بيت الملك كما سنرى بعد، وبذلك سادت الفوضى في مصر الوسطى والدلتا. ولا نزاع في أننا نعترف هنا بأن هذا التفسير بعيد عن أن يحتل المكانة الأولى وأن يعد تفسيرًا مقنعًا تمامًا، ولكن من جهة أخرى يسمح لنا أن نستعرض النظرية القائلة: إن «استنخب» التي جاء ذكرها في هذا المتن لا بد كانت قد عاشت على ما يُظن ما بين عامي ٨٥٠ و٨٠٠ق.م، وأنها في هذه الفترة نَقَشَتِ الإضافة التي نراها في اللوحة بارزةً، وأنها عملت من طريق الزهو والفخر كما يحدث الآن، فينسب شخص نفسه لأسرة عظيمة قد يكون يحمل اسمها عن طريق الصدفة.

ومما يلاحَظ في نقوش هذه اللوحة كذلك أنه قد جاء في السطر الثالث عشر ذكر الإله «ست»، غير أن الحيوان الدال على صورة هذا الإله وُجد مهشمًا، والواقع أن وجود اسم هذا الإله في وثيقة رسمية من الأسرة الثانية والعشرين يسترعي النظر؛ وذلك لأنه يبرهن على تقديس هذا الإله واحترامه في عهد ملوك «بوبسطة»، وقد يؤكد ذلك المكانة الخاصة التي كان يحتلها كاهن هذا الإله بين أهم الشخصيات في مقاطعة أهناسية المدينة؛ إذ نلحظ أنه كان بمفرده يورد عشرة ثيران، وقد استمر ذلك حتى نهاية عهد الأسرة الخامسة والعشرين. يضاف إلى ذلك أننا وجدنا هذا الإله يوحي بالأحكام بين المتخاصمين في الواحة الداخلة كما ذكرنا ذلك من قبل. هذا على الرغم من أن نجم هذا الإله قد أخذ في الأفول في عهد الأسرة الواحدة والعشرين على رأي «مونتيه» (راجع مصر القديمة الجزء الثامن). وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الإله لم يكن مكروهًا في عهد هذه الأسرة، ولكن قد بدأ كرهه يشتد في العصور التي تلت هذه الأسرة، ويحتمل أنه قد ازداد من أول الأسرة السادسة والعشرين فما بعد.

(أ) الضرائب وتوزيعها كما جاءت في متن هذه اللوحة

قد لا نخطئ إذا قررنا أن جزء المتن من سطر ٩ إلى ٢٩ يعد نموذجًا لوثيقة رسمية عن الضرائب؛ فقد دوِّن بدقة مبتدئًا بأنواع الأقسام الثلاثة التي تَنْقَسِمُها مقاطعة أهناسية المدينة من الوجهة المالية، وأعني بذلك أنه ذُكر فيها المدن والقرى ثم الإقطاعات الصغيرة. وجاء في المتن بعد ذلك ذكر عدد الثيران التي كانت تجمع سنويًّا لتقدم قربانًا لمعبد الإله «حرشف»، وينتهي المتن بعد ذلك بقائمة طويلة ذُكر فيها الموظفون الحربيون والدينيون وأصحاب الوظائف العالية، ثم ذكرت الأماكن مبتدئة بالمدن بمعناها الصحيح، ثم القرى والضِّياع، ثم التجار والصناع وأصحاب الحرف.

وقد قسمت الضرائب التي جمعت من ذلك على الاثني عشر شهرًا التي تحتويها السنة المصرية، ثم شُفع اسم كل دافع ضرائب من الذين تحتويهم هذه الفئات بالرقم الذي كان يجب عليه دفعه ضريبة، وكانت تورد ثيرانًا كلٌّ على حسب المركز الذي يشغله في الحياة الإقطاعية. ويلاحَظ أنه قد روعي في الدفع ذكر العناصر الثلاثة التي كانت تتألف منها الأقسام الثلاثة التي ذكرناها، وعلى ذلك نجد أن المدن قد احتلت المكانة الأولى، ثم تلاها في المنزلة القرى التي كانت أقل من المدن مساحة، وأخيرًا الضِّياع أو المستعمرات أو العِزب الصغيرة، ويأتي بعد ذلك أصحاب الحرف والصناعات. أما الأمر الذي لم يمكننا الوقوف على كنهه من نفس الوثيقة فهو: هل كانت هذه الضرائب تُجْبَى على رءوس الأموال أو على الدخل السنوي الذي يَحصل عليه كل فرد من هؤلاء الأفراد الذين جاء ذكرهم في الوثيقة؟ وكذلك لم تُشِرِ الوثيقة فيما إذا كانت هذه هي الضريبة الوحيدة التي كانت تُجْبَى من هؤلاء الأفراد أو كانت تجبى منهم ضرائب أخرى؟

والمرجح أن هذه الضريبة كانت على الدخل السنوي؛ لأننا نجد من بين دافعي الضرائب صُنَّاعًا وموظفين، ومن ثم نفهم أنه كانت توجد في البلاد وقتئذ طائفة من رجال الدين كانوا أصحاب يسار، ثم طائفةُ فلاحين قاطنين القرى والضِّياعَ، وأخيرًا طبقة صناع وأصحاب حرف كانوا على ما يظهر يسكنون المدن، وكان كل هؤلاء يدفعون ضرائب للحكومة التي كانت على الأرجح تتولى منها الإنفاق على معابد الحكومة وغيرها، هذا فضلًا عن وجود طبقة رجال الجيش الذين كان لهم سلطان عظيم وثروة ضخمة، كما يدل على ذلك مقدار ما كانوا يدفعونه من ضرائب لإمداد معبد الإله «حرشف».

(٣-٤) السجلات التي دوَّنها «شيشنق الأول» على لفائف الكاهن الثاني لآمون المسمى «زد بتاحف عنخ» الملقب ابن الملك رعمسيس

تدل المتون التي بقيت لنا على أن خبيئة الدير البحري التي كانت تحتوي على الموميات الملكية لم تكن قد فتحت لآخر مرة قبل السنة الحادية عشرة من عهد «شيشنق الأول»، وكان ذلك لدفن مومية الكاهن الثاني لآمون الذي كان يحمل لقب رئيس إقليم وابن الملك لرعمسيس «زد بتاحف عنخ». والإهداءات التي دونت على نسيج المعبد الذي استُعمل لهذه اللفائف لها أهمية عظيمة؛ وذلك لأننا نعرف منها أن «شيشنق الأول» كان في تلك الفترة يقبض على زمام الأمور في «طيبة»؛ أي في السنة الخامسة من حكمه، وذلك عندما وُطِّدَتْ قدم ابنه «أوبوت» على عرش كهنة «آمون»، وبهذا قضى على استمرار وراثة هذا المنصب في أسرة الكهنة هناك، وهو المنصب الذي نشأ في أوائل الأسرة الواحدة والعشرين، ومن ثم أصبح هذا المنصب الرفيع في أسرة «شيشنق». وهاك النص الذي وجد على لفافة هذا الكاهن (راجع Maspero, Momies Royales p. 573):

> الكتان الجميل الذي عمله ملك الوجه القبلي والوجه البحري سيد الأرضين «خبر-حز رع-ستبن رع» بن رع سيد التيجان «محبوب آمون شيشنق» لوالده «آمون رع في السنة العاشرة»، الكتان الجميل الذي عمله الكاهن الأكبر لآمون رع والقائد الأعلى للجيش (المسمى) «أوبوت» المنتصر ابن الملك رب الأرضين «شيشنق الأول» لوالده «آمون» في السنة العاشرة.

ولدينا لفافة أخرى تحمل نفس النص، ولكنها مؤرخة بالسنة الحادية عشرة، وأخرى مؤرخة بالسنة الخامسة غير أن اسم الكاهن الأكبر قد فُقد.

(أ) ابن الملك لرعمسيس (أو حاكم مدينة رعمسيس أو «بررعمسيس»)

ويلفت النظر بوجه خاص في متن الكاهن «زد بتاحف عنخ» لقب ابن الملك لرعمسيس؛ ولذلك آثرنا أن نبحث هذا اللقب والشخصيات التي كانت تحمله حتى يمكن القارئ تتبع تاريخ هؤلاء الذين كانوا يحملون هذا اللقب. والواقع أن لدينا ألقابًا أخرى تشبه هذا اللقب في تركيبه؛ فقد تحدثنا في «الجزء الخامس من مصر القديمة ... إلخ» عن حاكم

بلاد كوش في خلال الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها، فكان يلقب ابن الملك حاكم «كوش»، وكذلك أشرنا إلى لقب ابن الملك الأول صاحب «نخبت» (الكاب). وتدل الأحوال على أن كل من كان يحمل هذا اللقب لم يكن ابن ملك حقيقي، بل كان هذا اللقب يعد لقبًا فخريًّا يمنحه الفرعون لحاكم كل من هذين الإقليمين، وقد دلت النقوش على أن لقب الابن الأول للملك صاحب الكاب كان وراثيًّا في أسرة بعينها (راجع A. S. X. p. 199). ولقب ابن الملك الذي يعنينا هنا الآن هو ابن الملك صاحب رعمسيس، وقد كان لقبًا شائعًا في عهد الأسرة الثانية والعشرين، وسنحاول هنا قبل أن نسير شوطًا بعيدًا في تاريخ هذه الأسرة أن نعدد أسماء هؤلاء الذين كانوا يحملون هذا اللقب مستعرضين النقوش التي ورد ذكر كل منهم فيها؛ لنقف على مكانتهم في الدولة، ثم نستخلص من هذا العرض نتيجة عن علاقتهم ومراكزهم بالنسبة للفرعون، ومن ثم يمكن أن نستنبط معنى اللقب على ضوء ما نصل إليه من حقائق.

الابن الملكي لرعمسيس نمروت

إن أقدم شخصية معروفة لنا تحمل لقب «ابن الملك لرعمسيس» هو «نمروت» صاحب التمثال المحفوظ بمتحف «مرامار» القريبة من مدينة «تريسته» (راجع A. Z. XXVIII, p. 36 f)، وهذا التمثال يحمل على جانبه الخلفي الألقاب التالية: «ابن الملك لرعمسيس، وقائد كل الجنود المشاة «نمروت» صادق القول، ووالدته هي «بانورا شناس» صادقة القول.» وعلى الجانب الأمامي نقش: ««ابن الملك لرعمسيس» قائد كل الجنود المشاة «نمروت» صادق القول، ووالدته هي ابنة الرئيس العظيم للأرض الأجنبية المسماة «بانورا شناس» المرحومة.»

ونُقش على العمود الذي خلف التمثال ما يأتي: «أمه هي ابنة الأمير العظيم للمشوش «بانورا شناس».» (راجع J. E. A. Vol. XIX. p. 23). وهذا اللقب هو الذي كان يحمله والد شيشنق الأول الذي كان يسمى كذلك «نمروت» على لوحة مرسوم «كوم السلطان»، كما ذكرنا من قبل (راجع مصر القديمة الجزء الثامن)، وهو يختلف عنه في أنه كان الأمير العظيم لقوم «مي»؛ أي المشوش، ولكنهما واحد كما قال «مسبرو» وإن اختلفت الكتابة فيهما بعض الشيء.

أما السيدة «بانورا شناس» والدة «نمروت» وهي التي وجد اسمها على تمثال «مرامار»، فلا بد أنها كانت أخت «شيشنق الأول»، وعلى ذلك يكون ابن الملك «لرعمسيس»

المسمى «نمروت» هو ابن أخت هذا الملك، وكان يحمل نفس الاسم الذي كان يحمله جده لوالده (راجع Maspero, Momies Royales p. 722-3).

ولم نعرف للأمير «نمروت» حتى عام ١٩٠٢ إلا تمثال «مرامار»، وبعد ذلك نشر الأثري «بدج» في كتابه تاريخ مصر ملاحظة عن نقش دوِّن على سوارين من الذهب عثر عليهما في «سايس»، وهما محفوظان بالمتحف البريطاني (راجع A Guide to the third & fourth Egyptian roonis (1904) p. 216 No 134-135; Guide to the Egyptian Collection in the Brit. Mus. (1909). p. 179 & 253). ولكن يلاحظ أن الترجمة التي أوردها «بدج» خاطئة، ويجب أن يترجم النقش كما يأتي: «عمل لأجل ابن الملك «لرعمسيس» قائد جنود المشاة «نمروت»، وأمه هي ابنة الأمير العظيم لقوم المشوش (؟) المسماة «بانوراشناس».» وقد نَسَبَ الأثريُّ «جوتييه» خطأً — تبعًا لترجمة «بدج» — هذين السوارين لابنة «نمروت» (راجع L. R. III. p. 319).

وفي عام ١٩٠٥ كشف الأثري «أحمد كمال» عن الجزء الأسفل من تمثال جالس القرفصاء في تل المقدام (مركز ميت غمر)، وهو الآن محفوظ بالمتحف المصري (راجع A. S. VII p. 236-237)، وكتب عنه جوتييه (راجع Ibid p. 323) والألقاب وسلسلة النسب التي على هذا الأثر هي ما يأتي:

على ظهر التمثال:

قائد كل جنود المشاة «نمروت» صادق القول وابن الملك لرب الأرضين …

وعلى الجانب الأيسر من المحراب الذي يحمله التمثال — ويشتمل على صورة الإله «أنخور».

المتن الثاني:

القائد لكل جنود المشاة والرئيس العظيم للمشوش (؟) «نمروت» صادق القول، وابن الملك لرب الأرضين «شيشنق»، وأمه هي الابنة الملكية … والرئيس العظيم للمشوش المسماة «بانوراشناس».

ويوجد على الجانب الأيمن لنفس المحراب متن مشابه للسابق.

ومما سبق يمكننا أن نوحد صاحب تمثال «مرامار» وصاحب السوارين بصاحب التمثال المحفوظ بالمتحف المصري. وتدل الأحوال على أن الملك «شيشنق» المذكور هنا هو الذي يحمل لقب «محبوب آمون» وهو «شيشنق» الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، وفي هذه الحالة يكون «نمروت» الذي نحن بصدده الآن يحمل اسم جده لوالده، وهذا ليس بالأمر الغريب؛ لأنه على حسب ما قررناه سابقًا كانت القاعدة المتبعة تقريبًا في مصر القديمة أن يسمى الأولاد باسم جدهم عندما يكون المولود ذكرًا، وباسم الجدة عندما تكون المولودة أنثى.

أما والدة «نمروت» المسماة «بانوراشناس» فمن المحتمل جِدًّا أنها — كما يظن «ماسبرو» — أخت «شيشنق الأول»، وعلى ذلك تكون ابنة «نمروت الأول» جد الأسرة الثانية والعشرين؛ غير أنه لا بد أنه كان منحدرًا من جهة والدته على أغلب الظن من إحدى فروع أسرة الرعامسة القديمة، وهذا الزعم يبرر لنا تلقيبها بالابنة الملكية، وهو اللقب الذي ذُكر على قطعة التمثال المحفوظة بالمتحف المصري. وسنتحدث فيما بعد عن معنى لقب «ابن الملك لرعمسيس»، ولكن مع ذلك نستطيع أن نذكر هنا أن التفسير الذي ذكره «دانيال هايج» (راجع .A. Z. XVII p. 154 f) وكذلك الأثري «لوت» (راجع .Aus Agypten, p 40) هو أول تفسير حدد معنى هذا اللقب، فقال: إن كلمة «رعمسيس» في اللقب هي اسم جغرافي ويعني إما إقليم «غوشن» أو بلدة «رعمسيس» التي جاء ذكرها في هذا الإقليم، وهي كما نعلم كانت عاصمة الملك التي أنشأها «رعمسيس الثاني» وأطلق عليها اسم «بررعمسيس» (وهي قنتير الحالية بالقرب من فاقوس)، وعلى ذلك يكون اللقب مَثَلُه كمَثَلِ «ابن الملك صاحب كوش» و«ابن الملك صاحب نخبت» و«ابن الملك صاحب طينه».

ابن الملك لرعمسيس المسمى «زدحور أف عنخ»

وثاني شخصية تحمل لقب «ابن الملك لرعمسيس» هو «زدحور أف عنخ»، وقد عثر «بروكش» على هذا الاسم منقوشًا على لوحة صغيرة من الخزف المطلي الأزرق عام ١٨٧٥م، وقد كانت محفوظة بالقاهرة ضمن مجموعة «جوستاف بوزند» (راجع .A. Z. XIII p 163)، وهي الآن بالمتحف البريطاني (راجع Petrie, History of Egypt III. p. 242).

وقد كُتب على كلٍّ من جانبي هذه اللوحة نقشٌ مؤلف من سطرين؛ فكتب على الوجه: ابن الملك لرعمسيس والمشرف على جنود المشاة القائد «زدحور أف عنخ» ابن الابنة الملكية «زد-أننوب-أسعنخ». وعلى الظهر كُتِبَ: «عُملت بوساطة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «خبرحزرع ستبن رع» ابن رع سيد التيجان «شيشنق» العائش مثل رع.»

ويمكننا القول بأن الأميرة «زد-أننوب-أسعنخ» كانت أم ابن الملك لرعمسيس المسمى «زدحور أف عنخ»، وبهذا يكون من حق الأخير أن يرث اللقب الذي يصله بأسرة الرعامسة القديمة كما يقول البعض.

أما اللوحة نفسها فمن الجائز أنها كانت هدية منحها الفرعون «شيشنق الأول» للقائد الحربي «زدحور أف عنخ» مكافأة على عمل لامع قام به، أو لخدمة قدمها لسيده الفرعون. ومن ثم يمكننا القول بدون تردد: إن نظرية «بروكش» القائلة: إن «زدحور أف عنخ» كان يعد ابن أحد ملوك رعامسة الأسرة العشرين لا ترتكز على أساس، وإنه أصبح من المستحيل الأخذ بهذا الرأي؛ وذلك لأنه في عهد «شيشنق الأول» كان الرعامسة قد حرموا الملك منذ عدة أجيال، وكان آخر فرعون منهم يفصل بينه وبين «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة البوباسطية سلسلة ملوك الكهنة الذين كان بعضهم يحكم في «طيبة» فقط وبعضهم الآخر في «طيبة» «وتانيس» في وقت واحد، والظاهر أن اللوحة المصنوعة من الخزف المطلي الأزرق هي التي حَفِظت لنا اسم «زدحور أف عنخ» واسم أمه الأميرة «زد أننوب أسعنخ».

زد بتاحف عنخ ابن الملك لرعمسيس

ذكرنا من قبل أنه وُجد على لفائف هذا الأمير إهداء يرجع إلى السنين: الخامسة، والعاشرة، والحادية عشرة من عهد الفرعون «شيشنق الأول»، والواقع أنه قد كُشف عن مومية هذا الكاهن في خبيئة الدير البحري عام ١٨٨٠ — ولدينا تابوتان كانا في الأصل لشخص غيره ولكنه اغتصبهما — ومومياته وتماثيله المجيبة، وكذلك صندوقان من الصناديق التي كانت توضع فيها هذه التماثيل المجيبة، وإضمامة بردي (راجع Petrie, History of Egypt III p. 242) وتابوته الداخلي كان لامرأة مجهولة الاسم، والظاهر أنه قد مُحِيَ اسمها وألقابها التي كانت مدونة على الغطاء الملون، وكُتب بدلها ما يأتي: «الكاهن الثالث لآمون رع ملك

الآلهة حاكم الإقليم العظيم وابن الملك لرعمسيس «زد بتاحف عنخ».» (راجع Daressy, Cat. Gen. du Musee du Caire Cercuils des Cachettes Royales No. 6103 p. 200 et seq. et. Pl. LVIII–LX).

أما إضمامة البردي التي وجدت معه فهي التي كان قد سرقها محمد عبد الرسول عندما عَثَرَت أسرته على خبيئة الدير البحري، وقد اشترتها في «طيبة» «مس بروكلهرست»، وقد وجدت فيما بعد عند «مس إميليا إدواردز»، وكتب عنها «ماسبرو» (راجع Bulletin de L'Instit. Egyptien 1881 p. 149 et 168–169).

وعلى هذه الورقة لم يحمل لقب ابن الملك لرعمسيس كما هي الحال على تابوته، بل كتب: «ابن الملك لرب الأرضين.» وكذلك لم يحمل لقب الكاهن الثالث لآمون بل لقب الكاهن الثاني لآمون، يضاف إلى ذلك أن اسمه كُتب ببعض تحريف ولكنه سُبِقَ بلقب «حاكم الإقليم العظيم»، وقد فحص «ماسبرو» التماثيل المجيبة التي باسم هذا العظيم على حدة، وهي المحفوظة الآن بمتحف القاهرة مع تابوته وموميته، وقد كُتب اسمه بصور مختلفة على هذه التماثيل، أما لقب «ابن الملك لرعمسيس» فقد دوِّن أحيانًا ابن الملك، وكذلك كُتب: ابن الملك لرب الأرضين (راجع A. Z. XXI. p. 68–69; & Momies Royales p. 590).

ونستنبط مما كُتب على حمالات المومية كما ذكرنا من قبل بعض أدلة تاريخية ثمينة؛ فنجد في الإهداءات المختلفة المكتوبة بالهيراطيقية أنها المؤرخة بالسنة العاشرة أو الحادية عشرة من عهد «شيشنق الأول». هذا، وقد طُبِعَ على لوحة صغيرة وُجِدَتْ على صدر المومية اسم الكاهن الأعظم لآمون «أوبوت» ابن الفرعون «شيشنق» (راجع Maspero, Guide du Visiteur 1915 p. 401 No 3849).

وقد استنبط «ماسبرو» بحقٍّ من هذه المعلومات أن «زدبتاحف عنخ» كان قد توفي في السنة العاشرة من حكم «شيشنق الأول»، ولكن «بريستد» يظن أنه في السنة الحادية عشرة قد فُتحت خبيئة الدير البحري للمرة الأخيرة لتدفن فيها مومية هذا الكاهن كما ذكرنا من قبل، وقد نال «زدبتاحف عنخ» شرف الدفن على يد الكاهن الأعظم لآمون المسمى «أوبوت» بجوار فراعنة الأسرات: الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة، والعشرين وأقاربهم، ومن ذلك نرى أن كون «زدبتاحف عنخ» كان حفيدًا بعيدًا لأسرة الرعامسة من جهة أمه يعد سببًا كافيًا — كما يقول البعض — لأن يُكْسِبَه شرف الدفن في المقبرة الملكية. ولسنا في حاجة إلى القول إن هذا الأمير كان زوج السيدة «نسيتانب أشرو»؛ أي إنه كان حَمَا

الكاهن الأعظم لآمون «بينوزوم الثاني» وامرأته «نسخنسو» (راجع Bull. Instit. Egypt 1881. p. 169; L. R. III p. 284 note 2).

ابن الملك لرعمسيس «أوسركون» (؟)

توجد في متحف برلين لوحة جاء عليها ذكر لقب «ابن الملك لرعمسيس» غير أن اسمه لم يُذكر، وهذه اللوحة مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين من عهد «شيشنق الثالث»، وموضوع اللوحة هو وقف للإله آمون رب هليوبوليس في عاصمة المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري، أو بعبارة أخرى: المقاطعة اللوبية[٦] (راجع A. Z. XXI p. 188; Maspero, Momies Royales p. 197; L. R. III p. 364; Rec. Trav. XXXV (1913) p. 43-44).

وتحمل هذه الشخصية الألقاب التالية: الكاهن الأكبر لآمون رع ملك الآلهة، وابن الملك لرعمسيس. وقد رُسِمَ هذا الكاهن أمام شخصية أخرى قد هُشِّمت ألقابها ولكن يحتمل أنه رئيس عظيم للمشوش يُدعى «باديحو باست»، وقد لاحظ «ماسبرو» أن الكاهن الأعظم لآمون الذي كان يحمل أعباء هذه الوظيفة في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك «شيشنق الثالث» يدعى «أوسركون»، ومن المحتمل إذن أنه كان لا يزال يقوم بأعباء وظيفته بعد هذا التاريخ بعامين؛ أي في السنة الثامنة والعشرين، وعلى ذلك يكون من حقنا أن نوحده مع الاسم الذي لم يُذكر على لوحة «برلين» وهي التي نتحدث عنها الآن، وقد عزز هذه النظريةَ «ماسبرو» وكذلك وثائق أخرى لم تكن معروفة له بعد؛ إذ لدينا الآن وثائق تثبت أن مدة تولي «أوسركون» كرسي الكاهن الأعظم لآمون كانت طويلة، فمن ذلك نعلم أنه قد عُيِّن في وظيفته في السنة الحادية عشرة من حكم والده الملك «تاكيلوت الثاني»، وهذه السنة تقابل السنة الثانية والعشرين من عهد «شيشنق الثالث» (راجع L. R. III p. 36–38)، وقد كان «أوسركون» لا يزال يشغل هذا المنصب الرفيع في السنة التاسعة والثلاثين من حكم «شيشنق الثالث» (راجع Rec. Trav. XXXV p. 148 & p. 137).

ولا نزاع في أن «أوسركون» هذا هو الذي نجده مذكورًا على لوحة وقف بمتحف «جيميه» بباريس (راجع Rec. Trav. XXXV p. 41–43)، ونعلم من هذه اللوحة أنه في

[٦] انظر كتاب «أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني» للمؤلف ص٧٥.

السنة الثامنة عشرة من حكم جلالة «شيشنق الثالث» هذا كان في مجلسه مع «ابن الملك لرعمسيس» وهو الذي كان قد مات حينذاك، وكذلك مع كل العظماء، ومع رئيس المشوش «تاكيلوت» ابن الملك «شيشنق الثالث»، والسيدة «زد باسنت اسعنخ». ولم يفكر الأستاذ «سبيجل برج» الذي بحث اللوحة السابقة أن «ابن الملك لرعمسيس» الذي لم يُذكر اسمه على لوحة متحف «جيميه» (بباريس) في السنة الثامنة عشرة، وعلى لوحة متحف برلين في السنة الثامنة والعشرين من حكم نفس الملك «شيشنق الثالث» لا يمكن أن يكون إلا شخصًا واحدًا بعينه، ولم تُوَاتِهِ الفكرة بتوحيده بالكاهن الأكبر لآمون «أوسركون» الذي نتعرف من آثار عدة أنه كان يقوم بوظيفة رياسة الكهنة في «طيبة» في عهد «شيشنق الثالث»، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد بالتفصيل. ومع ذلك فإن الأمر ليس فيه ما يدعو إلى الريبة أو الشك؛ إذ الواقع أن «أوسركون» هذا كان لا يزال يُدعى في السنة الثامنة عشرة «ابن الملك لرعمسيس» وحسب، في حين أنه في السنة الثامنة والعشرين يسبق هذا اللقب لقب آخر وهو: الكاهن الأكبر لآمون، وعلى ذلك يجب علينا أن نعترف في هذه الحالة بأنه لم يكن قد عُيِّن بعد كاهنًا أكبر إلا بين عامي ١٨ و٢٨ من حكم الملك البوباسطي إذا كان التوافق التاريخي الذي أورده «دارسي» صحيحًا، وهو أنه عين بين السنتين؛ السابعة، والسابعة عشرة من عهد والده «تاكيلوت الثاني». والواقع أنه بعد فحص طويل تطلَّب صبرًا وأناة قام به «دارسي» في درس الآثار الغامضة الخاصة بهذا العهد؛ قد أسفر عن اقتراح يجعل انتخاب «أوسركون» لرياسة كهنة «آمون» في السنة الحادية عشرة من عهد «تاكيلوت»، وهذه السنة تقابل السنة الثانية والعشرين من عهد «شيشنق الثالث». وهذه الاستنباطات يطابق بعضها بعضًا تمامًا. وقد حققت اللوحتان اللتان ذُكر عليهما لقب «ابن الملك لرعمسيس» بدون ذكر اسمٍ عليهما ما وصل إليه «دارسي» بطريقة غاية في النجاح وسعة الحيلة من أن الاسم الذي لم يذكر على اللوحتين هو «أوسركون». ونحن نعلم أن الكاهن الأكبر «أوسركون» كان ابن الملك «تاكيلوت» والملكة «كارمعمع» محبوبة «آمون» (راجع L. R. III p. 357).

والواقع أن «أوسركون» هو الولد الوحيد المعروف لنا بصفة قاطعة للملك تاكيلوت وزوجه. هذا، ولا نعرف من أي آبائه الأقدمين قد ورث لقبه الفخري «ابن الملك لرعمسيس»، هذا على فرض أنه لقب موروث.

ابن الملك لرعمسيس أوبوت

كان أول من تحدث عن ابن الملك لرعمسيس «أوبوت» هو الأثري «مسبرو»؛ إذ وجد اسمه منقوشًا على قطعة من إناء من المرمر محفوظ الآن بمتحف القاهرة (راجع Petrie, Hist. of Egypt. III p. 242; Momies Royales, p. 719)، وهذا الإناء كان مُهدًى لابن «أوبوت» المسمى «حور». وهاك هذا الإهداء: «إلى روح المشرف على … «حور» بن «ابن الملك لرعمسيس» قائد جنود كل المشاة «أوبوت» صادق القول.»

ولا نعرف شيئًا آخر عن هذه الشخصية، ولكن الاسم الذي كان يحمله موحد مع اسم الكاهن الأكبر لآمون ابن «شيشنق الأول». وهذا يحدو بنا إلى التفكير في احتمال أنه عاش في أوائل الأسرة الثانية والعشرين البوبسطية.

ابن الملك لرعمسيس «باشد-باستت»

كان أول من ذكر اسم «باشد-باستت» بوصفه «ابن الملك لرعمسيس» هو الأثري «بتري»، وقد جاء اسمه على لوحة في مجموعته الخاصة وتحمل تاريخ السنة السادسة والثلاثين من عهد ثاني ملوك الأسرة الثانية والعشرين وهو «أوسركون الأول» (راجع Petrie, History of Egypt III p. 241-2)، وكان «بتري» قد اشترى هذه اللوحة من «العرابة المدفونة»، وجاء فيها «أن الكاهن الرابع لآمون ملك الآلهة «وابن الملك لرعمسيس» ورئيس «المعهاساو» والقائد «باشد-باستت» المتوفى الآن (؟) كان يستريض يومًا في صحراء العرابة المدفونة فوجد فيها لوحة، فأحاطها بسور وبلوحات أخرى، وأهدى الكل للإله «أوزير خنتي أمنتي» رب العرابة.»

وهنا يتساءل الإنسان عن شخصية «باشد-باستت» هذا؛ فهل من الممكن أن يكون نفس الشخص الذي يحمل نفس الاسم الذي وجد له نقش في الكرنك على مبنًى يقع أمام المصراع الغربي للبوابة العاشرة؟ والواقع أنه على الرغم من تهشيم هذا المتن نعرف مما تبقى منه أن «باشد-باستت» هذا هو ابن الملك «شيشنق» محبوب آمون. ومن سياق المتن نفهم أنه لا بد كان معاصرًا للملك «بادو باست» محبوب آمون من ملوك الأسرة الثالثة والعشرين (راجع L. R. III p. 378). ومن جهة أخرى استخلص الأثري «لجران» بمساعدة آثار أخرى أنه من الممكن أن يفرض الإنسان أن هذا العظيم كان ابن «شيشنق الثالث» بن «أوسركون الثاني» وأخَا الملك «تاكيلوت الثاني». وإذا كان هذا النسب يتفق

مع الحقيقة فليس هناك ما يمنع أن «باشد-باستت» هذا قد عاش في «طيبة»، وأقام مباني في الكرنك في عهد «بادو باست» محبوب آمون، وقد كان معاصرًا في الواقع في آخر مدته للملك «شيشنق الثالث» (راجع Rec. Trav. XXXV p. 147). ونتساءل كذلك: هل من الممكن أن نخطو خطوة أخرى إلى الأمام ونعد «باشد — باستت» هذا الذي جاء على نقش الكرنك موحدًا بابن الملك لرعمسيس وهو الذي يحمل نفس الاسم، وقد عرفناه في السنة السادسة والثلاثين من حكم الفرعون «أوسركون الأول» من اللوحة التي عثر عليها «بتري»؟ ولكن هذا التوحيد يظهر من الصعب قبوله بصفة قاطعة إذا سلمنا بالأرقام التي وصل إليها «دارسي».

والواقع أنه لم يكن قد مر أقل من اثنتين وخمسين سنة بين السنة السادسة والثلاثين من حكم «أوسركون الأول» وتولية «شيشنق الأول» عرش الملك؛ (أي الوقت الذي كان فيه «باشد-باستت» صاحب حق في أن يعلن نفسه «ابن الملك لرعمسيس» لسيد الأرضين «شيشنق مري آمون»)، وهذه المدة تحسب هكذا: أربع سنوات من السادسة والثلاثين من حكم الملك «أوسركون الأول» لنهاية حكمه، ثم ثلاث وعشرون سنة وهي مدة حكم الملك «أوسركون الثاني»، وعشرون سنة مدة حكم «شيشنق الثاني»، وخمس سنوات (؟) مدة حكم «أوبوت»؛ فيكون المجموع اثنتين وخمسين سنة. وفي هذه الحالة نفهم أنه إما أن يكون ابن الملك لرعمسيس «باشد باستت» في هذه اللحظة كان لا يزال طفلًا عندما قام بعمل الوقف الخيري الذي عمله في «العرابة» في السنة السادسة والثلاثين، وذلك على غرار الملوك الذين كانوا يزورون منطقة «بولهول» قبل توليهم عرش الملك أو بعده، ويقيمون هناك لوحات تذكارية أو يحافظون على الآثار القديمة ويضعونها في أحراز خاصة (راجع The Sphinx and its History in the Light of Recent Excavations p. 47)، أو أن ابن الملك لرعمسيس ابن «شيشنق» محبوب آمون الذي كان يحمل نفس الاسم كان وقتئذ طاعنًا في السن في عهد والده «شيشنق الثالث» وعهد الملك «بادوباست» محبوب آمون في «طيبة»، وهو الذي أقام من جديد البوابة العاشرة التي وجدها مخربة في الكرنك. وإذا حدث يومًا ما أنه عُثر على آثار تدل على حقيقة هاتين الشخصيتين بصفة قاطعة، فإن النتيجة التي سنستخلصها من ذلك تكون ذات أهمية تاريخية كبيرة.

والواقع أن الأستاذ «ريزنر» قد وجد خلال الحفائر التي قام بها في منطقة جبال نوري بالسودان نقشًا باسم «باشد نباستت» ابن الملك «شيشنق الثالث»، والمفروض أن يكون نفسَ الشخص الذي وَجَدَ له «لجران» نقشًا على البوابة العاشرة بالكرنك وإن

اختلفت الكتابة بعض الشيء. ويلقب «باشد نباستت» في هذا النقش: «القائد الأعظم للجيش» (كما وجد في نقش الكرنك على ما يُظَنُّ).

ويرى الأستاذ «ريزنر» أن هذا القائد الأعلى لجنود والده «شيشنق الثالث» في بلاد «إثيوبيا» قد قام بفتح مستقلٍّ بصورة ما عن سلطان والده الذي كان مقره «بوبسطة» بالدلتا، وأنه كان في الواقع حاكمًا حقيقيًّا لبلاد «كوش»، ولا يبعد أن يكون قد أعلن استقلاله عن بلاد «إثيوبيا» ولكن الملك «كاشتا» — الذي يَظن «ريزنر» أنه ابن «باشد نباستت» وخليفته — قد استولى على لقب الملك وطرد الملك «أوسركون الثالث» البوبسطي من «طيبة» وأقصاه إلى الدلتا، وأجبره أن تكون ابنته «أمنردس» خَلَفَ ابنة «أوسركون» المسماة «شابنأبت» التي كانت تحمل لقب «الزوجة الإلهية»؛ أي الكاهنة العظمى «لآمون رع».

ويُعَد «كاشتا» المؤسس للأسرة الإثيوبية التي حكمت حوالي قرن من الزمان (٧٥٠–٦٦١ق.م) كلًّا من بلاد إثيوبيا والوجه القبلي متخذة «طيبة» عاصمة للملك كما سنرى بعدُ (راجع Reisner, Outline of the Ancient History of the Sudan, Part IV The First kingdom of Ethiopia Sudan Notes and Records, Vol. II, Khartum (1919) p. 43–44).

فإذا كان على هذا الزعم ابنُ الملك لرعمسيس المسمى «باشد باستت» وابن الملك «شيشنق الثالث» المسمى «باشد نباستت» هما فرد واحد؛ فإنه من الممكن أن نربط مباشرة الأسرة الإثيوبية التي أسسها «كاشتا» و«بيعنخي» و«شبكا» وغيرهم بأسرة الرعامسة التي ذهب عن أفرادها ملك مصر منذ ثلاثة قرون مضت. ولا ريب في أن هذه النظرية في ظاهرها خلابة؛ غير أنه يعترضها أمران: الأول أن حكم «شيشنق الثاني» لم يكن طويلًا قط؛ بل تدل شواهد الأحوال على أنه إما أن يكون قد مات مدة حكم والده «أوسركون الثاني»، أو أنه حكم مدة قصيرة جدًّا بعد وفاة والده، وبخاصة عندما نعلم أنه لم يترك من الآثار إلا أثاثه الجنازي كما سنرى بعد، ومن جهة أخرى؛ نلحظ أنَّ هناك اختلافًا بين كتابة الاسمين: «باشد باستت» و«باشد نباستت»، وهذا الرأي الذي أورده «ريزنر» لا يتفق مع الكشوف الحديثة التي تَنسب على ما يُظن أصلَ الأسرة إلى الزعيم «ألارا» (راجع Journal Egyptien Archeology XXXV p. 139ff).

ابن الملك لرعمسيس «استمخب»

وأخيرًا لدينا شخصية تُدعى «استمخب» تحمل لقب ابن الملك «لرعمسيس»، وقد اقترح الأستاذ «بتري» إضافة هذا الاسم لأولئك الذين يحملون هذا اللقب، وقد ذُكر الاسم على لوحة أهداها قطاوي بك لمتحف اللوفر ومؤرخ بعهد «أوسركون الأول» (راجع Rev. Egyptologique T. V. p. 84, Daressy Rec. Trav. XXXV p. 144 note 1). ويدل مخصص «استمخب» كما يدل الاسم نفسه على أنه لامرأة على الرغم من أن اللقب قد كُتب بصيغة المذكر: «ابن الملك». وعلى أية حال؛ فإنه من الجائز بالقياس أن تَحمل هذا اللقبَ امرأة؛ إذ وجدنا لقب ابن الملك صاحب كوش تحمله أميرة تدعى «نسخنسو» وقد كُتب اللقب كذلك في صيغة المذكر، وقد تحدثنا عن ذلك في غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء الثامن).

ومن المهم هنا أن نلحظ أن اللوحة التي وجد عليها هذا اللقب، وكذلك اللوحة التي في متحف «جيميه» بباريس السالفة الذكر، ولوحة «برلين» أيضًا كلها هبات قام بها الملك «أوسركون» الأول للكاهن مرتل الإلهة «حتحور»، ونحن لا نعرف شيئًا عن المكان الذي وجدت فيه اللوحة، ولكن لا يبعد أن يكون قد عُثر عليها في دندرة؛ إذ كانت هذه البلدة أهم مركز لعبادة الإلهة «حتحور».

هذا، وقد طلعت علينا الكشوف الحديثة بأشخاص آخرين يحملون هذا اللقب: (٩) «أوندباوندد» القائد الحربي وابن الملك (حاكم) رعمسيس [راجع فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس الفرعون «بسوسنس» (باسب خعنوت)].

(١٠) الأمير «حور نخت» ابن الملك (حاكم) رعمسيس. وسنتحدث عنه فيما بعد.

(٨) القائد الأول لجيش جلالة («الملك بسوسنس الأول» والمدير العظيم لبيت آمون رع ملك الآلهة) وابن الملك لرعمسيس المسمى «عنخفتموت» والرئيس الأعلى للخيل لآمون ملك الآلهة ... إلخ [انظر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس الفرعون «بسوسنس» (باسب خعنوت)].

تعليق: هؤلاء الأفراد العشرة الذين يحملون لقب اسم ابن الملك لرعمسيس الذين ذكرناهم فيما سبق هم الذين يعرف عنهم حتى الآن أنهم كانوا يحملون هذا اللقب في خلال الأسرة الواحدة والعشرين والثانية والعشرين، وقد اقترح كثير من وجوه علماء الآثار عدة تفاسير لهذا اللقب منذ أن ظهر على الآثار، وقد كان آخر من تحدث عن معنى هذا اللقب الأثَرِيَّيْنِ: «سبيجلبرج»، «ودارسي»، ومن بعدهما «مونتيه». والواقع أن العلماء قد

أثاروا عدة نظريات لتفسير هذا اللقب الغريب وبقاء اسم «رعمسيس» فيه عدة أجيال بعد أن اختفى آخر فرعون يحمل اسم «رعمسيس»، ولن نتحدث هنا عن كل النظريات التي اقترحها هؤلاء العلماء، وسنكتفي هنا بذكر النتائج التي وصل إليها «مسبرو» في هذا الصدد، وهي التي يعتقد البعض الأخذ بها؛ إذ تقرب من الصواب (راجع Maspero, Guide du Visiteur (1915). p. 401) حيث يقول: إن لقب ابن الملك لرعمسيس كان يحمله عدة أشخاص منذ عهد الأسرات: الواحدة والعشرين، والثانية والعشرين، والثالثة والعشرين، ولكن لا يتضمن إلا رعمسيس واحدًا قد حكم حوالي هذا العهد، وكما أن أسرة الرعامسة قد خَلَّد اسمَها ملكاتٌ نقلن حقوق الوراثة للملك من أبنائهن؛ فإن هذه الوراثة قد استمرت في أمراء كانوا يحملون بعض الألقابِ الملكيةِ وشرفها، ولم يكن — أي «رعمسيس» — من هذه الأسرة في حاجة ليكون ملكًا حتى يُدعى أولاده أبناء الملك كما كان يُدعى هو نفسُه، وسنذهب إلى أبعد من هذا ونقول: إن أي وارث مهما كان من أسرة الرعامسة ليس في حاجة إلى أن والده يُدعى «رعمسيس» حتى يستحق أن يحمل لقب «ابن الملك لرعمسيس».

والواقع أنه لا يوجد واحد من بين هؤلاء العشرة الذين يحملون لقب «ابن الملك لرعمسيس» كان والده يدعى «رعمسيس».

وهؤلاء الأشخاص لم يكونوا — كما اعتقد الأثري «فيدمان» — أبناء الملك «رعمسيس» كذا أو الأمير «رعمسيس» كذا؛ سواء أكان «رعمسيس الثالث» أم آخِر «رعمسيس» حكَمَ مصر أم «رعمسيس السادس عشر» المزعوم الذي يقول عنه «بروكش» إنه استمر في الحكم في الواحة الكبرى بعد تولية «حريحور»، أو أمير يدعى «رعمسيس» من الأسرة الواحدة والعشرين. وعلى ذلك فهؤلاء الشخصيات الذين كانوا يحملون هذا اللقب لم يكونوا إخوة، يبرهن على ذلك اختلاف العصور التي نجدهم ظهروا فيها منذ «شيشنق الأول» حتى عهد الملك «بادو باست» محبوب آمون. ومن ثم ينبغي أن يكون لقبهم هذا واسعًا في معناه؛ أي إنه أصبح يعني أن حامله كان من نسل الفراعنة دون أن يحدَّد «رعمسيس» الذي كان على رأس هذا الفرع من الأسرة.

وهذا النسب قد جاء على وجه التأكيد — إذا أخذنا به — عن طريق النسوة؛ وذلك لأن الأبناء الملكيين «لرعمسيس» إذا لم يكونوا منتسبين إلى ملك يحكم فعلًا فإنهم يذكرون دائمًا أمهاتهم ولم يذكروا قط والدهم، وقد يحدث في كثير من الأحيان أن يُنسبوا للرعامسة عن طريق أمهاتهم، ومع ذلك فإنهم في الوقت نفسه أبناء ملوك حاكمين (مثل «شيشنق

الأول» و«شيشنق الثالث»)، وليس في ذلك ما يدهش؛ لأن أوائل ملوك الأسرة الثانية والعشرين كانوا حريصين أكثر من ملوك الأسرة الواحدة والعشرين على تعزيز شرعيتهم للملك الذي اغتصبوه بواسطة الزواج من نساء انتسبن إلى أواخر نسل أسرة الرعامسة التي أنجبت للبلاد فراعنة عظام في الأسرتين التاسعة عشرة، والعشرين.

وقد نتج من التزاوج من هؤلاء النسوة اللائي كان يجري في عروقهن دم هؤلاء الرعامسة أن ادَّعى اللوبيون المحدثون الغرباء — وهم الذين تناسلوا من أسرة رئيس مغمور الذكر من قبائل لوبيا (المشوش وغيرها) — أن لهم الحقَّ في أن يحملوا لقب الفراعنة الذين خلعوهم من عروشهم، وأصبحوا يدَّعون لأنفسهم أنهم أولاد «رع»، وأصبح لهم الشرف في أن يحكموا على مملكة هذا الإله.

ومن المهم أن نلحظ هنا أن بقاء هذا التقليد الدال على بهاء وعظمة الرعامسة في نسلهم البعيد، قد استمر ما لا يقل عن ثلاثة قرون تقريبًا، غير أنه استمر آخذًا في الضعف شيئًا فشيئًا مدة خمسة عشر جيلًا. هذا، ولا نظن أنه من الضروري أن نرجع بأصل هذا اللقب وحامليه إلى أخلاف «رعمسيس الثاني» العديدين كما يظن بعض المؤرخين، بل من الجائز أن ذلك يرجع إلى نسل «رعمسيس الثالث» مباشرة؛ وذلك لأنه كان يُعَدُّ أعظم ملوك الأسرة العشرين، كما أنه لا يبعد حكمه عن آخر الرعامسة أكثر من جيلين أو ثلاثة.

وقد لاحظ كل من الأثري «برج مان» والمؤرخ «بتري» بحقٍّ أن أبناء الملوك «لرعمسيس» قد انخفضت منزلتهم في الأجيال الأولى إلى وظائف حربية (قُواد كل الجنود المشاة)، أو رجال شرطة (قواد الشرطة)، ومن الجائز أن هذه الألقاب والوظائف لم تكن إلا ألقاب شرف وحسب، وفيما بعد نجد أن الذين كانوا يحملون لقب «ابن الملك لرعمسيس» كانوا يحملون ألقابًا دينية مثل: الكاهن الرابع، والكاهن الثالث، والكاهن الثاني لآمون، وقد وجدنا واحدًا منهم يحمل لقب الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة، غير أننا لا نعرف إلى أي حد كان مقدار سلطان الكاهن الأكبر «لآمون» بالنسبة للقب «ابن الملك لرعمسيس» «أوسركون» الذي كان له سلطان محَسٌّ على جميع رجال كهنة «آمون» الطيبيين.

والحقيقة أن وظيفة رئيس كهنة «آمون» كانت تعد — كما نعلم — أهم وظيفة بعد الفرعون في الدولة المصرية، وبخاصة في العهد الذي كان فيه الملوك لا يتخذون مقرهم على وجه عام في «طيبة» بل في شمال البلاد، فكان الكاهن الأكبر «لآمون» في «طيبة» يعد نائبَ الملك في الوجه القبلي. يضاف إلى ذلك أن كل ملوك «تانيس» و«بوباسطة» كانوا لا يَكِلُون

أمر هذه الوظيفة إلا إلى شخصية معروفة بالإخلاص؛ ولذلك كانوا ينتخبونها من بين أفراد أسرتهم، فكان يُنتخب أخو الملك أو الابن الأكبر له أو ابن الأخ، والفرد الوحيد الذي لم تجتمع فيه هذه الشروط، وكان يحمل لقب الكاهن الأكبر «لآمون» كان في عهد «شيشنق الثالث». ويمكن أن نفسر ذلك بأحد أمرين؛ فإما أن الملك ليس له في نسله المباشر ولا في نسله من الأقربين شخص يمكن أن يقوم بأعباء رياسة كهنة «آمون»، وإما أن يكون «أوسركون» الذي شغل هذا المنصب هو من نسل الرعامسة البعيدين، وكان أقرب فرد في متناول الفرعون لشغل هذه الوظيفة وقتئذ، هذا بالإضافة إلى أنه شخصيًّا كان قد فقد كل سلطان سياسي بالنسبة لأجداده الأبعدين من الرعامسة؛ ولذلك كان في مقدور الفرعون أن يسند إليه شغل هذه الوظيفة دون أن يكون هناك أي خطر منه على عرش ملوك «بوباسطة».

وخلاصة القول أن القليل الذي نعرفه عن أبناء الملك «لرعمسيس» يشير بوجه خاص إلى أن هؤلاء الشخصيات كانوا يعيشون في البلاط متمتعين بحظوة الفرعون الذي كان يتخذ منهم سُمَّارًا، ومن المحتمل كذلك أنه كان يختار منهم مستشارين مقربين، وقد كان يغدق عليهم بسخاء اعترافًا بنصائحهم واحترامًا لأصلهم العريق، فكان يمنحهم الألقاب والرتب العالية، غير أن كل هذه الإنعامات كانت ميزات شرف وحسب، وليس لها سلطة عملية.

هذا، وقد طلع علينا «مونتيه» حديثًا برأي آخر يتفق مع الرأي الذي ذكرناه من قبل، وهو أن هذا اللقب كان يُمنَح لحاكم بلدة «رعمسيس الثاني» المعروفة باسم «بررعمسيس» «قنتير الحالية»، كما كان يلقب حاكم «كوش» بابن الملك. وهذا الرأي لا يبعد أن يكون أقرب إلى الصواب على الرغم مما قدمه لنا «مسبرو» وغيره من مقترحات مغرية تستحق تفكيرًا عميقًا (راجع Montet. OSorkon II p. 66). وسنتكلم عن ذلك فيما بعد.

(٤) آثار أخرى لشيشنق الأول

تانيس: نَقَش «شيشنق الأول» اسمه على قاعدتي تمثالين لبلهول يرجع عهدهما للأسرة الثانية عشرة (راجع Petrie, Tanis I p. 15).

تل المسخوطة: عثر «بتري» في «تل المسخوطة» على قطعة من لوحة، ويدل الحجر الذي قطعت منه وصناعتها على أنها غاية في الدقة، وقد رُسم على الجزء الباقي آلهتان تُمثِّلان الوجه القبلي والوجه البحري وتَعِدَان المَلِكَ حياة طويلة سعيدة، والملك المذكور

هنا هو «شيشنق الأول»، ولا بد أن ملوك «بوباسطة» وبخاصة «شيشنق الأول» قد استعملوا مخازن «بتوم» (تل المسخوطة) لتموين جيوشهم الذاهبة إلى بلاد سوريا (راجع Naville, the City of Pethom. p. 13).

تل بسطة: لما كانت مدينة «تل بوباسطة» هي موطن «شيشنق الأول» كما هو المفروض؛ فقد كان المنتظر أن يزين جدران آثارها ويحيلها بالنقوش التي تتحدث عن انتصاراته ومفاخره، ولكن ما حدث هو العكس؛ إذ لم يُعثَر على أية نقوش للفرعون «شيشنق الأول» في هذه البلدة إلا قطعة صغيرة من الحجر الجيري عليها جزء من طغرائه، ومن المحتمل أن «شيشنق» عندما احتل عرش الملك قد لاقى مقاومة في «طيبة» وفي الوجه القبلي عامة، فرأى تثبيتًا لسلطانه بصورة واضحة أن يقيم الجزء الأعظم من آثاره في الوجه القبلي تاركًا الوجه البحري؛ لأنه كان مقر ملكه (راجع Naville Bubastis. p. 46-47).

منف: كَشَفَ الأثري «بروكش» بالقرب من تمثال «رعمسيس الثاني» ب «ميت رهينة» عن قطعة ضخمة من المرمر يحتمل أنها كانت قاعدة مائدة قربان طولها ١٫٩٠ مترًا، وارتفاعها ٥٠سم، وعرضها ١٫٠٥ متر، وعليها نقوش تدل على أنها من عهد الملك «شيشنق الأول»، فنجد على وجهها الأمامي سطرًا من النقوش جاء فيه: «أوزير حابي» — «آتوم حورنسبي». وهذا يدل على أن هذا النقش كان للعجل أبيس المتوفى. وعلى يمين ويسار هذا النقش كُتِبَ اسم الفرعون ولقبه في طغراءين، ونجد كذلك على يسار طغراء الملك صورة الإله «أنوبيس» وفي يده إناء طهور يسيل منه الماء على طغراء الفرعون الذي مُحِيَ وكتب مع هذا المنظر: تقديم القربان «لأوزير أبيس» (أربع مرات)، وعلى اليمين من طغراء لقب الملك نشاهد الكاهن الأعظم للإله «بتاح» حاملًا في يده اليسرى الصولجان الخاص بهذا الإله، وفي يده اليمنى آلة لفتح الفم كانت تستعمل في احتفال فتح الفم الخاص (راجع مصر القديمة الجزء الرابع). وقد كُتِبَ مع هذا الكاهن النقش التالي: «إجراء عملية فتح الفم لوالده «أوزير أبيس» على يد الكاهن الملقب عمود أمه وتطهيره في البيت العظيم ...»

وفوق الكاهن نُقِشَ ما يأتي: «الكاهن الأعظم للإله «بتاح» المسمى «شدس نفرتم» ابن الكاهن الأعظم «عنختف–سخمت» المرحوم.» ومن هذا نعلم الدور الذي كان يقوم به كل من هذين الكاهنين العظيمين للإله «بتاح»، وبخاصة من الجزء التالي من النقوش الذي يوضح الأعمال التي كان قد كُلف بها هذا الكاهن، ومعناه: (المرسوم الذي كلف به

الكاهن الأكبر للإله «بتاح» المسمى «شدس نفرتم» من قبل جلالته، وهو تحضير مكان تطهير والده «أوزير أبيس» وذلك بشغل فاخر). ومما هو جدير بالذكر هنا أنه توجد في متحف اللوفر لوحة للعجل أبيس قد ذكر عليها قائمة أسماء جاء فيها اسْمَا هذين الكاهنين العظيمين، وقد أورد الأثري «ليبلين» سلسلة نسب هذين الكاهنين مدلِّلًا على أن هذه الوظيفة كانت وراثية فيها. (راجع A. Z. 16. p. 37–43).

وكُشف كذلك في «ميت رهينة» قطعتان من عامود من الجرانيت الأسود عليهما طغراء هذا الفرعون (راجع Rec. Trav. XXII p. 143)، وقد عثر لهذا الفرعون على آثار صغيرة محفوظة في مختلف متاحف العالم منها لوحة صغيرة من الفخار، وقطعة جلد، وقمة صاجات، وصندوق من الفخار، وكبش مصنوع من العجينة الزرقاء، ولوحة مطلية بالأخضر وعليها صورة، وجعارين عادية نُقِشَ عليها اسم هذا الفرعون بصور مختلفة، وكذلك جعران من الذهب (راجع Petrie, Hist. of Egypt III p. 233).

وكذلك توجد صورة لهذا الفرعون نقلها لبسيوس عن آثاره (راجع L. D. III, 300, 78).

(٥) أسرة الفرعون شيشنق الأول

تحدثنا فيما سبق عن أجداد الفرعون «شيشنق الأول» من جهة أبيه وأمه [انظر الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين].

زوجه «كارمعمع»: ذُكر اسمُ زوجِه «كارمعمع» على لوحة «حور باسن» [انظر الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين]، وكذلك جاء اسمها على تمثال مجيب في متحف برلين، وقد لُقِّبت عليه «أوزير المتعبدة الإلهية لآمون الأم المحبوبة كارمعمع» ((L. D. III 256 f, ausfu-hrliches Verseichniss (1899) p. 240)، وكذلك ذكر اسمها على تمثال مجيب آخر يحمل نفس اللقب (راجع L. D. III 266 g.)، ويوجد لها تمثال مجيب محفوظ بمتحف اللوفر، وآخر في مجموعة خاصة بمدينة «فلادلفيا».

وفي متحف برلين آنية أحشاء نُقِشَ عليها: «زوج الإله رب الأرضين (المتعبدة الإلهية لآمون) ربة التيجان الأم المحبوبة «كارمعمع».» (راجع L. D. III p. 256 b).

ويلاحَظ أن «بتري» قد وحَّد هذه الملكة بابنة الملك «بسوسنس الثاني» المسماة «ماعت كارع»، وهي أم الملك «أوسركون الأول»، وقد ذُكرت على تمثال النيل المحفوظ

بالمتحف المصري، غير أن هذا التوحيد يظهر مستحيلًا؛ لأن «ماعت كارع» (الثانية) كانت زوجة «لأوسركون» لا أمه، وقد اعترف «بتري» نفسه بهذه الحقيقة فيما بعد (راجع Petrie. Hist. III p. 237).

وقبر هذه الملكة — الذي جاءت منه أواني الأحشاء والتماثيل المجيبة السالفة الذكر — ليس معروفًا، ويحتمل أنه في «طيبة»، والظاهر أن «مسبرو» (راجع Momies Royales p. 749-750) يَنْسُبُ أوانيَ الأحشاء هذه وكذلك التماثيل المجيبة التي تحمل اسم «موت مريكارع مع» إلى ملكة أخرى تدعى «كارع مع» (الثانية) زوج «أوسركون الثاني» وجدة «كارمعمع» التي تزوجت الملك «تاكيلوت الثاني»، فإذا كان هذا النسب صحيحًا فإنه لم يتبقَّ «لكارع مع» الأولى زوج «شيشنق الأول» ذكر إلا ما جاء على لوحة «حور باسن»؛ حيث تُلَقَّبُ «الأم الإلهية» ولم يوضَّح اسمُها في طغراء.

وقد كُشِفَ حديثًا في الكرنك بالقرب من السور الشرقي عن مبنيين؛ أولهما عليه طغراء الملك «أوسركون» مُزَيَّن من الداخل بمناظر دينية، أهم ما يلفت النظر فيها ضاربات على الدف يمثلن الإلهة «حتحور».

وواجهة المقصورة تحتوي على عمد أوزيرية الشكل. أما من جهة الزينة الخارجية فقد عملت بالطوب المحروق، وكذلك رقعة المقصورة، وهذا يدلنا على أن الطوب المحروق كان يستعمل في مصر في أزمان أقدم مما كنا نظن (راجع A. S. Tome LI. p. 554. Pl. II, I). والمقصورة الثانية في الجهة الغربية على بعد قليل من الثانية ورقعتها كذلك مرتفعة عنها بعض الشيء.

وقد وُجد فيه حجرة نُقش عليها طغراءا الملكة (ماعت كارع) (ابنة الملك وسيدة الأرضين).

وقد زينت هذه الحجرة بزينة مفرغة، وفي أعلاها نجد اسم الملكة السابق في طغراءين يحميهما إلهان بأجنحتهما (راجع Ibid. Pl. II 2).

«أوسركون» الابن الأكبر لشيشنق (؟): خلف أوسركون هذا والده على عرش الملك، وليس لدينا أية معلومات أكيدة تثبت أنه كان بِكرَ أولاده، وقد زوجه والده من «ماعت كارع» ابنة آخر ملوك الأسرة التانيسية المسمى «بسوسنس».

أوبوت الابن الأصغر: يضم «أوبوت» هذا كما ذكرنا من قبل إلى لقبه «رئيس المشوش» الوراثي في أسرته لقبي: الكاهن الأول «لآمون»، وقائد المشاة، ولا نعلم إذا كان «أوبوت»

هذا قد خلف «بينوزم الثاني» مباشرة بمثابة كاهن أكبر «لآمون»، كما نجهل كيف تولى رياسة الكهنة.

ويظن «مسبرو» (راجع .Maspero, Histoire II p. 770) أنه وصل إلى ذلك بالزواج من إحدى بنات «بينوزم الثاني» أو إحدى بنات أخت له.

وقد حدثنا فيما سبق عن الأعمال التي قام بها في معبد الكرنك، كما جاء في لوحة السلسلة في السنة الواحدة والعشرين من حكم والده، وعلى ذلك كان «أوبوت» لا يزال يشغل وظيفة الكاهن الأكبر في عهد والده، ولَمَّا كان «شيشنق الأول» لم يَعِشْ بعد ذلك التاريخ مدة طويلة فإنه من المحتمل أن «أوبوت» كان لا يزال يشغل وظيفة الكاهن الأكبر في عهد أخيه الأصغر «أوسركون» الأول (راجع .Maspero Momies Royales p 735–737)، غير أن هذا ليس رأي «بتري» الذي يقول: إن «أوبوت» قد مات قبل والده (راجع Petrie. Hist. III p. 239).

وقد عثر الأثري «أمليونو» على مقصورة جنازية لهذا الكاهن الأكبر في «العرابة المدفونة» كتب عليها: «الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة والقائد الأعظم للجنود «أوبوت» صادق القول ابن رب الأرضين «شيشنق» محبوب «آمون».» (راجع Les Nouvelles fouilles D'abydos (1899). p. 14 et 53 cf Daressy I p. 85).

ووُجد اسم «أوبوت» كذلك على ذراع تمثال من المرمر في معبد الإلهة «موت» بالكرنك في عام ١٨٩٧ (راجع Benson and Gourlay, The Temple of Mut in Asher p. 349–350).

أما تابوت «أوبوت» هذا فقد عَثَرَ عليه «كويبل» في معبد الرمسيوم (-The Rames seum p. 21 Pl. XXXA. Note 2).

«نسخنسو-با-خرد» حفيدة «شيشنق» وبنت «أوبوت»: وُجد اسم هذه السيدة على قطعة من لوحة للكاهن الرابع المسمى «نختفموت» عُثر عليها في الرامسيوم (راجع Ibid. p. 21 Pl. XXXA. Note 3)، وصاحب اللوحة هو ابن هذه السيدة، وقد جاء عليها: «… أمه» «نسخنسو باخرد» ابنة «أوبوت» المشرف على المدينة الجنوبية (طيبة)، صادق القول ابن الملك رب الأرضين «شيشنق» محبوب آمون معطي الحياة. وقد ظن «بتري» خطأً أن السيدة «نسخنسو باخرد» اسم رجل؛ ولذلك حسبه ابنَ «أوبوت» (راجع Petrie Hist. III p. 233) غير أنه فيما بعد صحح خطأه (راجع .Ibid. p 239).

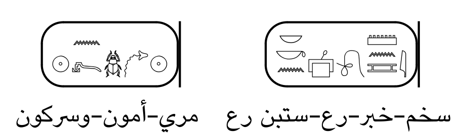
وجاء ذكر «نسخنسو باخرد» — فضلًا عن ذكرها على لوحة «الرامسيوم» — على ثلاثة تماثيل عُثر عليها في خبيئة الدير البحري لابنها «نختفموت» وهو حفيد الملك «شيشنق الأول»، وقد عاش هذا الكاهن في عهد «أوسركون الثاني» والملك «حورسا أزيس»، كما سنرى بعد (راجع L. D. III p. 323, Legrain. Rec. Trav. XXVII p. 76).

وهذا الكاهن يدعى «زد تحوتف عنخ» أيضًا كما يسمى «نختفتموت»، وقد جاء ذكر ابنها «زد موت سعنح» على تمثال كاهن «آمون» المسمى «باكنخنسو» (راجع Legrain Cat. Gen. III No. 42213 & Pl. XXII).

«نمروت» الابن الثالث للملك «شيشنق» [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون شيشنق الأول].

«تاشبتن-باستت» ابنة «شيشنق الأول» وقد وُجد لها تمثال عثر عليه في خبيئة الكرنك (راجع Rec. Trav. XXX p. 85–87).

الفرعون أوسركون الأول



سخم-خبر-رع-ستبن رع مري-أمون-وسركون

تولى حكمَ أرض الكنانة بعد «شيشنق الأول» ابنُه «أوسركون الأول»، وقد حَكَمَ — على حسب قول «مانيتون» — خمس عشرة سنة (راجع Ungar Chronologie des Manetho p. 232; J. Krall A. Z. XXI (1883). p. 79–81). ولكنا نجد على الآثار التي بقيت لنا من عهده ما يناقض هذا الرقم؛ إذ ورد على لوحة عُثر عليها في العرابة أنها مؤرخة بالسنة السادسة والثلاثين من حكم هذا الفرعون [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون شيشنق الأول].

والواقع أن معلوماتنا عن هذا الفرعون قليلة، غير أن ما تبقى لنا منها هام في ذاته من الوجهة التاريخية، وأهم أثر بقي لنا من نقوشه ما خلَّفه على جدران معبد صغير في «تل بسطة»، غير أنه مما يؤسف له أن هذا النقش الهام وُجد مهشَّمًا، وهذا المعبد الذي كَشَفَ عنه «نافيل» صغير الحجم، ويقع على مشارف «تل بسطة»، ويرجع — في الأصل — عهدُه إلى حكم «رعمسيس الثاني»، وقد كَتَبَ «نافيل» عن كشفه لهذا المعبد، وقَرَنَ كشفه هذا بما جاء عن المعبد ذاته في كتاب «هردوت»؛ إذ يقول: «نعلم من هيردوت أنه على مسافة ثلاثة أثمان من الميل من معبد «باست» عند نقطة في النهاية تمر بمكان السوق تحتها أشجار ذات ارتفاع خارق للحد المعتاد، وهناك كان يقع معبد «هرميس» (يقصد الإله تحوت)، ومعالم اتجاه الطريق لا يزال في الإمكان تتبعها على الرغم من تراكم الأتربة التي

يبلغ ارتفاعها عدة أقدام على سطحها.» وعند نهاية المسافة التي ذكرها المؤرخ اليوناني ينتهي التل ونصل إلى الحقول المزروعة؛ حيث كان يوجد بعض قطع قليلة من الجرانيت، وقد قام هناك «نافيل» بحفائر أسفرت عن الكشف عن كومة من الأحجار اتضح أنها بقايا معبد صغير أقل من معبد الإلهة «باستت»، وكان أكبر قطعة من هذه الأحجار قطعة من عِقدٍ عليها اسم الفرعون «رعمسيس الثاني»، أما الباقي فكان عليه اسم «أوسركون الأول»، وهو بلا شك الفرعون الذي وسع مباني المعبد القديم؛ إذ لم يكن قد أقامه كله من جديد. ومما يؤسف له أن «نافيل» لم يتمكن من الكشف وقتئذ عن كل المعبد.

والظاهر أن «هردوت» قد أخطأ في قوله: إن هذا المعبد هو للإله «هرميس» (تحوت). والواقع أنه من الآثار القليلة التي بقيت بصورة مهشَّمة (راجع Bubastis Pl. 100)، وهناك نشاهد الملك يقدم القربان «لثالوث بوباسطة»؛ فنرى الإلهة «باستت» مرتين: إحداهما في شكل الإلهة «تفنوت» (أي في صورة لبؤة)، والأخرى في صورة الإلهة «سخمت» (أي إلهة الحرب، ورأسها رأس لبؤة أيضًا). وفي السفن الممثَّلة على الجدران نشاهد الإلهة «باستت» واقفة أمام رجل لا بد أن يكون الملك.

أما السبب الذي جعل «هردوت» يعد المعبد أنه مُهْدًى للإله «تحوت» هو وجود اسم هذا الإله بكثرة في النقوش، ويجوز كذلك في الصور التي هُشمت، وهي التي لا بد كان قد شاهد فيها صورتَه السياحُ الإغريق الذين كانوا لا يعرفون اللغة المصرية القديمة، وبخاصة أن هذا الإله كان مميزًا برأسه. وهو يمثَّل في صورة الطائر مالك الحزين (أبو قردان)، ومن المحتمل أن غلطة «هردوت» قد جاءت عن طريق المبنى الذي كان يعد خزانة، وكان «تحوت» يعتبر رب الصدق الذي تنبع منه الحكمة والذكاء، ومن الطبعي أن يكون في يده خزائنُ ماليةِ «بوبسطة».

وإذا أغضينا النظر عن العِقد الذي عليه اسم «رعمسيس الثاني» يتضح من عدد القطع العظيم الذي عليه اسم «أوسركون الأول» أنه هو الذي قام ببناء الجزء الأعظم من هذا المعبد، وكان قصده أن يكون هو الأثر الذي يدل على ثروته وكرمه نحو الآلهة كما تدل على ذلك النقوش.

والنقوش التي نحن بصددها حُفرت على الجوانب الأربعة لعمود من الجرانيت الأحمر، وقد هشِّم العمود الآن نحو تسع وعشرين قطعة؛ يمكن ترتيب قطعتين منها معًا، ومنهما تتألف قطعة تشمل بداية ستة أسطر (ويختلف ما تبقى منها من ثلثي إلى ثلاثة أرباع السطر)، وهذه القطع محفوظة الآن بالمتحف المصري تحت رقم «٦٧٥» في دليل

«مسبرو»، وكذلك في [الأسرة الثانية والعشرون الفرعون أوسركون الأول] من غير ذكر اسم الملك، وقد نشرها «نافيل» (راجع Bubastis, I Pl. 51–2. p. 60).

ويدل ما جاء في هذا النقش على أن «أوسركون الأول» قد ألف سجلًّا خاصًّا بكل التماثيل والصور والأواني والأدوات المنزلية وما شابهها من تلك الأشياء التي قدمها الملك لمعابد مصر، ويدل مقدار ما وزع على هذه المعابد على أنه ضخم جدًّا من الوجهة الاقتصادية؛ فقد بلغ مقدار الأشياء الصغيرة المصنوعة من الذهب ٢٠٥٣٨ دبنًا أو ما يساوي ٥٠٠٥ أرطال من الذهب النُّضار، والتي من الفضة تبلغ حوالي ٧٢٨٧٠ دبنًا؛ أي أكثر من ١٧٧٦٢ رطلًا. هذا، ولم يذكر وزن كثير من المواد، ونجد على بعض القطع مذكورًا عشرين مليون دبن أو حوالي ٤٨٧١٨٠ رطلًا من الفضة، وكذلك ذكر ثانية ٢٣٠٠٠٠٠ دبن أو حوالي ٥٦٠٢٩٧ رطلًا من الذهب والفضة، غير أننا لا نعرف إلى أي حد تشمل هذه المقاديرُ الأخرى التي ذُكرت، والتي يمكن أن تكون دالة على المجاميع، على أن إهداء مثل هذه المقادير من الذهب والفضة للمعابد بالإضافة إلى دخلها المحبوس عليها لَدَلِيلٌ هام على الثروة العظيمة والغنى الوفير الذي كان يتمتع به ملوك الأسرة الثانية والعشرين. هذا، وتدل هذه السجلات على أن «أوسركون الأول» كان مسيطرًا على الواحة الداخلة والخارجة، وبطبيعة الحال على الواحات الأخرى، وهاك ما بقي من النص:

خطاب الفرعون: «… وأجسامهم ثاوية في كل مضاجعهم المحببة، وليس هناك أحد خارج عليهم منذ زمن الملوك الغابرين، وليس من يضارعك في هذه الأرض؛ فكل إله متربع على عرشه، ويدخل مأواه بقلب فرح منذ أن نصبت ملكًا … أنت، مقيمًا بيوتهم، ومضاعفًا أوانيهم المصنوعة من الذهب وكل حجر أصلي غالٍ، أعطى به جلالته تعليمات بوصفه «تحوت» (إله العلم والمعرفة).»

عنوان القائمة: «قائمة الآثار التي عملها ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «أوسركون الأول» لكل الآلهة والإلهات أصحاب كل مدن الجنوب والشمال من السنة الأولى سبعة بشنس (؟) حتى السنة الرابعة ٢٥ مسرى، وهذا ما يقدَّر بثلاث سنوات وثلاثة أشهر وستة عشر يومًا.»[١]

---

[١] وقد أخطأ «برستد» في حساب هذه المدة؛ إذ ترجمها كما يأتي: من السنة (الأولى)، الشهر الأول [من الفصل الثاني] اليوم السابع، ولكن الواضح أنه لا يمكن المقصود هنا الشهر الأول من الفصل الثاني

الإله رع حور أختي: «وقد أهدى جلالته إلى بيت والده «حور أختي» ذهبًا مطروقًا: مقصورة فاخرة للإله آتوم خبري رب هليوبوليس.

ذهب مطروق …	تمثال بولهول
لازورد حقيقي …	عشرة تماثيل بولهول
ويبلغ مقدارها من الذهب …	١٥٣٤٥ دبنًا
ومن الفضة …	١٤١٥٠ دبنًا
ومن اللازورد الأصلي …	…
…	٤٠٠٠ (+ س) دبنًا
… آنية تبلغ ١٠٠٠٠٠ دبن مقدمة أمام «حور أختي-أتوم» الذي أنجب فرخيه	

آنية «سحن» تبلغ:

ذهب …	٥٠١٠ دبنات
فضة …	٣٠٧٢٠ دبنًا
لازورد أصلي …	١٦٠٠ دبنًا
نحاس أسود …	٥٠٠٠ دبن

الإلهة حتحور: مقصورة تبلغ ١٠٠٠٠٠ دبن قُدِّمت أمام «حتحور» سيدة «حتب امحتب» (اسم مكان).

(طوبة)؛ وذلك لأنه من هذا الشهر حتى الشهر الرابع من الفصل الثالث من السنة الرابعة لا يكون الباقي ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، بل يكون ثلاث سنوات وسبعة أشهر، وعلى ذلك يجب أن نقبل التعديل «السنة الأولى، الشهر الأول من الفصل الثالث.»

الإلهة موت: ذهب وفضة، آنية «سحن» قدمت أمام الإلهة «نوت» حاملة الصاجات.

الإله حرشف: (حرسافيس) ذهب وفضة، إناء «سحن» فضة مطروقة: مقصورة قُدِّمت للإله «حرسافيس» رب هليوبوليس.

الإله تحوت: ذهب وفضة، آنية «سحن»: قدمت أمام «تحوت» رب الأشمونين.

الإلهة باست: ذهب وفضة، آنية «سحن»: قدمت أمام الإلهة «باست» سيدة «بوبسطة».

الإله تحوت: ذهب، آنية «سحن» قدمت أمام الإله «تحوت» القاطن في ... ذهب وفضة ... إله في اسمه شك ... (يبلغ):

ذهب	...
فضة	٩٠٠٠ دبن
نحاس أسود	٣٠٠٠٠ دبن

ودَخْله هو الواحة الداخلة والواحة الخارجة، ويتألف من النبيذ، وشراب شدح، ونبيذ حمى، ونبيذ سيني[٢] كذلك؛ وذلك لأجل تموين ... على حسب ما هو مقرر.

وقد منح جلالته بيت رع وتاسوعه الإلهي:

فضة	ثلاثة شمعدانات
ذهب ...	...

[٢] ويجب ألا يخلط بين «سيني» هذه والتي عند الشلال الأول، وهاتان المدينتان «حمى» و«سيني» كانتا في غربي الدلتا؛ الأولى تقع بجوار بحيرة مريوط، والثانية يحتمل ألا تكون بعيدة عنها.

فضة	ذهب
أوان «دو» ٣	مذابح دو ٣
موائد قرابين ٣	أبريق ١
مذبح صغير ١٧	قرد تحوت ٢
طبق مفرطح ١	مبخرة كبيرة ٢
قدح ٢	مذابح ٦
مذابح ١٠	مبخرة ذات أربع طيات
آنية هن ١	
آنية ذات بزبوز ١	
أبريق ١	

ذهب	…
لازورد	…
…	٣٣٢٠٠٠ دبن
فيكون المجموع	٥٩٤٣٠٠ دبن

الإله آمون رع: أهدى جلالته لبيت «آمون رع» ملك الآلهة.

صنع جلالته تمثالًا واقفًا يقدم بخورًا (…) وكان جسمه من الذهب بالشغل المطروق الذي يبلغ:

ذهب	١٨٣ دبنًا
فضة	١٩٠٠٠ دبن
نحاس أسود	… دبنًا
ذهب	(…)
ومقصورته، ومبخرة من ذهب الـ … فضة مذبح	(…)

والقطع الباقية من هذا المتن تحتوي على معلومات ثمينة قليلة غير أنها حفظت لنا مقدمات عديدة ذات أهمية، من هذه أربع مقصورات، وثلاثة مذابح من الفضة، وتمثال أحفال للإله آمون من الذهب الجميل، و٢٠٠٠٠٠٠ (+ س) دبن من الفضة، و٢٣٠٠٠٠٠ (+ س) دبن من الذهب والفضة. وهذه الهدايا التي قدمها الفرعون «أوسركون الأول» فضلًا عما كان للآلهة من دخل ثابت سنوي يذكرنا بالهدايا والإضافات التي قدمها «رعمسيس الثالث» لآلهة القطر، فضلًا عما كان لها في الأصل من دخل ثابت، وقد شرحنا ذلك شرحًا وافيًا في الجزء السابع من هذا المؤلَّف؛ مما غيَّر وجه الحقائق بالنسبة لتاريخ هذه الفترة، وأظهر ما كان للكهنة والمعابد من ثروة ضخمة بالنسبة لثروة البلاد المصرية كلها (مصر القديمة الجزء السابع).

أما في المعبد الكبير فنجد مناظر منحوتة كبيرة الحجم (Bubastis, Pl. XXXIX)، وهذه الصور توجد بوجه خاص في القاعة الأولى، وهي تزين الجدران الخارجية، وقد حُفظت منها عدة قطع، ولا يسع الإنسان إلا أن يؤخذ عندما يشاهدها لأول وهلة؛ لجمال صنعها (Ibid, Pl. XVIII) الذي يضارع النماذج الحسنة التي لا يمكن رؤيتها في المتاحف الأوروبية، فنجد في هذه المناظر أن التقاليد الحسنة لم تفقد بعد، بل يمكن القول إن الصور المنحوتة التي بقيت من عهد هذا الملك أكثر إتقانًا من التي تركها لنا «رعمسيس الثاني» في أواخر أيامه عندما بدأ يعمل الصور بسرعة.

والسبب في ذلك الإتقان هو أنه في العهد البوبسطي أخذ مركز الحياة السياسية يتحول شيئًا فشيئًا نحو الدلتا، وقد تُركت «طيبة» لكهنة آمون العظام، في حين أن الملوك كانوا يسكنون في الوجه البحري. ويحتمل أن سبب ذلك هي الحروب التي كانت تهدد البلاد من جهة آسيا أو من جهة لوبيا، وإذا حكمنا بما قام به «أوسركون الأول» أو «أوسركون الثاني» في «بوبسطة»، وهو ما لا يُرى في أية مبانٍ أخرى في مصر في هذا العهد؛ فإنها لا بد كانت عاصمة الملك ومحل إقامتهم العادي.

والنقوش التي تركها «أوسركون الأول» كانت على وجه خاص في القاعة الأولى؛ غير أن كثيرًا من نقوشه قد نُقشت تحت تيجان الأعمدة الحتحورية الشكل؛ حيث لا يمكن رؤيتها، وحيث لم يكن من الممكن نقشها إلا إذا كان الأثر ملقًى على الأرض ولم يكن قد رفع بعد، وهذا بالضبط ما حدث في طغراءات «رعمسيس الثاني» التي نقشت تحت المسلات على السطح الذي يلمس الأرض، وهذا يدلنا على الحالة التي كان عليها معبد «بوبسطة» عند تولية «أوسركون الأول» عرش الملك. ولا يمكن أن ننسب إليه تيجان الأعمدة الحتحورية

الشكل، بل لا بد من نسبتها إلى «سنوسرت الثالث» الذي وسع المعبد وبنى قاعة العمد فيه. ومن جهة أخرى لا يمكن أن نعترف بأن «أوسركون الأول» قد زحزح الأعمدة لأجل أن ينقش طغراءه في أسفل العمد، وعلى ذلك لا بد أن نستخلص أن المعبد في عهده كان مخربًا، وأن العمد قد سقطت على الأرض.

وإنا لفي شك بالنسبة للزمن الذي حدث فيه هذا التخريب، ومن المؤكد أن «أوسركون الأول» قد أعاد بناءه مبتدئًا بالقاعة الشرقية؛ى حيث وجدت معظم نقوشه، ويتفق إعادة البناء مع التغيير في الإهداء الذي لم يكن قد تم في عهد «أوسركون الأول»، ولكنه كان قد تم بعد «أوسركون الثاني».

وكانت الإلهة «باستت» — التي كانت في المدينة الثانية بالنسبة لعبادتها في عهد الأسرة الثانية عشرة — قد احتلت المنزلة الأولى في عهد الأسرة الثانية والعشرين بين آلهة الدولة، وكانت تفضل بوجه خاص على الإله «ست»، ويمكن رؤية الإله «آمون» وغيره من الآلهة المصرية في القاعة الأولى، ولكن صورة «باست» كانت تُصَوَّر كثيرًا، وقد احتلت في الواقع المكانة التي كان يحتلها «حور» في «إدفو» و«حتحور» في دندره. والآلهة الذين ذكروا في النقوش يمكن أن يكونوا من الآلهة الذين يُعبدون في أجزاء أخرى من مصر، ولكن كانوا يذكرون بأنهم قاطنون «بوبسطة»، فلدينا مثلًا «آمون طيبة» رب السماء الذي يسكن في «باست» (راجع Pl. XL)، وهكذا الحالة مع الإلهة «موت» والإله «حرمخيس» والإله «بتاح» القاطن جنوبي جداره رب «عنختاوي» (منف) و«آتوم» رب «هليوبوليس» و«شو ابن رع» و«منتو». أما ما يَعِدُ به الآلهة فهو حكم طويل ناجح وغير ذلك من الجمل المعروفة الثابتة، وقد جاء على حجارة السقف ذكر الإله «سبد» رب مقاطعة أرابيا التي كانت وقتئذ جزءًا من مقاطعة هليوبوليس، و«باست» إلهة المدينة العظيمة والتي اشتق منها اسمها من اسم الإلهة باستت، يصحبها الآلهة التابعون لدائرتها أو ثالوثها، وتُذكر أحيانًا باسم «سخمت»، ويقال: إنها ملكة الآلهة وسيدة «بوبسطة». أما ابنها فإنه يدعى على حسب الشكل الذي يمثَّل به، فيسمى «حورحكن» أو «نفرتوم» أو «ماحس»، أما «باستت» نفسها فتَعُدُّ نفسَها رئيسة الأسرار وكاهنة «آتوم».

ويظهر أن قصد «أوسركون الأول» كان تخصيص المعبد للإلهة «باست»، وبذلك يعتبر إهداءه الأصلي من النقوش الثلاثة التي نقشت تحت تيجان العمد الحتحورية (Pl. XLI. A, B. C)، فهناك نجد «أوسركون» يبرز إلى الأمام بوظيفة المتعبد للإلهة «باست» سيدة «بوبسطة» والتي تحمي والدها «رع»، وقد كان يرغب في عمل قربان للآلهة عندما أقام ثانية هذا المبنى الفاخر الذي يرجع تأسيسه إلى أزمان بعيدة في القدم.

(١) لوحة الوصية بالكرنك[٣]

ومن أهم الآثار التي تُحَدِّثُنا عن عصر هذا الفرعون لوحة الإقطاع التي أقامها ابنه «أورات»؛ ففي عام ١٨٩٧م عَثَرَ «ليجران» على لوحة خاصة بإقطاع قطعة أرض في ردهة معبد «سيتي الثاني» بالكرنك، وهذه اللوحة في حالة حفظ جيدة، وهي مصنوعة من الحجر الجرانيتي المحبب، أعلاها مستدير، يبلغ ارتفاعها ٢٦٧سم، وعرضها ١٢٥سم، وسمكها ٣٨سم، ويُرى في أعلى اللوحة الأمير «أورات» واقفًا مرتديًا جلد الفهد، ويقدم تمثال العدالة للإلهين: «آمون» و«موت»، ونقرأ فوق هذه الصورة ما يأتي:

> الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة وقائد الجيش الأعلى والمقدم «أورات» صادق القول ابن رب الأرضين محبوب «آمون» «أوسركون الأول»، كلام «لآمون رع» رب السماء وحاكم طيبة، كلام «لموت» العظيمة ربة «أشرو» «عين رع» وسيدة الآلهة «وازيت جسر تاوي».

وعلى اليمين نجد منظرًا موحدًا بالسابق؛ فيشاهَد «أورات» يقدم «ماعت» (العدالة) للإلهين: «آمون» و«خنسو»، والمتن الذي يتبع هذين الإلهين هو: «الكاهن الأعظم «لآمون رع» ملك الآلهة والقائد الأعظم للجيش والمقدم «أورات» صادق القول ابن ملك الأرضين محبوب «آمون» «أوسركون»».

ومتن اللوحة الذي في أسفل هذا المنظر السابق يتألف من اثنين وثلاثين سطرًا، وهاك الترجمة:

> هكذا تكلم «آمون رع» ملك الآلهة والإله العظيم والعظيم الأزلي: هذه الضيعة التي أسسها الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة والقائد الأعظم للجيش والمقدم «أورات» المنتصر، والذي يقوم على رأس جيش الجنوب العظيم من الجنوب حتى أسيوط، وهي التي في إقليم الأرض العالية الواقع في الشمال الغربي من المكان المسمى «يات؟ نفرت»، وذلك عندما كان لا يزال صغيرًا في زمن والده الملك «أوسركون» في السنة العاشرة في اليوم الأخير من الشهر الرابع من فصل الصيف.

---

[٣] راجع A. Z. XXXV p. 13–16 & Ibid p. 19–24.

وهذه الخمسمائة والستة والخمسون «سا» (مقياس من الأرض) التي تسمى «بمحونع» بما يتبعها من آبار وأشجار وماشية كبيرة وصغيرة، وهي التي حصل عليها بالفضة من صغار الملاك برضاهم، وبدون غش، وهي التي جعلها ضمن حقول بيت «آمون» التي يديرها كاتب غلال بيت «آمون» لكل أراضي الجنوب، وهو (أي الكاتب) الذي يقيد الأرض التي دفع بدلها فضة؛ لتكون بين الأراضي التابعة لضياع «آمون»، وبين الحقول التابعة للفرعون.

وكذلك عليه أن يقيد هذه الخمسمائة والستة والخمسين «سا» من أرض «بمحونع»، ومعها كل آبارها وأشجارها، وأن تبقى مدونة تحت تصرف بيت «آمون» في إدارته كما أعطاها مُلَّاكها له، كل رجل باسمه، وما منح من أرض وما أعطى من فضة في مقابل ذلك.

المجموع:	
أراض منوعة	٥٥٦ مقياسًا (سا)
رجال ونساء	٣٥

وآبارها وأشجارها وماشيتها الكبيرة والصغيرة.

أهبها لكاهن آمون ملك الآلهة، رئيس الإقليم «خعن واست» صادق القول ابنه الذي أنجبته له ابنة الأمير المسماة «تادنت–أن باست» مدة الأبدية.

وعلى ذلك لا يكون للأولاد الآخرين الذين سيولدون له ولا لأي ولد من والده الحق في أخذ نصيب، وليس لهم نصيب في المستقبل فيها، ولكن تكون ملك «خعن واست» كاهن «آمون رع» ملك الآلهة ورئيس الإقليم. هذا، وقد منحها إياه والده، وستئول من بعده لابن ابنه، ومن وارث إلى وارث؛ لأني سأكون حاميًا لهم حتى الأبدية.

وكل من يتعدى هذا الأمر فإنه مجنون، وفضلًا عن ذلك يكون قد نقض قراري، وإني في الحال سأصب غضبي على المعتدي …

قائمة بذلك:

أسماء المُلَّاك	أرض بمحونع	أرض شتاتني	المجموع	الآبار والأشجار	القيمة بالفضة
أرض كاهن آمون «نسخنو» بن «حوري» …	١٣٧	٩٩	٢٣٦	بئر واحدة، وثمانية أشجار جميز، وست نخلات	ثمانية دبنات، وثلثا قدت
أرض كاهن «زدموتفعنخ» …	٠٦٦	٠٥	٠٧١	٣ آبار، ٢٦ نخلة كبيرة، ٥٠ نخلة صغيرة، ٣ جميزات	أربع دبنات، ١ ١١/١٢
«أحمس» وأطفال «بسن موت» مرشد القافلة (؟) «بنآمون»	٠٠٥	٦٤	٠٦٩	—	١ دبن ٥ قدات
«نسر-مر-حور» …	—	٣٠	—	—	دبن ٦ قدات
المرأة «تسن أيوح» …	—	١٠	—	—	دبن ١ قدات (؟)
كبوف (؟) …	٠١٤	٢٣	٠٣٧	—	دبنا ١/٤ قدت
«تور إو» بحار مدير أبقار آمون	—	٠٣	—	—	دبنا ٢/٣ قدت
«حور» والمرأة زوج «بن آمون»	—	٤٥	—	—	دبن ٨ قدت
مرشد القافلة؟ «إيعج وبن» …	٠٨	٠٢	١٠	—	دبن ٣ ٢/٣ قدت
«قن مات واهرو» …	—	—	٠١	—	١/٢ قدت
«زد مو تفعنخ» …	٠٣	٠٢	٠٥	—	دبن ١ ٢/٣ قدت
«يون» …	١٥	—	—	—	٦ قدت
المرأة نسخنسو وأولادها الثلاثة	٠٨	٠٢	١٠	—	دبن ٣ ٢/٣ قدت
زد-خنسو …	٠١	٠١	٠٢	—	دبن ٢/٣ قدت
نس (؟) …	٠٥	٠٢	٠٧	بئر واحدة	دبن ٢ ٢/٣ قدت
زد-موتف-عنخ	٠٥	—	—	—	دبن ٢ ١/٢ قدت
العبيد والإماء الذين حصل عليهم كذلك بالفضة من صغار المُلَّاك هم اثنان وثلاثون رجلًا وامرأة			١٥ دبنًا، ١/٢ قدت، يضاف إلى ذلك ثلاثة عبيد من الشمال أعطوه إياهم		

تعليق: هذه الوثيقة تعد من الوثائق القانونية القليلة التي وصلت إلينا حتى الآن، وقد جاءت إلينا وثائق أخرى من هذا الصنف، وعلى حسب العادة المتبعة منذ الأسرة الواحدة والعشرين كانت أمثال هذه الوثيقة تعد مرسومًا صادرًا من الإله آمون نفسه (راجع مصر القديمة الجزء الثامن).

والوثيقة التي نحن بصددها الآن تنحصر في أن الأمير «أورات» ابن الفرعون «أوسركون الأول» والكاهن الأكبر لآمون في «طيبة» قد أسس في صباه ضيعة أرض لنفسه في السنة العاشرة من حكم والده، وقد أراد أن يوصي بهذه الضيعة لابنه «خعن واست». ويلاحَظ أنه في مقدمة الوصية قد ذكر لنا أن أسيوط كانت الحد الشمالي الذي ينتهي عنده نفوذه الحربي بوصفه القائد الأعلى للجيش.

أما المرسوم الذي نطق به آمون فإنه من أوله حتى اللعنة التي يصبها على كل من يتعدى على ما جاء فيما قرره؛ فقد كان عبارة واحدة طويلة جدًّا، ولا ريب في أن هذه الوثيقة هي وصية أوصى بها «أورات» بجزء معين من أملاكه لواحد من أولاده، بل في الواقع هي ضيعة قد اشتراها في صباه في عهد والده «أوسركون الأول»، ولا نعلم على وجه التأكيد لماذا دَوَّنَ هذه الوثيقة بصورة بهجة على لسان الإله آمون.

وكما قلنا: لدينا وثائق مشابهة لها من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وهي بوجه خاص تشبه مرسوم «آمون» الذي نشره «ماسبرو» (راجع Momies Royales p. 705 f).

والذي يقول فيه: «إن الأميرة «حنوت تاوي» قد ورثت من أمها بوصية أملاك فلاحين، وهي التي اشترتها من صغار الملاك، وكذلك البيوت التي اشترتها أمها «استنخب» من ملاكها.» هذا، ونجد بنفس الألفاظ بقايا المنشور العظيم الذي نشره «ماريت» ومن بعده «ماسبرو» (راجع Mariette, Karnak 41 = Momies Royales, p. 694).

والضيعة التي وصى بها الكاهن الأكبر تشتمل على أملاك كبيرة اشتراها من الكاهن «نسخنسو»، وعلى خمس عشرة قطعة صغيرة، بعضها صغير جدًّا، وقد كانت ملكًا لأسرة قسمت بين أفرادها إلى ملكيات صغيرة، يضاف إلى ذلك أن هذه الضيعة من جهة أخرى كانت تحتوي قسمين متساويين مختلفين من حيث جودة الأرض، كما تختلف أثمانهما اختلافًا بيِّنًا؛ ففي حين نجد من جهة أن نوع الأرض التي تسمى حقول «بمحونع» يساوي الأرورة منها $\frac{1}{2}$ قدت من الفضة، فإنَّا نجد نظيره في الأرض التي تسمى «تني» يساوي

حوالي ١/٥ قدت من الفضة. ويلاحَظ أن الأسعار في القطع الفردية تكاد تكون واحدة؛ إلا أن حقول «بمحونع» يتراوح ثمن الأرورة فيها ما بين خمسين ونصف قدت و١/٨ الأرورا من أراضي «تني» يعادل ما بين ١/٦ و١/٥ قدت. والظاهر أن الارتفاع في الأسعار نجده في الأراضي التي فيها نخيل. والأراضي التي وصى بها هذا الكاهن تنقسم قسمين كما قلنا من حيث النوع، فنوع يدعى أرض «تني»، وقد تحدثنا عنه عند الكلام على ورقة «فلبور» (راجع مصر القديمة الجزء الثامن) من حيث النوع والمحصول، أما النوع الثاني فهو أرض «يمحونع»، وربما يُقصد هنا أرض صغار الفلاحين المختلفين، وهذه كانت أرضًا مُعنًى بها وقد أطلق عليها هذا الاسم، وتمتاز عن الأرض السالفة من حيث القيمة. وهذا النوع من الأرض لم يُذكر في ورقة فلبور، ويحتمل من أجل ذلك عدم وجوده في الإقليم الذي تتناوله هذه الورقة وهو إقليم شمال الفيوم الذي ينتهي تقريبًا عند بلدة طهنا الحالية (راجع مصر القديمة الجزء الثامن).

وهذه الضيعة قد حُسبت تربتها بمقياس «سا»، وهو يساوي ١/٨ من الأرورا، وعلى ذلك تكون مساحتها ٥٠٠م طولًا في عرض ٣٨٢ مترًا؛ أي ما يقابل ١٩ هيكتارًا من الأرض أو ٤٥,٥ فدانًا.

وعلى حسب محصول الفدان في أيامنا — وهو ما يعادل خمسة أرادب تقريبًا — يكون محصول هذه الأرض ٢٣٠ إردبًّا على وجه التقريب.

ولما كان مجموع محصول هذه الأرض يساوي ثمانية عشر دبنًا و٦ ٢/٥ قدت هو ١٦٩٢ جرامًا من الفضة كان محصول الفدان على ذلك حوالي ٣٧ جرامًا من الفضة.

وقد كانت الفضة في القرن التاسع قبل الميلاد ذات قيمة عالية جدًّا، وإذا قارنَّا مقدار إيجار الأطيان بثمن العبيد وجدنا أن سعر العبد كان مرتفعًا، ونعلم أن اثنين وثلاثين عبدًا وأمةً كانوا يَشتغلون في فلاحة الأرض، وكان ثمنهم يبلغ خمسة عشر دبنًا وثلث قدت؛ أي حوالي ١٣٦٥ جرامًا من الفضة، وبذلك يكون ثمن العبد الواحد هو ٤٣ جرامًا من الفضة.

(٢) آثاره في طيبة

وعثر الأثري «كارتر» في وادي مقابر الملوك على مقبرة في عام ١٩٠١م فيها ثلاثة توابيت من الخشب جنبًا لجنب، وفي كل منها مومية سليمة كاملة، وقد وُجد في واحدة منها حمالتان من الجلد الأحمر وخُتِمَ آخِرُ كلٍّ منهما بمنظر ديني عادي، نشاهد فيه على اليمين الإله «آمون رع» واقفًا في هيئة الإله «مين» رافعًا ذراعه وفي يده السوط، وأمامه

الملك «أوسركون الأول» لابسًا الكوفية، ويشير بإحدى يديه إلى قضيب الإله، وبالأخرى إلى لباس رأسه. والنقش الذي يتبع هذا المنظر هو: «الإله الطيب (سخم-خبر-رع-ستبن رع) ابن رع «أوسركون مري آمون» محبوب آمون رع رب السماء معطي الحياة.» (راجع A. S. II p. 145).

ومن المحتمل أن هذه الموميات كان لها صلة بعهد هذا الفرعون، وبخاصة أن واحدة منها تحمل اسم «كارع مع» مغنية «آمون»، وأن الملك أمر بعمل أكفانها ثم نُقلت هذه التوابيت فيما بعد من مدفنها الأصلي كما يدل على ذلك مكان الدفن.

لوحة العرابة المدفونة

وأهم أثر عُثر عليه في عهد ذلك الفرعون لوحة اشتراها «بتري» من «العرابة»، والمنظر الذي كان في أعلى هذه اللوحة فُقِدَ؛ ولكن لحسن الحظ بقي المتن سليمًا وهو: «السنة السادسة والثلاثون من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب السهلين (سخم-خبر-رع-ستبن رع) ابن «رع» رب التيجان محبوب آمون «أوسركون» العائش سرمديًّا، كان الكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة وابن الملك «لرعمسيس» ورئيس المهاسا الأمير «باشد باست» المنتصر جائلًا في الصحراء، وتأمل لقد عثر على لوحة في جبانة (روستاو) بالقرب من تل ثات، وهي تخفي سيدها «أوزير» كأنها أحضرت من «روستاو» القريبة من عنخ تاوي (في منطقة منف)، فأقام عليها سورًا وأحاطها بلوحات ووهبها أرضًا … ووقف عليها قربانًا يوميًّا من الأوقاف الإلهية تحتوي نبيذًا وبخورًا وقربان ماء … وذلك ليُسَرَّ ربها أوزير «خنتي أمنتي» رب العرابة؛ لتكون بمثابة أملاك سرمدية.»

وهذا التاريخ الذي جاء على هذه اللوحة هو آخر تاريخ عرف لحكم هذا الفرعون. ويلفت النظر في هذا المتن قول الكاهن إنه وجد هذه اللوحة القديمة بطريق الصدفة، وإنه أحاطها بكل ذلك الاحترام والتبجيل.

والواقع أن ذلك ليس بالأمر العادي، ومن المحتمل أنه يشير هنا إلى لوحة من لوحات القبور الكبيرة الخاصة بأحد ملوك «العرابة» القدامى، والعنايةُ التي لاقتها هذه اللوحة تُذكِّرنا بقطعة الحجر المنقوشة من عهد الدولة القديمة التي عثرنا عليها في أثناء الحفائر حول منطقة «بولهول»؛ فقد وضعت في صندوق صغير من الخشب، والمحتمل أن أحد أهل العصر الصاوي قد أحاطها بعنايته؛ لأنها من عصر الدولة القديمة، أما صاحب

لوحة «العرابة» نفسه ولقبه فقد تحدثنا عنه فيما سبق راجع [الأسرة الثانية والعشرين، الفرعون أوسركون الأول].

وقد أبدى «دارسي» الشك في أن هذا الفرعون قد حكم مصر وحده طوال هذه المدة؛ أي حوالي ٣٦ سنة، ويظن أن ابنه «تاكيلوت الأول» قد اشترك معه في حكم البلاد، وأن هذا الاشتراك يمكن أن يكون قد حدث في السنة الثانية عشرة من حكم «أوسركون الأول»؛ وذلك لأننا نعرف من لوحة في متحف «فلورنس» تاريخ السنة الثالثة والعشرين من حكم ملك يدعى «تاكيلوت»، وهو على ما يظهر «تاكيلوت الأول»؛ غير أن ذلك لا يخرج عن الحدْس والتخمين (راجع L. R. III p. 325 note 4).

وعُثر كذلك في «العرابة المدفونة» على قطعة من إناء عليها اسم هذا الفرعون (راجع Nouvelles Fouilles D’abydos (1889). p. 168).

آثار «أوسركون» في الحيبة

وذكرنا فيما سبق أن الفرعون «شيشنق الأول» قد أقام معبدًا للإله آمون وثالوثه في بلدة «الحيبة»، وهذه البلدة تقع على النيل قبالة بلدة الفشن الحالية، وقد كانت محصنة من كل الجهات لتصد هجمات البدو؛ ففي الشمال نجد أنه كان قد أقيم هناك حصنٌ من اللبِن طوله حوالي ١٢٠ مترًا وعرضه ٦٠ مترًا على ربوة من الصخر، ويتصل بالمدينة بوساطة منحنى خفيف، وفي الشرق والجنوب أقيم جدار بمثابة سور من اللبِنات، ويبلغ عرضه ١٢٫٦٠م، ولا تزال أسسه قائمة حتى الآن، وهو مُقام على صخرة قليلة الارتفاع، وفي الغرب كان النيل يعد حاجزًا لحماية البلد، وكان لها باب من الشمال يؤدي إلى ساحة عامة تمتد من الشمال إلى الجنوب، وقد راق موقع هذه المدينة في عين «شيشنق الأول»، كما يظهر فأقام فيها معبدًا للإله «آمون وثالوثه»، وكذلك عُبد فيه آلهة آخرون.

ولم يبقَ من نقوش هذا المعبد إلا القليل؛ جزء منها باسم الفرعون «شيشنق الأول»، والآخر باسم الفرعون «أوسركون الأول» الذي أتم المعبد على ما يظهر، والمناظر الخاصة بالفرعون «أوسركون» هي كما ذكرها أحمد بك كمال على الوجه الآتي: (راجع A. S. II p. 87ff).

نشاهد على نصف الواجهة الشرقية للجدار النهائي نقوشًا؛ فاللوحة الأولى منها يُرى عليها الإله «تحوت» برأس الطائر أبيس وجسم إنسان واقفًا وأمامه الفرعون «أوسركون الأول» يقدم القربان، والصورة الثانية يُرى عليها الفرعون يقدم القربان للإله «خنوم»،

وفي اللوحة الثالثة يقدم الملك القربان للإله «خنسو»، وفي الرابعة يقدم القربان للإله «تحوت»، وأخيرًا يقدم في اللوحة الخامسة القربان للإله «آمون رع».

الفيوم

والظاهر أن هذا الفرعون قد أقام بلدة صغيرة عند مدخل الفيوم بالقرب من «اللاهون» الحالية، كما يدل على ذلك ما جاء في لوحة «بيعنخي» التي تركها لنا، وهي التي تتحدث عن فتحه لمصر (راجع L. R. II p. 326).

تماثيل «أوسركون» والتماثيل التي وجد عليها اسمه

عُثر في «شبين الكوم» بالقرب من «تل اليهودية» على تمثال للفرعون «أوسركون الأول» مصنوع من البرنز، وقد رُصِّع طغراء الملك عليه بالذهب، وقد مثل الفرعون واقفًا (راجع L. R. III p. 327; S. B. A. VI p. 205 & Petrie, Hist of Egypt III p. 241 fig. 98).

أجزاء من تمثال كبير رُئِيَ في حيازة المالي «موري كوفر» في نابولي أجزاء من تمثال كبير مصنوع من الحجر الرملي الصلب، وقد وُجد على قطعة من هذه القطع — وهي القاعدة — قَدَمُ الملك وعليها النقش التالي: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (سخم-خبر-رع ستبن رع).» وهو لقب الفرعون «أوسركون الأول»، ووجد على قطعة أخرى تمثل جذع التمثال لقبه كذلك، وعلى الحزام وجد الاسم «أوسركون» (راجع Sphinx XVI p. 14)، وكذلك وجد اسم هذا الفرعون ولقبه على تمثال الكاهن «نسباحرنحات» (راجع Legrain, Cat. Gen. II No. 42118).

تمثال بولهول: ويوجد في متحف «فينا» تمثال للملك «أوسركون» في صورة «بولهول» (راجع Wiedemann. Aegyp. Gesch. p. 553 & Petrie Hist. HI. p. 240).

ونُقش كذلك اسم هذا الفرعون على تمثال من المرمر لشخص يدعو «زدحنسو فعنخ» ابن «باكن خنسو» عُثر عليه في خبيئة الكرنك، وهو محفوظ بالمتحف المصري.

ويُلقَّب كاهن الإله «آمون» وحامل خاتم الملك (Legrain, Cat. Gen. III. No. 2216 p. 39).

جعارين وتعاويذ باسم الملك «أوسركون الأول»

توجد لهذا الفرعون جعارين وآثار صغيرة عدة في مختلف متاحف العالم، نخص بالذكر منها جعرانًا بمتحف «إيدن»، وأخرى في مجموعة «نيو بري»، ومجموعة صغيرة من البرنز، وعقد منات الخاص بالإلهة «حتحور»، وحمالات من الجلد، ولوحة صغيرة من الجلد، وعقد منات من الخشب (راجع L. R. III p. 328–9)، وكذلك أسطوانة من العقيق في متحف «بروكسل» (راجع Wiedemann. Gesch. p. 553).

وفي متحف «اللوفر» لوحة تقص علينا إهداء حقل وبيت قدمهما «أوسركون الأول» لمغني الإلهة «حتحور»، ويحتوي الجزء الأعلى من هذه اللوحة على منظر يمثل مغنيَ الملك راكعًا يضرب على العود أمام بَقَرَتَيْ «حتحور»، وخلفه يقف الملك «أوسركون» قابضًا بيده على آنيتين للقربان. ومحتويات هذه اللوحة لها أهمية عظيمة؛ إذ الواقع أن المتن الذي نقش عليها يعد وثيقة بمنح حقل وبيت من الملك «أوسركون الأول» إلى مغني الإلهة «حتحور»، ومن جهة أخرى نشاهد أن الملِكَ غالبًا ما يمنح أمثال هؤلاء الأفراد من الطبقة الأرستقراطية من الموظفين الذين يكونون تحت إشرافه مباشرة مكافآتٍ من كل نوع من أنواع أدوات الزينة؛ كالقلائد من الذهب، وكذلك يهدي إليهم العبيد، ولكن من النادر أن نجده يمنحهم — كما هي الحال في لوحتنا — منحة من الأرض والعقار (راجع Rev. Egyptologique Tome. V. p. 84).

(٣) أسرة الملك أوسركون الأول

زوجاته

ماعت كارع: جاء ذكر هذه الملكة على تمثال لإله النيل بالمتحف البريطاني عُثر عليه في الكرنك، وهو للكاهن الأكبر «شيشنق» ابن الملك «أوسركون الأول» وأمه «ماعت كارع» وابنة الملك رب الأرضين محبوب آمون «حور باسبخعنوت» (بسوسنس)، وقد تحدثنا عن هذه الملكة فيما سبق [راجع فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس حور بسوسنس الثاني]. ويلاحَظ أنها لم تُذكر في تاريخ «بتري» (راجع Petrie, Hist. III p. 240). والواقع أن «بتري» يعد «ماعت كارع» هذه أم الملك «أوسركون الأول»، ويوحِّدها خطأً بالسيدة «كارعمعت» التي ذكرت في لوحة «حورباسن»، ومن جهة أخرى يقول: إن السيدة «تنت سا» هي زوج الملك «أوسركون الأول». ولكنها كما يظهر تنتسب إلى

عصر متأخر عن عصر «أوسركون الأول» بكثير، وقد وَقَعَتْ مس «بتلز» في كتابها عن ملكات مصر في نفس الخطأ الذي وقع فيه بتري (راجع Miss. J. R. Buttles. The Queens of Egypt. p. 191–194).

وكذلك وجد اسم هذه الملكة على تمثال آخر مصنوع من حجر البرشيا الأخضر لابنها الكاهن الأكبر لآمون «شيشنق» راجع Legrain I bid III No. 42194, p. 4 & Pls. II & IV.)

زوجه «تاشد-خنسو»: جاء ذكر هذه الملكة بوصفها أم الملك «تاكيلوت الأول» على لوحة «حور باسن» (راجع Miss Buttles. Ibid, p. 194)، ولا يبرهن هذا بأية حال على أن يكون ابن «تاشد خنسو» وليس ابن «ماعت كارع» هو الذي خلف والده «أوسركون الأول» على عرش الملك، على أن «تاشد خنسو» قد تزوجت من الملك قبل «ماعت كارع» كما لا يبرهن على أنها كانت من أصل أرفع منها، وعلى أية حال لا نعرف شيئًا عن والدها في حين أن «ماعت كارع» كانت ابنة ملك، وعلى ذلك يمكننا أن نستخلص أن الأمير «شيشنق» الذي وضع اسمه في طغراء على تمثال إله النيل كان في الأصل هو ولي العهد الأصلي، وأنه تولى العرش إما في عهد والده مشتركًا معه في الملك أو أنه تولى الملك بعده وحكم مدة قصيرة جدًّا، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد.

أولاد الفرعون «أوسركون الأول»

الأمير شيشنق مري آمون الكاهن الأكبر لآمون: يقول «مونتيه» في كتابه عن «أوسركون» الثاني (Les Construction et le Tombeau D’osorkon II p. ll): إن «ماعت كارع» وضعت ولدًا أسمته «شيشنق» وأصبح بسرعة رئيس الجيش والكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة وأميرًا، وكان ينتظر أن يرث الملك بعد وفاة والده ولكنه كان قد وضع اسمه في طغراء (راجع L. R. III pp. 330–331)، وعندما عثرنا في عام ١٩٣٩ في حجرة استقبال قبر الملك «بسوسنس» على المومية كانت مزينة بزينة ثمينة، ومضطجعة في تابوت من الفضة لملك يحمل لقب: «حقا-خبر رع» — «شيشنق»، وهذا الاسم لم يذكر في كتاب «الملوك»، وقد سبب ظهور اسم هذا الملك الجديد دهشة، ولم يُعرف كيف يوضع اسمه في ترتيب الملوك خلفاء «شيشنق الأول»، وإني لا أتردد الآن في أن أضعه بعد الفرعون «أوسركون الأول»، وبذلك يوحَّد مع الأمير «شيشنق»،

ولقب هذا الملك الجديد لا يختلف عن لقب مؤسس الدولة اللوبية (شيشنق الأول) إلا بعلامة 𓋾 بدلًا من علامة 𓌉. وقد وُضع مع موميته سواران يدل ما جاء عليهما من نقوش على أن سلسلة نسبه متصلة مباشرة «بشيشنق الأول» (راجع Kemi. T. IX. p. 71 No. 228–229). والواقع أن معظم الذين دُفنوا في «تانيس» قد حملوا معهم بعض تذكارات من آثار أجدادهم، والأطباء الذين فحصوا عظام الملك «حقا-خبر-رع» «شيشنق» قد قدروا سنه بخمسين عامًا (راجع A. S. XXXIX. p. 459)، وهذا ليس بالأمر المدهش؛ لأن والده حكم ستًّا وثلاثين سنة، ومن المحتمل أن حكم «شيشنق» كان قصيرًا جدًّا وليس فيه حوادث هامة. وقد كانت له زوجتان وابنان صار أحدهما فيما بعد كاهنًا، والآخر أصبح الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة (راجع L. R. III p. 331)، في حين أن ابنًا آخر للملك «أوسركون الأول» يدعى «تاكيلوت» — وأمه تدعى «تاشد خنسو» التي لم تكن من نسل ملكي — قد تولى عرش البلاد، هذا ما قاله «مونتيه» على وجه التقريب، ولكن شواهد الأحوال تدل على أن «شيشنق الثاني» قد اشترك مع والده في الحكم مدة حياته، وكان «شيشنق» يحكم في طيبة ووالده يحكم في الدلتا، ولكن الأول توفي قبل والده على ما يظهر.

هذا، وقد ترك «شيشنق» الكاهن الأكبر عدة آثار عليها اسمه؛ منها تمثال لإله الفيضان (حعبي) محفوظ الآن بالمتحف البريطاني (راجع Budge,. Guide (1909). p. 211, L. R. III p. 299 & 331).

ومُهْدِي هذا التمثال لإله الفيضان هو «شيشنق» محبوب «آمون» الكاهن الأكبر «لآمون» وابن الملك «أوسركون»، وأمه هي «ماعت كارع» ابنة الملك «باسبخعنوت» (بسوسنس)، وهذا الملك الأخير هو كما قلنا من قبل لا يمكن أن يكون إلا ثاني ملك يحمل هذا الاسم، وآخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين. ومن ثَمَّ نعرف أن «شيشنق الأول» كما شرحنا من قبل قد وطَّد أواصر أسرته بزواج «أوسركون الأول» ابنه من ابنة «بسوسنس الثاني» (أو الثالث على حسب رأي «جوتيه»)، وقد أنجبت له ولدًا يدعى «شيشنق» وهو الذي نصبه والده كاهنًا أكبر للإله «آمون»، وقد علا شأن هذا الكاهن، حتى إنه اتخذ لنفسه الألقاب الملكية ووضع اسمه في طغراء وأصبح القائد لكل جيوش مصر. ولا نزاع في أن هذا الأمير كان قويَّ الشكيمة؛ حتى إنه — على الرغم من كونه الوارث للعرش — قد جعل طيبة تكاد تكون مستقلة أو شبه مستقلة عن حكومة الشمال التي كان يديرها والده.

والتمثال الذي نحن بصدده مصنوع من الحجر الرملي، وقد مثِّل واقفًا في مرعًى خصيب مملوء بالأعشاب النضرة بيديه الممتدتين إلى مائدة قربان يتدلى منها باقات القمح والأعشاب الخضراء والأزهار وطيور الماء. والتمثال مُهدًى لآمون رع من «شيشنق» ابن «أوسركون» والملكة «ماعت كارع»، وقد نُحت على العمود الذي خلف التمثال صورة «شيشنق» بيديه مرفوعتين تعبدًا (Egyptian Sculptures in the British Museum Pl. XLIII).

وهاك نص المتن الذي جاء على هذا التمثال:

> صنعه الكاهن الأكبر لآمون رع ملك الآلهة محبوب آمون «شيشنق» لسيده «آمون رع» المهيمن على الكرنك؛ ليلتمس الحياة والسعادة والصحة وطول العمر وحياة مديدة سعيدة والقوة والنصر على كل أرض وعلى كل قطر … كل قوة وشجاعة ليأسر بلاده، سيد الجنوب والشمال القائد محبوب آمون «شيشنق» القائد العظيم لجيش «أوسركون الأول»، وأمه «ماعت كارع» ابنة الملك رب الأرضين محبوب آمون «حور باسبخعنوت» معطي الحياة والثبات والرضا مثل رع سرمديًّا.

وفي معبد الأقصر نقش محفوظ على الجدار الخلفي للردهة الأولى للمعبد خلف تماثيل «رعمسيس الثاني»، ومنه نعرف أن «شيشنق» هذا كان يحمل لقب الكاهن الأول لآمون ملك الآلهة وابن الملك «أوسركون الأول» (راجع Rec. Trav. XXXV. p. 133).

وفي خبيئة الكرنك عُثِرَ لهذا الكاهن الأكبر على تمثال من حجر البرشيا الأخضر، وقد مثِّل وهو يخطو إلى الأمام بقدمه اليسرى ويحمل على صدره عصًا يعلوها رأس إلهة تلبس قرص الشمس يحفه قرنان، وفي يده اليمنى منديل، ويلاحَظ أنه يلبس على رأسه شعرًا مستعارًا جميلًا ذا خصلات أنيقة تغطي الجزء الأعلى من الأذنين، أما جذعه فيغطيه قميص ذو كُمَّين قصيرين واسعين له ثنيات، ويغطي نصفه الأسفل سترة واسعة ذات ثنيات منظمة تنظيمًا أنيقًا لها ميدعة بارزة، وحول رقبته عقد مؤلف من صفين، ويحلِّي ذراعيه أربعة أساور، وأذناه مثقوبتان.

النقوش: وقد مثِّل على صدر هذا التمثال صورة الإله آمون منطلقًا نحو اليسار، كما مثِّلت صورة الإله أوزير محنطة ومنتصبة على الجزء البارز من تنورته، والظاهر

من الصورة أن شكل أوزير قد رُسم بعد حفر ثنيات التنورة، ثم محيت الثنيات التي تحيط به، ونُقش على العمود الذي يستند عليه التمثال المتن التالي: «الكاهن الأول لآمون ملك الآلهة والقائد الأعلى للجيش والمقدم «شيشنق» المنتصر بن الملك رب الأرضين محبوب آمون «أوسركون»، وأمه كاهنة الإلهة «حتحور» ربة «أيونت» (دندرة) والأم الإلهية «لحور سماتوي» المسماة «ماعت كارع» ابنه الملك رب الأرضين …»

وصناعة هذا التمثال غاية في الجمال، ويعد من أحسن التماثيل المعروفة لنا في هذا العصر من حيث الفن والدقة، وطرازُه جميل جدًّا؛ إذ نجد أن الرأس غاية في الجمال، وهو في مجموعه يذكرنا بالتماثيل الجميلة المصنوعة من الخشب، وبخاصة تمثال «بنيوس» المحفوظ الآن بمتحف تورين (راجع Rec. Trav. T. II p. 176–177).

ويدل محو الثنيات على أن هذا التمثال مغتصَب. هذا ويلاحظ أن قدمي التمثال لم يُعثَر عليهما، أما الباقي منه ففي حالة حفظ جيدة. ويلفت النظر في هذا التمثال رَسْمُ صورة الإله «آمون» على الصدر، وصورة «أوزير» على الجزء الأسفل منه؛ فهل معنى ذلك أنه كان يتعبد لآمون الذي كان يعد وقتئذ الملك الحقيقي للبلاد، وبخاصة في «طيبة»، وإلى أوزير بوصفه ملك العالم السفلي، وبذلك يكون قد جمع بين حاكِمَيْ عالم الدنيا وعالم الآخرة؟

وعُثر في خبيئة الكرنك كذلك على تمثال آخر من الجرانيت الأسود يبلغ ارتفاعه ٩٣سم (راجع Legrain, Ibid No 42193 Pl. 2)، وقد مثِّل ماشيًا وقابضًا بكلتا يديه على صورة «آمون»، واقفًا على قاعدة وله شعر مستعار مرسل تبرز منه أذناه، وعلى كتفه الأيسر جلد فهد، وفي قدميه حذاء. والنقوش التي على القاعدة هي: «آمون رع» رب تيجان الأرضين المشرف على الكرنك، ليته يعطي القوة للكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة (المسمى) «شيشنق المنتصر». وعلى الوجه الأيمن للمقعد نقرأ: «لقد أمر «آمون رع» رب تيجان الأرضين أن يكون للكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة «شيشنق» صادق القول عمرًا طويلًا في بيته على مائدة روحه، وأن يبقى زوجه «أبيا» وهو الذي جعل محبوبة قلبه تسير حتى تصل إلى سنين عدة.»

وعلى ظهر المقعد الأمامي كتب: «الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة والقائد الأعظم للجيش، والمقدم «شيشنق» صادق القول ابن الملك رب الأرضين محبوب «آمون» «أوسركون».»

وعلى وجه عام نلحظ أن صناعة التمثال جميلة، وطرازه قوي بدرجة لا بأس بها.

والنقوش التي على هذا التمثال تدل على الرابطة الزوجية القوية في ذلك العصر؛ إذ نرى أنه قد عَمِل هذا التمثال وأهداه إلى «آمون» الذي كان يعد الإله الذي يشفي من الأوجاع والأمراض. وهذا يذكِّرنا بالنقوش التي عُثر عليها في طيبة في عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهي التي كان يتضرع بها عامة الشعب للإله «آمون» — وبخاصة عمال جبانة «طيبة» — ليشفيهم من أوجاعهم ويبرئهم من عِلَّاتهم (راجع مصر القديمة جزء ٦)؛ ولذا أهدى هذا التمثال للإله «آمون» اعترافًا من صاحبه بما أسداه إليه من جميل، وهو شفاء زوجه التي كانت مريضة.

تمثال الإله «بس»: أهدى الكاهن الأكبر «شيشنق» تمثالًا للإله «بس»، وهو محفوظ الآن بمتحف «آلن ويك كاسل» من أعمال إنجلترا (راجع Rec. Trav. XXX p. 160 (1908))، ومن نقوش هذا التمثال نعرف أن «شيشنق» هذا كان يلقب «الكاهن الأول لآمون رع» ملك الآلهة ورب الأرضين، والمقدم محبوب «آمون» «شيشنق» القائد الأعظم لجنود مصر كلها.

ومن نقوش هذا التمثال نعرف كذلك اثنتين من زوجاته وهما: «نس-تاوزيت-آخت»، وهي التي أنجبت له ابنه «أوسركون» الذي صار فيما بعد الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة، وزوجته الأخرى المسماة «نس-لب-أشرو» التي أنجبت «حورسا آزيس»، وهو الذي صار فيما بعد الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة.

وقد ذُكِرَ من قبل أن له زوجة أخرى تدعى «أبيا».

ونعرف فضلًا عما ذكر أن الكاهن الأعظم «شيشنق» هذا قد جاء ذكره في برديتين من بين أوراق بردي متحف «سنت بيترز برج» (راجع Lieblein, Aegyptische Denkmaler in Saint-Petersburg. p. 56–59; & Wreszinski Die Hohenpriester des Amon p. 30 No. 43).

ونجد في هاتين الورقتين أن اسمه قد ذُكِرَ كما جاء ذكر اسم زوجه «نس-تا-وزيت-آخت»، وهاتان الورقتان تُذْكَرَانِ أحيانًا باسم «ورقتي دنون» (راجع Maspero, Momies Royales p. 736-737)، وقد نشرهما في كتابه سياحة في الوجه القبلي (راجع Denon, Voyage dans la Haute Egypte Pl. 173–138;)، وهما لشخص يدعى «أوسركون»؛ ففي واحدة منهما ذكر بأنه كاهن «آمون رع» ملك الآلهة «أوسركون» صادق القول ابن الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة «شيشنق»

صادق القول ابن الملك رب الأرضين (محبوب آمون «أوسركون») معطي الحياة مثل «رع سرمديًّا».

وفي الورقة الثانية من هاتين الورقتين نجد اسم أمه: والدته «تاوزيت آخت» (راجع Maspero, Momies Royales p. 736–7; Labib Habashi A. S Tom LI p. 455).

تمثال «شيشنق» الكاهن الأول «لآمون»: عُثر على بقايا تمثال لهذا الكاهن في حفائر معبد «الأقصر» الحديثة، ولم يبقَ من هذا التمثال إلا القاعدة والقدمان، ويمكن أن تعرف من هذه البقية الضئيلة أنه كان ممثَّلًا واقفًا لابسًا نعليه، وفي يده صولجان ربما كان في نهايته رأس كبش، وقد كتب على قمة القاعدة سطر عمودي جاء فيه: «شيشنق» بن الملك سيد الأرضين «أوسركون» محبوب «آمون» وأمه ابنة الملك الشريفة «ماعت كارع».

تاكيلوت» بن «أوسركون»: «وهو الذي أصبح ملكًا على البلاد كما سنرى بعد.

الأمير «أورات»: جاء ذكره على نقوش مقاييس النيل في السنة الخامسة من الحكم المشترك لكل من «أوسركون الأول» «وتاكيلوت الأول» بوصفه ابن «أوسركون» رب الأرضين (راجع Lergrain, A. Z. XXXIV, 1896. p. 113 & Daressy, Rec. Trav. XXXV p. 144).

وكذلك جاء اسمه بوصفه كاهنًا أكبر لآمون على تمثال الكاهن الثالث لآمون المسمى «بادموت»، وهو صهر الكاهن الأكبر «أورات» (راجع legrain, lbid III No. 42215. p. 38).

ولدينا لهذا الكاهن الأعظم لوحة محفوظة بالمتحف البريطاني (رقم ١٢٢٤) جاء عليها الألقاب التالية: «الكاهن الأعظم لآمون ملك الآلهة الذي يثبت القوانين الجميلة في أرض الجنوب، والقائد الأعلى للأرضين جميعًا، والمقدم «أورات» المنتصر ابن الملك رب الأرضين محبوب آمون «أوسركون».» ومن هذه اللوحة نعلم كذلك أن أخت «أورات» كانت مغنية وتسمى «شبسيت–دنيت» (راجع Guide to Egyptian Galleries Sculpture (1909) No. 777 p. 215 Pl. XXVIII).

الأمير نسبادد (سمندس) (أو «نسبانبدد»): وُجِدَ اسم هذا الأمير في نقوش مرسى الكرنك الخاصة بمقاييس النيل (الفيضان) في السنة الثامنة من عهد الكاهن الأكبر لآمون ملك الآلهة (المسمى) «نسبادد» المنتصر ابن الملك رب الأرضين محبوب آمون «أوسركون». ويلاحَظ أن اسم الملك لم يذكر هنا (راجع Legrain, A. Z. XXXIV

p. 113 (1896))، وقد ذكر مرة أخرى في نفس نقوش المرسى بتاريخ السنة الرابعة عشرة؛ غير أن هذا التاريخ ليس مؤكدًا على وجه الإطلاق.

ومما سبق نعلم أن ثلاثة من أولاد «أوسركون الأول» قد تولوا رياسة الكهنة لآمون رع وهم: «شيشنق»، و«أورات»، و«سمندس».

(٤) تماثيل عظماء الرجال في عصره

عُثر في خبيئة الكرنك من عهد «أوسركون الأول» على تمثالين لكاهنين؛ أحدهما يدعى «نسباوتتاوي» والثاني يدعى «نس باحرنحات»، والنقوش التي عليهما غاية في الأهمية من الوجهة التاريخية والأنساب؛ إذ منهما نصل إلى سلسلة نسب أسرتيهما، فنعلم أنهما منحدران من أسرة الكاهن «رومع روي» الذي عاصر الفراعنة «رعمسيس الثاني» و«مرنبتاح» ثم «سيتي الثاني» إلى أن نصل إلى عهد «أوسركون الأول» الذي عاش فيه هذان الكاهنَان (راجع عن تاريخ «رومع-روي» مصر القديمة الجزء السادس Legrain, Cat. Gen. II 42188 & 242189; Rec. Trav. XXVII p. 72ff).

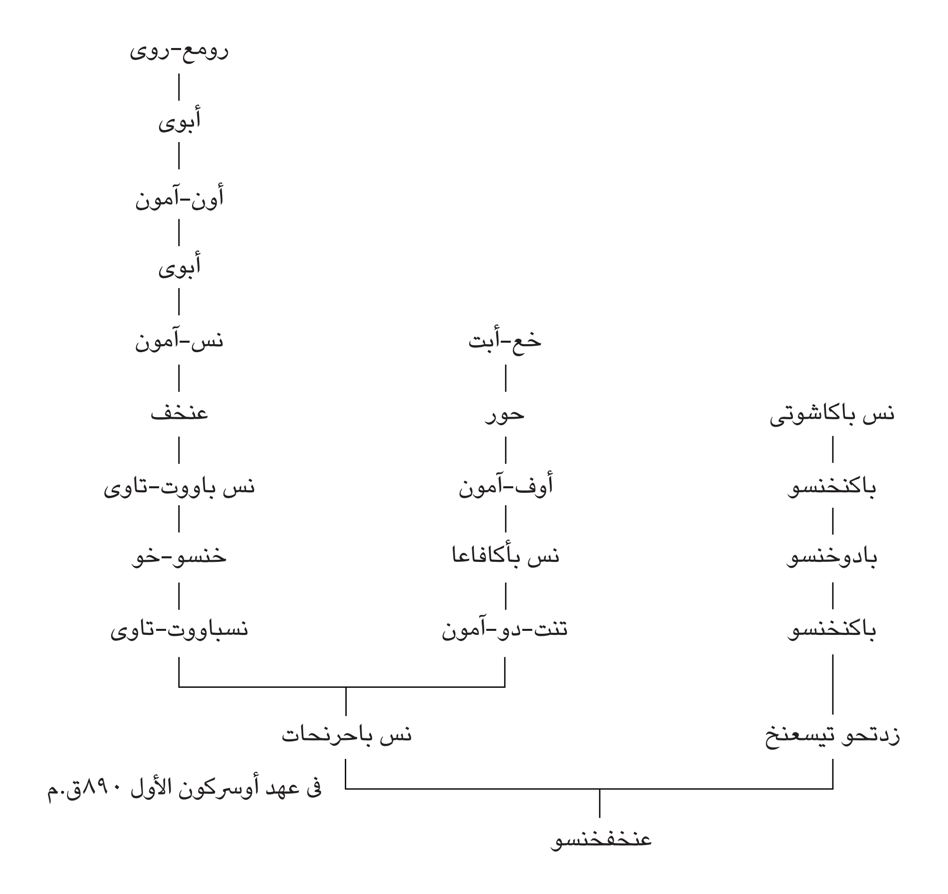
أسرة «رومع روي»

ذكرنا في الجزء السادس من هذا المؤلَّف ما وصل إليه «رومع-روي» من مجد وسؤدد في عصر كلٍّ من «رعمسيس الثاني» ثم في عهد خَلَفَيْه «مرنبتاح» و«سيتي الثاني» (راجع الجزء السادس).

إذ يقول «رومع روي» عن نفسه: «وقد منحني آمون أجيالًا من أولادي مجتمعين أمامي يؤدون وظائف الكهنة المكلفين بحمل تمثاله، وبينما كنت الكاهن الأول بفضل «آمون» كان ابني يسكن بجانبي كاهنًا ثانيًا «لآمون»، وابني الثاني كاهنًا مطهرًا في المعبد الملكي في غربي «طيبة»، وابن ابني الكبير كاهنًا رابعًا يحمل «آمون» رب الآلهة، وابن ابني الآخر والدَ إله وكاهنًا مرتلًا ذا يدين طاهرتين لصاحب الاسم الخفي.»

والواقع أن «رومع روي» كان له نسل عديد أمكننا بوساطته أن نتتبع أثرهم حتى الجيل الحادي عشر الذي عاش في أوائل الأسرة الثانية والعشرين في عهد «أوسركون الأول»، ويمكننا أن نضع سلسلة هذا النسب من التماثيل ٢٥١، ٦٦، ٤١١ (راجع Legrain, Ibid. II no 42187, 42188, 42189).

وهاك سلسلة النسب:



و«رومع–روي» الذي يحمل لقب الكاهن الأكبر لآمون قد ذكره أخلافه بلقب الكاهن الثاني؛ فنجد ابنه «أبوى» يلقب على تمثاله الجميل بلقب الكاهن والد الإله، كما يحمل لقب مدير قصر الملك، وقد ورثه بلا شك عن والده، ونجده في نقوش التمثالين رقم ٦٦ و٤١١ (على حسب ترقيم «لجردان») مذكورًا في الجيل العاشر، ويحمل الألقاب: كاهن «آمون»، ملك الآلهة، وخادم قصر الملك.

والواقع أن هذه الأسرة كان يتمتع أفرادها بمجال واسع في وظائف الدولة؛ لأنه على ما يظهر قد نُحِتَ التمثالان ٤١١، ٦٦ في عهد «أوسركون الأول»؛ لأنه على حسب الألقاب

التي كان يحملها «رومع-روي» على التمثال رقم ١٢٤ (حسب ترقيم «لجران») كان يلقب الكاهن الثاني لآمون؛ مما يدل على أن «أبوى» هذا قد مات قبل أن يصل والده إلى وظيفة الكاهن الأول.

والظاهر أن «أبوى» هذا كان أحد صغار الأسرة ولا يملك شيئًا كثيرًا؛ لأن أحلافه قد قنعوا مدة أربعة أجيال بوظيفة كاهن الإلهة «أمونيت» من الدرجة الرابعة.

وقد ضم أخيرًا الكاهن «خنسوخو» إلى لقبه هذا لقب رئيس كتبة «آمون»، وقد ورَّثه لابنه «نسباووت تاوي»، وقد وصل الأخير إلى رياسة كهنة الإله «أمونيت»، وقد أضاف إلى هذا اللقب وظيفة فاتح أبواب السماء في الكرنك (أي قدس الأقداس)، وقد تزوج «تنت-دو-آمون» لاعبة الصاجات «لآمون»، وكانت أسرتها تشغل وظيفة نائب معبد العرابة، وأنجب منها ابنًا أسماه «نسباحر نحات» وهو معاصر للملك «أوسركون الأول»، وكان «لأبوى» تمثال صغير رشيق، وصَنَع «نسباووت تاوي» تمثالًا لنفسه أكبر بقليل من تمثال سابقه، وقد صوَّر «نسباحرنحات» على التمثال وغطَّى جانبيه بقائمة نسب أسرته، وقد أسعده الحظ ووفِّق في زواجه؛ إذ تزوج من «زد تحو تيسعنخ» وهي ابنة رجل يدعى «باكنخنسو» الذي كان يلقب فاتح أبواب السماء في الكرنك، وكذلك كان يحمل لقب رئيس المجندين لآمون، وقد وَرِثَ هذا اللقب عن أبيه، وكان جده وجده الأكبر يحمل كل منهما لقب الكاتب الملكي للجنوب وقائد الجيش، وعلى ذلك كان «نسباحرنحات» يشغل وظائف عدة؛ فكان كاهن معبد «آمون»، وكاهنًا من الدرجة الأولى لمعبد «تحتمس الثالث»، والكاهن الأول للإلهة «أمونيت»، وفاتح أبواب السماء في الكرنك، وكاتب الخاتم المقدس لآمون، وكبير المحكمة العظيمة الإقليمية. وفي الوقت الذي كان ابنه يهدي فيه تمثال والده كان يحمل الألقاب التالية: الكاهن والد الإله، وفاتح أبواب السماء في الكرنك، وكاهن الإلهة «أمونيت» الأول، وكاهن «خنسو» ملبس التيجان (وهذا اللقب يظهر أنه ورثه من جده من ناحية والدته)، وكاهن من الدرجة الأولى للخاتم الإلهي لمعبد «آمون»، ورئيس حرس كتبة معبد الإلهة «موت»، والكاهن والد الإله للإله «مين» صاحب «قفط»، وفي الوقت نفسه كان كاهنًا من الدرجة الثالثة في معبد «تحتمس الثالث»، ومن المحتمل أن تظهر بعض تماثيل فتضاف إلى هذه السلسلة الغريبة من تماثيل تلك الأسرة.

وخلاصة القول أنه من عهد «رومع-روي» حتى عهد «عنخف-خنسو» يوجد أحد عشر جيلًا، فإذا حسبنا الوقت الذي انقضى بين عهد «سيتي الثاني» و«أوسركون الأول»، وجدنا أننا نعرف تاريخ أخلاف «رومع-روي» خلال ما يقرب من ثلاثة قرون، وهو

بالضبط الفترة التي بين حكم «سيتي الثاني» و«أوسركون الأول» (أي حوالي ١٢٠٠ق.م إلى ٩٨٠ق.م).

تمثال الكاهن «نس-باحرنحات»

من بين الآثار الهامة التي كَشَفَ عنها «لجران» في خبيئة الكرنك تمثال من الجرانيت الأسود للكاهن «نس-باحرنحات»، ويبلغ ارتفاعه اثنين وستين سنتيمترًا (راجع Legrain, Cat. Gen. II, p. 56 Pl. LI, Rec. Trnv. Tom. XXVIII. p. 72-3)، وقد مثِّل هذا الكاهن قاعدًا القرفصاء على قاعدة منخفضة، وذراعاه مطويتان على ركبته، وممسكًا بيده اليسرى نباتًا، ويرتدي شعرًا مستعارًا ذا فروق صغيرة أفقية على الجبهة وعمودية على الجانبين وتظهر من بينهما الأذنان، والشعر مسبل على الكتفين. وهذا الشعر المستعار من طراز الأسرة الثانية والعشرين، وله لحية قصيرة، وجسمه ملفوف في ثوب ضيق.

النقوش: نُقِشَ على الكتف الأيمن طغراء الملك «أوسركون الأول» «سخم-خبر-رع-ستبن رع» محبوب آمون «أوسركون»، وعلى مقدمة التمثال منظر تشاهِد فيه من الجهة اليمنى شخصًا برأس حليق مرتديًا قميصًا طويلًا وشريطًا على كتفه اليمنى، ويحرق البخور ويصب ماء القربان أمام الإله «آمون والإلهة «أمونيت» على اليسار.

ونُقِشَ مع الإله آمون: «كلام لآمون رع ملك السماء أنه يعطي سرور القلب والفرح والعمر الطيب.»

ونقش مع المتعبد: «الكاهن والد الإله المحبوب كاهن الإلهة «أمونيت» القاطنة في الكرنك من الدرجة الأولى (المسمى) «نس-با-حرنحات» المبرأ ابن محبوب الإله رئيس كتبة معبد آمون «نس-باووت-تاوي» «المبرأ».»

وكتب أمام الإلهة أمونيت: «أمونيت القاطنة في الكرنك.»

ونُقِشَ على الجانب الأيمن للتمثال أحد عشر سطرًا جاء فيها:

قربان يقدمه الملك لآمون رع و«حور أختي» الإله العظيم رب السماء و«أوزير» «حنتي أمنتي» رب العرابة الإله العظيم حاكم الأبدية؛ ليعطوا قربات من الخبز والإوز أوزير الكاهن المطهر الذي يحمل في المقدمة محفة الإله وهو الثالث على اليمين «من الذين يحملون محفة» الإله العظيم، والكاهن المطهر

من الدرجة الأولى الذي يدخل في بيت آمون والذي يُسمح له بدخول محراب «الآثار الفاخرة» (اسم جزء من معبد الكرنك)، من الدرجة الأولى، وكاهن الإلهة «أمونيت» من الدرجة الأولى، ومحبوب الإله، وفاتح باب السماء في الكرنك، وكاتب خاتم الإله في معبد «آمون»، والحاكم … «نس باحرنحات» المبرأ بن محبوب الإله، ورئيس المطهرين، وكاتب معبد الإله في بيت آمون «نس باووت تاوي» المبرأ، وابنه والد الإله ومحبوبه، فاتح باب السماء في «الكرنك»، والكاهن والد الإله للإلهة «موت»، والكاهن والد الإله في الأقصر، والكاهن والد الإله للإله «مين» في «قفط»، والذي يدخل في «الآثار الفاخرة» من الدرجة الثالثة (المسمى) «عنخف–أن–خنسو» المبرأ الذي ولدته ضاربة الصاجات للإله «آمون رع» التي تدعى «زد تحو تيسعنخ» ابنة الكاهن والد الإله المحبوب فاتح باب السماء في «الكرنك»، وكاهن الإله «خنسو» ملبس التيجان، وكاتب المجندين لمعبد آمون (المسمى) «باكنخنسو» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب فاتح باب السماء في الكرنك، وكاهن الإله «خنسو» ملبس التيجان، وكاتب المجندين لبيت آمون «بادوخنسو» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب فاتح باب السماء في الكرنك، والكاتب الملكي للجنوب، وقائد الجيش «باكنخنسو» المبرأ ابن الكاهن والد الإله، والكاتب الملكي للجنوب، وقائد الجيش «نس با كاشوتي» المبرأ.

ونُقِشَ على الجانب الأيسر للتمثال أحد عشر سطرًا جاء فيها: قربان يقدمه الملك «لآمون رع» رب تيجان الأرضين المشرف على الكرنك، والإله العظيم للإله؛ ليجعله وارثه في قصر الكرنك … لروح الكاهن والد الإله المحبوب فاتح باب السماء في «الكرنك»، وكاهن «آمون» القاطن في الكرنك، والكاتب الملكي لخاتم الإله في معبد من الدرجة الأولى، وحاكم طائفة الكهنة العظيمة بالمدينة «نس با حرنحات» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب فاتح باب السماء في الكرنك، وكاهن بيت «آمون» القاطن في الكرنك من الدرجة الأولى، والكاتب الأول لمعبد «آمون» في بيت «آمون» «نس باووت تاوي» المبرأ ابن كاهن الإلهة «أمونيت» من الطبقة الثانية والطبقة الرابعة، وحامل المبخرة أمام الإلهة «أمونيت» (المسمى) «عنخف» المبرأ ابن كاهن الإلهة «أمونيت» القاطنة في «الكرنك»، وحامل المبخرة أمام «أمونيت» المسمى «نسآمون» المبرأ ابن كاهن «أمونيت» «إبوي» ابن كاهن الإلهة «أمونيت» المسمى «إيوفن آمون» المبرأ ابن محبوب الإله الكاهن ستم لمعبد «باخنسو» المسمى «إبوي» المبرأ القاضي ابن الكاهن الثاني لآمون «رومع»، المبرأ الذي أنجبته ضاربة الصاجات لآمون

رع «تنت دو أمون» ابنة الكاهن المطهر لآمون، وكاهن ...؟ المبجل العظيم لآمون المسمى «نسبا كافاعا» المبرأ ابن «إيوف أمون» ابن نائب بيت آمون «حور» المبرأ ابن نائب بيت أمون المسمى «خع أبت» المبرأ.

ونُقِشَ على ظهر التمثال أربعة أسطر جاء فيها إهداء هذا التمثال وهو: عمله ابنه ليحيا اسمه الكاهن والد الإله المحبوب فاتح باب السماء في معبد الكرنك، وكاهن الإلهة «أمونيت» من الطبقة الأولى، وكاهن الإله «خنسو» ملبس التيجان، وكاتب الخاتم الإلهي لبيت «آمون» من الطبقة الأولى، والمطهر الأول وكاتب الآلهة «موت» ابن (المسمى) «عنخفخنسو» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب (؟) فاتح باب السماء في «طيبة»، وكاهن «أمونيت»، وكاتب خاتم الإله في بيت «آمون» من الطبقة الأولى المسمى «نس-باحرنحات» المبرأ ابن محبوب الإله كاهن الإلهة «أمونيت» المسمى «نس باووت تاوي» المبرأ.

زد خنسو فعنخ الكاهن ابن باكنخنسو

عُثر لهذا الكاهن على تمثال في خبيئة الكرنك (راجع Legrain, Cat. Gen. III No. 42216. p. 39–41. Pl. XXV; Journal D'entrée'no 37879)، والتمثال مصنوع من المرمر، وارتفاعه خمسون سنتيمترًا، وقد مثِّل قاعدًا القرفصاء على قاعدة مربعة.

النقوش: نقشت على الكتف اليمنى طغراء الفرعون:

«سخم-خبر-رع-ستبن رع» محبوب آمون «أوسركون الثاني».

ونقش على الكتف اليسرى: «آمون رع» رب تيجان الأرضين المشرف على الكرنك المحبوب.

ونقش في الجزء الأعلى: «يعيش الأمير الوراثي والحاكم حامل خاتم الوجه البحري وكاهن «آمون» في الكرنك، والكاتب مدير الأعياد في معبد «خنسو» بالكرنك ... يعيش الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري وكاهن «آمون» في الكرنك ... (أمه) «زد موتسعنخ» ابنة الكاهن الرابع لآمون «زد خنسو فعنخ» (؟).»

ومُثِّلَ على الجزء الأمامي من التمثال المنظر التالي: «آمون» و«أوزير» واقفان يتسلمان القربان من رجل رأسه حليق ويلبس جلبابًا وفوقه عباءة تغطي الكتف اليمنى، وفوق ملابسه جلد الفهد، ويحرق «زد خنسو فعنخ» البخور ويصب القربان

من إناءين. ونُقِشَ مع «آمون» المتن التالي: «آمون رع» رب تيجان الأرضين والمشرف على الكرنك ورب السماء وملك الآلهة.

ونُقِشَ مع «أوزير»: «أوزير خنتي أمنتي» الإله العظيم رب العرابة «وننفر» (= الكائن الطيب وهو لقب لأوزير). وكتب مع صاحب التمثال: «إحراق البخور وصب الماء بوساطة كاهن «آمون» في الكرنك، والكاهن الثالث للإلهة «موت» ربة السماء، والكاتب مدير الأعياد في معبد «خنسو» (بننت) المسمى «زد خنسو فعنخ» بن «باكنخنسو».»

وتحت هذا المنظر منظر آخر تشاهد فيه على اليمين الإله «خنسو» قاعدًا القرفصاء ومعه المتن التالي: «خنسو في طيبة المثوى الجميل، الإله العظيم رب السرور حبيبه ومحبوبه كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والكاتب مدير أعياد معبد الإله «خنسو» «زد خنسو فعنخ» ابن مثيله (في الوظائف) «باكنخنسو» المبرأ ابن «زد خنسو فعنخ».» وعلى الجهة اليسرى نشاهد الإلهة «موت» قاعدة القرفصاء ومعها المتن التالي: «موت العظيمة ربة إشرو وربة السماء والتاسوع الإلهي، محبوبها وحبيبها كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والكاهن الثاني للإلهة «موت» ربة السماء «زد خنسو فعنخ» ابن مثيله «باكنخنسو» المبرأ ابن «زد خنسو فعنخ» المبرأ.»

والجانب الأيمن للتمثال مرسوم عليه منظر جميل غير أنه تآكل بفعل الرطوبة، وقد مثِّل عليه سفينة الإله «سكر» يعلوها رمز الإله «نفوتم» يتعبد إليها كل من «إزيس» و«نفتيس»، ومعه المتن التالي: «نفرتم» ملك الآلهة. ويتبع «سكر» المتن التالي: «أوزير» رب شتيت.

أما متن الإهداء فهو: «أهدى لكاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والكاتب مدير أعياد معبد «خنسو» «زد خنسو فعنخ» المبرأ ابن «باكنخنسو» المبرأ.»

وعلى الجانب الأيسر منظر مُثِّل فيه الإلهان: «تحوت» و«حور»؛ أحدهما على اليمين، والآخر على اليسار، وهما يتعبدان للرمز الدال على «أوزير» في العرابة وحوله رموز أخرى ... إلخ.

وعلى ظهر التمثال متن مهشم يحتوي على صيغة القربان الملكية «لآمون» و«أتوم» و«حور أختي» و«بتاح سكر» ... و«خنسو» و«منتو» والإلهة «أمونيت» والتاسوع ليقدموا القربان، يأتي بعد ذلك ألقاب صاحب التمثال واسمه ثم والده الذي يحمل ألقابًا مماثلة ...

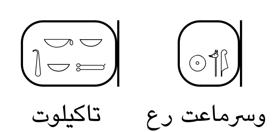
هذان هما التمثالان اللذان نقش عليهما اسم الملك «أوسركون الأول»، ومما جاء عليهما من نقوش وسلسلة نسب إلى الوراء يمكن فَهْمُ قائمة سلسلة النسب التي أوردناها فيما سبق.

ومما يطيب ذكره هنا أن التماثيل التي وجدت في خبيئة الكرنك خاصة بهذا العصر كلها قد عملت لتوضع في معبد الكرنك، لا مع الإله «آمون» وحسب، بل مع الآلهة الذين أقيمت لهم محاريب أو معابد صغيرة في هذا المعبد الكبير، ومن أجل ذلك نجد أن صور هؤلاء الآلهة كانت تُرسم مع «آمون» في اللوحات التي كانت ترسم على مقدمة التمثال، ونخص بالذكر منهم «موت» وكان لها معبد بالكرنك يسمى معبد «أشرو»، «وخنسو» وله معبد فخم يرجع إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة، والإله «منتو» وله معبد كذلك، وأخيرًا الإله «أوزير» وله معبد يسمى معبد الأبدية، هذا إلى آلهة أخرى تجدها مصورة على اللوحات التي على التمثال.

ومن جهة أخرى نفهم من الألقاب التي كان يحملها أصحاب هذه التماثيل أنهم كانوا كلهم يحملون ألقاب كهنة للآلهة الذين ذكرناهم، ومما يُلحَظ أن السواد الأعظم منهم — مهما عظمت درجته وألقابه الأخرى — كان لا يحمل أكثر من لقب «الكاهن الرابع لآمون»، في حين كان يحمل لقب الكاهن الأول أو الثاني للآلهة الآخرين، ويخيَّل إلينا أن لقب الكاهن الثاني والثالث كانا وقفًا على فئة أخرى لا علم لنا بها. أما وظيفة الكاهن الأكبر فكانت بطبيعة الحال للأسرة المالكة، وعلى الرغم من ذلك نجد أن طبقة الكهنة كانوا يؤلفون طبقة أرستقراطية يرجع بعضها إلى أجيال، وكان الواحد منهم يورث ابنه وظائفه، وقد يزيد عليها خلفه بما له من حظوة عند الملك أو الكاهن الأكبر على الأخص، أو بالزواج من الأسرة المالكة أو أسرة الكاهن الأكبر. من أجل ذلك نجد أن هؤلاء الكهنة على الرغم من أن الواحد منهم كان يحمل لقب الكاهن الرابع كان مع ذلك يلقب الأمير الوراثي والحاكم (أي حاكم الإقطاعية)، ومن ثم كوَّنوا لأنفسهم طبقة خاصة يمكن أن نطلق عليها طبقة أشراف الكهنة في «طيبة»، وكان يوكل إليهم — فضلًا عن عمل الكهانة التي كانت تعد في الواقع لقب شرف — مناصب عظيمة؛ فكانوا يقومون بإدارة السجلات في معبد «آمون»، وحمل ختم المعبد، كما كانوا يديرون الخزانة والأشغال العامة، هذا إلى أن الملك كان يتخذ منهم إخوانًا له وسُمَّارًا، كما كان منهم حامل المروحة على يمين الملك، وقائد الجيش، وكاتب الوجه القبلي، ومدير الأعياد. ومن ثم نفهم أن الكاهن في «طيبة» كان رجل إدارة قبل أن يكون كاهنًا، ولا غرابة في ذلك؛ فإن «طيبة» كانت في عهد الأسرة الثانية والعشرين تكاد تكون مستقلة في إدارتها من كل الوجوه، ولم يكن يربطها بالبيت المالك في «بوبسطة» إلا أن رئيس الكهنة كان من نسل الفراعنة. ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن بعض الألقاب التي كان يحملها هؤلاء الكهنة كانت على ما يُظَنُّ ألقابًا فخرية موروثة

عن العصور الماضية، ولا أدل على ذلك من لقب «عينا الملك في الوجه القبلي، وأذنا الملك في الوجه البحري» الذي كان يحمله بعض الكهنة، في حين كان الوجه القبلي منفصلًا عن الوجه البحري من حيث الحكم. وقد أخذت طبقة الكهنة يزداد نفوذها ويوطَّدُ قدمها في «طيبة» حتى أصبحت وقفًا على أفرادها، وأخذوا يورثون وظائفها ابنًا عن أب حتى أصبحت وقفًا عليهم، وتسلسلَ نسبهم فيها.

الملك تاكيلوت الأول



يجد المؤرخون صعوبة في التمييز بين «تاكيلوت» هذا وآخر يحمل نفس الاسم، والظاهر أن الأخير حكم فيما بعد في نهاية الأسرة، وقد عُرف هذا الأخير من نتائج الحفائر التي عملت في معبد الإله «أوزير حقا زت» (أي أوزير حكم الأبدية) بالكرنك، والمظنون أن كثيرًا من الآثار التي كانت تنتسب إلى عهد قريب إلى «تاكيلوت» الأول ينبغي أن تنتسب إلى ملك جديد آخر يدعى «تاكيلوت الثالث»، وهذا على حسب رأي كل من «دارسي» و«جوتيه» وما يستنبط من الآثار (راجع Rec. Trav. XXXV. p. 143-4).

وأحدثُ تاريخٍ عرف حتى الآن لهذا الفرعون على الآثار هو السنة السابعة، غير أنه مع ذلك ليس مؤكدًا بالنسبة له، ولكنه مع ذلك هو التاريخ الوحيد الذي اقترحه «دارسي» بعد فحص دقيق (راجع Rec. Trav. Ibid)، أما تاريخ السنة الثالثة والعشرين الذي ينسب إليه، فهو على وجه التأكيد تقريبًا ينسب للملك «تاكيلوت الثالث»، أما تاريخ السنة السادسة الذي نجده بين تواريخ مرسى الكرنك الخاصة بمنسوب الفيضان (راجع A. Z. XXXV. p. III)، فلا يمكن نسبته إلى الملك «تاكيلوت الأول» كما يعتقد «برستد» (راجع Br. A. R. IV, & 695 note 4)؛ وذلك لأن أم «تاكيلوت الأول» كانت تدعى «تاشد-خنسو»، وعلى ذلك فإن ادعاء «برستد» خاطئ من أساسه (راجع Ibid & 693, & p. 339) فيما يتعلق بتاريخ «تاكيلوت الأول».

والواقع أن هذا الملك ينبغي أن يكون حكمه قصيرًا؛ أي إن حكمه لا يزيد عن سبع أو ثماني سنوات على أكثر تقدير، ومن المحتمل أن حكمه قد اختلط بالسنين الأخيرة من حكم والده الذي حكم — كما جاء على اللوحة التي عَثَرَ عليها «بتري» في العرابة — على أقل تقدير ستًّا وثلاثين سنة [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني].

وقد نسب «جوتيه» لهذا الملك بعض آثار غير أنه ليس متأكدًا مما عزاه له؛ فمن ذلك تمثال صغير عثر عليه في العرابة (راجع Br. Mus. 37326) نُقش عليه طغراؤه وألقابه، غير أنه ليس من المؤكد أن هذا الاسم ينطبق على «تاكيلوت الأول» كما لا ينطبق على «تاكيلوت الثالث».

وكذلك نسب إليه لوحة وُجدت في العرابة المدفونة في «شونة الزبيب» (راجع Rec, Trav. XV (1893). p. 173)، وقد مثِّل على هذه اللوحة الملك والإله «أوزير» يتعبد إليهما كاهن الإله «أنوبيس» ويدعى «نسو-ورت حقاوي» وزوجه «شبن-سبدت». هذا، ونجد من جهة أخرى أن «دارسي» قد استنبط في بحث له (راجع Rec. Trav. XXXV, p. 143 f) أن التمثال واللوحة السابقين هما للملك «تاكيلوت الثالث» ابن «إزيس»، غير أن براهينه ليست مقنعة، ولا يزال باب الشك مفتوحًا في هذا الصدد.

ولدينا كذلك الجزء الأسفل من لوحة من الحجر الجيري عليها اسم هذا الفرعون: محبوب «آمون» «تاكيلوت» (راجع L. R. III. p. 334; Proc. XIII (1891) p. 36)، غير أننا لا نعرف لأي «تاكيلوت» تنسب هذه اللوحة، وهذه الملاحظة كذلك تنطبق على تمثال «بولهول» الذي عُثر عليه في خبيئة الكرنك (راجع Legrain, Cat. Gen. III. N. 42195-6). هذا، وقد ذُكر هذا الفرعون على لوحة «حورباسن» [راجع الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين].

وينسب الأثري «هول» بعض جعارين لهذا الفرعون (راجع Hall. Catalogue of Egyptian Scarabs in the British Museum Vol. I. p. 24 No. 2429, 2430, 30606 and 47147).

ويقول «بتري»: إن معبد «أوزير» بالكرنك بُني معظمه في عهد اشتراك هذا الملك مع ابنه «أوسركون»، وقد ظهرت معهما ابنته «شبنأبت» بوصفها وارثة عظيمة للملك. وقد ذكرنا من قبل أن «أوسركون» كان قد تخطى الأربعين عندما اشترك في الملك مع والده، وعلى ذلك كان له ابنة ناضجة في الوقت (راجع Petrie, Hist. III. p. 245). وهذا الرأي من أساسه خاطئ كما سنرى بعد.

وهكذا نخرج من تاريخ هذا الملك بآراء يحوطها الشك والإبهام؛ وذلك بسبب تشابه الأسماء بين الملوك الذين يحملون هذا الاسم.

(١) أسرة «تاكيلوت الأول»

زوجه «كابس»

جاء ذكر هذه الأم الإلهية في لوحة «حورباسن» كما ذكرنا من قبل، وقد نطق «بتري» هذا الاسم نطقًا خاطئًا: «شبس» (Petrie, Ibed. p. 244)، وليس هناك أي سبب يدعو«بتري»[١] للتقريب بين اسم هذه الملكة وبين اسم ملكة أخرى «تاشبت» زوج ملك يدعى «تاكيلوت» وأم أمير يدعى «نمروت» ذُكر على لوحة مصنوعة من الخشب محفوظة في متحف تورين (راجع Regio. Museo di Torino. T. I. p. 126; Legrain, A. S. VIII (1906). p. 48. note 1). وقد جاء ذكر الملكة «كابس» هذه على لوحة «حورباسن» بوصفها أم الملك «أوسركون الثاني»، وكذلك ذُكرت في النقوش التي كُشف عنها حديثًا في مقبرة «أوسركون الثاني» كما سيأتي بعد.

أوسركون» بن «تاكيلوت»

وهو الذي أصبح «أوسركون الثاني» الذي خَلَفَ والدَه «تاكيلوت الأول»، وليس هناك أية علاقة بينه وبين «أوسركون الثالث» ابن «إزيس»، وهو ابن الملك «تاكيلوت الثاني» والملكة «كارمعمع»، وقد خَلَطَ «بدج» هذا النسب (راجع Budge. Book of the Kings II. p. 45-6). أما الابن الأصغر «نمروت» الذي نسبه كلٌّ من «بتري» و«بدج» إلى «تاكيلوت الأول» على حسب ما جاء في لوحة تورين (رقم ١٤٦٨) فإنه شخصية خيالية، وربما كان ذلك نتيجة لخلطه بابن «أوسركون الثاني» الذي يحمل نفس الاسم كما سيأتي بعد.

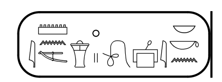
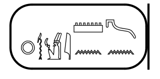
هذا، ولا بد من التنويه هنا عن الأميرة «شبن–سبدت» التي يقول عنها كل من «بدج» و«بتري»: إنها ابنة «تاكيلوت الأول»؛ فهي في الحقيقة حفيدة للفرعون «أوسركون الثاني» كما سنرى بعد.

---

[١] راجع petrie, lbid. p. 246-7.

الفرعون أوسركون الثاني

(٨٧٩–٨٥١ق.م)

آمون مري آمون-ابن باست وسركون   وسر-ماعت-رع-ستبن

كان «أوسركون الثاني» من أهم ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وقد أبرزت أهميتَه الكشوف الحديثة التي عُملت في «تانيس».[١]

وهو ابن الملك «تاكيلوت الأول» والملكة «كابس» كما ذكرنا من قبل في مناسبات عدة، ويلقب أحيانًا بلقب «ابن الإلهة باست»، وبخاصة في معبد «تل بسطه» أهم مركز لعبادة الإلهة «باست» في مصر، وهذا اللقب يجعلنا نميزه من الملوك الذين يسمون باسم «أوسركون» بعده.

وأحدث سنة له في الحكم هي التاسعة والعشرون (راجع Legrain. A. Z. XXXIV. p. 112 No. 14)، وهذا الرقم — إذا صدقنا ما ذكره الأثري «أونجار» (راجع Ungar, Chronologie des Manethon. p. 236)، وكذلك ما ذكره «بدج» (Budge, Hist. III p. 249) — يتفق مع التسع والعشرين سنة التي خصصها «مانيتون» جملة لمدة حكم أخلاف «أوسركون الأول».

---

[١] راجع Montet, La necropole Royale de Tanis, t. I, Osorkon II.

وتدل الآثار الباقية على أن «أوسركون الثاني» قد اتخذ «رعمسيس الثاني» نموذجًا له، والظاهر أنه لم يكن يريد من أعماق قلبه أن يُقلِّد سلفه هذا بقدر ما في استطاعته وحسب، بل كان يريد أن يفوقه، وذلك باغتصاب آثاره، كأنه أراد أن ينتقم للملوك الذين اغتصب «رعمسيس الثاني» آثارهم؛ ولذلك تجده نقش اسمه على آثار كثيرة من آثار «بررعمسيس»؛ ولكن لأجل أن يكون تقليده «لرعمسيس الثاني» محبوك الأطراف اتخذ اسم شارته مثل اسم شارة «رعمسيس»: «الثور القوي صديق ماعت»، وكذلك كان طغراؤه الأول — على قدر المستطاع وعلى قدر ما تسمح به العقائد السائدة وقتئذ — مشابهًا للقب «رعمسيس الثاني»؛ فكان لقب «رعمسيس الثاني» «وسر ماعت رع ستبن رع»، وكان لقب «أوسركون الثاني» «وسر ماعت رع ستبن آمون»، ومن ذلك نرى أنه غيَّر «رع» بآمون. وقد سهل على «أوسركون» اغتصاب آثار «رعمسيس»؛ إذ كان ذلك لا يحتاج إلى تغيير كبير. وهذا الاغتصاب كان ظاهرًا في معبد «تل بسطه» بوجه خاص.

وأهم حادث يلاحَظ في تاريخ هذا المعبد في عهد «أوسركون الثاني» هو تعظيم عبادة الإلهة «باست»، وإبرازها هنا بوصفها المعبودة السائدة عبادتها في تلك البقعة. ومن هذا العهد نجد اسم الآلهة منقوشًا بحروف كبيرة في هذا المعبد، ولم يقتصر ذلك على التماثيل واللوحات بل على عقود قاعة المعبد والعُمُد، وكان غرض الملك من ذلك محو اسم الإله «ست»؛ إذ تدل الأحوال على أنه قد أمر بنزع اسمه حيثما وجد، غير أن هذا العمل لم يُنجَز بدقة بل أنجِز بإهمال ظاهر، فنجد مثلًا أن الإله «ست» كان ممثَّلًا على قمة العمد جالسًا ومعه علامة الحياة والصولجان في يديه؛ ففي كثير من الأحوال نجد أن رأس الحيوان الدال على الإله «ست» قد غُيِّر برأس أسد، وكذلك لباس رأس هذا الإله غُيِّر وأصبحت الصورة الجديدة تدل على الإله «ماحس» ابن الإلهة «باست»، وهو الذي كان يصور بصورة أسد وهو إله حربي؛ ولذلك بقيت كل الصفات التي كانت منقوشة مع الإله «ست» كما هي، وأصبحت تطلق على الإله «ماحس» العظيم القوة إله السماء (راجع Naville, Bubastis Pl. XIII E. F. G). وهذا المحور والتغيير ظاهر في نقوش الإله «ست» الذي كان يعبده «رعمسيس الثاني»؛ حيث نجد أن أثر المحو لا يزال ظاهرًا (Ibid. Pl. XX).

وقد وصل إلينا كثير من نقوش «أوسركون الثاني» من معبد «بوبسطة» خلافًا للتي كانت تزين قاعة المعبد الثلاثيني (راجع Ibid Pl. XLIE–H).

ووجدنا على أحد العمد أن «أوسركون» قد ذُكر بوصفه متعبدًا للإله «ماحس» وهو ابن الإلهة «باست».

وتدل الأحوال على أنه كان يوجد مبنًى هامٌّ في هذه البقعة؛ لأنه وُجد بالقرب منها قطعة أساس عليها نهاية نقش بالحجم الطبيعي مصنوعة صنعًا دقيقًا، وعلى أحد جوانبها نشاهد «أوسركون» يقدم العين المقدسة للإلهة «باست» التي أنجبته؛ وذلك لتمنحه كل الأراضي التي ستضاعف عددها، وكل الشجاعة مثلما فعلت «لرع» (Ibid. Pl. XLI, E)، وقد لقبت الإلهة «باست» هنا الكاهنة رئيسة الأسرار للإله «أتوم»، وعلى الجانب الآخر نفهم أن ابن «باست» وهو الإله «حور حيكون» قد مثِّلَ مقدِّمًا الحياة للملك «أوسركون الثاني».

(١) آثار أوسركون الثاني في تل بسطة والوجه البحري عامة

لا نزاع في أن أهم أثر تركه «أوسركون الأول» خلال مدة حكمه كان في «بوبسطة»، ومدينة الإلهة «باست» العظيمة هي التي سُمِّيت فيما بعد «بوبسطة»، وكان موقعها بالنسبة لعصره ذا ميزة عظيمة جدًّا؛ إذا كانت تقع على فرعَيِ النيل؛ أي الفرع البيلوزي، والفرع التانيتي. وكان يؤمها كل السياح الذاهبين من منف إلى سينا وخليج السويس، وقد تقلبت على هذه المدينة العتيقة أحداث توالى فيها النعيم والشقاء كما كان شأن «تانيس»، ولا تزال توجد حتى الآن آثار للمعبد الذي أقامه الفرعون «خوفو» ومن بعده «بيبي» وغيرهما من ملوك الدولة القديمة والدولة الوسطى (راجع Bubastis. pp 4–14). هذا، وقد ترك لنا فيها الهكسوس بعض آثارهم، ومِن بعدهم أقام «رعمسيس الثاني» في هذه المدينة مباني ضخمة، ولكن الحروب الداخلية قد خرَّبت «بوبسطة» كما هدمت «تانيس»، غير أن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين الذين أعادوا بناء «تانيس» من نفس أنقاضها يظهر أنهم لم يلتفتوا كثيرًا إلى مدينة «بوبسطة»، ولم يترك لنا نفس «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين آثارًا فيها تُذكر. وتدل الأحوال على أن «أوسركون الأول» كما ذكرنا أخذ في إعادة بناء المعبد الكبير وكذلك المعبد الصغير مستعملًا في ذلك أنقاض المباني القديمة كما كان يُفعل في كل مكان في ذلك العهد الذي اتسم بطابع الفقر، ولكن أهم مبنًى في هذه المدينة يرجع الفضل في إقامته للفرعون «أوسركون الثاني»، وهو الذي كما قلنا قد انتحل دون تورُّعٍ مبانيَ «رعمسيس الثاني» في كلٍّ من «بوبسطة» و«تانيس»، هذا إلى ما اغتصبه لنفسه من تماثيل ملوك الدولة الوسطى (راجع Br. Museum. a Guide to the Egyptian Galleries N. 774–5)؛ حيث نجد أنه نُقش اسمه على رأس تمثال جالس «لأمنمحات الثالث» (؟) كما نقش اسمه على جزء من تمثال مصنوع من الجرانيت

الرمادي جالس على العرش، ويحتمل أنه «لأمنمحات الثالث» كذلك، وذلك بعد أن محا اسم صاحبه الأصلي.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن بعض النقوش الغائرة الصغيرة المصنوعة بدقة من التي تزين البوابة العظيمة ترجع إلى عصر «أوسركون»، هذا، (راجع Naville. Festiva Hall of Osorkon II)، وهذه النقوش تمت للاحتفال بالعيد الثلاثيني الذي كان يعقده الملك شخصيًّا، وتتبعه زوجه الكبرى الملكية وكل أطفاله، هذا، وبحضور عظماء القوم والمندوبين الأجانب وممثلي المقاطعات المصرية والمدن؛ الذين كانوا يحملون شاراتهم الخاصة بهم وصور الآلهة المحلية في حضرة الإله العظيم. ويلاحظ أنه في أثناء سير الموكب وإقامة الشعائر كانت تُسمع أصوات الدق على الطبول، هذا إلى فِرَق المغنين والراقصين الذين كانوا يقومون بأدوارهم الخاصة في هذا الحفل. وقد كان الفرعون يُرى أحيانًا ماشيًا على قدميه وأحيانًا محمولًا في محفته إلى أن يصل إلى سرادقه المزدوج؛ حيث يجلس على عرشه المعد له، وهناك كان يظهر تارة الإله «بتاح الجنوب» وأخرى يظهر «بتاح الشمال».

وقد تحدثنا عن هذا العيد ببعض التفصيل عند الكلام على العيد الثلاثيني للفرعون «أمنحوتب الثالث» الذي أقامه في «صولب»، وكذلك الأعياد الأخرى كما شاهدناها له في مقبرة «خيروف» (راجع مصر القديمة الجزء الخامس). والمناظر التي بقيت لنا في معبد «بوبسطة» تعد أكمل ما وجد في وصف هذا العيد، وإن كانت مناظر مقبرة «خيروف» تمتاز عنها ببعض تفاصيل.

ويمكن أن نقتبس من نقوش العيد الثلاثيني في «بوبسطة» بعض معلومات خاصة بالملك «أوسركون الثاني»؛ فنجد كثيرًا من أسماء الأسرة المالكة مذكورًا فيها؛ منها الزوجة الملكية «كارعمع» وهي التي ذُكرت في نقوش «تانيس»، وكذلك أسماء ثلاث من بناته: «تاخع-خبر»، و«كرمعمعت»، والثالثة هُشِّمَ اسمها.

وكذلك ذُكِرَ ثلاثة من أولاده غير أن أسماءهم لم تذكر، هذا، إلى أن كبار رجال الدين وعظماء القوم في عهده لم يُذكَروا بالاسم بل ذُكروا بألقابهم وحدها، يضاف إلى ذلك أن المبعوثين الأجانب قد ذُكروا بأسماء عامة؛ فنجد أن أهل الجنوب قد ذُكروا باسم «أونتيو-ستي»، وأهل الشمال ذكروا باسم «قنبتيو شع» (Ibid Pl. XV). وقد فات «نافيل» أن يقرن هؤلاء الأخيرين بقوم «عامو-حريو-شع»؛ أي العرب الذين على الرمل، وهم الذين ذكروا في نقوش «أوني» القائد المصري الذي يرجع عهده إلى عصر الملك «بيبي»، وبقوم «نميوشع» وبعلائي في الرمال الذين يتحدث عنهم «ستوهيت» (راجع Ibid pp. 26-27).

وكلمة «قنبت» في المصرية تعني «مجلس»، وهي تستعمل مقابِلة لكلمة «زازات» «محكمة»، ومجلس الرمال تقابل على ذلك «السوفيت» الذين كانوا أصحاب السلطان على إسرائيل منذ أن توطنوا في «فلسطين» حتى نصب عليهم «شاءول» ملكًا، وقد تطور الإسرائيليون، ولكن العرب البدو قد بَقُوا محافظين على نظام القضاة، وهؤلاء القضاة هم الذين أتوا ليشتركوا في عيد «أوسركون» الثلاثيني.

ونجد على حسب الوثائق التي تعد أقدم من وثيقة «أوسركون الثاني» أن «بتاح تاتن» هو الإله الرئيسي في العيد الثلاثيني؛ ففي عهد كل من «رعمسيس الثاني» و«رعمسيس الثالث» (راجع Historical records of Ramses III (1936) p. 119–129) نجد أن معبد هذا الإله هو المكان الذي كان يُحتفل فيه بإقامة شعائر هذا العيد، ولكن في عهد «أوسركون الثاني» لم يكن للإله «تاتنن» دور يُذكر، فقد ذُكر بين آلهة كثيرين، وكان الدور الرئيسي للإله «آمون» ملك الآلهة وسيد الأرضين، وأقيم العيد في معبد «آمون» الذي كان قد حدده «أوسركون»، وإن جلالة هذا الإله الفاخر ظهر على الطريق ليثوى في قصر العيد الثلاثيني الذي جدد بناءه وجدرانه من الذهب وعمده …» (راجع Naville, Festival Hall of Osorkon. II Pl. VI).

والواقع أننا نشاهد على الجدران نحوًا من عشرين كاهنًا مصورين يتقدمون في سيرهم لابسين جلد الفهد، وحاملين على أكتافهم السفينة المقدسة التي كان يحلِّي مقدمتَها ومؤخرتَها رأسُ كبش (رمز الإله آمون) (راجع Ibid Pl. V).

وكان الملك يشترك في خروج الحفل (راجع Ibid Pl. V). وقد امتطى بدوره محفته. ولدينا نقش يختلف عن النقوش العادية يُعَرِّفُ لنا المنظرَ كما يأتي: «في السنة الثانية والعشرين الشهر الرابع من فصل الفيضان، طلع الملك في معبد «آمون» الذي يعد قصر العيد الثلاثيني، وجلس على الكرسي (سبا) وأخذ في نذر الأرضين، وقد نُذرت حريم معبد آمون (أي أوقِفْنَ) وكذلك كل نسوة الإله المحلي اللائي كنَّ عبيدًا منذ زمن الأجداد، وإنهنَّ سيظلَلْن إماءً في كل المعبد على أن يدفعن ضرائب في صورة جزية سنوية.»

والواقع أن جلالته كان يبحث عن فرصة عظيمة يكون فيها مفيدًا لسيده الذي أعلن أول عيد ثلاثيني لابنه الجالس على عرش والده، وقد أعلن له أشياء عظيمة في «طيبة» سيدة الأقواس التسعة. وعلى ذلك تحدث الملك أمام والده «آمون» قائلًا: لقد أوقفتُ «طيبة» طولًا وعرضًا بوصفها مطهرة وموهوبة إلى سيدها، ويجب على عمال الفرعون ألا يقربوها؛ لأن كل سكانها قد أوقفوا سرمديًّا لاسم الإله العظيم الطيب (راجع Ibid Pl. VI).

وتدل شواهد الأحوال على أن الإله «آمون» كان البادئ لهذا العيد الثلاثيني، وربما كان سبب ذلك أن الملك قد نجا من خطر أو كان تنفيذًا لرغبة الإله نفسه، وقد أقام الملك اعترافًا منه بالجميل معبدًا «لآمون» في بلدة لم يُذكر اسمها هنا، بوصفه معبدًا للعيد الثلاثيني، وقد أصدر مرسومًا أصبحت به تحت سلطان الإله وحده كل الموظفات النسوة التابعات لكل المعابد التي تدفع له هذه النسوة ضرائب، وكذلك كل إقليم «طيبة» الذي أصبح حرًّا من عمال الملك وكل سكانه أصبحوا ملكًا للإله «آمون»، ولم يكلف الإله «آمون» شيئًا كثيرًا أن يعد الملك مكافأة على هذه المنحة «أن يهبه كل الأراضي وكل الجبال وسوريا العليا وسوريا السفلى وكل البلاد الخفية؛ لتكون تحت قدَمَي هذا الإله الطيب الذي جعل الإنسانية تحيا.»

وتدل الآثار التي في متناولنا على أن «شيشنق الأول» لم يكن عدوًّا للإله «ست» مثل أسلافه، ويقول «مونتيه»: إن ذلك لا يعني أننا وجدناه بين الآلهة الذين مُثِّلوا في العيد الثلاثيني في عهد «أوسركون»، بل يُعتقد أن هذا ليس بالسبب الحقيقي، ولكن الواقع أن الإله «ست» كان ضمن الآلهة الذين يقومون بدور في هذا العيد، وأن المصري كان محافظًا بطبعه على تقاليده القديمة فلم يخرج عنها قيد شعرة؛ ولذلك وُضِعَ «ست» في المكان الذي كان يمثَّل فيه في هذا العيد على الرغم من كره الشعب له، ولكن لا أظن ذلك؛ فإن الإله «ست» في عهد الأسرة الثانية والعشرين لم يكن مكروهًا بل كان يُعْبَد ويقوم بدور عظيم في العبادة كما أشرنا إلى ذلك في لوحة الواحة الداخلة في عهد شيشنق [راجع الأسرة الثانية والعشرين].

وفي خلال هذا العيد كان يُحرق البخور وتُقدَّم القرابين المختلفة للآلهة، وقد ضحى الفرعون بوعل (راجع Ibid, Pl. XIII)، ونحن نعلم أن هذا النوع من القربان كان محببًا بوجه خاص للإله «ست». ومن جهة أخرى نرى أن كهنة الإله «ست» و«أوزير» و«إزيس» و«نفتيس» و«خنتي أرتي» كان يتألف منهم موكب، وكان كل منهم في إحدى يديه طائر داجن، وفي الأخرى سمكة فهكة Fahaka واسمها بالمصرية «خبت» (ومعناها: التي يأسف الإنسان لأكلها)، والسمكة الضخمة Lates قشر، والسمكة قنومة Mormyre، وأنواع أخرى لم تُعَيَّنْ أسماؤها (راجع Ibid Pl. XVIII, XXII). ولا غرابة إذا دهش الإنسان من وجود السمك يُستعمل طعامًا في مصر عندما نفكر في الهلع الذي استولى على الفرعون «بيعنخي» من السمك وأكلته. والواقع أن هذا الفاتح لم ترتعد فرائصه من طهارة السمك أو نجاسته؛

بل لأنه كان محرمًا عليه أكله. ومن الحقائق الثابتة أيضًا أنه يمكن أكل السمك في كل الأوقات (راجع Text Geographique D'Edfu., Chassinat t. I pp. 331–332, 334, 335, 340)؛ إذ نجد أن «رعمسيس الثالث» أمر بتوزيع السمك بكميات كبيرة؛ الطازج منها والمجفف (راجع Pap. Harris I. 73, 3–4; 65, 7–8).

وفي الدلتا يعيش بوجه خاص قوم من الناس على صيد السمك؛ إذ كانوا لا بد يأكلونه، ونجد من الطبَعِي أن يقدَّم السمك قربانًا للإله في مجموعة فاخرة من الجرانيت عُثر عليها في «تانيس» تمثل كاهنين يسيران بخطًى واحدة، ويحملان مائدة قربان مكدسًا فيها سمك Muges البوري والطيور والنباتات المائية، غير أننا لا نعرف هذين الكاهنين، ولا لأي مكان كانا يحملان هذه القربات، ولكنا نعرف من جهة أخرى أن نقوش «بوبسطة» تبرهن على أن العيد الثلاثيني من الأعياد التي كان مباحًا فيها تقديم السمك قربانًا، وأكله بطبيعة الحال.

(١-١) السربيوم

وجد في «السربيوم» لوحة للعجل أبيس جاء عليها أن هذا العجل دفن في السنة الثالثة والعشرين من عهد «أوسركون الثاني» (راجع Mariette. Le Serapeum de Memphis, Edition Maspero. p. 158).

وقد جاء ذكر هذا الملك كذلك على قطعة من الحجر الجيري الأبيض من معبد بتاح (راجع Porter & Moss III. p. 219).

وكذلك وجدت لوحة في «حلوان» من معبد «بتاح» ذُكر عليها اسم هذا الفرعون (راجع A. S. XV. p. 141) جاء فيها أن في السنة السادسة عشرة استُشير هذا الإله العظيم في موضوع هبة لحفيد «أوسركون الثاني» المسمى «زد بتا حفعنخ» بن «نمروت» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن والد الإله، وكاهنًا، ورئيس أسرار «بتاح»، وكاتب المعبد، وكاتب تعداد البقر، فوافق على ذلك وضمَّن قراره تهديدًا بالموت لكل من تعدى قراره، وأنه كذلك سيختفي اسمه من الأرض قاطبة، وأن تكون الإلهة «سخمت» وراء زوجاتهم بالمرصاد، والإله «نفرتم» خلف أبنائهم.

(١-٢) تل المقدام

نَقَشَ «أوسركون الثاني» اسمَه على تمثال من الدولة الوسطى، وهذا التمثال بعينه كان قد اغتصبه من قبل «رعمسيس الثاني» (راجع Porter and Moss IV p. 37–39)، ومن جهة أخرى نجد أن أحد ضباط الفرعون نقش اسمه وألقابه على قاعدة هذا التمثال كما يأتي: «حور موسى» رئيس خاتم كل آلهة الأرضين، ونائب قصر ملايين السنين التابع «لوسر ماعت رع ستبن آمون» «أوسركون» بن «باستت»، والمشرف على القصور، ومصلح محاريب الأرضين، وكاتم السر، ومدير أملاك زوج الملك «كارع مع». ولم يذكر قصدًا «قصر ملايين السنين» هذا هنا، بل توجد هذه الصيغة في «تل المقدام»، وسنرى أن «أوسركون» الثاني أطلق اسم «قصر ملايين السنين» على معبد «تانيس»، ونعلم من جهة أخرى أن لكثير من ملوك مصر قصرين لملايين السنين، ولكن كان أحدهما بالدلتا، والآخر بطيبة، والمضمون أن «حور موسى» يشير هنا إلى قصر ملايين السنين الذي يملكه «أوسركون» في عاصمة ملكه «بوبسطة»، ومع ذلك يوجد مبنى للملك «أوسركون» بتل المقدام بهذا الاسم، ولدينا منه قطعة من الحجر الرملي لم نعرف كيف وجدت في مقبرة كشف عنها في نهاية تل المقدام (راجع A. S XXI pp. 26–27). وهذا القبر يؤرخ بنفس العصر، وقد عُثِرَ فيه على صدرية فاخرة يمكن قرنها بحلَى الأمير «حور نخت» بن «أوسركون الثاني»، أو بحلَى الملك «حقا خبر رع» «شيشنق الثاني»، كما عُثر على حلًى أخرى عادية، وعلى جعران للملكة «كار عمع» (راجع Cat. Gen. du. Muse’e de Caire No. 5217–5273).

وفي بلدة «ميت يعيش» مركز «ميت غمر» عُثر على لوحة منقوشة من الوجهين عليها اسم الفرعون «أوسركون» يشاهد عليها يقدم هبة من الأرض لثالوث «طيبة» إلى ثالوث آخر يشمل الآلهة: «إزيس» و«حور» سيد «شدن» عاصمة المقاطعة الحادية عشرة (راجع A. S XXII p. 77).

(١-٣) بيثوم (تل المسخوطة)

إن معظم النقوش التي عُثر عليها في هذه المدينة يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى عصور «رعمسيس الثاني»، وأخيرًا إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين وعصر البطالمة (راجع Porter & Moss III p. 53–5)، والآثار التي عُثر عليها للملك «أوسركون» في هذه البلدة لها أهميتها؛ فقد عَثَرَ «نافيل» على قطعة من الحجر الجيري الأبيض عليها اسم

«أوسركون» مكتوبًا بالمداد الأحمر تمهيدًا لحفرها (راجع Naville, The Store City of Pithom, London (1885) p. 12).

ويوجد في المتحف البريطاني تمثال جميل لموظف يدعى «عنخ شرينفر» أقيم في معبد «أتوم» (راجع Budge, Guide of the Egyptian Galleries No 776 p. 215)، وهو يقدم الخضوع إلى ثالوث «طيبة»، وإلى ثالوث آخر يتألف من الآلهة: «حور أختي» و«شو» و«تفنوت»»، وهذا الثالوث له احترام عظيم في تلك الجهة، يحمل هذا الموظف لقب نائب حاكم «بيثوم».

(١-٤) جبيل (بيبلوص)

كانت علاقة «جبيل» مع مصر منذ أقدم العهود علاقة متصلة، وكانت هذه البلدة تكاد أحيانًا تكون مستعمرة مصرية وبخاصة في عهد الإمبراطورية. وتدل الأحوال على أن علاقة «جبيل» بمصر في عهد «أوسركون الثاني» كانت علاقة ود ومصافاة؛ إذ لما تولى مقاليد الأمور بمصر أرسل إلى حاكم «جبيل»؛ ليضع تمثاله في معبد الإلهة «بعلات» إلهة تلك الجهة، 𓋾 وهذا التمثال يمثل الفرعون جالسًا على مقعد مكعب ذي ظهر (راجع Dunand, Fouilles de Byblos t. I No. 1741)، وقد فُقِدَ رأس التمثال وجذعه، وهُشِّم القدمان والساقان، وطغراء الفرعون منقوشة على جانبي المقعد، هذا فضلًا عن وجود سطر من النقوش على حافة القاعدة يتضمن أن هذا الفرعون هو محبوب الإلهة «إزيس» العظيمة والأم الإلهية. ولا ننسى الدور الذي لعبته الإلهة «إزيس» في أسطورة زوجها «أوزير»؛ فقد ذهبت إلى «بيبلوس» لتبحث عن جسمه وتعود به إلى مصر، وقد رجعت به متحولًا إلى شجرة، ومن المحتمل أن تمثال «أوسركون» هذا كان منقوشًا على صدره كتمثال «أوسركون الأول» الذي أرسل إلى الملك «إيليبعل»، وقد أحاط خَلَفُ «إيليبعل» هذا طغراءَه بنقش فينيقي.

ويقول «مونتيه»: إن من النظريات المقبولة النظرية القائلة بأن «شيشنق» عندما أرسل تمثاله إلى ملك «جبيل» لم يَقْصُرْ رسول الفرعون كلامه مع هذا الملك على شراء الخشب والسفن، ولكن تحدث معه عن القيام بحملة على «أورشليم»، ومن المحتمل أن «أوسركون الثاني» عندما أرسل إلى ملك «جبيل» تمثاله كان في ذهنه فكرة مماثلة؛ إذ لم يتخلَّ عن أطماعه التي كانت محببة إلى كل الفراعنة العظام الذين حكموا مصر.

ونحن في الواقع نقرأ في التوراة أن «ذراح» الإثيوبي قد هاجم مملكة «يهودا» بجيش قوامه مليون من الرجال وثلاثمائة عربة، وقد صدم جيش «آسا» في وادي «صفاته» على مقربة من «مريشه»، فهزم الإثيوبيين واقتفى أثرهم حتى «جرار»، وغنم «آسا» وقومه غنائم عظيمة، وعادوا إلى «أورشليم» ومعهم عدد عظيم من الغنم والجمال التي استولوا عليها بالقرب من «جرار» (راجع كتاب الأخبار الثاني إصحاح ١٤ من سطر ٨ إلى ١٤). ولا شك أنه بحساب سريع يمكن أن نبرهن على أن «آسا» و«ذراح» كانا معاصرين للملك «أورسكون»، وذلك أن حملة الإثيوبيين التي وقعت حوالي ٦٠ سنة بعد حملة «شيشنق الأول» تقع بطبيعة الحال في حكم «أوسركون الثاني» حوالي عام ٨٣٥ق.م. وقد ظن بعض المؤرخين أن «أوسركون» و«ذراح» هما شخص واحد (راجع Naville The festival Hall of Osorkon II p. 4. 25)، ولكنَّ الاسمين ليس بينهما وجْهُ شبهٍ قط، ومع ذلك فمن الممكن أن المؤرخ الذي كتب هذا الحادث قد خلط اسم الفرعون باسم الإثيوبي، ولكن يجوز أن «أوسركون» الثاني كان له بين حلفائه أو كبار رجاله الحربيين قائد إثيوبيٌّ؛ وذلك لأن جيش «شيشنق الأول» على حسب قول العبرانيين كان يحتوي على عدد عظيم من الأجانب من اللوبيين والسيكيين والإثيوبيين (راجع كتاب الأخبار الثاني الإصحاح ١٢ سطر ٣)، ولم يكن جيش «ذراح» مؤلفًا فقط من إثيوبيين؛ بل كان يحتوي كذلك على لوبيين (راجع سفر الأخبار الثاني الإصحاح ١٦ سطر ٨) مثل جيش «شيشنق»، وعلى أية حال فإنه من الممكن أن يكون للُّوبيين والإثيوبيين علاقات مباشرة مع سلطان «كنعان»، وكانوا يتآمرون معهم على مصر أو يعلنون الحرب دون أن يمروا بمصر، على أنه لم يُذكر في أي جهة حارب المصريون في جيش «ذراح».

ومع ذلك يجب علينا ألا ننسى أن «أوسركون الثاني» قد ترك آثارًا كثيرة في «بيثوم» الواقعة على الطريق الذاهبة من مصر إلى فلسطين. والواقع أن الملوك الذين تركوا لهم أعمالًا في «بيثوم» أمثال «رعمسيس الثاني» و«بطليموس فيلادلف» كانت لهم أغراض في الشرق، وقد عثر «ريزنر» في أثناء الحفائر التي قام بها في «السامرة» على آنية من المرمر عليها اسم الفرعون «أوسركون الثاني» (راجع L. R. III, p. 340 No. 3)، ومن ثم نعلم أنه في الوقت الذي كانت فيه مملكة يهودا يهاجمها الإثيوبيون كان رسل «أوسركون الثاني» يذهبون إلى شمال وجنوب هذه المملكة؛ أي في «جبيل» و«السامرة»؛ فقد كانوا وقتئذ يتفاوضون مع ملك دمشق، وعندما غزا «سلامندر الثالث» ملك «آشرون» بلاد سوريا في عام ٨٥٣ق.م كانت فصيلة صغيرة من الجنود المصريين ضمن الجيش العظيم الذي حاول بالقرب من «حماة»، وقف زحف الآشوريين (راجع Monolithe II. p. 72).

(٢) آثار «أوسركون الثاني» في الوجه القبلي

وجد اسم «أوسركون الثاني» على كثير من آثار الكرنك؛ فقد جاء ذكر اسمه على نقوش مرسى الكرنك عن ارتفاع النيل (راجع A. Z. XXXIV p. 112)، وفي خبيئة الدير البحري عثر «لجران» على عدة تماثيل لكهنة وغيرهم من عصره نقشوا اسم هذا الفرعون عليها كما سنذكر ذلك عند الكلام على هؤلاء الكهنة بالتفصيل؛ فمثلًا نجد «باكنخنسو» (Legrain, Cat. Gen No. 42213) و«زد باستتنعنخ» (Ibid No. 42214) والكاهنة «شبنسبدت» (Ibid No. 42228)، وهي كاهنة الإله «آمون»، وبابنه الكاهن الأكبر «نمروت» وهو ابن الفرعون «أوسركون الثاني»، وكذلك نقش الكاهن «نبنترو» بن «نسر آمون» على إحدى كتفي تمثاله الطغراء الأولى لهذا الملك، وعلى الكتف الثاني الطغراء الثانية، ولكنه ذكر بجانب ذلك اسم الكاهن الأكبر «حورسا إزيس». ونجد أن كاهنًا رابعًا «لآمون» جده من جهة أمه هو الكاهن الأكبر «أوبوت» الذي كان كاهنًا أكبر في عهد «شيشنق الأول» ترك لنا ثلاثة تماثيل أنعم بها عليه الفرعون وهي رقم ٤٢٢٠٦ ورقم ٤٢٢٠٧، وهما لا يحملان ذكر شيء آخر، ولكن الثالث وهو رقم ٤٢٢٠٨ يرجع تاريخه إلى العهد الذي ثبت فيه طموح الكاهن الأكبر، ويوضح أن هذه الهدية من قِبَلِ الملك سيد الأرضين «حورسا إزيس». وعلى أية حال لم ينسَ «زد تحو تفعنخ» صاحب هذه التماثيل أنه مدين للملك الشرعي؛ ولذلك نقش ألقاب الفرعون «أوسركون الثاني» على جلد الفهد الذي يلبسه.

ولدينا كاهن آخر يدعى «نسآمونمأبت» قد حذا حذو سابقيه (راجع A. S. V. p. 282)؛ فنجد في اسم الراية أنه قدم لنا صورة أخرى غير التي نجدها في «بوبسطة»؛ إذ ذكر لنا أنه النور القوي الذي يظهر في «طيبة»، في حين أنه في «بوبسطة» و«تانيس» يُنعت بالثور القوي محبوب ماعت، ومن المحتمل نعته في «طيبة» بهذا الوصف كان بمناسبة زيارة له لعاصمة الصعيد، ومع ذلك، هذا الملك قد قام فيها بمشروعات، فنجد حتى الآن في أعلى الجدار الجنوبي لقاعة مد نقشًا مهشَّمًا يبتدئ بألقاب الفرعون «أوسركون الثاني» (راجع Ibid Vp. 288) ذلك، أقام هذا الفرعون في داخل معبد الكرنك الكبير لآمون مقصورة صغيرة هُشِّمت الآن، ويوجد منها في متحف برلين قطعتان (L. D. III Pl. XLII, Aegyptische Insch II p. 21).

(٣) العرابة

وعثر «أملينو» في العرابة على آنيتين من المرمر نقش على كل منهما اسمه (راجع Amelineau Nouvelles Fouilles D'Abydos 1895–1896. p. 168, 1897–1898 .(Pl. XXIV & p. 278

(٤) الأعمال التي قام بها «أوسركون الثاني» في «تانيس» ووصف قبره ومحتوياته

لقد أرجأنا الكلام عن أعمال «أوسركون الثاني» في «تانيس» عند التحدث عن أعماله في الوجه البحري؛ لنفرد لها فصلًا خاصًّا لأهميتها، وبخاصة أن قبره كشف في هذه المدينة العظيمة، وقد كان المنتظر أن يكون قبره في عاصمة ملكه «بوبسطة»، وفي عاصمة ملكه الدينية «طيبة».

ومع ذلك فإن دفنه في «تانيس» ليس بالأمر الكثير الغرابة؛ وذلك لأسباب وجيهة؛ منها: أن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد دُفنوا في هذه البلدة كما تحدثنا عن ذلك من قبل. وثانيًا: لأن «تانيس» كانت قريبة من عاصمة ملكهم، وبذلك كان في مقدورهم المحافظة على مقابرهم وعدم العبث بها؛ بخلاف ما إذا كانت قد دفنت في «طيبة» البعيدة عنهم، وبخاصة أن كهنتها العظام قد أصبحوا منذ عهد هذا الفرعون نفسه شبه مستقلين عن الوجه البحري. ثالثًا: كانت مدينة «تانيس» تعد وقتئذ العاصمة الدينية الثانية في البلاد في الوجه البحري.

وأخيرًا كانت ملوك هذه الأسرة والأسرة الواحدة والعشرين التي سبقتها يجدون في الآثار التي تركها الملوك الغابرون مَنْجمًا غنيًّا يستعملون أحجاره في إقامة آثارهم.

ولا شك في أن الأعمال التي قام بها ملوك الأسرتين؛ الواحدة والعشرين والثانية والعشرين في «تانيس» ليست إلا استمرارًا لما قام به الرعامسة السابقون؛ غير أن أعمالهم كانت أعمالًا مَشينة؛ لأنها كانت هدمًا وتخريبًا لما أقامه السلف؛ ليشيدوا بأنقاضه لأنفسهم معابد وتماثيل وتوابيت ومقابر؛ ولذلك قد أصبح من الصعب التمييز بين مواضع المباني القديمة والجديدة التي أقيمت في عهد الأسرتين السالفتي الذكر.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أنه من الغريب جدًّا أن «مونتيه» الذي قام بأعمال الحفر في هذه المدينة العتيقة لا يزال عند رأيه — الذي أصبح منقوضًا عند كل علماء

الآثار تقريبًا — في أن «تانيس» هي نفس «بر رعمسيس» بعد أن اتفق الأثريون على أن الأخيرة (بررعمسيس) هي المكان الذي أقيم على أنقاضه بلدة «قنتير» الحالية القريبة من «فاقوس».

ولقد اختلط الحابل بالنابل في مباني «تانيس» التي قُلبت رأسًا على عقب حتى أصبح من المشكوك فيه أن سور المعبد العظيم المقام من اللبِن هو من عمل مؤسس هذه المدينة؛ إذ من المؤكد أن الجزء الغربي من الجدارين؛ الشمالي والجنوبي من هذا المعبد قد أعيد بناؤهما بعد الأسرة الواحدة والعشرين؛ وذلك لأن الحفائر التي عُملت حديثًا فيه قد أثبتت أنه قد انتُزع جزءٌ من المباني القديمة التي يرجع تاريخها إلى عصر الملك «بسوسنس الأول» لإعادة بناء الجزء الذي تهدَّم وهو الواقع في شمالي الجدار (انظر الرسم صورة رقم ٧).

والواقع أن «بسوسنس» قد عمل كثيرًا كما ذكرنا من قبل في «تانيس»؛ ليجعل الجزء الخاص بالأملاك الملكية الذي خربه أتباع «ست» يمكن سكنه، وقد اجتهد في أن يختصره في داخل سور يتألف من مربعين في اتجاهين مختلفين، وُضع الواحد منهما في الآخر (انظر الرسم صورة رقم ٧).

والظاهر أن الباب كان يوجد على مسافة قليلة جنوبي الباب الأصلي، وقد عَثَرَ «مونتيه» على بعض بقاياه، أما المعبد فالظاهر أنه كان صغيرًا جدًّا، وقد كان من المستطاع معرفته لو كان «مريت» أوضح بدقة المكان الذي عثر فيه على قطع الأساس التي صنعها «بسوسنس» و«سيآمون» وهي الآن بالمتحف المصري. وقد عثر «مونتيه» على ثلاثة ألواح صغيرة باسم «بسوسنس» في الجهة الشرقية من القاعدتين المستديرتين اللتين نقش «سيآمون» عليهما ألقابه الملكية.

وفي خلال الأسرة الثانية والعشرين أراد ملوكها أن يقوموا بأعمال بناء في «تانيس» ليعيدوا لها بهاءها القديم؛ فنعلم أن «شيشنق الثالث» قد أقام بوابة ضخمة قَطَعَ أحجارها من التماثيل المصنوعة من الجرانيت التي أقامها «رعمسيس الثاني» وغيره، ومن الجائز أنه أقام كذلك الجدار الشرقي من السور العظيم الذي ينقسم بابه قسمين متساويين، ومع ذلك فإن «أوسركون الثاني» قد قام قبله بأعمال واسعة النطاق وأعاد المعبد الكبير كما وُجد حتى العصر الروماني وبعده حتى اللحظة التي بدأ فيها العمال الذين كانوا يستعملون حجارة المعبد لعمل الجير في عصرنا هذا، ويبلغ طول المعبد ٢٣٠ مترًا، وعرضه

٨٥ مترًا، وقد عُثر على آثار أمكن بها تحديد الزاوية الجنوبية الغربية والزاوية الشمالية الغربية في عهد «أوسركون الثاني»؛ وذلك أن «مونتيه» عثر على أدوات أساس هامة تشمل عددًا عظيمًا من الأقداح المصنوعة من الفخار الأسمر اللون، وبعض أكواب، وجرة صغيرة، ولبنة، وقطعة من الحجر الرملي، وخمسة أقداح من الفخار المطلي باللون الأخضر، وسبع لوحات صغيرة من مواد مختلفة واحدة؛ منها من حجر البرشيا الوردي اللون، وواحدة من البرنز، واثنان من الفضة، وثلاثة من الفخار المطلي. والكتابة التي عليها بالمداد الأسود؛ غير أنها لم تكن واضحة إلا على قدح واحد كتابته واضحة جدًّا، وتشمل طغراءي الملك «أوسركون الثاني»، وكذلك وجد على بعض اللوحات اسم الفرعون: محبوب آمون «أوسركون».

وفي عام ١٩٤٦ عَثَرَ «مونتيه» على أدوات أساس أخرى في الزاوية الشمالية الغربية، وتحتوي على ألواح من الفخار المطلي والمرمر والفضة والنحاس والقصدير وأقداح من الفخار المطلي وغيرها، وقد أمكن قراءة اسم الفرعون «أوسركون الثاني» على بعضها بوضوح، ونقش على قدح سليم — فضلًا عن طغراءي الملك — العبارة التالية: «المحبوب من آمون ملك الآلهة.»

أما جدار الواجهة فقد وُجد مهدَّمًا كما لاحظ ذلك «ماريت» (راجع: Mariette Fragments et Documents relatifs aux Fouilles de San Rec. Trav. IX p. 9).

(٤-١) المعبد الشرقي

يوجد بين جدار «بسوسنس» والجهة الشرقية من السور العظيم كومة من الأحجار تتألف من عشرة عُمُد، وكل منها مؤلف من قطعة واحدة من الجرانيت طولها سبعة أمتار من العمد النخلية الشكل، وكلها ملقاة على الأرض بجوار قواعدها، أما أحجار السقف والجدران فقد اختفت كلية، وعقودها هشِّمت من قَبل واستعملت ثانية في بناء ممر معبد الإلهة «عنتا»، والآثار الوحيدة التي بقيت من هذا المعبد في مكانها هو جدار من اللبِن، وقناة من الفخار مدفونة في الرمل، غير أننا لا نعرف أولها ولا آخرها، هذا إلى أجزاء قصيرة من قناتين أخريين.

وتاريخ هذه العمد غريب جدًّا؛ إذ يرجع عهدها إلى الدولة القديمة، ويدل قوامها ونسبها وعدد جريد النخل الذي مثِّل في تيجانها، وكذلك إتقان حبك عروقها على أنها تنتسب إلى عمد الملكين: «وناس» و«بيبي». والواقع أن هذه العمد تشبه كثيرًا ستة عُمُد في معبد الإلهة «عنتا»، وكذلك العمد الأربعة الملقاة خلف البوابة العظيمة، ويبلغ طول كل منها أحد عشر مترًا (راجع Montet Noveltes Fouilles a'Tanis. p. 79ff)، وهذه العمد كانت في الأصل مُزَيَّنة بنقش هيروغليفي يشمل أربعة أسطر ذُكر فيها اسم الملك ولقبه، وفي السطر الرابع كُتب: «محبوب الإله فلان.» ومن المحتمل كثيرًا أن اسم هذا الإله هو «ست»، وأن اسم البلد هو «أواريس». وهذا النقش أزاله «رعمسيس الثاني» ثم غطى سطح العمد بنقوش جديدة متبعًا في ذلك تصميمًا موحدًا، وكلها باسمه وألقابه، وكذلك ذكر عليها الآلهة الذين كان يعبدهم وبخاصة الإله «ست»، ولكن عندما قامت الحرب على عبادة الإله «ست» مُحِيَ اسمُه أو غُيِّرَ إلى صورة إله آخر كما لاحظنا ذلك في معبد «بوبسطة».

ولما جاء «أوسركون الثاني» لم يغير شيئًا مما فعله أعداء الإله «ست»، واكتفى بوضع اسمه بدلًا من اسم «رعمسيس الثاني» بعد محوه، وكان ذلك من السهل عليه لتوحيد اسمه الحوري مع اسم «رعمسيس الثاني» كما أوضحنا ذلك من قبل [الأسرة الثانية والعشرون الفرعون أوسركون الثاني]، وبذلك حصل «أوسركون» لنفسه على معبد بأكمله بأقل نفقة، غير أنا لا نعرف أين اختفت الجدران والتماثيل التي كانت في هذا المعبد الشرقي، ولكن من المحتمل أنه إذا عُملت حفائر في هذه الجهة فقد تكشف لنا عن المكان الذي استُعملت فيه ثانية.

(٤-٢) الكشف عن مقبرة الملك «أوسركون الثاني»

يرجع الفضل كله في الكشف عن مقبرة هذا الملك وغيره من ملوك الأسرتين: الواحدة والعشرين والثانية والعشرين للأثري «بيير مونتيه»، وسنلخص هنا الخطوات التي اتبعها هذا الأثري في رفع النقاب عن محتويات مقبرة هذا الفرعون وغيره من الذين دفنوا معه في قبره أو بالقرب منه.

ففي عام ١٩٣٦ بدأ هذا الأثري في الكشف عن بعض بيوت مقامة باللبن مصطفَّة حذاء الجدار الجنوبي للمعبد الكبير في «تانيس»، وفي عام ١٩٣٨ كان قد وصل إلى كشف خمسة عشر بيتًا، وكان البيتان ١٤ و١٥ قد أقيما بارتفاع واجهة المعبد، وقد عُثر في البيت

رقم ١٤ على مجموعة من الرءوس الملكية المصنوعة من الجص والمرمر، كما عُثر على علامات هيروغليفية، وتيجان عمد في صورة الإلهة «حتحور»، وفي البيت رقم ١٦ عُثر على صورة ملك يذبح العدو، ثم ثلاثة رءوس من الجص، وغير ذلك من الآثار الصغيرة. وفي هذه الجهة عثر كذلك من الجنوب على أشياء يظهر أنها كانت تصنع في مصانع خاصة بها. وبجانب هذه الأشياء عُثر على أشياء من الفخار المطلي المهشم مما كان يُصنَع في مصانع هذه الجهة، ولكن وُجد كذلك بين هذه الأشياء أثر أقدم منها عُثر عليه بين البيت رقم ١٤ وجدار من اللبن، وهذا الأثر هو قطعة حجر جيري منقوشة نقشًا غائرًا، مُثِّل عليها الملك «سيآمون» يلوح بمقمعته فوق رأس عدو، غير أنه لم يبقَ من صورة الفرعون إلا الذراعان والجسم (راجع فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين). وفي عام ١٩٤٦ وجد في البيت رقم ١٥ وفي شرقيه بقليل أدوات الأساس الخاصة بالملك «بسوسنس»، وقِطَع الأساس هذه وُجِدَتْ في مكانين موازيين لجدار «بسوسنس»، وتؤرخ — على حسب أشياء معينة — بعهد الأسرة الواحدة والعشرين.

وفي أثناء جمع هذه الأشياء عثر العمال في القرب من البيت رقم ١٤ على بئر أسطوانية الشكل قطرها حوالي ١٫٥ مترًا حُفرت في لَبِنَات وانتهت بطوار من الحجر الجيري، ثم أخذت العمال بعد ذلك في الكشف عن أحجار هذا الطوار، وفي أثناء ذلك عُثر على سلسلة من قطع أثرية كان لا يمكن أن تكون مستخرجة من معمل أو معبد أو قصر، ولكن كانت لا بد مستخرجة من مقبرة، ومن هذه القطع ثلاث من أواني الأحشاء، وغطاءان لاثنين منهما؛ واحد برأس كلب، والثاني برأس صقر، هذا إلى عدة قطع من التماثيل المجيبة وقد نُقِشَ على واحدة منها نقش باهت جاء فيه: «أوزير الملك المحبوب من آمون «شيشنق» بن «باستت».» وقد أوحى ذلك بأن قبر الملك «شيشنق الثالث» يوجد قريبًا من هذا المكان، وقد لوحظ أن أحجار الطوار ينقصها حجر عند المكان الذي انتهت إليه فوهة البئر، وقد دل ذلك على أنه مكان الكسر الذي سهَّل للُّصوص دخول المقبرة، وقد سُدَّ ثانية بحجرين وُضِعَا بغير نظام محكم، وعند رفع هذين الحجرين أمكن دخول القبر، وهو يحتوي على قاعة صغيرة مُلِئَ نصفها بالوحل، ولم يجد الكاشف أمامه أي أثر في بادئ الأمر إلا قطعة كبيرة من الجرانيت غير منتظمة الشكل، ولكن سرعان ما شاهد أن جدران القاعة الأربعة كانت مغطاة بالكتابات والصور الجنازية، ودلت النقوش على أنه قبر «وسر ماعت رع» «أوسركون بن باستت»؛ أي «أوسركون الثاني»، وقد لوحظ في أحد جدران هذه القاعة فتحة تؤدي إلى قاعة أكبر بقليل موضوعٍ فيها تابوتٌ من الجرانيت مثقوب جانبه، وكان

يفصل حجرة التابوت هذه عن حجرة أخرى جدار رقيق سقط أحد أحجاره من أعلى، ولهذه الحجرة الأخيرة باب من الغرب سُدَّ سدًّا محكَمًا، وقد اتضح فيما بعد أن حجرة التابوت والحجرة المجاورة لها ليستا إلا حجرة واحدة، ولكنهما قسمتا فيما بعد بهذا الحاجز الرقيق.

وبعد رفع حجرين من السقف دخل الكاشف حجرة ثالثة كانت مفعمة بالطين، وعُثر فيها على إناء من المرمر سليم، وكذلك على إناءين من أواني الأحشاء.

وبعد إزالة الطين ظهر غطاء تابوت من الحجر الرملي الدقيق، ووجد فوق التابوت وحوله ما يقرب من ثلاثمائة تمثال من التماثيل المجيبة معظمها لملك يدعى «تاكيلوت الثاني»، وقد لوحظ في القاعة الأولى أمام التابوت أنه توجد في الجدار الغربي فتحة مربعة سُدَّت بحجر كبير من الجرانيت، وقد أمكن الكاشف أن يرى من الثقب الذي في الجدار قاعة فسيحة وُضع فيها تابوت من الجرانيت ضخم يشبه تابوت العجل أبيس، ووجد على غطاء التابوت أغطية أواني أحشاء، وبعد دخول هذه الحجرة وُجد فيها تابوت آخر أصغر من السابق بكثير، زُيِّنَ غطاؤه بنقوش جميلة، وفتح الكاشف من هذه التوابيت الأربعة اثنين في عام ١٩٣٩، ولم يحتوِ تابوت الحجرة الأولى إلا على عظام نَخِرَة، وتابوت الحجرة الثالثة للملك «خر-خبر رع» «تاكيلوت» وهو المعروف باسم «تاكيلوت الثاني»، وقد نُهب ولم يبقَ فيه إلا بعض قطع من الذهب.

وقد دلت الأحوال على أن مومية هذا الفرعون كانت مزينة بزينة فاخرة. وفي يناير سنة ١٩٤٠ استؤنف العمل بفتح التابوت المصنوع من الحجر الرملي، وكان قد عثر بجواره على مجموعتين من التماثيل المجيبة، واحدة منهما باسم الملك «أوسركون الثاني»، والأخرى باسم الكاهن الأول «حورنخت» وهو صاحب التابوت، وكذلك عثر على أواني الأحشاء الأربعة الخاصة به موضوعة بجوار صندوق التابوت، وقد كان اللصوص قد ثقبوا الصندوق مما سبب كسر التابوت الفضي الذي في داخل الصندوق المصنوع من الحجر، وكذلك كُسر الغطاء المصنوع من الكرتون لحماية المومية، وقد سرق اللصوص قناع الوجه المصنوع من الذهب وكذلك القطع التي كان في مقدورهم الوصول إليها من هذا الثقب.

وكان جسم هذا الكاهن الأول لآمون مغطًّى بالطين، ولكن معظم حليه بقيت محفوظة.

ولم يبقَ بعد فحص هذا التابوت الصغير إلا رفع غطاء التابوت الضخم الذي كان في الحجرة، وكان اللصوص قد ثقبوا صندوقه، وكان المنتظر أن يوجد فيه شيء يُذكر من

الحلي وأدوات الزينة الجنازية التي توضع عادة مع الملوك، أو على الأقل كما وجد في تابوت الكاهن الأكبر «حورنخت»، ولكن الواقع كان غير ذلك؛ إذ بعد رفع غطاء التابوت لم يوجد في الصندوق إلا ثلاث موميات، وإناء للأحشاء، ولحية مستعارة من البرنز، وبعض قطع صغيرة من الذهب، وقطع من الخزف المطلي، وكان هذا كل ما تركه اللصوص!

(٤-٣) مبنى مقبرة «أوسركون» وغيره من الملوك في هذا العهد

وقبل أن نبدأ الكلام بالتفصيل عن محتويات هذا القبر يجدر بنا أولًا أن نلقي نظرة عابرة على مباني الجبانة الملكية في «تانيس».

تحتوي الجبانة الملكية في «تانيس» على أربع مقابر مميزة، وتقع مباشرة بجوار الزاوية الجنوبية الغربية للمعبد الكبير (انظر التصميم صورة ٥)، وتقع جوانبها الثلاثة الكبيرة في الجهة الشرقية والغربية، وتقع الجوانب الكبيرة للمقبرتين الأخريين في الجهة الشمالية الجنوبية، وفي نفس القطاع توجد أسس قبر لم يكن قد تم بناؤه (رقم ٦) (انظر صورة ١٦). ويمكن تقسيم هذه المقابر ثلاثة أنواع مختلفة:

(١) المقابر التي من طراز بسيط (مقابر ٤ و٦)، وهي عبارة عن غلاف من المباني يحمي التابوت، ويتألف من أربعة جدران لها زوايا، وأرضيتها مبلطة، وسقفها مؤلف من قطع من الحجر.

(٢) والطراز الثاني (ويشمل المقبرتين رقم ٢ و٥)، ويحتوي على حجرة يوجد فيها التابوت، وبئر توصل إلى تلك الحجرة، والكلُّ يؤلِّفُ بناءً مستطيلَ الشكل.

(٣) والطراز الثالث هو مقابر يتألف كل منها من عدة حجرات (١ و٣)، وتتميز بشكلها الذي على هيئة زاوية قائمة L، وكذلك باستعمال الجرانيت في بناء الحجرة المخصصة للتابوت الملكي.

ولا بد من أن نشير هنا في الحال إلى أنه وُجد في الغرب من المقبرة (رقم ٣) عدة هياكل عظمية عُثر عليها مدفونة في الرمل، وفي ثلاثة أحوال منها كانت هياكل تحت طبقة من اللبنات سُمكها ثلاث لبنات وضعت الواحدة فوق الأخرى.

(أ) المقبرة رقم ١

تصميم المقبرة

وهذه المقبرة تتألف من جزءين مميزين؛ أولًا: يوجد في الشرق مبنى من الحجر الجيري الأبيض يحتوي على ثلاث حجرات كانت تستعمل إحداها في الأصل ممرًّا للدخول، والاثنتان الأخريان كانتا للأثاث الجنازي، والحاجز الذي يقسم الحجرة الأولى قسمين مؤرخ بالزمن الذي وضع فيه التابوت المصنوع من الجرانيت، وفي الغرب توجد حجرة الملك «أوسركون» الجنازية، ولها منفذ من جهة الممر.

وأُسُسُ هذا المبنى في أجزائها المنخفضة جدًّا موضوعة على الرمل الذي يبلغ عمقه حوالي ٦,٦٠ مترًا من أسفل مستوى بلاط البوابة العظمى للمعبد الكبير، وتوجد آلات على مسافة نصف متر تحت مستوى طبقة الماء، وفي العهد الذي بنيت فيه المقبرة كان ينبغي أن يكون مستوى الماء على مسافة ثلاثة أمتار أسفل من مستواه في أيامنا الحالية.

وعلى ذلك لم يكن في الإمكان الكشف عن كل الأسس خوفًا من تصدُّع البنيان كله. ويتألف البناء في الجزء الشرقي من جدران مبنية بالحجر الجيري المهذب المحكم بالملاط، وهذه الأحجار مأخوذة من مباني «رعمسيس الثاني»، والجزء الغربي يحتوي على حجرة الفرعون «أوسركون الثاني» الجنازية. ولما كانت هذه الحجرة مخصصة للتابوت الضخم فقد غطيت جدرانها كلها بأحجار من الجرانيت الوردي.

وهذه الحجرة قد سُقِفَتْ من جهة الغرب فيما بعد؛ وذلك لإمكان وضع تابوت ثانٍ لم يكن في الحسبان وضعه هنا حسب التصميم الأول، أما قطعتا الجرانيت اللتان كانتا تغطيان الواجهة الغربية من الحجرة فقد استُعملتا في تسقيف الجزء الذي زِيدَ.

وهذا التغير في المبنى كان سببه وفاة الأمير والكاهن الأكبر «حورنخت»، وقد عُمل بسرعة كما يظهر جليًّا في المبنى، وأُدخل تابوت هذا الكاهن الأكبر من جهة الغرب قبل إعادة بناء الجدار.

وتدل الأحوال على أن التابوت الكبير الخاص «بأوسركون الثاني» كان قد وُضع في مكانه قبل بناء الجدار الجانبي.

أما مدخل الحجرة الرابعة فكان من فتحة عُملت في الجدار الشرقي توصل إلى الحجرة الأولى، وقد أغلقت هذه الفتحة بسدادة من الجرانيت على هيئة جذع هرم غير أنها لم تكن محكمة؛ ولذلك اضطر القائمون بهذا العمل لوضع بعض قطع صغيرة من الحجر لإحكامها وتمكينها بالمونة.

كسوة المبنى من الداخل

يدل الملاط الذي وُضع على جدران المقبرة من الداخل على أنه لم يُعمَل على نمط واحد بل كان تنفيذه غير متناسق؛ إذ نجد في بعض الأجزاء أنها لم تتم، وبخاصة في الجدار الشرقي من الحجرة الثالثة، هذا إلى أن مباني الجدران من الداخل لم تكن متقنة، من أجل ذلك استُعمل الملاط بكثرة لتغطية العيوب التي فيها، أما الملاط الذي استعمل في الحجرة المقامة من الجرانيت لتغطية العيوب فكان ملوَّنًا باللون الأحمر ليتمشى مع لون الجرانيت، ونجد بعض هذا اللون لا يزال عالقًا على الجرانيت نفسه.

الواجهة الخارجية للمقبرة

لما كانت الواجهات الشمالية والشرقية والغربية لم يكن مقصودًا إظهارها للعيان؛ فإنها لم تُكْسَ وبقيت خشنةً على أصلها.

باب الدخول من الحجرة الأولى

كان المدخل العمومي للمقبرة غير ظاهر؛ وذلك بسبب الأحجار التي كانت تسده، ومن المحتمل أن هذا الباب كان قبل إدخال تابوت الملك «تاكيلوت» وتابوت شخص مجهول كان مسدودًا ببناية عليها نقوش، وعَتَبُ هذا الباب مؤلف من حجر واحد من الجرانيت الوردي.

الجدار المشترك بين المقبرة رقم ١ والمقبرة رقم ٢

هذا الجدار في الواقع تابع لمباني المقبرة رقم واحد؛ إذ لا يوجد أي اتصال بين المبنيين.

أما اتجاه المقبرة العام فهو الجهة الشمالية (٦٥,٥ درجة بالبوصلة شمالًا)، والنقش الذي داخل المقبرة يرجع إلى عهد الملك «أوسركون الثاني»، وتدل الأحوال على أن هذا الملك لم يَمْحُ من أية جهة من جدران المقبرة طغراء أي فرعون آخر ممن سبقوه ليضع طغراءه بدلًا منه، ومن ثم يمكننا أن نحكم أن «أوسركون الثاني» هو باني هذه المقبرة. والواقع أن هذه ليست الحقيقة؛ إذ دل الفحص على أنه كان يوجد في هذه البقعة مقبرة يرجع تاريخها إلى ما قبل عصر «أوسركون»؛ بل وقبل عهد «بسيوسنس»، والأسباب التي دعت إلى هذا الزعم نستخلصها من مقبرة «بسوسنس» ومن مقبرة «أوسركون» نفسه.

ولأجل أن نفهم ذلك يجب أن نلقي أولًا نظرة على المقبرة (رقم ٣) المجاورة لمقبرة «أوسركون الثاني»، وهي المقبرة التي أقامها «بسوسنس» لنفسه؛ فنجد أن مباني الحجرتين: الثالثة والرابعة لهذه المقبرة قد اضْطَرَّتِ البنَّاءَ عند إقامتهما إلى أن يَجْعَلَ بابَ الحجرة الثانية منحرفًا؛ وذلك لأنه لم يكن في مقدوره وقت إقامة المقبرة أن يمد الجناح الذي فيه هاتان الحجرتان نحو الجنوب، وهذه الاستحالة المادية لا يمكن أن تحدث إلا لوجود مبانٍ في هذه الجهة كان من الواجب احترامها والمحافظة عليها، هذا إلى أن باني المقبرة (رقم ٣) كان مجبرًا أن يقطع الجدار الشمالي للمقبرة.

الواجهة الشرقية

يلاحَظ أن المدماكين النهائيين خارجان بنحو من ١,٤٠ مترًا إلى ١,٨٠ مترًا عن الواجهة الأصلية.

ومن هذه الملاحظات يمكن أن نستنبط ما يأتي: كان يوجد قبر في هذا المكان قبل إقامة قبر «بسوسنس»، وفي الإمكان أن نفرض أن هذا القبر كان موجودًا قبل أن يتخذه «أوسركون الثاني» لنفسه، وأنه لم يكن محلًّى بأية نقوش أو زينة كالمقبرة (رقم ٢)، وأن «أوسركون» جهز جدرانه وأعدها بدقة لتُحلَّى بالنقوش والمتون الجديدة، هذا إلى أن هذه المقبرة كانت على ما يظهر مخربة بعض الشيء، وأن «أوسركون» أصلح كل الأجزاء التي أصابها التخريب والعطب.

بقية النقوش التي على الحجارة التي استُعملت ثانية في بناء الجدار الخارجي للمقبرة

عثر على نقوش عدة على الجدران الخارجية لهذه المقبرة تدل على أن كل الأحجار أخذت من مباني «رعمسيس الثاني»؛ إذ وُجد طغراؤه عليها، هذا إلى بعض مناظر دينية ذُكرت عليها الإلهة «عشتارت» والإله «بتاح» وغيرهما من الآلهة التي كان يتعبد إليها الفرعون «رعمسيس الثاني»، وبخاصة الإله «ست».

الضريح المقام بأحجار من الجرانيت

كانت قطعة الحجر التي وُجدت فوق تابوت الكاهن الأكبر «حورنخت» قد قُطعت من قاعدة تمثال، وقد بقي من نقوشها الألفاظ التالية: «محبوب الإله ... ملك الوجه القبلي والوجه البحري، سيد الأرضين ورب السيف.» وكذلك نجد أن الحجر الأول من أحجار السقف كان مقطوعًا من تمثال من تماثيل الدولة القديمة أو الدولة الوسطى، ثم حوَّله «رعمسيس الثاني» إلى خارجةِ بابٍ قبل أنِ استَعْمَلَه «أوسركون». هذا، ودل الفحص على أن كل أحجار السقف الأخرى كانت موجودة من مباني «رعمسيس الثاني»؛ فقد وُجد منقوشًا عليها اسم «رعمسيس الثاني» وألقابه، يضاف إلى ذلك مناظر تمثل الفرعون ومعه آلهة تتبادل معه الهدايا، وبخاصة الإله «بتاح» والإله «ست» الذي كانت عبادته شائعة منتشرة في ذلك الوقت؛ فقد لُقِّبَ بالإله العظيم الذي يعطي الحياة والبقاء والثبات.

وقد وُجد عند تنظيف حافتي باب القبر قطعة كبيرة من ساق تمثال من الحجر الرملي عليها اسم «رعمسيس» الحوري، ولا بد أن ارتفاع هذا التمثال وهو سليم كان على أقل تقدير نحو خمسة عشر مترًا، ومن الجائز أن هذا هو التمثال الذي أشير إليه في لوحة السنة الثامنة من عهد «رعمسيس الثاني» الذي قطع من محجر «هليوبوليس»، وهو الذي كَشَفَ العُمَّالُ عن قِطْعَةِ الحجر التي قُطِعَ منها في أثناء زيارة قام بها الفرعون «رعمسيس الثاني» لهذا المحجر، وقد قيل عنه: إنه أطول من مسلة (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

وخلاصة القول أنه قد اتضح لنا أن كل الأحجار التي استعملت في بناء مقبرة «أوسركون الثاني» أو تزيينها مأخوذة من آثار الدولة القديمة أو الدولة الوسطى، وبوجه خاص من آثار «رعمسيس الثاني» من الدولة الحديثة، هذا إلى أنه إذا كان حقًّا ما يقوله المهندس الذي فحص مباني مقبرة هذا الفرعون من أن مقبرته قد بُنيت قبل عهد «بسوسنس الأول»؛ فإنه ينبغي علينا أن نؤرخ هذه المقبرة بالعصر الذي يقع بين حرب «الأنجاس» — الذي أدى إلى تخريب «تانيس» — وعصر «بسوسنس»؛ أي عهد «سمندس» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين، وعلى ذلك يمكننا القول بأن «أوسركون الثاني» لم يكلف مبانيَه شيئًا؛ فقد اغتصب المقبرة التي دفن فيها وأخذ ما لزم له من أحجار لإصلاحها من مباني «رعمسيس الثاني».

(٤-٤) «ضريح أوسركون الثاني»

والآن نعود بعد هذه اللمحة عن مباني قبره إلى وصف ضريحه الذي دُفن فيه.

(أ) الزخرفة الداخلية

يشاهَد على يمين ويسار باب المدخل للضريح شخصان مسلح كل منهما بسكين وُكِّلَ بهما حراسة الباب، والشخص الأول الذي على اليمين له رأس كلب مثل الإله «أنوبيس»، والذي على اليسار رأسه رأس أسد.[٢]

وكذلك يشاهِد الإنسان منظرين متقابلين؛ جزء منهما منحوت في الجرانيت، والجزء الآخر في الجص على الجدارين الشمالي والجنوبي على التوالي، وبالقرب من الجدار الشرقي؛ فعلى الجدار الشمالي الشرقي نرى ماردًا كأنه خارج من جوف الأرض ويحمل على رأسه إلهة واقفة رافعة قرص الشمس بين يديها، وكذلك يلاحَظ أن المارد يرفع ذراعيه بطريقة تبين كأنه يرفعهما إلى قرص الشمس الذي يُحَيِّيه شخصان وضع كل منهما على راحة يده، ويُرى كذلك ثلاثة أشخاص في صورة موميات؛ اثنتان على اليمين، وواحدة على اليسار كأنهم يفحصون المنظر (راجع Osorkon II, fig 15). هذا، ولم يصحب هذا المنظر أي نقش يفسره، ولكن لدينا منظر مثله في مقبرة «رعمسيس السادس» صحبه بعض نقوش مفسرة له (راجع Champ. Notices p. 579)؛ ففيه يسمى هذا المارد «الإله في تلك الحالة التي يخرج فيها من الظلمة»، أما المتعبدان لقرص شمس فهما الشرق والغرب.

ونشاهد على الجدار المقابل ماردين بدلًا من واحد، والظاهر أنه يخرج كذلك من الظلمات ويواجه كل منهما شخصًا محنطًا ذا لحية وعلى رأسه قرص الشمس، على كل من جانبيه صل، وفوق رأسه قرص شمس كبير معلق في الفضاء، ويرفع كل مارد إحدى ذراعيه، والعلامتان الدالتان على الشرق والغرب موضوعتان في راحة كل منهما كما في المنظر السابق، ولكنهما يعطيان ظهريهما قرص الشمس ويرشان الماء من إناء مستدير، وعلى رأس كل منهما قرص الشمس (Fig16).

وهذا المنظر كسابقه جزء من المناظر التي في القبور الملكية. ونجد في مقبرة «رعمسيس الرابع» مثيله (راجع Mem. Miss Fr. III XXXI)، وكذلك على تابوت القزم

[٢] انظر Montet, Osorkon II fig. 14.

«تاهو» (راجع Cf. Capart, la gloire d'ur grand Passee. p. 324; Cat. Gen. No. 2930).

(ب) مدفن الملك

يلاحَظ أن صندوق تابوت الملك من الخارج خشن الصنع، ولكنه من الداخل مصقول بعناية، وغُطِّيَ الصندوق بقطعة حجر بقدر الغطاء، واتضح أنه صنع من مجموعة من التماثيل كانت على الأقل لشخصين وقد أزيلا وبقي الحجر خشنًا، وكان يغطي هذه الخشونة جبس تساقط، ومع ذلك أمكن قراءة المتن التالي على هذه المجموعة: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن رع» ليحيا أبديًّا.»

أما باقي الأثاث الجنازي فقد وضع حول التابوت وفي التابوت نفسه (راجع Inventairedans Kemi. T. IX pp. 17–22 No 45–68)، ووجد إناءان للأحشاء مهشَّمان ولكن بقي بعض أجزائهما في صندوق التابوت، كما وجد أجزاء من إناءين آخرين في الجهة الشمالية من التابوت وأغطيتها الأربعة وجدت فوق غطاء التابوت، ووجد كذلك رأس الإله «حابي»، وهو الأثر الوحيد لسلسلة أخرى من مجموعة أواني الأحشاء، ونقوش أواني الأحشاء الأربع السليمة التي تعد بحماية الإلهات «إزيس» و«نفتيس» و«نيت» و«سلكت» للملك «أوزير أوسركون بن باستت»، وهذه الإلهات الأربع قد وُحِّدت بالإلهة «أمست» و«حابي» «ودواموتف» و«كبح سنوف» على التوالي، والإلهة الأخيرة هي التي تحرس أحشاء المتوفى كما هو معلوم.

ولا شك في أن عدد التماثيل المجيبة التي وُجدت مبعثرة حول التابوت يربو بالتأكيد على ثلثمائة، ولكن مع ذلك ينقصها عدد كبير، كما وجد عدد كبير مهشم من هذه التماثيل. والمجموعة تشمل ملاحظين للعمال، وعمالًا (راجع Ibid. Pl. LV)؛ فالملاحظون مُثِّلوا واقفين على قاعدة، ويرتدي كل منهم جلبابًا، وأمسك في اليد اليمنى زخمة أو سوطًا. وليس على تماثيلها نقوش، أما تماثيل العمال فقد مُثِّل كل منها في صورة مومية وشعرها المستعار يحيط بالوجه، ويحمل كل واحد فأسًا في كل من يديه، وعلى ظهره حقيبة، وعلى الجزء الأمامي من التمثال نقش السطر التالي (راجع Ibid. fig. 27): «إذا نطق اسم «أوسركون» تقول: هأنذا.» وهذه التماثيل المجيبة لم تخرج كلها من قالب واحد، ويمكن تمييز عدة أنواع مختلفة من حيث الصورة وضخامة الرأس وتقاطيع الوجه، وفي غالب الأحيان يكون الوجه صورة مكررة متفَقًا عليها، أما التماثيل التي تخرج عن حد المألوف

فتظهر في صورة رجل عظيم نحيل رأسه صغير جدًّا، وقسماته جميلة، وملامحه متزنة، ومن الجائر أن هذه الصور كانت تمثل «أوسركون الثاني».

أما عظام ثلاثة الأشخاص الذين وجدوا مضطجعين جنبًا لجنب في التابوت، وقد وجدت مغطاة بالطين (راجع Ibid. fig. 7) فكانت في حالة سيئة جدًّا، ولم يبقَ من زينتها أو صناديقها التي كانت فيها شيء تقريبًا، ولكن يمكننا الجزم بأنه كان يوجد تابوت من الخشب المذهَّب على هيئة صورة آدمية بقي منه لحية مستعارة من البرنز أخرجت من الطين، وكذلك قناع رأس من النسيج المقوَّى في صورة صقر، وهذا يدل على أن صاحبه كان ملكًا، ولا بد أن ننسبه للفرعون «أوسركون الثاني»، ومن المحتمل أن موميته كانت موضوعة في غلاف من النسيج المقوَّى برأس صقر تضطجع مثل مومية الملك «حقا-خبر-رع» «شيشنق الثاني» في تابوت من الفضة له رأس صقر، والتابوت الذي له لحية مستعارة من الطراز الذي له رأس إنسان، ولا بد أنه كان يحتوي على مومية أحد رفاقه.

وعُثِرَ على جِعْران مسطح من اللازورد له تركيبة من الذهب مثل جعران الأمير «حورنخت» (Ibid fig. 20)، وقد كسر الجعران عند نزع الذهب الذي حوله. والجزء الذي عُثِرَ عليه نُقِشَ عليه أربعة أسطر أفقية وطغراء الفرعون الأخير — أي: «أوسركون» — ممزق.

ووجد كذلك جعران آخر لم يثقب وليس له تركيبة (Ibid Pl. L VIII)، وهو سليم تقريبًا، وقد نقش على ظهره متن مؤلف من ثمانية أسطر أفقية مأخوذة من الفصل الثلاثين من كتاب «الموتى» الخاص بالقلب وشهادته على المتوفى يوم الحساب (Ibid fig. 20)، والطغراء النهائية للملك هي لفرعون يدعى «تاكيلوت»، ولا يمكن أن نعتمد على هذا الجعران وحده للبرهنة على أنه كان يضطجع في هذا القبر في التابوت فرعون يدعى «تاكيلوت»؛ لأننا نعرف أن معظم الذين دفنوا في «تانيس» كانوا يأخذون معهم أشياء لم تكن خاصة بهم، فمثلًا نعرف أن الملك «حقا-خبر-رع» «شيشنق الثاني» كان يحلي ذراعيه زوجٌ من الأساور من تراث الملك «شيشنق الأول»، وفي تابوت «شيشنق الثالث» وجدنا آنية أحشاء وجِعْرانًا «لشيشنق الأول» نفسه، وهذه العادة لا تسهِّل للأثري مهمة تحقيق شخصية حاملها.

ولم يبقَ لنا من محتويات هذه الحجرة ما يُذكر هنا إلا رأس ثعبان من حجر اليشب الأحمر، وآخر من الكرنلين، هذا إلى رمز الثبات «دد»، وصورة الإله «تحوت» من الخزف

المطلي، وصورة للإله «حور» من اللازورد، ولوحة مستديرة من الذهب المرصع. ويقول «مونتيه»: «إنه يجوز لنا أن نضم لهذه البقايا الضئيلة التي عُثر عليها لهذا الملك دلايةً مؤلفة من ثلاثة تماثيل صغيرة من الذهب الخالص «لأوزير» جالسًا في الوسط متربعًا على قاعدة طويلة من اللازورد وصورة الآلهة «إزيس» على يمينه و«حور» على يساره.» هذا، ونقرأ على مقدمة القاعدة النقش التالي: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري» «وسرماعت رع ستبن آمون» بن رع «أوسركون».» والمكان الذي وجد فيه هذا الأثر غير معروف، ولكن يوجد سببان يجعلان الإنسان يظن أنها كانت مع مومية «أوسركون الثاني»؛ وذلك لأن كل الأشياء الثمينة التي خلفتها لنا الآثار المصرية عثر عليها كلها تقريبًا في مقابرهم، والدلاية التي في متحف «اللوفر» تشبه دلايات أخرى وجدت على موميات من عصر قريب جدًّا من عصرها في «تانيس» نفسها؛ ففي تابوت «أوندباوندد» قائد «بسوسنس» السالف الذكر وجدنا تمثالًا «لإزيس» من الذهب مع علاقة تشبه كثيرًا «إزيس» التي في مجموعة اللوفر، وكذلك التمثالان اللذان يمثلان الإله «بتاح» والإله الذي في صورة كبش، وهما مصنوعان من الذهب واللازورد، وقد وُجِدَتا كذلك مع هذا القائد فهما من نفس الصناعة. وسنرى كذلك أن ابن «أوسركون» نفسه المسمى «حور نخت» قد حمل معه في قبره مجموعة دلايات تحتوي على صورة «أوزير» جالسًا القرفصاء، وكذلك صورة «إزيس» و«حور»، ويخيل أنها صورة طبق الأصل من الثالوث المحفوظ في «اللوفر».

(جـ) مدفن الأمير «حورنخت» الكاهن الأكبر لآمون Kemi IX pp. 22–4

ذكرنا فيما سلف أن جزء المدفن الخاص بدفن الأمير «حورنخت» لم يرتَّب بعناية، والتابوت يقدم لنا برهانًا على عدم هذه العناية؛ وذلك أن صندوق التابوت مصنوع من الجرانيت والغطاء من الحجر الرملي، حقًّا، إنه توجد أمثلة من هذا الخليط في صنع التوابيت في «تانيس» في حجرة المقبرة رقم ٣ التي يشغلها «عنخفنموت»، وفي مقبرة رقم ٤، وهذان التابوتان لم يأتيا من صنع الحَفَّار مباشرة، بل كانت كل قطعهما مستعارة أو بعبارة أخرى مغتصبة؛ فالصندوق الذي دفن فيه «حورنخت» كان في الأصل مزيَّنًا ثم مُحِيَ بعض زينته، وكان في الأصل مستطيل الشكل ثم حوِّل إلى شكل مستدير من أحد طرفيه، وهذا ما أدى إلى اختفاء صورة شخصين كانا يتعبدان لرمز الثبات «دد» الذي يُرمَز به للإله «أوزير»، ولكن نجد أن جانبيه الطويلين لم يحدث فيهما تغيير، فرتبت كل جهة منهما بموكب من الآلهة؛ حيث يرى الإنسان بعض الصور التي نُحِتَتْ مثيلاتها في حجرة

استقبال الملك «بسوسنس» وعلى تابوت هذا الفرعون نفسه (Ibid. Pl. LI)، وعلى الجانب الرابع نقرأ الألقاب الكاملة لصاحب التابوت الأصلي وهو شخص لا نعرف عنه شيئًا قط، وهذا نفس ما نجده على تابوت كل من «موت نزمت» و«عنخفنموت»، وهذا الجانب كان قد عُمل تغيير الاسم فيه عندما مُحِيَ الاسم الأصلي ووضع اسم «حورنخت» وألقابه.

أما غطاء التابوت المصنوع من الحجر الرملي الأصفر فقد اغتُصِبَ أيضًا؛ إذ نجد أن القدمين قد نُشِرَتَا، كما قُطِعَتْ من الحافتين الطويلتين أجزاء ليكون الغطاء محكمًا على الصندوق، كما محيت الكتابة الأصلية التي كانت عليه. وهذا الغطاء عبارة عن قطعة حجر مقببة بعض الشيء، ومستديرة من جهةٍ، مثِّلَ عليها بالحفر شخص مضطجع ذو وجه مستدير كالقرص، وعيناه مفتوحتان تمامًا، يحيطه شعر مستعار يكاد يغطي جعرانًا ناشرًا جناحيه، ويشغل جعرانًا آخر أصغر من السابق بكثير المكان الذي يشغله عادةً جعرانُ القلب وقد وضع بين خصلتي الشعر المستعار، ويلاحظ أن هذا الجعران يدحرج أمامه قرص الشمس ويجر حلقة بمؤخريه. ومُثِّلَ على الذراع الأيمن الإلهة «إزيس»، وعلى الذراع الأيسر الإلهة «نفتيس» بجناحيهما منتشرتين بعض الشيء (راجع Ibid. Pl. XL IX)، ونقش على الغطاء من أول قبضة اليد حتى القدمين سطر من الكتابة، ويحيط بهذا السطر آخران أصغر منه وهما خاصان بصورتين للإله «أنوبيس» الواقفين على صورة تمثل قصر الذهب رافعين أذرعتهما تَعَبُّدًا، و«أنوبيس» الذي على اليمين هو الذي دائمًا في لفائفه (؟) أما «أنوبيس» الآخر المواجه له «فهو الذي يكون دائمًا أمام سرادق الأبدية». وهاك ترجمة السطر الذي في الوسط:

> قربان يقدمه الملك «لأنوبيس» الذي على جبله، والإله الأعظم الذي يسكن الجبانة؛ ليمد جسمه بالغذاء، ولينشئ كينونته المقدسة في السرادق، فإذا جاء روحه (كا) فإنه سيجد جسمه، وروحه (كا) تبقى أبد الآبدين، أوزير الكاهن الأول لآمون «حورنخت».» (راجع Pl. L).

وهذا المتن الذي ينحصر بين علامتين هيرغليفيتين نجد أن الكتابة فيه حُفرت بحروف صغيرة أقل حجمًا من سابقتها ترجع إلى عهد «حورنخت»، ولكن باقي الزخرفة ترجع إلى صاحب الأثر الأصلي. وقد وجدنا في «تانيس» أمثلة أخرى من هذا النوع من الحفر الذي يخضع لقوانين الحفر العادية التي يمكن إصلاحها، أما المُحَيَّا والجسم والأعضاء

فقد مثِّلت كلها من الوجه، وقد حُفر المُحَيَّا والقدمان حفرًا بارزًا، أما سائر الأعضاء فقد حفرت حفرًا غائرًا، ولدينا أمثلة من هذا النوع من الحفر (راجع Osorkon II. p. 61) ومن الأثاث الجنازي الذي وجد مع الأمير «حورنخت» صندوق من الحجر الرملي له غطاء محدب، والمفروض أن مثل هذا الصندوق كان يحتوي على أواني الأحشاء الأربع (راجع Ibid Fig. 18). وعُثِرَ على صندوق مماثل له من كل الوجوه في هرم «دهشور» لا يختلف عنه إلا في الزينة التي عليه، وتتألف من سيقان يراع، وتدل شواهد الأحوال على أن كلًّا من الصندوق وأواني الأحشاء يرجع عهده إلى ما قبل الأسرة الثانية والعشرين، وأنها وكذلك غطاء التابوت الجميل قد اغتُصبت من مكان واحد.

ولم يَفُتِ اللصوصَ أن يفتحوا هذا الصندوق غير أنهم أهملوه عندما رأوا أن أواني الأحشاء لا تحتوي على توابيت صغيرة من الذهب أو الفضة، وقد وُجد خاليًا ومقلوبًا على مقعد من الحجر الجيري، وكان موضوعًا في الجهة الغربية من الضريح، ووُجِدَت أواني الأحشاء مدفونة في الرمل بين الصندوق والمقعد السالف الذكر ولم تُمَسَّ بسوء (Ibid, Pl. LII). ويلاحَظ أن الصور التي مُثِّلت في أغطية أواني الأحشاء قد نُحِتت نحتًا بديعًا كأحسن طراز في الأسرة التاسعة عشرة؛ فالغطاء الأول يمثل رأس إنسان وهو يمثل الإله «أمست»، والثاني يمثل رأس قرد وهو للإله «حابي»، والثالث يمثل رأس كلب وهو للإله «دواموتف»، والرابع يمثل رأس صقر وهو للإله «كبح سنوف» (راجع Pl. LIII). وقد لُوِّن الشعر المستعار الذي على رأس كل منها باللون الأزرق، ولونت العينان والحاجبان والرمش وكذلك لحية الإله «أمست» باللون الأسود.

ووُجد في داخل هذه الأواني الأربع أعضاء محنطة في حالة عطب سيئة، ونُقِشَ على كل إناء سطران عموديان من الكتابة (راجع Ibid, fig 19) المقصود منها وعد أعضاء المتوفى التي تشتملها — وهي التي توجد مع أولاد حور الأربعة السابقي الذكر وهم: «أمست» و«حابي» و«دواموتف» و«كبح سنوف» — بحماية الإلهات الأربع وهن: «إزيس» و«نفتيس» و«نيت» و«سلكت».

أما الكتابة التي على أواني أحشاء الفرعون «أوسركون» فكانت غاية في الاختصار، وهي في العادة تكون أكثر إيضاحًا من ذلك.

وقد رتب الأستاذ «زيته» هذه الكتابة في مقال له عن هذه الأواني جمع فيها عشرين طرازًا من أمثلة الكتابة التي على هذه الأواني (راجع R Sethe, Zur Geschichte der Einbalsamserung bei den Agyptern und einger damit Brauche

(Sitzungaberichte Per. Ak pp. 221–231)، فنجد أحيانًا أن الإلهات كانت تخاطَب، ويُطلَب إليها أحيانًا بالأمر وأحيانًا بالرجاء أن تضم الذراعين على «أمست» الذي فيها، وأحيانًا تقرر حقيقة؛ إذ تقول: «يا «إزيس»، إنك ضممت ذراعيك على «أمست» الذي فيك.» وأحيانًا تجد أن الآلهة هي التي تتكلم: «كلام تقوله «إزيس»: إني ضممت ذراعي على «أمست» الذي فيَّ.» أما الصيغة التي تقرؤها على أواني أحشاء الكاهن الأكبر «حورنخت» فلا توجد بين الصيغ التي جمعها الأستاذ «زيته»، وعلى أية حال فإنها ليست خالية من الخطأ وهي:

(١) كلام تقوله «إزيس»: «إني عملت الحماية، وإني أريد جمالك، «أمست» الذي فيك.» هكذا.

(٢) «كلام تقوله «نفتيس»: إني جدار أمام خطيئتك، وجسمك إله وهو الإله «حابي» الذي فيك.»

(٣) «كلام تقوله «نيت»: إني تلك التي تحرس قفاك والتي تغطيك «دواموتف» الذي فيك (أي في الإناء).»

(٤) «كلام تقوله «سلكت»: إني البقرة «سخات»[٣] لجسمك، والإلهة «حتحور» لروحك «كبح سنوف» الذي فيك.»[٤]

ووجدت لبنة بالقرب من أواني الأحشاء بجانب الجدار الجنوبي كُتِبَ عليها بالمداد الأحمر بعض حروف لا يمكن قراءتها، وكذلك وجد جزء من لبنة أخرى.

أما التماثيل الجنازية فوجدت مبعثرة حوالي التابوت. والمجموعة تحتوي على ملاحِظِين كلٌّ منهم يحمل سوطًا، وعلى عامِلَيْنِ يحمل كل منهما فأسًا في كلٍّ من يديه، وحقيبة على ظهره (راجع Ibid. Pl. LV)، ونقرأ على بعضها: «أوزير» الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الإلهة «حورنخت» ويلاحظ أن رأس التمثال المجيب غليظة، وتقاطيعه عادية. وإذا كانت هذه التماثيل المجيبة هي صور للأمير فإنه بلا شك كان يشبه والده.

[٣] البقرة «سخات» وظيفتها التغذية.

[٤] الضمير هنا يعود على الإناء.

محتويات التابوت

كانت مومية «حورنخت» ملفوفة بلفائف عليها شبكة من الخرز وموضوعة في تابوت من الفضة، وهذا التابوت كان بدوره في تابوت من الخشب المذهب، غير أن التابوتين كانا في حالة بالية، فخشب التابوت الخارجي ليس له وجود، وكل ما أمكن جمعه هو عينان من البرنز داخلهما مصنوع من الحجر الأبيض الذي كان يؤلف جزءًا منهما، أما إنسان العين فكان من الحجر الأسود ولم يُعْثَرْ عليه، ولوحظ أن ورقة من الذهب كانت لا تزال ملصقة بالعين اليمنى، وقد جُمِعَ غير ذلك عدد عظيم من ورق الذهب الرقيق جدًّا غير أنها كانت منكمشة وملصقة على الخشب، وكذلك لوحظ أن أشكال حلية هندسية وإشارات هيروغليفية قد صُوِّرت على بعض من أوراق الذهب هذه. أما الفراغ الذي كان متخلفًا بين هذه الصور فقد شُغِلَ بلوحات مختلفة الألوان من القاشاني، وذُكر اسم «حورنخت» على اثنتين منها (راجع Kemi IX. p. 26).

أما التابوت المصنوع من الفضة فقد كسره اللصوص، وانتزعوا كل ما أمكنهم انتزاعه من الثقب الذي ثقبوه في التابوت المصنوع من الجرانيت؛ غير أنهم نسوا بعض القطع، وقد أصبحت هشة بفعل الصدأ، ولا تزال خطوط الحفر تُرى عليها حتى الآن.

أما ثوب «حورنخت» الذي كان منظومًا من الخرز فكان متصلًا به وجه مستعار من الذهب ولكنه اختفى، وقد قطعت خيوط هذا الثوب بطبيعة الحال وانتثر منها الخرز بكميات وفيرة في قبر الصندوق، وقد جمع ثانية وأعيد نظمه، ولكن كان أقل من الخرز الذي وجد في تابوت الملك «حقا-خبر-رع» «شيشنق الثاني» والذي كان في تابوت القائد «أوندباوندد».

ووجد عظام «حورنخت» في حالة سيئة، وقد فحصها في القاهرة الدكتور «دري» وحدد عمره وقت مماته بحوالي ثماني أو تسع سنوات (راجع A. S. XLI. p. 150)، وكان «حورنخت» يملك عدة عقود وقلائد فرطها اللصوص عند نهب ما في تابوته؛ ولذلك فإنها ليست كاملة، وأحسن هذه العقود حفظًا عِقد مؤلف من دوائر صغيرة من الذهب منظومة في خيط ينتهي طرفاه بأنبوبة كانت مستعملة لربطه، وفي هذه الأنبوبة كان معلقًا ثلاث سلاسل طولها ٢٢٥ سنتيمترًا بوساطة حلقات ومشبك، وهذه السلاسل نفسها كان فيها سلاسل صغيرة، وثُبِّتَتْ زُهَيرة في طرف كل سلسلة وعند كل تقاطع، والعقد وهو سليم كان يحتوي على إحدى وعشرين زهيرة منظومة في ثلاثة صفوف، ولم يبقَ من الزهيرات إلا أربع عشرة زهيرة (انظر الصورة ٢٠).

ولدينا عِقد آخر لم يبقَ منه إلا إحدى عشرة زهيرة أصغر من زهيرات العقد السالف، وأنبوبة مركب فيها حلقات.

أما الصدريات التي كانت تحلي صدر هذا الأمير الصبي فقد اختفت، ولم يبقَ لنا منها إلا رأس كبش مصنوع من الذهب، وزهرة بشنين من الذهب، وبعض أشياء كانت مرصعة، وبعض قطع من الذهب خاصة بمجوهرات من هذا النوع تركها اللصوص وقت سرقة محتويات التابوت.

أما الجعارين التي وجدت مع هذا الأمير فيبلغ عددها ثلاثة، وكلها سليمة (راجع صورة رقم ٢٠، ٢١)، وأكبرها لا يحتوي على سلسلة يعلق منها ولا على تركيبة، وهو من الحجر الرمادي، ونُقِشَ على ظهره متن مؤلف من ثلاثة عشر سطرًا أفقية، غير أن حفرها رديء فلم يمكن لذلك تمييز اسم صاحبها.

ويمكن القول: إنه يحتوي على بعض كلمات من الفصل الثلاثين من كتاب «الموتى» الخاص بشهادة الإنسان على صاحبه.

والجعران الثاني وجهه مسطح وهو مصنوع من اللازورد، وله تركيبة من الذهب ثبتت فيها أرجله الست والحلقة التي علق منها، وهذه الحلقة متصلة بسلسلة ضخمة من الذهب طولها ٧٤ سنتيمترًا من طرفيها بوساطة مشبك.

والجعران الثالث مصنوع من المرمر ومرصع بالذهب ومعلق بسلسلة طولها ٧٢ سنتيمترًا، وحفر على ظهره المتن التالي: «نب ماعت رع» محبوب «حورسبد خم»، وهذه أول مرة نجد أثرًا للفرعون «أمنحتب الثالث». والواقع أنه لم يوجد أي أثر حتى الآن في «تانيس» لا في المعبد ولا في البيوت من عهد الأسرة الثانية عشرة، وقد وجد إبريق من الذهب من عصر «أحمس الأول» في مدفن الملك «بسوسنس»، وكذلك عُثِر على أثرين من عهد الأسرة الثامنة عشرة في مقبرة «أوندباوندد» قائد «بسوسنس»؛ أحدهما له علاقة للكاهن الأول لآمون «بارننفرو»، والثاني تابوته الخارجي الذي سرقه من الكاهن الثالث لآمون «أمنحتب»، والغلافات التي وجدت في تابوت «حورنخت» عديدة بوجه خاص ومصنوعة بعناية، ومن المعلوم أن المصري كان في كل عصور التاريخ القديم يحب التحلي بالتماثيل الصغيرة والصور الإلهية، ولا شك في أن الميل إلى هذا الذوق كان أشد عند الصغار. ويفسر لنا صغر سن هذا الأمير السبب في وجود عدد عظيم من الدلايات التي كان يتحلى بها وقد حملها معه إلى قبره.

وأهم ما يلفت النظر من بين هذه التماثيل الصغيرة تمثال كبش مصنوع من اللازورد، يبلغ ارتفاعه أربعة مليمترات، رُكِّبت في ظهره حلقة ليحمل منها، وفي قمة

رأسه ركب صل، وقاعدته ملفوفة في ورقة من الذهب نقش عليها المتن التالي: «إنه كبش الكباش العظيم الاحترام الذي يضمن الحماية بالحياة والصحة والعافية لابن الملك صاحب «رعمسيس» «باشد باستت».» و«باشد باستت» هذا كان ابن الملك «أوسركون الأول» كما ذكرنا من قبل [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون شيشنق الأول].

ويقول «مونتيه»: إن أولاد الملك أصحاب «رعمسيس» ليسوا كما يظن البعض هم من أخلاف «رعمسيس الثاني» أو أحد الرعامسة الآخرين، ولكنهم في الواقع حكام لبلدة «بر رعمسيس»، وقد اختيروا من الأسرة المالكة كما هي الحال في التعبير «آمون رعمسيس» والتعابير المماثلة؛ لذلك قد حذفت منها كلمة «بر» (بيت) لمنع تعاقب المضاف والمضاف إليه.

ووجد له كذلك تمثال صغير من اللازورد (صورة رقم ٢١) يمثل الإله «حور» واقفًا، ونُقِشَ على ظهره متن مكتوب بحروف صغيرة (Ibid Fig 21): «موت العظيمة» سيدة «أشرو» التي تحمي ابنها ملك الوجه القبلي والوجه البحري الكاهن الأكبر «أمنمأبت» (هكذا) محبوب «آمون». ومن المعلوم أن «أمنمأبت» قد أقام لنفسه في الجهة الشمالية الغربية المقبرة رقم ١، ثم نقل في حجرة من هذا القبر؛ حيث وجد أثاثه الجنازي سليمًا في عام ١٩٤٠ كما فصلنا القول في ذلك [راجع فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس الفرعون «أمنمأبت»]، وهذا التمثال الصغير الذي نحن بصدده لم يُعْثَر عليه على وجه التأكيد من نهبٍ أُحْدِثَ في مقبرة «أمنمأبت»؛ بل المحتمل أن هذا الملك كان قد أهداه إلى أحد آباء «حورنخت».

هذا، ووُجِد مع «حورنخت» فضلًا عن ذلك مجموعة من تماثيل الآلهة الصغيرة الحجم عددها تسعة تماثيل مصنوعة من الذهب أو من الذهب والفضة معًا، وقد صيغت صياغة دقيقة، وكل منها ركب فيه حلقة صغيرة ليحمل منها في الخلف أو الرأس[٥] وهي: تمثال الإله «حور» واقفًا، و«أوزير» محنطًا، و«حور» قاعدًا، و«نفتيس» و«سخمت» و«حتحور» و«أوزير» جالسًا القرفصاء، و«تحوت» حاملًا عينًا سليمة، والإله «سبك» يقدم إناءين.

ووجد له تماثيل أصغر من السابقة بقليل وأقل منها قيمة، وهي: إله برأس كبش من البرنز، وإله برأس أسد من القاشاني، «حور أمنمأبت»، و«تحوت» من القاشاني،

[٥] راجع Osorkon II, Pl. LX.

وتمثالان للإلهة «سخمت» من الفضة، هذا إلى بعض أشياء من الحجر (راجع صورة رقم ٢٢)، وهي رأس ثعبان، وتمثال الإلهة «سخمت»، وعلامة «تيت» (تمثال)، وصليب من حجر الكرنلين، وإناء ضخم من المرمر.

أما اللوحات التي وُجدت مع هذا الأمير فكانت مصنوعة إما من اللازورد والذهب المطروق المرصع، أو من الذهب المشغول. والمجموعة الأولى منها تحتوي على عينين سليمتين» (وازيت)، وصورة الإلهة «ماعت»، وصورة «حور» و«ماعت» قاعدة القرفصاء على قاعدة مغشاة من جهة بورقة من الذهب ومرصعة بشريط من الذهب (راجع صورة رقم ٢١)، ونُقش على القاعدة من الناحية المذهبة طغراءان للملك «أوسركون الثاني» (راجع صورة رقم ٢١)، ومن المحتمل أن اللوحة الخاصة بالإله «حور» كانت مغشاة ومرصعة بالذهب، ونقش على العين السليمة المستطيلة الشكل متن مؤلف من ثلاثة أسطر هي: «إن حمايتك موجودة فيَّ يا «وسر ماعت رع ستبن آمون» «أوسركون» محبوب «آمون».» أما العين السليمة الثانية فمزينة من الخلف بصورة «آمون» التي حُفرت حفرًا دقيقًا (راجع صورة رقم ٢١).

أما مجموعة اللوحات الصغيرة المصنوعة من الذهب المشغول والمطعَّم (راجع صورة رقم ٢٣) فتحتوي على سفينة شمسية وعلى تمثال «لأوزير»، وعلى رمز الثعبان «دد» وعلاقة، وطغراء، وصقر، والإله «حور» قاعدًا، وعلى صدر، ومومية، وريشة، وثلاثة نسور محلقة في الفضاء، وصندوق (؟) له قبضتان على شكل رأس صقر، والصولجان «أمس»، والصولجان «حقا»، وزخمة، وعوامة، وطير برأس إنسان له جناحان منشوران. وكل هذه اللوحات رُسِمَ على ظهرها صورة كبش، وكانت مربوطة بخيط من الفضة.

ومجموعة اللوحات الصغيرة المصنوعة من الذهب المنقوش تشمل ثلاثة نسور أجنحتها منتشرة، وستة أصلال منتصبة (راجع صورة رقم ٢٢) ممثلة على هيئة امرأة بذراعين مقطوعتين ولها ساق واحدة تنتهي بنقطة.

وأخيرًا وجد له مجموعة من الأشياء التي يجدها الإنسان في هذا العصر ممثلة في القبور وعلى التوابيت تحت سرير «أوزير» وهي: صولجان «عبا»، وصولجان «سخم»، وصولجان «واس»، وسيف، ومقمعة، وصورة تمثل الجبل ومطرقة نجار، وقوس، وإناءان، وثلاث عصي ذات أسنان، وقرص، ومكب مغزل، وصندوق، ومشط، وعصا ذات شعبة، وثلاثة ألواح سفينة (راجع صورة رقم ٢٢).

هذا، وكان يملك «حورنخت» خمسة أسورة؛ اثنان في المعصم الأيمن، وثلاثة في المعصم الأيسر (راجع صورة رقم ٢١).

وأجمل هذه الأسورة زينة هي التي تتألف من لوحين غير متساويين في الحجم منحنيين ومتصلين بمفصلات، وقد مُثِّل على اللوح الأصغر فيها نقش تدل صناعته على المهارة، رُسم فيه قردان يتضرعان أمام العين السليمة (وازيت)، ويحدد هذا المنظرَ طغراءان للملك «أوسركون الثاني» من جهة اليمين ومن اليسار، وفي الداخل نجد نفس الموضوع منقوشًا، ورُسم على اللوح الكبير من الخارج أيدٍ مفتوحة وأكمام زهر موزعة على عشرة صفوف كل منها يحتوي على ثلاثة أكمام، وداخل اللوح مقسم ثلاثة صفوف أفقية (Fig 22) بعضها فوق بعض؛ فالصف الأعلى يحتوي على مجموعة مؤلفة من ثماني صور تمثل كل منها إله أسبوع (والأسبوع المصري يحتوي على عشرة أيام)، والأخير منها فقط مُثِّل في صورة ثعبان واسمه يعني: «ذلك الذي يعيش «ملغغًا» (أي مسمَّنًا)»، وستة آلهة هي: «أوزير»، و«حور»، و«تحوت»، و«إزيس»، و«نفتيس»، وإله برأس أسد. وفي الصفين الثاني والثالث متن منقوش بدقة جاء فيه ما يأتي: «ما قيل على لسان الآلهة والإلهات، وعلى لسان إلهات السماوات والأرض والعالم السفلي أن ما تفعله هو حمايتك! وصورهم (أي صور آلهة الأسابيع) تضم لجسمك بالحياة والبقاء، والأم الإلهية درع حولك عندما تختلط بالغزلان والطيور، الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة، وابن الملك من جسده محبوبه «حورنخت»، إنه ابنك، وأمه هي الزوجة الملكية سيدة الأرضين «كاعمع».» وهذه الوثيقة هي الوحيدة لدينا التي تذكر بوضوح والد «حورنخت» ووالدته.

ولدينا سوار آخر نعرف منه كيف كان التعبد لآلهة الأسابيع عظيمًا (راجع صورة رقم ٢١ب)، وقد مُثِّل هذا السوار على صورة ساق من البردي منحنٍ وينتهي ببرعومين يقفلان على جُعَلٍ مرصَّع ومركَّب في إطار من الذهب، ويمر في هذا الإطار خيط، ويلف حول طرفي ساق البردي وعلى ظهر الإطار اسم علم يعني: «أن سر الإله «سبد» جميل.» وقد حفرت هذه العبارة حفرًا دقيقًا. ويوجد على جسم السوار من الداخل إفريز مؤلف من ست وعشرين صورة تمثل آلهة الأسابيع التي يوجد أمامها صيغة قصيرة مفسرة للمنظر، وهي: «نحن نؤدي الحماية للكاهن الأول «لآمون» ابن ملك الأرضين «حورنخت» المبرأ.»

والسوار الثالث الذي وُجد مع «حورنخت» (Pl. ١٧ب) مؤلَّف من قطعتين مشتملتين على ثلاث أنابيب متشابهة، وهذه الأنابيب مفصولة من الخارج بمربعات صغيرة على

مسافات منتظمة مملوءة بحُلِيٍّ مرقش، فنجد من جهة الوجه أن القطعتين اللتين يتألف منهما السوار قد رُبِطتا معًا بمفصلة، ومن الجهة الأخرى نجدهما منفصلتين بوساطة ثلاثة قضبان متوازية تخترق ستة جعارين وضفدعة، وقد نُقِشَ على كل من هذه الجعارين الستة اسم شخص يدعى «بديوازيت».

أما السواران الباقيان فهما من طراز عادي.

هذا، وكان «حور نخت» يملك مجموعة كاملة من غطاءات أصابع اليدين وأصابع القدمين، ولكن لم يبقَ منهما إلا ستة عشر غطاءً (راجع Pl. LXI). هذا إلى ثلاثة خواتم وجعران منفرد استُعمل جزءًا من خاتم آخر (راجع Pl. LXII)، ومشبك مؤلف من خمسة آلهة جالسة لكل منها رأس صقر يرتدي على رأسه قرص الشمس ويقبض بيده على ريشة (راجع صورة ٢٠أ)، وهذا المشبك يؤلف جزءًا من مجموعة لم يمكن إصلاحها. هذا، وقد وُجد له أربع سيقان أشجار من الذهب مجهزة بمحبس، وهي جزء من الأشياء التي سُرقت من تابوته.

ووجد على بطن المومية — في المكان الذي كانت تُعمل فيه الفتحة لاستخراج الأحشاء — اللوحة المستطيلة المصنوعة من الذهب المزينة بالعين السليمة، وكانت قد خيطت على الفتحة المذكورة (راجع Pl. LXI)، ولم نجد من بين الموميات الأربع التي لم تُنهب في مقبرة «بسوسنس» إلا واحدة بقي عليها لوحة من هذا النوع.

ووجدت «لحور نخت» وسادة من الحديد نُقش على أحد وجهيها علامة الثبات، وعلى الوجه الآخر علامة تيت، وقد جهز كل منهما بذراع، وكانتا قد كُسِرتا ثم أُصْلِحتا في العهد القديم (راجع Pl. LXI)، ووجد في تابوت «شيشنق الثاني» وسادة تشبه التي نتحدث عنها.

ولدينا قطعتان أخريان من نفس المادة (أي الحديد) وُجدتا مع «حور نخت»؛ واحدة منهما قطعة مستطيلة، والأخرى تمثل نهاية التاج «آتف».

ووجد لكل من «حور نخت» والملك «شيشنق الثاني» قطعة لم يوجد مثيلها في توابيت «تانيس» التي من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وهو زوج من الأصابع صنع في لوحة من الذهب، وهذا الأثر عُثر على مثالين له في مقبرة «حور نخت» (راجع Pl. LXI)، ووُجد للملك «شيشنق الثاني» واحد فقط، وقد كان يستعمل على ما يُظَن في شعيرة فتح الفم.

وأخيرًا: وجدنا مع «حور نخت» مرآة من النحاس متآكلة بفعل الصدأ، وقد عُثِرَ عليها مسندة على جدار التابوت بالقرب من رأس المتوفى (راجع Pl. LXI).

ولا نزاع في أن من يمعن في النظر إلى آثار «حور نخت» هذا يجد أننا قد حصلنا منها على معلومات تاريخية هامة لم تكن معروفة من قبل هذا، إلا أن صناعة حليه تدل على مهارة ودقة وذوق يشهد بتقدم الفن في هذا العهد المتأخر.

(٤-٥) المباني المقامة بالحجر الجيري وزخرفتها في مدفن «أوسركون الثاني»

(أ) نقوش «باسن إزيس» قائد «أوسركون الثاني» في قبر سيده

عندما يدخل الإنسان قبر الملك «أوسركون الثاني» من الباب الغربي يلاحظ في الفرجة التي على الشمال صورة غريبة (راجع Pl. XXII, XXIII) تمثل رجلًا يرتدي جلبابًا ذا ثنيات، وعلى رأسه شعر مستعار مستدير، وقدماه حافيتان، ولا يحلَّى بأي حلًى أو شارات، ويضع يديه على رأسه، ويُرَى بين أصابعه شيء مخروطي الشكل أو ما يماثله غير أنه لا يشبه مخروط العطور الذي يحمله عادة على رءوسهم أولئك الذين يشتركون في الولائم (راجع مصر القديمة الجزء الرابع)، ومن الجائز أن يكون هذا الشيء هو قطعة طين. وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الرجل كان يعبر عن آلامه بالطريقة المصرية، وهي أنه عندما يفقد الإنسان عزيزًا له كان يلطخ نفسه بالطين ويلطخ وجهه.

ونُقِشَ أمام هذا الرجل متن مؤلَّف من ستة أسطر عمودية، وهذا المتن كان موضوع درس عميق قام به الأستاذ «فكتور لوريه» وهاك الترجمة: «القائد الأعلى لجنود الوجه القبلي والوجه البحري» «باسن إزيس» بن «حوري»، إني أبكيك دون حد، ولن أترك البحث عن وجهك، وقلبي يفيض من الألم عندما أفكر في طيبتك، ولقد عملت على أن أعظمك بكل أنواع الخدمات أكثر من القربات النوعية.[٦]

ولقد جهزت[٧] سيدي في مدينته أكثر من صاحبتها «طيبة»،[٨] وفي كل مرة يشتاق قلبه إليه فإن روحه تصعد إلى المكان الذي يوجد فيه وهو قصر ملايين السنين (= معبد «تانيس» الكبير)، والملك المقدس يثوي في مضجعه، وروحُه قد انضمت إلى السماء.

---

[٦] بعد أن عبَّر «باسن إزيس» عن ألمه انتقل إلى ذكر الخدمات التي قدمها لسيده، وقد خصصها بأنها أكثر من الهدايا المادية، وقال عنها: إنها تحتوي على الطاعة.

[٧] جَهَّزَ المتوفى لمدينته (الأبدية) يعني تحنيطه وكساءه وتزيينه بالحلي والتعاويذ.

[٨] وقد فسر «لوريه» «طيبة» الفرع المقدس وقال: إنه تعبير آخر عن مدينة تانيس.

سيد الأرضين محبوب آمون «أوسركون».
عَمِلَتْهُ له «كابس» (أمه).

والآن يتساءل الإنسان: لماذا نقش «باسن إزيس» هذا الإعلان عند مدخل قبر «أوسركون»؟ وجوابًا على ذلك يجب ألا ننسى أنه بعد دفن الملك غمرت الرمال القبر وأصبح من الصعب الوصول إليه، ومع ذلك فإن القبر المجاور له وهو قبر الملك «بسوسنس» قد فُتح مرات عدة خلال القرنين اللذين خَلَيَا على وفاة الملك، وقد حدث مثل ذلك لقبر الملك «أوسركون»، وقد نَقَشَ القائد «باسن إزيس» هذا الإعلان عند مدخل مقبرة سيده كأنه كان يريد بذلك أن يقدم إيضاحًا شافيًا عن سلوكه بالنسبة للفرعون، ويقصد بذلك ألا يغيب مسلكه الكريم عن أعين كبار الموظفين الذين يمرون من باب هذا القبر؛ فبعد أن ذكر الزائر باسمه ولقبه بوصفه القائد العظيم لجنود مصر، وبعد أن عبر عن الآلام التي سبَّبها موت الملك له يقول: إن كل ما فعله قد عمله لصالح سيده وعلى حسب رغائبه؛ فإن الملك هو الذي أراد أن يثوي في هذا القبر، وإن والدته «كابس» هي التي أقامته له أو على الأقل جهزته. وهذه الطاعة التامة لرغبات سيده كانت عند الملك أعظم قيمة من أثمن قربانٍ عينيٍّ.

على أنه لم يكن لدى القائد «باسن إزيس» أيُّ سبب ليعبر عما في نفسه بهذه الطريقة المؤثرة إذا كان انتخاب الضريح الملكي قد تركه معاصرو«أوسركون» دون اهتمام ليقام في أي مكان، ولكن الواقع كان خلافًا لذلك؛ وذلك لأن أهل «تانيس» وأهل «طيبة» — ومن المحتمل سكان «منف» و«بوبسطة» — كانوا يقومون بادعاءات مضادة في هذا الموضوع؛ ففي «طيبة» كان من المؤكد أن يجد الملك لنفسه مثوًى أبديًّا أكثر فخامة من الذي ثوى فيه في «تانيس»؛ غير أن هذا ليس هو الاعتبار الوحيد في هذا الصدد، وأن في «تانيس» كان يعد الملك نفسه في بيته بعيدًا عن هؤلاء الكهنة العظام الذين كانوا قد بدءوا في عصره وبرضاه يعدون أنفسهم أندادَ الفرعون، هذا فضلًا عن أن «تانيس» كانت تعتبر «طيبة الثانية»، وعندما سمَّى «باسن إزيس» عاصمة الشمال بأنها فرعٌ مقدس من «طيبة»؛ فإنه قد أجاب بذلك على تضرعات الطيبيين الذين تآمروا على أخذ جثمان الفرعون «أوسركون» ليُدفن في «مدينتهم».

زخرفة جدران القبر

الحجرة الأولى: (الجدار الجنوبي) (راجع Pl. XXIV, XXIV B Pl. XL–XLI) يشاهَد على هذا الجدار الملك «أوسركون الثاني» واقفًا مرتديًا ثوبًا فضفاضًا ذا ثنيات، وفوقه جلد فهد، وبيده عصا طويلة تنتهي بإبريق، ويقرع بابًا تحرسه إلهة لها رأس ثعبان ومسلحة بسكين، ومعها ثعبان ضخم حارس يشبه العلامة 𓆓 وقد فُتح الباب ودخل منه «أوسركون» وقد وجد الإله «أوزير» قاعدًا وحوله أربعة آلهة واقفين على طوار، ويشاهَد كبش يسمى «شايي» واقفًا بالقرب من الطوار. وهذا المنظر بعينه نشاهده في مقابر أخرى إذا استثنينا المتوفى الذي يقرع الباب؛ إذ نجده على توابيت الأسرة الواحدة والعشرين (راجع Daressy, Cercueils des Cachettes Royales No. 60130, Pl. XLVIII; No. 61032 .(Pl. LVI

الجدار الغربي: (Pl. XXV) نشاهد على هذا الجدار الإلهة «نوت» واقفة على قدميها وجسمها أفقي ممتد امتدادًا طويلًا، وذراعاها ورأسها منحنية، وبين ذلك منظران منفصلان؛ نشاهد في المنظر الأعلى ولادة الشمس، وفي المنظر السفلي التعبد للشمس بالنجوم التي لا تفنى والنجوم التي لا تنصب؛ أي النجوم الثابتة والنجوم السيارة.

الجداران الشمالي والشرقي: (راجع Pl. XXVI) يُرى الفرعون تدفعه الإلهة «ماعت» ربة العدالة إلى قاعة المحاكمة، ويلاحَظ هنا أن رأسها قد مثِّل على جسمها في صورة ريشة 𓆄، وقلب الملك يوزن بميزان نصب أمام الإلهة «أوزير» و«إزيس» و«أنوبيس» و«تحوت» والشيطان الرجيم المارد «عميت».

الجداران الشرقي والجنوبي: (راجع Pl. XXVII, XXVIII) نقرأ على الجدار الشرقي وجزء من الجدار الجنوبي الاعترافات التي أدلى بها الفرعون مبرِّئًا نفسه من كل الآثام الخلقية، وقد وزعت على ثلاثة صفوف أفقية، وفي الصف الأعلى نشاهد اثنين وأربعين قاضيًا في صورة موميات، والصف الثاني يحتوي على الأسئلة التي يسألها كل من هؤلاء القضاة مع ذكر المكان الذي جاء منه. والواقع أنه كان يُنتخَب قاضٍ من كل مقاطعة من مقاطعات القُطر التقليدية وعددها اثنتان وأربعون مقاطعة؛ ليمثِّل مقاطعته، وذلك لأجل ألا يذكر متوفى أمام المحكمة غير الحقيقية وإلا كَشَفَ القاضي الذي يمثِّل مقاطعته أمرَه.

والصف الثالث يحتوي على المتن الذي ينفي فيه المتوفى عن نفسه كل الذنوب الخُلُقية التي يمكن أن تُرتكب.

سقف الحجرة: (راجع Pl. XXIX) يشاهَد في الجزء المتوسط من السقف سطر من النقوش لا يمكن رؤية أوله ونهايته؛ لأنهما غُطِّيَا بقطع حجر السقف، مما يدل على أن النقوش عُملت أولًا ثم وُضعت الأحجار التي نقشت عليها في السقف.

هذا، ويشاهد على حافَتَيِ السقف سطران من النقوش؛ أحدهما في الجهة الشرقية، والآخر في الجهة الغربية، ويحتويان على صور بعض آلهة الأسابيع، غير أن الأسماء لم تذكر وبعض الصور قد محيت.

الجدار الفاصل: (راجع Pl. XXX) ذكرنا من قبل أن الحجرات الأولى كانت قد قسمت قسمين غير متساويين بجدار رقيق ليس له أساس ثابت، وهذا الجدار زُيِّنَ من الجهة الجنوبية بمنظرين متوازيين، فنشاهد على اليسار الملك «وسرماعت رع» «أوسركون الثاني» يحَيي بيديه شخصية واقفة أمامه وتقبض بإحدى يديها على علامة الحياة ☥، وبالأخرى على الصولجان «واس»، وعلى اليمين تظهر نفس الشخصية تتقبل نفس التحية من الملك «وسرماعت رع» «شيشنق الثالث» وهو الخلف الثاني للملك «أوسركون الثاني» على عرش الملك، وهو الذي أقام في «تانيس» البوابة الضخمة التي تنسب إليه، وعُثِرَ في عام ١٩٤٠ في الجهة الشمالية الغربية تقريبًا من مقبرة الملك «أمنمأبت» على قبر «شيشنق الثالث» منهوبًا (راجع Ibid Pl. V, No. 5)، ولن نعرف قط لمن كان يقدم هذان الملكان تحياتهما؛ وذلك لأن رأس الشخصين في المنظرين قد هُشِّمت ولا نعرف إذا كان هذا التهشيم من فعل الزمن أو الرطوبة؟ أو كان قد عُمِلَ قصدًا، وعلى أية حال فقد فاتنا بذلك معرفة حقيقة هامة.

الحجرة الثانية

(الجداران الشمالي والغربي): (راجع Pl. XXXI) يشاهَد الإله «أوزير» والإلهة «إزيس» وأولاد «حور» الأربعة قد وُضعوا في محراب بابه مفتوح، وهذا المنظر يمكن قرنه بالصورة التي تتبع الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب «الموتى»، ويلاحَظ أن «أوزير» واقف أمام المحراب خلفه متنٌ كُتِبَ بأسطر أفقية يمتد على الجدار الغربي.

الجدار الشرقي: (راجع Pl. XXXII) يشاهَد على هذا الجدار إلهتان: «إزيس» و«نفتيس»، وصفَّان من القردة تتعبد لرمز الثبات «دد» الذي يمثل «أوزير» وتعلوه علامة الحياة وقرص الشمس، وهذا هو الرسم الذي يتبع عادة الفصل السادس عشر من كتاب «الموتى»، ونرى صورة الملك على طرفي المنظر، وعلى اليمين أنشودة كُتبت تمجيدًا وتعبدًا للإله «حور أختي».

الجداران الغربي والجنوبي: (راجع Pls. XXXIII, XXXIV). يشاهَد فوق الباب الذي في الجدار الغربي سير سفينة الشمس في أثناء الليل في الساعة العاشرة، ومن أول هنا نجد أن الجدارين الغربي والجنوبي قد قسما صفين أفقيين؛ الساعة الحادية عشرة تحتل الصف الأعلى، والساعة الثانية عشرة تحتل الصف الأسفل.

السقف: (راجع Pl. XXXIX) يشغل الجزء الأوسط من السقف سطرًا من النقوش وهو تضرع للإله «رع»؛ ليضيء الأرضين للملك «أوسركون».

(ب) الحجرة الثالثة

الجدار الغربي: (راجع Pl. XXXV) نجد على الجهة اليمنى متنًا مؤلفًا من خمسة أسطر ولكنه مهشم.

ويشاهَد على نفس الجدار فوق الباب منظر تعلوه العلامة الدالة على السماء، وهنا نجد «أوسركون الثاني» يرجو دخوله في عالم الآخرة ويلبس على رأسه لباس «نمس» (كوفية) فيه الصل الملكي، ولكنه وقتئذ كان قد أصبح كائنًا إلهيًّا؛ لأن الشمس تغمره بقطرات من النور، وهذا المنظر يذكِّرنا بقرص الشمس الذي كان يمثل «آتون» عندما كان يغمر «إخناتون» بأشعته. ويلاحَظ أن باب «دوات» (العالم السفلي) كان قد أغلق بضبتين، ويحرسه ملاك له رأس ممثَّل في صورة ثعبانين ومسلح بسكين، ويقف بجانب بحيرةٍ شخصيةٌ مسلحة بثلاثة سكاكين، ويرى الملك «أوسركون» الذي سمح له بالمرور نحو حقل «يارو» وقد غمر الملك بقطرات النور التي تتساقط من الشمس.

الجداران الغربي والجنوبي: (راجع Pl. XXXV) نشاهد الأبواب السبعة لحقل «يارو».

الجدار الجنوبي: (راجع Pl. XXXVI) يُرى على هذا الجدار منظر لحقل «يارو»؛ حيث كانت تُحْرَث الأرض وتبذر.

الجدار الشمالي: (راجع Pl. XXXVII) نرى على هذا الجدار إلهًا عظيمًا محنطًا، على رأسه قرص الشمس، تتساقط منه قطرات النور، ويتعبد إليه ستة آلهة محنطين أصغر منه حجمًا، كما يشاهَد الإله «رع حور أختي» في صورة شخصية محنطة لرأس كبش ويتعبد إليه الملك راكعًا أمام كرسيه، وهذا الملك هنا هو «تاكيلوت»، والظاهر أن «تاكيلوت» هذا لم يمحُ اسم «أوسركون»؛ ليضع اسمه بدلًا منه، بل الواقع أنه كان قد أمر بكتابة طغرائه بجانب صورة لم تُسَمَّ. ويلاحَظ أن هذا الإله كان يتعبد إليه شخصيات أخرى في ثلاثة صفوف؛ ففي الصف الأعلى يشاهَد الملك «أوسركون» راكعًا يتعبد للآلهة: «تحوت» و«حابي» و«سلكت» و«ححو»، وفي الوسط يُرى طائر برأس إنسان وهو «با»؛ أي الروح بين كبشين، وفي أسفل صورة الروح وصورة جديدة للملك «أوسركون».

الجدار الشرقي: (راجع Pl. XXXIX) تقرأ على هذا الجدار أنشودة للإله «رع» على لسان «أوسركون».

وخلاصة القول أن زخرفة هذه المقبرة هي من عمل الملك «أوسركون الثاني» نفسه، وأن «تاكيلوت الثاني» قد اكتفى بإضافة طغراءيه مرتين في الحجرة الثالثة التي اتخذها مقبرة له، أما «وسرماعت» «شيشنق الثالث» فتنسب إليه نقوش الجدار الفاصل، ومن المحتمل أنه غيَّر الأسطر من ٢٥–٣٥ من المتن؛ التي ينفي فيها المتوفى ارتكاب الآثام.

(ج) المبنى المقام بالحجر الجيري

أثاث حجرات الدفن

الحجرة الأولى: لم يوجد في النصف الجنوبي من الحجرة رقم واحد إلا أثر واحد وهو تمثال مجيب بسيط الصنع وُجد ملقًى في أحد الشقوق التي في الجدار الجنوبي.

والقسم الشمالي من الحجرة يشغله تابوت كبير من الجرانيت يشبه تابوت «أوسركون» غير أنه أصغر منه بقليل، وغطاؤه قد نُحت في تمثال عظيم من الجرانيت، اتضح بعد محو الجص الذي كان يغطي هذا الغطاء أنه «لرعمسيس الثاني»، ولم يوجد في صندوق التابوت الذي وجد مثقوبًا غير العظام التي كانت في حالة سيئة، وعلى الرغم من أن الحجرة لم تكن تحتوي في داخلها أي شيء فلا بد من أن نعترف بأن الأدوات الجنازية التي وجدت في خارجها بالقرب من الثقب الذي عمله اللصوص كانت

في الأصل موضوعة في هذه الحجرة، وهي ما يأتي: ثلاث أواني أحشاء من المرمر عارية من النقش، وغطاء واحدة منها في صورة رأس كلب (Pl. LIV)، وعلى آخر برأس صقر.

ووُجدت قطع من تماثيل مجيبة تشبه التي وجدت مع الملك «أوسركون»، وكذلك قطعة من تمثال مجيب مهشمة يقرأ عليها بصعوبة الطغراء الأول للملك «شيشنق الثالث» بن «باستت» (Fig. 25)، ولا بد أن نذكر هنا أن «شيشنق» بن «باستت» قد مثِّل على الجدار الفاصل في الحجرة الأولى من هذه المقبرة، ومن الجائز أن المومية التي وُضعت في التابوت هي «لشيشنق» بن «باستت» وهو الذي وجد اسمه على التمثال المجيب، وكذلك على الجدار الفاصل في الحجرة الأولى، ومن ثم نعلم أن هذا الملك قد أقام لنفسه مدفنًا خاصًّا، ومع ذلك يجب ألا يغيب عن الذهن أن الملك «أمنمأبت» الذي أقام المقبرة رقم أربعة لنفسه كان قد نُقل بعد دفنه بقليل إلى الضريح الذي كان قد جهزه «بسوسنس» لأمه «موت نزمت»، وعلى ذلك فإن المومية إذ لم تكن «لشيشنق» فلا بد أن تكون لواحد من معاصريه.

الحجرة الثالثة: تدل الظواهر على أن الحجرة الثالثة كان مثلها كمثل الحجرة الأولى؛ قد حُوِّلت إلى ضريح بعد موت «أوسركون»، والتابوت المصنوع من الحجر الرملي الذي فيها قد نزل من سقفها، وصندوق هذا التابوت مستطيل، وسطحه ينقسم طبقتين؛ فالطبقة السفلى مزينة بأربعة أبواب كاذبة على جانبه الطويل، وباب واحد على جانبه الصغير، أما أربعة الجوانب التي في الطبقة العليا فمزينة بإطار يشبه حزم اليراع، وفي هذا الإطار من الجهة اليسرى نقش سطر أفقي في الجزء الأعلى وأربعة أسطر عمودية أيضًا، وعلى اليسار من السطر العمودي رسمت عينان ليرى بها كما يرى الإله نفسه، ومن هذه النقوش أمكن معرفة صاحب هذا التابوت الأصلي، وهاك الترجمة:

> قربان يقدمه الملك «لأوزير» سيد «إتي-حري إب-تاش»، ليعطي وجبة جنازية من خبز وجعة وثيران وطيور وبخور وعطور وملابس وكل شيء طاهر يعيش منه الإله لروح (كا) حامل الختم «أميني» المبرأ.

و«أميني» هذا مبجل عند أربعة الآلهة: «أمست» و«جب» و«تفنوت» و«دواموتف». ويدل شكل التابوت وزينته ونقوشه على أنه من عهد الدولة الوسطى، ويعضد هذا الرأي أن تابوت الملكة «نفرت-حنوت» زوج الملك «سنوسرت الثالث» يشبه التابوت الذي نحن بصدده الآن، واسم «أميني» كان شائعًا في الدولة الوسطى، أما الاسم الجغرافي

«إتي حري-إب-تاش» فيعني «الملك الذي في وسط بحيرته»، وهذا يعيد إلى الذاكرة البناء الذي أقامه «أمنمحات الثالث» في «بياهموا» الواقعة في وسط «الفيوم»، ومن ثم نعلم أن هذا التابوت قد اغتصبه ملك من أحد موظفي الدولة الوسطى ليكون مثوًى لموميته، ويمكن التنبؤ بأن هذا الملك هو «تاكيلوت الثاني» الذي يلقب «حز خبر رع» «تاكيلوت»، ولم يَرَ هذا الملك المغتصِب ضرورة لمحو اسم صاحب التابوت الأعلى الذي كانت تغطيه الرمال من جهاته الأربع، واكتفى بنقش اسمه تحت الغطاء وعلى الجانبين الصغيرين من جوانب الصندوق بالمداد، هذا إذا لم يكن الملك قد توفي فجأة وأُتِيَ له بهذا التابوت بسرعة، وكتب اسمه بالمداد وترك ما عليه من نقوش قديمة، وبخاصة أنها كانت مختفية تحت الرمل الذي يغطي جوانب التابوت.

و«تاكيلوت الثاني» هذا هو ابن الملك «أوسركون الثاني» من صلبه، أنجبه من زوجة لم تكن الزوجة الملكية الكبرى الشرعية «كارعمع» (راجع L. R. III. p. 351).

وعلى الرغم من أن «تاكيلوت» هذا الذي قنع بأن يُدفن في تابوت مغتصب كان يملك أثاثًا جنازيًّا ثمينًا يعادل الأثاث الذي بقي لنا في مقبرة الفرعون «بسوسنس»؛ غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن كل ما كان ثمينًا فيه قد وصلت إليه يد اللصوص! وكل ما تبقى لنا هو ما يأتي: وُجد بجانب وتحت التابوت إناء ضخم من المرمر، وأربع أواني أحشاء من المرمر، ويبلغ طول الإناء المصنوع من المرمر ٦٠ سنتيمترًا (راجع Pl. XLVI) ونُقِشَ عليه طغراءَا الملك «أوسركون الأول»، وقد وجد كذلك إناءان من المرمر مختومان في صندوق تابوت الملك «بسوسنس»؛ غير أنهما وُجدا خاليين، ومن المحتمل أن هذه الأواني كانت تحتوي على ماء.

ومعظم التماثيل المجيبة (PL. LVI) التي وُجدت لهذا الفرعون كتب عليها: «أوزير» الملك «تاكيلوت»، وهذا المتن كتب بعدم عناية في سطر عمودي على صدر التمثال (راجع Fig. 27)، ولم يوجد إلا تمثال واحد كتب عليه أربعة أسطر وهي: «إن التماثيل تجيب سيدها حاملين الجبل من الشرق حتى الجبل الغربي، ومقدمين طريقًا مجهولًا ليذهب إلى السماء إلى «أوزير» الملك «تاكيلوت»».

وتنقسم تماثيل الملك «تاكيلوت» المجيبة أنواعًا مختلفة من حيث طرازها؛ فمنها اثنان لهما شعر مستعار مسبل ويظهر فيهما وجه «تاكيلوت» مستطيلًا غائر الذقن، وأنفه ضخم، ومن المحتمل أن هذه الميزات كانت خاصة بهذا الفرعون في أثناء حياته. وهناك بعض تماثيل مجيبة لأشخاص آخرين؛ فمثلًا نجد على تمثال اسم «تاشد-خنسو» وهي زوج الملك «أوسركون الأول» وجدة «تاكيلوت».

وكذلك وُجدت ستة تماثيل لشخص يدعى «حور شد-سو» وهو شخص غير معروف، وإنه لمن الصعب أن نحكم إذا كانت هذه التماثيل قد اختلطت بتماثيل «تاكيلوت» عن طيب خاطر، أو وضعت في قبره خطأً، فتمثال الملكة «تاشد — خنسو» قد زاد في عدد الآثار التي من عهد «أوسركون الأول» في مدفن «تاكيلوت الثاني»، وقد كسر اللصوص غطاء التابوت ونهبوا محتوياته، ومع ذلك فإنهم نسوا بعض قطع في قعر صندوق التابوت؛ فمن ذلك قطعة ورق من الذهب قدر راحة اليد، والظاهر أنها من تابوت معدني، وأنها كانت نصيب أحد اللصوص كما شاهدنا مثل ذلك في ورقة أمهرست ليوبولد (راجع مصر القديمة الجزء الثامن).

هذا، وقد وجدت بعض قطع في هيئة مشابك ومربعات وأيد من الذهب مرصعة، وكل هذه القطع لها حلقات صغيرة وقد نظمت مع خرز مستدير أسطواني؛ لتكون شبكة تغطي المومية، وقد وجدت أشياء مثل هذه في تابوت الملك «شيشنق»، ولكنها أكثر عددًا، وقد نظمت هذه الأشياء، وهي معروضة الآن بمتحف القاهرة (راجع Brunton, The bead Network of Sheshonk. Heqa kheper-ra A. S. Tom, XLII p. 187).

هذا، وقد وُجِدَتْ طغراءا الملك «أوسركون الأول» مجهزتين بحلقة من أعلى ومن أسفل؛ لأنهما كانتا تؤلفان جزءًا من صدرية أو سوار.

وكذلك وُجدت قطعتان من جناح، وصل، ومربع من الذهب نقش عليه اسم الإلهة «وازيت»، وهي على الأرجح من صدرية مثل التي وجدناها في مقبرة «بسوسنس» و«أوندباوندد».

وهناك أشياء أخرى مستخرجة بلا نزاع من تابوت «تاكيلوت» سرقها عمال الحفر حديثًا، وبيعت لتجار الآثار (راجع PL. LVI)، وهاك قائمة بها:

(١) لوحة مستطيلة مزينة بطغراءي الملك «تاكيلوت الثاني».
(٢) ثلاث طغراءات باسم الملك «أوسركون».
(٣) لوحتان مربعتان مُحَلَّاتان بجعران.
(٤) علامة تيت (تمثال) وصلٌّ على رأسه قرص الشمس، وزهرة بشنين، وثلاث راحات أيدٍ، وكل هذه الأشياء لها حلقات لتنظم فيها.

وقد كان من جرَّاء تداول هذه القطع المدهشة في أيدي اللصوص أنْ قُطِعَ الخيط والشبكة التي كانت منظومة فيها، وهكذا نرى أن اللصوص القدامى قد فقدوا جزءًا من غنيمتهم لتقع في أيدي اللصوص الأحداث على مرأًى من المشرفين على أعمال الحفر.

هذا، ويدل الظاهر على أن «تاكيلوت» لم يترك شيئًا تشتهيه نفسه إلا وضعه في تابوته الذي اغتصبه من أحد رجال الدولة الوسطى، وها هو ذا بدوره تُغتصب منه حُلِيُّه وأثاثه الذي كان يعتز به كما كان صاحب التابوت الأصلي الذي ثوى فيه هذا الفرعون يعتز به.

(د) مقبرة «با-أري-مس-عا» (المقبرة رقم ٢)

هذا القبر ملاصق لقبر الملك «أوسركون الثاني»، ويحتمل أن يكون لشخص يدعى «با-أري-مس-عا» وقد وجد ضمن الأثاث الذي عثر عليه في قبره جعران نقش عليه المتن التالي: «يا «حرشف»، امنح «با-أري-مس-عا» شيخوخة جميلة.» ووجود هذا القبر بالقرب جدًّا من مقبرة «أوسركون الثاني» يحتمل تفسيره كما نفسر مقبرتي الرجلين الحربيين: «عنخفنموت» ابن الملك حاكم رعمسيس، والقائد «أوندباوند» في مقبرة الملك «بسوسنس»، وبذلك يكون قد سمح لزميل «أوسركون» في حمل السلاح أن يرتكز جدار قبره على جدار قبر مليكه حتى يسهر على حراسته في الآباد السرمدية كما فعل ذلك مدة حياته في عالم الدنيا.

(٥) تمثال الملك «أوسركون الثاني»

كشف «مريت» عن تمثال راكع من الجرانيت للملك «أوسركون الثاني» وبيده لوحة (راجع Petrie, Tanis Pl. XIV No. VI. p. 41 A. C. D.)، وقد برهن الأثري «دارسي» على أن هذا التمثال لم يكن كما ادعى «بتري» قد اغتصبه «أوسركون» من «رعمسيس الثاني». ونقوش التمثال تشمل صلاة للملك، ولكن الرحمات التي يصلي من أجلها لها أهمية سياسية عظيمة؛ إذ يرغب الفرعون في أن يحكم نسله على كهنة «آمون» العظام «ورؤساء» المشوش «وكهنة» أهناسية المدينة، وقد عرفنا مقدار قوة كهنة «أهناسية المدينة» من لوحة «حور باسن» التي تحدثنا عنها فيما سبق [راجع الأسرة الثانية والعشرون فراعنة الأسرة الثانية والعشرين]، وجَدُّ «حور باسن» هذا هو «نمروت» أحد أبناء «أوسركون الثاني» قد عينه الأخير الكاهن الأكبر للإله «حرشف» في «أهناسية المدينة» وحاكم الجنوب والقائد الحربي.

وقد كان توزيع البلاد بين هؤلاء الأشراف كما يأتي: كانت «طيبة» تسيطر على أقل تقدير على الأراضي التي بين بلاد النوبة السفلية حتى أسيوط.

وكانت «أهناسية المدينة» تسيطر على الأراضي من «أسيوط» حتى الدلتا.

هذا، وكان رؤساء «المشوش» يقبضون على زمام الأمور في مدن الدلتا كما كانت الحال من قبل، ومن ثم يظهر أن مصر كانت مقسمة في تلك الفترة تقسيمًا إقطاعيًّا، ولكن كانت كلها بحالة ما مسئولة أمام الفرعون الذي كان — على ما يظهر — يحكم في «بوبسطة»، وقد كانت صلاة «أوسركون الثاني»؛ لأجل أن يسيطر على هذه البلاد. وهاك ترجمة اللوحة ...[٩]

> ليت نسلي — البذر الذي خرج من أعضائي يحكم ... العظيم ... التابعين لمصر الأمراء الوراثيون: الكهنة العظام «لآمون» ملك الآلهة، والرؤساء العظام لقوم «مي» (المشوش) ... واللوبيون «كهك» (؟) كهنة الإله «حرشف» (حارسفيس) ملك الوجه القبلي والوجه البحري، في حين أني آمر خادمه أن يأتي إلى ... (١٠) وقد استمال قلوبهم نحو ابن «رع مري آمون» ابن «باست-أوسركون» (الثاني)، ليته يضعهم ... (١١) وإنك ستثبت أولادي في الوظائف التي أعطيتها إياهم، ولا تدع الأخ يبتهج على أخيه، (أما عن) الملكة «كارعمع» فليته يمنحها أن تقف أمامي في أعيادي هذه، وليته (١٢) يمنحها أن يكون أولادها الذكور، و... ليتهم يعيشون حتى يسيروا على رأس الجيش وحتى يحضروا لي ثانية تقريرهم عن ... (باقي المتن مهشم) (راجع Daressy, Rec. Trav. 18 p. 49; Br. A. R. IV §§ 745–7).

أما التمثال نفسه فهو قطعة فنية أصلية تدل على أن صناعة النحت كانت لا تزال في عهد هذا الفرعون حافظة لرونقها وبهائها في مدرسة النحت في الجرانيت، وهو كما قلنا يمثل الفرعون راكعًا منحنيًا بجذعه إلى الأمام ليقدم لوحة للإله وساقُه اليسرى إلى الخلف. ومما يؤسف له أنه وجد بدون رأس. وقد كتب اسم «أوسركون» على كتفه اليسرى، وألقاب الملك نقشت كاملة على القاعدة، أما اللوحة فقد كتب عليها المتن الذي ترجمنا ما تبقى منه. وعلى الرغم من أن النقوش تقول صراحة: إنه للملك «أوسركون الثاني»، فإن الأستاذ «فلندرز بتري» ينسبه للملك «رعمسيس الثاني»، ونحن نعرف ما الذي فعل هذا

[٩] السطر الأول من اللوحة مهشم.

الفرعون في «بوبسطة» وما فعله في «تانيس» في المعبد الشرقي؛ فقبره كان كله كما قلنا مبنيًّا من أحجار منزوعة من مبانٍ أخرى، ومن جهة أخرى نجد أن تمثال «أوسركون» هذا يشبه تمثالًا صغيرًا «لرعمسيس الثاني» قال عنه «لجران»: إنه من القطع الفنية الممتازة الموجودة الآن بالمتحف المصري (راجع Legrain, Cat. Gen. II No. 42142).

وكذلك نفهم من لوحة السنة الثامنة التي نقشها الفرعون «رعمسيس الثاني» أنه كان يميل إلى التماثيل التي من هذا الطراز (راجع A. S. XXXVIII. p. 217)، ومع كل هذا فإنا لا نلاحظ على تمثال «تانيس» أي أثر مادي يدل على أن «أوسركون الثاني» قد اغتصبه لنفسه، في حين أنا نجد تمثالًا اغتصبه «أوسركون» في «بوبسطة»، ويمكن مشاهدة وجود نقش قديم عليه (راجع Cat. Gen. du Musee du Caire. No. 540).

والواقع أن علماء الآثار المصرية يسلمون بسهولة أن النحاتين في العصر البوبسطي لم يكونوا مهرة لإنتاج قطع فنية جميلة، ولكنَّ كثيرًا من التماثيل التي كَشَفَ عنها «لجران» في خبيئة الكرنك يدل على أن هذا الحكم غير عادل، ولا أدل على ذلك من تمثال الملك «أوسركون الثالث» الذي يمثل هذا الفرعون راكعًا أمام سفينة مقدسة (انظر الصورة رقم ١٨)، وعلى ذلك فليس من شك في أن هذا التمثال من عمل «أوسركون الثاني».

(٦) أسرة الملك «أوسركون الثاني»

(٦-١) زوجاته

الملكة «كارعمع»: اختلف المؤرخون في تحديد عدد زوجات الفرعون «أوسركون الثاني»؛ ففي حين نجد «فيدمان» (راجع Wudemann. Gesch p. 555) و«بدج» (راجع Budge Hist. VI p. 80–81) يعترفان له بثلاث زوجات، نرى أن «بتري» (راجع Petrie. Hist. III p. 248) ينسب إليه أربع زوجات. ويقول «جوتييه»: إن له ثلاث زوجات فقط (راجع L. R. III. p. 341 Note 3).

وزوجته الأولى هي الملكة «كارعمع» التي تلقب مغنية بيت «آمون» والابنة الملكية «كارعمع»، كما جاء على لوحة عثر عليها «لجران» في مقصورة «أوزير» بمعبد الكرنك بالقرب من بوابة «تحتمس الأول»، وهذه اللوحة هامة جدًّا؛ لأنها تقدم لنا آخر تاريخ معروف في عهد «تاكيلوت الثاني» وهو السنة الخامسة والعشرون.

وجاء ذكر هذه الملكة في قاعة العيد بتل بسطة في السنة الثانية والعشرين من حكم زوجها. وتدل النقوش على أنها تسمى هنا الابنة الملكية والزوجة الملكية، ومن ثم نعرف أنها كانت من سلالة ملكية، ولكن لا زلنا نجهل اسم الملك والدها. هذا، وقد جاء ذكرها في أجزاء مختلفة في قاعة العيد «ببوبسطة» (راجع L. R. III p. 342)، ووجد لهذه الملكة جعرانان؛ أحدهما أعطته هدية لابنها «شيشنق» في عيد رأس السنة ونقش عليه المتن التالي: «فاتحة سنة سعيدة للأمير «شيشنق» المنتصر الأم «كارعمع».» (راجع Petrie, Hist. III p. 253)، والجعران الآخر نقش عليه: «الزوجة الملكية «كارعمع» المحبوبة.» (راجع Newberry, Scarabs. p. 185 Pl. XXXVII. No. 9).

هذا، وقد جاء ذكر «كارعمع» في مقبرة «حورنخت» بأنها أمه وزوج الملك «أوسركون الثاني».

الحظية «استمخب»: وُجِدَ لهذه السيدة أربعة أوانٍ للأحشاء محفوظة الآن بمتحف «فينا»، وعليها نقوش نفهم منها أن «استمخب» هذه كانت زوج الملك «أوسركون الثاني» وله منها ابنة تدعى «تس-بروباستت»، وقد تزوجت من ابن أخيها «تاكيلوت» الذي كان ابن كاهن بتاح المسمى «شيشنق»، وقد أنجبا ولدًا يدعى «بدوباست»، وهو الذي دفن في السنة الثامنة والعشرين من حكم الفرعون «شيشنق الثاني» العجل «أبيس» الثالث من عجول الأسرة الثانية والعشرين (راجع Chassinat. Rec. Trav. XXII p. 10)، وكذلك وُجد اسمها على قطعة حجر باسم الزوجة الملكية (راجع Momies Royales. p. 704).

الحظية «موت-حز-عنخس»: وقد جاء ذكر «موت-حز-عنخس» في لوحة «حور باسن» بوصفها زوج الفرعون «أوسركون الثاني» [راجع الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين]، في حين أن وثيقة أخرى معاصرة تذكر هذه الزوجة مع بعض تحريف خفيف في الاسم فتسميها «زد موت غنحس» (راجع A. S. T. XV p. 141)، وهذه الحظية كانت أم «نمروت» الذي كان يلقب الكاهن الأول للإله «حرشف»، وقائد جيش «أهناسية المدينة»، وأمير بلدة في الفيوم أخذت اسمها من «أوسركون الأول»، وكذلك كان الكاهن الأول للإلهة «موت»، ويُنسب إلى «نمروت» هذا سلسلة النسب الطويلة الخاصة بالكهنة الأُوَل للإله «حرشف».

(٦-٢) أولاده الذكور

نعرف حتى الآن من أولاد «أوسركون» الذكور أربعة وهم: «حورنخت» الذي كان يلقب الكاهن الأكبر «لآمون» وقد مات وهو لم يتجاوز التاسعة من عمره [انظر الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني]، ثم «شيشنق»، و«نمروت»، و«تاكيلوت».

الأمير شيشنق: وهو الذي أصبح ملكًا على البلاد باسم «حقا-خبر-رع»، تحدثنا عن كيفية الكشف عن مقبرته عند الكلام على مقبرة الملك «بسوسنس الأول» ويدعى «شيشنق الثاني».

الأمير «تاكيلوت»: وجد اسمه كما ذكرنا في مقبرة والده «أوسركون الثاني» [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني]، وكذلك وجد اسمه على نقش (راجع Rec. Trav. XXXV p. 133) لقب الأمير الوراثي ابن (؟) الكاهن سم «تاكيلوت» المبرأ رب الأرضين «سر ماعت رع ستبن آمون» رب تيجان الأرضين «أوسركون» وأمه ... ومما يؤسف له جد الأسف أن اسم والدته قد وجد مهشمًا، ومن المحتمل أن اسمها «عنخس أنست» (راجع L. R. III p. 344 Note 3).

الأمير «نمروت»: جاء اسم هذا الأمير على منظر في الكرنك، وفيه يحمل الألقاب التالية: الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة، والقائد لجيش «أهناسية المدينة» الأمير «نمروت» ابن الملك رب الأرضين محبوب «آمون» بن «باستت» «أوسركون» (راجع Maspero, Momies Royales p. 738. Rec. Trav. XXXI p. 3).

وكذلك وجد اسمه على هاون باسم ربة البيت «شابن سوبدت» ابنة «نمروت»، عَثَرَ عليه «بتري» في الرمسيوم، وهاك المتن: «أوزير» «شابن سوبدت» المبرأة، ابنة الكاهن الأول «لآمون رع» ملك الآلهة، وقائد جيش «أهناسية المدينة» «نمروت» ابن الملك رب الأرضين محبوب «آمون» «أوسركون» معطي الحياة. (راجع Rec. Trav. XXXI p. 3; & Quibell, The Ramesseum p. 20 Pl. II. F. No 8 & XXVII No. 8)، ووجد اسمه على لوحة «حور باسن» [انظر الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين].

(٦-٣) بنات «أوسركون الثاني»

الأميرة «تاشع خبر»: وجد اسمها منقوشًا على قاعة المعبد في «بوباسطة» (راجع Naville, Bubastis p. 52; & Pl. XLII &; The Festival Hall of Osorkon II, Pl. IV No. 1).

وهذه الأميرة هي ابنة الملكة «كارعمع» زوجة الملك «أوسركون الثاني» الشرعية.

الأميرة «كارع معت»: وتحمل نفس اسم والدتها، وقد تزوجت ابن أخيها «تاكيلوت» الذي صار «تاكيلوت الثاني» فيما بعد (راجع Maspero, Momies Royales p. 738 & p. 749).

(وله ابنة أخرى وُجدت في نفس المنظر الذي رُسم في قاعة المعبد؛ غير أنه مُحِيَ اسمها.)

الأميرة «تسباستت برو»: وجد لهذه الأميرة أربعة أواني أحشاء محفوظة الآن بمتحف فينا ونقش عليها اسمها ونسبها (راجع Maspero, Momies. Royales p. 748 & p. 749 Note 1)، وهذه الأميرة هي ابنة زوجته «استمخب» السالفة الذكر، ويظن «ماسبرو» أنها تزوجت مثل أختها «كارع معت» «تاكيلوت الثاني»، ولكن لم تلقب بلقب الملك. وجاء اسمها كذلك على لوحتين لأمير من الأسرة المالكة يدعى «بدو أزيس» عُثر عليهما في مدفن السربيوم وهما محفوظان في متحف اللوفر (راجع Rec. Trav. XXII p. 10-11).

«وبدو أزيس» هذا هو ابن رئيس «المشوش» «تاكيلوت» والأميرة «تسياستت برو».

والأميرة «تسباستت برو»: يحتمل أن أمها لم تكن من دم ملكي، ولم تتزوج أخاها «تاكيلوت الثاني» كما ظن «ماسبرو»، ولكن تزوجت من «تاكيلوت» آخر وهو ابن أخي الملك «تاكيلوت» الثاني وابن عم هذه الأميرة (راجع L. R. III p. 347).

(٧) تماثيل كبار الموظفين في عهد «أوسركون الثاني»

تحدثنا فيما سبق عن سلسلة نسب بعض الشخصيات الهامة في عهد ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وما كان لشجرة نسبهم من أهمية في معرفة تسلسل الملوك، ومكانة كل واحد

منهم بالنسبة للآخر في موضعه التاريخي، هذا بالإضافة إلى ما كان لهؤلاء الأشخاص أنفسهم من أثر في تاريخ هؤلاء الملوك وما نالوه من حظ؛ مما جعل بعضهم يصل إلى مرتبة لا يناهضهم فيها إلا الفرعون نفسه، على الرغم من أنهم لم يكونوا من أصل ملكي. ويلاحَظ هنا أن هؤلاء الأفراد كانوا كلهم يحملون لقب كاهن «لآمون» وغيره من الآلهة الآخرين الذين كانت عبادتهم سائدة في تلك الفترة، هذا بالإضافة إلى الألقاب المدنية الأخرى الرفيعة؛ فقد وصل بعضهم إلى مرتبة الوزير. ولا يفوتنا هنا أن نذكر أننا في سلسلة نسب هؤلاء العظماء نشاهد أن الكاهن يخلفه ابنه في وظيفته؛ مما يدل على أن هذه الوظيفة كادت تكون وراثية في هذا العهد، وقد ازداد التمسك بأمر وراثة هذه الوظيفة بوجه خاص حتى أصبح تقليدًا متبعًا في العهود التي جاءت بعد ذلك، مما جعل «هردوت» يقول: إن الوظائف كانت وراثية في مصر.»

والآن سنحاول هنا أن نتحدث عن بعض عظماء القوم في عهد «أوسركون الثاني» مما جاء على تماثيلهم من متون ونقوش.

(٧-١) تماثيل الكاهن «زد تحوتيفعنخ» المسمى «نختفموت»

كان من بين التماثيل التي كشف عنها الأثري «لجران» في خبيئة الكرنك أربعة تماثيل باسم «زد تحوتيفعنخ» المشهور باسم «نختفموت» (راجع Legrain, Cat. Gen. III No. 42206, 42207, 42208, 42209).

(أ) التمثال الأول

والتمثال الأول (رقم ٤٢٢٠٦) مصنوع من الجرانيت الأسود، وارتفاعه متر وأربعة سنتيمترات (راجع Ibid No. 42206, Pl. XIII)، مُثِّل قاعدًا على كرسي مكعب ويده اليمنى على ركبته ممسكة بمنديل، ويلبس شعرًا مستعارًا مسبلًا، وله عثنون على شكل منحرف، وجسمه ملفوف في عباءة تحتها جلباب وقميص آخر، وطراز هذا التمثال وتفاصيل ملابسه توحي بأنه من عهد الدولة الوسطى، والظاهر أن «زد تحوتيفعنخ» قد اغتصب هذا التمثال والتمثال الآخر الذي يحمل رقم ٤٢٢٠٧ الذي سنتكلم عنه.

نقوش التمثال

نُقش على العباءة التي يلبسها سطران جاء فيهما أن هذا التمثال هبة من الملك للكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة، والمشرف على خزانة آمون، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والسمير الوحيد العظيم الحب (المسمى) «زد تحوتيفعنخ»، وهو الذي يدعى «نختفموت» ابن الكاهن الرابع لآمون، وعَيْنَا الملك في الكرنك المسمى «زد خنسو فعنخ» المبرأ، وأمه تدعى «نسخنسو باخرد» ابنة «الكاهن الأول لآمون» حاكم الوجه القبلي المسمى «أوبوت» ابن الملك رب الأرضين محبوب آمون شيشنق.

ونشاهد على مقدمة الكرسي الذي يقعد عليه التمثال امرأةً في يدها زهرة البشنين ومنقوشًا تحتها المتن التالي: زوجة ربة البيت ضاربة الصاجات للإلهة «موت» (المسماة) «نسموت» تقول:

إنا نريد أن نعيش سويًّا
ولم يفرق بيننا إله
وإنك حقًّا لي حقًّا ولن أبتعد عنك
وإنك سبب متاعي
فاجلس خالي البال كل يوم
دون أن يصيبك أذى
لقد ذهبنا إلى أرض الأبدية
وعلى ذلك لن ينسى اسمنا
وما أجمل الوقت
الذي يرى فيه الإنسان نور الشمس!
في كل الأبدية
بمثابة سيد في الجبانة.

وعلى اليسار نشاهد امرأة أخرى، والمتن الذي تحتها ما يأتي: أخته محبوبته «باخرد-نموت» المعروفة باسم «شبن أست» تقول:

إنك تثوي هنا أبديًّا
وستبقى هنا سرمديًّا

وإني أراك يومًا فيومًا
وليس في استطاعتي أن أفارقك
وإني لمبتهجة بقلبٍ فَرِح
عندما أفكر في شبابك ثانية
فإني عندئذ أتحدث إلى أولادي بطريقتي
باستمرار عن جدهم وجدتهم.

ونشاهد على الجهة اليمنى من المقعد «زد خنسو فعنخ» قاعدًا على كرسي، وأمامه مائدة قربان، ومعه متن مؤلف من ثمانية أسطر يقول فيه: «الكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة، وعينا الملك في معبد «الكرنك» المسمى «زد خنسو فعنخ» المبرأ، يقول: لقد أتيت حقًّا لأطعم روحك، ولأكون منعمًا في ركابك؛ ولأكون روحًا عظيمًا في بيتك أبديًّا؛ ولأكون مقدسًا في معبدك، ولتجعلني بين المحظوظين المقربين في بيتك العظيم، وليكون قلبي صادقًا.»

وعلى الجهة اليسرى نشاهد «نسخنسو باخرد» قاعدة، وبيدها زهرة بشنين تشمها ومعها المتن التالي: ربة البيت «نسخنسو باخرد» ابنة الكاهن الأول لآمون المشرف على الوجه القبلي، «أوبوت» ابن الملك (محبوب آمون «شيشنق») تقول: «إني ابنة المشرف على الوجه القبلي، وأم كهنة عظام، محبوبة إلهي الذي جعلني محترمة من قومي، وجعلني عظيمة في مدينتي، ويجلني في بيته، وثبت نسلي في الكرنك، سيدة المعابد، وسِرْتُ خلف الإلهة «موت» سيدة بيت النسيج في كل خير، وإني أذكركم كنت كاملة ونشأ أولادي في المعبد.»

ونقش على ظهر مقعد التمثال سبعة أسطر جاء فيها: «الكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة، والكاهن الثاني للإله «خنسو» في «طيبة» «المثوى الجميل»، وكاهن (سم) للإله «سكر» في الكرنك (المسمى) «نختفموت» ابن الكاهن الرابع «لآمون» المسمى «زد خنسو فعنخ» وأمه هي «نسخنسو باخرد» (يأتي بعد ذلك أنشودة مديح).»

ومن نقوش تمثال هذا الكاهن نرى أولًا أنه كان يُنسب إلى أصل ملكي من جهة أمه التي كانت بنت الكاهن الأكبر «أوبوت» ابن الملك «شيشنق» الذي تحدثنا عنه فيما سبق، وثانيًا نرى كيف كانت أواصر الحب بينه وبين زوجته متينة، وأن موته كان سببًا في آلامها، ومن جهة أخرى نقرأ متنًا آخر لأخته يظهر فيه تعلقها به، وكيف أنها لا تنساه بل تتحدث لأطفالها عن مجد جدهم وجدتهم.

ويلاحَظ كذلك أن معظم هذه التماثيل التي كانت توضع في معبد الكرنك كان يعد وضعها هناك إنعامًا ملكيًّا، كما يُفهم من المتن أن الذين كانوا يضعونها هم أولاد هؤلاء الكهنة تخليدًا لذكرى آبائهم بعد أن يتعطف الملك بوضعها في هذا المعبد.

ومما يلفت النظر في نقوش هذه التماثيل أنها كانت تعد بمثابة سِجل يدون فيه كل شيء خاص لصاحب التمثال وأسرته والمعبودات التي كان يتعبد إليها؛ لذلك نجد أن اسم المتوفى ووالده وزوجته وأمه كانوا جميعًا يذكرون، كما كانت تدون ألقابه ووظائفه مرات عدة. ولا نزاع في أن ذلك كان يدعو إلى صنع التماثيل بصورة خاصة، فكانت تصنع إما جالسة على كرسي له قاعدة كبيرة وله ظهر عريض، أو كان يصنع جالسًا القرفصاء وتغطَّى كل جوانبه بالكتابة والنقوش من كل جهاته، وهذا الشكل الأخير من التماثيل كان الطراز السائد في هذا العصر كما سنرى بعد في معظم التماثيل التي وصلت إلينا من هذا العهد. هذا، وكان أحيانًا لا يكتفي صاحب التمثال بأن يمثَّل راكعًا وأمامه لوحة مغطاة بالنقوش والكتابة؛ بل نجد فضلًا عن ذلك أن الكتابة والصور كانت تملأ جوانب التمثال نفسه، يضاف إلى ذلك أنه كان يضع لنفسه عدة تماثيل حتى تبقى ذكراه دائمة وليكرر عليها كل ألقابه ومفاخره.

(ب) التمثال الثاني للكاهن «زد تحوتيفعنخ»

مصنوع من الجرانيت الرمادي، ويبلغ ارتفاعه مترًا وخمسة عشر سنتيمترًا (راجع Ibid Pl. XIV)، وقد مُثِّل في صورة رجل بدين بعض الشيء يجلس على كرسي مكعب ويرتدي شعرًا مستعارًا، وله لحية قصيرة، وثوبه يغطي جسمه من تحت الصدر حتى الكعب، وهذا التمثال يشبه في صنعه التمثال رقم ٤٢٠٣٤ من تماثيل الدولة الوسطى (راجع Legrain, Cat. Gen. I No. 42034).

النقوش

نقش على مقدمة ثوبه نفس الإهداء والألقاب التي نجدها على التمثال السابق، وكذلك كتب على القاعدة اسم زوجه «نسموت» ضاربة الصاجات للإلهة «موت» سيدة معبد «أشرو» (بالكرنك)، كما كتب اسم ابنته محبوبة قلبه «تاخرد نموت» التي تدعى «بشبن أستت» أيضًا.

ونقش على الجزء الأعلى الداخلي من المقعد من جهة اليمين متن مؤلف من أحد عشر سطرًا جاء فيها: «تقديم قربان للإله «آمون رع» رب تيجان الأرضين المشرف على الكرنك، والإله «بتاح سكر» رب «شتيت» (العالم السفلي)، والتاسوع الإلهي ... إلخ؛ ليعطوا قربانًا من البخور والماء البارد والطعام وأواني المرمر والنسيج، ومن كل شيء جميل طاهر مما في السماء وما في الأرض وما يحمله النيل من منبعه من الأشياء التي يعيش منها الآلهة، وكذلك نسيم الشمال العليل لأنف الكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة، والكاهن النائب على أعمال المؤسسات العظيمة، وحامل المبخرة أمام «آمون»، والمشرف على بيت مال «آمون»، وعينا الملك في الكرنك، والعظيم ... في القصر الملكي (المسمى) «زد تحوتيفعنخ» الذي يدعى «نختفموت» المبرأ ابن الكاهن الرابع «لآمون» في الكرنك، والكاهن الثاني للإلهة «موت» ربة السماء، وكبير المطهرين، ومدير الأعياد لبيت «خنسو»، والثاني بعد الملك في قصره، ولسان الفرعون في مقاطعات أرض الكنانة المسمى «زد خنسو فعنخ»، وأمه هي ربة البيت «نسخنسو باخرد» ابنة الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، والمشرف على الوجه القبلي «أوبوت» ابن الملك رب الأرضين (محبوب آمون شيشنق).»

ونقش كذلك أحد عشر سطرًا على الجزء الأعلى من جهة اليسار من القاعدة: وقد جاء فيها: «تقديم قربان لآلهة آخرين وهم: «خنسو» في «طيبة» المثوى الجميل رب فرح القلب، والإله «تانن» رب الآلهة، والإله «شو» بن «رع»، «وتحوت» سيد «أيون» الجنوبية (طيبة الغربية)، والإله العظيم الأزلي «أوزير» أول أهل الغرب، والإله العظيم رب العرابة وحاكم الأبدية الذي يذهب إليه الذين لا وجود لهم (الأموات)، والإله «أنوب» المشرف على ساحته، وآلهة الجبانة؛ ليعطوا الكاهن الخبز (وبقية أنواع القربان) للكاهن الرابع «لآمون رع» ملك الآلهة، والكاهن الثاني للإله «خنسو» في «طيبة» المثوى الجميل، والمشرف على المكان الطاهر الرئيسي الخفي في كل مقصورة فاخرة، والملاحِظ العظيم في معبد الكرنك (المسمى) «نختفموت» المبرأ، سيد السرور صادق القول «أوزير» ابن الكاهن الرابع ملك الآلهة، والكاهن نائب المؤسسات العظيم المسمى «زد خنسو فعنخ» المبرأ، لأرباب «طيبة» في مقاطعة «آمون».»

ونقش على ظهر قاعدة التمثال سبعة أسطر ذكر فيها ألقابه، ثم نداء لكل الكهنة وكل من يزور قبره أن يطلبوا له القربان المعتاد مما يقدم في المعبد.[١٠]

(جـ) التمثال الثالث

لنفس الكاهن «نختفموت» وهو مصنوع من المرمر، وارتفاعه سبعون سنتيمترًا (راجع Ibid. III Pl. XV XVI)، والتمثال ممتاز في صناعته، وطرازه رشيق، مُثِّل قاعدًا القرفصاء وأمامه لوحة نقش عليها خمسة وعشرون سطرًا، ويرتدي شعرًا مستعارًا صُف صفوفًا أنيقة تظهر من تحتها الأذنان، وقد أسبل شعره على كتفيه، ويرتدي ثوبًا ذا ثنيات وله كمان قصيران فوقهما جلد فهد.

النقوش

نقش على شريطِ جلدِ فهدٍ المتنُ التالي: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، الثور القوي في «طيبة»، ملك القطرين (وسرماعت رع ستبن آمون) ابن «رع» (محبوب آمون «أوسركون») محبوب «آمون رع» رب عروش الأرضين، والمنسوب للإلهتين: «وازيت» و«نخبيت»، وضام الأرضين مثل ابن «إزيس» الذي ضم إليه التاجين في سلام، وحور الذهبي عظيم القوة وضارب المنتو (البدو) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسر ماعت رع ستبن آمون) بن «رع» (محبوب آمون «أوسركون») محبوب «آمون رع» ملك الآلهة معطي الحياة.»

ونقش متن مؤلف من ستة عشر سطرًا على حافة اللوحة، وهذا المتن مهشم بعضه، غير أننا نعلم منه أن هذا التمثال قد أهداه الملك رب الأرضين (آمون رع حورسا إزيس) للكاهن الرابع والمشرف على المؤسسات العظيمة لآمون في الكرنك، وكذلك جاء فيه أن أمه هي ابنة «الكاهن الأول لآمون رع» ملك الآلهة والمشرف على الجنوب … «أوبوت» ابن الملك رب الأرضين (محبوب آمون شيشنق)، أما اللوحة التي أمامه فتحتوي على خمسة وعشرين

---

[١٠] كان غرض صاحب التمثال من وضعه في المعبد أن يكون بجوار الإله العظيم آمون والآلهة الأخرى من جهة، وكذلك ليتمتع بالقربات التي كان يقدمها الفرعون لهؤلاء الآلهة، وإذن فلا داعي لعمل قربان خاص لتمثاله لتأكل منه قرينه (كا) يوميًّا.

سطرًا، والجزء الأعلى من الجزء المستدير مهشَّم واللوحة بها التهشيم، والمتن يحتوي على تسبيح للإله «آمون رع» ملك الآلهة ورب السماء ورب الأرض ورب المياه ورب الجبال والمحيط … وهذا التسبيح يتضرع به الكاهن الرابع «نختفموت» فيقول: «إني أنادي عظمتك أمام وجوه كل الآلهة، وأقص نعماءك وفضائلك على الناس؛ لأنك النور الذي يطلع على العالم، وأتون الذي يعطي الضوء ليجعل الناس يفرقون بين الآلهة والناس، وتعطي الحياة كل إنسان ليرى جمال ضيائك، وكل الحَبِّ ينبت عندما يرى ضوءك، ولا يوجد شيء حي لا يعرفك، وإنك تقود الناس (؟) … وتمدهم بطعامهم، وتضع صورهم حسبما ترى، وتضع كل إنسان على جانبه؛ فتضع على اليمين الذين يتضرعون إليك، وعندما يبتعد عنهم ضوءك في أثناء الليل … إلخ.»

والنقش الذي على الجزء الأيمن من اللوحة مُثِّلت فيه «نسموت» واقفة رافعة يدها اليسرى، وفي يدها اليمنى زهرة بشنين، ونقرأ تحت صورتها ما يأتي:

> ربة البيت «نسموت» تقول: يا أمون، إنك قانون الآلهة والناس أيضًا، وإنك ناصر للحي وناصر للميت، وإنك ترد جواب التعس، وتصد من هو قوي الساعد، والآلهة يتضرعون بأيديهم إلى اسمك، وكذلك الأقاليم والبلاد الأجنبية، وإني خادمتك التي تعمل النافع لأجل أن تعظم قوة البنك «شبنأست» فامنحها طعامًا كثيرًا من طعامك، وأَمِتْ ذبحًا هؤلاء الذين يتعدون عليها؛ فإنك الحامي الأبدي.

وكذلك مثِّلث «شبنأبت» على الجزء الأيسر ومعها نقش كتب فيه اسمها الابنة «تاخرد نموت» التي تدعى «شبنأبت»، وتتضرع في بقيته للإله.

(د) التمثال الرابع للكاهن نختفموت

من الحجر الجيري، وارتفاعه ٤٢ سنتيمترًا (راجع Legrain, Ibid. p. 24 Pl. XVII)، مثِّل قاعدًا القرفصاء، ويقبض بيديه أمامه على تمثال الإله «بتاح» واقفًا، ويلبس «نختفموت» شعرًا مستعارًا جميلًا ذا فروق أنيقة.

النقوش

نقش على الجزء الأعلى من ظهر العمود الذي يرتكز عليه الإله «بتاح» ما يأتي: «المبجل بجوار «منتو» رب طيبة «نختفموت»».

ونقش على قاعدة تمثال بتاح ما يأتي: «بتاح» القاطن جنوبي جداره رب «عنخ تاوي» (منف). وعلى الجزء المسطح من قاعدة التمثال كتب: «المقرب من «بتاح سكر» «نختفموت» المبرأ.»

وعلى القاعدة من جهة القدم اليمنى نقش: «الكاهن الرابع لآمون «نختفموت» واسمه الجميل «زد تحوتيفعنخ».

ونقش على ظهر التمثال أربعة أسطر عمودية وهي:

> الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، وقاضي القضاة، وثقة الملك في الكرنك، ورئيس أسرار الملك في كل أماكنه، والكاهن نائب «آمون»، والكاهن الثاني، والكاهن الرابع للإله «خنسو»، والإله «سكر» القاطن في «الكرنك»، وكاهن الإله «أوزير» رب «بوصير» القاطن في «الكرنك»، والكاهن الثاني للإلهة «موت» ربة «أشرو»، ومدير القربان الإلهية، والكاهن الرابع لآمون «نختفموت» المبرأ.

وهكذا نرى أن «نختفموت» قد بلغ ذروة المجد في عهد «أوسركون الثاني»، ومن بعده الفرعون «حورسا إزيس»؛ فقد جمع في يديه معظم الوظائف العالية في الدولة حتى كان في النهاية وزيرًا، وربما يرجع الفضل في ذلك إلى أنه كان يصاهر أحد أبناء الفراعنة.

وهذه التماثيل يمدنا ما جاء عليها من أسماء بسلسلة النسب لأسرة هذا الكاهن منذ أواسط القرن الحادي عشر ق.م حتى عهد «أوسركون الثاني» (٨٧٩ق.م)، وسنلخص تاريخ هذه الأسرة من شجرة النسب التي جاءت على هذه التماثيل.

حوالي أواسط القرن الحادي عشر قبل الميلاد كان يوجد بمدينة «طيبة» شخص يدعى «بن» يشغل وظيفة الكاتب الملكي في معبد «آمون»، ومن المحتمل أنه كان كاتبًا لمعبد «رع» في الضيعة العظيمة لإله «طيبة»، وقد عاش مغمور الذكر؛ لذلك لم يرث ابنه «أوسيرحات-مس» إلا وظيفته، وقد ورَّثها الأخير لابنه «باحمنتر» الذي أنجب بدوره ابنًا أسماه «ثانفر» الذي أنجب «نسرأمون»، وكان الأخير والدًا لشخص يدعى «يمحتب»، وقد خلفه «نفر-خع» ثم «مر-وسر-خنسو» ثم «بادوخنسو» وأخيرًا «خنسو-محف»، وكان

هؤلاء الأفراد محبوبين لدى الإله، وأصحاب حظوة عند الملك؛ إذ كانوا يشغلون وظائف كتبة ملكيين ومديري أعياد سباق الخيل.

وقد كان أفراد هؤلاء الأسرة يصعدون في مدارج العلا شيئًا فشيئًا، وكانوا ينتظرون فرصة سانحة مواتية للنهوض مرة واحدة، وكانت السلطة وقتئذ في «طيبة» تنحط من يوم لآخر، وكان أمراء «تانيس» وأمراء «بوبسطة» يطمحون نحو التسلط على مصر كلها.

وفي تلك الفترة ذكر لنا علَى مرسى الكرنك «مقياس النيل» السنة الثانية رئيس المشوش «شيشنق» السنة الثانية من حكمه، وفي هذا الوقت على وجه التقريب كان يعيش «نسبير-نب» بن «خنسو محف»، وهو يعد النسل العاشر المنحدر من «بن» جد الأسرة التي نتحدث عنها، ونحن نشك في الدور الذي كان يلعبه وقتئذ، ولكن الألقاب الجديدة التي أضافها لنفسه فضلًا عن الألقاب التي كان يتمتع بها أجداده تُظهر أن الحظ كان قد بدأ يبتسم له؛ إذ كان يلقب «سمير الفرعون»، و«عيني ملك الوجه البحري»، و«أذني ملك الوجه القبلي»، «والذي يرى الفرعون في قصره»؛ (أي إنه كان يُسمح له برؤية الملك في حريمه)، والذي يملأ قلبه في سكنه (الخاص). وفي تلك الفترة كان قد أرسل الملك ابنه «أوبوت»؛ ليشغل وظيفة الكاهن الأول «لآمون»، وقد وَجَدَ «أوبوت» هذا أن «نسبير-نب» وابنه «زد خنسو فعنخ» على استعداد للترحيب به واستقباله استقبالًا حسنًا والعمل على مناصرة أسرته الجديدة، ويتجلى ذلك في كلمات «زد خنسو فعنخ» عندما قال على تمثاله: «لقد كنت مخلصًا للإله الطيب «شيشنق الأول» الذي جدد نسل الأسرة، وكنت أمينًا لتعاليمه.»

وكان «لأوبوت» بن «شيشنق» ابنة تدعى «نسخنسو باخرد» فزوجها من «زد خنسو فعنخ»، وكان الأخير بطبيعة الحال قد وصل إلى مرتبة عالية، وأصبح يشغل وظائف كثيرة في الدولة، فكان يحمل لقب الكاهن الرابع، ونائب «آمون»، ورئيس حملة المباخر أمام صندوق «آمون»، وكاهن الإلهة «موت» زوج الإله «آمون» والإله «خنسو» ابنها. وكذلك كان يلقب «عيني ملك الوجه البحري» في الكرنك، و«المنفذ لمشروعات ملك الوجه القبلي»، و«حاكم الوجه القبلي»، و«حامل المروحة على يمين الملك»، وغير ذلك من الألقاب الفخرية وغير الفخرية.

ولا نزاع في أن رُقيَّه كان سريعًا وكانت من نتائجه تغيرات سياسية، وقد أثنى «زد خنسو فعنخ» على نفسه كثيرًا على ملأ من العالم، ولا أدل على ذلك من التمثال الذي عثر عليه الأثري «دارسي» في الأقصر؛ فقد نقش عليه قصيدة كلها مدح وإطراء لنفسه.

ومن جهة أخرى لم تنسَ زوجة «نسخنسو باخرد» أصلها الملكي العريق؛ فقد كانت السيدة النبيلة ابنة الكاهن الأول حاكم الوجه القبلي «أوبوت» بن «شيشنق الأول» ملك مصر.

وقد أنجبت هذه السيدة الكريمةُ المَحْتِد ثلاثةَ أطفال من زوجها «زد خنسو فعنخ»؛ ابنتان وهما: «نسموت» وقد تزوجت من «حورخب»، و«زدموت أسعنخ» وتزوجت من «باكنخنسو»، وولد يدعى «زدتحو تيفعنخ».

وكان يلقب باسم آخر هو «نختفموت» وقد حدث ذلك في عهد الملك «أوسركون الثاني» ونحن نعلم من جانبنا أنه منذ أن تولت الأسرة البوبسطية مقاليد الحكم في «طيبة» حدثت أحداث عظيمة في نظام الحكم فيها، إذ نجد أن وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» التي كان يشغلها «أوبوت» قد نصب فيها «شيشنق» ابن الملك «أوسركون الثاني» ثم تخلى «شيشنق» هذا طوعًا أو كرهًا لآخر يدعى «حورسا إزيس» الذي نجهل نسبه للأسرة المالكة إلا إذا كان كما يقال هو ابن «شيشنق» هذا كما سنرى بعد. ومهما يكن من أمر فإن «أوسركون الثاني» قد أشرك «حورسا إزيس» هذا معه في الحكم وظلَّا يحكمان سويًّا حتى السنة الثالثة والعشرين من حكم «أوسركون الثاني» وبعد ذلك استولى «حورسا إزيس» على كل شارات الملك وظهر وحده ملكًا على مصر. ويدل ما لدينا من نقوش على أنه قد تمتع بالاستقلال بالملك تمامًا كما سنرى بعد.

وعلى أية حال فإن حقوق الملك قد بقيت مقدسة؛ إذ ظلت ألقاب «أوسركون الثاني» الملكية على الآثار التي من عهد «حورسا إزيس» سليمة ممَّا يدل على أنه لم يكن هناك اغتصاب.

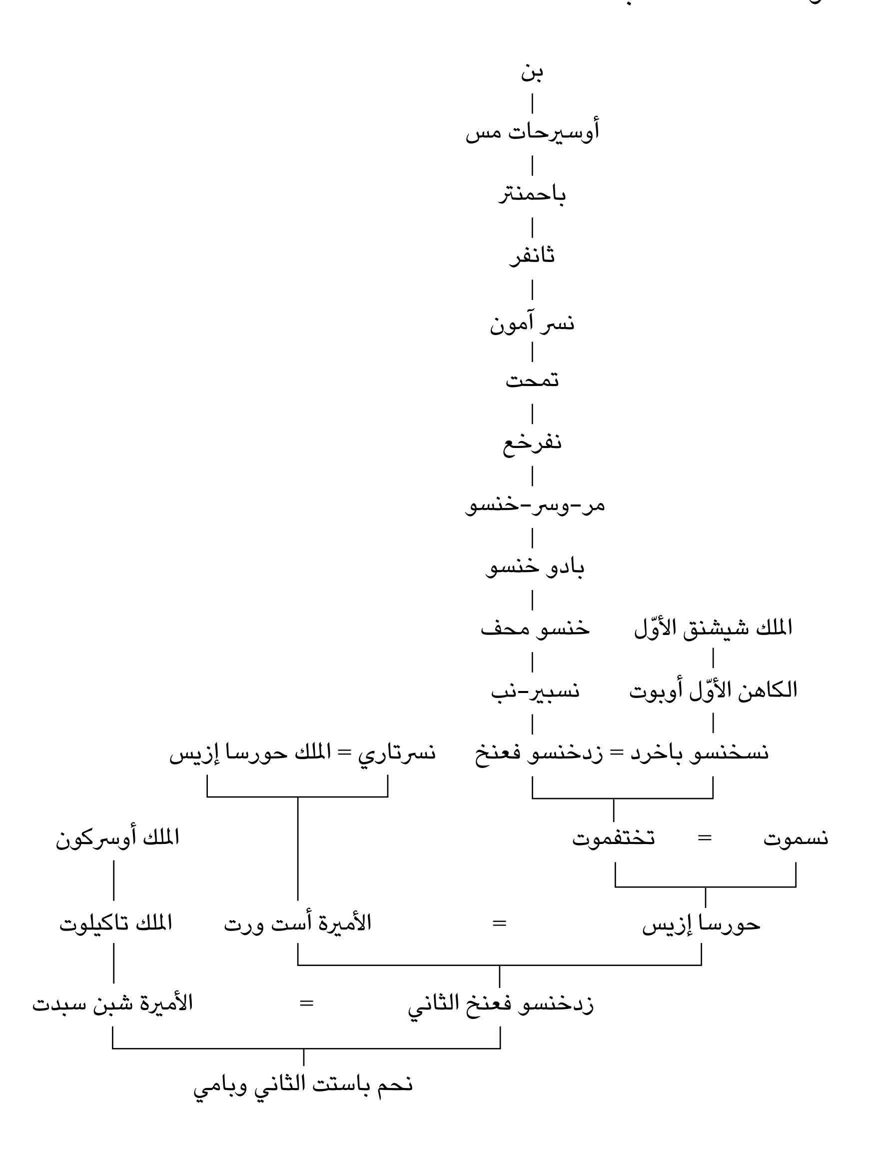
وقد تزوج «حورسا إزيس» من سيدة تدعى «نسريت ثاوى» والظاهر أنها لم تكن من دوحة أسرة عريقة في النسب وقد أنجب منها طفلين — على أقل تقدير — وهما الأميرة «است ورت» وابنٌ عيَّنه كاهنًا أكبر للإله «آمون» (راجع Rec. Trav. XXVII. p. 76).

وعندما اختفى «حورسا إزيس» من مسرح الحكم تولى بعده حكم البلاد «تاكيلوت» ابن «أوسركون الثاني».[11]

---

[11] ولدينا لوحة من العرابة المدفونة وملاحظة كتبها الأثري «دارسي» نفهم منهما أن هذا الأمير كان في الواقع «تاكيلوت الأول» وأن حكمه مكث على أقل تقدير نحو ثلاث وعشرين سنة (راجع Buraante, Deux. Steles Trouvés à Abydos, Notes addinouelle Rec. Trav. XXVII p. 76).

وهاك سلسلة النسب:



أما «نختفموت» الذي نحن بصدده الآن فله قصة أخرى، فهو صاحب التماثيل الأربعة التي ذكرناها من قبل، وقد عاش في العهد الذي كان يشترك فيه كل من «أوسركون الثاني»

و«حورسا إزيس» في حكم البلاد، وقد تزوج من سيدة عريقة النسب تدعى «نسموت» فأنجبت له طفلين: ذَكَرٌ أَسْمَاه «حورسا إزيس»، وأنثى تدعى «شبن-أست»، وقد قص علينا والد هذه السيدة المتاعب والمضايقات التي صادفها بالتطويل. والظاهر من هذه القصة أن «شبن-أست» كانت سيئة الحظ في زواجها وانتزع منها طفليها، ولم يتحدث والدها عن شيء إلا عزمه على قتل من هدر كرامة ابنته، وفي نهاية الأمر دُعِيَ للمثول أمام الملك، وقد حضر مرتديًا ملابس كتان جميلة، وأظهر أمام الملك الشارات التي تدل على أنه من أبناء الملوك، والتي كان له الحق في التحلي بها بوصفه من نسل «شيشنق الأول».

وقد أعلن للملك «حورسا إزيس» بكل الصيغ اللازمة في هذا المقام أنه يريد أن يؤسس إقطاعية لابنته «شبن-أست»، وبعد ذلك وضع ابنته وما تملك تحت حماية الملك، وبعد أن نال رغبته طلب إلى الفرعون الانتقام من الذين انتزعوا طفلَي ابنته ثم تركوهما، ولما كان طلبه موضوعًا في قالب قوي فإنه وجد قبولًا حسنًا من الفرعون، وبفضل حماية الملك أعيد إلى السيدة «شبن-أست» طفلاها في اليوم نفسه (راجع Legrain, Cat. Gen. III No. 42208)، وكان «نختفموت» وقتئذٍ يشغل مركزًا هامًّا في طيبة، فكان يملك الأملاك العظيمة التي ورثها من أبيه وأمه، هذا فضلًا عما ناله من الحظوات والإنعامات التي أغدقها عليه الفرعون وقتئذٍ بسبب الخدمات التي قدمها له؛ فقد كان مستشارًا ملكيًّا، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والكاهن الرابع «لآمون»، وخازن بيت مال آمون، وكاهن كل من الإلهة «موت» والإله «خنسو» ... إلخ، وقد أنعم عليه الملك بأن يضع ثلاثة تماثيل له في معبد الكرنك، وقد تُوِّجت أفضال الملك عليه بأن زوج ابنته الأميرة «أست-ورت» لابن «نختفموت» المسمى «حورسا إزيس»، وقد كان للأخير حظ لامع في بلاط الفرعون؛ فقد مُنح فضلًا عن الألقاب التي كان يتمتع بها والده الألقابَ التالية: الأمير الوراثي، والرجل الذي يحمل قلادة الملك، وقد سار «حورسا إزيس» هذا على نهج سياسة أسرته التي كانت تتطلع دائمًا إلى العلا، وقد وصل بذلك للمرة الثالثة أن يزوِّج أحد أولاده الذكور بأميرة من البيت المالك، وبذلك يزيد في عقد أواصر النسب بينه وبين الفرعون؛ فقد زوج ابنه «زد خنسو فعنخ» من الأميرة «شبن-سبدت» ابنة «تاكيلوت» وحفيدة «أوسركون الثاني» [انظر شجرة النسب الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني].

هذا، وقد كان «زد خنسو فعنخ» قد تقلب في وظائف أعلى من التي كان يتمتع بها أجداده، فلم يبقَ من الوظائف العليا شيء لم ينله إلا لقب الملك الذي لم يكن يحمله، والواقع أنه كان ملكًا غير متوَّج، وهكذا نرى في نحو ثلاثة قرون خمسة عشر جيلًا تسير

وئيدًا نحو الحظ السعيد الذي جلبه لها تولي ملوك الأسرة الثانية والعشرين؛ فقد نال منها «زد خنسو فعنخ» فخارًا ومجدًا، وإليه يرجع الفضل بوجه خاص في أننا عرفنا سلسلة دوحة أسرته العريقة في القدم، وقد ختم قائمة نسبه بقوله: «إن الواحد منهم هو ابن الآخر في هذا البيت، ومن والد لولد منذ زمن الملوك» (راجع Legrain, Cat. Gen. No 42211 p. 28–32).

(٧-٢) تمثال الكاهن حورسا إزيس

وُجد لهذا الكاهن تمثال في خبيئة الكرنك (راجع Legrain, Ibid. Pl. XVII–XIX)، وقد مثِّل قاعدًا القرفصاء على قاعدة وذراعاه مطويتان على ركبتيه، ويبلغ ارتفاعه سبعة وخمسين سنتيمترًا … وصناعته ممتازة، وطرازه جاف بعض الشيء وذلك من مميزات هذا العصر، والتمثال سليم عدا جزء من الأنف، وقد نُحِتَ في قطعة جميلة من المرمر.

(أ) النقوش

نقرأ على الجزء الأعلى من التمثال بين كتفيه المتن التالي: «عمله ابنه ليحيا اسمُه المشرف على خزانة رب الأَرَضِينَ «زد خنسو فعنخ» الذي وضعته «أست ورت» ابنة الملك الفرعون رب الأرضين (محبوب آمون «حورسا إزيس»).»

وعلى مقدمة التمثال نقش متن يغطِّي من الركبتين حتى طرفي القدمين؛ يتحدث فيه عن الأعياد العامة التي كانت تعقد في «طيبة» منها عيد الأقصر وعيد الوادي، وكذلك يذكر لنا بعض ألقابه ويقول: إنه ابن «نختفموت».

وعلى الجانب الأيمن من التمثال متن مؤلف من عشرة أسطر أفقية جاء فيها: «عمله (أي التمثال) ابنه ليحيا اسمه الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على خزانة الفرعون «زد خنسو فعنخ»، وأمه الابنة الملكية من ظهره «أست ورت» يقول: يأيها الآلهة الذين يوجدون بجانب تاسوع هذا المعبد اجعلوا بسحركم والدي «حورسا إزيس»؛ ليكون في ركاب الإله «سكر».» ثم يستمر بعد ذلك المتن طالبًا للمتوفى كل ما يلزم له من متع الحياة الأخرى؛ لأنه كان محبوبًا وممدوحًا في بلدته «طيبة».

وعلى الجهة اليسرى للتمثال عشرة أسطر أفقيه يتكلم فيها «زد خنسو فعنخ» عن مناقبه، ويقول: إنه أقام هذا التمثال على غرار ما كان يفعله الأجداد.

وعلى ظهر التمثال نقشت ستة أسطر عمودية جاء فيها: «الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري ... والمشرف على خزائن رب الأرضين «حورسا إزيس» ابن مثيله (في الوظائف السابقة) «نختفموت» المبرأ، إن فاك يُفتح بوساطة الإله «بتاح»، وفاك يفتح بوساطة الإله «سكر»، والإلهُ «بتاح» يعطيك قلبك في جسمك ... إلخ»

هذا، ويلاحظ أنه يوجد وجه شبه كبير بين هذا التمثال وتمثال «نختفموت» رقم «٤٢٢٠٨».

(٧–٣) تمثال الكاهن «باكنخنسو»

وُجد لهذا الكاهن تمثال من الجرانيت الرمادي يبلغ ارتفاعه اثنين وخمسين سنتيمترًا (راجع Legrain, Ibid. 42213 Pl. XXII)، مثِّل هذا التمثال قاعدًا القرفصاء على مخدة مستديرة وذراعاه مطويتان على ركبتيه.

(أ) النقوش

نُقش على الكتف الأيمن للتمثال طغراء الفرعون:

(وسرماعت رع ستبن آمون) (محبوب آمون «وسركون»).

ويشاهد على مقدمة التمثال منظر مثِّل فيه الإلهان: «آمون» و«أوزير» واقفين يتسلمان صورة العدالة، يقدمها لهما رجل يرتدي ملابس كاهن وقدماه حافيتان. ونقش أمام الإله «آمون»: «آمون رع رب تيجان الأرضين، رئيس الكرنك ورب السماء.» وأمام «أوزير»: «أوزير المحبوب حاكم الأبدية.»

وأمام الكاهن: «أوزير كاهن آمون رع ملك الآلهة ... «باكنخنسو» المرحوم.» وفوق هذا المنظر نقش ستة أسطر: «عمله له ابنه ليحيا اسمه كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والذي يرى الملك في بيته الفاخر، والرئيس الذي يدير بيت «آمون» من الدرجة الأولى، وكاتب المعبد «لأوزير» رب العرابة «زد باستت عنخف» ابن مثيله (في المكانة) «باكنخنسو».»

ونقش من ركبته اليمنى حتى الكتف اليسرى متن مكون من ثلاثة عشر سطرًا عموديًّا جاء فيها تقريبًا: «قربان يقدمه الملك «لآمون» رب التيجان، ورئيس الكرنك، ورب الكل، وحاكم «التاسوع»، و«أوزير» أول أهل الغرب، ورب العرابة نور العالم السفلي

(دوات) الذي على رأس الجبانة، و«بتاح سكر» رب المعبد، و«أنوبيس» الذي في «أوت» (لفائفه) رب الأرض العالية المقدسة (الجبانة)، و«التاسوع» الكبير و«التاسوع» الصغير الذين في السماء والذين في الأرض والذين في الجنوب والذين في الشمال والذين في الغرب والذين في الشرق، والآلهة الذين في العالم السفلي؛ ليعطوا ألفًا من الخبز، وألفًا من الجعَّة، وألفًا من النبيذ والبقر والإوز، وألفًا من … وألفًا من العطور، وألفًا من النسيج، وألفًا من آنية الماء، ومن كل خضر يخرج على ظهر الأرض، وقربانًا من كل شيء طيب طاهر تمنحه السماء وتنتجه الأرض ويحمله النيل من منبعه وبيديه اللتين تجعل فيضانه طاهرًا، وما يقدمه «تحوت» من قربان «لأوزير» كاهن «آمون» الكرنك وعينا الفرعون في معابده الستة، والذي في قلب الفرعون في بيته (أي ثقته) «باكنخنسو» المبرأ.» وبعد ذلك يتحدث عن المكانة العلِيَّة التي كانت له في قصر الفرعون وفي حضرة الفرعون وفي الأعياد التي تقام في الجنوب، وبخاصة العيد الثلاثيني.

ونقش حول قاعدة التمثال المتن التالي:

> عمله ابنه ليحيا اسمه؛ أي كاهن «آمون» الكرنك، والذي يرى قرص الشمس الموجود في «طيبة»، والمشرف على دخائل معبد «آمون» من الدرجة الأولى المسمى «زد باستتعنخ» الذي وضعته ضاربة الصاجات في معبد «آمون» «زد موتف اسعنخ»، وأمها «نسخنسو باخرد» ابنة الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة «أوبوت» ابن الملك رب الأرضين (خبرحزستبن رع) ابن الشمس رب التيجان (محبوب آمون شيشنق) معطي الحياة والثبات والعافية مثل «رع أبديًّا».

ومن هذا النقش الأخير نعرف أن هذا الكاهن كان منحدرًا من نسل ملكي من جهة أمه، ولا غرابة إذن في أن نجده يتمتع بمناصب عليا في الكرنك.

(٧-٤) تمثال الكاهن «نب-نترو» بن «نسر آمون»

(راجع Legrain, Ibid. No. 42225 Pl. XXXII & Rec. Trav. XXX, (1908). p. 165).

وجد لهذا الكاهن تمثال في خبيئة الكرنك، وقد مثِّل قاعدًا القرفصاء على مخدة مستديرة وذراعاه على ركبتيه، وفي يده اليمنى نبات، واليسرى مبسوطة على ركبته، ويلبس على رأسه شعرًا مستعارًا ذا فروق أنيقة، وجسمه ملفوف في لباس لم يُظْهِرْ من جسمه شيئًا إلا الرأس واليدين.

(أ) النقوش

نُقِشَ طغراءان باسم الفرعون «أوسركون الأول» ولقبه: (محبوب آمون) (أوسركون) (وسرماعت رع ستبن آمون) الأول على الكتف اليمنى، والثاني على الكتف اليسرى، وكل منها موضوع على قوس، ونقرأ كذلك على الكتف اليمنى بجانب الطغراء ما يأتي: «الكاهن الأول لآمون «حورسا إزيس»».

ورسم على مقدمة التمثال المنظر التالي: الآلهة: «آمون» و«رع» و«بتاح» و«أوزير» يقفون ملتفتين نحو اليمين، وقد كتب مع كل إله متن قصير يبين نعوته.

وقد كتب تحت هذا المنظر ثمانية أسطر ذكر فيها اسم صاحب التمثال وألقابه، وكذلك اسم والده وألقابه: «الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري كاهن آمون «طيبة»، وكاتب السجلات الملكية «نب نترو» ابن عمدة المدينة، والوزير وفم «نخن» (حاكم بلدة نخن) «نسر آمون»، ووالدته هي «موت حتب» يقول: إني واحد ذكي جدًّا في بلدته مبجل، وإني العظيم الذي وضع في معبد آمون ليفتح باب السماء (أي قدس الأقداس)، والذي يُرى تمثاله الذي في الأفق، والذي يدخل القصر المقدس ويرى حور ... إلخ.» وبعد ذلك يذكر في هذا المتن أنه وصل إلى سن ست وتسعين سنة عندما عمل هذا التمثال.

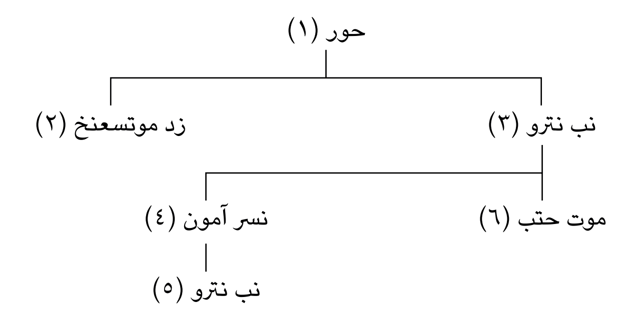
وعلى جانب التمثال الأيمن نقش ثلاثة عشر سطرًا ذكر فيها كذلك ألقابه ونسبه فيقول ما معناه: يعيش الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري، والكاهن الذي يفتح باب السماء (قدس الأقداس) في «طيبة»، والكاهن الرائي العظيم (لقب الكاهن الأعظم في عين شمس) الذي يسر قلب «رع أتوم» في «طيبة»، والذي يدخل القصر الفاخر، وعينا الملك في البلاد ... وكاتب الملك في أرض الجنوب «نب نترو» ابن الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري، وكاهن «آمون» في الكرنك، وعمدة المدينة، والوزير، والقاضي حاكم «نخن»، ومرشد كل الأراضي، ومدير ملابس الفرعون، وكاهن «ماعت» «نسر آمون» ابن الكاهن فاتح باب السماء (قدس الأقداس) في «طيبة»، والكاهن الأول للإله «منتو»، وصديق الملك في القصر، وحامل المروحة على يمين الفرعون، والكاتب الملكي للسجلات في القصر «نب نترو» (يأتي بعد ذلك تمنيات للمتوفى).

وعلى الجانب الأيسر متن مماثل مؤلف من ثلاثة عشر سطرًا ذكر فيه ألقاب «نب-نترو» وألقاب والده «نسر آمون» ثم اسم والد الأخير وألقابه، وهي: كاهن «آمون»، وكاتب الملك للسجلات (المسمى) «تر».

ونُقش على ظهر التمثال أربعة أسطر جاء فيها ألقاب «نب نترو» السابقة، هذا إلى أنه كان المشرف على كهنة كل الآلهة، ومدير كل آثار معبد آمون.

وعلى الجزء المسطح من قاعدة التمثال نقش سطر يشمل بعض ألقابه واسم أمه المسماة «زد مو تسعنخ»، وفي سطر آخر على قاعدة التمثال ذكر الإهداء وقد جاء فيه: «عمله ابنه ليحيا اسمه ابن الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري كاهن «آمون»، والكاهن الرائي العظيم الذي يسر قلب «رع أتوم» في طيبة، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب الملك لسجلات الفرعون المسمى «حور».» ونقش على جزء من قاعدة التمثال في الجهة اليمنى ألقاب صاحب التمثال وألقاب والده كالألقاب السالفة مع زيادة أنه كان فضلًا عما سبق الكاهن الرابع للإله «خنسو».

وعلى الجزء الأيسر من القاعدة نُقش بعض ألقابه وألقاب والده مع ذكر اسم أم الأخير وهي «موت حتب». ومما سبق نستنبط سلسلة النسب التالية:



(٨) نظرة عامة على آثار الملك «أوسركون الثاني» وحياته

إن من يلقي نظرة فاحصة على آثار الفرعون «أوسركون الثاني»، والأحداث التي وقعت في عصره، والشخصيات التي برزت خلال حكمه؛ لا يتردد لحظة الحكم بأن هذا الفرعون قد أمضى حياته بين «بوبسطة» و«تانيس»، وأن طيبة الكهنة العظام قد شغلت بَالَه بمقدار عظيم، ولكن شواهد الأحوال تدل على أنه صرف الوقت الأعظم من حياته في «تانيس» إذا حكمنا على ذلك بالآثار التي خلفها، هذا بالإضافة إلى أنه اتخذها مثواه الأخير مفضلًا

إياها على كل من «بوبسطة» أقام فيها عيده الثلاثيني وعلى طيبة التي كانت تعد المركز الديني الهام لكل البلاد المصرية منذ الأسرة الثامنة عشرة.

ويتجلى حبه «لتانيس» في أن أسلافه ملوك الأسرة الواحدة والعشرين لم يُصلحوا ما تهدم من مبانيها إلا الجزء الأوسط من المعبد الكبير، وإن كانت إصلاحاتهم وإصلاحاته هو نفسه لم تتكلف الشيء الكثير؛ ذلك لأن كان لديهم مورد فياض ومنجم لا ينفد من مواد البناء في نفس المدينة، فلم يكن عليهم إلا هدم المباني القديمة واستعمال أنقاضها في إقامة مبانيهم التي كانوا يريدون تخليد ذكرهم بها. ولسنا مبالغين إذا قلنا: إن ملوك الأسرتين: الواحدة والعشرين والثانية والعشرين لم يأتوا بحجر واحد قطع من محجر جديد ليقيموا به بناء لهم في «تانيس».

والظاهر أن أول عمل أراد القيام به «أوسركون الثاني» هو أن يعيد إلى قصر «ملايين السنين» ما كان عليه من ضخامة وسعة رقعة وفخامة مبنى في عهد «رعمسيس الثاني»، وقد استعان في إقامة مبناه الجديد هذا بمواد البناء القديمة نعرف ملكًا قبله اغتصب لنفسه مباني لم تكن له بكل جرأة ممن سبقه من الملوك «رعمسيس الثاني» في «تانيس» و«تل بسطة»، والظاهر أنه انتقم لغيره الملوك الذين اغتصب «رعمسيس الثاني» آثارهم على نطاق واسع، وقد كان يضرب به المثل في هذا المجال — إلا أن «أوسركون» قد ضرب الرقم القياسي في هذا المضمار — ففاق «رعمسيس الثاني»، وقد أقام لنفسه آثارًا كثيرة من عمله هو فضلًا عما اغتصبه من غيره.

(٨-١) زوجاته وأولاده

كانت زوج «أوسركون» الأولى التي تدعى الزوجة الملكية «كارع مع»، وكانت لا تزال على قيد الحياة في السنة الثانية والعشرين من حكمه عندما احتفل بعيده الثلاثيني في «بوبسطة» وقد أنجبت له ثلاث فتيات؛ إحداهن تدعى باسم والدتها تقريبًا، كما أنجبت له ولدين وهما: الكاهن الأعظم للإله «بتاح» في منف وهو الذي يدعى «شيشنق» (وقد توارث أولاده وظيفة والدهم في منف مدة جيلين على الأقل)، والابن الثاني هو الكاهن الأكبر لآمون «حورنخت» الذي توفي وهو لا يزال أخضر العود؛ فقد اختطفه الموت ولم يتجاوز التاسعة من عمره، وكانت «لأوسركون» زوجة أخرى تدعى «أستمخب» وضعت له ابنة تدعى «تسبرو باستت» التي تزوجت من ابن أخيها «تاكيلوت» الذي كان ابن كاهن الإله «بتاح» «شيشنق»، وقد أنجب ولدًا يدعى «بدوباست» الذي دفن في السنة الثامنة والعشرين من عهد الملك «شيشنق» العجل الثالث «أبيس» من الأسرة الثانية والعشرين.

وقد كان «لأوسركون» — على أقل تقدير — زوجة أخرى سميت على لوحة «حور باسن» «موت حز عنخس»؛ غير أنها ذكرت على وثيقة أخرى معاصرة بصورة أخرى تختلف بعض الشيء؛ أي إنها كانت تدعى «زد موت عنخس»، وهذه الأميرة كانت أم «نمروت» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «حرشف»، ورئيس الجيش في «أهناسيا المدينة»، وأمير مدينة بالفيوم سميت باسم «أوسركون الأول»، كما كان كذلك الكاهن الأول للإله «آمون»، وينسب إلى «نمروت» هذا سلسلة نسب الكهنة العظام للإله «حرشف».

ونحن نجهل اسم السيدة التي أنجبت للفرعون «أوسركون الثاني» ابنه «تاكيلوت» الذي ورث الملك من بعده. ومما يؤسف له جد الأسف أن اسم هذه الأميرة قد مُزق على الوثيقة التي ذكر فيها «تاكيلوت» اسم والديه! ومن المحتمل أن كلًّا من «تاكيلوت» و«نمروت» كانا من أم واحدة.

وقد كانت عبادة «آمون» عظيمة جدًّا في عهد «أوسركون الثاني»، ومع ذلك فكان هناك سوء ظن بهذا الإله الطيبي؛ فعندما أسس «شيشنق الأول» الأسرة الثانية والعشرين قضى على نظام الحكم الذي كان يسمح لخلفاء «حريحور» أن يكونوا على قدم المساواة — أو ما يقرب من ذلك — مع الفراعنة؛ فقد وضع في منصب الكاهن الأكبر أحد أولاده، وقد كان العزم وطيدًا على ألا يصبح منصب الكاهن الأول وراثيًّا كما كان في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وقد بدأ «أوسركون الثاني» في تقليد «شيشنق»؛ ولذلك تولى منصب الكاهن الأكبر لآمون في طيبة اثنان من أولاده وهما: «حورنخت» و«نمروت»، وقد صرح «أوسركون» بنوع من السذاجة أنه وزَّع بين أفراد أسرته كلَّ الوظائف العالية في الدولة، وهنأ نفسه بسياسته هذه، وقد صارحَنَا بذلك عند التحدث عن تمثاله الذي عُثر عليه في «تانيس»، غير أنه لم يكن في مقدوره السير على هذه السياسة حتى آخر حكمه؛ إذ نجد في عهده أنه كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر — غير ولديه السالفين — شخص يدعى «حورسا إزيس»، وهو ابن هذا الأمير الذي يدعى «شيشنق» الذي أصبح بعد أن مكث مدة طويلة كاهنًا أكبر ملكًا على البلاد «حقا خبر رع» «شيشنق» في عهد والده «أوسركون الأول»، ومن ثم نعرف أن «حورسا إزيس» هذا كان ابن عم الفرعون «أوسركون الثاني»، ولم يمنعه هذا أن يتخذ لنفسه لقب الملك، وأن يعطي نفسه ألقابًا ملكية كاملة.

غير أنه ليس لدينا أية وثيقة تحدثنا عن هذا الانقلاب، ولكن نعرف أنه في السنة الثانية والعشرين — وهي السنة التي احتفل بها «أوسركون» بعيده الثلاثيني — أمضى

«أوسركون الثاني» مرسومًا — سواء أكان عن طيب خاطر أم قهرًا — يعترف فيه أن «طيبة» قد أصبحت إمارة مستقلة، وبذلك عادت الأمور في البلاد من جهة الحكم إلى مجراها الذي كانت عليه في نهاية الأسرة العشرين وطوال الأسرة الواحدة والعشرين، وبذلك أَفْلَت أمر تعيين الكاهن الأكبر لآمون من يد الفرعون، ومن ثم انفصلت «طيبة» عن المملكة المصرية وسار «حورسا إزيس» على غرار أسلافه من الكهنة العظام أمثال «أمنحتب» و«حريحور» و«بينوزم» باتخاذ الألقاب الملكية لنفسه، ومع ذلك فإن الانفصال بين المملكتين لم يكن تامًّا بعدُ؛ إذ نجد أن الكاهن الرابع «نختف موت» — وهو الذي ينحدر من جهة أمه من الكاهن الأكبر «أوبوت» بن «شيشنق الأول» — قد حاول أن يحفظ التوازن بين الملكين المتناهضين، فنجد أن الكاهن الأكبر أهداه تمثالًا ولكنه مع ذلك نقش اسم الملك «أوسركون الثاني» وألقابه في أبرز مكان على التمثال، ومن ذلك نعلم أنه اعترف بأن ملك تانيس هو ملك مصر عامة (راجع A. S. VI. p. 125. Cat. Geu. No. 42208 et 42206).

ولكن «حورسا إزيس» حَسِبَ نفسه ملكًا حقيقيًّا؛ فقد اغتصب لموميته صندوقًا كان لإحدى أخوات «رعمسيس الثاني» التي تدعى «حنتيم رع»، وجاء إليه بغطاء له رأس صقر (راجع Holscher. Excavatious At Ancient Thebes 1930–1931. Oriental Institute No. 15. pp. 33–36, A. S. T. VI p. 123). وكان في ذلك يقلد والده الكاهن الأكبر والملك «حقا خبر رع» «شيشنق»، وهو الذي وجد له في «تانيس» في حجرة استقبال الملك «بسوسنس» التابوت المصنوع من الفضة برأس صقر وبداخله الحلي الجنازي الفاخر، وقد قلد كل منهما الفرعون؛ لأننا نعرف أن «أوسركون الثاني» كان له كذلك تابوت برأس صقر، وكان من الممكن أن نقدر بدرجة أحسن هذه الحوادث إذا كان ترتيب تولي هؤلاء الكهنة العظام معروفًا لنا، والسبب في ذلك أننا لا نعرف تواريخ توليهم هذا المنصب، ولكن الملاحظات التي ذكرناها عن دفن الأمير «حورنخت» تقدم لنا دليلًا على ذلك؛ فقد كان من الضروري لوضع تابوت هذا الأمير وأثاثه في الضريح الملكي أن يغير التصميم الأصلي للمدفن وقد وُسِّع هذا الضريح، غير أن هذا التوسع قد عُمل بعدم عناية لم تكن مألوفة، وإذا كان الملك عائشًا في وقت إجراء هذا التوسع ما قَبِلَ تشويهَ جمال مثواه الأبدي بهذه الصورة. وعلى ذلك يمكن القول بأن «حورسا إزيس» مات بعد السنة الثانية والعشرين، ولكن «أوسركون الثاني» قبل نهاية حكمه انتهز الفرصة في اتخاذ السياسة التي عينها في نقوش تمثاله الذي عُثر عليه في «تانيس»، فأبعد ابن «حورسا إزيس»

وأسرع في تعيين ابنه «حور نخت» — على الرغم من صغر سنه — كاهنًا أكبر «لآمون»، ولكن الحظ لم يكن في جانب ابنه هذا؛ فقد مات «حورنخت» بعد زمن قصير واعتلى عرش رياسة كهنة «آمون» بن «حورسا إزيس» واسمه لم يعرف حتى الآن، والواقع أنه ذُكر على صندوق التابوت الذي عُثر عليه في «قفط» ما يأتي:

الملك «حورسا إزيس» وابنه الذي كان كاهنًا أكبر «لآمون» …

ولكن مُزق المتن هنا ولم يمكن معرفة قراءة اسمه (راجع Legrain, A. S. VI, 123–125) وبذلك نرى أنه أخذ مكان والده.

وعلى الرغم من الموقف الصعب الذي كان يواجه «أوسركون» في داخل البلاد فإنه لم يتخلَّ عن حفظ نفوذ مصر الخارجي في البلاد المجاورة التي كانت تدين لمصر في عهودها المزهرة؛ فقد أتى ليقدم إليه الخضوعَ والطاعة البدوُ والنوبيون في خلال احتفاله بعيده الثلاثيني الذي كان يعد من أهم الأعياد الملكية، وهو الذي لا تزال تَحْفَظُ ذكراه قاعةُ العيد التي أقامها «بوبسطة» لهذا الغرض خاصة.

وقد قلد سلفيه «شيشنق الأول» و«أوسركون الأول» في إرسال تمثاله إلى «جبيل» هذا إلى أن أحد رسله إلى «سمارية» قد ترك فيها آنية من المرمر عليها اسم هذا الفرعون.

والظاهر أنه لم يكن غريبًا عن الحملة التي باءت بالفشل، وهي التي قام بها «ذراح» الإثيوبي على ملك «يهودا» ولا يبعد أن يكون قد اشترك فيها.

وقد جَهزت والدته «كابس» قبره في «تانيس» بمساعدة قائد جيشه في الجنوب والشمال «باسن إزيس» هذا على الرغم من أنه كان يوجد حزب يرغب في دفنه في بلدة غير «تانيس»، وربما كان المقصود أن يثوي في «طيبة»، ولم يكلف القائمون بهذه المهمة أنفسَهم بناء قبر جديد لهذا الفرعون العظيم، بل اكتفوا بإصلاح مقبرة قديمة يُظَن أنها كانت مهجورة فزُينت بالنقوش والمناظر الدينية باسم هذا العاهل، وهذه المقبرة كانت تجاور مقبرة الفرعون «بسوسنس» وعلى مسافة قصيرة من قصر «ملايين السنين» الذي كان قد أصلح الفرعون بناءه، وقد كان هذا القبر يعد مثوًى أبديًّا جميلًا؛ إذ كان الملك وهو في تابوته المصنوع من الجرانيت يعتقد أنه في مأمن من أن يدنَّس قبره؛ لأن واحدًا من رجال جيشه المخلصين كان يثوي على مقربة منه في المقبرة الملاصقة لقبره، ولكن لم يتمتع هذا الفرعون طويلًا بالانفراد في هذا القبر؛ إذ بعد زمن قريب جاوره فيه ابنه الأمير «حورنخت»، وبعد مدة قصيرة شاركه في تابوته نفسه شخصان لم نقف على حقيقتهما.

وقد خَلَفَ «أوسركون الثاني» ابنُه الملك «حز خبر رع» «تاكيلوت الثاني» الذي تزوج من امرأة تدعى «كارع مع» ابنة أخته؛ إذ كانت ابنة الكاهن الأكبر لآمون المسمى «نمروت»»، وتمتاز امرأة «تاكيلوت الثاني» عن زوج «أوسركون الثاني» بأنها تحمل لقب «المحبوبة من آمون»، وهذا اللقب موضوع في طغرائها (راجع L. R. III p. 356). وقد كان «تاكيلوت» ماهرًا؛ لأنه عيَّن ابنه «أوسركون» كاهنًا أكبر، في حين أنه كان يقوم بتصريف الأمور الهامة، ومع ذلك فإنه بعد حكم لا يقل عن خمس وعشرين سنة لم يكن في مقدور الأسرة المالكة أن تقيم له قبرًا، وقد وُجدت موميته التي كانت مزينة بمجوهرات فاخرة في تابوت مغتصب وُضع في إحدى حجرات مقبرة والده، وهي الحجرة الثالثة ولم يغيَّر شيء في نظام المقبرة الأصلية.

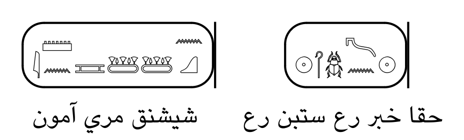
وبعد ذلك بزمن نجد أن «وسرماعت — رع» «شيشنق» — (وهو خلف تاكيلوت الثاني) الذي أقام في تانيس البوابة الضخمة، والذي جهز لنفسه مقبرة جميلة جدًّا، وهي مقبرة رقم ٥ — فتح مقبرة «أوسركون» ثانية؛ إذ نجد أنه قد أنزل من سقف الحجرة الأولى لهذه المقبرة تابوتًا عظيمًا من الجرانيت، وعزل بوساطة جدار حاجز شوهد عليه صورتا الملكين: «شيشنق» و«أوسركون الثاني» وهما يتعبدان لشخص لم نتمكن من التعرف عليه، وكذلك قد بقي الشخص الذي أُنزل من أجله هذا التابوت مجهولًا لنا! وقد كان هذا الحادث آخر تغيير في مقبرة «أوسركون الثاني».

ولا نزاع في أن المقبرة كانت سليمة حتى عهد البطالمة؛ لأن اللصوص الذين كانوا يودون الوصول إليها كان عليهم أن يحفروا بئرًا في عرض المنازل المقامة من اللبن وهي التي كانت قد ثبتت على سقف هذه المقبرة.

ومما سبق نعلم مقدار ما كان عليه ملوك هذه الأسرة من فقر مُدْقِع أدى بهم إلى انتهاك بعضهم حرمات مقابر بعضهم الآخر، هذا فضلًا عن انتهاكهم حرمات معابد آلهتهم أنفسهم واتخاذ أحجارها لتقام بها مدافنهم، ويخيَّل أن المثل الذي نتداوله الآن وهو «كاد الفقر أن يكون كفرًا» ينطبق تمام الانطباق على تاريخ ملوك هذه الفترة؛ لأنهم لم يكفروا بأجدادهم بل كفروا بآلهتهم.

ولا غرابة في ذلك؛ فقد كانت مصر في تلك الفترة تُحكم بملوك أجانب عن مصر، أو على الأقل لا يجري في عروقهم الدم الملكي الخالص؛ فقد كانوا من أسرة لوبية تمصروا بعض الشيء، ولكن ذلك لم يكن كافيًا لاحترام آلهتهم أو من سبقهم من الملوك؛ لأنهم كانوا بعيدين عنهم من حيث الدم والدين.

الملك «شيشنق الثاني»



تحدثنا عن آثار هذا الملك قبل توليته للملك، ولكن اتضح من الكشوف الحديثة أنه كان ملكًا ويحمل الألقاب الملكية في طغراءين، وتدل ظواهر الأحوال على أنه كان مشتركًا مع والده «أوسركون الثاني» في الحكم، وأنه كما يقال حكم وحده مدة قصيرة لا نعرف مداها (راجع Montet, La Necropolis Royale de Tanis, Tome I).

مقبرته

قد سبق الكلام عن كيفية كشف هذه المقبرة عند التحدث على مقبرة الملك «بسوسنس الأول» [راجع فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين في تانيس الفرعون «بسوسنس» باسب خعنوت]، وسنتحدث هنا عن محتويات التابوت الذي دفن فيه هذا الملك.

وتابوت هذا الملك المصنوع من الفضة له رأس صقر (انظر صورة رقم ١٤)، وقد وجد على طوار، ودلت شواهد الأحوال على أنه سليم ولم يمسَّ بسوء، وقد ظُنَّ في بادئ الأمر بالنسبة للموضع الذي وجد فيه أنه للملك «بسوسنس»، ولكن عندما رفع غطاء تابوته ظهرت لفائف الفرعون المذهبة، وقد اتضح من قراءة الاسم أنها للملك الملقب «حقا خبر رع»، وهو كما أسلفنا من قبل «شيشنق الثاني»، والتابوت مصنوع من الفضة، وهو

على هيئة حُق برأس صقر، وليس عليه من الخارج أية زينة، وقد اكتفى بأن يصور في داخله صورة أنثى.

ولكن من جهة أخرى أظهر المُفْتَنُّ الذي صنعه مهارة في تزيين غطاء هذا التابوت، وهو على صورة آدمي برأس صقر، وضفيرتا الشعر المستعار اللتان تحليان رأسه قد استعمل المفتَنُّ في صياغتهما الطرق، ومنقار الصقر مستعار، وأحاط المفتن العينين بثلاث دوائر منقورة، وخطط الشعر المستعار بخطوط متوازية، ووضع بين الضفيرتين أسماط عقد من الخرز، أما اليدان فتقبضان على زخمة وصولجان وقد صُنعتا على حدة، ويشاهَد بعد ضفائر الشعر جعران مجنح يحيط بثلاثة صفوف من الحلية التي على صورة أزهار، كما يشاهد طائر برأس كبش ناشرًا جناحيه على كل عرض الغطاء، وعند ذيل هذا الطائر يبتدئ سطر من النقوش معبرًا عن تمنيات الملك المتوفى، وهاك الترجمة:

> يا «أوزير» الملك «شيشنق» محبوب «آمون»، إنك ستأخذ خبزًا إلى «حتكا بتاح» (منف)، وستجدد القرابين إلى «أون» (عين شمس)، ليتك ترى «آتون» يشرق في سفينته عندما يولد كل يوم طوال الأبدية.

وفي المسافة التي على يمين وعلى يسار هذا السطر نُقش سطران من الكتابة والصور تواجه كل واحدة منهما الأخرى؛ ففي أعلى نجد الإلهة «إزيس» على اليمين، و«نفتيس» على اليسار تحييان بجناحيهما اسم الملك، وفي أسفل نشاهد الإلهين: «أمست» و«حابي» يواجهان زميليهما: «دواموتف» و«كبح سنوف»، وعند القدمين حيث يرتفع الغطاء نشاهد الإلهتين: «نيت» و«سلكت» قاعدة كل منهما على العلامة الدالة على الذهب 𓋞 ويشيران بإشارة تدل على النداء.

وقد وُجدت مومية «شيشنق» ملفوفة كلها في كفن من الكتان ثُبِّتَ عليه ورقة من الذهب المنقوش والمحلَّى بشرائط زرقاء، والكل يكوِّن زخرفةً تذكرنا بتلك التي نقشت على التابوت الفضي.

وركِّب على الكفن رأس صقر من الذهب الرقيق جدًّا، وأحيطت عيناه السوداوان بإطار من الذهب الصلب، ونقش على ظهر الكفن متنان مقتبسان من الفصلين (السابع والعشرين والتاسع والعشرين من كتاب الموتى)، أما وجه المومية فغطي بوجه مستعار من الذهب غاية في الروعة والبهاء، وهو لا ينقص في جماله شيئًا عن جمال وجه «بسوسنس»، وقد ثُبِّت في مكانه بخيوط مربوطة خلف الرأس مما أعاد له نضارة وجهه وشبابه،

والظاهر أن الحاجبين والعينين قد صنعتا من النسيج المقوَّى على حدة ثم رُكبت في الحفر الخاصة بها (صورة رقم ١٥).

وبعد رفع الكفن والوجه المستعار كان أول ما وقعت عليه العين هو نسر عظيم من الذهب المرصع، يحيط بجناحيه رقبة «شيشنق»، ويتصل طرفا الجناحين بدلاية (صورة رقم ١٦)، وهذه الدلاية مؤلفة من قطعتين ثبتتا معًا بمفصلتين ينفذ فيهما دبوسان من الذهب، وصناعتهما متينة، وقد خِيطَ على الألواح الداخلية شرائط من الذهب تمثل الجناحين والريش، وكذلك الأجزاء التي من الذهب الصلب، وبعد ذلك ملئ الفضاء المتخلف بتراكيب من اللازورد والفيروزج المقلد.

العقود: وُجد «لشيشنق» عقد واحد مؤلف من ست وثلاثين خرزة محفورة في الذهب وتنتهي بمحبس يتدلى منه طاقة مؤلفة من ستين زهرة في الأصل، ولكن هذا الأثر سُرق بعضه وكُسرت منه حلقات كثيرة ولم يبقَ من زهراته إلا النصف.

الصدرية: وُجد «لشيشنق» صدرية يحلِّي وسطَها جعران من الحجر الرمادي اللون وعلى ظهره نقش متن من الفصل الثلاثين من كتاب «الموتى»، ويسطع في كورنيش هذه الصدرية قرص الشمس المجنح، ويحتوي كذلك على قرص مجنح في داخل الإطار وهو يضيء على «إزيس» و«نفتيس» اللتين تسندان قرص الشمس بأجنحتهما، هذا إلى لوح متحرك في صورة متوازي الأضلاع محلًّى بإفريز مشبوك في قاعدة الإطار، وقد نقشت صورة الإلهتين في لوحين من الذهب، أما جناحا الجعران وقرص الشمس فقد رصعت بعجينات ملونة، ولونت العلامات الهيروغليفية باللون الأسود ورصعت على ورق من الذهب، وقد شُغلت رقعة الصدرية بمركب ذات لون أزرق يشبه الفيروز، واللوح الذهبي الذي يتألف منه قعر هذه القطعة مثِّل فيه بالحفر نفس الموضوعات السابقة.

والمتن المنقوش على الجعران كتب في وسط شكل بيضي لتُمْكِنَ رؤيتُه، وهذه الصدرية كانت تُحمل بوساطة شريط من الذهب ينتهي من كلا طرفيه بحلقة، ويمكن شبك الحلقتين بالكبشين اللذين على الكورنيش، وقد استُعملت حلية مسطحة في صورة ناقوس بمثابة علاقة لهذه الصدرية.

أما القطعة التي تعد نسيجَ وحدِها في كل الصدريات التي عثر عليها في هذه الجبانة، فهي التي وجدت في تابوت «شيشنق» (راجع Tanis p. 148 Pl. XIII)، فنشاهد أولًا بدلًا من القضيب المصري الذي يزين الإطار أنه وضع هذه المرة السماء مزينة بالنجوم مستندة على النباتين اللذين يرمزان للوجه القبلي والوجه البحري؛ أي

البردي والبشنين، وهما ينبتان في مجرى ماء مستطيل الشكل، ويجري فوق هذا الماء سفينة الشمس ويشاهَد فيها «إزيس» في المقدمة و«ماعت» في المؤخرة، وكل منهما ناشرة جناحيها على قرص من اللازورد المرصع بالذهب، وفي هذا القرص نقشت صورة إله قاعد يتقبل تحيات «ماعت» أخرى واقفة على قاعدة أخرى، وهذا الإله يجمع في شخصه «آمون رع» و«حور أختي»، ويشاهَد نقشان محفوران على لوحين من الذهب قد استعملا لترتكز عليهما السفينة، والمقصود من المتن هو وعد هؤلاء الآلهة الثلاثة بحماية رئيس «المشوش» ورئيس الرؤساء «شيشنق» ابن رئيس «المشوش» «نمروت»، وأخيرًا نشاهد في هذه الصدرية صقرين يواجه أحدهما الآخر واقفين على رمز السماء بمثابة مجثم، وهما هنا يمثلان حلقتين يتصل بهما شريط من ذهب، وفي أسفل الصدرية نشاهد زهرات من البشنين مقلوبة ومعلقة في مجرى الماء. وصناعة هذه الصدرية دقيقة ورشيقة، وكذلك تأليف أجزائها متقن؛ مما جعلها قطعة من القطع الفنية الأصيلة المنقطعة النظير.

الجعارين: نلحظ في الجعارين التي وُجدت مع «شيشنق الثاني» أن جعران القلب كان يؤلف الزينة التي في وسط الصدرية، وقد وُجد له كذلك جعران يُحمل بشريط من الذهب (راجع Tanis Pl. XIII)، وهذا الجعران يحمل قرص الشمس على رأسه، وعلى كل من جانبيه صلان متوَّجان بتاج الوجه القبلي، ويلاحَظ أن هذه الحيوانات الثلاثة المقدسة وهي: الجعران، والصلان تقف على قضيب تتدلى منه أزهار بشنين مفتحة وغير مفتحة على التوالي.

الأساور: وجد «لشيشنق» أساور جسمها في صورة يراعة ممتلئة أو مفرغة، أو في صورة سيقان نبات ذي قطاع مثلث ينتهي طرفاه بزهرة أو سلسلة قد يكون خرزه من العقيق أو الكرنيلين، وأحيانًا تكون العين السليمة، نقش على ظهرها متن صغير وفي غالب الأحيان جعران فخم مركب على إطار من الذهب، وفي حالة واحدة نجد أنها أسطوانة من أصل غريب عن مصر؛ إذ وجدنا عليها «جلجامش»[١] قاهرًا حيوانات متوحشة واقفة على مؤخرتها (راجع Tanis, Pl. XIV)، وهذه القطعة الأخيرة موجودة في أثاث الملك «شيشنق» الذي يحتوي خلاف ذلك على زوج من الأساور ورثه عن جده

[١] و«جلجامش» بطل خرافي من أبطال التاريخ البابلي.

الملك «شيشنق الأول»، وهما يتألفان من قطعتين غير متساويتين متصلتين بمفصلة، وأصغر هذين السوارين مزين من الخارج بالعين السليمة موضوعة في سلة، وهذه العين موضوعة بين شرائط زرقاء وشرائط ذهب على التوالي، وتستمر كذلك على الجزء الكبير من السوار، وكل هذا قد عُمل بوساطة أحجار ملونة بألوان مختلفة، وفي مواجهة العين السليمة حفر طغراء الملك «شيشنق الأول».

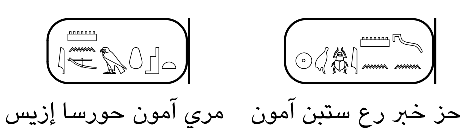
وجد مع «شيشنق» خاتمان صُنعهما جميل، كما وجد معه زوج أحذية أنيق جدًّا، ويتألف كل حذاء من نعل وطاق يستند عليها القدم، ونهاية النعل يتحول إلى سير متصل بوسط الطاق (الحنية)، وكذلك نشاهد سَيرًا آخر مبتدئًا من الحنية، وينتهي إلى النعل بطريقة يجعل إصبع القدم الكبير منعزلًا عن الأصابع الأربع الأخرى.

الحزام: وكانت مومية «شيشنق» عليها حزام يتألف من شريط كبير من الذهب محلًّى من الأمام بطغراء، وعلى سائر محيطه أشكال معينات وخطوط متقاطعة (تهشير)، ويقفل بمشبك في صورة منحرف الأضلاع طوله أطول بكثير من عرضه، وهو مؤلف من إطار من الذهب، ومن صفوف من الخرز المنظوم في خيوط غير أنها لم يعد لها وجود، ولكن الخرز كله بقي وقد نظم ثانية.

هذا، وقد وجد فضلًا عن ذلك مع المومية أسلحة من الذهب على هيئة إصبعين، والآلة التي كان يستعملها الكهنة لفتح الفم (بشس كاف)، ووجد معه وسادة من معدن الحديد (صورة رقم ١٧).

أواني الأحشاء: وجدت في حجرة هذا الفرعون أواني الأحشاء الأربعة، وكانت تحتوي كل منها على تابوت صغير من الفضة طوله ٢٥ سنتيمترًا تقريبًا، ولكل منها صندوق وغطاء على هيئة مومية، والرأس الذي يشبه الوجه المستعار المصنوع من الذهب الذي وجد لهذا الملك مزين بصل ولحية مستعارة، واليدان منحوتتان نحتًا بارزًا غير أنهما لا تقبضان على الصولجان ولا على الصل، ونُقش متن صغير عمودي يمر بين اليدين، ومنه نفهم أن الملك كان الابن الذي بدوره يلعب دور الآلهة الأربعة الذين يحفظون الأحشاء (صورة رقم ١٨)، ووجد في التابوت الرابع الذي وجد مفتوحًا مومية صغيرة، ووجد له بعض تماثيل مجيبة على ما يُظَن.

الفرعون «حورسا إزيس»



حز خبر رع ستبن آمون   مري آمون حورسا إزيس

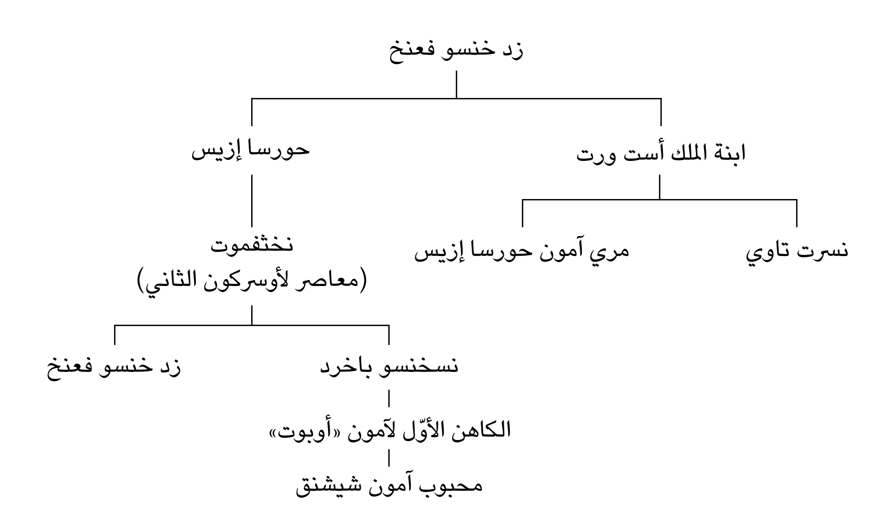
نحن لا نعلم شيئًا مؤكدًا عن أصل «حورسا إزيس» الذي نصب في بادئ الأمر كاهنًا أكبر «لآمون رع» في «طيبة»، ثم نجده قد اشترك فيما بعد مع الملك «أوسركون الثاني» في حكم البلاد، ويحتمل أن «حورسا إزيس» هذا قد أصبح ملكًا في «طيبة» عندما أعلن «أوسركون الثاني» أنه ترك إقليمها نهائيًّا للإله «آمون»، أو بعبارة أخرى للكاهن الأعظم «لآمون»، وقد حدث ذلك في السنة الثانية والعشرين من حكم «أوسركون الثاني»، ولكن لا نعرف التاريخ المعين الذي أُعلن فيه «حورسا إزيس» ملكًا على «طيبة» أو مشتركًا مع «أوسركون الثاني»، ومن جهة أخرى نعلم أن مدة حكمه انتهت ما بين عامي: ٢٣، ٢٤ من حكم «أوسركون الثاني»؛ وذلك لأننا وجدنا أن السنة الثامنة والعشرين من حكم هذا الملك كانت تقابل السنة الخامسة من حكم «تاكيلوت الثاني» شريكه في الملك (راجع L. R. III p. 337, Inscrip No. 13 du Quai de Karnak).

وقد تحدثنا عن معظم آثار هذا الفرعون فيما سبق.

وقد وجد له صندوق تابوت في «قفط» وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة (راجع A. S. VI p. 123)، والمهم في هذا الأثر أنه عرَّف لنا هذا الملك «حورسا إزيس»، وهو الذي كشف «كويبل» عن قطع من غطاءين من النسيج المقوى عليهما اسمه: «ابنة الملك رب الأرضين (محبوب آمون «حورسا إزيس») معطي الحياة (مثل رع …)» (راجع Quibell,

The Rameseum. p. 16 & 18). وقد مثِّل هذا الفرعون في منظر على أحد وجهي صندوق تابوته يقدم رمز الحقل للإله «أوزير»، وألقابه الملكية هي: حور الثور القوي الذي يظهر في «طيبة»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حز خبر رع ستين آمون» ابن الشمس (محبوب آمون «حورسا أزيس»).

وعلى الوجه الثاني من صندوق التابوت نشاهد منظرًا آخر مثِّل فيه كاهن أكبر «لآمون» وهو ابن «حورسا إزيس» يحرق البخور ويصب القربان أمام «أوزير» وآلهة آخرين. ومما يؤسف له أن هذا المتن مهشم من هذه الجهة؛ ولذلك لم يمكن قراءة اسم ابن الملك «حورسا إزيس»! ولكن من جهة أخرى ظهر من الحفائر التي عملت في الكرنك منذ الكشف عن هذا الصندوق المصنوع من الجرانيت الوردي آثار جديدة لهذا الملك نفسه؛ وذلك أن تمثال الموظف «حورسا إزيس» بن «نختفموت»، وكذلك تماثيل «نختفموت» رقم «٧٧، ٩٦، ٢٤٣» — وهي التي عثر عليها في خبيئة الكرنك — تُمدُّنا بسلسلة النسب التالية، ويلاحَظ أنها تُفحص من أسفل إلى أعلى، وها هي ذي:



وقد ترك لنا «نختفموت» هذا تماثيل استخرجت من خبيئة الكرنك كما ذكرنا من قبل، واسمه الحقيقي هو «زد تحوتيفعنخ»، وهو من جهة أمه من فرع ملكي، وجَدُّه هو الكاهن الأكبر «أوبوت»، ويرجع نسبه إلى «شيشنق الأول».

وتمثال «نختفموت» المصنوع من المرمر يمكن أن نسترشد بنقوشه إلى تحديد عهد حكم الملك «حورسا إزيس»؛ لأنه قد وُهب إنعامًا من هذا الملك. والواقع أن «نختفموت» كان يرتدي ملابس الكاهن، وهي ثوب ذو ثنيات، وجلد فهد على كتفه الأيسر، وشريط عريض نقش عليه متنان يحتويان ألقاب الملك «أوسركون الثاني» كاملة. ومن ثم نعلم أن حكم «حورسا إزيس» كان معاصرًا لحكم الملك «أوسركون الثاني»، أو بعبارة أخرى كان ملكًا على «طيبة» أو مشتركًا مع «أوسركون الثاني» في الحكم، والرأي الأول هو الأصح؛ لأن «أوسركون الثاني» كان قد نزل عن إقليم «طيبة» للإله «آمون»، ومن ذلك أصبح الكاهن الأول فيها ملكًا وكتب اسمه في طغراء. وتدل شواهد الأحوال على أن «أوسركون الثاني» كان يحكم بوصفه ملكًا عامًّا على مصر، و«حورسا إزيس» يحكم ملكًا متوَّجًا على «طيبة».

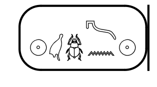
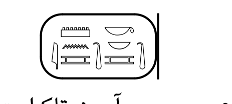
و«حورسا إزيس» هذا كان ابن الكاهن الأول «شيشنق» الذي أصبح ملكًا باسم «شيشنق الثاني»، وقد كُشف عن قبره حديثًا كما تحدثنا عن ذلك في حينه، وقد خَلَفَهُ ابنُه «حورسا إزيس» كاهنًا أكبر «لآمون»، ثم ملكًا على «طيبة» [راجع الأسرة الثانية والعشرين «شيشنق الثاني» الملك]. والتمثال رقم «٣٨٩» يحمل طغراء «حورسا إزيس».

أولاد «حورسا إزيس»

يقول «لجران» (راجع Rec. Trav XXVII p. 76): «إن الملك «حورسا إزيس» تزوج من امرأة تدعى «نسرت تاوي».» (راجع A. S. VI p. 124). ومن المحتمل أنها لم تكن إلا من فرع نبيل، وقد أنجب منها طفلين على أقل تقدير وهما: الأميرة «أست ورت» وهي التي أعلنها والدها أول كاهنة أولى للإله «آمون»، وابنه هو «بادوباست» (؟) الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة (راجع Ibid).

ويظن «دارسي» أن «بادوباست» هذا هو الذي أصبح فيما بعد ملكًا، وافتتحت به الأسرة الثالثة والعشرين (راجع Rec. Trav. XXXV p. 143).

الفرعون «تاكيلوت الثاني»

حز-خبر-رع ستبن رع   محبوب آمون تاكيلوت

مدة حكم هذا الفرعون على حسب «مانيتون» هي ثلاث عشرة سنة، وأعلى رقم لحكمه على الآثار هو خمس وعشرون سنة كما سنرى بعد.

وقد تحدثنا عن آثار هذا الملك فيما سبق [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني].

و«تاكيلوت» هذا هو ابن الملك «أوسركون الثاني»، وقد استند الأثري «بدج» على ما جاء على لوحة «بادي إيست» التي عُثِرَ عليها في مدفن «السربيوم»، وقد ظَن أن «تاكيلوت» هذا هو ابن الملك «شيشنق الثاني»، حقًّا، إن «شيشنق الثاني» بن «أوسركون الثاني» كان له ولد يدعى «تاكيلوت» غير أنه كان يحمل لقب رئيس كبراء المشوش ولم يكن قط ملكًا (راجع Petrie. Hist. III p. 254)، ولكن من جهة أخرى نعلم من النقش رقم «١٣» الخاص بمقياس النيل على مرسى الكرنك أن «تاكيلوت الثاني» كان ابن سلفه «أوسركون الثاني»، وعلى ذلك يكون عم «تاكيلوت» بن «شيشنق الثاني»، هذا بالإضافة إلى أننا وجدنا «تاكيلوت الثاني» قد دفن في مقبرة والده «أوسركون الثاني»، كما شرحنا ذلك من قبل [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني].

وفي متحف القاهرة لوحة من الحجر الجيري خاصة بهذا الفرعون وعصره، والجزء المستدير منها مثِّل عليه الملك «تاكيلوت» يقدم العين السليمة (وزات) التي تعد رمزًا لكل قربان طيب لأربعة آلهة، وهي: الإلهة «باستت» في صورة لبؤة على رأسها قرص الشمس، وكانت عبادتها منتشرة في عهد الأسرة الثانية والعشرين، وبخاصة في «بوبسطة». والإله «حور حكنو» لابسًا التاج المزدوج. والإله «سبد» رب الشرق في صورة صقر. والإله «نفرتوم» حامي الأرضين، وهو يعد أحيانًا ابن الإلهة «باست» (القطة)، وهاك المتن:

> السنة الحادية عشرة في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «حز خبر ستبن رع» ابن الشمس رب التيجان محبوب آمون «تاكيلوت الثاني» محبوب الإلهة «باست» السيدة العظيمة صاحبة «بوبسطة» معطية الحياة، من هذا اليوم وهب حقل السامع الأول (لقب) للإلهة «باست» المسمى «حورحب» عشرة أرورات من الأرض، وقد عُملت بوساطة ... الملكي لبيت «إيبيا» و«نسي بتاح» التابع لبلدة «باجر بارع»، وستُتخذ الإجراءات حتى لا يعتدي معتدٍ عليها، وقيل: إن كل رئيس وكل كاتب وكل موظف وكل رسول في بَعْثٍ إلى الحقل يعتدي عليها سيعاقب على يد سيد الأرضين، وينفذ بوساطة الإلهة «سخمت» اللبؤة الساحرة.

وهذا المتن يدخل في باب العقود الخاصة بهبات الأرض، وفي الغالب نجد هذه الوثائق مؤرخة وتعقد على يد الملك الحاكم وقتئذٍ؛ ليكون مفعولها نافذًا بوصفه المالك لأرض مصر. ويلاحَظ أن نهاية النقش غامضة (راجع Rec. Trav. XVII p. 52).

ونجد كذلك مؤرخًا بنفس السنة نقشًا على قطع من السقف في مؤخرة معبد «الكرنك» العظيم، وهو المعروف الآن بمعبد «تحتمس الثالث»، وهذا النقش محفوظ الآن بمتحف «اللوفر» (راجع Brugsch. Thesaurus V p. 1071 & Br. A. R. & 752)، وهذه الوثيقة تقدم لنا معلومات هامة عن تاريخ هذه الحقبة الغامضة؛ فهي تضع أمامنا مقدمات ذات قيمة عن ادعاء كهنة «آمون» بأنهم أصحاب الحق الشرعي في تولي مناصب الكهنة في معبد «الكرنك»، كما أنها تؤكد لنا وصول «أوسركون» بوصفه كاهنًا أكبر لآمون إلى «طيبة» في السنة الحادية عشرة من حكم الملك «تاكيلوت الثاني». والواقع أنها أُرِّخت بأربعة

أشهر وأحد عشر يومًا بعد تاريخ بداية تواريخه، وهي تمدنا بالتاريخ المؤكد لوصوله إلى «طيبة»، وقد كانت المناسبة التي كتب فيها هذا المتن هو عيد «خنسو»، وقد انتهز أحد كهنة معبد «تحتمس الثالث» وجود الكاهن الأكبر «بالكرنك» ليطلب حقًّا أُسَريًّا، وهاك نص الوثيقة:

> السنة الحادية عشرة في عهد جلالة ملك الأرضين محبوب «آمون» بن «إزيس» «تاكيلوت» معطي الحياة سرمديًّا، في شهر بشنس اليوم الحادي عشر، وهو اليوم الذي وصل فيه إلى «طيبة» القوية، وعين «رع»، وملكة المعابد، وأفق صاحب الاسم الخفي (كلمة «آمون» معناها الخفي)، وهي مدينته التي يأتي إليها الكاهن الأول «لآمون» ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش، والحاكم «أوسركون» المبرأ ابن الملك رب الأرضين محبوب «آمون» بن «إزيس» «تاكيلوت» العائش سرمديًّا؛ لأجل عيده الجميل (الذي يعقد) في شهر بشنس، ولما دخل المطهر لمعبد «آمون» ليقوم بخدمة شهره في المعبد المسمى «الآثار الفاخرة» الكاهن «حورا» (من الطائفة الثالثة) ابن الموظف مثيله (أي في الوظيفة) المسمى «عنخفخنسو» المبرأ؛ ذهب أمام حاكم الجنوب ليقول: إني الكاهن «عق» (أي الذي له حق الدخول في المعبد دون إذن) التابع لمعبد «الكرنك»، وإني ابن كهنة «آمون» الهامين من جهة أمي وابن كاهن مطهر، وإني أُظهر لمحكمة الجنوب بأنه فيما سبق كان والد آبائي كاهنًا (يحمل لقب) والد الإله ويعرف أسرار الإله الأزلي، وإن الاستيلاء على متاعي هو الذي جعلني أحضر إلى هنا وجعلني أُقْصَى عن «طيبة» التي ولدت فيها، وإني لست جوَّالًا.

والحكم الذي نطق به «أوسركون» هو: «فليُرَدَّ إليه كل ما يدعيه بوساطة كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، أو المراقب العظيم وكاتب سجلات رب الأرضين المسمى «نب نزو» بن «حور»، وها هو ذا قد طهَّر نفسه في الحوض الذي يطهر فيه، وقد طهر بالنطرون والبخور، واتخذ طريقه نحو معبد «الآثار الفاخرة» وفتحت له أبوابه، وقد وصل هناك إلى قصر الروح الرهيب ومسكن الروح الذي يخترق أفق خالق السماء المزدوجة، لما كان عالمًا بالأسرار فإنه رأى «حور» مشعًّا، وقد ذهب يصحبه فرح القلب نادى به حتى عنان السماء، وعند ابتعاده عنه كان لا يزال يراه.»

وموضوع النقش يبحث في أمر كاهن أريد إبعاده عن «طيبة»، ويحتمل أنه كان من الخارجين على الكاهن الأول، ولما رفض مغادرة مسقط رأسه ذهب ليشكو أمره للكاهن الأعظم لآمون في «طيبة»، وقد أفلح في كسب قضيته أمامه، ذهب ليعلم الأسرار الدينية التي كان بارعًا فيها، وتدل شواهد الأحوال على أن المكان الذي كان يتلقى فيه الطلاب الأسرار الإلهية هو المكان المعروف لدينا الآن باسم قاعة الأعياد أو معبد «تحتمس الثالث».

وفي السنة الحادية عشرة من عهد الملك «تاكيلوت» بن «إزيس» الذي كان ابنه «أوسركون» يلقب الكاهن الأكبر لآمون، والقائد حاكم الوجه القبلي؛ نجد أن الكاهن «نبنترو» المذكور في المتن كان يقوم بوظائفه التي ذكرت في المتن.

والواقع أنه على حسب ما جاء على تمثال الكرنك كان والد هذه الشخصية هو «حور» (الخامس) الذي كان يلقب الأمير والحاكم، وقد عاش في عهد «بدوباست»،[1] وقد تزوجت ابنته من شخص آخر يدعى «حور» من عهد الملك «مري آمون» بن «إزيس» «أوسركون» الإله حاكم «طيبة»، غير أن «أوسركون» الأخير هو من ملوك الأسرة الثالثة والعشرين على حسب قول «مانيتون».

و«تاكيلوت» هذا الذي ذكرناه هنا هو الذي كان يسمى «تاكيلوت الثاني» في عهد الأسرة الثانية والعشرين، وقد وُضع بين الملكين الأولين للأسرة التالية. ويقول «دارسي»: إن هذا الملك هو صاحب نقوش بوابة «بوبسطة» التي في الزاوية الجنوبية من الردهة الكبرى لمعبد «الكرنك»، ولقبه «حز خبر رع ستبن رع».

(١) معبد بتاح بالكرنك

دوَّن «تاكيلوت الثاني» اسمه في متن على عارضة مدخل بوابة معبد «بتاح» يقول فيه: إنه جدد هذا البناء: «التجديد الذي عمله حور الثور القوي الذي يظهر في واست (طيبة)، الإله الطيب رب الأرضين محبوب «آمون» بن «إزيس» «تاكيلوت» محبوب «آمون» رب السماء، الإله الأزلي للأرضين صاحب اليد الطولى.» (راجع A. S. III p. 66). كذلك جاء اسمه على قطعة حجر من معبد «أوزير» رب الأبدية بالكرنك: «حور الثور القوي الذي يضيء في «طيبة»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «تاكيلوت» الحاكم القوي رب الأرضين.» (راجع A. S. IV p. 182).

[1] راجع Legrain, Rec. Trav, XXXV p. 130.

تل بسطة: ووجد في «برلين» قطعة من لوحة مثِّل في أعلاها قرص الشمس المجنح وأسفله المتن التالي المؤلف من تسعة أسطر عمودية:

«أوزير» كاتب الملك، والكاهن والد الإله، وكاتب سر الحقل الإلهي (المسمى) «نس-با-حر-عن» ابن الكاتب، والكاهن والد الإله، وكاتم سر الحقل الإلهي «سماتاوي» بن الكاهن الأول للإلهة «باستت» ربة «باست» (تل بسطة) «شدي باستت» المبرأ، كلام «أوزير» الإله العظيم رب الغرب الذي يثوي في الغرب الجميل من «باستت». وفي أسفل هذا سطران أفقيان يحتويان على صيغة القربان العادية: قربان يقدمه الملك «لأوزير» كاتب الملك، والكاهن والد الإله، وكاتم سر الحقل الإلهي «نس-با-حر-عن»؛ ليطعموا ألفًا من البيوت وألفًا من ... وألفًا من النبيذ، وألفًا من شراب شدح، وألفًا من البقر، وألفًا من الإوز، وألفًا من كل شيء طيب طاهر «لأوزير» الكاتب الملكي، والكاهن والد الإله، وكاتم سر الحقل الإلهي.

وفي أسفل هذا المتن نجد منظرًا يُرى فيه الفرعون «تاكيلوت» يقدم للإلهة «باستت» الإلهة العظيمة ربة «بوبسطة» — وقد مثِّلت واقفة وعلى رأسها قرص الشمس — إناءين من النبيذ، وتقدم له بدورها الحياة والصحة كلها، وخلف الإلهة «باستت» يقف الإله «سبد» رب الشرق في صورة إنسان برأس صقر وخلفه متن: «أعطي ملك «رع».» (راجع Brugsch, Thesaurus p. 808).

ويلاحِظ بتري (Petrie, Hist. p. 252) أن هذا الأثر قد ينسب إلى الملك «تاكيلوت الأول» ولكن تدل الأحوال على أنه للملك «تاكيلوت الثاني» (راجع L. R. III p. 354)، وذكر «فيدمان» قطعة أخرى من لوحة لهذا الفرعون مستخرجة من «بوبسطة»، وهي الآن في مجموعة «جرانت» (راجع Wiedemann Aeg. Geschichte p. 556).

وفي متحف برلين شريط من الجلد الأحمر عليه اسم هذا الفرعون (راجع Ibid. p. 554 Note 4).

ويوجد لهذا الفرعون جعارين في مجاميع مختلفة من مجموعات العالم؛ ففي مجموعة «بتري» له جعران باسمه (راجع Petrie, Hist. Scarabs No 1782 & No 1783)، وفي مجموعة «نيو بري» جعران نقش عليه اسمه ولقبه (راجع Newberry, Scarabs. p. 185 & pl. XXXVII No 14).

وفي المتحف البريطاني جعران بإسمه (راجع Hall, Cat. of Egypt Scarabs etc. the Brit. Mus. No 245 & 251).

سقارة: عُثِرَ في «سقارة» على مومية وبجانبها تمثال صغير للإله «بس»، وعلى رأسه طغراء الملك «تاكيلوت الثاني» بمثابة تاج له محلًّى بريش نعام، أو بعبارة أخرى كان تمثال الإله «بس» مستعملًا صورته المزينة بريش النعام بمثابة مروحة مثبتة على قطعة من الخشب لها يد طويلة، ومن المحتمل أن صاحب المروحة كان يحمل وظيفة حامل المروحة على يمين الملك «تاكيلوت الثاني» (راجع A. S. XLII p. 147).

(٢) أسرة «تاكيلوت الثاني»

زوجاته

يظهر أن الزوجات اللائي يمكن أن ننسبهن إلى هذا الملك بوجه التأكيد هما اثنتان:

(١) «كارمعمع» زوجة محبوبة «موت» «كارمعمع»، وقد جاء ذكرها أولًا مع ابنها على نقوش مقياس النيل على مرسى الكرنك في السنة الخامسة (راجع A. Z. XXXIV p. 111–12) في النقش السادس والسابع، وهما مؤرخان بالسنتين: الخامسة والسادسة من حكم «أوسركون الثاني»؛ لأن أمه كما نعلم هي «كابس» [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني]، ومن جهة أخرى نجد أن النقش رقم «٥» لمرسى «الكرنك» قد مُحِيَ فيه اسم «كارمعمع»، ولكن يظهر أنه خاص بنفس الحكم كالنقشين (٦، ٧)، وفيه يسمى الملك ابن «كارمعمع» («أوسركون» بن «إزيس»)، وليس من الجائز — على ما نظن — أن نفرض هنا أن هذا الملك هو «أوسركون الثالث» بن «باستت»، ولكن المقصود هنا على أغلب الظن هو «أوسركون» الذي كان كاهنًا أكبر في عهد «تاكيلوت الثاني»، وعلى ذلك فإن «كارمعمع» حفيدة «أوسركون الثاني» قد تزوجت خالها «تاكيلوت الثاني»، وأنجبت منه هذا الابن الذي كان في وقت واحد حفيد «أوسركون الثاني» من جهة والده، والحفيد الثاني لنفس الملك «أوسركون الثاني» من جهة أمه (راجع L. R. III p. 255 Note 5)، وكذلك جاء اسم «كارمعمع» على نقوش الكاهن الأكبر «أوسركون» بوصفها أمه (راجع L. R. III. p. 356)، وفي متحف اللوفر تمثال جميل من البرنز لهذه الملكة جاء عليه:

(١) «الزوجة الإلهية طاهرة اليدين ربة الأرضين (أمن موت محات) محبوبة «آمون رع» رب تيجان الأرضين، المشرف على الكرنك، ورب السماء.»

(٢) «المتعبدة الإلهية «لآمون» رب التيجان (مرموت كارمعمع) عاشت قوية الظاهرة على عرش «تفنوت» أبديًّا.» (راجع Chassinat, Monuments et Memoires Piot t. IV p. 15ff & Momies Royales p. 749).

وفي متحف برلين وُجِد إناءان للأحشاء من المرمر بألقابها السابقة (راجع L. D. III 256 b. and c; Momies Royala p. 750)، هذا بالإضافة إلى تماثيل جنازية في متحف اللوفر وفي متحف برلين (راجع L. R. III p. 356)، وأخيرًا يوجد لها تمثال راكع بمتحف برلين (L. R. III p. 357, L. D. III. 256 h;. and Momies Royals. p. 750).

(٢) «حَظِيَّته كاكايت»: هذه الحَظِيَّة هي التي يقول عنها «بتري» (Petrie, Hist. III p. 254): إنها الزوجة الوحيدة التي بنى بها «تاكيلوت الثاني» هذا بزعم أن الزوجة الشرعية ليست معروفة. والواقع أنه جعل «كارمعمع» زوجة «تاكيلوت الأول»، غير أن هذا الترتيب مستحيل؛ لأن «كارمعمع» هي في الواقع ابنة «نمروت» حفيدة «أوسركون الثاني» والحفيدة الثانية للملك «تاكيلوت الأول».

ووُجد اسم هذه الحظية على تابوت «أري-باستت-وزا-نف» ابنة الملك «تاكيلوت» والحظية «كاكايت». (راجع L. R. III p. 357).

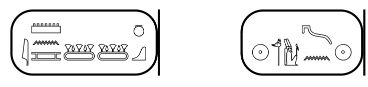
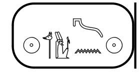
أولاده الذكور

الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون»: وهو الابن الوحيد المعروف بصفة أكيدة للملك «تاكيلوت الثاني» والملكة «كارمعمع»، وقد تولى رياسة كهنة آمون في عهد والده ثم في عهد «شيشنق الثالث»، وبعد ذلك تولى الملك مدة قصيرة كما سنرى ذلك بعدُ عند الكلام على عهد «شيشنق الثالث» الذي عاش «أوسركون» في مدة حكمه زمنًا طويلًا؛ فقد كان لا يزال على قيد الحياة في السنة التاسعة والثلاثين من حكمه. ويقول «دارسي»: «إنه هو الذي صار فيما بعد «أوسركون الثالث»؛ أي «أوسركون سا إزيس».» (راجع L. R. III p. 358 n. 3).

بناته

ذكر «جوتييه» لهذا الملك عدة بنات؛ غير أنه وضع علامة الاستفهام بعد كل واحدة منهن (راجع L. R. III p. 359–360).

الملك «شيشنق الثالث»

أوسرماعت رع ستبن رع   مري آمون شيشنق

هذا الملك يدعى «شيشنق الثالث» على حسب رأي معظم المؤرخين؛ غير أن «جوتييه» يدَّعي أنه هو «شيشنق الثاني»، وأن ما يُدْعى «شيشنق الثاني» لم يكن ملكًا قط. ولكن الكشوف الحديثة قد أثبتت أنه كان ملكًا وحكم مع والده «أوسركون الثاني» مشتركَيْنِ بل يجوز أنه حكم وحده، وعلى ذلك فإن زعم «جوتييه» أصبح لا يؤخذ به (راجع L. R. III p. 361 note 1) والظاهر أن هذا الملك قد حكم مدة طويلة؛ إذ وجدنا على الآثار السنة التاسعة والثلاثين من حكمه كما سنرى بعد. أما «مانيتون» فقد جعل مدة حكم الملوك الثلاثة الذين خلفوا «تاكيلوتيس» (تاكيلوت الثاني) رقمًا واحدًا هو اثنان وأربعون سنة (راجع Unger, Chronologie des Manetho p. 232)، وهذه تظهر قليلة إذا لاحظنا التواريخ الكبيرة التي تقدمها لنا الآثار عن حكم «شيشنق الثالث» و«الرابع»، وقد اعترف المؤرخون من جهة أخرى أن «شيشنق الثالث» قد حكم اثنتين وخمسين سنة (راجع L. R. III p. 363 note 2)، وقد يجوز أن هذه المدة يمكن أن تنقص إلى ست وأربعين سنة، أو حتى إلى ٤٠ سنة (راجع Ibid. p. 365 note 1). وقد ترك لنا هذا الفرعون اسمه على مرسى «الكرنك» في مقاييس النيل في السنة السادسة من حكمه.

(١) أعماله في «تانيس»

كان أهم عمل قام به «شيشنق» في «تانيس» هو البوابة الضخمة التي أقامها في معبد «تانيس» الكبير، وهي التي تعرف بالبوابة الغربية، وقد كساها كلها بالجرانيت، وكانت بقاياها عند الكشف عنها عبارة عن تل ضخم من الأحجار، وأول من اشتغل في هذه الجهة هو الأستاذ «بتري»؛ غير أنه اكتفى بنقل النقوش التي على الأحجار دون أن يزحزحها من مكانها.

وفي عام ١٩٣٠ ابتدأ «مونتيه» في جر الأحجار التي لم تكن في موضعها الأصلي [إلى] أماكن أعدت لذلك في الجهة الشرقية والجنوبية والغربية، وقد زاد عدد هذه الأحجار عن المائة، ويزن كل منها من طنين إلى ثلاثة، وبعضها كان يزيد عن ذلك، وبعد الفراغ من هذه العملية ظهر أن البرج الشمالي لم يبقَ منه في مكانه الأصلي إلا ست قطع، ولحسن الحظ كانت حالة البرج الجنوبي أحسن؛ فقد بقي نصفه الشرقي ثلاثة مداميك في مكانها، ولكن الزاوية الغربية كانت قد زحزحت عن موضعها الأصلي كثيرًا، ومن أجل هذا كان من الضروري هدمها حجرًا حجرًا، وبعد ذلك قَوِيَ الأساس ورصت الأحجار في أماكنها الأصلية، وأقيم خلفها جدار عليه حماية لها.

وهذه البوابة كما قلنا من عمل الملك «وسرماعت رع شيشنق» الذي يلقب «باستت» ملكة عين شمس، ويتردد المؤرخون في الترتيب الذي يوضع فيه هذا الفرعون بالنسبة لملوك الأسرة الثانية والعشرين، ويقول «مونتيه»: إنه يقرب «أوسركون الثاني» الذي يسمى كذلك ابن «باستت»، وهو الذي انتهى حكمه إلى ٨٨٠ق.م.

وهذه البوابة تتألف من برجين قويين يفصلهما ممر عرضه خمسة أمتار يرتكز عليه الجداران المبنيان من اللبِن، وواجهات البوابة منحنية بعض الشيء، ونجد في كل برج الداخل كوة تواجه الداخل وتؤلف مربعًا مضبوطًا طول ضلعه خمسة أمتار ونصف متر وكان من الممكن أن يوضع مصراع من خشب الصنوبر أمام كوة البرج الجنوبي لأجل إغلاق الممر، ويلاحَظ أن برجي البوابة كان كل منهما مستقلًّا عن الآخر كما هي الحال بوابة «بوبسطة»، وكل منهما مجهز بكرنيش بدلًا من أن يتصلا بواسطة عتب، هذا هو ما نجده في بوابة «بطليموس أفرجت» بالكرنك. ونجد أن الواجهات والفرج التي للبوابة مزينة بالنقوش الغائرة الموزعة في ثلاثة صفوف ذات حجم متناقص، وكوة البرج الجنوبي وحدها — وهي التي كان يرد عليها مصراع الباب عندما كانت تفتح البوابة — قد تُركت خالية من الزينة، وهذه النقوش الغائرة كانت جميلة الصنع، ويَمْثُلُ الملك «شيشنق» فيها

أمام الآلهة الذين كانوا يتمتعون بإنعام الملك بعد أن حلوا محل الآلهة الحامية القدامى للبلاد وهم ثالوث «طيبة»؛ أي «آمون»، و«موت»، و«خنسو»، وكذلك الإله «مين» هو وإله آخر للجنوب، والإلهة «سخمت» برأس لبؤة، و«حتحور» برأس بقرة، والتاسوع العظيم، ونشاهد كذلك السفن المقدسة لآلهة «طيبة»، كما نرى أثرًا نُقِشَ بحروف صغيرة لم يمكن فهمها على الوجه الأكمل.

ومواد هذه البوابة العظيمة مأخوذة كلها من آثار قديمة من نفس المكان، ومن الغريب أنه لم يُعثَر حتى الآن على قطعة واحدة يمكن أن يقال: إنها قد قطعت مباشرة من محجر. والواقع أن هذه المدينة الدينية العظيمة التي أقام فيها «رعمسيس الثاني» المباني الفخمة منذ ثلاثة قرون من العهد الذي نحن بصدده كانت محجرًا شاسعًا خصبًا منذ بداية الأسرة الواحدة والعشرين لكل الملوك الذين كانوا في حاجة إلى أحجار لإقامة مبانيهم، وقد استعملها ملوك الأسرتين الواحدة والعشرين والثانية والعشرين كما هي أو بعد محو طغراء «رعمسيس الثاني» وكتابة طغراءاتهم هم، أو كانوا يهذبونها من جديد ويصلحونها لاستعمالها في مبانيهم، وقد كان هذا هو مصير تمثال ضخم «لرعمسيس الثاني» كان لا يقل طوله عن سبعة عشر مترًا، فنجد أن حجرًا ضخمًا من البرج الشمالي قد قطع من قدم هذا التمثال الهائل، وكانت الإصبع الكبيرة من قدمه طولها ٦٠سم؛ أي قدر الإصبع العادية عشر مرات.

ويمكننا أن نتصور في ذهننا عِظَم قاعدة هذا التمثال وتاجه. والواقع أن تمثال «تانيس» المارد لم يكن لديه ما يغبطه عليه أخواه اللذان أقيما في «الرامسيوم» وفي «أبو سمبل».

وإذا ما وازنًّا به تماثيل «منف» التي يزورها الإنسان وهو في طريقه إلى «سقارة» وجدناها بجانبه أطفالًا صغيرة. وكانت أحرف العمود الذي يستند عليه ظهر التمثال عرضها مترًا، وأحجام نقوشه الهيروغليفية مثل أحجام الصور التي تُرسَم على النقوش الغائرة العادية، ومثل هذا التمثال كان ينبغي أن يقدِّم جزءًا كبيرًا من أحجار البناء بعد تكسيره، والواقع أنه قد شوهدت منه قطع من الكتف والذراع أو من التنورة! ومع ذلك لم يكن ذلك كافيًا، فقد استعمل فضلًا عن ذلك ثلاث لوحات من لوحات «رعمسيس الثاني» أيضًا وخارجات ومصاريع أبواب ومسلات من الجرانيت ومن الحجر الرملي وتماثيل ثالوثات آلهة من الجرانيت وعتب باب فخم من الحجر الرملي مثِّل عليه شعيرة جَرْيِ «رعمسيس الثاني» أمام الإله «حور-أختي».

ومن المدهش أنه عثر خلف البرج الجنوبي على قطعة من الحجر الرملي مزينة بخمسة رءوس أسرى بارزة بقدر الحجم الطبيعي مرتين ونصفًا، وقد استعملت بمثابة سناد، وهذا الحجر كان جزءًا من سناد يمكن الإنسان أن يرى — حتى الآن في مباني مدينة «هابو» — مساند تشبهه مزينة برءوس أعداء على واجهات قصر برج «رعمسيس الثاني»، ووجدت كذلك أحجار أخرى من هذه المساند معروضة الآن بالمتحف المصري، وبوجه خاص يلاحظ فيها أن الرءوس كانت سليمة تمامًا، فنجد على القطعة الجديدة التي عُثِرَ عليها في «تانيس» (Pl. 11) أن الأسيرين الساميين واللوبي والنوبي والزنجي تُمثَّل بأعينهم المفتوحة وبتقاسيمهم المنتفخة والفم المفتوح ليعبر عن الفزع والألم، وعند فحص هذه الآثار الثمينة وقلبها وجدنا بكل أسف أن «رعمسيس الثاني» الذي قد أعاد فتح محاجر الشمال والجنوب؛ لم يتورع عن استعمال آثار أسلافه في مبانيه؛ إذ نجد على مصراع بابٍ من جهةٍ اسم «رعمسيس الثاني»، ومن الجهة الأخرى نقش للفرعون «خوفو»، هذا إلى نقش غائر على حجر باسم «خوفو» قد حوِّل في عهد «رعمسيس الثاني» إلى خارجة باب، ووجد على قطعة أخرى اسم شارة «خفرع».

وقد لوحظ أن حجر الزاوية للبرج الجنوبي قد استعمل في عهد «رعمسيس الثاني» خارجة باب مزينة بمتن جميل ذُكر فيه أسماء آلهة طردت فيما بعد من «تانيس»، وهم: «عشتارت»، و«ست»، و«منتو». وقد ظهر بين النقوش الهيروغليفية الخاصة «برعمسيس الثاني» آثار ألقاب ملك أقدم منه، ويحتمل أنه الملك «نو-سر-رع» أحد ملوك الأسرة الخامسة، والواقع أنه قد جمع في بناء بوابة «شيشنق» الضخمة أحجارًا عليها نقوش ترجع إلى الوراء خمسة عشر قرنًا؛ فقد وضع جنبًا إلى جنب عتب باب من عمل الملك «تيتي الأول» أحد ملوك الأسرة السادسة، وبعض أحجار جيرية جميلة مأخوذة من أحد مباني الملك «شيشنق الأول» مؤسس الأسرة التي ينتمي إليها الفرعون صاحب البوابة؛ مما يدل حقيقة على أن البوابة الضخمة ليست إلا مختصرًا تاريخيًّا لبلدة «تانيس» حتى عهد الأسرة الثانية والعشرين.

والطرقة الوسطى لهذه البوابة كانت مرصوفة بأحجار ضخمة اغتُصبت كذلك من مبانٍ قديمة، فنجد من بينها قاعدة تمثال للفرعون «رعمسيس السادس»، ومصراع باب للملك «بيبي الأول»، ومسلة للفرعون «بيبي الثاني» كان «رعمسيس الثاني» قد صنع فيها خارجة باب. هذا، وقد وُضع على وجه السرعة في أسس رقعة الممر تماثيل وجدت مدفونة على عمق كبير من قاعدة تمثال لأم «رعمسيس الثاني» الملكة «توي».

ويمر الزوار أولًا في هذه الطرقة بين تمثالين ضخمين «لرعمسيس الثاني»: واحد منهما من الحجر الرملي، والآخر من الجرانيت الأسود. فالتمثال الأول يقع في الجهة الجنوبية، ويبلغ ارتفاعه على أقل تقدير سبعة أمتار، وكان يمثل الملك واقفًا مستندًا إلى عمود وله لحية مستعارة ولباس نمس، وتحت النمس أو الكوفية تاج مزدوج والجذع عارٍ، وله حزام كبير مرشوق فيه خنجر، ويشاهَد صورة ملكة منحوتة على جانبه الأيسر، والتمثال من القطع الفنية؛ لما في مُحَيَّاه من جمال وحسن تصوير يضارعان أحسن التماثيل التي عملت «لرعمسيس الثاني» إذا استثنينا تمثاله المحفوظ في «تورين». وهذا التمثال كان قد قُلِبَ على وجهه بنفس الحادث الذي سبَّب سقوط البوابة، وقد تدحرج التاج من على رأسه لمسافة عشرة أمتار وتهشم، وبأعجوبة لم يحدث في الجذع والوجه كسور تذكر! ولكن الساقين والقاعدة تطايرت نُتَفًا صغيرة، وينقصها الآن قطع كثيرة لتصبح كاملة.

أما التمثال المصنوع من الجرانيت الأسود الذي كان تبعًا للتمثال المصنوع من الحجر الرملي، فقد أصابه عطب كبير ولم يبقَ منه سليمًا إلا التاج، وإذا حكمنا بما تبقى منه قلنا: إنه كان دقيق الصناعة، حسن التصوير.

ونجد بعد هذين التمثالين آخرين ضخمين كل منهما قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر، يشبه أحدهما الآخر تمام الشبه وهما «لرعمسيس الثاني» كما تدل على ذلك نقوشهما، فنشاهد الملك واقفًا على قاعدة طولها متر، ومستندًا إلى لوحة، وعلى رأسه تاج الجنوب، وله لحية مستعارة مجدولة، وقميص بسيط، وفي كل من يديه منديل، ومثِّل بجانبه على القاعدة صورة أنثى، ونقشت أسطر هيروغليفية عمودية حول القاعدة وعلى سطحها، وقد كان مصير هذين التمثالين واحدًا؛ فقد كُسِرَا من عند الرقبة ومن الوسط وعند الكعبين، وهي الأجزاء الضعيفة في كل تمثال وبخاصة عندما يكون التمثال عظيم الارتفاع، وقد تأثرت الأجزاء المفصولة. ورأس التمثال التي في الجهة الشمالية أجمل من رأس التمثال الآخر، ومن الممكن إصلاحهما ووضعهما على باب المعبد ثانية، ورأس التمثال الشمالي الجميل لا يشبه رأس التمثال المصنوع من الحجر الرملي، إن تماثيل «رعمسيس الثاني» العديدة لم تخرج كلها من مصنع واحد بعينه؛ فبعضها متشابه في الصورة وبعضها الآخر لم يُعتَنَ بصناعته ومثِّل في هيئة تقليدية.

وفي الحالة التي نحن بصددها نستطيع أن نفسر عدم التشابه بسبب آخر؛ وذلك أن التمثال الضخم المصنوع من الحجر الرملي وزميله المصنوع من الجرانيت الأسود

تدل صناعتهما على أنهما عمل فني أصيل، أما التمثالان المصنوعان من الجرانيت الأحمر، فقد اغتصبهما «رعمسيس الثاني» بعد أن محا نقوشهما القديمة ووضع مكانها ألقابه ومدائحه، وليس لدينا برهان مادي على هذا الاغتصاب؛ غير أن الرأسين المصنوعين من الجرانيت الوردي لا يشبهان في شيء ما الصناعة الأصلية الخاصة بالأسرة التاسعة عشرة، ولكنهما ينتسبان إلى نحت الدولة الوسطى أو الدولة القديمة مثل تمثالي «بولهول» اللذين بمتحف اللوفر (راجع A. 21; A. 23)، وقد عثر عليهما في «تانيس».

وبالقرب من البوابة نُصِبَ ثالوثان من الجرانيت الوردي؛ فالثالوث الجنوبي سقط بوجهه إلى الأمام وكسرت الرءوس الثلاثة، غير أنها وجدت على مسافة قصيرة وقد أصابها بعض العطب، ولكنها وضعت في مكانها، وهذا الثالوث بعد إقامته يعد أجمل وأكمل أثر في إقليم «تانيس» عامة، وهو عبارة عن قطعة حجر طولها أربعة أمتار خُصِّصَ أحد وجهيها للنقوش، وفي الوجه الآخر نحتت ثلاثة أشخاص نحتًا بارزًا، فالذي في الوسط هو «رعمسيس الثاني» مُثِّل مرتديًا على رأسه الكوفية (نمس)، وله لحية مستعارة، ويلبس قميصًا ذا ثنيات، ومحلًّى من الأمام برأس لبؤة وسبعة أصلال، ويمسك بيده صاحبيه، وهما: الإله «حور أختي» على اليمين، والإله «بتاح تاتنن» على اليسار. ويلاحَظ هنا أن المفتن قد استعمل طريقة لا بد أن تكون قد ظهرت في المدة الأخيرة من عهد «رعمسيس الثاني»؛ وذلك أنه إذا فَصَل الإنسان التمثال المصنوع من الحجر الرملي ومقابله المصنوع من الجرانيت الأسود، أو التمثالين الضخمين المصنوعين من الجرانيت الوردي من العمود الذي يستند عليه خلفه، فإن الإنسان لا يحتاج إلا لعملٍ قليل ليحصل على تمثال حقيقي يمثل الجسم الإنساني بدون تشويه، ولكن على العكس من ذلك في مجموعة الثالوث الذي نحن بصدده الآن لا يمكن أن نحصل على مثل هذه النتيجة؛ وذلك لأن الشخصيات الثلاث الممثلة فيه نجد فيها أن الساق اليسرى تتقدم للأمام والرأس ليس منفصلًا عنه إلا نصفه من الحجر المنحوت فيه، هذا إلى أن الجسم والذراعين واليدين منضمة، والساق اليمنى لا يكاد يبرز منها من الحجر إلا بضعة سنتيمترات، وهذا النوع من التماثيل يعد حفرًا أكثر منها نحتًا، ولكنه حفر ليس خاضعًا للقوانين العادية الخاصة بالحفر المصري؛ وذلك لأن الجسم الإنساني قد مثِّل فيه دون تشويه يشوبه، ولم نر هذا النوع من الحفر في العهد الفرعوني حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة، فقد كان لا يتسنى أحيانًا للنحات أن يصل تمامًا إلى فصل الشخصية الممثَّلة في الحجر من العمود الذي كان يستند عليه التمثال، وقد عُزِيَ هذا النقص إما لعدم جرأة المثَّال، أو لقلة مهارته. أما في «تانيس» فكان الأمر على

العكس من ذلك، فكان النحات مسيطرًا على آلته سيطرة تامة؛ ولذلك كان في مقدوره أن يهيئ مقدمات البروز التي كان ينبغي أن يكون عليها كل جزء من الجسم، ولدينا أمثلة أخرى من النحت من هذا النوع تكاد تكون حديثة في طرازها.

وفي كل التماثيل التي تظهر أنها ملصقة في اللوحات نجد أن النقوش قد نظمت على حسب قاعدة معينة بالضبط، فنجد خطوطها عمودية في الظهر وعلى الحواف، وخطوطًا أفقية على المقدمة وجوانب القاعدة، أما الخطوط الأفقية التي على الظهر فمقسمة ثلاث مناطق؛ ففي الوسط نجد طغراءات الفرعون تسبقها الألقاب العادية، وفي أعلى وفي أسفل تُقرَأ عبارات مدح وفخار جوفاء، وأحيانًا يصادفنا اسم إلهي أو جغرافي يلفت النظر.

وفي شمال الممر عُثِرَ على ثالوث آخر يمثل «رعمسيس الثاني» واقفًا بين الإله «خبري» وإلهة؛ ولم يمكن إصلاحه لأن بناء «شيشنق» قد كسرها قطعًا صغيرة عدة، ووُجد في ردهة المعبد بعض أجزاء هذا الثالوث، وقد بقيت بوابة «شيشنق» دون أن يحدث فيها أي تغير حتى وقف هدم المعبد. والواقع أنها حلت محل بوابة من الحجر الجيري الأبيض أقامها «شيشنق الأول»، والبوابة الأخيرة كانت أقيمت على أنقاض بوابة أخرى «لرعمسيس الثاني» الذي أقام بدوره بوابته على بقايا بوابة أخرى أكثر قدمًا، ومن الجائز أنها من عهد الملك «خوفو» أو الملك «خفرع»، وينسب إلى هذه البوابة العتيقة زاوية جدار وجدت على عمق عشرة أمتار من بوابة «شيشنق الثالث»، وتحت هذه الزاوية وجدت ودائع أساس مزدوج هشِّمَ بنقل المواد التي كدست عليه. وآثار بوابة «رعمسيس الثاني» لا يزال الكثير منها موجودًا، ونخص بالذكر حجري زاوية من الجرانيت الأسود، وقطعًا من الحجر الرملي الأحمر المزين بالنقوش الهيروغليفية، وقطعة من عتب باب، وقطعة ذات خمسة رءوس وجدت في الردهة الجنوبية، وقطعًا عدة من الحجر الجيري الأبيض. ويدل تنوع المواد والأشكال الزخرفية التي وجدت من بقايا بوابة «رعمسيس الثاني» على أنها كانت أضخم من بوابة «شيشنق»، وأنها كانت تمثل في منظرها مجدلًا أو برجًا كنعانيًّا مثل مجدل «رعمسيس الثالث» — الذي كان يقلد جده العظيم «رعمسيس الثاني» في معظم تصرفاته — المقام عند مدخل معبده في مدينة «هابو»، وعلى مسافة بضعة أمتار جنوبي بوابة «شيشنق» المقامة من الجرانيت وجد تحت اللبنات التي أقيم منها الجدار المحيط بالمعبد بناء من الأحجار المستعملة يحتمل أنه تابع لبوابة «شيشنق»، ومن هذا البناء القِطَع التي ذكرناها من قبل وقد وجدت مفصولة عنه.

ومع كل ما ذكر فإن ما نعرفه عن هذه البوابة لا يزال مشوَّشًا، وسيبقى كذلك إلى أن تَدْرُسَ قطعها وتُصلَحَ من جديد إصلاحًا تامًّا، وعندئذٍ يمكن وضع تاريخ لها حافل

بالمعلومات القيمة عن ملوك مصر وكيفية إقامتهم للمباني العظيمة على حسابهم أو على حساب من سبقهم من أسلافهم، ولو أدى ذلك كما شاهدنا إلى القضاء على أضخم المباني وأدق القطع الفنية وأجملها؛ كل ذلك في سبيل حب العظمة والظهور والفخر الناشئ عن الأنانية والتظاهر بغير الحقيقة اللتين طالما كشفت عنهما الآثار المادية، ولا أدل على ذلك من هذه البوابة الضخمة في ظاهرها الكاذبة في باطنها؛ فمؤسسها الأول أحد ملوك الدولة القديمة التي كان ملوكها مضرب الأمثال في إقامة المباني والعمائر، فهم الذين بنوا الأهرام ومعابدها التي لا تُدانَى في فخامتها وضخامتها ومتانتها، وخَلَفَهم ملوك الدولة الوسطى، فأقاموا في «تانيس» ما أقاموا من تماثيل ومبان أنيقة، والظاهر أنهم لم يَمَسُّوا بوابة الدولة القديمة بسوء إلى أن جاء «رعمسيس الثاني» الذي أراد أن يؤسس لنفسه مجدًا لا يدانيه مجد في كل أنحاء البلاد، فأقام على أنقاض بوابة الدولة القديمة بوابة أخرى لنفسه استعمل فيها أحجار أسلافه، ولا غرابة في ذلك؛ فقد وجدنا أن أعظم ملوك الدولة الحديثة يفعلون ذلك، ونخص بالذكر منهم «أمنحتب الثالث» الذي أقام بوابته في الكرنك من أنقاض معبدين من أفخم وأجمل المعابد المصرية؛ أحدهما «لسنوسرت الأول»، والآخر للملكة «حتشبسوت» (راجع الجزء الخامس). ولم يمض طويل زمن على ما فعله «رعمسيس» حتى جاء «شيشنق الثالث» فهدم كل ما أقامه «رعمسيس الثاني» في «تانيس» وأقام بأنقاضه بوابة ضخمة تشهد بعجزه وفقره وما آلت إليه البلاد في عصره.

(٢) مقبرة «شيشنق الثالث»

تقع مقبرة «شيشنق الثالث» على مسافة بضعة أمتار من مقبرة الملك «أمنمأبت» أحد ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وظاهر هذا القبر يدل على أنه مستطيل الشكل مقام من الحجر وداخله مقسم قسمين، وهما: البئر، وحجرة مزينة بالنقوش الهيروغليفية وصور شخصيات جنازية، ويحتوي على تابوتين من الجرانيت الرمادي، وقد كان هذا المكان هو المثوى الأبدي للملك المعروف في «تانيس» باسم «وسر ماعت رع» «شيشنق» باني البوابة العظيمة التي تقع على مسافة تقرب من ثلاثين مترًا في الشمال الغربي من هذه المقبرة، وهي التي أسلفنا القول في مبانيها والتقلبات التي حدثت في تاريخ أحجارها، ومما يؤسف له أن قبر هذا الملك كان قد استعمل محجرًا، وقد اختفت كل أحجار سقفه إلا واحدًا لم يكن كاملًا!

(٣) نقوش مقبرة «وسرماعت رع» «شيشنق»

وجدت جدران مقبرة هذا الملك الأربعة سليمة تقريبًا، وقُسِّمَ كل جدار صفوفًا أفقية وحفر عليها بعناية الأشخاص والكتابات بحجم صغير، وطراز نقشها يذكرنا بنقوش البوابة العظيمة التي أقامها هذا الملك، هذا إلى أن الكورنيش والسقف كانا لذلك مزينين بالرسوم، وعلى الرغم من أن أحجار السقف كانت قد انتُزعت، وأن الطين والرمل والماء قد اقتَحَمَتِ القبر؛ فإن المناظر والنقوش الهيروغليفية لم تتأثر من ذلك كثيرًا، فقد وجدت بعض الألوان لا تزال باقية نضرة، أما الزخرف فقد عُمل على غرار ما كان متبعًا في المقابر الملكية الأخرى، وهو محاكمة المتوفى والتبرؤ من كل الذنوب، ومسير الشمس بين النجوم الثابتة والنجوم السيارة، وموكب الآلهة، ورسوم بعض المناظر الجنازية. والواقع أن المؤرخ لا يستخلص من كل هذه المناظر والنقوش شيئًا يذكر، ومع ذلك فإنه من المهم أن نذكر هنا وجود عنصر هام لم يكن معروفًا من قبل في ألقاب هذا الفرعون وهو اسم شارته الذي كان ينقش في داخل مستطيل يعلوه صقر، وهذا اللقب هو الثور القوي خلقة «رع».

وتابوت هذا الفرعون المصنوع من الجرانيت له أهمية خاصة؛ فقد نحت في قاعدة تمثال ضخم يرجع عهده للأسرة الثالثة عشرة، وقد بقيت بعض نقوشه الأصلية لتحدثنا عن تاريخه، فنجد الاسمين الحوريين لملكين قد كتبا يواجه أحدهما الآخر وبينهما علامة الحياة، ومعنى ذلك أن هذين الملكين كانا مشتركين في الحكم معًا، واسم الملك الأول الذي على الجهة اليمنى من قاعدة التمثال هو «حتب أبتاوي» (وهو لملك يدعى حور) وهو الذي وَجَدَ له الأثري «دي مورجان» تمثالًا جميلًا في «دهشور»، أما الاسم الثاني فهو «خعباو»، وباقي ألقابه توجد على عتب باب في بوابة «بوبسطة»، وهي: «حور خعباو»، وملك الجنوب والشمال «سنحمخوتاوي»، وكل من هذين الملكين قد جاء ذكره في ورقة تورين في العمود الخاص بأخلاف الأسرة الثانية عشرة، فنجد اسم الملك «حور» في السطر السابع عشر، والاسم الآخر في السطر التاسع عشر، ولكن على الرغم من ذلك يتردد المؤرخون في المكان الذي يجب أن يحتله الملك «حور» بين ملوك الأسرة الثالثة عشرة.

ولما كان هذا الملك قد أراد دفن جثمانه في وسط الأسرة الثانية عشرة، فإنا نجد — لهذا السبب — بعض المؤرخين لا يريدون فصله عن ملوك هذه الأسرة، وأظن أن الموضوع قد حُلَّ بعد التفسير الذي أوردناه فيما سبق على حسب ما هو متبع في التقاليد الملكية عندما يشترك ملكان في الحكم فيكتبان معًا دلالة على ذلك.

ولم يترك اللصوص لنا من آثار هذا الفرعون إلا بعض قطع من أواني الأحشاء، وجعرانًا، وتمثال قطة صغيرة، ولا غرابة في ذلك؛ فإن القطة كانت المعبودة المحببة لملوك هذه الأسرة، وعبادتها كانت شائعة منتشرة في أنحاء القطر وبخاصة في الوجه البحري.

(٤) نقوش الكاهن الأكبر «أوسركون»[١] الذي عاش في عهدي «تاكيلوت» و«شيشنق الثالث»

عاش الكاهن الأول «لآمون» «أوسركون» في عهد والده «تاكيلوت الثاني» وكان قائد جيشه في «طهنه»، حيث كان مقر قيادته، ولم تكن قيادته على الوجه القبلي إلا اسمية، وقد دلت شواهد الأحوال من النقوش على أنه كان في «طيبة» حزبٌ معادٍ له، وكانت نفسه تتطلع إلى القبض على زمام الأمور في هذه العاصمة الدينية العظيمة، فتحرك بجيشه نحو«أهناسية المدينة»، حيث جمع جموعه هناك ثم سار بها نحو«الأشمونين»، حيث كان في أرض معادية له، وهناك شدد الخناق على عدوه، وفي النهاية استمال إليه الكهنة بالوظائف التي منحها إياهم في المعبد هناك، وبذلك كان في قدرته أن يسير نحو«طيبة»؛ حيث استولى عليها ونصب نفسه كاهنًا أكبر كان لا بد للوصول إلى توطيد قدمه هناك من أن يعترف

[١] يظهر أن تواريخ هذا الكاهن الأعظم «أوسركون» تمتد فترة طويلة من الزمن؛ أي من السنة الحادية عشرة من عهد «تاكيلوت الثاني» حتى السنة الثامنة والعشرين من عهد «شيشنق الثالث»، فإذا كان «تاكيلوت» قد حكم على أقل تقدير خمسًا وعشرين سنة، فإن مدة هذه التواريخ تكون ١٥ + ٢٨ = ٤٣ سنة على الأقل. ونجد من جهة أخرى أن النقش رقم ١٧ من نقوش مرسى الكرنك يظهر لنا أن «أوسركون» كان لا يزال يشغل وظيفة كاهن أكبر في السنة التاسعة والثلاثين من حكم «شيشنق الثالث»، ولكن يظن «بريستد» أن مجموع السنين التي تولى فيها «أوسركون» منصب الكاهن الأكبر تبلغ أربعًا وخمسين سنة (راجع A. R. IV & 756)، ولكن الأثري «دارسي» (راجع Rec. Trav. XXXV p. 137) يعتقد أنه كان في مقدوره أن يبرهن أن حكم كل من «تاكيلوت الثاني» و«شيشنق الثالث» كان في وقت واحد، وأنهما لم يحكما متتابعين، وأن السنة الحادية عشرة من حكم «تاكيلوت الثاني» تقابل السنة الثانية والعشرين من حكم «شيشنق الثالث»، وعلى ذلك لا يكون «أوسركون» قد قام بأعباء وظيفة الكاهن الأكبر إلا من السنة الثانية والعشرين حتى السنة التاسعة والثلاثين من حكم «شيشنق»؛ أي مدة سبع عشرة سنة فقط، ولا تمتد تواريخ «أوسركون» في «الكرنك» إلا مدة ست سنوات؛ أي من السنة الثانية والعشرين حتى السنة الثامنة والعشرين من حكم «شيشنق الثالث» (راجع L. R. III p. 352 note 1).

به الإله «آمون» [فعقد] من أجل ذلك محكمة في «طيبة» لمحاكمة رجال الحزب المعادي، وانتهى الأمر بطرد هؤلاء المدعين من المدينة وقُضِيَ عليهم بالإعدام حرقًا، ومن جهة أخرى اختار جيلًا جديدًا من الكهنة وموظفي المعبد وأصدر مرسومًا بهذا التجديد، يضاف إلى ذلك أنه عمل على راحة هؤلاء الموظفين من الوجهة المادية، فأغدق عليهم «أوسركون» هذا إنعامات عظيمة ضمنوا بها معاشهم.

وسنترك جانبًا الآن تحديد العلاقة التي بين هذا المتن والمتن المشابه له الذي ورد معبد «الكرنك»؛ إذ سنتحدث عنه فيما بعد، غير أنه يوجد متن آخر نقش في الكرنك (راجع L. D. III 255, t)، وهذا المتن خاص كذلك بالسنة الحادية عشرة من عهد الملك «تاكيلوت» في شهر بشنس، اليوم الحادي عشر؛ ففي هذا اليوم أي: بعد نحو أربعة أشهر من الأمر بإصدار المرسوم جاء «أوسركون» بوصفه الكاهن الأكبر لآمون إلى «طيبة» للاحتفال بعيدها، ولم يكن وقتئذٍ قد اتخذها مقرًّا دائمًا له، هذه المناسبة حضر إليه كاهن يتضرع إليه لإنصافه، وذلك أن الكاهن ينتسب من جهة أمه لكهنة آمون العظام، وكذلك كان والد آبائه كاهنًا، ويحمل لقب والد الإله ورئيس أسرار «باوت تاوي» (الإله الأزلي)، فهل يجوز كل ما له من نسب أن يطرد من «طيبة» التي ولد فيها وترعرع، ومن ثم نفهم هذا الرجل كان من الذين نفوا من طيبة، وبعد ذلك أصدر «أوسركون» أمره بتعيينه كاهنًا، ومن ثم نفهم أنه لم يكن من الذين أمر «أوسركون» في المرسوم الذي أصدره قبله، بل كان في حقيقة الأمر رجلًا من أعداء «أوسركون» الذين عاقبهم بعد بالنفي، وأنه بعد ما أصابه من فشل أتى في الوقت المناسب يستعطفه ويطلب إليه إعادته إلى مسقط رأسه.

وهذا المتن منفصل بذاته عن المتون الأخرى الخاصة «بأوسركون»، وسنورد هنا ترجمة ما تبقى منه على حسب التصحيحات والزيادات التي أدخلها الأستاذ «زيته» بعد مراجعته على الأصل، وقد تناوله بالبحث الأستاذ إرمان في مقال منفرد (راجع A. Z. 45. p. Iff).

والواقع أن النقوش الخاصة بالكاهن الأكبر «أوسركون» تعد أطول نقوش على جدران بوابة «بوبسطة» «بالكرنك»، وكلها نقشت من الداخل في الجهة الشمالية من البوابة على كِلَا مصراعي الباب، وتبتدئ عند الجهة الشرقية من المدخل (السنة الحادية عشرة)، وتستمر على الجدار الغربي في زاوية مستقيمة بالنسبة لباب الجدار الواقع غربي المدخل (السنة ١٢–١٥)، ثم تتجه نحو الركن وتسير على جدار الباب الواقع غربي المدخل السنة الواحدة والعشرين من عهد «تاكيلوت الثاني» إلى السنة التاسعة والعشرين من عهد «شيشنق الثالث».

ويلاحَظ أن الخطوط العمومية من هذه النقوش يعلوها مناظر على كل من جانبي الباب، والنقوش كما يقول «بريستد» ممزقة شر ممزق، وقد ترجم ما أمكنه فهمه، وقد اعترف أنه في الإمكان أن يتعرف الباحثون على شيء أكثر مما نشر، وهذا ما فعله الأستاذ «زيتة» كما يقول «إرمان».

وسنبتدئ بالمتن الذي أُرِّخَ بالسنة الحادية عشرة من حكم «تاكيلوت الثاني» كما ذكرنا من قبل، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أننا فضلنا التحدث عن تاريخ «أوسركون» في عهد الملك «شيشنق الثالث»؛ لأن معظم مدة رياسته لكهنة «آمون» كانت في عهد ذلك الفرعون. وهاك نص المتن الذي لخصناه فيما سبق مع الشرح الذي أورده الأستاذ «إرمان».

(٤-١) المتن المنقوش شرقي الباب (L. D. III 257 a)

يشاهد منظر مزدوج في أعلى النقش يظهر فيه «تاكيلوت الثاني» بصحبة ابنه الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون» أمام الإله آمون، وقد كُتِبَ معه أسماؤه وألقابه: «السنة الحادية عشرة، الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الأول في عهد جلالة الملك «تاكيلوت» … (كان) المشرف على الوجه القبلي والحاكم الأعلى للأرضين، وهو الذي نصبه «آمون» برغبته، واختاره في طيبة القائد الأعلى للجيش في كل الأراضي قاطبة، والمقدم «أوسركون» الذي وضعته الأميرة الممدوحة كثيرًا والزوجة الملكية العظيمة وسيدة الأرضين «كارمعمع» … في مقرها بوصفه عظيم الانتصارات على حدوده المسماة «قمة جبل آمون العظيم» في صرخة الحرب؛ «أي: طهنة الحالية».» والمقصود من المتن السابق ذكر ماضي حياة «أوسركون» الذي ذُكر هنا أنه بوصفه قائدًا لجيش والده قد جعل مركز قيادته في «طهنة الجبل» الحالية، ولم يكن بعد قد عين كاهنًا أكبر «لآمون»؛ غير أنه كما سنرى كان تابعًا لهذا الإله ومحبوبه.

والجُمَل التالية لذلك تصف لنا قوة «أوسركون»: «فالوجه القبلي يناديه، والوجه البحري يتضرع إليه؛ لأن الخوف منه يشمل الأراضي التي تُحْضِر إليه جزيتها حتى بابه.»

وبعد ذلك تبتدئ جملة جديدة جاء فيها: «ولكن هذا الابن الملكي.» ونقرأ فيما تبقى منها الألفاظ التالية: … والعدو الذي وظفه الكاهن الأكبر لآمون الأبدي الباقي … ومثل هذا العدو يجب أن يمقت أو يبغض وكذلك يسمى من اسمه؛ أي «آمون» كان شفيعه مثل اللبن، ويحارب عن متاعه (أي متاع آمون؟) أكثر مما يحارب ثور لأجل … وأخيرًا يقول ما معناه: «وقد ذكر (؟) والده المحترم «آمون» صاحب «الكرنك» في قلبه أكثر من أي إله

آخر في أي بلدة أخرى. تحت سلطانه.» وبعد ذلك يختم قوله بما يأتي: «ولم يَدَعِ الوقت يفوته مثل القمر ...» أي: إنه كان مواظبًا تمامًا في إقامة أعياد «آمون»، ومن ذلك نفهم أن «أوسركون» كان فيما قبل — وهو قائد الجيش لوالده في «طهنة» — يخدم «آمون» قبل خدمته للآلهة الآخرين.

وبعد ذلك تبتدئ فقرة جديدة تقص علينا على حسب الطريقة المصرية كيف توصل «أوسركون» إلى الاستيلاء على مصر العليا و«طيبة» بإعلان الحرب على عدو لم يذكر اسمه: «وبعد ذلك نهضت طيبة وحمتها الآلهة الذين يقيمون فيها ... ثم ساروا نحو «أهناسية المدينة»، وخرج في وسط جيشه مثل «حور» الذي جاء من «خميس»، وعندما كان متوجهًا نحو بلدة الأشمونين وعمل ما يحب سيده رب الأشمونين هناك ...» (لم يمكن ربط الكلام هنا).

وعمل كذلك لآلهة عظام آخرين، ومواقدهم أصبحت ... وقبورهم جددت، ومعابدهم نظفت من كل دنس، وجدرانها أقيمت من جديد، وهكذا كل ما هدم من أية بلدة في الوجه القبلي قد جدد، وعدوه طرد من الحكم، وأصبحت هذه الأرض حرة (؟) من الفزع في زمنه، وبذلك أصبحت الطريق مفتوحة إلى «طيبة»، و«أوسركون» ... ساح في النهر بسرور وأرسى عند «الكرنك»، وقد قوبل هناك بالفرح، وقد دخل (أي أوسركون) في ... لأن الآلهة الذين فيها كانوا فرحين ... وعندما كان هناك فعل ما يحبه سيده الإله «آمون رع» صاحب «الكرنك»؛ وذلك بتقديم غنائم انتصاراته لآمون العظيم، وأمر بأن تقدم قرابين فاخرة من كل شيء طيب طاهر نظيف حلو، وأن تجهز بعشرات الألوف والآلاف مما يخطئه العد؛ لتكون قربانًا يوميًّا ثابتًا من الآن إلى ما بعد.

والفجوة التي تأتي بعد ذلك المتن تنتهي ببقايا تاريخ، وفي هذا التاريخ المفقود يذكر بكل المتن أو يحدد اليوم الذي احتفل فيه بظهور الإله الفاخر رب الآلهة كلها «آمون رع» ملك الآلهة والإله الأزلي، وبذلك كان الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون» في صورته مثل الكاهن «أونموتف» (سند أمه) مع ... أمامه.

والواقع أنه كان بين جنوده، ولكن الإله هز رأسه بشدة موافقًا على ما قيل له مثل الوالد الذي يكون رحيمًا بابنه، ومن المحتمل أن هذه الموافقة من جانب الإله كانت على تثبيت «أوسركون» كاهنًا أكبر. ويلاحَظ في هذا المتن أن «أوسركون» قد ذُكر للمرة الأولى في حديث هذا العيد بوصفه كاهنًا أكبر لآمون، وعلى ذلك فإنه لا بد كان قد نزع رياسة الكهنة بحضوره في «طيبة» من العضو الذي كان يشغل هذه الوظيفة من أعضاء الحزب

المعادي له وهم الذين قهرهم، ولا بد أن الإله «آمون» قد مكنه في هذه الوظيفة بوساطة الوحي في أثناء الاحتفال الذي أقيم لذلك. ما يأتي بعد ذلك من المتن يتفق مع هذا الرأي، ومن الغريب أننا نجد نقوش «أوسركون» في الجمل التالية تذكرنا ثانية أنه يحمل لقب المشرف على الجنوب وعندئذ أتى الكهنة، والكهنة آباء الآلهة، والكهنة المطهرون، والكهنة المرتلون لآمون، كل أهل بيت زوج الإله يحملون بطاقات الأزهار للمشرف على الوجه القبلي، وكذلك تدفقت أهل المدن والمراكز مجتمعين معًا وقالوا بفم واحد رافعين أصواتهم للمشرف على الوجه القبلي قائلين: إنك السند القوي لكل الآلهة، ولقد نصبك «آمون» أنت يا بكر والده. وبعد فجوة في المتن يمكن للإنسان أن يفهم ما يأتي: «تأمل إنه (آمون) قد أتى بك إلينا لأجل أن تبعد عنا شقاءنا الذي حدث بسبب خراب ممتلكات الإله.» ويأتي بعد ذلك فجوة … والكلمات التي تأتي بعدها لم تفهم جزئيًّا، والظاهر أنها تفسير لحالة الأزمة التي حدثت، ومن المحتمل أن موضوعها خاص بموظفين غير مستقيمي الحال؛ إذ يقول: «كل من يحمل المحبرة في معبده يتعدى على تصميماته، وكل من … يضع ويغير ما جرت عليه العادة في بيوت الإله كل هؤلاء يكونون مذنبين.» ولكن بعد ذلك تتحسن الحالة: «فالمعابد أصبحت كما كانت في البداية (؟) … الزمن الأولي.» ويجيء بعد خطاب الكاهن كذلك ما يأتي: «وقيل: وعين شمس سارت … ضد الذي إنسان عينه …» الواقع أن عين شمس هي المساعد المعاقب لمن يتعدى على الإله، والمقصود من ذلك هو إنزال العقاب بالذين عملوا السوء، وهم الذين ذكروا فيما سبق، وعلى ذلك ينبغي على «أوسركون» أن يعاقب كل أهل السوء الذين كانوا أعداء «لآمون». هذا المقترح وافق عليه «أوسركون»، ونرى ذلك من قوله: «أحضر إليَّ واحدًا مِن كل مَن خالف عادة الأجداد … عين شمس.»

نعود بعد ذلك إلى سياق الكلام: «وقد أُحضروا في الحال أمامه مكبلين مثل رجال الجزية التابعين … وضربهم لأنهم في … وضعوا مثل العظماء … في ليلة الـ … العيد وأحرقوا في المواقد … مثل مواقد عيد زهور نجم الزهراء (عيد رأس السنة)، وكل واحد منهم أحرق في النار في مكان جريمته.» وقد يخامر الإنسانَ الشكُّ في تفاصيل هذه الجملة، ولكن الواضح أن «أوسركون» قد أحرق أعداءه، ومن المحتمل أن ذلك كان في المعبد نفسه إذا فهم الإنسان عبارة: «في مكان جريمته» بمعناها الحرفي. هذا إلى أن قَرْنَ كوم قطع النار بمواقد العبادة يمكن أن يشير إلى ذلك.

وبعد أن طرد رجال الحزب الذين كانوا مسيطرين على طيبة حتى الآن كان لزامًا على «أوسركون» أن يهتم بعمل تعويض عن ذلك، وهذا ما سنجده في الجملة المهشَّمة التالية: «... فدعا بإحضار أولاد أعيان حكومة (؟) هذه الأرض المتعلمين (منهم) لأجل أن يضعهم في وظائف آبائهم بقلب مِلْؤُه الفرحُ، وبذلك يصلح المعبد كما كان من قبل (؟)»

قال لهم: «لقد رأيتم ماذا حدث للذين تعدوا على أوامر أسيادهم، و... فاحذروا أن يحدث مثل ذلك ...» وبعد ذلك تحدث «أوسركون» عن الإله «رع» وبلدة «أرمنت» وعن أشياء مادية لم يمكن التعرف عليها: «أمر بكتابة ... الكاهن الأكبر لآمون رع «أوسركون» باسم «قصر آمون رع»، ومعبد «موت»، ومعبد «خنسو» (؟) ومعبد «منتو» صاحب طيبة و...» وهذا الأمر خاص كما يرى الإنسان مما تبقى من المتن أنه بمثابة ضمان الدخل الخاص بهؤلاء الذين عينوا كهنة جددًا، ويعقب هذا الأمر الأول أمر آخر وآخر دونت كلها في ثلاثة عشر سطرًا؛ غير أن الإنسان لا يمكن أن يحصل منها على شيء مفهوم إلا القليل، وعلى أية حال نفهم أن ما جاء فيها كان خاصًّا بتنظيم أشياء مختلفة تشير إلى وقف وتموين ومصابيح في الكرنك، وحبس قربان على معبد «آمون»، وإعالة حارس باب وبحار، وما إلى ذلك، هذا إلى الكيفية التي كان ينبغي بها زيادة النقود اللازمة للمعبد، وكذلك المواد العينية كان لا بد أن تجدد، وبعد ذلك خُتِمَ المرسوم بالحسنى على من أحسن، واللعنة على من اعتدى، على غرار ما نجده في مثل هذه الأحوال: «فكل من لا يتعدون أمري فإنهم يموتون في حظوة «آمون» سيدهم، أما من يحيد عن هذا القرار الذي أمرت به فإنه يقع تحت مقصلة «آمون رع»، ولهيبُ الإلهة «موت» يستولي عليه بهوله.»

وعلى الباب الغربي نجد منظرًا يظهر فيه «أوسركون» يقدم قربانًا أمام «آمون»، وأسفله النقش التالي الذي ليس له أي علاقة كما ذكرنا بالمتن السالف (راجع L. D. III 256 a; & 258 a–b; & Brugsch, Thesausrus p. 1225–30).

السنة الثانية عشرة، الشهر الأول من الفصل الأول، اليوم التاسع في عهد جلالة «حور» الثور القوي المضيء في طيبة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين وسيد القربان «حز خبر رع ستبن رع» بن رع من جسمه «محبوب آمون سا إزيس تاكيلوت» (الثاني) ... تأمل. إن أكبر أولاده على الأرض هو الكاهن الأكبر لآمون ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش «أوسركون» ...

ومن سطر (٢) إلى (٥) تبتدئ سلسلة نعوت تقليدية من المديح والإطراء ينعت بها الملوك عادة، وهي كما يقول الأستاذ «جاردنر» تعبر عن حظوة «أوسركون» وقوته عند

الملك، وقد ذَكَرَتْ هذه النعوتُ على التوالي ألقابَ الملك الخمسة على حسب ترتيبها المتبع (راجع Br., A. R. p. 762 note B):

وصول «أوسركون»: لقد أتى في وقتنا في السنة الحادية عشرة (؟) (…) حاملًا قرباتها الخاصة بالعيد (يقصد طيبة) لأجل أن يجعلها في عيد … ولقد فرحوا برؤيته جاعلين قربانها في عيد وممدين موائد قربانها بكل شيء طيب طاهر جميل؛ ليزيد القربات اليومية.

الحروب الداخلية في مصر: (راجع Rec. Trav. T. XXXV. p. 136) وفيما بعد في السنة الخامسة عشرة، الشهر الرابع من الفصل الثالث، اليوم الخامس والعشرين (أي ٢٤ أبيب) في عهد جلالة والده الفاخر (أي تاكيلوت الثاني) الحاكم الإلهي لطيبة، قد حدث هياج عظيم في هذه الأرض قبل أن تأكل السماء القمر (خسوف القمر) … الممقوتون والثوار، وأشعلوا حربًا في الجنوب والشمال … دون أن ينقطعوا عن محاربة أولئك الذين كانوا هناك وأولئك الذين تبعوا والده، وعلى مر السنين في مناوشات كان كل واحد يقبض على جاره دون أن يذكر ابنه[٢] الذي ولده ليحميه، وقد كان راضيًا في قلبه قائد … ممتاز لكل حجرة جميلة خاصة به.» (المعنى غير مفهوم في الجملة الأخيرة وما بعدها).

خطاب «أوسركون» للبلاط: قال حاكم الوجه القبلي هذا (يقصد الكاهن الأكبر «أوسركون») لأشرافه وأصحاب والده الذين كانوا بجانبه: (…) ومما يؤسف له أن تفاصيل هذا الخطاب مبهمة تمامًا! غير أنه من الواضح أن «أوسركون» كان يحثهم على الصلح، ويمكن أن نفهم الجمل التالية: «إنكم كنتم المستشارين لمن أنجبني … ولن تحاربوا …» ثم يلتجئ إلى سلطته في طيبة فيقول: «لم أجد سبيلًا إلى معرفة صالحها.» ثم ينسب الهياج ظاهرًا إلى الإله «رع» الذي يجب أن يُسترضى بالقربان.

إخلاص البلاط: والآن بعد أن انتهى من نطق هذه الكلمات فرحت قلوبهم وأكدوا له قائلين: «إن كل مشروعاتك قد نفذت، والآن عندما تقدم قربانًا للإله فإنه سيصلح الأرض.» وباقي الخطاب غير مؤكد في معناه، ولكن العبارات الباقية تظهر أنهم كانوا مخلصين له.

[٢] من المحتمل أن هذا الابن هو الوارث للعرش في «بوبسطة»، أو «أوسركون» الكاهن الأكبر.

العودة إلى طيبة: وبعد ذلك قال له حاكم الجنوب: ... اجمع هذا الجيش[٣] في مكان واحد ليقيم له قاعة عمد، وقد عملت على حسب ما قاله، فأحضروا ... للسفن، وحتى كل أشيائه التي عدت بمثابة متاعه، ثم أتى أولئك الذين كانوا يتبعونه رجالًا ونساء، وبلاط والده، والجنود حرسه بعدد لا يحصى، وفضلًا عن ذلك كانت هناك سفن محملة كل واحدة منها بقربانها.

وكل هؤلاء الناس أحضروا هداياهم وأتوا بقلب فرح؛ لأنه كان محقًّا في قلوبهم مثل ابن «أوزير». (أي الإله «حور»).

الوصول إلى طيبة: وبعد ذلك وضعت أناس في مقدمته وفي مؤخرته مهللين بالفرح إلى عنان السماء، وبدءوا السير في الرحلة تجاه طيبة في سرور، وكان مثل «حور» سائحًا شمالًا في أثناء عيد «ركح» ... (...) وكان جنوده كقطيع من الطيور البرية، وقد وصل في وقت الخضرة، وقد حضروا أمامه بقلب محب (لمدينته) المنتصرة، وعندئذ وجدوا «طيبة» في فرح، و«الكرنك» في عيد بسبب وصوله إليها ... في «هليوبوليس الجنوبية» (طيبة الغربية).

تقديم القربان: وبعد ذلك عَمِلَ قربانًا عظيمًا ... ثيران وغزلان وظباء ووعول وإوز مسمن بعشرات الآلاف والألوف ... فيضان من النبيذ ... والأزهار والشهد وشراب شدح أيضًا ... ومكاييل من البخور، وبعد ذلك قدم هذه الأشياء للإله العظيم في طيبة ... (١٦) ... وهذا الإله الفاخر قد أُحْضِرَ في موكب ليزين هذا القربان، في حين كان تاسوعه الإلهي يستقبله بقلب فرح.

الإله «آمون» يعفو عن الطيبيين: وخاطب الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون» الإله العظيم، وتكلم جيشه في مديحه ... وقد وجهوا الآن أسئلة استغاثة للإله يمكن أن نتعرف من بينها على السؤال التالي: هل ستعمل لطيبة ما فعلته لهم؟ يقصد هل ستعاقب طيبة كما عاقبتهم؟ والمقصود هنا بالضمير «هم» أي: الذين أثاروا الفتنة من قبل وعوقبوا بالحرق كما أوضحنا فيما سبق.

والأسطر الثلاثة التي تأتي بعد ذلك (من ١٨ إلى ٢٠) لا تحتوي إلا على بعض إشارات مبعثرة لا يمكن أن نعرف منها بقية خطابه، وقد كانت استغاثتهم ناجحة؛

[٣] كان جنود الجيش يشتغلون في أعمال أخرى غير الحروب في كل عصور التاريخ المصرية.

لأن الإله قد أجابه بهز رأسه بعلامة الاستحسان والقبول، وبذلك نجت «طيبة» واشترك الطيبيون في مديح «أوسركون» و«آمون» ووعدوا الإله بأحسن القربان.

(٤-٢) ملخص قربان «أوسركون»

وينتقل سياق الكلام الآن إلى فترة طويلة من عهد «أوسركون» الكاهن الأكبر مبتدئًا بنظره إلى الوراء عن إنعامات «أوسركون» من أول حكمه في «طيبة»، وقد ذكرها نفسه بأنها: «قائمة بكل الإنعامات التي فعلتها لهم في أول مرة من السنة الحادية عشرة في عهد «تاكيلوت الثاني» إلى السنة الثامنة والعشرين من عهد جلالة «شيشنق الثالث».»

وبعد تعداد قائمة من المر والبخور والشهد والزيت يأتي ذكر معادن ثمينة أعطيت «آمون» و«موت» و«خنسو»، من بينها ذهب جميل من «خنت حن نفر» (بلاد النوبة) مرتين، وبعد ذلك عددت قرابين الكاهن الأكبر لآمون ملك الآلهة من السنة الثانية والعشرين حتى السنة السادسة والعشرين، ويظهر من بينها دَخْل الإلهة «ماعت»، وبعد ذلك نجد ملخص دخل الإله «آمون» في السنة الخامسة والعشرين، ويتبعه دخل الإلهة «موت»، أما آخر سطر في النقش وهو الثاني والعشرون فيحتوي على دخل الإله «آمون» والإلهة «حتحور» في السنة التاسعة والعشرين (ويحتمل أن هذا السطر قد أضيف فيما بعد).

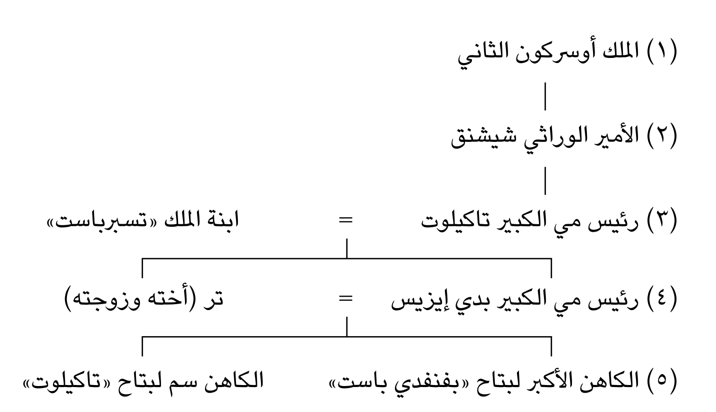
(٥) لوحة «بدي إزيس»

عَثَرَ «مريت» على لوحة في «السرابيوم» باسم «بدي إزيس» الذي عاش في عهد الملك «شيشنق الثالث» وهي الآن بمتحف اللوفر (No 18) (راجع Mariette, Le Serapeum de Memphis III Pl. 24; Chassinat, Rec. Trav. 22 p. 9–10; & Br., A. R. IV & 771–774).

و«بدي إزيس» صاحب اللوحة هذا كان قائدًا لوبيًّا، وهو الحفيد الأكبر للملك «أوسركون الثاني»، وقد عاش في عهد الملك «شيشنق الثالث»، وهو الذي أقام هذه اللوحة في السنة الثامنة والعشرين من حكمه في مدفن «السربيوم»، وهي لوحة منذورة وفيها يقدم لنا سلسلة نسبه، وقد أضاف فيها اسمي ابنيه وهي:

ويلاحظ أن «شيشنق» الذي ذُكر في شجرة النسب هنا (رقم ٢) قد لقب بوضوح بالأمير الوراثي العظيم الأول، وليس لدينا شك في أنه هو الأمير الذي صار فيما بعد

«شيشنق الثاني»، وقد أثبتت الحفائر الحديثة التي كشف فيها عن موميته أنه كان ملكًا بالفعل، ولا يمكن أن يكون ابنه هو «تاكيلوت الثاني» وإلا لوضع اسمه في طغراء وسمي ملكًا، هذا فضلًا عن أن سجل مقياس النيل الذي في مرسى «الكرنك» يسمي «تاكيلوت الثاني» بن «أوسركون الثاني».



وقد دفن أحد عجول أبيس في السنة الثامنة والعشرين من عهد «شيشنق الثالث»، وقد أعطى «بدي إيزيس» فرصة لإقامة هذه اللوحة، وقد اشترك في البحث عن «أبيس» جديد في نفس السنة، وقام بدفنه بعد ست وعشرين سنة في السنة الثانية من حكم الملك «بامي» عندما أقام لوحة أخرى كما سنرى بعد.

وهاك نص اللوحة الأولى:

> السنة الثامنة والعشرون من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع ستبن آمون» بن «رع رب التيجان» «محبوب آمون ساباست» «شيشنق الثالث» حاكم هليوبوليس الإلهي.

وأسفل هذا المتن نشاهد ثلاثة رجال يصلُّون أمام عجل مقدس ومعهم المتن التالي الذي يدل على أنهم والد وابناه:

(١) «صاحب الحظوة المحبوب رئيس «مي» العظيم «بدي إيزيس» المبرأ ابن الرئيس العظيم للمشوش «مي» «تاكيلوت» المبرأ، وأمه «تسبر باست» المبرأة، ابن الأمير الأول

العظيم الوراثي «شيشنق» المبرأ، والابن الملكي لرب الأرضين «وسرماعت رع ستبن آمون» «أوسركون الثاني» معطي الحياة مثل «رع».

(٢) صاحب الحظوة لديه ومحبوبه الكاهن الأكبر «لبتاح» «بفنفدي باست» المبرأ ابن الرئيس العظيم لقوم «مي» (المشوش) «بدي إيزيس» المبرأ، وأمه «تري» المبرأة ابنة الرئيس العظيم لقوم «مي» «تاكيلوت» المبرأ (وعلى ذلك كانت أمه أخت وزوجة والده).

متن الكرنك: هذا، ولدينا قطعة من نقوش تواريخ الكهنة التي نقشت على عُمُدٍ مربعة من أحد معابد الدولة الوسطى خلف محراب معبد «الكرنك الكبير» (راجع Legrain, Rec. Trav. 22 p. 55 note 7)، وهذه الوثيقة من نوع النقوش التي اعتاد تدوينها الموظفون الذين عاشوا في هذا العصر على الجدران القديمة في معبد «الكرنك» تذكارًا لتعيينهم أو ترقيتهم في وظائفهم. والمتن يحمل في طياته آخر تاريخ بقي لنا من عهد الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون»، وكذلك يحدثنا عن أن أخاه «باكنبتاح» كان قائد الجيش في «أهناسية المدينة» الموطن الأصلي الذي نبت فيه ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وهذا التاريخ هو السنة التاسعة والثلاثون من عهد «شيشنق الثالث»، ولا بد أن «باكنبتاح» كان قد اعترض على أسرة «حور باسن» في توليها رياسة الكهانة في «أهناسية المدينة»، وينبغي أن يكون هذا الأمير من الجيل الذي بين (١٢–١٤) أو حوالي ذلك في سلسلة النسب التي شرحنا فيها أسرة «حور باسن» [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني]. والفترة التي تولى فيها «باكنبتاح» زمام الحكم في «أهناسية المدينة» تفسر لنا بلا نزاع أصل الاضطرابات التي قامت في عهد «شيشنق الثالث» و«أوسركون» الكاهن الأكبر، والمحتمل أن «أوسركون» وأخاه «باكنبتاح»، وهما ابنا «تاكيلوت الثاني» قد طُرِدَا من «أهناسيا المدينة» الأسرة التي عينها هناك «أوسركون» الثاني، وهذا يقدم لنا مقابلة هامة عن طرد الكاهن الأكبر «أوسركون» نفسه من طيبة، ويُفْهَم على الأقل أن سبب الطرد هذا كان على يد أهل «أهناسية المدينة» الذين لم ينتقم منهم. والآن يتساءل الإنسان: هل كان استرجاعهم «لأهناسية المدينة» وقتئذٍ هو نهاية مجال حياة «أوسركون» الطويل في طيبة (؟) المحتمل أن هذا هو الواقع.

المتن: «السنة التاسعة والثلاثون، الشهر — الفصل الثالث، اليوم السادس والعشرون في عهد جلالة الملك «شيشنق الثالث» العائش أبديًّا، تأمل، لقد كان الكاهن الأكبر «لآمون رع» ملك الآلهة، وحاكم الجنوب الرئيس «أوسركون» ابن الملك «تاكيلوت الثاني» العائش

سرمديًّا في طيبة يحتفل بعيد آمون بقلب واحد مع أخيه القائد الأعظم لجيش «أهناسية المدينة» «باكنبتاح» — هازمين كل من حاربهم، وفي هذا اليوم كان تنصيب القاضي الأعلى وحاكم المدينة والوزير — «حور» … على العرش العظيم الفاخر لآمون.» (وبقية النقش هو خطاب للموظف الذي نصب، ولكن معظمه غير مفهوم) (راجع Legrain, Rec, Trav, XXII p. 55 note 7).

كوم الحصن: وجد في كوم الحصن جزء من أسفل بوابة ضاعت نهايتها، وكتب في وسط هذا الحجر نقش مهشَّم أوله خاص بالفرعون «شيشنق الثالث»: «… ليمين الإله العظيم حاكم الأبدية، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع ستبن رع»، معطي الحياة مثل «رع».» وعلى اليمين صور آلهة مهشمة واقفة خلف آمون قاعدًا، وكُتِبَ معه: «نسلم أعياد الآلهة، يا أيها الملك الذي مثل «أتوم» (محبوب آمون باست شيشنق حاكم هليوبوليس الإلهي).» وأمام آمون إلهة صغيرة تدعى «مري» تلبس على رأسها حزمة نباتات، وضفيرة شعرها مرسلة على ظهرها، وواقفة على كرسي الذي يمثل بعلامة الذهب 𓋞 في اللغة المصرية، وكان فوقها متن هُشِّم الآن. وفي النهاية مُثِّلَ الملك وهو يجري وبيده عجل، وعلى اليسار نشاهد الإلهة «إزيس» والإله «أوزير» في صورة مومية، ونقش معه: «إني أعطيك القوة والنصر يا رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن رع» «شيشنق الثالث» معطي الحياة.» وتدل شواهد الأحوال هنا على أن آمون كان ضمن الآلهة الحامين للمقاطعة؛ إذ تجد أن قِسمًا من أقسامها يدعى حقل آمون (راجع A. S. Tom. IV p. 228).

طوخ القرموص في الجنوب الشرقي من هربيط: وجد في هذه البلدة لوحة من الحجر الجيري طولها ١٫١٨ متر، وقد مُثِّل في أعلاها قرص الشمس المجنح فوق علامة 𓋹 موضوعة بين عينين، ويشاهَد رمز السماء بنجومه، وأسفله منظر مثِّل فيه الملك «شيشنق الثالث» الملك الطيب رب الأرضين ورب القربان ابن الشمس «وسرماعت رع ستبن رع» «شيشنق محبوب آمون الحاكم الإلهي لعين شمس»، وهو يقدم رمز الحقل «لآمون رع» رب بيت الأرواح، وللإلهة «موت» العظيمة، والإله «خنسو»، وبعد ذلك متن عن هبة أرض في عهد الملك «شيشنق الثالث» (راجع Rec. Trav. XX p. 85).

متحف القاهرة: ويوجد بمتحف القاهرة لوحة من الحجر الجيري صغيرة الحجم، وقد رُسم في أعلاها «عنخبوخرد» أمام الإلهين: «حتحور» و«حور»، وفي أسفل هذا متن

بالهيراطيقية مؤرخ بالسنة الثانية والثلاثين من عهد الملك «شيشنق الثالث» وهو خاص بهبة (راجع Rec. Trav. XXV p. 196).

متحف استراسبرج: ولدينا لوحة أخرى محفوظة بمعهد جامعة استراسبرج (No1379)، وقد اشتُرِيَت من القاهرة في شتاء عام سنة ١٩٠٣.

وفي أعلى هذه اللوحة مثِّلت الشمس المجنحة وفي أسفلها ثلاثة آلهة وهم: الإلهان؛ «حت محيت» و«بانب ددو» (مندس)، ومعهما الإله «سبد» إله «فاقوس»، أما المتعبد لهم على اللوحة فلم يمكن قراءة اسمه. واللوحة مؤرخة باليوم الثامن والعشرين من شهر مسرى، السنة الثلاثين من حكم الملك «شيشنق الثالث»، ومحتويات المتن مليئة بالأخطاء، ومن المحتمل أنه يحوي مرسومًا بهبة للإلهة «حت محيت» إلهة «منديس» (راجع Rec. Trav. Ibid. p. 197).

متحف جيميه: ويوجد في متحف «جيميه» «بباريس» لوحة مكتوبة بالهيراطيقية خاصة بهبة من الفرعون «شيشنق الثالث»، ويشاهد في أعلى اللوحة الملك يقدم العلامة الهيروغليفية الدالة على الحقل لإلهة، وهم على حسب ما جاء في المتن (سطر ٦): «أوزير» و«حور» و«إزيس»، وهم ثالوث «بوصير»، وقد كُتِبَ فوق «أوزير» نفسه: «أوزير عنزتي.» (أي أوزير أقدم إله في بوصير). وعلى ذلك يمكن الإنسان أن يُقدِّر أن هذه اللوحة كانت في الأصل من معبد بوصير نفسه، وهاك ترجمة ما تبقى من هذه اللوحة:

> السنة الثامنة عشرة من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن رع» بن «رع» «شيشنق»، كان جلالته في سكنه الخاص في قصره العظيم الفاخر مع ابن الملك حاكم رعمسيس المرحوم، وكل العظماء والرؤساء العظام لقوم «مي» (المشوش) «تاكيلوت» ابن رب الأرضين، وأمه التي تسمى «زد-باست-سعنخ»، في هذا اليوم عُمِلَ وقف: خمسون أرورا لأملاك معبد «أوزير» (...) للإله العظيم بوساطة الكاهن والد الإله، والمشرف على أسرار «أوزير»، و«حور»، و«إزيس خادمه» (؟) وحاتحور (؟) ... (٧) نزم حور باخرد (؟) بن زد حورفعنخ ... (٨) في المعبد حيث قال: إن من يتعدى على (هذا الوقف) فإن الإله العظيم سيعاقبه ...

وعلى الرغم مما في هذا المتن من تكسير فإن قيمته التاريخية هامة؛ فنعلم أولًا أن «شيشنق الثالث» كان له ولد يدعى «تاكيلوت»، وأن والدته «زدباست سعنخ» التي لم تحمل ألقابًا عالية كانت من عامة الشعب على ما يظهر، و«تاكيلوت هذا يحمل لقب الابن الملكي صاحب «رعمسيس»، وقد تحدثنا عن هذا اللقب وحامليه في مكانه [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون شيشنق الأول]. والظاهر أن اللقب كان يعطَى بمثابة لقب شرف كما هي الحال الآن عندما يقال: أمير «ويلز»، أو «أمير الصعيد» … إلخ (راجع Rec. Trav. XXXV. p. 41 f).

لوحة برلين: وفي متحف برلين لوحة لفرد يحمل لقب ابن الملك حاكم «رعمسيس»؛ (أي بلدة بررعمسيس)، وتحتوي على هبة من الأرض في السنة الثامنة والعشرين من حكم الملك «شيشنق الثالث» نفسه (راجع Rec. Trav. Ibid. p. 43).

وهاك المتن:

> في السنة الثامنة والعشرين من عهد الفرعون «شيشنق» بن «إزيس»، والمحبوب من «آمون الحاكم الإلهي لهليوبوليس، في الشهر الثاني من فصل الصيف (شهر بؤنه)، كان الكاهن الأكبر «لآمون» ملك الآلهة ابن الملك حاكم رعمسيس العظيم أمام العظيم … «بادبحو-ن-باست» وقف عشرة أرورات لأملاك معبد آمون رع ملك الآلهة …

ومعنى هذا المرسوم لا بد أن يكون أن «با-دبحو-ن-باست» قد أهدى أرضًا لأملاك المعبد، وأن الكاهن الأكبر وابن الملك حاكم «رعمسيس» كان له علاقة بأرض هذا الإله. والواقع أنه قد مثِّل في أعلى هذه اللوحة «الإله العظيم رب السماء» وخَلْفَه الإلهة «حتحور» ربة «آمو»، وهذه البلدة التي تقع في المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري (مقاطعة لوبيا) (راجع أقسام مصر الجغرافية في عهد الفراعنة للمؤلف ص٧٥) تجعل الإنسان يفكر في أن الإله «آمون» ملك الآلهة كان يُعبد في هذه الجهة، كما نجد ذلك في لوحة «تانيس» (راجع Brugsch, Thes. p. 1576)، ويسمى هناك «آمون رع». وفي هذه اللوحة ظهر الفرعون «شيشنق الثالث» وهو يقدم علامة الحقل، ومعنى ذلك أنه هو المالك الوحيد ولو اسمًا لأرض مصر كلها، ومن أجل ذلك فإن كل هبة لا بد أن تكون من يده، وقد رُسِمَ خلفه الواقف الحقيقي «بادبحو-ن-باست» (راجع Wilcken, Grundzuge der Papyruskunde 1, I, 5270ff).

تل أم حرب (أو تل مصطاي مديرية المنوفية مركز قويسنا): تدل الحفائر التي قام بها الأثري «إدجار» على أنه كان يوجد في جهة «تل أم حرب» معبد قديم من معهد «رعمسيس الثاني» أو قبله، وقد أصلحه أو زاد فيه الفرعون «شيشنق الثالث»، وربما كان ذلك باستعمال الأحجار القديمة التي وجدها هناك، وقد نقش اسمه على أكثر من ثلاثين قطعة من الأحجار التي عثر عليها الأثري «إدجار».

وقد ظهر من النقوش أن أهم المعبودات التي كانت تقدس في هذه الجهة هو الإله «تحوت» وزوجه «تحماوي» (راجع A. S. XI p. 164–69).

منديس (تل الربع حاليًا): وُجِدَتْ قطع حجر عليها اسم الفرعون «شيشنق الثالث» ذُكر عليها الاسم الحوري لهذا الفرعون (راجع L. R. III. p. 366; & A. S. XII, p. 86).

البندارية: تقع هذه القرية بين تلا وطنطا، وقد قام «دارسي» بعمل حفائر في التل القائم بهذه الجهة بعد جهد كبير ولم يعثر فيه على أية آثار مصرية إلا قطعة حجر نقش عليها اسم «شيشنق» (راجع A. S. XII. p. 205 f).

جعارين الفرعون «شيشنق الثالث»: توجد لهذا الفرعون عدة جعارين موزعة في متاحف العالم (راجع L. R. III. p. 366-7)، وكذلك وجد له صندوق من الحجر الجيري الصلب موجود في مجموعة خاصة بباريس (راجع R. Weil, Monuments Egyptiens divers Rec. Trav. XXXVI p. 13-14).

(٦) أسرة الملك «شيشنق الثالث»

(٦-١) زوجته «تنت-أمن-أبت»

هي زوج الملك، وُجد اسم هذه الملكة على قطعة من الحجر الرملي المحبب عثر عليها في «منف»، وهي محفوظة بالمتحف المصري (راجع Rec. Trav. XXIX. p. 174, 177, 178)، وهذه قد ذكرت كذلك على قاعدة تمثال من الديوريت من مجموعة «بتري» (راجع Petrie Hist. III. p. 257). ويَظُن الأثري «لجران» أن الملكة «تنت-أمن-أبت» هي زوج الملك «شيشنق الثاني» لا زوج «شيشنق الثالث»؛ وذلك لأن حفيدتها «تابريت» كانت عائشة في السنة الثامنة والعشرين من حكم «شيشنق الثالث».

(٦-٢) بناته

«عنخنسس»: وقد جاء على نفس قطعة الحجر السالفة الذكر أن هذه الملكة قد وضعت ابنة تدعى «عنخنسس»، وعليها كذلك ذكر حماه «أيوف عا»، وقد استخلص «لجران» من البحث الذي عمله عن أسرة حَمِي هذا الفرعون أنه كان من أسرة رقيقة الحال، وأن الأسرة المالكة كانت تنحدر بسرعة نحو نهايتها (راجع Legrain, Rec. Trav. XXIX. p. 174–8).

تاشبتن-باستت: جاء ذكر هذه الأميرة على تمثال الكاهن «نسر آمون» (Legrain No 42221)، وهي التي تزوجت من حفيد «نسبا قاشوتي» الذي عاش في عهد «شيشنق الثالث»، وقد وصل إلينا تمثال له.

(٧) تماثيل عظماء رجال عصر «شيشنق الثالث»

(٧-١) تمثال الوزير نسباقا شوتي

هذا التمثال مصنوع من الحجر الجيري الصلب الشبيه بالمرمر وطوله ٧٥ سنتيمترًا، وقد عُثر عليه في خبيئة الكرنك سنة ١٩٠٤ (راجع Legrain, Stat. III PI. XL, XLI p. 78 No 42232).

ومُثِّل صاحب هذا التمثال قاعدًا القرفصاء على قاعدة منخفضة، والذراعان متقاطعان على ركبتيه، ويده اليسرى ممدودة ومنبسطة على الركبة الشمالية، واليمنى تقبض على نبات مفصلة أجزاؤه.

ملابسه: ولباس رأسه ملقًى خلف الأذنين والرقبة، وقد مُثِّل الشعر بفروق صغيرة متوازية أفقية على الجبهة وعمودية على الجانبين، وله لحية مستعارة صغيرة، وباقي الجسم مزمل في قميص ضيق لم يترك من الجسم ظاهرًا إلا الرأس واليدين، ويطوِّق جيدَ صاحب التمثال عقدٌ يتدلى منه رمز العدالة؛ أي رأس البقرة حتحور بوجه إنسان، وخلف الرقبة نشاهد تحت الشعر المستعار لوحة على هيئة طغراء نُقِش عليها اسم الملك الحاكم كانت تستعمل بمثابة خاتم نقش عليه اسم الفرعون «وسرماعت رع» «محبوب آمون شيشنق».

وعلى الكتف اليمنى نُقِشَ طغراءا ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع مري آمون» بن «رع» «شيشنق محبوب آمون»، وعلى الكتف اليسرى نقش الكاهن الأول لآمون رع ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش، والمقدم «حورسا إزيس».

ومقدمة التمثال من الركبة حتى القدمين مزينة بلوحتين نقش أسفلهما ستة أسطر؛ ففي اللوحة الأولى التي على اليسار نُقش: العمدة والوزير «نسباقا شوتي»، ويقدم الحاكم «نسباقا شوتي» رمز العدالة لآمون رع رب التيجان المشرف على الكرنك.

وعلى اللوحة التي على اليمين نقش: «الكاهن الأول لآمون»، والكاتب الملكي لجيوش البلاد «زد تحو تيفعنخ» المبرأ التابع لمكان «تحوت» المحبوب، ويحمل جلد الفهد، ويصب الماء على مذبح، ويقدم البخور «لأوزير» «خنتي أمنتي» الإله الكبير رب «العرابة». وتحت هذا متن جنازي عادي ينادي فيها المتوفى الذين يزورون تمثاله أو قبره بالدعاء له.

وعلى الجهة اليسرى من التمثال منظر مُثِّل فيه خمسة آلهة ذاهبين نحو اليسار، وهم: «آمون»، وإلهة برأس لبؤة تحمل قرص الشمس، وإله برأس صقر، وإلهة مزينة بقرص الشمس والقرنين، وإله برأس صقر وقرص الشمس. وتحت هذا المنظر متن مؤلف من ثلاثة أسطر جاء فيه: «الأمير الوراثي، والحاكم، وكاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وعمدة المدينة، والوزير، وفم «نخن» «نسبا قاشوتي» يقول: إن الملك يتسلم زينات «حور»، وأتى معه مثل «تحوت»، وجلس على الحصير في قصر المحاكم الست العظيمة وحاكم الرجل ...»

ونشاهد في الجهة اليمنى منظرًا مشابهًا للسابق، والآلهة الذين يسيرون نحو اليمين هم: «رع» و«بتاح» و«منتو» و«سخمت» و«نفرتم»، والمتن الذي في أسفلهم يحتوي على ألقاب المتن التالي:

> الأمير الوراثي، والحاكم كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وعمدة المدينة، والوزير، والقاضي، وفم «نخن» ... ورئيس الحريم، ومُهدي الأرضين بتصميماته «نسبا قاشوتي» يقول: لقد تسلمت رمز العدالة وحليتها في القصر، وهدأت «تحوت» بها، ومكانها مقدس في صدري مخفي عن كل إنسان.

ونقشت أربعة أسطر عمودية على ظهر التمثال جاء فيها:

> الأمير الوراثي، والحاكم، وكاهن «آمون» في الكرنك، وعمدة المدينة، والوزير، والقاضي، وفم «نخن»، وكاهن «ماعت» «نسبا قاشوتي» يقول: إني أرى «آمون» في أفقه في قاعة التماثيل (التي في المعبد) عندما يخرج من الجبل الشرقي، وإني

> أعرف أولاده هؤلاء الآلهة الذين رأيتهم بجواره، وإني أُلبِسْت رمز الصدق بوصفي عمدة المدينة مثل «تحوت» في بلاط «رع»، فما أجمل أن يكافأ الإنسان عليها بذكر اسمي بعد حياتي!

ونُقِشَ حول مقعد هذا التمثال المتن التالي:

> يعيش الأمير الوراثي، وعمدة المدينة، والقاضي، وفم «نخن» ليهدئ الأراضي كلها كاهن «ماعت» «نسبا قاشوتي» ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والكاهن الثالث «لآمون رع» ملك الآلهة، والمشرف على ماشية بيت «رع» للمعبد الرئيسي لبيت «آمون»، والكاهن الثاني (؟) «لموت» العظيمة ربة «أشرو»، والكاهن الثالث للإله «خنسو» في «طيبة» المثوى الجميل، وكاهن «آمون»، ومرضى «ماعت» (العدالة) في كل أشكالها، وكاهن «آمون» للقربان في ساحة المعبد (التي فيها التماثيل)، وكاهن «أوزير» ... وكاهن «تحوت» ... وقائد جيش الجنوب ... قائد الجيش «زدتحو تيفعنخ» المبرأ ابن مثيله «أمنمأبت».

رمز العدالة

ويمتاز تمثال «نسبا قاشوتي» برمز العدالة الذي يحمله بوصفه قاضي القضاة وما عليه من نقوش خاصة بهذا الموضوع، ولما كان هذا الرمز من الأهمية بمكان، ويرجع تاريخه إلى أقدم العهود المصرية؛ فقد آثرنا التحدث عن أصله وماهية حامله من أقدم عصور التاريخ حتى آخر عهد ظهر فيه في النقوش المصرية والمصادر اليونانية، وقد كَتَبَ في هذا الشأن «جريد زلوف» مقالًا ممتعًا (راجع A. S XL. p. 186ff).

كان أول من لفت النظر من مؤرخي اليونان الأقدمين إلى رمز العدالة الذي كان يحمله قاضي القضاة في أثناء تأدية واجبه هو «هكاتا الأبدري» حوالي بداية القرن الثالث ق.م؛ إذ يقول: «كان القاضي Archidicaste يحمل حول رقبته صورة معلقة في سلسلة من الذهب مصنوعة من الأحجار الكريمة تمثل الإلهة «إليتيا Alytheia».» (راجع Levy, Divinities Egyptiennes chez les Grecs et. Semites, Bibl. De l’Ecole des Hautes Etudes 1921 p. 271).

هذا، وقد كَتَبَ مؤلف آخر يدعى «ألين» حوالي أربعة قرون بعد عصر «هكاته» (راجع Elien Van, History XIV p. 34) وهو يقول: «إن قاضي قضاة المصريين كان يضع حول رقبته صورة من حجر الياقوت تدعى العدالة.»

والواقع أن ما ذكره كل من هذين الكاتبين القديمين يوجد ما يؤكده على الآثار المصرية؛ ففي نقوش العصر الإغريقي الروماني إشارات عدة لهذا الرمز الخاص بقاضي القضاة، ذَكَرَ منها الأثري «بروتشي» أمثلة كثيرة وبخاصة متنان خاصان بالإلهة «حتحور» على البوابة الخارجية لمعبد «خونسو» بالكرنك، ويرجع تاريخ هذا النقش إلى عهد الملك «بطليموس أفرجت الثالث»، وقد سميت مرة «حتحور العظيمة القاطنة في بيت العدالة — (ماعت) — التي في رقبة قاضي القضاة» (يعني رمز العدالة التي في رقبة قاضي القضاة)، وذكرت مرة أخرى بأنها «حتحور العظيمة القاطنة في بيت سيدة الكتابة وربة السجلات والجوهرة الفاخرة التي تحلي جيد قاضي القضاة» (راجع Brugsch; Worterbuch V p. 389). وفي متون معبد إدفو يوجد متن من عهد «بطليموس الرابع فليوباتر» أن «حتحور» تحمل لقب: حتحور القاطنة في بيت «حات سبكت»؛ أي العدالة (ماعت) التي في رقبة القاضي (راجع Edfu I, p. 116 and W. B. Belegst II. p. 20–14). وكذلك في عهد «بطليموس السادس عشر» وجد على نقش في «أرمنت» أن الإلهة «نحمارت» زوج «تحوت» في «هرموبوليس»، وهي التي لا تخرج في الواقع عن كونها صورة من صور الإلهة «حتحور-ماعت» اللقب التالي: العدالة التي في رقبة القاضي (راجع L. D. IV, 63 a).

ومما سبق نجد أن قاضي قضاة مصر كان يحرص بغيرة وحماس على هذه الميزة حتى القرن الثاني من بعد الميلاد على أقل تقدير، وذلك عندما نعلم أنه حتى هذا العهد لم يكن مسموحًا لأحد أن يحمل صورة العدالة إلا رئيس مجلس القضاة.

ويمكن توضيح هذه المتون السابقة بسلسلة من التماثيل من العصر المتأخر يمثل كل منها قاضيًا يحمل حول رقبته قلادة مدلًّى منها رمزُ العدالة، وأول مثال لذلك تمثال القاضي المحفوظ بمتحف اللوفر، وقد عُثر عليه في حفائر «المدمود» (القريبة من الأقصر)، وهو مصنوع من الحجر الجيري الأبيض، ويمثل شخصية ترتدي «طوغه» (جبة) رومانية، وممسكًا بجريدة في يده اليسرى، والدلاية التي تمثل الإلهة «ماعت» معلقة في سلسلة تحيط بنحره.» وهذا الأثر يرجع إلى العهد الروماني (راجع Bisson de la Roque, Rapport sur les Fouilles de Medamoud (1929) p. 50, Musee'du Louvre Numero d'Entre E. 13892).

أما في عصر البطالمة فيكفي أن نذكر تمثال «أحمس» الذي كان يشغل منصب كاهن أكبر في «ليتوبوليس» في عهد «بطليموس الخامس أبيفان»، وهذا التمثال لم يبقَ منه إلا الجذع، وهو محفوظ الآن بمتحف برلين (راجع Berlin No 114460 cf George Moller A. Z. 56, p. 67)، والظاهر أن هذا التمثال كان قد تم صنعه عندما رُقيَ «أحمس» هذا إلى وظيفة قاضي القضاة؛ فنجد أن المَثَّال المصري قد حوَّل التعويذة التي كانت تحلي أولًا صدره إلى الدلاية التي تمثل رمز «العدالة».

وكذلك يوجد في متحف «الإسكندرية» جذع تمثال من الإردواز يرجع إلى هذا العصر، وهذه القطعة تمثل شخصية واقفة، وقد وُجد اسم صاحب التمثال ولقبه على القاعدة التي فُقدت الآن، ويمكن أن نقدِّر أنه كان يحمل لقب قاضي القضاة؛ إذ نجد قلادة العدالة منقوشة على هذا الجذع الذي بقي من التمثال.

ويجدر بنا أن نذكر بعد ذلك تمثالين من الجرانيت الأسود عُثر عليهما في «تانيس» محفوظين بالمتحف المصري الآن: واحد منهما يدعى «زد-حر» «تيوس Teos» بن «أوتوفريس» (راجع L. Borchardt, Statueu und Statutten III p. 41, No 700 cf P. Montet, Trois Gouvernneurs de Tanis d'apre's les inscriptiou des statues 687–689, et 700 du Caire Kemi VII p. 123 & Suiv). الذي عاش حتى عهد الفتح الفارسي الثاني. وقد مُثِّل صاحب التمثال واقفًا ممسكًا بيده ثلاثة تماثيل لآلهة، ويحلي جيده قلادة قد بهتت دلايتها الآن؛ غير أنه يمكن القول إنها تمثل الإلهة «ماعت».

والتمثال الثاني: لشخص يدعى «زد-حر» بن «أبريز» (راجع Borchard, Ibid p. 32)، ومن المحتمل أنه كان موظفًا من موظفي الملك «نقطانب الثاني»، وقد مُثِّل واقفًا مرتديًا سربالًا طويلًا خاصًّا بالكهنة، وبيديه قاعدة صغيرة جلس عليها الإله «آمون» القرفصاء، ويتدلى من رقبته خيط رفيع معلق فيه رمز إلهة العدل «ماعت». ونفهم من المتن الذي على ظهر التمثال أن «زد-حر» كان يشغل وظائف قضائية؛ فهو «حامي من لا قيمة له، ومطبق القوانين دون محاباة، ومحب للعدالة، ومبغض الباطل.»

وقد ظهرت كذلك قلادة العدالة على تمثال من الجرانيت المبقع عُثر عليه في «كوم أبشان»، وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري (راجع A. S. (1913) p. 281–3)، والتمثال يمثل أميرًا من «بهبيت» يدعى «نخت-نبف» ممسكًا بين يديه محرابًا فيه صورة الإله «أنحور»، وقد صُوِّرَ على صدر التمثال صورة إلهة العدل «ماعت» معلقة من خيط في جيده. والنقوش التي عليه لا تقول صراحة: إنه كان قاضي القضاة، ولكنه يحمل لقب «الأمير العظيم في بهبيت»، وهذا اللقب يحمل في طياته أنه كان في يده السلطة القضائية.

وأخيرًا: يُنسَب تمثال «حورسا إزيس» المحفوظ في متحف «برلين» إلى عصر الملك «نقطانب» (نخت نبف) أيضًا، ويمكن أن يقال عن القلادة التي على صدر هذا التمثال ما قيل سابقًا عن قلادة «أحمس» الكاهن الأكبر لبلدة «ليتوبوليس» — أي إن علاقة العدالة قد أضيفت فيما بعد على التمثال. ولكن أدق تمثال وأكمله لصُورَةِ كاهن أكبر لابس قلادة «ماعت» هو تمثال متحف «القاهرة» لصاحبه «بسمتيك سنب»، وهو مصنوع من الحجر الجيري، وعُثر عليه في «ميت رهينة» (راجع Daressy, Rec, Trav. 14 p. 177)، ويحمل لقب «قاضي القضاة والوزير» وقد مُثِّل راكعًا ويحمل أمامه محرابًا صغيرًا بين يديه، ويلاحظ أن صورة الإلهة «ماعت» قد صُوِّرت على رقبته معلقة في سلسلة (التمثال من الأسرة ٢٩).

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الصاوي نجد تمثال اللوفر (A83). (راجع De Rougés, Notice des Mou. Luovre, Paris 8 ed, p. 41) لصاحبه «بن-أو-تهي-حر»، وهو معاصر الملك «نخاو» أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين، ويلبس حول رقبته قلادة الإلهة «ماعت»؛ غير أنه ليس في مقدورنا القول بأنه كان قاضي القضاة أم لا؛ وذلك لأن نقوش التمثال ممزقة عند المكان الذي فيه اللقب، ولكن من بين الألقاب التي بقيت لقب «رئيس كهنة ماعت»، ويحتمل أنه كان لها علاقة بالعدالة المصرية.

وأخيرًا نذكر جذع تمثال للملك «نفر إب رع» بن «بسمتيك الثاني»، ويلبس حول رقبته علامة قاضي القضاة؛ أي يلبس خيطًا معلقًا فيه رمز الإلهة «ماعت»، وليس بمدهش أن نرى ملكًا يلبس هذا الرمز؛ لأنه بوصفه أعلى من قاضي القضاة والقاضي الأعلى في المملكة له الصبغة الممتازة لحمل رمز العدالة، هذا فضلًا عن أن وجود رمز العدالة على صدر الملك قد شوهد في عهدٍ أقدمَ من عصر «بسمتيك»؛ فعلى لوحة للفرعون «أمنحتب الثاني» عثر عليها المؤلف بجوار تمثال «بولهول» قيل عن الإله «حور أختي» إنه وضع ابنه الملك «أمنحتب الثاني» على عرش مصر، وإنه وضع ابنته الإلهة «ماعت» بمثابة حلية على صدره (راجع Selim Hassan, A. S. 1938. p. 58 L. 5–6).

والواقع أن الإلهة «ماعت» في غالب الأحيان تدعى ابنة «رع»؛ فعلى متن من «دندرة» نجد أن علامة «ماعت» موضوعة بين القلائد والمجوهرات الخاصة بقلادة منات، وتجعل هذا الرمز متصلًا «بإنسان العين المقدس»؛ أي مع «حور» بمعنى واسع مع الملك نفسه: «ماعت العظيمة التي تحكم في «حات منات» وفي نحر «إنسان العين المقدس».» (الملك) (راجع Mariette, Denderah, III pl. 43–cf. Schott, Urkunden VI, (1929) p. 63 & Daressy, Rec Trav. 24p 164).

وعلى الرغم من الأمثلة العدة التي ذكرناها فيما سبق، فإنها ليست الأمثلة الوحيدة لتوضيح ما يقصده المؤلفون المصريون من موضوع الرمز الذي يحمله قاضي القضاة، ولكن تدل شواهد الأحوال على أنه يوجد نماذج أخرى أصيلة من العلاقات (أو الدلايات) التي كان يحملها رؤساء المحاكم المصرية وقت تأدية وظيفتهم. والواقع أن «ديدور» يذكر لنا على حسب قول «هكاته الأبدري» أن جلسة المحكمة كانت تُفتح من اللحظة التي كان يلبس فيها رمز العدالة، وكذلك كان يعلن انتهاء القضية بعمل رمزي تقديسًا للقانون يقوم به حامل هذا الرمز، ومؤداه وضع صورة العدالة على إحدى الشهادتين المكتوبتين الموضوعتين أمام الخصمين، وهذه تكون الشهادة الحقة، وصاحبها هو الذي كسب القضية. ويلاحظ أن هذه العلاقات لا بد أن يكون طولها على الأقل عشرة سنتيمترات ليمكن استعمالها بسهولة، وهذا هو حجم هذا الرمز كما يستخلص من صورته على التماثيل. ومن ثم نفهم أن التماثيل الصغيرة الحجم التي أقل مما ذكرنا لا تخرج عن كونها تعاويذ كما جاء على أحدها: «العدالة بمثابة تعويذة حول رقبتك.» (راجع A. Z. 56, p. 67).

ومع ذلك وُجد في متحف «القاهرة» صورة للإلهة «ماعت» وتعد جوهرة ثمينة، ويظهر من صنعها وشكلها أنها عُملت لتكون رمزًا أصليًّا لقاضي القضاة، ونقصد هنا التمثال (٢٥١٨٩) الذي يمثل الإلهة «ماعت» (Daressy, Statues de Divinites I, p. 227 No 38907) قاعدةً القرفصاء. والتمثال من اللازورد ويبلغ طوله ٧٫٥ سنتيمترات؛ أي ما يقرب من الحجم المطلوب من التماثيل التي يحملها قاضي القضاة، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يستعمل علاقة، ومع ذلك يحتمل أن هذا التمثال لم يستعمل ولم يكن لاستعمال قاضي القضاة بل كان لاستعمال كاهن «حور».

ولدينا متن من معبد «إدفو» نفهم منه أن كاهن «حور» كان يحمل في هذه المناسبة صورة العدالة، وفي وقت نقل تمثال الإله نقرأ كما جاء على المتن الذي على سلم المعبد ما يأتي: «يذهب الكهنة يمينًا وشمالًا وفي كل جوانب هذا الإله، وحول رقبتهم عُلِّقت صورة العدالة المصنوعة من اللازورد محلاة بالذهب النضار.» (راجع Edfu, I 580, 3).

أما من جهة معنى وجود صورة العدالة الآن في رقبة قاضي القضاة؛ فإن كل الأدلة تبرهن على أن هذه الصورة تشير إلى مبدأ العدالة المؤسس على عبادة «العدالة»، ولدينا عدد كبير من الحقائق يشير إلى ذلك.

فالإلهة «ماعت» أولًا وقبل كل شيء ليست إلا مختَرَعًا ابتدعه القضاة المصريون (راجع Erman, Die Religion der Aegypter, p. 57).

والمقصود من ذلك فكرة معنوية محضة من نتاج العقل البشري، أو بعبارة أخرى مثلث في صورة إلهة مثالية (راجع Wiedmann, Maa deesse de la verite'et son Role dans le pantheon Egyptien Annales du Musee Guimet X. (1887) p. 561) وجدت لتكون الشفيعة لأصحاب الحِرَف عند الأشراف أصحاب الحل والعقد، ولما كانت العدالة قد وُلدت هكذا فإنها قد ظلت دائمًا الإلهة التي كان قضاتها الكهنة. والواقع أنه منذ الدولة القديمة كان الكاهن يحمل لقب «كاهن ماعت»، وكان المصري يعبر عن أداء العدالة هكذا: «فصل الحق من الباطل»، ويحتمل أن ذلك ما يقصده «ديدور» عند وضع صورة العدالة على الشهادة الحقة لتقديس القانون، وكانت القوانين تؤلف في معبد الإلهة «ماعت»، ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكر اللقب التالي: الكاتب الملكي للسجلات التي تثبت القوانين في معبد العدالة (راجع Spiegelberg, Studien und Materialien zum Rechtswesen etc. p. 6).

ومن الوجهة الأسطورية قد أظهرنا فيما سبق أن «ماعت» كانت تعد ابنة الإله «رع»، ويجب أن نضيف أنها قد صارت زوج الإله «تحوت»، وهذه الحقيقة يمكن تفسيرها بسهولة؛ وذلك لأن الإله «تحوت» كان يعد في كل عصور التاريخ المصري القديم إله العدالة، وكان الملوك والقضاة يعدون ممثلين له على الأرض بوصفه المشرع الإلهي، وتحقيقًا لذلك يمكن ذكر الألقاب التالية للإله «تحوت» رب «الأشمونين»: قاضي القضاة الذي يثبت القوانين ويرضي سيدة الإلهة «حتحور دندرة» بأحكامه (راجع L. D. IV, 76 c). وعلى أية حال؛ فإن هذا اللقب الذي يحمله «تحوت» كما يحمله ممثلوه الملوك والقضاة هو الذي تجده على قلادة العدالة: «ماعت نيت رع ... صدرية سيد هرموبوليس.» (أي تحوت) (راجع Karl Piehl Rec. Inc. Hierogl. I. p. 99).لقد بَرْهَنَّا فيما سبق على أن استعمال رمز قاضي القضاة كان شائعًا في العصور المتأخرة؛ أي منذ العصر الصاوي حتى القرن الأول من العهد المسيحي. ويتساءل الإنسان الآن فيما إذا كان هذا الرمز مستعملًا قبل ذلك العهد. والواقع أنه في استطاعتنا أن نبرهن على أن علاقة العدالة التي ظهرت منذ العصر الصاوي بمثابة رمز آخر معروف جدًّا في العهود المتأخرة، ولكن استعماله يرجع حتى عهد الدولة القديمة، ولا بد لفهم ذلك من الرجوع إلى نقوش تمثال «نسبا قاشوتي» الذي تحدثنا عنه، فمن أهم ألقابه: الأمير الوراثي والحاكم، وكاهن آمون في الكرنك، وعمدة المدينة، والوزير، وقاضي القضاة، وحارس «هيراكنبوليس»، وكاهن الإلهة «ماعت». والذي يهمنا الألقاب الثلاثة الأخيرة. والواقع أن صاحب هذا التمثال هو رجل عدالة حقيقي،

ويحمل رمز العدالة المعروف لنا، وهو عبارة عن صدرية في صورة رمز الصاجات، هذا فضلًا عن أن النقوش التي توجد على التمثال تقول: «لقد تسلمت رمز العدالة (حرفيًّا العدالة بوصفها زينته) في القصر، وهدأت «تحوت» بها، ومكانتها مقدسة في صدري ومخفية عن كل الأنظار.»

ونجد على مكان آخر من التمثال أن صاحبه يقول: «لقد ارتديت رمز العدالة.» وهذا المتن يبرهن على أن الصدرية التي يحملها هذا القاضي العظيم هذا ليست إلا صورة أخرى لصورة الإلهة «ماعت»، ولا بد لتفسير هذا التوحيد بين علاقة العدالة وبين الصدرية التي في صورة الصاجات أن نحدد أولًا صبغة هذه الصاجات ومعناها؛ فنعلم أولًا أنه في متون الأهرام قد ظهرت علامة تُنطق «بات»، وقد خصصت بالصاجات، ومعناها يمكن فهمه من سياق المتن الذي وجدت فيه «الروح مع وجهيها» (Sethe Pyr. 1096 b). والواقع أن هذه الكلمات تعادل اسمًا من أسماء الإلهة «حتحور»، وبعبارة أخرى هي اسم لرمزها؛ وذلك أننا نعرف الأشكال البدائية لهذا الرمز، وهو عبارة عن عمود صغير على قاعدة ذات درج، وفوق هذا العمود نشاهد وجهين ملاصقين يمثلان الإلهة «حتحور»، وقد وجد نموذج من الخشب لهذا الرمز في معبد الدير البحري (راجع Winlock, Bull. Metrop. Mus. New York, Part II p. 39)، وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري، والمتن الذي عليه هو: «ليت حتحور سيدة «دندرة» تمنح حياة طيبة لروح.» (وقد اختفت الألقاب والاسم)، وهذا الرمز الذي يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة لا بد له علاقة بالعمود «وخ» الذي كان يعبد في بلدة «القوصية» بمثابة رمز آخر للإلهة «حتحور» «القوصية» (راجع Blackman, The Rock Tombs of Mier I, p. 2 (راجع Brugsch, Religion und Mythologie der Alten Agypter p. 481)، فإنه في استطاعتنا معرفة العلاقة الوثيقة التي تربط الإلهة «ماعت» بالإلهة «حتحور»، ويرجع الفضل في توضيح ذلك لمتن جغرافي من «إدفو» نعلم منه أن «ماعت» كانت هناك (أي القوصية) بمثابة روح (كا) الإلهة «حتحور»، وهذه الحقيقة هي التي تُظْهِر منذ القدم أن «ماعت» — وهي اختراع فكري محض — كانت موحدة بروح الإلهة «حتحور»، وأنه بوساطة هذا اللقب أمكن لصورة «ماعت» في العصور المتأخرة أن تحل بجانب الصدرية القديمة «بات» وهي رمز الإلهة «حتحور».

ومع ذلك فإنه في الأصل لم يكن رمز الإلهة «حتحور» — على ما يظهر — له صلة قط أيًّا كانت بالعدالة، ولكن أولئك الذين كانوا يرتدونها في الدولة القديمة كانوا يحملون عادة

لقب حارس رمز الإلهة «حتحور» (حقابات)؛ فنجد في المتون التي في الحجرة الجنائزية للموظف «حور حتب» (الأسرة الحادية عشرة) أن هذا اللقب قد كُتب بكل حروفه كاملًا، ويظهر أن ذلك جاء في اسم لملك موحد مع «حور» وهو: «ذلك الذي أمام حارس رمز البقرة «حتحور»». يضاف إلى ذلك أن هذا اللقب كان يستعمل بوجه خاص في بلاط «منف»، وقد حُفظ فيها حتى الدولة الحديثة على أقل تقدير، ومن ثم نجده بين ألقاب الوزير «باسر» (الأسرة التاسعة عشرة) على تمثاله المصنوع من الشيست الذي عُثر عليه في معبد «منف» (راجع Rec Trav. 14 p. 173) حيث نقرأ: «حارس رمز «حتحور» في قصر «سخمت».» أو بعبارة أخرى: في معبد الإلهة «سخمت» التي في صورة لبؤة زوج الإله «بتاح». وهذا المعبد مقام في أحد ربوع «منف»، ولكن يظهر أن لقب حارس رمز الإلهة «حتحور» ليس اختراعًا منفيًّا بل كان له في الأصل صلة على ما يُظَن بعبادة البقرة «حتحور» في ديوسبوليس بارفا (هو)؛ وذلك لأن نفس الإشارة التي ترمز «لحتحور» كانت في البداية الرمز البدائي لهذه المدينة التي يسميها المصريون قصر الصاجات في شمالي دندرة (راجع Reisner, Mycerinus Pl. 44 a; Borchardt, Grabdenkmal des Konig Sahura II, Pl. 20). وقد تأثرت ديوسبوليس بارفا (هو) بديانة «دندره» وهي مركز عبادة الإلهة «حتحور» (راجع K. Sethe Urgeschichte und Alteste Religion der Agypter § 50, p. 40)؛ فمنذ الدولة القديمة نجد أن اللقب «حارس رمز حتحور» يمكن أن يكون في الأصل لقب شرف يرجع أصله إلى أنه أحد المظاهر الخاصة بعبادة الإلهة «حتحور»، وهذا هو السبب في أن مُقْتَرَحَ الأستاذ «يونكر» — الذي يطلق هذا اللقب على وجهاء البلاط المتصلين بخدمة الملك شخصيًّا، وبخاصة بالولائم التي تقام في القصر تكريمًا للإلهة «حتحور» إلهة النبيذ — هو مقترح مقبول، وتدل شواهد الأحوال على أن حامل لقب «حارس الرمز الحتحوري» في عهد الدولة القديمة كان في الواقع يلقب كذلك في غالب الأحيان: «مدير القصر»، «والمشرف على الأواني السوداء»، وهي نوع من جرار الخمر الثمينة جدًّا.

والأمثلة التي نجد فيها وجهاء الدولة القديمة يحملون الصدرية الحتحورية عديدة إلى حد ما، ويكفي هنا أن نقتبس أكثرها أهمية؛ ففي عهد الملك «خوفو» نجد ابنه «خوفو خاعف» الذي يحمل لقب مدير القصر قد مُثِّل حاملًا رمز «حتحور»، ونشاهد في قبر هذا الأمير بالجيزة أنه قد ظهر مزيَّنًا بشريطين كبيرين متقاطعين على صدره ومعلقًا فيهما رمز «حتحور»، وكذلك نجد في قبر العظيم «تي» بسقارة أن صاحب المقبرة يظهر محلًّى

بنفس الرمز الحتحوري، وكذلك نعرف صورة الوجيه العظيم «حور عنخ ما» تَحْمِلُ صدرية جميلة تمثل رمز «حتحور» في صورة مثلثة (راجع George Steindorff. Das Grab des Ti Pl. 27).

وفي أوائل الدولة الوسطى كان يُحمل رمز «حتحور» بوصفه حلية صدر وحافظت على معناها الأصلي، فعلى لوحة من عهد الأسرة الحادية عشرة (راجع Petrie Qurneh, Pl. 2 & 3) نشاهد زوجين جالسين، واسم الرجل «زاري» كان يحمل لقب رئيس القصر، والواقع أن خلفه وأمام قدمي زوجه نشاهد رمزه الحتحوري بصورة غريبة بعض الشيء، ومع ذلك نجد أنه منذ فترة — من الصعب تحديدها — قبل منتصف عهد الدولة الوسطى أن الرمز الحتحوري قد أصبح بصفة خاصة رمز شرف للقضاة؛ فمن ذلك أن «منتوحتب» كان يلقب الأمير الوراثي، والوزير، وقاضي القضاة، وحارس هيراكنبوليس، وكاهن «ماعت»، والمشرع (راجع Lange-Scafer, Grab-und Denkstein des Mittleren Reiches Pl. IV Pl. 69 fig. 207)، وبعبارة أخرى كان ممثلًا حقيقيًّا للإشراف يلبس الروب، ويَحْمِل — في الصورة التي على لوحة — قلادة تحتوي على رمز الإلهة «حتحور»، ومنذ ذلك العهد نجد أن هذا التفسير الجديد لرمز «حتحور» قد بقي حتى العصر المتأخر.

ومن الأمثلة الواضحة الهامة في عهد الدولة الحديثة عن ذلك ما نجده في نقوش «أمنحتب» بن «حابو»، وهو الذي كان يعد في عهد «أمنحتب الثالث» أقوى رجل في الدولة بعد الفرعون؛ فقد عُثر على بقايا رسم كان يزين معبده الجنازي (راجع Robichon et Varille, Le Temple du Scribe Royal Amenhotep, Fils de Hapou pl. 34-35)، وقد ظهر فيه على عرش يحمل حول رقبته رمز «حتحور»، والمتن الذي معه هو: «الأول لجلالته الذي قد منحت إياه المجوهرات من الذهب وكل الأحجار الكريمة والفاخرة.» وقد وُضِعَ حول رقبته رمز «حتحور» المصنوعة من السام ومن كل الأحجار الثمينة، ويجلس على عرش من الذهب مواجهًا للمقصورة الملكية، وجسمه مزين بالكتان.

ومن هذا البحث الطويل الخاص بالشارة التي كان يلبسها قاضي القضاة في كل مراحل التاريخ المصري نستخلص النتائج التالية: نفهم أنه كان رمزًا دينيًّا خاصًّا بالإلهة «حتحور»، وأنه كان في بادئ الأمر حلية بسيطة يزيَّن به صدر خُدَّامٍ خاصِّين بالملوك في عهد الدولة القديمة وفي بداية الدولة الوسطى، وقد اتُّخِذَ فيما بعد صفة شارة شرف

خاصة بقاضي القضاة، ولكن منذ العصر الصاوي قد أُدخل عليه بمثابة شكل آخر لهذا الرمز صورة إلهة العدالة الحقيقية، وقد بقيت تُستعمَل بجانب رمز «حتحور» حتى نهاية النقوش المصرية القديمة.

(٧-٢) تمثال الكاهن «نسر آمون» بن حور الثاني

وُجد هذا التمثال في خبيئة «الكرنك»، وهو مصنوع من الحجر الصوان الذي يشبه المرمر، وارتفاعه ستون سنتيمترًا (راجع Legrain, cat. Gen. III p. 47, No 42221 Pl. XXIX)، وقد مُثِّل قاعدًا على قاعدة صغيرة كالمعتاد، ويرتكز على عمود خلف ظهره.

النقوش: يشاهَد على مقدمة التمثال منظر يُرَى فيه الإله «آمون» منتصبًا وسائرًا ليتسلم البخور الذي يحترق وقربانًا يصبه «نسر آمون» الذي مُثِّل برأسٍ عارٍ حليقٍ، ويرتدي جلبابًا فضفاضًا، وفوقه جلد الفهد، وينتعل حذاء.

ومع «آمون» المتن التالي: «آمون رع، رب عروش الأرضين، المشرف على الكرنك، الإله الأزلي الذي أوجد كل كائن، رب السماء وحاكم التاسوع الإلهي.»

والمتن الذي مع «نسر آمون» هو: «ممدوحه وحبيبه كاهن آمون في الكرنك كاهن الشهر لآمون من الدرجة الأولى «نسر آمون» المبرأ ابن كاهن «آمون»، ورئيس كتبة معبد بيت آمون «حور» المبرأ ابن مثيله (في الوظائف) «نسر آمون».»

ونُقش على كل من جانبي التمثال عشرة أسطر أفقية.

فنجد على الجانب الأيمن ما يأتي: قربان يقدمه الملك لآمون رع رب عروش الأرضين والمشرف على «الكرنك»، و«لأوزير» رب «بوصير» الإله العظيم ورب العرابة، وللإله «أنوبيس» المشرف على ساحته والذي على جبله ليدفن (الكاهن) في الجبانة بعد شيخوخة جميلة بجوار الإله العظيم، وليقدم له قربانًا.» ثم يأتي ذكر أنواع القربان والأعياد التي تُقَدَّم فيها: «لروح المبجل من الملك والإله العظيم كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاهن الشهر «لآمون رع» من الدرجة الأولى «نسر آمون» المبرأ ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة ورئيس الكتبة لمعبد بيت «آمون»، والمشرف على وثائق معابد الآلهة للوجهين القبلي والبحري، وكاتب معبد «موت» العظيمة ربة «أشرو»، وكاهن «آمون» القاطن في «الكرنك»، والكاهن رئيس الكهنة المطهرين لمائدة القربان من الدرجة الأولى والرابعة (؟) والمشرف على التعليم في بيت الوثائق، وحامل الخاتم لبيت «آمون» وبيت «موت» و«خنسو»، ومدير إدارة الوثائق لبيت «آمون» وبيت «موت»، وكاهن معبد الإله «حمن» التابع لبلده «سنفر»

وكاهن «حتحور» ربة «عجني» (بلدة بالقرب من إسنا لعبادة البقرة «حتحور»)؛ ليعطوا قربانًا (يأتي بعد ذلك أسماء القربان) لكاهن الإلهة «رعت توي» صاحبة «المدمود» إلخ …» (وعلى ظهر التمثال يستمر المتن): «خع نترو ني بينوزم» المبرأ، والكاهن «وعب» المحبب لقلب الملك أوسركون، عَيْنَا الملك في الكرنك وكاهن الشهر … في بلدته وممدوح إلهه … «حوري» ابن مثيله المشرف على البيت الملكي للمتعبدة الإلهية لآمون، وكاتب أوامر … الفرعون، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير العظيم، وعينا ملك الوجه القبلي، وثقة رب الأرضين لوثائق الملك، والمراقب العظيم، المحترم من المدينة «نسر آمون» ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاتب الأوامر الجديدة لرب الأرضين في بيت «آمون» «حوري» ابن كاهن بيت آمون ملك الآلهة، وكاتب المعبد لبيت آمون، وكاتب المعبد لبيت «موت» العظيمة ربة «أشرو»، وكاتب الإلهة «أمونيت» القاطنة في الكرنك، والكاهن المشرف على مائدة القربان من الدرجة الأولى والرابعة، والمشرف على تعليم السجلات، حامل الخاتم الإلهي، والمشرف على إدارة السجلات لبيت «آمون» وبيت «موت» و«خنسو»، كاتب الأوامر، وكاهن الإله «حمن» القاطن في معبد أصفون (في مديرية قنا)، وكاهن «حتحور» ربة «عجني» (القريبة من إسنا)، المشرف على المعابد حامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير العظيم المحبوب، عينا ملك الوجه القبلي، وأُذُنَا ملك الوجه البحري، ثقة الملك مدير القصر المشرف على الأراضي الزراعية، والمشرف على بلدته (طيبة) كاهن شهره (في نوبته) … والمئونة لكل إنسان بالحق … وكاتب القرابين الإلهية (؟) لكل الآلهة والإلهات.

ونُقِشَ على الجانب الأيسر ما يلي:

> … للأبرار، وحامي الملك، وخادم الوقف» «نسبا نفرحر» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب، وفاتح باب السماء (قدس الأقداس) في «الكرنك»، والمشرف على كل ملابس الملك، والذي يجمع الملايين ويحسب مئات الألوف، والمراقب العظيم، والكاهن عق (أي الذي له حق الدخول في المعبد) لحجرة عظماء المعبد وبوابته (أي بوابة المعبد)، والذي يخرج ليُقْصِيَ شر أعدائهم (آمون) … المبرأ الذي أنجبه مثيله «بابيف نب نخت» (؟) بن «آمون موسى» المبرأ بن «حوري» بن «عشاخت» (؟) المبرأ الذي أنجبته ربة البيت المبجلة ضاربة الصاجات «لآمون رع» … (؟) من الدرجة الأولى المسمى «أتاوي» ابنة كاهن «آمون رع» ملك الآلهة كاتب الجيش لابن الملك «زد تحوتيفعنخ» ابن مثيله «أمنمأبت» المبرأ ابن مثيله «نسبا قاشوتي» المبرأ، وأمها سيدة البيت ابنة الملك محبوبته «تاشبن-باست»،

وابنة الملك رب الأرضين «محبوب آمون شيشنق» عاش أبديًّا. عمله ابنه ليحيا اسمه في الكرنك؛ أي كاهن «آمون رع» ملك الآلهة كاهن شهره لبيت آمون من الدرجة الأولى المسمى «نسبا رع»، وأمه سيدة البيت … ابنة كاهن «آمون رع» ملك الآلهة المبجل في مدينته المبرأ «حور» كاتب المعبد.

(٧-٣) قاعدتا عمودين باسم «زد تحو تيفعنخ»

كُشِفَ في معبد «الكرنك» سنة ١٩٤٩ عن قاعدتي عمودين كبيرتين من الجرانيت الرمادي القاتم على مسافة ٢٧٫٦٠ مترًا و٢٦٫١٥ مترًا من الزاوية الشمالية الشرقية من بناء معبد «آمون» الكبير، ومن المحتمل أن القاعدة الثانية وجدت في مكانها الأصلي، وقد نُقِش على محيط كل منهما متن ينتهي بطغراءين عموديين باسم الإله «آمون رع» بوصفه ملكًا؛ فعلى القاعدة الأولى كُتب في الطغراء: «آمون رع» رب عروش الأرضين. وفي الطغراء الثانية: «آمون رع ملك الآلهة.» وفي طغراءَي القاعدة الثانية نُقِشَ: «آمون رع حور أختي» و«آمون رع الأزلي للأرضين».

وفي مواجهة كل من هذين الطغراءين نُقشَ سطر أفقي حول القاعدة من اليمين إلى اليسار على القاعدة الأولى وهاك النص:

> ممدوحه ومحبوبه كاهن «آمون» ملك الآلهة، والكاهن الثالث «لآمون رع» ملك الآلهة، والمشرف على الماشية لبيت «رع»، ورئيس معبد «آمون»، والكاهن الرابع للإلهة «موت» العظيمة ربة «أشرو»، والكاهن الثالث للإله «خنسو» في «طيبة» المأوى الجميل … وكاهن «آمون» الذي يثوي في الردهة الغربية (من المعبد)، وكاهن «أوزير» في إقليم بق (منطقة بالقرب من العرابة، أو بعبارة أخرى المكان المخصص لإله الموتى «أوزير» في هذه الجهة)، وكاهن «إزيس» في بلدة «أحو» (Gauth, Dic, Geogr. I. p. 102)، وكاهن «تحوت» في «وزيت»، وكاتم السر، وكاتب جنود الفرعون في الجنوب، والمراقب العظيم، والقائد «زد تحو تيفعنخ» المبرأ الذي وضعته «تانزمت» ابنة كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاتب معبد «آمون» المسمى «أمنحتب».

أما النقش الذي يواجه طغراءي القاعدة الثانية فهو:

> ممدوحه ومحبوبه كاهن «آمون رع» ملك الآلهة الممدوح من الفرعون أمير العظماء … وكاتب كل جنود الفرعون قاطبة، والمراقب العظيم، والقائد «زد تحوتيفعنخ» المبرأ التابع للمكان المحبوب من «تحوت»[٤] ابن كاهن «آمون» ملك الآلهة، وكاتب الجيش الملكي قاطبة، والمراقب العظيم، والقائد «أمنمأبت» المبرأ ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاتب الجيش الملكي قاطبة «نسبا قاشوتي» المبرأ ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة والمراقب العظيم، والقائد «باكنخنسو» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب والمراقب العظيم، وقائد الجيش «نسبا قاشوتي» المبرأ ابن الكاهن والد الإله المحبوب والمراقب العظيم، وقائد الجيش «باسن» المبرأ.

فمن نقوش هاتين القاعدتين نعلم معلومات دقيقة عن أسرة «زدتحو تيفعنخ»؛ فنعرف مما جاء على القاعدة الأولى أن أمه «تانزمت» كانت ابنة كاهن «لآمون رع» يدعى «أمنحتب»، ومما جاء على القاعدة الثانية خمسة أجيال من أسلافه وهم: (١) «أمنمأبت» (٢) «نسبا قاشوتي الثاني» (٣) «باكنخنسو» (٤) «نسبا-قاشوتي الأول» (٥) «باسن». وكل هؤلاء يحملون لقب القائد، والثلاثة الأُوَل من كهنة «آمون رع».[٥]

والغريب في هذين النقشين أننا نجد على القاعدة الأولى طغراءين بهما: «آمون رع رب عروش الأرضين، وآمون رع ملك الآلهة.» كما نجد أن المتن الذي حول القاعدة يذكر لنا نسب أحد كهنة «آمون رع» من جهة أمه وهو «زدتحو تيفعنخ» الذي يحمل ألقابًا عدة خاصة بالكهانة، وأخرى إدارية وسياسية وحربية مختلفة، وعلى قاعدة العمود الثانية في الطغراءين اللتين عليها: «آمون رع حور أختي» و«آمون رع الأزلي للأرضين». أما النقوش الأخرى فتعدد لنا خمسة من أسلاف «زدتحو تيفعنخ» من جهة والده، و«زدتحو تيفعنخ» هذا معروف لنا مما كتبناه عن تمثالي «نسر آمون» بن «حور» [راجع الأسرة

---

[٤] (راجع A. S., t. VIII p. 254–256; Corny, Late Ramesside letters. p. 59; & J. E. A Vol. 32 p. 28 Note 5).

[٥] راجع A. S. T. L.

الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني]؛ فمما جاء على التمثال رقم ٤٢٢٢١ نعرف أن هذا الكاهن كان زوج «تاشبن باستت»؛ فبذلك يكون معروفًا لدينا تاريخيًّا.

ويقول «فاري» في مقال له عن هذا المتن:[٦] «إن أمثال هذا الكاهن كانوا يحيطون بالفرعون، ومع ذلك نجد أن المؤرخين يصطدمون بعقبات خطيرة شاقة عندما يريدون أن يأخذوا معنى هذه الألقاب التي يحملها هؤلاء العظماء، فيؤلفون منها صورًا عن الحياة الاجتماعية المصرية في ذلك العهد.» وقد أشار إلى خطورة ذلك الأثريُّ «ديفز»،[٧] الذي كان له دراية تامة بالمقابر الفرعونية؛ إذ قال: إن ألقاب الموظف المصري على الرغم من أنها تسمح لنا أن نرى من خلالها أحيانًا مجال حياة الموظف؛ فإنها تجعل حياته العملية محاطة بجو من الغموض كأنها السراب الذي يتطلب الرؤية الواضحة، وعلى ذلك فإنه لعدم إمكانه إيجاد حل رمزي لهذه الألقاب نجد أن الأستاذ «ديفيز» كان في معظم الأحيان يضع أمثال سلسلة هذه الأنساب التي كانت تظهر تفاهتها بوضوح للقراء، فمثلًا نجده قد أراد أن يضع سلسلة نسب أسرة من عهد «أمنحتب الثالث» ممثَّلة في مقصورة الوزير الشهير «رعموسي» (راجع مصر القديمة الجزء الخامس) دون أن يفهم أن كلمة «أخ» في هذه الأسرة لا بد أن يؤخذ بمعناها الماسوني.[٨] ويقول «فاري»: إنه قد أشار في مقال له إلى خطر إعطاء قيمة تاريخية فقط لمثل هذه الوثيقة،[٩] ثم يقول: وسنعود إذن إلى هذا الموضوع وسنفحصه بمناسبة النقوش التي على هاتين القاعدتين اللتين عثر عليهما في الكرنك؛ ولنرى إذا كان في الإمكان أن نجد صلة بين ألقاب موظف من عهد معين وبين المنهج الذي وضح باسمه، وعلى ضوء هذا المبدأ نرى أنه من المستحسن أن يفحص الأسماء والألقاب وسلسلة النسب لكبار الموظفين الذين يتألف منهم بلاط الفراعنة وأسرته، هذا إذا أردنا أن نفهم القيمة الحقيقية لآثارهم.

إن كل أسرة تكون أمامنا في الواقع بمثابة عصر لا بمثابة أسرة، وذلك على غرار كل فرعون فإنه له وظيفة يفسرها لنا برمز خاص به؛ فالأسرة الواحدة والعشرون المصرية تنتهي بسلسلة خاصة من الملوك يحمل كل منهم اسم رعمسيس (رع هو الذي

---

[٦] راجع Varille, A., Denx Bases de Djedthotefankh a Karnak (1950) Le Caere.

[٧] راجع Davies. The Tomb of Puymre T. I (1922) p. 27.

[٨] راجع Davies, The Tomb of the Viztier Ramose 1941 p. 2. 3.

[٩] راجع Varille, Dessertation sur une stele Pharaonique, Le Caire 1946, p. 4.

أعطاه الولادة)، وبطبيعة الحال «آمون رع» يفسر على هذا النمط. ونعلم أنه في عهد الرعامسة بدأ الحكم الشمسي «لآمون رع»، ومن المهم جدًّا أن نلحظ في نقوش هاتين القاعدتين أن الكاهن «زدتحو تيفعنخ» قد جعل نقوش أسلافه تقاطعها أسماء «آمون رع» الذي أصبح ملكًا أرضيًّا بوجود أسمائه موضوعة في طغراءات.

ونحن نعلم جيدًا الموضوع القديم الخاص باختلاط الملك و«آمون»، حيث نجد أن جسم الواحد يمر أمام جسم الآخر، والمقصود من ذلك هو أن الإله قد وحد مع الملك. وبالاختصار يمكن للآلهة أن يعرِّفوا أنفسهم بأنهم الصفات الإلهية العامة التي يتقمصها الملك، ومن ثم يمكن للفرعون أن يتخذ لنفسه الخصائص التي في صورة الإله، وعلى ذلك فإن كل انتقال صور إله ليست إلا إشارة انتقالات لتكوين الإله في الملك؛ أي إن الفرعون يتقمص صورة الإله على الأرض. والواقع أن كل التاريخ الأسري لمصر إن هو إلا صورة رمزية لفكرة الملكية ممثلة في الزمن.

وإذا تحدثنا من الوجهة الفلسفية نجد في الأسرة الأولى التي وضعت القواعد الخاصة بما وراء الطبيعة بمصر أن الفرعون كان أولًا هو الممثل لمبادئ الوجود، وبعد ذلك مر بكل مبادئ التكوين المشابهة لتكوين الجنين، وأخذ يتمثل في صورة جسمية في عهد الرعامسة لأجل أن يصير «الإنسان»، ثم استمر بعد ذلك يسمو حتى أصبح من الطراز الإلهي في عهد البطالمة. وعلى ذلك كان الملوك الذين حكموا مصر قد أحيطوا بإطار فخم فلسفي يحدد كل الدرجات التي أصبح بها الإله مجسَّمًا، أو بعبارة أخرى تجسيم مبادئ الطبيعة في صورة الملك.

ومن ثم نشاهد أنه في عهد الدولة الحديثة أن الملك أصبح الجسم الأرضي للإله، وفي هذا الوقت نرى نمو عبادة «خنسو»، وهو البيضة الملكية التي أنجبها «آمون» ووضعتها «موت»، وعلى ذلك نرى أن كل تناسل الملك قد مثِّل في وضع بيضة نتج منها أن أصبح «خنسو» هو الجنين في المشيمة التي اجتمعت فيها العناصر المغذية. وقد جعلت الأساطير والد «أمنحتب الثالث» الإله «آمون رع» الذي تمثل في صورة «تحتمس الرابع» يضع بذرة في الملكة «موت مويا» (موت في السفينة)، وعلى ذلك فإن «أمنحتب الثالث» سيعتبر من الوجهة الرمزية خارجًا من نطفة «آمون» ومن جسم «موت»؛ أي بمثابة «خنسو» في صورة واقعية، وسيكون ابنه البكر هو أول ملك شمسي إنساني مظهرًا النورَ الذي خرج من الظلام في قرص «آتون» وهو المظهر المجسم للشمس. والواقع أن هذا الملك الأتوني الثائر كما يقال كان مستمرًّا في المنهج التقليدي الذي سار عليه أجداده، غير أنه أوضحه في

رمز خاص جدًّا بعهده وهو «الشخصية الإنسانية»، ولكن لم تظهر هذه الصورة الإنسانية بصورة جلية تمامًا إلا عندما رأى أخلافه الرعامسة في الإله «خنسو» الإنسان الملكي.

وكان ينبغي على موظفي الملك منطقيًّا أن يتقمصوا الوظائف المختلفة التي تنظم عمل الفرعون، وبهذه الكيفية يكونون دائمًا على اتصال رمزي مع الملك، فإذا اتخذ «زدتحو تيفعنخ» «آمون رع» بمثابة ملك أرضي له طغراءان؛ فإن معنى ذلك أنه يجب على الإنسان أن يعتقد أن هذا الإله في طريق تحقيق ما يرمي إليه العصر.

فنجد على قاعدتي العمودين السالفي الذكر أن «زدتحو تيفعنخ» قد مثل نفسه بوصفه نهاية سلسلة أسرة خاصة؛ فعلى القاعدة الأولى رأينا أنه يحدد لنا أصله من جهة أمه وهي السيدة «تانزمت» ابنة كاهن «لآمون رع» يدعى «أمنحتب»، وعلى القاعدة الثانية يقدم لنا نسبه من جهة والده؛ أي الأسلاف المتتابعين الذين أنجبوه وهم: (١) «أمنمأبت». (٢) «نسبا قاشوتي الثاني». (٣) «باكنخنسو». (٤) «نسبا قاشوتي الأولى». (٥) «باسن». وكلهم كانوا يحملون لقب القائد، ولكن نجد أن الثلاثة الأُوَل كانوا كهنة «آمون رع»، أما الاثنان الآخران فكانا يحملان لقب الكاهن والد الإله المحبوب.

ورئيس هذه السلالة «باسن» يحمل اسمًا يوحي بفكرة الإخاء، بل كذلك يوحي بفكرة التثنية، والاسم الثاني «نسبا قاشوتي» معناه: «الخاص بالإله صاحب الريشتين» كأنه يلعب دور المنعش بالنسبة لاسمه مع الريشتين العاليتين الخاصتين بالإله «آمون»، والاسم الثالث «باكنخنسو» معناه: الذي يعمل للإله «خنسو» وهو حامل للبيضة الملكية. وهذا تأليف حي للعنصرين الأوليين الشمسي والقمري، والاسم الرابع هو «نسبا قاشوتي» يكرر الدور الذي قام به «نسبا قاشوتي الأول»، والاسم الخامس «أمنمأبت» ومعناه «آمون» المثبت في الوادي، وأخيرًا «زدتحو تيفعنخ» الذي حدد دوره بجعل اسمه يتبع بالوصف «صاحب المقعد السحري للإله تحوت» فهو صاحب القاعدتين اللتين كتب عليهما اسمه.

ومما تجدر ملاحظته أن يوجد بوجه خاص من الأسرة الواحدة والعشرين عدد عظيم من أسماء الأعلام من طراز «زدتحو تيفعنخ» مؤلفة من فعل زد + اسم الإله وضمير + عنخ، ومعناه: «الإله كذا» يبرز كلمته وأنه يحيا؛ (أي حامل هذا الاسم).

ومن ثم نجد في منهاج جديد فلسفي أسري ما يقابل المسميات الجديدة في الأسماء المصرية، وقد كان المصري يكتفي حتى عهد الرعامسة أن يبرز في المعابد المصرية المبادئ السماوية؛ فالإله الرئيسي ينزل من السماء على الأرض ويتخذ صوره في مسكنه لأجل أن ينمو في المعبد «حيًّا» في صورة إله مجسَّم، ولكن لما كانت كل أعمال الخلق موجودة في

الإنسان، فإنه قد ذهب في تصوره حتى جسَّم المعبد في صورة الإنسان، حيث كانت تحقق فيه وظائف السماء، ومن المؤكد أن كلمة الإله قد تقمصت الملك وموظفيه.

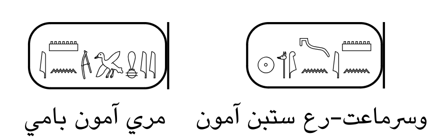
ولما كانت الطغراء تمثِّل رمزيًّا بحلقة تتألف من «حبل مصير الفرعون»؛ فإنه عمل هكذا ليحتوي على اسم «آمون رع» مميزًا بألقابه، كما يبرز فيه كذلك الدور الخاص لهذا الإله في عهد «زدتحو تيفعنخ».

وعلى ذلك فإن الآثار التي تركها لنا الموظفون الفرعونيون لا تقدم لنا بوجه خاص تاريخ حياتهم الحقيقي وحسب، بل تقدم لنا أكثر من ذلك التاريخ الرمزي للاسم الذي كان يحمله هؤلاء الموظفون على الآثار الخاصة بالعهد الذي عاشوا فيه؛ فأنسابهم توضح علاقات مبادئ التكون الملكي، فتقص علينا تاريخ تطور وقتٍ أكثرَ من تطور تاريخ أسرة.

فهذا الرأي الذي وضعه «فاري» أمامنا يعد من التخيلات الخصبة التي نقرأ أمثالها في القصص والخرافات التي لا ترتكز إلا على مجرد الأوهام المحبوكة السبك، فتجد منفذًا إلى عقول أولئك الأفراد الذين يريدون أن يفسروا كل مظاهر الحياة بأشياء رمزية ليس للحقائق العلمية البحتة فيها نصيب.

والواقع أن كل ما نفهمه من هذا المتن هو أن كهنة «آمون» كانوا قد سيطروا على عقول الشعب شيئًا فشيئًا منذ الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة الثانية والعشرين، وقد انتهى بهم الأمر أن جعلوا القوم يعتقدون أن الإله «آمون رع» هو الحاكم الفعلي في «طيبة»، وأن الكاهن الأكبر إنْ هو إلا وزيره ومُنَفِّذ إرادته أحيانًا، أو بعبارة أخرى كان الكاهن هو القوة الكامنة وراء تمثاله أو تماثيل الإله التي توحي بالأحكام والفصل في القضايا وكل ما يتعلق بأمور الدولة. ولا غرابة في أن نجد طغراء الفرعون في «طيبة» قد حل محلها طغراء «آمون» بوصفه الفرعون الحقيقي، وأن الكهنة والموظفين كانوا ينظرون إليه بأنه هو الذي يوجههم في حكم البلاد وتدبير مصالحها سواء أكانت دينية أم دنيوية.

الفرعون بامي



وسرماعت-رع ستبن آمون مري آمون بامي

يعتقد الأثري «دارسي» (Rec. Trav. XXXV p. 137. note 3) أن الملك «بامي» كان ابن الملك «شيشنق الثالث»، وأنه لا ينبغي أن يعتلي عرش الملك، ولكن المدة الطويلة التي حكمها والده — وهي ٥٢ سنة تقريبًا — قد جعلته الوارث للملك بعد موت إخوته، وهذا احتمال يرتكز على ما جاء على المجموعة الصغيرة من التماثيل الموجودة بالمتحف المصري، وهي التي عُثر عليها في «سايس» حيث نقرأ: الرئيس الأكبر لقوم «مي» (المشوش) «بامي» ابن رب الأرضين «شيشنق محبوب آمون.» (راجع Rec. Trav. XVI. p. 48). غير أن قراءة الطغراء فيها شك كبير.

وعلى ذلك لا يمكن أن نقبل قراءة دارسي لهذه الطغراء، هذا إلى أننا لم نجده مذكورًا بين أبناء الملك «شيشنق الثالث» قط، وأكبر مدة حكمها كما وُجِدَ على الآثار ست سنوات مع احتمال الشك كما سنتحدث عن ذلك بعد.

ذكرنا فيما سبق أن «بدي إزيس» قد أقام لوحة عند دفن أحد عجول «أبيس» في السنة الثامنة والعشرين من عهد الملك «شيشنق الثالث» [راجع الأسرة الثانية والعشرين «الملك» شيشنق الثالث]، وقد ذكر لنا بحثه المُجْديَ للعثور على عجل آخر في نفس السنة وموت هذا العجل في السنة السادسة والعشرين فيما بعد؛ أي في السنة الثانية من حكم الملك «بامي»، وفي تلك الفترة أصبح «بدي إزيس» الكاهن الأكبر للإله «بتاح»، وقد قام

بحكم وظيفته بدفن هذا العجل ودوَّن كل ذلك في اللوحة الثانية التي سنورد ترجمتها هنا بعدُ، ومدة حياة هذا العجل وهي ست وعشرون سنة ساعدتنا على تحديد مدة حكم الفرعون «شيشنق الثالث» كما يأتي:

(١) ولد العجل «أبيس» في السنة الثامنة والعشرين من حكم «شيشنق الثالث»، ومات هذا العجل في السنة الثانية من حكم الملك «بامي».
(٢) عاش هذا العجل ستًّا وعشرين سنة.

فتكون إذن مدة حكم «شيشنق الثالث» هي اثنتان وخمسون سنة.

ويشاهَد في أعلى اللوحة منظرٌ صُوِّرَ فيه العجل أبيس في هيئة إنسان برأس ثور تصحبه إلهة الغرب، وأمامه ثلاثة أشخاص يتعبدون إليه وقد لقبوا كما يأتي:

(١) الرئيس الأعظم لقوم «مي» المسمى «بدي إزيس» المنتصر ابن الرئيس الأعظم لقوم «المشوش» «تاكيلوت» المنتصر.
(٢) الكاهن سم للإله «بتاح» «حورسا إزيس».
(٣) …

وأسفل هذا المنظر نقرأ المتن التالي:

السنة الثانية، الشهر الثاني من الفصل الثاني، في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن آمون» معطي الحياة ابن رع رب التيجان «مري آمون» «بامي» معطي الحياة والثبات والرضا مثل رع سرمديًّا، محبوب «أبيس» ابن أول أهل الغرب (أوزير) الإله العظيم، في هذا اليوم اقتيد الإله في سلام إلى الغرب الجميل لمكان دفنه في الجبانة ليثوي في المأوى الأبدي في مقعده السرمدي، والآن لقد ولد في السنة الثامنة والعشرين في عهد جلالة الملك «شيشنق الثالث» المنتصر، ولقد بحثوا عن جماله في كل مكان في الأرض الشمالية، وقد عُثر عليه في معبد «شدبد» (مكان غير معروف) بعد ثلاثة أشهر عندما جالوا في أقطار الدلتا وكل مركز من مراكز الأرض الشمالية.

وقد اقتيد إلى «منف» إلى والده «بتاح» القاطن جنوبي جداره على يد الكاهن الأكبر للإله «بتاح»، والكاهن سم لبيت «بتاح»، ورئيس المشوش الأعظم «بدي إزيس» ابن الكاهن الأكبر لبتاح، والكاهن سم الرئيس العظيم للمشوش

«تاكيلوت» الذي ولدته ابنة الملك من ظهره محبوبته «تسبر باست» في السنة الثامنة والعشرين من الشهر الثاني من الفصل الأول، وكانت حياة هذا الإله الجميلة ستًّا وعشرين سنة.

هذا، وقد عُثر على لوحتين موحدتين باللوحة السابقة في ألفاظها (راجع ترجمة هذه اللوحات Brugsch, Geschichte Aegypten p. 672ff.; & English. Translation, p. 382–384 L. R III p. 370–371).

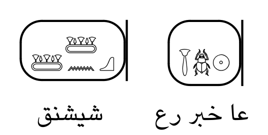
ووجدت لوحة باسم «خنوم خنسو» الشاب في السربيوم مؤرخة بالسنة الثانية أول أمشير (راجع Res. Trav., T XXI. R. 58)، وهذه اللوحة هي الوحيدة من مجموعة آثار السرابيوم المؤرخة بالسنة الثانية من حكم «بامي» التي حفظت لنا تاريخًا سليمًا من عهد هذا الفرعون وكذلك ألقابه، ويرجع الفضل إلى هذه اللوحة في أنها مكنتنا من أن نكمل التاريخ والألقاب في لوحات أخرى له.

ويوجد في متحف اللوفر لوحة باسم شخص يدعى «باتقب» (راجع Gazette des Beaux arts (1908) p. 316–317)، وقد أُرِّخَتْ بالسنة السادسة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن رع» بن رع رب التيجان «بامي محبوب آمون معطي الحياة».

وتاريخ هذه اللوحة يؤكد بصورة موفقة النظرية القائلة بأن «بامي» حكم أكثر من ست سنين كما جاء على اللوحات الأخرى التي وجدت باسمه في معبد «السرابيوم».

ولا نعرف مِن أسرة هذا الفرعون إلا اسم ابنه الملك «شيشنق» كما جاء على لوحة للعجل السادس من عهد الأسرة الثانية والعشرين لشخص يدعى «حور»، ومؤرخة بالسنة الحادية عشرة من عصر «شيشنق الخامس» (؟) (راجع L. R. III. p. 375).

الفرعون «شيشنق الرابع»



هذا الملك هو ابن الفرعون «بامي»، وخَلَفَهُ على عرش الملك.

وتدل الآثار التي عُثر عليها حتى الآن على أن هذا الفرعون وأسلافه الثلاثة الذين سبقوه كانوا يحكمون في الوجه البحري فقط، وأن سلطانهم في الوجه القبلي قد انتقل إلى غيرهم كما سنرى بعد، وآخر سنة عُرِفَت له على الآثار هي السنة السابعة والثلاثون، والظاهر أن حكمه كان معاصرًا لحكمي الفرعونين: «أوسركون الثالث»، و«تاكيلوت الثالث» من الأسرة الثالثة والعشرين في مصر العليا كما تدل على ذلك الآثار التي كُشِفَت لهما في «الكرنك».

آثاره

لوحة «حورواز»: وقد عُثر على لوحة في مدفن العجل الخامس من عجول الأسرة الثانية والعشرين، وهي محفوظة بمتحف اللوفر (راجع Rec. Trav. XXII. p. 13)، وقد مثِّل في أعلاها العجل أبيس مضطجعًا ومحنطًا على سرير.

وقد نُقِشَ تحت هذا المنظر صيغة القربان المعتادة: «قربان يقدمه الملك: ألف من الخبز والنبيذ والبقر والإوز، وألف من البخور والعطور، وألف من كل شيء طيب جميل طاهر، لروح «أوزير حابي» أول أهل الغرب، و«حورواز» بن أوزير المسمى «نخت»

السنة الرابعة.» ويلاحَظ أن اسم الملك هنا لم يُذكَر، ولكن ليس لدينا ما يثبت أن هذا العجل قد توفي في السنة الرابعة من حكم «شيشنق الرابع».[1] (راجع Mariette, La Serapeum p. 21 et Edition Maspero p. 168)، حيث نجد أن «مسبرو» يقول: إن هذا العجل مات في السنة الرابعة من عهد هذا الملك، ولكن بدون سند.

لوحة «حور»: وكذلك وُجِدَ اسم هذا الفرعون على لوحة مؤرخة بالسنة الحادية عشرة، أقامها شخص يدعى «حور»، وهي العجل السادس من عهد الأسرة الثانية والعشرين ومحفوظة بمتحف اللوفر (راجع Mariette, La Serapeum III Partie Pl. 300, p. 21 et Edit. Maspero p. 168).

ويلاحَظ أن هذا الفرعون قد اتخذ لنفسه لقب الفرعون «أمنحتب الثاني»، كما اتخذ «أوسركون الثالث» لقب «رعمسيس الثاني».

لوحة «حور باسن»: عُثِرَ على هذه اللوحة في مقبرة العجل «أبيس» السابع من عهد الأسرة الثانية والعشرين، وقد أقامها «حور باسن» أحد أعضاء الأسرة المالكة، وقد تحدثنا عن أهمية هذه اللوحة بإسهاب فيما سبق [راجع الأسرة الثانية والعشرين فراعنة الأسرة الثانية والعشرين]، ويمكن تلخيصها هنا في أن «حور باسن» أقامها في السنة السابعة والثلاثين من حكم الملك «شيشنق الرابع»، وهذه اللوحة تمدنا أولًا بسلسلة نسب للأسرة الثانية والعشرين تشمل الملوك اللوبيين من أول «شيشنق الأول» حتى «أوسركون الثاني»، وترجع إلى ستة أجيال قبل «شيشنق الأول» حتى الرئيس اللوبي «بويا واوا»، هذا إلى أننا نعرف من هذه اللوحة أنه في هذه السنة؛ (أي ٣٧ من عهد «شيشنق الرابع») مات العجل «أبيس» السابع وكان قد بلغ من العمر عند وفاته السادسة والعشرين؛ لأنه ولد في السنة الحادية عشرة من عهد «شيشنق الرابع».

لوحة «واشاتيهاتا»[2]**:** من أهم اللوحات الخاص التي تُنْسَبُ إلى هذا العهد لوحة لرئيس القوافل الفرعونية الذي يدعى «واشاتيهاتا»، واللوحة تحدثنا عن هبة قطعة أرض

---

[1] وقد أرخ «جوتيه» هذه اللوحة بعهد «شيشنق الرابع» (راجع L. R. III p. 273).

[2] هذه اللوحة مصنوعة من الحجر الجيري، وقِمَّتُها المستديرة قد كُسِرَتْ، وطولها ٥٣ سنتيمترًا، وارتفاعها ٣١ سنتيمترًا، وهي في حوزة «دانينوس باشا»، وقد نشرها «مسبرو» من صورة أخذها بوساطة الضغط. (راجع Rec. Trav. XV. p. 845; Br. A. R. Vol. IV 782–785).

لمعبد الإلهة «حتحور» في مكان يدعى «باسبك» يحتمل أنه في غربي الدلتا، وأهمية اللوحة تنحصر في وظيفة صاحبها؛ إذ كان على ما يظهر المراقب على طرق المواصلات بين واحات الصحراء اللوبية، وكذلك في أهمية رئيسه المباشر الذي كان يلقب الرئيس الأعظم لقوم مي (أي لوبيا) المسمى «حاتيحنكر» وكان الحاكم من قبل الفرعون على جزء من الدلتا الغربية، ويحتمل كذلك الحاكم على جزء غير معين من بلاد لوبيا يشمل الواحات، ولا نزاع في أن هذا النظام كان استمرارًا للنظام الذي وضعه «شيشنق الأول» الذي تحدثنا عنه فيما سبق. ولا نزاع في أن الأسماء الغريبة التي يحملها هؤلاء الموظفون هي بطبيعة الحال أسماء لوبيَّة؛ غير أن اسم أم رئيس القوافل مصري التركيب، وقد وَهَبَ ابنها هبة من الأرض للإلهة «حتحور» التي كانت تُعبَد في بلدته، ولا بد أنها كانت عند نهاية طريق القوافل المؤدية للواحات.

والجزء الأعلى من اللوحة يحتوي على منظرين؛ فعلى اليسار نشاهد رجلًا يتعبد أمام «حتحور» ويصحبه المتن التالي: ليتها تمنح الحياة والسعادة والصحة للرئيس العظيم لبلاد «ربو.» (لوبيا). وعلى اليمين نشاهد منظرًا مماثلًا ومعه المتن التالي: «ليتها تمنح الحياة والسعادة والصحة لرئيس القافلة الفرعونية.» هذان الرجلان هما صاحب هبة الأرض ورئيسه، كما يدل على ذلك النقش التالي:

> السنة التاسعة عشرة في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «عاخبررع» «شيشنق الرابع» معطي الحياة.

الهبة: «لقد قدم رئيس قوافل الفرعون «واشاتيهاتا» بن «نوا-سا-تيروكا-نا-يو» خمسة أرورات من الأرض لمعبد «حتحور» ربة الفيروز الذي تحت إدارة رئيس البوابين «باساكا» بن «بكنو»، وأمه هي المتعبدة الإلهية للإله «سبد» (وتدعى) «هرنفر» راجية له بذلك الحياة والسعادة والصحة والحياة الطويلة والعمر المديد السعيد في حظوة سيده الرئيس العظيم لبلاد «لوبيا» والرئيس العظيم لقوم «مي» «حاتيحنكر» في معبد «حتحور» ربة الفيروز باقيًا ودائمًا سرمديًّا.»

وإن كل رجل أو كاتب يرسل في بعث لإقليم بلدة «باسبك» ويلحق ضررًا بهذه اللوحة سيقع تحت سلاح «حتحور»، ولكن اسم من يمكنها سيبقى.

ومن هذه اللوحة نفهم الصلة الدائمة التي كانت بين ملوك مصر وبين الواحات، وكذلك يتضح لنا استمرار سيطرة أعضاء أسرة «شيشنق» على هذه الجهات وتنصيبهم في الوظائف العالية بها.

لوحة «باشري بتاح»: وتوجد في متحف اللوفر لوحة أقامها كاهن «بتاح» للعجل «أبيس» مؤرخة بالسنة السابعة والثلاثين من عهد الملك «شيشنق الرابع»، وهذه اللوحة عُثر عليها في السرابيوم بمنف (راجع Rec Trav. XXXV p. 136) وهاك النص:

> السنة السابعة والثلاثون من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «شيشنق» معطي الحياة مثل رع أبديًّا، يا «أوزير حابي» الذي يسمع جيدًا، امنح شيخوخة جميلة كبيرة لكاهن «بتاح»، والكاهن مثبت العدالة «باشري بتاح» ابن مثيله «عنخ سماتوي» الذي وضعته أمه «تس-باستت-برت»، يا «أوزير حابي»، إن الرئيس العظيم لبلاد لوبيا حظيك ومحبوبك وابنه هو «حرسبا».

ويلاحَظ هنا أن الرئيس العظيم لبلاد «لوبيا» يقابل الرئيس العظيم لقوم المشوش أو «مي».

لوحة «نمروت»: لوحة خاصة بالعجل «أبيس» السابع من عهد الأسرة الثانية والعشرين، أقامها الكاهن والد الإله «نمروت» في السنة السابعة والثلاثين من عهد الملك «شيشنق الرابع» (راجع Rec. Trav. XXII p. 16).

هذا، وتوجد عدة لوحات مؤرخة بالسنة السابعة والثلاثين من «السرابيوم» ومحفوظة بمتحف اللوفر، ويلاحظ على هذه اللوحات أن بعضها قد جاء عليه طغراء اسم الملك، وبعضها طغراء لقبه (راجع L. R. III, p. 374 Note 4).

آثاره في تانيس

وقد عُثِرَ حديثًا في الجهة الشمالية من المعبد الكبير في الجزء الشرقي على بقايا مبنى للملك «شيشنق الرابع»، وقد بلغ عدد الأحجار التي نقشها هذا الفرعون واستعملت في جدران البحيرة المقدسة فيما بعد لهذا المعبد حوالي مائة وعشرين حجرًا، بعضها نقوش إهداء، وبعضها قطع أفاريز وطغراءات الفرعون وتيجان عمد وأجزاء ونقوش وأجزاء عليها من مناظر، حيث نشاهد الفرعون يتعبد للآلهة: «آمون»، و«موت»، و«خنسو»، و«مين»، و«بتاح»، و«سخمت»، والسفينة المقدسة، وغير ذلك.

وكذلك عُثر على الجزء الأعلى من لوحة هبة وجزء من لوحة أخرى. وبعض هذه النقوش يعد من النقوش الممتازة، ويمكن قرنها بأحسن النقوش في أزهى عصور التاريخ

المصري القديم من حيث دقة الصنع وجمال النقش. وبجانب هذا توجد بعض نقوش أخرى لا تستحق الالتفات من حيث الدقة؛ غير أن الكل في مجموعه يعتبر مُرضيًا. وعلى أية حال، فإن جميع القطع التي عُثر عليها حتى الآن لا يمكن أن تؤلِّف منها مبنًى كاملًا، ولكن على الرغم من ذلك تدلنا هذه البقايا على أنه كان له أعمال في هذه الجهة لم تصلنا سليمة، وبخاصة أننا لا نعرف عن أعماله الشخصية شيئًا إلا ما جاءنا عن طريق اللوحات التي سبق ذكرها هنا، وكلها من السرابيوم. (راجع Bulletin De la Societe Francaise D'Egyptologie No. 2 October 1949 p. 31–32).[٣]

[٣] دلت الحفائر الحديثة على أن شمالي المعبد الكبير في جزئه الشرقي كان مشغولًا بالبحيرة المقدسة، وهي عبارة عن مستطيل من الحجر يحيط به لبنات مكسوة بالحجر من الداخل، ويبلغ طولها من الداخل ٥٠٫٦ مترًا، وعرض الجدار المصنوع من الحجر يبلغ ٢٫٥ متر، وقد كان ارتفاعه فيما مضى يبلغ متوسط ارتفاع المعبد، ولكن قد انتُزعت منه أحجار كثيرة؛ ولذلك نجد أنه قد نقص في بعض جهاته من ثلاثة إلى أربعة أمتار وأحيانًا خمسة. وقد وُجد أن هذه البحيرة قد بُنِيَت كلها بأحجار من مبانٍ قديمة، وأن أحجارها مأخوذة من مبانٍ يرجع عهدها إلى عصر «بسمتيك الأول»؛ مما يدل على أن هذه البحيرة قد أقيمت على ما يظهر في العهد الفارسي. (راجع Bulletin De la Societe Francaise D'Egyptologie No. 2, Octobre 1949 p. 31).

الأسرة الثالثة والعشرون

مقدمة

ذكرنا فيما سبق أنه منذ حكم الملك «أوسركون الثاني» أخذ الغموض والإبهام يحيطان بتاريخ الأسرة الثانية والعشرين، حتى أصبح من الصعب أن نتعرف على ترتيب الملوك الذين كانوا يحملون اسم «شيشنق» أو «أوسركون» أو «تاكيلوت» ممن ذكروا على الآثار، وقد لاحظنا كذلك في تلك الفترة أن العادة السائدة كانت أن يُنْتَخَبَ الكهنةُ العظام «لآمون» الطيبي من بين أولاد الفرعون الحاكم في «بوبسطة»، ومن ثم نشأ فرع من الأسرة المالكة نما وترعرع في طيبة أخذ يتحالف مع الأخلاف المحليين لملوك الكهنة السابقين، ولم يمض طويل زمن حتى أخذوا يُظهرون ميولًا انفصالية عن الشمال، وعلى ذلك أصبحت البلاد من جديد فريسة للخلافات الداخلية، وكانت النتيجة أن انتهت الأسرة الثانية والعشرون كالأسرة السابقة بانفصال الوجه القبلي عن الوجه البحري.

وقد بدأ هذا الحكم الثنائي للبلاد في عهد «أوسركون الثاني» كما ذكرنا من قبل؛ فقد أعلن الكاهن الأكبر لآمون «حورسا إزيس» ابن الملك «أوسركون الثاني» نفسه ملكًا على «طيبة»، وفي حوالي عام ٨٣٨ق.م صار «بدو باست» ملكًا على طيبة، وهو الذي قال عنه «مانيتون»: إنه المؤسس للأسرة الثالثة والعشرين. ومن ذلك نفهم أن هذه الأسرة لم تَخْلُفِ الأسرة الثانية والعشرين؛ بل كانت معاصرة لها، وكانت تحكم في «طيبة»، في حين كان أواخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين لا يزالون يحكمون في الدلتا. والواقع أن «مانيتون» قد أخطأ في تسمية هذه الأسرة بالأسرة التانيسية (مثل الأسرة الواحدة والعشرين)؛ إذ نجد

أن اسم «بدو باست» كان في الواقع من أصل بوبسطي كما يدل اسمه على ذلك (ومعناه: منحة الإلهة «باست»).

ومن الجائز[١] أن هذه الأسرة كانت قد اتخذت مقرها أولًا في «تانيس»، ولكن عند حملة «بيعنخي» لم يكن مقرُّ ممثِّلِ الأسرة المسمى «أوسركون» في «تانيس» بل كان في «بوبسطة».

ولا نعلم الأحوال التي أعلن فيها «بدو باست» نفسه ملكًا، ومن المحتمل أنه نودي به ملكًا في الدلتا، ثم بعد موت الكاهن الأكبر «أوسركون» أُعلن ملكًا في «طيبة».

والظاهر أن فرعي الأسرة اللذين يناهض أحدهما الآخر لم يمكثا طويلًا في نزاع؛ إذ نجد أنه في حكم «بدو باست» كانت القيادة العليا للجيش في «طيبة» في يد أحد أولاد «شيشنق الثالث»، ومنذ تقسيم البلاد مملكتين: الدلتا والصعيد؛ نجد أن ملوك كلتا المملكتين أخذوا يتهاونون شيئًا فشيئًا في ترك معظم البلاد في أيدي رؤساء محليين من الذين لا يعيشون إلا على الدس والتآمر، حتى انتهى الأمر بأن أعلن ثمانية عشر منهم استقلالهم في المدن الرئيسية لمصر الوسطى والدلتا، فكان الواحد من هؤلاء الأمراء لا تزيد مساحة الإقليم الذي يحكمه عن أكثر من مقاطعة من مقاطعات القطر الأصلية.

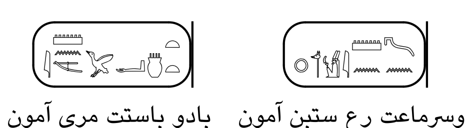
---

[١] ويقول «جوتيه» (L. R. III. p. 376): «ليس لدينا أي دليل حتى الآن بأن نعتقد أن هذه الأسرة كان مقرها في تانيس على عكس ما يؤكده «مانيتون» (راجع Unger chronologie des Manetho p. 238)؛ وذلك لأن أسماء مثل «بادو باست» من جهة، وبقاء أسماء مثل «أوسركون» و«تاكيلوت» من جهة أخرى، تحدو بنا إلى أن نتعرف في ملوك الأسرة الثالثة والعشرين أسماء بوبسطية حقيقية مثل أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين، (هذا، ويظن كل من «مسبرو» و«بريستد» أن الأسرة الثالثة والعشرين كان ملوكها فرعًا صغيرًا من أسرة بوبسطة) (راجع Maspero Hist, III p. 166 & Br. A. R. IV p. 407). ونجد أن كل هؤلاء الملوك والملوك الصغار الذين انفصلوا عن البيت المالك منذ حكم «أوسركون الثاني» — الذي انقسمت في عهده البلاد إلى حكومة طيبة الدينية وملك الدولة المصرية القديم في بوبسطة — كانوا من أسرة واحدة، وأن بين بعضهم والبعض الآخر صلة نسب إما بالبنوة والمباشرة أو الزواج. والواقع أنه لدينا أسباب أقل (ليسمى بعضهم تانيسيين) من الأسباب التي تحدو بنا لتسمية بعضهم الآخر طيبيين، ونحن على ثقة من أن الكثير من بينهم قد حكموا إما في «طيبة» فقط أو في «طيبة» وفي «بوبسطة» في آن واحد، في حين أننا لا نجد لهم تقريبًا أي أثر في «تانيس».» هذا ما حدثنا به «جوتييه»، ولكن ظهر أخيرًا بعض آثار للملك «بادو باست الأول» في «تانيس» وسنتحدث عنها هنا (راجع Bulletin De la Societe Francaise D’Egyptologie No. 2 Octobre 1949 p. 32–33).

وقد كان هذا التقسيم آخذًا في الازدياد في عهد «بادو باست»، والواقع أن السنة السادسة عشرة من حكم «بدو باست» تقابل السنة الثانية من حكم ملك يدعى «أوبوت» كان هو المسيطر على إقليم «بوبسطة»، وملك آخر يدعى «نمروت» في «هرموبوليس»، ويسيطر «بدو باست» آخر على «أهناسية المدينة»، وأعلن كل منهم نفسه ملكًا في إقليمه، هذا إلى أنَّ «تفنخت» حاكمة بلدة «سايس» التجارية الواقعة على فرع النيل الكانوبي قد ضمت إلى ممتلكاتها أهم مدينة في الوجه البحري وهي «منف»، وقد كانت حالة الانحلال هذه التي كانت تسود في الدلتا هي التي جعلت ملك «إثيوبيا» «كاشتا» يستولي على الوجه القبلي، ثم أتى من بعده «بيعنخي» وانقض بجيشه على الدلتا حوالي سنة ٧٣٠ق.م وأعاد وحدة البلاد تحت حكمه هو من البحر الأبيض المتوسط حتى الشلال الرابع.

وسنحاول هنا بعد هذه المقدمة أن نذكر ما نعرفه عن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.

الفرعون بادو باست



وسرماعت رع ستبن آمون بادو باستت مري آمون

حكم «بادوباست» على حسب ما جاء به «مانيتون» خمسًا وعشرين سنة؛ غير أنه جاء في بعض النسخ التي وصلت إلينا أنه حكم أربعين سنة، وفي نسخة أقدم ذُكِرَ أنه حكم أربعًا وأربعين سنة (راجع Ungar Chronologie des Manetho p. 258)، أما على الآثار الباقية فنجد أن آخر سنة ذُكر فيها هي السنة الثالثة والعشرون كما جاء في النقش التاسع والعشرين من نقوش مرسى الكرنك.

ويلاحَظ هنا أن اسم «بادو باست» هذا كان يسمى به ملك آخر يلقب «سهر أب رع» لم يُعرَف موضعه بالضبط في ترتيب ملوك هذه الأسرة (راجع Rec. Trav. XXVIII p. 151–2)، ويرجع الفضل في الكشف عن هذا الاسم للأثري «لجران»، وقد كان المؤرخون قبل ذلك يعدونه المؤسس لهذه الأسرة[١] مع تجاهل «بادو باست» المؤسس الحقيقي لها،

[١] ويقول «بتري» (Hist, of Egyp. III p. 262) في هذا الصدد: لا شك في أنه يوجد ملكان باسم «بادو باست»: واحد منهما يظهر في «مانيتون» بأنه المؤسس للأسرة الثالثة والعشرين حوالي ٧٦٠ق.م والثاني جاء في قائمة الملك «آشور بانيبال» حوالي قرن بعد ذلك. ويصحب اسم «بادو باست» اسمان للقب الملك وهما: «سهر أب رع»، وقد جاء على الناووس الذي يوجد جزء منه في باريس والآخر في بولونيا (راجع Maspero, Passing of the Empires p. 165)، والآخر يدعى «وسرماعت رع»، كما جاء على تمثال من

وعلى ذلك فإن كل الآثار التي كُشِفَت باسم هذا الملك «سهر-أب-رع» «بادو باست» ونسبت للملك «بادو باست» الأول لا بد من نسبتها لصاحبها. وقد عَثَرَ أخيرًا «مونتييه» على قطعة حجر تحمل اسم الشارة الملكية للفرعون «بادو باست» الذي لم يوجد له حتى الآن أي أثر في «تانيس»، ويقول «مونتييه»: «إن كتاب «الملوك» ذكر ثلاثة ملوك باسم «بادو باست»، وأقدمهم هو المعروف من نقوشه بوجه خاص التي على مرسى «الكرنك»، وهو الذي يظهر أنه قد عاش في عهد الملك «شيشنق الرابع»، وليس لدينا إلا اللقبان الأخيران من ألقابه وهما: الملك «وسرماعت رع ستبن آمون» بن «رع» «بادو باست» محبوب «آمون». ولدينا «بادو باست» ثالث بلقب «ابن باستت»، ومكانه بين ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ليس معروفًا أيضًا، ولقبه «سهر-أب-رع».

أما فرعون «تانيس» الذي جاء ذكره في الأوراق الديموطيقية وتواريخ «آشور بانيبال»، ويحمل اسم «بادو باست»؛ فإن ألقابه عَدَا اسم «بادو باست» ليست معروفة.

أما «بادو باست» الذي ظهر اسمه حديثًا على الحجر الذي أشرنا إليه في «تانيس»، فلم يُذكَر معه نعت «محبوب آمون» أو «ابن باستت»، ويُخَيَّل لنا أن توحيده مع الملك ذُكِرَ في الأوراق الديموطيقية. والواقع أن أحد الأحجار التي استُخْرِجَت من بحيرة المعبد قد حفظت لنا الاسم الحوري واسم التتويج لملك جديد، وهاك النقش الذي على هذا الحجر:

«حور الذهبي»«ساحتب نترو» الملك، الملك «سحتب-أب تاوي-رع».

وهذه الأسماء لم نجدها معًا لأي فرعون من الفراعنة الذين دُوِّنوا في كتاب «الملوك» حتى الآن، وهذا هو السبب الذي حَدَا بالأثري «مونتييه» أن يضع نظرية

البرنز من «تانيس» وعلى تمثال «حور» بالمتحف المصري. ويمكن أن نستنبط أيهما كان الأقدم، وهو الأول الذي حكم على وجه التأكيد في طيبة؛ لأن نقوشه على الجدران وعلى مرسى الكرنك تشبه تمامًا تلك التي تشاهَد في ختام الأسرة الثانية والعشرين، و«بادو باست» الآخر قد حكم بالتأكيد في «تانيس» كما جاء في نقوش «آشور بانيبال». ولما كان خشب الناووس الخاص بالملك «سهر أب رع» «بادو باست» لا بد كان محفوظًا في الوجه القبلي؛ فإنه من المؤكد تقريبًا أن «سهر أب رع» هو «بادو باست» الطيبي، وأن «وسرماعت رع» هو الذي حكم في «تانيس»، واستطرد «بتري» يقول: وينسب «لبادو باست» الأخير تمثال «حور» القاعد القرفصاء، وقصة ورقة «رينر» التي تشير إلى «تانيس»، وكذلك قيل: لوحة في «كوبنهاجن» (راجع S. B. A. XXI. p. 265) إلخ. وهذا الرأي خاطئ كما سنبين هنا.

جديدة معناها أن الحجرين اللذين يحمل أحدهما اسم «بادو باست» والذي يحمل اسم «سحتب-أب-تاوي-رع» هما لملك واحد، ويمكن ترتيب ألقابه كما يأتي:

(١) الاسم الحوري: «سحتب تاوي».
(٢) اسم الإلهتين: مجهول.
(٣) الاسم حور الذهبي: «سحتب نترو».
(٤) اسم التتويج: «سحتب-أب-تاوي رع».
(٥) اسم العَلَم: «بادو باستت».

والواقع أن هذه النظرية عرجاء ولا ترتكز على أساس مقبول؛ إذ من الجائز أن يظهر لنا اسم ملك آخر مجهول لنا يحمل الألقاب التي انتحلها «مونتييه» للملك «بادو باستت» الجديد، وبخاصة أن الذين كانوا يدَّعون المُلكَ في هذا العهد كثيرون جدًّا كما ذكرنا من قبل. وعلى أية حال، فإن الكشف في حد ذاته هام؛ إذ يدلنا على أن «بادو باستت» كان له آثار في «تانيس»، وأن «مانيتون» قد يكون محقًّا في رأيه، وأن قلة الآثار له في هذه المدينة قد لا تعني شيئًا كثيرًا، وبخاصة إذا علمنا أن «شيشنق الأول» الذي أسس دولته في «بوبسطة» لم يترك فيها آثارًا تُذكَر بالنسبة لغيره من ملوك أسرته [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون شيشنق الأول]. ولم يترك لنا «بدو باست الأول» آثارًا تُذكَر إلا التواريخ التي وجدت خاصة بمقاييس النيل على مرسى الكرنك، وبعض أشياء قليلة، وهاك التواريخ أولًا:

(١) السنة السابعة شهر باشنس والسنة الثامنة. راجع كذلك النقش الأول من تواريخ الكهنة العظام «لآمون» «بالكرنك» (راجع Legrain, Rec. Trav. XXII p. 51).
(٢) السنة الثامنة ١٩ بشنس من عهد الملك «بادو باستت» «محبوب آمون»، وكذلك وُجِدَ هذا التاريخ في النقش رقم ٢ من تواريخ الكهنة العظام (راجع Ibid. p. 52).
(٣) السنة السادسة عشرة من حكم الملك «بادو باست»، وهي تقابل السنة الثانية من عهد ملك الوجهين القبلي والبحري «أوبوت».[٢] (راجع النقش ٦ لفيضان

[٢] يحتمَل أن الملك «أوبوت» كان في بادئ أمره كاهنًا أكبر لآمون في «طيبة»، وقد اتخذ لنفسه طغراء وأعلن نفسه ملكًا في السنة السادسة عشرة من حكم «بادو باستت»، وهو معروف لنا ببعض آثار له كما سنرى ذلك بعد.

النيل بمرسى «الكرنك») (راجع A. Z. XXXIV p. 114 & Br. A. R. IV 794 & Rec. Trav. XXXV p. 142).

(٤) السنة التاسعة عشرة من عهد الملك «بادو باست» (نقوش الفيضان رَقمَي ٢٦، ٢٧ على مرسى الكرنك (راجع Rec. Trav. Ibid. p. 114 & Br. Ibid 794 No. 2 & 3).

وقد ذُكِرَ في هذا النقش أن الكاهن الأكبر في وقته كان … وأن الظاهر مما تبقى من هذا الاسم أنه كان يدعى «حورسا إزيس» في كلا المتنين، وينبغي ألا نخلط «حورسا إزيس» هذا بالكاهن الأكبر ثم الملك الذي كان يحمل نفس الاسم وهو الذي كان معاصرًا للملك «أوسركون الثاني»، كما ذكرنا آنفًا [راجع الأسرة الثالثة والعشرين الفرعون «أوسركون الثالث»]، والذي يحتمَل أن يكون والدَ الملك «بادو باست» هذا كما سنرى بعد.

(٥) السنة الثالثة والعشرون: فيضان النيل في السنة الثالثة والعشرين من حكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بادو باستت» محبوب آمون في عهد الكاهن الأول لآمون «تاكيلوت» (Ibid).

والسنة الثالثة والعشرون هي أعلى سنة في حكم الملك «بادو باستت» معروفة لنا، وهذا التاريخ لا يختلف كثيرًا عن مدة الحكم التي وصلت إلينا في إحدى نسخ كتاب «مانيتون».

ومن المحتمل أن «تاكيلوت» الذي كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر في السنة الثالثة والعشرين من عهد «بادو باستت» هو نفس «تاكيلوت»، الذي سيتولى فيما بعد عرش الملك باسم «تاكيلوت الثالث» (راجع L. R III. p. 389).

هذا، ولدينا مبنى من الحجر الرملي مقام أمام البوابة العاشرة «للكرنك»، وقد نقش عليه المتن التالي: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن آمون» بن رع رب التيجان محبوب آمون «بادو باست» معطي الحياة والثبات والقوة كلها ومرح القلب … العظيم المقدم (الحاكم) «باشد باستت» ابن الملك رب الأرضين «شيشنق» محبوب آمون «آمون رع» رب تيجان الأرضين … أقام بوابة عظيمة من الحجر الصلب بعد أن وجدها آيلة للسقوط …»

وقد ذكر «دارسي» (A. S. XIV. p. 39) أن «باشد باستت» هذا هو ابن «شيشنق الثاني» وأخو«تاكيلوت الثاني» والظاهر أنه كان يحكم إقليم طيبة في عهد الملك «بادو باستت»؛ ولذلك نجد أنه قد أقام بابًا عظيمًا من الحجر الرملي بعد أن وجده مهددًا بالسقوط، وهذا الباب هو باب البوابة العاشرة.

هذا، ولدينا جذع تمثال محفوظ الآن في مجموعة «الكونت ستروجانوف» بمدينة «إكسلاشابل» (راجع Wiedmann, Rec. Trav. VIII p. 63-64) يحمل اسم (بادو باستت بن باستت)، وقد عُدَّ أنه ثاني ملك يحمل هذا الاسم، وقد وُجِدَ هذا الاسم بنفس الصيغة على قطعة من لوحة من الحجر الجيري محفوظة الآن بمتحف «كوبنهاجن»، ومن ثم يمكن أن نميز أن هذين الأثرين هما لملك آخر يسمى «بادو باستت ساباستت» غير الذي عُثِرَ على آثاره «بالكرنك»، وبذلك يكون لدينا كما ذكرنا من قبل ثلاثة ملوك يحملون هذا الاسم؛ غير أن ترتيب الاثنين الآخرين لم يُعرَفْ بعدُ كما ذكرنا من قبل.

(١) تماثيل عظماء الرجال في عصر «بادو باست»

الكاهن «حور» بن «نسر آمون»

وُجِدَ لهذا الكاهن تمثالان في خبيئة الكرنك: أحدهما كُتِبَ عليه اسم الملك «بادو باست»، والثاني خِلْوٌ منه؛ غير أن الألقاب التي عليهما واحدة تقريبًا.

(١) التمثال الأول مصنوع من الجرانيت المبقع وارتفاعه متر وعشرة سنتيمترات (راجع Legrain, cat. Gen. III. No. 4226 p. 62 Pl. XXXIII)، وصوِّرَ قاعدًا القرفصاء على قاعدة منخفضة، والذراعان مطويتان على ركبتيه، ويرتدي شعرًا مستعارًا جميلًا له فروق دقيقة.

النقوش: نُقِشَ على كتفه اليمنى: «الإله الطيب رب الأرضين رب السيف ورب القربان «وسرماعت رع ستبن آمون» محبوب «آمون بادو باستت».» وكتب سطر مبتدئ من كتفه اليسرى وممتد إلى كتفه اليمنى جاء فيه:

> الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وكاهن «آمون»، وكاتب رسائل الفرعون (بالقرب) من المدينة (طيبة) «حور» كاهن «منتو» و«خنوم» و«تحوت» … إلخ، إنعام من الملك ليكون في معبد آمون لأجل روح الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم الوجه البحري، والسمير الوحيد «حور».

ونُقِشَ كذلك سطر أسفل السابق جاء فيه: «الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسيد الوحيد، وكاهن «آمون» في «الكرنك»، وكاتب رسائل الفرعون

«حور» يقول: إني أقول لكم يا من يأتون بجواري من أهل الفطنة، ادعوا لروحي وابتهلوا لي بوصفي عظيمًا؛ لأني كنت على رأس مديري القصر.» إلخ. وعلى مقدمة التمثال منظر يشاهَد فيه على اليسار الإله «منتو»، وعلى اليمين «أوزير» ومعها المتن التالي أمام «منتو»:

> قربان يقدمه الملك للإله «منتو» رب «طيبة» لمدوحه وحبيبه كاهن «آمون»، والرائي العظيم الذي يفرح قلب «رع أتوم» في «طيبة»«حور».

وفوق هذا المنظر متن مؤلف من ستة أسطر عمودية:

> قربان يقدمه الملك «لآمون رع» رب عروش الأرضين، رب العرابة، وللإله «أنوبيس» رب الجبانة؛ ليعطوا قربانًا من الخبز والنبيذ والبقر والإوز والنسيج والمصابيح والعطور وكل هدايا جميلة طاهرة من كل ما يخرج على مائدة القربان في عيد اليوم التاسع من الشهر، وعيد اليوم السادس، وعيد نصف الشهر، وفي عيد واج (عيد الخمر)، وعيد الظهور «لتحوت»، وعيد الظهور العظيم لنجم «سبد»، من كل شيء من السماء والأرض، لروح الأمير الوراثي، والحاكم، والسمير الوحيد في الحب، والحاكم ثقة الملك، وكاهن «آمون» في «الكرنك»، وكاهن منتو رب «طيبة»، وكاهن «بتاح» رب «طيبة»، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وكاتب رسائل الفرعون «حور» ابن مثيله «نسر آمون» ابن مثيله «نب نترو» المبرأ ابن عمدة المدينة، والوزير «نسر آمون» المبرأ.

وعلى الجانب الأيمن للتمثال منظر يمثل «إزيس» و«نفتيس» يتعبدان لسفينة «سكر»، ونقش جاء فيه: «قربان يقدمه الملك للإله «بتاح سكر» رب المقصورة لمدوحه ومحبوبه كاهن «آمون» في «الكرنك»، والأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد.» ونقش فوق «إزيس»: «كلام «إزيس» العظيمة الأم الإلهية لمدوحها ومحبوبها كاهن «آمون»، والكاهن سم لمعبد «حقا ماعت رع» «حور».» وفوق «نفتيس» نُقِشَ: «كلام «نفتيس» محبوبة كاهن «آمون» «حور».» ونُقِشَ منظر آخر على الجانب الأيسر مُثِّل فيه «تحوت» و«حور» بن «إزيس» يتعبدان لرمز «أوزير» (الصندوق الذي فيه رأس «أوزير») الموضوع على قاعدة، وكُتِبَ مع كل إله الخطاب الذي يوجهه لصاحب التمثال.

وعلى ظهر التمثال متن مؤلَّف من ثمانية أسطر جاء فيه:

> الأمير الوراثي، والحاكم، والسمير الوحيد العظيم في منصبه، العظيم في منزلته، والحاكم من أول الشواطئ، والذي يجعل مصر ممتازة في قوانينها حتى آخر حدودها، وكاهن آمون في الكرنك، وكاهن الإله «منتو» في طيبة، وكاهن الإله «بتاح» رب طيبة، وكاتب وثائق الفرعون ابن مثيله «نسر آمون» المبرأ ابن مثيله «نب نترو» المبرأ، يقول: إني ثقة الملك، والذي يملأ القصر بتعاليمه، والذي يثبت خطوات العظماء، والذي يضم نبات الأرضين (يوحدهما)، والذي يقوم ببعوث رب الأرضين ليجعل مصر ممتازة لربها، والذي يعرف كيف يكون مفيدًا على الأرض، وإني عظيم بين الأشراف ... إلخ.

وعلى قاعدة التمثال سطر جاء فيه: «كاهن «آمون» وكاهن «منتو» رب «طيبة» وكاتب رسائل الفرعون.»

ويحيط بالقاعدة سطر جاء فيه: «الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والذي يدخل بالإجلال في المكان الذي فيه الملك، ويخرج ممدوحًا من القصر، كاهن «آمون» في «الكرنك»، وكاهن «منتو» في «طيبة» «حور» يقول.» (يأتي بعد ذلك ذكر مناقب «حور» المعتادة وإطراؤه لنفسه).

(٢) والتمثال الثاني لهذا الكاهن مصنوع من المرمر الشفيف، وارتفاعه ستون سنتيمترًا، عُثِرَ عليه كذلك في خبيئة «الكرنك»، ومُثِّل قاعدًا القرفصاء كالعادة، وصناعته متقنة، وطرازه ممتاز (راجع Legrain, Cat. Gen III No. 42227 p. 95 Pl. XXXIV).

النقوش: مُثِّل على مقدمة التمثال منظر يحتوي على «منتو» و«أوزير» واقفين أمام مائدة قربان عادية، ونقش أمام الأول: «منتو» رب «طيبة» ورب القوة التي في الصِّلَّيْنِ. (أي صِلَّيِ الفرعون). ونقش أمام الثاني: «أوزير» أول أهل الغرب ورب «العرابة». وعلى الجانب الأيمن للتمثال نقشت تسعة أسطر أفقية جاء فيها:

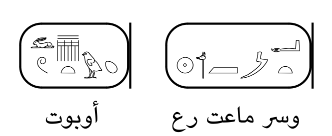
> الأمير الوراثي، والحاكم حامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وكاهن «آمون» في «الكرنك»، وكاهن «منتو» رب «طيبة»، والرائي العظيم الذي يسر قلب «رع أتوم» في «طيبة»، وكاتب رسائل الفرعون «حور» يقول: لقد أتيت إلى حيث أكون في بيتك، وأتسلم من قربان معبدك؛ ليمكنني أن أعيش منها ثانية ولأسمع مديحك، وإنه بخورك

> الذي ينعشني ويوقظ أعضائي أمامك، والماء لوجهي مما هو فائض من قربانك، وأمشي بين الأحياء وأرى قرص الشمس عندما يطلع في الأفق عندما يجعله يطلع من بيتك على حسب أمره، ويخترق السماء متحدًا مع النجوم، وأتمدح للسفينة عندما أكون في مقدمة سفينة الليل، وإني عظيم المناصب، كبير الشرف … بمثابة كاهن، ولا يوجد من يرد لي قولًا؛ لأني من الأذكياء الذين على الأرض، وأرى آمون قائد الآلهة ونظرته تحيط بي ووهب العدالة …

ونُقِشَتْ تسعة أسطر أخرى على الجانب الأيسر للتمثال جاء فيها:

> الأمير الوراثي، قائد الأرضين، والذي يعرف كل شيء على الأرض كلها، وعظيم العظماء، وإني كبير السمراء، وعينا الملك على القطرين، وكاهن «آمون» في «الكرنك»، وكاهن «منتو» رب طيبة، وكاهن «أوزير» الحاكم العظيم، وكاتب رسائل الملك «حور» يقول: أنتم يا كهنة آمون والكهنة المطهرون الذين يقدمون القربان لهم، قدموا الصلوات لتمثالي، وابتهلوا بالمديح لي؛ لأني عظيم وماهر لملك الوجه البحري، وكاهن (؟) في معبد «الكرنك»، وقلب ملك الوجه القبلي، ولسان ملك الوجه البحري، والذي يرى «حور» في زينته وحده، أقول: ليت ماء الشعيرة يُصَبُّ في الإناء وتحيا قلوب الذين في «طيبة» بالقوانين الممتازة.

الملك «أوبوت»



ليس لدينا تاريخ مؤكد لهذا الفرعون إلا تاريخ السنة الثانية على مقياس النيل بمرسى «الكرنك»، وهي السنة السادسة عشرة من حكم الملك «بادو باست» التي تقابل السنة الثانية من حكم ملك الوجه القبلي والبحري «أوبوت».

ومن المحتمل أنه كان يوجد اثنان من صغار الملوك في هذه الفترة، ولكن لَمَّا كنا لا نعرف شيئًا مؤكدًا في هذا الصدد؛ فقد رُئِيَ من الحزم أن نبحث كل الآثار التي تحمل هذا الاسم إلى أن تتاح الفرصة للفصل بينها.

وُجِدَتْ قاعدة تمثال من الجرانيت الوردي لملك يدعى «أوبوت» كُشِفَ عنها في تل اليهودية (راجع Naville, The Antiquities of Tell el Yahoudieh p. 53. cf; Rec. Trav. XXX p. 203 et XXXV p. 142).

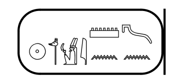
وقد جاء عليها: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسرماعت رع ستبن آمون» بن رع رب التيجان (أوبوت بن باست مري آمون).»

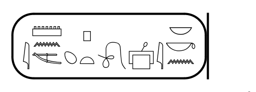
وقد وحَّد كل من «بتري» و«نافيل» و«برستد» هذا الملك باسم ملك من صغار الملوك حكام الأقاليم كان يحمل هذا الاسم في عهد «بيعنخي»، وقد عُزِيَ له بعض جعارين محفوظة في مجموعة «بتري» (راجع Petrie, Hist. III p. 270).

ويوجد في متحف «القاهرة» عَقبُ باب كُشِفَ عنه في «تل المقدام» مصنوع من البرنز، وقد جاء عليه: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «وسر ماعت رع ستبن آمون» (؟) بن رع رب التيجان «أوبوت بن باستت» محبوب آمون رب القربان، والزوجة الملكية العظيمة «تنت كان» معطاة الحياة، السامعة الأولى للإلهة «وازيت»، سيدة «أم»، فُعِلَ بوساطتي أنا «نفرت ينتو» لأجل أن أعمل مكانًا جميلًا.» (يقصد هنا أما الباب الذي يؤلف منه العقب جزءًا أو قاعة من المعبد) (راجع Rec. Trav. T. XXX p. 202 & 147ff).

هذا، وقد وضع الأثري «دارسي» هذا الملك «أوبوت» وميزه عن الأمير «أوبوت» الذي ذُكِرَ على لوحة «بيعنخي» بين «شيشنق الثاني» و«شيشنق الثالث»، وقد جعله حاكمًا على الوجه البحري، في حين أن معاصره «بادو باست» كان يحكم على الوجه القبلي فقط.

الفرعون «أوسركون الثالث»


وسرماعت رع ستبن آمون


أوسركون بن إزيس محبوب آمون

ذكر «مانيتون» في تاريخه أن هذا الفرعون حكم تسع سنوات، هذا، ولدينا نسخة من مختصر «مانيتون» تقول: إنه حكم ثماني سنين، وأخرى تجعل حكمه سبع سنين (راجع Ungar, Chonologie de Manetho p. 238).

أما الآثار فنجد أن أعلى تاريخ لحكمه هو ست سنوات (؟)

ويقول «جوتييه»: إنه ليس متأكدًا من أن النقش الثالث عشر من نقوش مرسى الكرنك الخاص بزيادة النيل المؤرخ بالسنة الثامنة والعشرين يمكن نسبته فعلًا للملك «أوسركون الثالث»، كما يقول «لجران» راجع Rec. Trav. XXVIII p. 153–4)، بل يستحسن نسبته للملك «أوسركون الثاني»؛ إذ لا يعتقد أن «أوسركون الثالث» قد حكم في هذا العصر المضطرب مدة طويلة. وعلى أية حال، فإن «دارسي» يشاطر الأثري «لجران» في هذا الرأي، ويظن أن الكاهن الأكبر «لآمون» «أوسركون» قد خَلَفَ والده «تاكيلوت الثاني» بمثابة ملك، وأنه على الرغم من السن المتقدمة التي تولى فيها عرش الملك فإنه قبض على زمام الأمور مدة طويلة بمفرده بقدر ما استطاع؛ أي مدة أربع وعشرين سنة (راجع Rec. Trav. XXXV p. 139).

(١) الفيضان الذي حدث في عهد «أوسركون الثالث»

من أهم النقوش الحيوية التي خلفها لنا «أوسركون الثالث» نقش الفيضان العالي الذي تركه لنا منقوشًا بالخط الهيراطيقي على جدران معبد «الأقصر» على الجدار الداخلي في الركن الشمالي الغربي لقاعة العمد، وهذا الفيضان يُذَكِّرنا بمثيله الذي حدث في عهد الفرعون «نسوبانبدد» (سمندس)، وقد غمر معبد «الأقصر» في السنة الثالثة من حكم «أوسركون الثالث»، وقد وصلت المياه إلى عمق أكثر من قدمين على طوار المعبد (أي ٦٢ سنتيمترًا بالضبط)، وهذا النقش لا يقل عن خمسين سطرًا، كُتِبَ بخط هيراطيقي جميل، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنَّ تَآكُلَ الحَجَرِ الذي كتب عليه المتن في أماكن، وتَشَقُّقَهُ في أماكن أخرى أَضَرَّ به! حتى إن بعض أجزاء خاصة منه قد أصبحت لا يمكن قراءتها.

ولقد طغى الفيضان في هذه السنة حتى أصبحت كل معابد طيبة كالمستنقعات؛ ولذلك أُحْضِرَ آمون من المعبد في قاربه المقدس، وصَلَّت الكهنة له طالبين إليه أن يخفف من حدة الفيضان، وهاك النص:

(١) «السنة الثالثة، الشهر الأول من الفصل الثاني، اليوم الثاني عشر،[١] في عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين «وسرماعت-رع ستبن آمون» معطي الحياة والسعادة والصحة ابن رع رب التيجان.»

(٢) «أوسركون الثالث» بن «إزيس» محبوب آمون معطي الحياة أبديًّا.

لقد أتى الفيضان في كل هذه الأرض وغزا الأرضين كما حدث في البداية، وهذه الأرض كانت في قبضته مثل البحر، ولم يكن هناك جسر (قناة) للناس لتقاوم، وكل القوم كانوا

[١] وهذا التوقيت لارتفاع منسوب الفيضان لا يتعادل قط مع نتيجة الفصول في هذا الوقت، كما هو ثابت في التواريخ المحققة في العصور الأخرى، والواقع أن الكتابات الهيراطيقية تكون في العادة بخط سريع جدًّا، ولا نزاع في أن النقل إلى الهيروغليفية هذا حدث فيه خطأ. وقد صحح الأستاذ «إدورد مير» (راجع A. Z. XLIV p. 116) السنة الثالثة الشهر الثالث بدلًا من قراءة «دارسي» إلى السنة الثالثة الشهر الأول؛ لأجل أن يجعل قراءة هذا النقش تتفق مع أعلى زمن في السنة يكون النيل فيه قد بلغ منتهى ارتفاعه على حسب النتيجة الحديثة، وبذلك ظن أنه يمكنه أن يثبت أن ١٢ برمودة من هذه السنة يقابل ثلاثة أكتوبر على حسب تاريخ «جوليان» و٢٤ سبتمبر على حسب السنة الجروجورية.

مثل البجع، وقد نَشَرَ على مدينته الرعب مرتفعًا على الآثار الجميلة مثل السماء (٥) وكل معابد طيبة كانت مثل المستنقعات.

وفي هذا اليوم جعل آمون يظهر في إبت (الأقصر)، وقارِبُ تمثاله (محمولًا؟) (٦) وعندما دخل البيت العظيم (وهذا هو المحراب الذي يشغل وسط القارب المقدس وكل ما كان يُحمَل على أعناق الكهنة) الخاص بقاربه لهذا المعبد الذي كان سكانه مثل العائمين في سيل، ولقد كانت صلاتهم للسماء نحو«رع» لمرور هذا الإله العظيم في الجزيرة الجميلة (يحتمل أن يكون محرابًا في معبد الأقصر لم يُكشَف عنه بعد) يثوي في المقصورة في المكان المقدس، ولم يكن في القدرة إقامة مقصورة مثل السماء لعبادة الإله العظيم في قواه العظيمة، وعلى ذلك نطق ابنه محبوبه بهذا القول الذي (٩) ألفه كاهن «آمون رع» ملك الآلهة والكاتب الملكي في بيت — نختو-تايف موت (ابن كاهن) آمون «باكنخنسو»: «(١١) يأيها الإله الفاخر الذي خلق نفسه وملك مقاطعته (؟) الرفيع في إشراقه (؟) والثابت بقرصه، والذي مثل المحيط بجسمه؛ ليخفي سره العظيم الذي وجد قبل الأرض، وفي بدايته خلق كل شيء (١٢) جاعلًا كل معابده في سرور، والذي يلمع أبديًّا، والذي في سلام سرمديًّا، والذي يقود القرون! (١٣) مجددًا الولادات عندما يضيء الليل في صورته التامة للقمر، وآتيًا في صورة النيل ليغمر الأرضين ويجعل كل إنسان يعيش في قوته، وإنه الهواء الذي يخترق الجو، وإنه يفتح كل الخناجر، والنار منبعثة من أشعته لأجل أن يتم كل الذي عمله».

وهو الآمر المنظم العامل بيده (؟) والآلهة والإلهات وجدت بوساطته، وهو الذي خلق البشر وذوات الأربع والطيور والسمك وكل النباتات بارئًا هذه الأشياء جملة بوحي قلبه؛ ليغمر الأرضين، وعمل لنفسه سكنًا في صورة عرش؛ ليكون مثل مدينتك (وإنها طيبة) عين رع حاكمة الأمم.

وإنها على صورة السماء، وعند تركها يقف الإنسان فيها للمرة الأولى، وهي المهد الجميل للروحين المتحدين، وينزل إليها من فرج «نوت»، وإنها المكان الذي ولد فيه روحه وثور أمه (كاموتيف) ليزيد انتصاراته في سورها، وهي مركز البشر والآلهة والإلهات، وفيها تُجْمَعُ لسببٍ مُفْرِحٍ الناسُ كلٌّ بحالته، ولا يمكن الإنسان أن يتركها هاجرًا إياها بسبب جمالها، وإن لها رائحةَ كل العطور، والأشجار تنتج فيها ورودها، وإنها مكان قلب الإله الأجل، فمن ذا الذي يحميها إذا لم تكن أنت؟ ولقد أينعت في وسط البلاد قاطبة، مشرقة كل يوم كانعكاس حنجرة الهواء لتملأ الفم، التي تأخذ في الظهيرة الماء

لمعبدها، وإنها مكانك العظيم المقدس بوصفك مقسم الأرض، وإنك تختفي في داخلها، والملوك يزيدون في آثارها تعظيمًا لشخصك، ولم يَكُفَّ الناس عن قطع الأحجار لجدرانها ليقيموها في المسكن المقدس، ونقوشها ليعظموك؛ لأنك قلت عنها بفمك نفسه: إنني الخفي الذي يسكن مقصورته على حسب الكتب المقدسة. ولقد عُمِلَ لك نداء لتضرب الشر بوساطة أهل المقاطعة، والمدن تناديك كل يوم لتبعد كل الشر عن مبانيهم؛ لأن النيل قد فاض عليها، وقد جَدَّدْتَ عودة الفيضان، وهذه الحالة لعنة كبيرة، ولا نذكر شيئًا مماثلًا لها؛ فإن نصف المقصورة قد ابتلعه الفيضان، فهل يشمل ذلك الناس؟ والنيل يزداد على حسب ما أمرتَ، فهل ينبغي أن يغمر سَكَنَك في عمقه اللامع المشرق في طيبة؟ وهل يعلمون كيف يجدد صورته (أي النيل) ذلك الذي يعلو وينخفض على حسب قواعد، والذي يضع رمالًا …

ونهاية المتن مهشمة؛ مما عاق ترجمتها ترجمة متصلة، ونفهم مما تبقى أن الملك يتحدث عن غمر المياه لمقصورة الإله، لدرجة أن الإنسان يرى السمك فيها، وعندئذ يتضرع للخالق أن يغير هذه الحالة المقلقة للأهلين، وأن يبعد الطوفان الذي يقضي على مدينته. ثم يذكر بعد ذلك ما فعله «تحتمس الثالث» في مثل تلك الحالة حتى لا يقال في عهد «أوسركون» ابنه: إن طيبة قد خربها الفيضان، وإن كل سكانها كانوا مخلصين مطيعين له فلا يولي وجهه إذن عنهم وليس لديه إلا كلمة واحدة يقولها بها يعود النهر إلى مجراه الأصلي.

والنقوش لم تذهب أكثر من هذا، ولم تحدثنا عن القبول الذي تقبل به «آمون» هذا التضرع الحار من أهل طيبة.

والقارئ لهذا الشعر يجد له أهمية من الوجهتين الأسطورية والأدبية في نواح مختلفة.

ولم تذكر لنا النقوشُ المنسوبَ الذي وصل إليه هذا الفيضان، وإذا كان ذلك هو الواقع؛ فإن الماء كان قد ارتفع إلى حوالي ٦٠ سنتيمترًا في الحجرة المجاورة لحجرة المحراب، وإلى ثلاثة أمتار في ردهة «رعمسيس الثاني»، وهذا هو المنسوب الذي تبلغه الفيضانات التي يصل ارتفاعها إلى تسعة أمتار. وإذا لاحظنا أن تربة مصر تزيد في السمك باستمرار حوالي ديسمتر كل قرن؛ فإننا نجد أن ارتفاع التربة منذ الأسرة الواحدة والعشرين قد بلغ في هذه السنة حوالي أحد عشر مترًا، ومُغَطِّيَة الريف بحوالي ثلاثة أمتار من الماء.

ويقول «دارسي»: «إن هذا الفيضان الهائل لا يمكن أن يحدث إلا بوساطة انخفاض مفاجئ للشلالات بسبب انهيار الحواجز الجرانيتية عند أسوان، وعلى أية حال، لا يمكننا أن نفرض نظريات في هذا الموضوع؛ إذ قد يكون السبب المباشر زيادة عظيمة في هطول الأمطار عند منابع النيل.» (راجع Rec. Trav. XVIII p. 181–186).

وقد ترك هذا الفرعون على مرسى «الكرنك» عدة نقوش هي:

(١) فيضان النيل في السنة الثالثة من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسرماعت رع ستبن آمون» بن «رع» (محبوب «آمون» بن «إزيس» «أوسركون») معطي الحياة مثل «رع» أبديًّا، وأمه هي الزوجة الملكية العظيمة «كارمعمع» (راجع A. Z. XXXIV. p. 111).

(٢) فيضان النيل في السنة الخامسة من حكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسر ماعت رع ستبن رع) بن «رع» (محبوب آمون أوسركون)، وأمه الزوجة الملكية العظيمة (موت مرت كارمعمع).

(٣) فيضان النيل السنة السادسة لملك الوجه القبلي والوجه البحري … إلخ (راجع A. Z. XXXIV. p. 112).

وقد نَسَبَ هذه التواريخَ الخاصة بمقياس النيل كل من «بتري» و«برستد» (راجع Petrie, Hist. of Egypt III p. 249 Br. A. R. IV 696) للملك «أوسركون الثاني»، وهذا أمر مستحيل؛ وذلك لأن «أوسركون الثاني» كان يسمى «أوسركون بن باستت» لا ابن «إزيس»، هذا إلى أن والدة «أوسركون الثاني» كانت تدعى «كابس» لا «كارمعمع»، و«أوسركون الثالث» هو ابن «تاكيلوت الثاني» والملكة «كارمعمع»، وكان في بادئ الأمر الكاهن الأكبر «لآمون» في عهد والده، ومن المحتمل في عهد خَلَفِ والده وهو «شيشنق الثالث»، وقد أمر «أوسركون» هذا حينما كان كاهنًا أكبر بنقش ما حدث في عهده على بوابة «بوبسطة» «بالكرنك»، وهي التي تَحَدَّثْنا عنها فيما سبق، وفيها نجد معلومات ثمينة من حيث سلسلة نسبه، ومن ذلك علمنا أنه كان حفيدًا «لأوسركون الثاني» من جهة والده، وحفيدًا ثانيًا من جهة أمه «لأوسركون الثاني» أيضًا.

(٢) آثاره في معبد الكرنك

معبد أوزير حاكم الأبدية[٢]

كُشِفَ عن معبد صغير في عام ١٩٠٢ على مسافة قريبة من الجهة الغربية من بوابة «تحتمس الأول» وملاصق لجدار السور العظيم غربي بوابة معبد «منتو»، وهذا المعبد هو للإله «أوزير» معطي الحياة أو رب الأبدية كما جاء على نقوشه. وبعد الكشف عنه وُجِدَ أنه يرجع في أصله إلى الأسرة الثامنة عشرة، ثم أُصْلِحَ فيما بعد أو أعيد بناؤه في عهد الفرعون «أوسركون الثالث» و«تاكيلوت الثالث»، ثم أضيف له أجزاء في العهد الإثيوبي (A. S. IV. p. 181ff; Rec. Trav. XXII p. 128, 129, 130, 132, cf; Rec. Trav. XXVII p. 156; Daressy Rec. Trav. XXXV p. 139).

وسنترك الجزء الإثيوبي الآن ونتحدث فقط عن نقوش «أوسركون الثالث» وابنه «تاكيلوت الثالث».

والمعبد يحتوي على ثلاث حجرات؛ فنجد في الحجرة الأولى على الجدار الشرقي — وهي التي كانت فيما مضى واجهة المعبد — صورة الفرعون لابسًا التاج المزدوج، وينظر إلى اليمين، ويمد يده التي فيها عصوان لوضع الأساس ومعه النقش التالي: «الإله الطيب، رب الأرضين، ورب القربان في «الكرنك»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع ستبن آمون) بن رع (محبوب آمون بن إزيس أوسركون).»

ونجد من جهة أخرى شخصية عظيمة تلبس «تاج أتف» وتنظر نحو اليسار وبيدها كذلك عصوان لوضع الأساس، وهذا هو الملك «حور وازتاوي» الإله الطيب ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسرماعت رع) بن رع من صلبه (تاكيلوت) محبوب «آمون» بن «إزيس» معطي الحياة.

وفي الحجرة الثالثة نجد على مصراع الباب الأيسر: «حور الثور القوي الذي يظهر في «طيبة»، ملك الوجه القبلي والوجه البحري، حاكم «أون» «وسرماعت رع» محبوب «أوزير» السيد الذي يعمل الخير «نبتي» مستقر قلب الأرضين «حور الذهبي» مولود الآلهة ابن رع

---

[٢] يلاحَظ هنا أن «فلندرز بتري» قد نسب بناء هذا المعبد إلى «أوسركون الثاني» والملك «تاكيلوت الثاني»، وهذا خطأ بيِّن (راجع Petrie, Hist, III, P, 250)، وقد أثبت هذا الخطأ «لجران» (راجع Rec, Trav. T. XXVIII p. 156).

(محبوب آمون بن إزيس أوسركون) محبوب «أوزير».» وعلى المصراع الأيمن نقرأ اسم الملك «تاكيلوت» وألقابه.

وفوق الباب منظر نقش فيه على الجانبين اللقب الحوري للملك «أوسركون» هو «نب ماعت خرت»، وفي الوسط لقب «أوسركون الثالث».

وعلى يسار الباب نشاهد منظرين؛ أحدهما فوق الآخر، ففي المنظر الأسفل نقرأ: الملك الطيب «وسرماعت رع» (محبوب آمون بن إزيس «تاكيلوت») وفي يده قضيب وضع الأساس والمقمعة.

وفي المنظر الأعلى نقرأ: الإله الطيب (وسرماعت رع) (محبوب آمون بن إزيس أوسركون) والملك ممثَّل في المنظر.

وفي الحجرة الثالثة نجد على الجدار الشرقي منظرًا جميلًا يمثل كيفية كتابة اسم الملك «أوسركون» واسم الملك «تاكيلوت» في نفس الوقت على الشجرة المقدسة. ويمكن تقسيم هذا المنظر قسمين متوازيين، وفي الوسط الشجرة المقدسة، وعلى اليسار صورة «أوسركون»، وعلى اليمين صورة «تاكيلوت».

وعلى اليسار نقرأ: «رب الأرضين» «وسرماعت رع» رب التيجان «أوسركون» والملك ممثَّلًا لابسًا التاج الأبيض، ويقدم العدالة لآمون الذي يشاهَد جالسًا على استعداد لكتابة الاسم الملكي الجديد على ورقة من أوراق الشجرة «المقدسة Persea»، ويقول «آمون»: «كلام يقوله «آمون رع» رب التيجان رئيس «الكرنك» «لأوسركون»: إني أكتب لك أعيادًا ثلاثينية عديدة جدًّا، عندما تظهر على عرش حور الأحياء على شجرة «أشد» الفاخرة التي في «الكرنك».» ويظهر خلف آمون الإله «تحوت» باسطًا ذراعه ويقول: «كلام يقوله «تحوت» رب «الأشمونين»: إن انشراح الصدر لك يا ابن رع (من صلبه؟) «أوسركون»، الذي كتبه لك والدك المبجل «آمون رع» رب عرش الأرضين، والملكة العظيمة لرع على الشجرة المقدسة … في حضرة التاسوع …»

وعلى اليمين نجد: رب الأرضين (وسرماعت رع) رب التيجان «تاكيلوت» راكعًا ويلبس التاج الأحمر، والإله الذي أمامه هو الإله «أتوم» ومعه النقش التالي: «كلام «آتوم» رب الأرضين في هليوبوليس لابنه المحبوب (محبوب آمون بن إزيس تاكيلوت): إنني أمكِّن تواريخك على الأرض … إلخ.

وخلف هذا الإله إله آخر لونه أزرق، ويحمل الريشة على رأسه، ويحمل في يده لوحة للكتابة، ومعه النقش التالي: «كلام يقوله «شو» بن «رع» رب الأرضين (محبوب آمون بن إزيس تاكيلوت) …»

وهذه اللوحة الكبيرة تعد من أجمل الصور التي أخرجها المَثَّالون في مصر.

وفي متحف برلين يوجد عمودان من باب من الحجر الرملي نُقِلَا من الكرنك، وقد نسبهما ناشر متون «ونكيلر» الذي وضعه «لبسيوس» خطأ «لأوسركون الثاني»، وقد صحح هذا الخطأ «لجران» (راجع Rec. Trav. XXVIII p. 153-4).

تمثال أوسركون بن إزيس (الملك)

وُجِدَ في خبيئة الكرنك تمثال لهذا الفرعون من الحجر الجيري الجميل (راجع Legrain, Cat. Gen. III p. 6 Pl. V no 42197)، وقد وُجد مهشَّمًا عدة قطع، ومُثِّل الفرعون راكعًا على ركبتيه، ويدفع بيديه قاربًا صغيرًا للإله «سكر»، وعلى رأسه الكوفية والصل، وكُتِبَ على القاعدة: «يعيش الإله الطيب رب القربان في الكرنك»، السياحة في مركب المساء لرب الحياة، ووريث رب الكون ... ثور أمه (لقب للملك) ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن آمون» بن رع من صلبه «محبوب آمون بن إزيس أوسركون» معطي الحياة.

وعلى الجهة اليسرى من القاعدة كُتِبَ: الإله الطيب رب القربان ... محبوب الأرضين في مركب الصباح، والصورة المقدسة «لآمون رع»، وتمثاله الحي على الأرض، ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر ماعت رع ستبن آمون» بن «رع» من صلبه «محبوب آمون بن إزيس أوسركون» «آمون رع» ملك الآلهة الأزلي «زسرعا» (لقب لآمون) معطي الحياة ...

وصناعة هذا التمثال رشيقة، ولكن لا تزال أجزاء منه ناقصة (صورة رقم ٢٤).

وهذا التمثال يشبه تمثال «رعمسيس الثاني» في صورته وهو يقدم اسمه (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

(٣) تماثيل عظماء الرجال في عهده

تمثال «حور» بن «نسر آمون»

(راجع Legrain, Cat. Gen. III p. 52 no. 42223 Pl. XXX).

وجد للكاهن «حور» بن «نسر آمون» تمثال في خبيئة الكرنك، وهو منحوت في قطعة من المرمر، وارتفاعه خمسة وأربعون سنتيمترًا، وقد مُثِّل قاعدًا القرفصاء على قاعدة منخفضة، وذراعاه على ركبتيه كالمعتاد.

النقوش: نُقِشَ على الجزء الأعلى من التمثال سطر يحيط به، جاء فيه: «إنعام من ملك الوجه القبلي والوجه البحري «محبوب آمون أوسركون بن إزيس» الحاكم الإلهي «لطيبة» لمعبد «آمون» بالكرنك لأوزير، كاهن «آمون رع» ملك الآلهة المسمى «حور» بن «نسر آمون» المرحوم ابن كاتب معبد بيت آمون، وكاهن الشهر من الطبقة الأولى «حور»، وأمه «تشمس» التي في بيت سجل «آمون» وبيت «موت» وبيت «خنسو» «حور» بن «نسر آمون» المبرأ، وكاتب خاتم الإله «حور»، وأمه تدعى «زدموتس عنخ» التي تدعى «تشمس».»

وفي مقدمة التمثال منظر نُقِشَ نقشًا بديعًا. ويُمَثِّل «حور» يقدم البخور والقربان لآمون الجالس على اليسار، ورأس «حور» حليق، وينتعل حذاءً كبيرًا، ويرتدي جلبابًا بِحَمَّالات، وفوق هذا جلد الفهد.

ونُقش أمام «آمون» اسمه وألقابه: «آمون رع» رب عروش الأرضين، ورئيس الكرنك رب السماء وحاكم التاسوع. وكُتِبَ مع «حور»: ممدوحه ومحبوبه كاهن شهره لآمون من الدرجة الأولى، وكاتب الملك الحقيقي «حور» بن «نسر آمون» الذي وضعته ربة البيت «تشمس» ابنة كاهن آمون «حور» ابن كاتب رسائل الفرعون «نب نترو».

وهذا المنظر يعلوه رمز السماء مستندًا على علامتي الصحة.

ونُقِشَتْ خمسة أسطر عمودية تحت هذا المنظر جاء فيها: «عَمِلَهُ ابنه البكر ليحيا اسمه في سيدة المعابد (طيبة) كاهن «آمون رع» ملك الآلهة وكاهن شهره من الدرجة الأولى، وكاتب معبد «موت» التي في مصلحة السجلات، وكاتب خاتم الملك «نسر آمون» الذي أنجبته ربة البيت المبجلة رئيسة حريم «آمون رع» من الدرجة الأولى «تابرو» ابنة كاهن «آمون»، وكاتب السجلات «نب نترو» المرحوم.»

وعلى ظهر التمثال مُثِّلت في الجزء الأسفل فتاة قاعدة القرفصاء على حصير ملتفتةً نحو اليمين، ونقش فوقها ستة أسطر:

> «حتحور» ربة البيت المبجلة رئيسة حريم «آمون رع» من الدرجة الأولى أخته ومحبوبته الساكنة قلبه «تابرو» ابنة كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاهن «منتو رع» رب «طيبة» وكاتب رسائل الجنوب «نب نترو» بن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد في الحب، وعينا ملك الوجه القبلي، وأُذُنَا ملك الوجه البحري، وكاتب رسائل الفرعون «حور» المبرأ، وأمه ربة البيت «سات آمون» ابنة كاهن

«آمون» ملك الآلهة، الأمير الوراثي والحاكم والوزير والقاضي وفم «نخن» الكاهن ... المبرأ ... «باقاشوتي» المبرأ.

«زد خنسو فعنخ» حفيد الملك «حوسرا إزيس» من جهة أمه

(Legrain, Ibid. no. 42211 p. 28 Pl. 20).

نُقِشَ على تمثال هذا الأمير اسمَا الملك «أوسركون الثالث» و«تاكيلوت الثالث» على الكتف اليمنى للتمثال، يواجه أحدهما الآخر. ومن الغريب المدهش أن نرى هذين الملكين معًا كما شاهدناهما من قبل مشتركين معًا في نقوش معبد «أوزير» رب الأبدية في «الكرنك»! وعلى ذلك فإنه ليس هناك ما يمنع قط أنهما كانا مشتركين معًا في الحكم ولو بضع سنين (راجع L. R. III. p. 385).

وقد عَثَرَ «لجران» على هذا التمثال في خبيئة «الكرنك»، وهو مصنوع من الحجر الجيري، وقد مُثِّل قاعدًا القرفصاء على قاعدة.

النقوش

(١) نُقِشَ على كتفه اليمنى طغراء الملك «تاكيلوت الثالث» ملك الوجه القبلي والوجه البحري، وطغراء «أوسركون الثالث» بن «رع».

(٢) بجوار رمز «حتحور» الذي على التمثال نُقِشَ سطر ذُكِرَ فيه أن هذا التمثال قد أَنْعَمَ به الملك ليوضع في معبد «آمون» «بالكرنك» للكاهن الرابع «لآمون»، وهو الذي أنجبته ابنة الملك «إست ورت».

(٣) وفي سطر اخر ذكر نقش الاهداء ومع هذا اسم صاحب التمثال وهو «حورس إزيس».

(٤) ومقدمة التمثال قد غُطِّيَتْ بنقوش كثيرة تذكر لنا ألقابه: «الأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، ورئيس القصر، وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعارف الأسرار في القصر، والذي يرى القصر، وعظيم العظماء، وعظيم القدماء، والحاكم الذي على رأس الأشراف، والمشرف على المعابد، والمشرف على المحاكم الست العظيمة، وأُذُنَا ملك الوجه البحري، والذي يملأ قلب «حور» في قصره (أي الملك) و... إلخ.»

ويشاهد على الجانب الأيمن «زد خنسو فعنخ» واقفًا أمام سفينة «سكر» يتعبد، وعلى الجانب الأيسر يرى راكعًا يتعبد للإله «خنسو».

وعلى ظهر التمثال نقشت ثمانية أسطر عمودية ذُكرت فيها ألقابه وشجرة نسبه.

تمثال «نختفموت» بن «نب نترو»

(راجع Legrain Ibid III p. 70, No. 42229 Pl. XXXVI–VII Rec. Trav. XXVIII p. 153 et XXX p. 169).

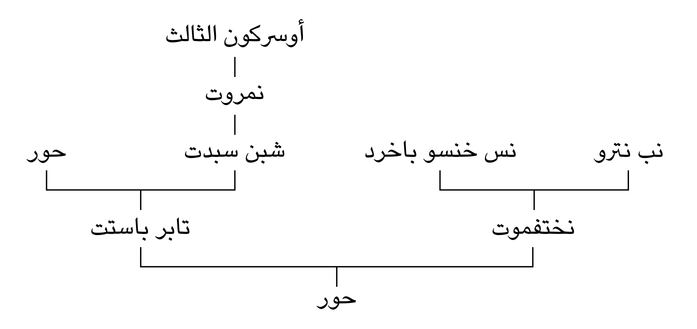
كان «نختفموت» هذا يحمل لقب وزير أو حاكم مقاطعة في عهد «أوسركون الثالث»، وقد وُجِدَ له تمثال في خبيئة «الكرنك» من الجرانيت الأسود، وقد مُثِّل راكعًا قابضًا بيديه على لوحة منتصبة على ركبتيه. وصناعة التمثال جميلة.

ونُقِشَ على هذا التمثال اسم الملك «أوسركون الثالث» ولقبه.

أما اللوحة فيشاهَد في الجزء المستدير الذي في أعلاها الآلهة «آمون رع» و«رع» و«بتاح» و«أوزير» قاعدِين يتقبلون الصلاة من شخصية اختفت الآن بسبب كسر في اللوحة، وأسفل ذلك متن طويل مؤلف من خمسة عشر سطرًا يحتوي على أنشودة للإله «آمون رع» الذي في طيبة وملك الآلهة، وكذلك يحتوي على سلسلة نسب هذا الكاهن، ومنها نعلم أنه بعد مدح الآلهة يقول: إن مقدمها هو كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، والأمير الوراثي، والحاكم، وحامل خاتم ملك الوجه البحري، والسمير الوحيد، والقاضي فم نخن، والمشرف على المعابد العظيمة، وحاكم المدينة، والوزير، وكاهن «ماعت» تختفموت» ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاهن «ماعت» ابنة «رع» المنضمة إليه، ونائب الفرعون (…؟) ورئيس المعابد «نب نترو» المرحوم، وأمه ربة البيت «نس خنسو–باخرد» المرحومة.

وقد عَمِلَ هذا التمثال ابنه لإحياء ذكراه، وهو كاهن «آمون» في «الكرنك»، وعمدة المدينة، والوزير، وكاهن «ماعت» ابنة «رع» المنضمة إليه … «حور» الذي أنجبته ربة البيت «تابرباستت» ابنة كاهن آمون، وكاتب السجلات «حور»، وأمها «شبن سبدت» ابنة الكاهن الأول «لآمون» «نمروت» ابن الملك «وسرماعت رع ستبن آمون» بن «رع» محبوب آمون «وسركون».

وهاك سلسلة النسب التي نستخلصها من ذلك:



تمثال «زد باست إيوف عنخ» بن «حور» كاهن آمون ملك الآلهة

وُجد هذا التمثال في خبيئة الكرنك، وهو مصنوع من الحجر الجيري الصلب الفائق الجمال (راجع Legrain, Rec, Trav, XXX p. 73–4 & Cat. Gen. T. III No. 42224 p. 54 Pl. XXXI)، ويبلغ ارتفاعه ٣٣٫٥ سنتيمترًا، ونَحْتُ هذا التمثال يعد غاية في الدقة، وقد أهدى هذا التمثال «نسر–آمون» لوالده «زد باست إيوف عنخ»، وقد مُثِّل جالسًا القرفصاء على قاعدة منخفضة، وذراعاه مطويتان على صدره.

النقوش: نشاهد أولًا في الجزء الأعلى في الوسط صورة «أوزير» وحوله العلامات الدالة على لقبه، ومعناها: أول أهل الغرب رب العرابة.

وعلى كتف التمثال اليمنى نقش: رب التيجان «أوسركون». وعلى الكتف اليسرى نقش لقبه: «وسر ماعت رع».

وكُتِبَ حول التمثال من أعلى سطر أفقي جاء فيه أن هذا التمثال قد أهداه الفرعون «أوسركون»؛ ليوضع في معبد «آمون» بالكرنك، وأن الذي عمله هو ابنه لأجل أن يخلد اسم والده؛ مما يجعلنا نعتقد أن «نسر آمون» بن «زد باست إيوف عنخ» كان عائشًا في زمن هذا الفرعون. وقد نُقِشَ على واجهة التمثال منظر بديع الصنع نشاهد فيه رمز السماء الذي يستند على علامتي واس (العافية)، وتحته كاهن ذو رأس عارٍ، ويرتدي سربالًا طويلًا ذا ثنيات بكمين قصيرين، وعليه جلد الفهد، ويحرق البخور في مبخرة، ويصب خمس

نقط ماء من إناء على مائدة قربان، وأمامه تشاهَد الآلهة: «آمون» و«أوزير» و«حتحور» واقفين.

وتحت هذا المنظر أربعة أسطر جاء فيها:

> كاهن آمون في الكرنك، وكاتب مائدة القربان في بيت «آمون»، وكاهن الإلهة «حتحور» السيدة الوحيدة ساكنة طيبة، والذي في إدارة السجلات للقربان العظيم، والكاهن المطهر لآمون من الدرجة الأولى «زد باست إيوف عنخ» ابن كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وعينا الملك في الكرنك «حورسا إزيس» المبرأ ابن مثيله (في الألقاب) «نسر آمون».

وتحت ذلك كُتِبَ:

> عَمِلَه ابنه ليحيا اسمه كاهن آمون في «الكرنك»، وكاهن «حتحور» السيدة الوحيدة القاطنة في الكرنك، والذي في إدارة القربان (؟) والكاهن المطهر «لآمون» من الدرجة الأولى «نسر آمون» بن «زد باست إيوف عنخ».

ونُقِشَ على القاعدة ما يلي:

> والدته ربة البيت ضاربة الصاجات للإله «آمون رع» من الدرجة الأولى (المسماة) «تخن مت» … كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، عينا الملك في «الكرنك» … «حور» ابن مثيله (في الوظائف) «باخال» المبرأ.

وعلى الجانب الأيمن من التمثال متن عَدَّدَ فيه المتوفَّى الآلهة الذين نال الحظوة بجوارهم في عالم الآخرة، وهم: «آمون رع» رب تيجان الأرضين، و«رع حور أختي»، و«بتاح»، و«موت»، و«خنسو»، و«منتورع»، و«أمونيت»، و«أنحور»، و«أوزير». وكلهم لهم محاريب أو معابد بالكرنك.

وعلى الجانب الأيمن: كذلك أربعة عشر سطرًا تنتهي على سطح القاعدة بجانب القدم اليمنى جاء فيها: «كاهن «آمون رع» ملك الآلهة، وكاهن «حتحور حتبت» السيدة الوحيدة التي تقطن «طيبة»، وكاتب مائدة القربان الإلهية لبيت «آمون»، والذي في إدارة القربان العظيمة، والكاهن المطهر لبيت «آمون» وبيت «موت» و«خنسو» وبيوت «منتو» و«شو» و«تفنوت» من الدرجة الأولى (لخدمه أول الشهر؟) ولبيت «آمون» من الدرجة

الأولى «زدباست إيوف عنخ» المبرأ ابن كاهن «آمون» في الكرنك، وكاتب المعبد الإلهي لموت العظيمة ربة «أشرو»، والذي في إدارة السجلات؟ «آمون» و«موت» و«خنسو»، وكاتب خاتم الآلهة لبيت «آمون» للقربان كلها؟ والكاتب حامل الخاتم لبيت «آمون» وإدارة بيت «خنسو» للقربان، وكاهن «رع» في مدود، (؟) وكاهن موكب الإلهة «بينوزم» المبرأ، والكاهن «عاقني» لرب الأرضين «رعمسيس الثالث»، وعينا الملك في الكرنك، وكاهن الإلهة «أمونيت» القاطنة في الكرنك، والمبجلة في مدينته، والمحبوب إلهه والطيب القلب لقومه «حوري» المبرأ ابن مثيله الكاتب الأول لمعبد بيت «آمون»، والمشرف على كل كُتَّاب معبد الآلهة والإلهات في الوجه القبلي والوجه البحري «نسر آمون» المبرأ ابن مثيله (في المناصب) «حوري» المبرأ ابن مثيله «زدموتيفعنخ» المبرأ ابن مثيله المقرب لدى «آمون» «حوري» ابن مثيله «نسر آمون» المبرأ ابن مثيله «حوري» ابن مثيله «نسر نفر» المبرأ ابن مثيله «إيوف إن آمون» المبرأ ابن مثيله «بف-نب-نخت» المبرأ بن «آمون مس …»

ونُقِشَ متن مؤلف من ثمانية أسطر على الجزء الأعلى من العمود الذي يستند عليه التمثال جاء فيه: قربان يقدمه الملك «لآمون رع» رب عروش الأرضين «لأوزير» أول أهل الغرب، ورب الأزلية القاطن في الجبانة، وملك الوجه القبلي والوجه البحري، وحاكم الأبدية، وللإله «بتاح سكر» رب التابوت، وللإله «أنوبيس» رب الأرض المقدسة (الجبانة)، وتاسوع الجنوب والشمال والشرق والغرب الذين في السماء والذين في الأرض وفي العالم السفلي؛ ليقدموا ألفًا من الخبز والنبيذ، وألفًا من النسيج، وألفًا من المباخر، وألفًا من العطور، وألفًا من الإوز، وألفًا من كل شيء جميل طاهر مما يخرج أمامهم في الكرنك لروح «أوزير» الكاهن الشهري «لآمون رع» ملك الآلهة لبيت «آمون» من الدرجة الأولى، والذي في إدارة سجلات قربان «آمون» من الدرجة الأولى، وكاهن «حتحور» السيدة الوحيدة القاطنة في «طيبة» «زدباست إيوف عنخ» المبرأ ابن كاهن آمون في الكرنك «حور» المبرأ.

ليتك تأخذ القربات الخاصة بهم … وليتك تخرج لابنك وقلبك يكون فرحًا وتأتي إلى المعبد الكبير الفاخر، وتخرج أمام إلهك ولن … لتضم أتباع روحك في السماء وجسمك في مدينتك (؟) وتمثالك الذي في … ويخرج روحك ويرفرف على … وينضم إلى الآباء بجانب …

وصناعة هذا التمثال ممتازة، ونَقْشُ الحروف والصور التي على التمثال رائعة في دقتها.

(٤) أسرة الفرعون «أوسركون الثالث»

زوجاته

تنتسا: وُجد اسم زوجة الملك «أوسركون الثالث» المسماة «تنتسا» على لوحة محفوظة بمتحف «تورين» (راجع Orcurti, Cat. Illustrato etc. 1855. p. 28 no. 27, Maspero, Momies Royales, p. 741, A. S VII p. 46 et Rec. Trav. XXVIII p. 156)، وقد جاء على اللوحة: «ربة البيت «شبتن إبت» المبرأ ابنة الكاهن الأكبر لآمون «أوسركون»، وأمها «تنتسا».»

ويرجع الفضل للأثري «لجران» الذي وحد اسم «تنتسا» المهشم في هذه اللوحة باسم «تنتسا» الذي نعرفه من مصادر أخرى بأنه اسم زوجة الكاهن الأكبر «أوسركون» وأم الكاهن الأكبر «تاكيلوت» (الذي أصبح فيما بعد «تاكيلوت الثالث»)، ولكن كل الفضل يرجع إلى «مسبرو» الذي عَرَفَ في «أوسركون» الذي جاء ذكره على لوحة «تورين» أنه الكاهن الأكبر ابن «تاكيلوت الثاني».

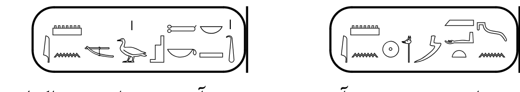
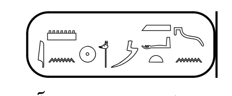
وجاء اسم هذه الملكة على نقوش مرسى الكرنك الخاصة بمقياس النيل (رقم ٤): «ملك الوجه القبلي والوجه البحري»، محبوب آمون بن «إزيس تاكيلوت»، وأمه «تنتسا». ولكن «لجران» برهن (راجع A. S. VII. p. 46-7) على أن أم «تاكيلوت الأول» وأم «تاكيلوت الثاني» كانتا معروفتين لنا من مصادر أخرى، ولهما اسمان مختلفان عن هذا الاسم، وأن المقصود في المتن الذي نحن بصدده الآن هي أم «أوسركون الثالث» (راجع كذلك Legrain, Rec, Trav. XXVIII p. 156)؛ حيث نجد أن «لجران» قد اقترح بكل تحفظ أن «أوسركون الثالث» كان له ابن يدعى «رود آمون»، وهذا الذي أصبح ملكًا فيما بعد وأن أمه هي نفس «تنتسا» التي نحن بصددها.

الملكة «كاراتيت»: وُجِدَ اسم هذه الملكة على تمثال للإله أوزير يقول «لجران»: إنه رآه عند أحد تجار الآثار بالأقصر. (راجع A. S. VII. p. 44)، ويقول «لجران»: إن «كاراتيت» هذه من أصل عريق، وإنها لم تتزوج «أوسركون» إلا بعد أن أنجبت له «تنتسا» ابنه «تاكيلوت» وابنته «شبن أبت» الأولى.

بناته

ابنته «شبن أبت»: ذكر اسمها على لوحة «تورين» السابقة، وسنتحدث فيما بعد عن هذه الأميرة وسَمِيَّاتِهَا عند التحدث عن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، ولقب زوج الإله والمتعبدة الإلهية.

الملك «تاكيلوت الثالث»

وسر ماعت رع ستبن آمون   محبوب آمون بن إزيس تاكيلوت

إن آخر تاريخ معروف لنا في حكم الملك «تاكيلوت الثالث» هو السنة الثالثة والعشرون، غير أنه ليس مؤكدًا كما سنرى بعد، ويلاحَظ أنه يوجد ارتباك كبير بين اسم «تاكيلوت الثالث» هذا واسم «تاكيلوت الأول» الذي يحمل نفس الطغراء كما ذكرنا من قبل، وعلى ذلك فإن تحديد الآثار التي تنسب لكل منهما ليس واضحًا تمامًا.

ومن المحتمل أن «تاكيلوت الثالث» هو «تاكيلوت» كاهن «آمون» الذي وجدناه يحمل لقب الملك في عهد «شيشنق الثالث» محبوب «آمون» في نقوش مقياس زيادة النيل في السنة السادسة (رقم ٢٥)، وقد نَسَبَ هذا التاريخ (أي السنة السادسة) «برستد» للملك «تاكيلوت الأول»، وهذا خطأ (راجع Br. A. R. & 695 note 4).

وفي متحف «فلورنس» لوحة عُثِرَ عليها في «بوبسطة» مؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من عهد الملك «تاكيلوت»؛ غير أن الآراء لم تتفق على أن «تاكيلوت» هو المقصود هنا (راجع L. R. III. p. 399 note 1)، فيقول «دارسي»: إنه الملك «تاكيلوت الأول». والواقع أننا ليس لدينا دليل قاطع في هذا الصدد.

وقد جاء ذكر هذا الفرعون على نقوش معبد «أوزير» «بالكرنك» الذي تحدثنا عنه فيما سبق في عهد «أوسركون الثالث» [راجع الأسرة الثالثة والعشرين الفرعون «أوسركون الثالث»].

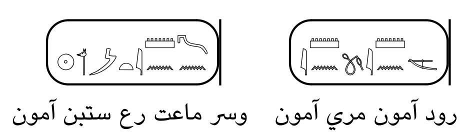
هذا، وقد جاء اسمه على تمثال «زد خنسوف عنخ» الذي تحدثنا عنه عند الكلام على الملك «أوسركون الثالث» [راجع الأسرة الثالثة والعشرين الفرعون «أوسركون الثالث»].

أسرة الملك «تاكيلوت الثالث»

إن الزوجات والأبناء والبنات الذين جمعهم «جوتييه» تحت العنوان السابق لا يمكن الاعتماد عليهم؛ بسبب عدم إمكان التمييز بين آثار «تاكيلوت الأول» و«تاكيلوت الثاني» إلا النزر اليسير (راجع L. R. III p. 391).

وقد ذكر لنا في ملاحظة له (راجع L. R. III p. 426 No. 4) أن الأمير «نمروت» كان ابن ملك يدعى «تاكيلوت» وامرأة تدعى «تاشب» (؟) وهو في الواقع ابن الملك «تاكيلوت الثالث»، أما أمه «تاشب» فكانت ابنة فرد من عامة الشعب يدعى «حور» أو «نترمري حور»؟

الملك رود آمون



رود آمون مري آمون　　وسر ماعت رع ستبن آمون

جاء ذكر هذا الملك بوصفه ابن ملك يدعى «أوسركون»، ويحتمل أنه «أوسركون الثالث»، وقد وضعه بعض العلماء في بادئ الأمر في العصر الصاوي، وبعضهم في الأسرة الخامسة والعشرين. وكان أول من وضعه في مكانه الحقيقي — أي: في الأسرة الثالثة والعشرين — هو الأثري «مسبرو»، وقد برهن على أن الأمراء الذي عاشوا في هذا العهد لم يمدوا سلطانهم بعد «أسيوط»؛ لأن الإثيوبيين كانوا قد دخلوا البلاد فعلًا من الجنوب واحتلوها (راجع Maspero, Hist. III p. 210).

وقد ترك لنا بعضَ آثار له في الوجه القبلي، وقد كان كما قلنا ابن ملك يدعى «أوسركون»، وقد اشترك على ما يظهر مع والده هذا في بناء معبد في «الكرنك»؛ إذ الواقع أن اسمه قد جاء مهشَّمًا في منظرين من مناظر هذا المعبد (راجع Rec. Trav. 22 p. 132, 134)، ولم يكن في مقدور «لجران» قراءة الاسم؛ إذ لم تبق منه إلا كلمة «آمون» وجزء من كلمة «رود» المكملة للاسم «رود آمون». هذا، ونجد أن «لجران» في مقال له قد قرأ الاسم كله ونسب «رود آمون» هذا إلى «أوسركون الثالث» بوصفه ابنه (راجع Rec. Trav. XXVIII p. 156).

ولكن نجد من جهة أخرى أن «دارسي» في مقال له يظن أن «رود آمون» هذا هو ابن «أوسركون الرابع» (راجع Rec. Trav. XXXV. p. 139).

أما الأثري «جوتييه» فيقول عنه (راجع L. R. III p. 392 n 3): إن من المؤكد أن «رود آمون» قد حكم في «طيبة» بوجه خاص؛ وذلك لأن ثلاثة أخماس الآثار التي وُجدت له عُثر عليها في «طيبة»، وإنه ابن «أوسركون الثالث» لا «أوسركون الرابع» كما يقول «دارسي».

ومن المحتمل أنه في عهد «رود آمون» هذا قام «بيعنخي» بفتح الوجه القبلي، ومن المحتمل جدًّا أنه في خلال حملة «بيعنخي» كان أحد أبناء «رود آمون» الذي يسمى «أوسركون» يحكم في «الدلتا» غير «أوسركون الثالث»، كما يقول «إدوارد مير»، وعلى ذلك فإن الملك الذي ذكر في لوحة «بيعنخي» ليس «أوسركون الثالث» بل كان يحمل اسم «أوسركون».

الآثار الباقية لهذا الفرعون

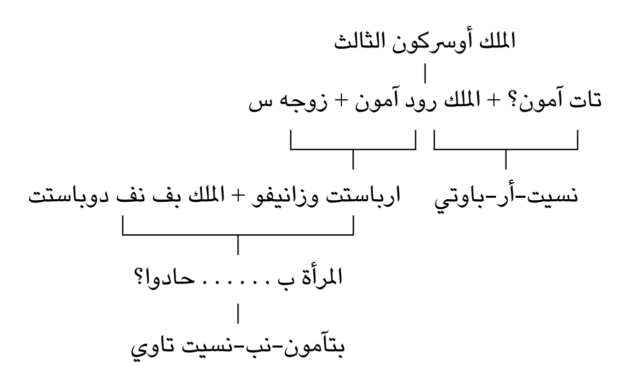
(١) عُثِرَ على قطعة كبيرة من الحجر كانت مستعملة ثانية في أسكفَّة باب من عهد البطالمة عليها اسمه، وجدها «دارسي» في مدينة «هابو» (راجع Rec. Trav. XIX. p. 20–21)، وقد عرفنا من نقوش هذه القطعة كذلك اسم كل من زوجة «رود آمون» وابنته كما سنرى بعد.

(٢) ووُجِد له إناء من البلور الصخري محفوظ الآن بمتحف اللوفر (راجع Pierret, Catalogue de la Salle Historique no. 456 et Recueil du Monuments Egyptien du Musee du Louvre II. p. 80; cf Daressy. Rec. Trav. XIX, p. 20 et XXXV. p. 14 note 1).

(٣) ووُجِد في «طيبة» لوح من تابوت للحفيدة الثانية لهذه الملكة التي تدعى «بدي آمون نب نستاوي»، وهذا الأثر محفوظ الآن بمتحف «برلين» (راجع XL. D. III. 284 a = L. D Text III p. 258; Br. A. R. IV 852 no. c)، وهذا الأثر كما قلنا يكشف لنا كذلك عن اسم ابنة أخرى للملك «رود آمون»، وعن اسم ملك يتصل «برود آمون» بروابط أسرية وثيقة، وهذا الملك هو «بف نف دو باستت»، ويمكن أن يكون هذا الملك موحدًا مع أمير «أهناسية المدينة» الذي جاء ذكره في لوحة «بيعنخي» (Smith, A. Z. VI. p. 114). وسلسلة النسب التي يمكن أن نستخلصها من قطعة الحجر التي عثر عليها في مدينة «هابو» ومن لوح الخشب الذي نحن بصدده قد وضعها كل من «فيدمان» و«دارسي»

و«برستد»، ولكن لم يصل واحد من هؤلاء الثلاثة للحقيقة تمامًا كما يقول «جوتييه» (راجع L. R. III p. 393 n. 1).

وهاك سلسلة النسب كما اقترحها «جوتييه»:



ومن ذلك نفهم أن الملك «رود آمون» كان له زوجتان، وكل منهما أنجبت ابنة، أما الملك «بف نف-دو-باستت» فكان حماه. وذكر «بتري» أن التمثال الذي عُثر عليه في منف وعليه لقب «وسرماعت رع» هو لهذا الفرعون (راجع A Season in Egypt, Pl. XXI no 11 & p. 26). غير أن تلك النسبة لا ترتكز على أساس تاريخي؛ لأن هذا اللقب كان يحمله عدد كبير من ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.

هذا، وقد ذكر الأثري «بدج» في كتاب «الملوك» من تأليفه (راجع Book of Kings II p. 62 & 90) أنه يوجد ملكان باسم «رود آمون» مختلفان؛ واحد منهما يلقب «وسرماعت رع» في الأسرة الثالثة والعشرين، والثاني يلقب «وسرماعت رع ستبن آمون» في الأسرة السادسة والعشرين. ويقول «جوتييه»: إنه لا يعرف إذا كان هذا التمييز مضبوطًا أم لا؛ غير أنه ليس من المستحيل أن يكون في تلك الفترة ملكان بهذا الاسم واحد منهما في «طيبة» وآخر في إحدى جهات الدلتا.

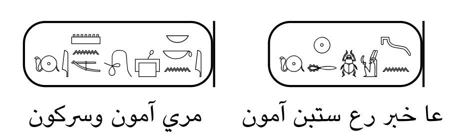
وتدل كل شواهد الأحوال على أن «رود آمون» هذا هو ابن الملك «أوسركون الثالث»، وأنه هو الذي في عهده حدث الفتح الإثيوبي.

وقد نسب بعض المؤرخين بعض الآثار لهذا الفرعون؛ غير أنه بعد فحص دقيق وُجد أنها لا ترتكز على أساس علمي أكيد (راجع L. R. III p. 393).

أسرة الفرعون «رود آمون»

جاء ذكر اسم زوجة لهذا الملك على قطعة مهشمة عُثِرَ عليها في مدينة «هابو» كما ذكرنا من قبل، ولكن اسم الملكة على هذا الأثر لم يكن تامًّا، وقد ذهب «دارسي» إلى أنه مما تبقى منه يمكن أن يقرأ «تامت آمون»، وكذلك جاء اسم ابنة له على هذا الأثر نفسه تدعى «نسيت–أر–باوتي»، وقد ذُكر اسمها في لوحة «برلين» التي ذكرناها فيما سبق في سلسلة النسب.

أوسركون الرابع



عا خبر رع ستبن آمون مري آمون وسركون

هذا الملك كان يعد في نظر المؤرخين «أوسركون الثالث»، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن كشف «لجران» «أوسركون الثالث» الحقيقي ابن «تاكيلوت الثاني» والملكة «كارمعمع» كما فصلنا القول في ذلك من قبل [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون أوسركون الثاني]، والمحتمل كما قلنا: أنه ابن الملك «رود آمون»، والظاهر أنه كان يحكم في «بوبسطة»، في حين كان يحكم «رود آمون» في وقت واحد في «طيبة».

وأهم أثر عُثِرَ عليه له هو خاتم من الخزف المطلي محفوظ بمتحف «ليدن» (راجع Lemans, Monuments Egyptiens du Muse'e d'Antiquite's des Pays-Bas I, 330 Pl. XCVII. Petri, Hist. III, p. 246 Fig. 107)، وهذا الخاتم هو الأثر الوحيد الذي نقش عليه اسم هذا الملك ولقبه (راجع Rec. Trav. XXVIII p. 154; Daressy. Rec. Trav. XXX p. 204) وعُثِرَ له على تعويذة في صورة درع مصنوعة من أقسام نُقِشَ عليها اسمه ولقبه، محفوظة الآن بمتحف اللوفر (راجع Pierret Gazette Archeol. VI p. 85ff, Vernier, Bijouterie Egyptienne Pl. XIX no. 1, Legrain, Rec. Trav. XXVIII p. 154) وقد وجدت في «بوبسطة». ويحدثنا «بدج» أن الصندوق المعدني الذي كانت فيه الجوهرة الجميلة محفوظة بالمتحف البريطاني (راجع Br. Museum No. 34939)، وقد كُتِبَ على هذه الدرع كذلك على ما يُظَنُّ اسم والدته؛ غير أن هذا مشكوك

فيه؛ لأننا لا نعرف من النقش إذا كانت الملكة التي ذُكرت في المتن هي أمه أو أم أولاده. وهاك النص: «الأم المقدسة» تادو باست «الزوجة الملكية».

هذا، وقد وُجد على لوحة «بيعنخي» العظيمة اسم فرعون يدعى «أوسركون»، ولا بد أنه هو نفس الفرعون الذي نحن بصدده (راجع Urkunden der Alteren Ath-iopenkonige. t. l, p. 56).

ملوك آخرون من هذا العهد لا نعرف مكانهم في سلسلة ملوك هذه الأسرة

ذكر الأثري «جوتييه» في كتابه عن ملوك مصر عدة ملوك حكموا في أثناء الأسرة الثالثة والعشرين؛ غير أنه لا يعرف مكان كل واحد منهم بالنسبة لملوك هذه الأسرة، وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الملوك كانوا يحملون لقب الملك فعلًا؛ غير أن كلًّا منهم كان لا يحكم إلا على جزء صغير من البلاد لا تزيد مساحته أحيانًا عن مساحة مقاطعة من مقاطعات القطر. والظاهر أن كلًّا منهم قد أخذ يستولي على جزء من البلاد ويستقل به عن بيت الملك في عهد الأسرتين: الثانية والعشرين، والثالثة والعشرين اللتين كانتا معاصرتين، وقد ظهر هذا التمزق في وحدة البلاد في الوجه البحري ومصر الوسطى بخاصة، وسنرى بعدُ أن «بيعنخي» عند دخوله مصر أخذ يُخضع هؤلاء الملوك الصغار واحدًا فواحدًا تحت حكمه، وأعاد وحدة البلاد ثانية ولكن لنفسه، ومن هؤلاء الملوك الصغار:

الملك «نفر كارع بف نيف (؟) دو باست»

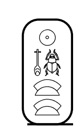


نفر كارع بف نف دو باستت

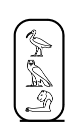
وُجد اسم هذا الملك على تمثال صغير من الذهب للإله «حرشف»، وقد عُثر عليه في «أهناسية المدينة» (راجع Ehnasya (1905) Pl. 1 Frontispice & p. 18, Petrie, Hist. III p. 271 fig. 110) وهذا التمثال محفوظ في يونيفرستي كولدج بلندن، ويَعُدُّ «جتري» خطأً هذا الملك أنه والد الملك «رود آمون». ولكنه في الواقع هو زوج ابنة الملك «رود آمون» كما بيَّنَّا ذلك في قائمة نسب «رود آمون» [راجع الأسرة الثالثة والعشرين الملك رود آمون].

وذُكر اسمه كذلك على لوح من خشب تابوت محفوظ بمتحف «برلين»، وقد ذكرنا ذلك من قبل أيضًا. يضاف إلى ذلك أن اسمه جاء على لوحة الفرعون «بيعنخي» (راجع Legrain, Rec. Trav. XXXI. p. 9)، ولا نزاع في أن وجود اسم هذا الفرعون على تمثال الإله «حرشف» إله «أهناسية المدينة» لم يدع أي مجال للشك في توحيد هذا الاسم مع اسم الملك الذي يدعى على لوحة «بيعنخي» «حاكم أهناسية المدينة» «بفنفدو باست».

الملك «خبر خع رع نفر خع-تحو تمحات»



خبر خع رع نفر خع



تحو تمحات

ذُكر اسم هذا الملك على تمثال كاهن يدعى «تانحسرت» اشتُرِيَ من «الأقصر» وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري (راجع A. S 10 p. 101).

وأهمية هذا التمثال أنه كُتِبَ على كتفيه المتن التالي:

على الكتف اليمنى: «قدم إنعامًا من ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خبر خع رع نفر خع» محبوب «تحوت» رب الأشمونين.»

وعلى الكتف اليسرى: ابن رع «تحو تمحات» المحبوب من الذي في الأشمونين.

وهذا الفرعون في الواقع لم يُعرف اسمه من قبل، وقد سهل معرفة العصر الذي عُمِلَ فيه هذا التمثال من النقوش التي كتبت عليه على الرغم من أنها ليست كاملة؛ لأن التمثال نفسه لم يوجد منه إلا الجزء الأعلى (راجع Legrain Cat. Gen. III no. 42212 Pl. XXI p. 32).

والنقوش التي على التمثال تشمل ستة أسطر على ظهره، ومنها عرفنا جزءًا من الاسم الذي تتألف منه سلسلة نسب «نختفموت» الذي تحدثنا عنه من قبل [راجع الأسرة الرابعة والعشرين «العبرانيون»].

وبقرن نقوش هذا التمثال بالنقوش التي جاءت على تمثال الكاهن «زد خنسو فعنخ» الذي عاش في عهد الملكين «أوسركون بن إزيس» (الثالث) و«تاكيلوت الثالث» أمكننا أن نكمل جزءًا كبيرًا من المتن الناقص المهشَّم في تمثال «تانحسرت».

وهاك الترجمة:

كاهن «آمون الكرنك»، والكاهن الأكبر في معبد «تحوت»، والكاتب ومنظم معبد «تحوت» ... «لتحوت»، وحامل رمز العدالة «ثانحسرت» ابن الكاهن الرابع (لآمون الكرنك «حورسا إزيس» ابن الكاهن الرابع «لآمون الكرنك»، وحامل الخاتم) «نختفموت» بن «زد خنسو فعنخ» (بن «نسبر ننوب» بن «خنسو محف» بن «بادو خنسو») ابن الكاهن والد الإله «لآمون» «مري-وسر-خنسو» بن («بانفرخع» بن «تمحتب» بن «نسر آمون» بن «ثانفر») بن «باحمنتر» بن «وسر حاتمس» (بن «شبن»، وأمه هي «؟» أهداه له ابنه ليحيا اسمه) كاهن «تحوت» في معبد «الكرنك» (المسمى) «حت أبت حب» الرئيس والمنظم لمعبد «تحوت» ... (؟) وبعد ذلك تستمر نقوش «زد خنسو فعنخ»: «وأن الواحد منهم هو ابن الآخر في هذا البيت من آباء لآباء على حسب الزمن وعلى حسب الملوك.» وبعد ذلك يأتي اسم الأم والإهداء.

ويلاحَظ أن «لجران» في بحثه هذا قد وضع «تانحسرت» في سلسلة النسب التي استخلصها حفيدًا «لنختفموت»، وفي الوقت نفسه يقول: إنه من المحتمل أن يكون الحفيد الثاني؛ أي ابن «زد خنسو فعنخ»، وهو الذي كان بدوره كاهنًا رابعًا «لآمون».

ويقول «لجران»: إنه في استطاعته أن يقول: إن المهدى إليه التمثال أي: «تانحسرت» يُنسب من جهة والده إلى الملك «حورسا إزيس»، ومن جهة أمه إلى الملكين: «تاكيلوت الثالث» و«أوسركون الثالث»، وإن مجاله في سلك الكهنة كان مخصصًا لعبادة «تحوت» الذي كان لا بد له معبد صغير في «الكرنك» على غرار معبد الإله «بتاح» والآلهة الآخرين الذين يتألف منهم «التاسوع»، وهم الذين يأكلون على مائدة الإله العظيم «آمون رع»

كأنهم أتباعه. ولا بد أن هذا المعبد يوجد في جهة ما «بالكرنك»؛ لأنه ورد ذكره في نقوش معاصرة كما ذكر له كهنة.

ويلاحَظ أن «لجران» قد أرخى لنفسه العنان في الخيال، فخمن بعض الأنساب التي ليس لها وجود إلا في المتن الثاني الذي قَرَنَّا به المتن الذي جاء على تمثال «تانحسرت»؛ ولذلك فهو لا يرتكز على أساس متين.[١]

ويلاحَظ أن هذا التمثال قد مُثِّل قاعدًا القرفصاء ملفوفًا في عباءة، ويداه مبسوطتان على ركبتيه، ووجهه مستدير ومرتسم عليه ابتسامة، وعيناه مفتوحتان، وحاجباه متقن صنعهما، وله عثنون. والدعاء الذي يتضرع به نُقِشَ على ذيل عباءته وقد جاء فيه: «يأيها الكهنة والكهنة المطهرون الذين يدخلون المعبد التابع للأشمونين وكهنة الشهر …» (باقي المتن مهشَّم).

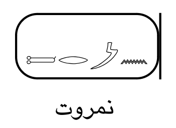
والظاهر — على حسب المتون الأخرى التي من هذا النوع — أنه كان يطلب من هؤلاء الكهنة أن يزينوا تمثاله بالأزهار، وأن يتوسطوا عند الإله لأجل أن يكون في استطاعة روحه أن يتغذى كل يوم من الأطعمة التي على المائدة الإلهية.

وخلاصة القول أن في استطاعتنا — على الرغم من قلة ما لدينا من آثار عن هذا الملك — أن نعده ملكًا من أولئك الملوك الصغار الذين سبقوا عهد الفتح الإثيوبي، بل يحتمل كثيرًا أنه واحد من صغار ملوك الجنوب الذين قهرهم «بيعنخي» في زحفه على الوجه القبلي، كما ذَكَرَ لنا هذا الفاتح في لوحته العظيمة.

وعلى أية حال، فإن تمثال هذا الكاهن الذي نحن بصدده يحمل لنا وثيقة جديدة عن العصر الذي سبق الفتح الإثيوبي، وهو العصر الذي كان فيه زعماء البلاد وهم أصحاب الإقطاعيات العظام تحت سلطان الفراعنة، ثم أعلنوا استقلالهم كلٌّ في إقليمه، واتخذ كل منهم لنفسه ألقاب الملك؛ مما جعل تمييز الملوك الحقيقيين للبلاد أمرًا مستحيلًا لدرجة أنه لما جاء الفتح الإثيوبي لم نعرف على وجه التحديد من كان ملك مصر الحقيقي.

[١] إذ نجده قد اقترح أن يكون «زد خنسو فعنخ» والدًا لصاحب تمثالنا «تانحسرت» بدلًا من «حورسا إزيس»، وبذلك أمكنه أن يوفق سلسلة النسب التي وضعها لأسرة «تانحسرت».

الملك «نمروت»



نمروت

وُجد اسم هذا الملك على لوحة «بيعنخي» (راجع Urkunden Der Alt. Athiop. p. 1–56)، وهذا الملك سيجيء الحديث عنه في لوحة «بيعنخي»، وقد كان من جراء اتحاده مع «تفنخت» السايسي السبب النهائي في غزو «بيعنخي» لمصر الوسطى، ومن المحتمل أنه كان مثل «تحو تمحات» أميرًا للأشمونين، وهذا ما يفهم من لوحة «بيعنخي» كما سنرى بعد، وقد ظهرت زوجة «نس-فننت مح» (؟) على لوحة «بيعنخي» مواجهة له وتسبق زوجها وهي من دم ملكي؛ لأنها كانت تلقب الابنة الملكية.

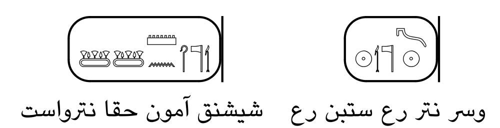
الملك «أوبوت»



أوبوت

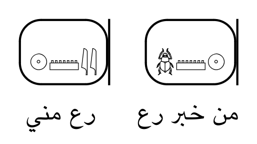
ظهر اسم هذا الملك على لوحة «بيعنخي» في المنظر الأعلى وفي الأسطر (١٨ و٩٩ و١١٤) من المتن. ويقول «جوتييه»: إنه لا يعتقد أن هذا الملك — الذي كان يقطن غرب الدلتا ويدعى «أوبوت» صاحب الإقطاعيتين «تنت رمو» و«ثاعان» — هو نفس الملك «أوبوت» الذي وجدت له نقوش على مرسى «الكرنك» معاصرة للملك «بدو باستت الأول» (راجع L. R. III p. 402 note 3)، وهاتان الإقطاعيتان لا يُعرَف مكانهما على وجه التحديد (راجع Dict. Geog. T. 6. p. 6).

الملك وسر نتر رع ستبن رع شيشنق (الخامس)



وُجدَ اسم هذا الفرعون في طغراءين من البرنز يعلو كلًّا منهما قرص الشمس (راجع Petrie, Hist. of Egypt. III. p. 271 fig. III)، و«شيشنق» هذا يختلف عن أربعة الملوك الذين سموا بهذا الاسم في عهد الأسرة الثانية والعشرين؛ غير أن «بتري» يعتقد أنه كان ملكًا صغيرًا على «بوصير» دون أن يحدد لنا أي «بوصير» يقصد. وليس لدينا أي دليل لأنْ ننسب إليه الدرع التي نشرها «بريس دافن» و«ولكنسن» (راجع Petrie, Hist. III p. 271 fig. III) كما يقول «بتري»؛ إذ هي في الواقع للملك «شيشنق الأول»، وكذلك لا ينسب إليه التمثال الصغير الذي وجد في «بوبسطة»، وقد كُتِبَ عليه الأمير العظيم «شيشنق»، والظاهر أنه لم يكن قط ملكًا (راجع Maspero, A. Z. XXII p. 93).

الملك «من خبر رع-رع مني»



وُجِدَ لهذا الفرعون لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر (C. 100) (راجع Wiedemann, Aegyp. Gesch. p. 588 note 3)، وهذا الملك لم يكن ترتيبه بصفة محددة، وقد ظن البعض أنه ملك يدعى «بيعنخي» دون أي سبب معقول (راجع Br. A. R. IV p. 481 note c)، وقد برهنت الكشوف الحديثة والبحوث على أنه لم يوجد غير ملك واحد يدعى «بيعنخي» (راجع A. Z, 66 p. 94 & 95 Bull. M. F. A. 19 p. 34–35 The Temple of Kawa I. The Inscriptions. p. 119)، وكذلك وجد اسمه على قطعة حجر من إناء من المرمر وجدت في «الكرنك»، وهي محفوظة بالمتحف المصري (راجع Mariette, Karnak Pl. 45 b; Bissing Catalogue General Steingefasse no. 18498 p. 100).

ومن المحتمل أن هذا الملك كان أحد صغار الأمراء المحليين في الوجه البحري أو مصر الوسطى من الذين عاصروا آخر ملوك «بوبسطة» أو «الملوك الأُوَل» من الإثيوبيين؛ غير أنه ليس لدينا أي دليل في أن نضع إمارته في «هرموبوليس» (الأشمونين) كما يدعي «بتري» (راجع Petrie, Hist. III p. 293; & L. R. III p. 404 no. 2).

ويوجد في «كابينة دي ميدلي بباريس» لوحة من الحجر من الطراز المصري الفينيقي عليها اسمه (راجع De Vogne Bull. Archeol. De L'athenoeum Francais 1855 p. 141 Lepsuis Konigsbuch no. 796).

ويوجد نقش الطغراءين على جعران عُثِرَ عليه في «قفط»، وآخر في متحف القاهرة، وثالث في مجموعة «بتري» (راجع L. R. III p. 405 note 1).

وعُثِرَ في «ميت رهينة» على أسطوانة من حجر الشيست نقش عليها لقب هذا الملك «من خبر رع» (راجع Chassinat, Bull. De L'Insti. T. VIII p. 145).

وقد قرأ الأستاذ «شاسينا» «رع مني» على الطغراء الثانية لهذا الفرعون، ومع ذلك فإنه وحَّده مع «بيعنخي» دون إعطاء سبب لذلك.

ولدينا أسماء أمراء وملوك آخرين يحتمل أنهم من هذا العصر، وقد يطول الكلام في ذكر أسمائهم.

الأسرة الرابعة والعشرون

لا يمكن فصل تاريخ إحدى الأسرتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين عن تاريخ الأخرى؛ وذلك أنه عندما غزا «بيعنخي» البلاد المصرية لم يكن يحكمها ملك واحد بعينه، بل كان فيها عدة ملوك وأمراء، وكانوا كلهم يحملون ريشتين في لباس الرأس؛ أي إنهم كانوا من أصل لوبي، وقد كان على «بيعنخي» أن يخضعهم بحد السيف؛ لأنهم تألبوا كلهم عليه عند غزوه للبلاد. وهذا الموقف يذكِّرنا تمامًا بتاريخ المماليك؛ فإنهم خلعوا ملوك الأيوبية واستولوا على ملكهم، وكان الأيوبيون قد أتوا بهم من بلادهم بوصفهم جنودًا مرتزقة ليحاربوا أعداء مصر، فلما اشتد ساعدهم، وأخذ نفوذهم يقوى في البلاد بما لهم من قوة وبطش؛ خلعوا آخر ملك أيوبي وولوا مكانه أحد رؤساء أجنادهم ملكًا على البلاد، وهذا نفس ما حدث مع اللوبيين فإنهم كانوا يعملون جنودًا مرتزقة في جيش ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، ولما ضعف نفوذ «بسوسنس الثاني» آخر ملوك هذه الأسرة قفز أحد رؤساء المشوش الذين كانوا قد وطدوا سلطانهم، وألفوا لأنفسهم حاميات في أنحاء البلاد واستولى على الملك، وأصبح فراعنة الأسرتين: الثانية والعشرين والثالثة والعشرين منهم، وفي نهاية الأمر تفرقوا فيما بينهم شيعًا إلى أن جاء «بيعنخي» من بلاد «كوش» واستولى على مصر كلها.

ومما يطيب ذكره هنا أن هؤلاء اللوبيين الذين كانوا يحكمون في أنحاء البلاد كانوا لا يزالون يحتفظون بالشارة التي تميزهم من المصريين، وهي الريشتان اللتان كانتا

توضعان في لباس الرأس. ومما يلاحَظ أن المماليك عندما تولى محمد علي باشا ولاية مصر وجد أنهم كانوا لا يزالون يحتفظون بملابسهم التي تميزهم عن سائر المصريين.

وقد كان بعض هؤلاء الأمراء اللوبيين أصحابَ سلطان قوي في البلاد، ويسيطرون على إقليم كبير، وهم في ذلك يشبهون المماليك أيضًا؛ فقد كان «تفنخت» الذي وقف وقفة عظيمة في وجه «بيعنخي» يشبه «مراد بك» الذي كان يعد من أعظم المماليك وأشدهم بأسًا عند الغزو الفرنسي وفي عهد محمد علي باشا.

وقد ذكر لنا «مانيتون» أن الأسرة الرابعة والعشرين كان مقرها «سايس»؛ غير أنه لم يذكر لنا في قائمة ملوكها إلا ملكًا واحدًا هو الملك «بوخاريس» الذائع الصيت، وهو الذي حفظ لنا الكُتَّاب الإغريق عنه ذكريات كثيرة.

وعلى الرغم من قلة الآثار المصرية في هذا العصر فإنها قد حفظت لنا سلسلة أمراء ساويين تربط «بوخاريس» بالملك «نخاو» والملوك الذين سموا باسم «بسمتيك» في الأسرة السادسة والعشرين على حسب «مانيتون». وتدل شواهد الأحوال على أنه من المؤكد تقريبًا أن الأسرة السادسة والعشرين لم تكن إلا استمرارًا للأسرة الرابعة والعشرين، والخسوف الوقتي الذي حدث في أمراء «سايس» بين هاتين الأسرتين يقابل احتلال البلاد على يد ملوك إثيوبيا خلال الأسرة الخامسة والعشرين، وبخاصة في الدلتا على يد «بيعنخي»، ولكن يرجع الفضل لنسل هؤلاء الذين هزمهم «بيعنخي» وغيره من ملوك الإثيوبيين في طرد الغزاة وزحزحتهم نحو الجنوب، وقد كان هذا هو السبب الذي حَدَا بالأستاذ «فلندرز بتري» عند درسه لهذا العصر (راجع Petrie, Hist, III p. 313–324) أن يؤخر بحثه للأمراء الساويين الذين سبقوا الفرعون «نخاو» إلى ما بعد درس العهد الإثيوبي، وقد جمع ملوكَ الأسرتين الرابعة والعشرين والسادسة والعشرين الساويين، وبحثهم في فصل واحد متصل.

والواقع أن أول ملوك الأسرة الرابعة والعشرين لم يبتدئ حكمه بوصفه ملكًا على جزء من مصر إلا بعد فتح «بيعنخي» البلاد، وذلك أن «تفنخت» الذي يعد أول ملوك هذه الأسرة لم يكن ملكًا على «سايس»، بل كان يحمل لقب الأمير الوراثي والحاكم العظيم لبلدة «نترت تفنخت»، وسنتحدث عن ملوك هذه الأسرة عند الكلام عن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين؛ أي في عهد الفتح الكوشي (الإثيوبي).

الحضارة المصرية في العهد اللوبي

الدِّين

جرت السُّنة على أن تكون الديانة في أي قطر من أقطار العالم من أكبر المظاهر وأدلها على ما لهذا القطر من درجة في الرقي والحضارة؛ فقد بدأ الإنسان بعبادة الأجداد ومظاهر الطبيعة كلٌّ على حسب بيئته، ثم أخذت هذه المعبودات المتعددة تنكمش وتتبلور شيئًا فشيئًا، وكان من جراء ذلك أنْ قلَّ عدد هذه الآلهة، وأصبح لا يعبد منها إلا من كان عُبَّاده لهم نفوذ وسلطان على من جاورهم من الجماعات الأخرى المجاورة لهم، ومن ثم نشأ إله القرية ثم إله المدينة وأخيرًا إله المقاطعة.

وكانت مصر في بادئ أمرها تسير على هذا النظام من أول نشأتها عندما كان لكل مقاطعة إله يعبد فيها ويقدس، ولما اتحدت البلاد وأصبح اتحادها في بادئ الأمر ممثلًا في الوجه القبلي والوجه البحري كان إله كل من هذين القطرين هو المسيطر على الآلهة الآخرين في المقاطعات التي يتألف منها قطره، وأخيرًا عندما تمت وحدة البلاد على يد «مينا» كما يقال أصبح إله العاصمة هو الإله الأعظم في البلاد كلها، وقد كان وقتئذ إله العاصمة المحلي هو الإله «بتاح»، غير أن سيطرة هذا الإله لم تدم طويلًا؛ إذ بعد انتقال العاصمة إلى مكان آخر أصبح الإله المحلي للعاصمة الجديدة هو الإله الأعظم المسيطر على كل الآلهة الأخرى، وهكذا دواليك كلما اتخذ الملوك عاصمة جديدة أصبح إلهها المحلي هو إله الحكومة والإله العظيم للبلاد جميعًا. ومن الغريب أن هذه السُّنة قد بقيت مرعية ثابتة حتى أواخر العهد الفرعوني الأصيل. على أن ذلك لا يعني أن العقائد الدينية المصرية في الداخل لم تتغير وبقيت جامدة، بل على العكس نجد أنه قد حدثت تطورات في المظاهر الخارجية، وكذلك في التفكير الداخلي كان لهما أثرهما الفعال في أخلاق القوم ورقيهم

الأدبي وسيرهم نحو فكرة الوحدانية التي طفر إليها «إخناتون» بعد أن مهد إليها السبيل أسلافه بعض الشيء. حقًّا، إن هذه الطفرة جاءت مبتسرة قبل أوانها؛ ولذلك ماتت في مهدها، غير أنها تركت أثرًا عميقًا في عقول المفكرين لا في عقول العامة الذين قالوا وقتئذ: إنا وجدنا آباءنا على دين وإنا على أثرهم لمقتدون.

وعلى الرغم من الطفرة التي قام بها «إخناتون» جهرًا بإعلان وجود إله واحد يتمثل في القوة الكامنة وراء قرص الشمس الذي يعد المظهر العظيم لإلهه الجديد، فإن ديانته لم تكن وحدانية خالصة؛ إذ بالفحص وجدنا أنه كان هو يشرك نفسه مع إلهه «آتون»، فكان «إخناتون» نفسه وأسرته يعبدون «آتون»، وقد قضوا من أجل ذلك على كل الآلهة الآخرين. ولكن من جهة أخرى نجد أن الشعب نفسه كان يعبد «إخناتون» نفسه؛ لأنه فضلًا عن ألقابه الرسمية كان يلقَّب كذلك الإله الطيب، هذا فضلًا عن أنه قد قرر أنه ابن «آتون» من جسده. وتدل كل المناظر التي وجدت في «تل العمارنة» على أنه كان هو يقوم بخدمة قرص الشمس الحي، في حين كان كل رجال بلاطه ينحنون إجلالًا وتعبُّدًا للملك نفسه، فلم تكن صلواتهم موجهة «لآتون» بل «لإخناتون» مباشرة.[١] وعلى أية حال، فإن طفرة «إخناتون» كانت خطوة جريئة نحو عقيدة التوحيد، ولما عادت الديانة القديمة إلى مجرى حياتها بعد موت «إخناتون» وجدنا أنها قد تأثرت تأثرًا كبيرًا بعقيدة التوحيد، ولا أدل على ذلك من الأناشيد والقصائد التي كانت تكتب تعبدًا وتضرعًا للإله «آمون» وثالوثه في طيبة؛ فقد جاء في هذه الأناشيد عبارات تدل على أن هذا الثالوث ليس في واقع الأمر إلا إلهًا واحدًا، ولم نكن نعرف هذا مما قرأناه من قبل في ديانة القوم، بل جاء مباشرة عقب الأثر الذي تركته ديانة «إخناتون».

وقد استمرت عبادة «آمون» تعلو وتسيطر على كل العبادات التي كانت منتشرة في البلاد خلال الدولة الحديثة، فكانت الآلهة الأخرى لها مكانتها المرموقة في مدنها التي تقيَّد فيها على حسب مركزها السياسي، ولكن «آمون» بقي هو الإله الأعلى ومركزه الرئيسي «طيبة»، ولما انتقلت العاصمة إلى الوجه البحري كان «آمون» هو إله الدولة وأعظم الآلهة ثروة وجاهًا، ويليه في المرتبة الإله «رع» رب «عين شمس» العاصمة الدينية القديمة، والإله «بتاح» رب «منف» التي كانت عاصمة للبلاد كذلك في الأزمان العتيقة ونقطة

---

[١] راجع Wilson, The Burden of Egypt p. 323.

الوسط في أرض الكنانة. وقد كان من جراء نقل العاصمة في أواخر الدولة الحديثة إلى الوجه البحري في «برعمسيس» مرة وفي «تانيس» مرة أخرى أن وفدت من بلاد الشرق المجاورة بعض الآلهة عُبِدَت في مصر وتأثرت الديانة المصرية بها؛ غير أنها هضمتهم كلهم وأصبحوا معبودات مصرية لهم صفات الآلهة المصريين. وقد ظلت الحال كذلك إلى أن جاءت الأسرة الواحدة والعشرون التي في زمنها قسمت البلاد إداريًّا ودينيًّا قسمين: الوجه القبلي وعاصمته «طيبة»، والوجه البحري وعاصمته «تانيس»، ومن ثم أخذت عبادة «آمون» تظهر بمظهر جديد؛ فقد أعلن كهنته أنه هو الملك المسيطر على البلاد والحاكم المطلق لها، يفصل في كل شئونها، ويصدر الأوامر في أحوالها الدينية والإدارية بما يوحي به بوساطة تماثيله التي كانت تقوم بهذه الوظيفة كما شرحنا ذلك في مواضع مختلفة، وكما سنفصل القول في ذلك بعدُ. وقد ظلت الحال كذلك حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين، ولم يكن عجبًا أن نرى في بعض النقوش أن «آمون» اتخذ لنفسه اسمًا ولقبًا كما كان يفعل الملوك، ومن ثم نفهم أن «آمون» قد أخذ يعد نفسه ملكًا حقيقيًّا للبلاد، ولكنه زاد على ذلك أنه كان المعبود الوحيد الذي لا إله غيره يعبد في السر والعلانية وفي كل مكان، ويتضرع له الناس كافة خشية وزلفى، وأن الآلهة الآخرين الذين يوجدون في طول البلاد وعرضها إن هم إلا أعوان له وهو المسيطر عليهم. وهذه مرحلة من المراحل التقدمية في سبيل التوحيد الحقيقي الذي جاء به العبرانيون في تلك الفترة من تاريخ العالم، ولا نزاع في أن العبرانيين هم أول من قال: بوحدانية الإله[2] وأن كل من عداه من الآلهة بِدَع وأشياء صنعها الإنسان، وأنه هو الفرد الأحد الذي يعبد في كل مكان وفي كل زمان ولا شريك له.

وفي حين نجد أن «طيبة» كانت تقترب بإلهها «آمون» من عقيدة التوحيد الحقة كان ملوك مصر في عهد الأسرة الثانية والعشرين يقيمون المعابد، ويحفلون بالأعياد لآلهة عاصمتهم وآلهة المدن الأخرى التي كانت لهم فيها مراكز حربية وقواعد سياسية، هذا فضلًا عن عبادتهم لآمون وتخليده. وأهم هذه الآلهة وأعظمها شأنًا (١) الإلهة «باستت»

[2] ويعد الأستاذ «زيته» أن الإله «آمون» كان أو يحتمل أنه كان الصورة الأصلية التي منها اشتق «يهوه» صورته. (راجع Amun und die acht Urgotter Von Hermopolis 258, 260, 281) وذلك أن «يهوه» كان في الأصل يعد إله السماء أو إله الهواء مثل «آمون».

إلهة «بوبسطة» عاصمة ملك الأسرة الثانية والعشرين (٢) والإله «حرشف» إله «أهناسية المدينة» ثم (٣) الإله «بتاح» إله «منف».

(١) الإلهة «باستت»: هذه الإلهة ليس لها اسم قائم بذاته، بل مثلها كمثل بعض الآلهة، اشتق اسمها من المدينة التي تعبد فيها وهي «باست» (تل بسطة الحالية)، والاسم هنا يعني الخاصة ببلدة «باست»، وهذه الإلهة تعد ضمن مجموعة آلهة لها رأس أسد أو من فصيلة الأسد، وهذه الآلهة في العادة توحي بالفزع والخوف، غير أن بعضها يدل على الوداعة والسرور؛ فالإلهة «باخت» إلهة «بني حسن»، والإلهة «محيت» إلهة «طينة» القريبة من «العرابة المدفونة» لا تدلان على الفزع، بل كل منهما تعد إلهة الوادي الذي تسكنه. هذا، ونجد الإلهة «باخت» تسكن في الصحراء الغربية وتحرس الوادي، والإلهة «تفنوت» من جهة أخرى كانت في الأساطير إلهة رعب وفزع، ولكنها مع زوجها الإله «شو» إله الفضاء كان لها مظهر آخر وقصة طويلة مع زوجها.

ولدينا الإلهة «سخمت» القوية التي تُمثَّل بجسم إنسان ورأس لبؤة، وكانت تقطن «منف»، وكانت معروفة بأنها إلهة الحرب، ومثلها مثل الصل الملكي الذي ينفث النار في وجه الأعداء.

و«سخمت» هذه قد مثِّلت في صورة الإلهة «باستت» التي كانت أحيانًا برأس لبؤة، وأحيانًا برأس قطة، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من الصعب التفرقة بين هذين الرأسين في الفن المصري، غير أن التمييز بينهما كان في معظم الأحيان ممكنًا بوساطة المتون التي كانت تكتب مع كل، وذلك أن المصري كان يميز الإلهة «باستت» بأنها إلهة الفرح والسرور، وتنعت «سخمت» بأنها إلهة الحرب والدمار. والواقع أن «باستت» كان مثلها كمثل الإلهة «حتحور» إلهة الفرح والرقص والموسيقا، فكانت الأولى تمثَّل برأس قطة وبإحدى يديها الصاجات وتحمل بالأخرى سلة، على أنها كانت تظهر أحيانًا برأس لبؤة؛ مما يدل على أنها تكون إلهة قتال وفزع عند الحاجة.[٣]

ذكرنا أن هذه الإلهة تنتسب إلى البلدة التي تعبد فيها وهي «بوبسطة»، فهي إذن كانت إلهة محلية، وقد علا شأنها وعظم سلطانها عندما اتخذ ملوك الأسرة الثانية والعشرين «بوبسطة» عاصمة لملكهم، فبُنِيَ لها معبد باسمها ومثِّلت في جميع أرجائه،

[٣] راجع Erman, Der Religion der Agypter p. 33–34.

وكان لها ثالوثها كما ذكرنا ذلك في مكانه، وحتى في العيد الثلاثيني الذي أقامه الملك «أوسركون الثاني» لنفسه نجد أن هذه الإلهة على الرغم من أنها لم تأخذ المكان الأول في الاحتفال بهذا العيد، فإنها كانت توجد في الرسوم في الأجزاء السفلى من جدران قاعة العيد، فنشاهد «أوسركون» يقدم لها الساعة المائية كما يقول «نافيل»، هذا إلى أنها تظهر في كل أطوار الاحتفال واقفة أمام الملك سواء أكان هو واقفًا أم قاعدًا، كأنها هي التي تدير كل عملية الاحتفال مُظهِرة أن كل شيء قد عُمِلَ تحت حمايتها.

وذكر «نافيل» أن العيد الثلاثيني الذي أقيم في «بوبسطة» كان خاصًّا بالملك، وليس له علاقة باجتماع «بوبسطة» الذي وصفه لنا «هيردوت»،[٤] وهو الذي كان يعقد كل سنة. وعلى حسب نقوش «كانوبس»[٥] كان يوجد اجتماعان كل سنة: الاجتماع الكبير، والاجتماع الصغير، وكان كل منهما يُحتَفل به في شهر بئونة، والعيد الثلاثيني للملك «أوسركون» لم يكن له أية علاقة خاصة بالإلهة «باستت» إلهة المدينة، إلا أنه من المحتمل إقامته في اليوم الأول من شهر كيهك، وذلك أن كل النتائج تدعو كيهك شهر «سخمت»، وهي أحد الأشكال التي تظهر بها الإلهة «باستت»، وربما كان ذلك صدفة. ومن كل ما سبق نجد أن الإلهة «باستت» لم تكن إلهة محلية وحسب، وأن شهرتها كانت بسبب اتخاذ «بوبسطة» عاصمة للملك، وأنه لما أقيم العيد الثلاثيني كان الإله «آمون» الذي كان الإله المسيطر في كل أنحاء القطر هو الذي يقوم بأعظم دور في هذا الحفل بوصفه الإله الأحد الفرد الصمد، أما الآلهة الآخرون فكانوا أتباعًا له وحسب.

(٢) الإله «حرشف»: يجد الباحث في تاريخ الآلهة المصريين القدامى ارتباكًا في تمييز الآلهة التي مُثِّلث في صور حيوانات، فكما وجدنا صعوبة في تمييز الإلهة «سخمت» من الإلهة «باستت»، كذلك نجد صعوبة في تمييز الإله «حرشف» الذي كان يمثَّل في صورة كبش من الإله «آمون» رب «طيبة» أو الإله «خنوم» رب «الشلال».

فالإله «آمون» كان يتميز بالكبش المقدس الذي يمثله بقرنيه الملتويين الساقطين، أما الآلهة الأخرى التي تمثَّل في صورة كبش فكانت تمثِّل قرنيها متوازيين على رأس الحيوان، وبعيدين عن الرأس، ومع ذلك نقرأ أن الإغريق يميزون في الجنس الأخير بين التيس والكبش.

---

[٤] راجع B. II, 60.

[٥] راجع Inscriptions lf Canopus, Greek Text t. I, p. 38.

فمن بين الكباش الكبش الذي يمثل الإله «حرشف» الإله العظيم لبلدة «أهناسية المدينة»، ويعده عُبَّاده بمثابة إله عالمي؛ إذ يطلقون عليه ملك القطرين، وتعد عيناه بمثابة الشمس والقمر، ومن أنفه يخرج الهواء،[٦] ويدل معنى اسمه «الذي على بحيرته» على أن معبده يوجد عند بحيرة، وهذا هو الواقع؛ لأن معبد الإله كان مقامًا عند مدخل الفيوم، حيث توجد بحيرة قارون.

وترجع عبادة الآلهة التي لها رأس كبش مثل «حرشف» و«خنوم» وتيس «منديس» إلى الأزمان القديمة؛ إذ وجدت لوحة من الأسرة الأولى يمثَّل عليها كبش يقبض بيده على الصولجان «واس»،[٧] وفي أثناء هذا الوقت كان الإله «حرشف» قد استوطن «أهناسية المدينة»،[٨] وقد جاء ذكر هذا الإله على حجر «بالرمو».[٩] ولدينا وثيقة من أوائل الأسرة الخامسة تُظهِر أن إقليم الشلال كان ضمن المراكز الرئيسية لعبادة الإله «خنوم».[١٠] وفي أوائل الأسرة السادسة نعرف أن الكبش كان يعبد في «منديس»،[١١] كل ذلك كان قبل أن يظهر «آمون»، وأنه ورث عنهما بعض الصفات. وعلى ذلك فإن من المهم لدينا أن نفهم أن محرابين من محاريب عبادة الكبش كان لهما علاقة بتدفق المياه، فكان «حرشف» في «أهناسية المدينة»، حيث تتدفق المياه في الفيوم، والإله «خنوم» كان عند «الشلال الأول»، حيث يتدفق الماء إلى مصر نفسها، وقد كان كل من «حرشف» و«خنوم» متصلًا أحدهما بالآخر، ولا أدل على ذلك من أنه عندما قسمت مقاطعة «شجرة نعر» قسمين: «نعر العليا» و«نعر السفلى»؛ أي المقاطعتان العشرون، والواحدة والعشرون، كان من نصيب «حرشف» «نعر العليا»، ومن نصيب «خنوم» «نعر السفلى» (راجع أقسام مصر الجغرافية للمؤلف ص٦٧–٦٨).

واسم «حرشف» يدل على نفسه؛ أي «الذي على بحيرته»، واسم «خنوم» مشتق من كلمة معناها: «عين ماء» أو «بئر ماء» لا بمعنى «يوحد» أو «غنم»، ومن محاريبه الهامة

[٦] راجع Stela de Naples Urk II, 3.

[٧] راجع Petrie, Abydos II, Pl. V & p. 36; PL 1 & p. 25.

[٨] راجع Petrie, Royal Tombs II, Pl VII p. 8.

[٩] راجع Ancient Egypt 1914, p. 150 fig 2 note 9 & p. 151 feg 9.

[١٠] راجع Borchardt Sahuri, II PL. 18 Book 1 p. 69.

[١١] راجع L. R. I, p. 148 VII.

المحراب الذي في «الفنتين»، حيث كان يوجد الماء الطاهر والأواني الأربعة، وفيما بعدُ كان في الكهوف التي يصب فيها إله النيل الماء في أوانيه. ولدينا قصة من الأسرة العشرين نجد فيها أن تيس «منديس» كان يعبد عند «الشلال الأول»؛ إذ ذُكر في هذه القصة أنه يسكن في جزيرة «سهيل» القريبة من «الفنتين» (راجع Gardiner, The Chester Beatty No. I. p. 15 Note 1).

(٣) الإله «بتاح»: عندما استولى ملوك الأسرة الثانية والعشرين على زمام الأمور في البلاد لم يألوا جهدًا في أن يسيروا على نهج الملوك السالفين في عباداتهم ومناهجهم في إقامة المباني الدينية في أنحاء البلاد، وبخاصة أنهم كانوا يعلمون تمام العلم أنهم ليسوا من أصل مصري عريق، على الرغم من أنهم كانوا قد اتخذوا مصر موطنًا ثانيًا لهم وأصبحوا مصريين بمرور الزمن، وقد كان الآلهة السائدة عبادتهم في هذا الوقت هم آلهة العواصم الكبيرة في تلك الفترة، وأعني بذلك الإله «آمون» في «طيبة»، والإله «حرشف» في «هيركليوبوليس»، والإلهة «باستت» في «بوبسطة»، ثم الإله «بتاح» في «منف» العاصمة القديمة لمصر، وعلى رأس الكل «آمون». وقد تحدثنا عن عبادة «آمون» وعبادة «باستت» وكذلك عبادة «حرشف»، وبقي أن نتحدث عن عبادة الإله «بتاح» في «منف» في تلك الفترة.

والواقع أن اللوبيين عندما استولوا على زمام الأمور في مصر جعلوا منها مراكز حربية في جهات متفرقة؛ ليكونوا أصحاب النفوذ والقابضين على أَعِنَّة الأمور إذا ما دعا داعٍ لقيام فتنة أو نشوب ثورة بين الأهلين، ومن أهم هذه المراكز التي كانت فيها حامية عظيمة للوبيين «منف» العاصمة العريقة في القدم لوادي النيل، وقد كان كما شرحنا من قبل الكاهن الأكبر لإله أي مركز من هذه المراكز الحربية هو في الوقت نفسه القائد الحربي من المشوش، وقد توارث وظيفة الكاهن الأكبر «لبتاح» سلسلة أفراد من أسرة المشوش حتى الفتح الكوشي.

والواقع أن الإله «بتاح» كان الإله الذي يمجَّد في «منف» أكثر من أي إله آخر، وقد كان يطلق عليه اسم آخر هو «تاتتن»[١٢] (الأرض المرتفعة)، وقد كان يمثَّل «بتاح» عادة منذ

[١٢] كان الأهلون في «منف» يسمون إلههم «بتاح–تاتنن» «الأرض المرتفعة»، وهذا التعبير يسير إلى الاعتقاد السائد في مصر أن الخليقة ابتدأت بظهور تل يسمى التل الأزلي فوق سطح مياه المحيط الأزلي، وقد وحد الآلهة «بتاح» الذي يمثل الأرض الخصبة بهذا التل، وهو بداية كل موجود حتى الحياة نفسها، غير أن

القدم في صورة إنسان مزمِّل برأس أصلع عارٍ، وتظهر يداه كأنهما خارجتان من صدره، ويقبض في يده على صولجان، وليس في صورته ما يحدثنا عن أصله، وقد كان يلقب في النقوش المصرية «نحات النحاتين» و«صانع الفخار» الذي صنع كل صانع فخار، وهو يعد المحترف الأول لكل أصحاب الحرف ورئيسهم، وكان يدعى عند الإغريق «هفايستوس Hephaistos»، وإليه ينسب خلق العالم، وقد وُحد من أجل ذلك مع الإله «نون»؛ أي المحيط الأزلي الذي منه نبع كل شيء، وكذلك كان يسمى «والد كل الآلهة» و«الإله العظيم» منذ الأزل، والذي وجد أولًا بوصفه أول إله أزلي (راجع L. D. III p. 254 c).

وكذلك يقال: إنه قد عاش آبادًا لا حصر لها، أو إنه كان صاحب الأعياد الثلاثينية؛ ولذلك كان كل ملك يعد نفسه صورة منه؛ لأنه هو الملك صاحب الحكم الطويل، وعلى ذلك كان لا بد من قيام الإله «بتاح» بدور في الأعياد الثلاثينية التي كان يحتفل بها ملوك مصر مدة حياتهم كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

هذا، ويُلحَظ أنه كان يُعبَد في منطقة «منف» إله آخر يدعى «سكر» يمثَّل بجسم إنسان ورأس صقر، وهو إله الموتى، وعندما عظمت عبادة «بتاح» في منف طغى على «سكر» هذا وأخذ كل صفاته وأصبح يدعى «بتاح-سكر»، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل «بتاح» يمثَّل في صورة مومية تقريبًا. وقد زاد الطين بلة أن «أوزير» أصبح هو إله الموتى الوحيد، فامتزج اسمه باسم إله الموتى «سكر» في هذه الجهة، وأصبح يدعى «أوزير سكر»، فلم يقبل عُبَّاد «بتاح» في «منف» ذلك على ما يظهر، وبخاصة أن إلههم «بتاح» كان قد ضم إليه «سكر» وأصبح بذلك إله الموتى بالاشتراك مع «سكر»، وعلى ذلك مزجوا الآلهة الثلاثة معًا بوصفهم إلهًا واحدًا للموتى وسموه «بتاح-سكرأوزير».

والإله «بتاح» هو ثالث لثلاثة في منف يتألف منهم ثالوث إلهي كما هي الحال في كل المدن العظيمة المصرية التي كان فيها ثالوث، والآلهة الذين يتألف منهم ثالوث «منف» هم: «بتاح»، وزوجه «سخمت» إلهة الحرب، ثم الابن وهو «نفرتم». وتُمَثَّلُ «سخمت» في صورة لبؤة، أما «نفرتم» فيمثَّل في صورة شاب صغير يرتدي على رأسه زهرة البشنين.

هذا النعت يشير في الوقت نفسه للأرض التي جففها «مينا» من أراضي المستنقعات بالدلتا؛ ليقيم عليها «منف» ومعبد «بتاح» (راجع Kingship and the Gods. p. 25).

وقد كان الإله «بتاح» من الآلهة البارزين في كل عهود التاريخ المصري، وكانت تحبس عليه الأوقاف الكثيرة في عهد الدولة الحديثة هو و«آمون» و«رع» كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان إله عاصمة البلاد الرئيسي، ومن أجل ذلك نشأ له لاهوت خاص ينسب إليه خلق آتوم نفسه وكل الآلهة، وسنتحدث عنه عندما نتحدث عن الوثيقة الخاصة به في عهد الملك «شباكا» السوداني في عهد الأسرة الخامسة والعشرين.

الوحي

تدل النقوش التي وصلت إلينا من العهد الفرعوني حتى الآن عن الوحي الإلهي أنه كان يقوم بدور هام في تسيير الأمور في البلاد من الوجهتين: الاجتماعية، والسياسية، والظاهر من المتون التي في أيدينا يدل على أن الذين كانوا يقومون بالدور الهام في توجيه هذه الأبحاث التي كان يدلي بها الإله هم الكهنة، وقد تدرج استعمال الوحي منذ الأسرة الثامنة عشرة فاتُّخِذ أولًا أداة لتنصيب الفرعون على عرش البلاد، ثم انحدر إلى تعيين رئيس الكهنة فكبار الموظفين في المعبد، ثم انتقل بعد ذلك إلى الإفادة منه في الكشف عن السرقات والفصل في الخصومات التي كانت تُرتكَب بين أفراد عامة الشعب، وحتى في المعاملات كتقدير أثمان سلع البيع والشراء. وكانت كلمة الوحي هي العليا حتى فوق أحكام المجالس المحلية التي كانت تقضي في شكاوى الشعب وحقوقهم، وقد رأينا أن الإله «آمون» هو الذي كان يفصل في هذه الأمور عامة في التاريخ المصري منذ الأسرة الثامنة عشرة، وقد أخذت قوته تعظم منذ حكم ملوك هذه الأسرة تبعًا لازدياد نفوذ كهنته في البلاد، حتى انتهى الأمر إلى أن أصبح في عهد الأسرة الواحدة والعشرين هو المسيطر على مصالح الشعب والحاكم المطلق في مصائرهم وأقدارهم، وأطلق عليه كهنة هذه الأسرة ملك البلاد، وكان الكاهن الأكبر وقتئذ آلة لتنفيذ أحكام هذا الإله كما زعم الكهنة.

ولما كان الإله «آمون» هو القاضي الأعلى في البلاد؛ فلم يكن في استطاعة تمثاله في معبد «آمون» الرئيسي أن يفصل في كل قضايا الشعب في كل أنحاء البلاد؛ ولذلك نجد أن كل بلدة أو قرية أو حي من أحياء مدينة «طيبة» أو غيرها من البلدان العظيمة له تمثال خاص «بآمون»، وكان هذا التمثال يحمل اسمًا خاصًّا يميزه عن تماثيل الجهات الأخرى، وإليه كان يأتي المتظلمون في خلال الأحفال والأعياد التي كانت تقام له، ويبثون إليه شكاياتهم، ومن ثم كانت للكهنة مكانة عظيمة وسلطان قوي على سكان البلاد؛ مما

أدى إلى جمع السلطة في أيديهم في نهاية الأمر، وأصبحوا بوساطة إلههم «آمون» الأعظم الحكام الحقيقيين لمصر العليا، وأحيانًا لمصر كلها ريفها وصعيدها، ولم يشترك في هذه السلطة الدينية مع الإله «آمون» إله آخر من الآلهة المصريين إلا الملك المؤلَّه «أمنحتب الأول» الذي كان صاحب السلطان في مدينة العمال «بطيبة الغربية»، وقد تحدثنا عن مكانة الإله في غير هذا المكان من حيث الوحي وغيره. والمطَّلع على تاريخ الوحي في الأمم الأخرى يجد أنه كان لكل أمة طريقة في نزول الوحي الإلهي، ولسنا نعرف أمة سبقت مصر في هذا الاتجاه، بل كل الأحوال تدل على أنه كان لها قصب السبق في هذا المضمار، ثم ظهر في البلاد الأخرى المجاورة، فنعلم بوجوده في فلسطين، وفي بلاد اليونان، ثم في بلاد العرب؛ إذ كان «محمد» — عليه الصلاة والسلام — يتلقى تعاليمه الدينية ورسالته عن طريق الوحي بوساطة الملاك «جبريل» الذي كان يُنَزِّل عليه القرآنَ الشريف تنزيلًا، وسنتحدث أولًا عن طريق تبليغ الوحي في مصر، ثم نشير إلى ما كان يوجد من فروق بينه وبين وحي الأمم الأخرى.

والواقع أنه لدينا عدة وثائق هامة عن الوحي في العصر الفرعوني، وقد تحدثنا عن الكثير منها في هذا الجزء من مصر القديمة [راجع الأسرة الثانية والعشرين الفرعون شيشنق الأول].

وهذه المتون على الرغم من أنها تضع أمامنا الأسئلة والأجوبة التي كانت تقدم للإله؛ فإننا من وقت لآخر نجد في ثناياها بعض معلومات ضئيلة عن الطريقة التي كانت تُتَّبَع في عرض الأمور التي طُلِبَ الإجابة عليها، وعن الطريقة التي كان يجيب بها الإله.

أما عن طريقة عرض السؤال أمام الإله فتدل شواهد الأحوال على أنه كان يحدث في كثير من الأحوال شفويًّا، ونجد في المتون التي وصلت إلينا أن الطالب أو الشاكي أو صاحب الرجاء على حسب حالته كان يعبر عنه في المتون: «قال للإله» أو «نادى» أو «أعلن الإله». ونجد في حالتين أنه قد وُضع أمام قائمة بأسماء أشخاص أو بأسماء بيوت (راجع Pap. British Museum 10335, Ostr. Gardiner, 4, 4–5).

ونجد أحيانًا من جهة أخرى أن السؤال كان يقدَّم كتابة، فمثلًا في موضوع محاكمة «تحتمس» الذي سبق ذكره (راجع الجزء الثامن) نجد أنه قد كتب كتابين ذكروا في أحدهما إثبات التهمة، والآخر نَفْيَها عنه، ثم وضع الكتابين أمام الإله. وفي حالة أخرى قيل: إن الكتابين قد وُضِعَا أمام الإله الأعظم حتى يقضي بحكمه السديد (راجع Pap. Turin p. R. 126, 3–4).

وقد كان يوضع أحيانًا اسم شخص غائب أمام تمثال الملك «أمنحتب الأول» المؤله في كل عيد من أعياده للوصول إلى معلومات عنه (J. E. A. XII p. 185).

وهذا كان لا يمكن أن يتأتى إلا بالكتابة، وفي هذه الحالة يجيب كذلك الإله كتابة (راجع Ostr. British Museum 5624 verso 7).

وهذه الطلبات المكتوبة التي كانت تُطْلَب من الإله الإجابة عنها كانت لا بد تحدث كثيرًا على حسب ما يمكن فهمه من الأمثلة القليلة التي وصلت إلينا.

ومن الغريب أنه لم يصل إلينا من العهد الفرعوني الأصيل إلا رقعتان (استراكون) يمكن الإنسان أن يطبِّق عليهما لفظة شكوى أصلية موجهة للوحي: إحداهما بالمتحف البريطاني (راجع J. E. A. Vol. XII p. 183)، وهاك ترجمتها:

تفاصيل عن كل سرقة ارتكبت ضدي بوساطة العامل «نختموت»

لقد ذهبوا إلى بيتي وأخذوا رغيفين كبيرين، وثلاثة أرغفة منوعة، وأهرقوا عطوري، وفتحوا مخزن حنطتي، وسلبوا قطعة قصدير، وذهبوا إلى مخزن المرفأ وسلبوا نصف الخبز — كرشتو الخاص بأمس، وأهرقوا زيت نحح.

وفي الشهر الثالث من فصل الصيف، اليوم الثالث عشر، في أثناء الاحتفال بطلعة الملك «أمنحتب»، ذهبوا إلى المخزن وسلبوا ثلاثة أرغفة (عقو) كبيرة، وثمانية أرغفة (سعب)، وفطيرة «رحو»، وقعب نبيذ، وفتحوا مكيال جعة (بزقت) كانت موضوعة على الماء (لتبقى باردة؟) عندما كنت في بيت «خن» والدي، فاعمل يا سيدي على أن ترد لي كل خسارتي.

والجملة الأخيرة تدل صراحة على أن هذه كانت شكاية صريحة وضعت أمام تمثال العبادة الخاص بالملك المؤلَّه «أمنحتب الأول».

وواضح أن الشاكي كان تاجرًا له مخزن على مرفأ غربي «طيبة»، ويحتمل كذلك أنه كان يملك محل تجارة في «طيبة» الغربية نفسها، وقد سُرِقَ متجره ومخزنه بوساطة «نختموت» وعصابته. وحدث بعد ذلك أنه في مناسبة عيد «أمنحتب» الذي كان يجتمع فيه كل سكان «طيبة الغربية»، وكان الشاكي بين هذه الجموع، وهو يراقب أو يشترك في حفل هذا الإله المحبوب؛ أن اقتحم اللصوص باب مخزنه الذي ربما كان متصلًا بمنزله، وقد ذكر الشاكي أنه كان في بيت والده في اجتماع أسري كان قد عُقِدَ هناك بمناسبة هذا

العيد، وبعد انتهاء الاحتفال عاد المحتفلون به لإقامة الولائم في بيوتهم، وقد وجد الشاكي بيته ومخزنه قد سطا اللصوص عليهما، وسلبوا متاعه السالف الذكر؛ ولذلك جاء يطلب النَّصَفَة من تمثال الإله بالكشف عن السارق.

والاستراكون الثانية في متحف برلين (راجع Bulletin de l'Inst. XXVII p. 177-8)، وهاك ترجمتها:

> تعالَ إليَّ يا سيدي، لقد بدأت والدتي وأخواتي جميعًا الشجار معي قائلة (والدتها): لقد أعطيتك نصيبين من النحاس كان قد أعطاهما إياي والدي، ويحتويان على سخان وموسى وإناءين «نو»، وكان الكاتب «بنتاور» هو الذي أعطانيها، وقد أخذتها مني واشترت (٦) مرآة بالقيمة التي قدرتها لها (أي للأم وللإخوة)، ويبلغ ذلك مائة دبن (٧) وقد أعطاني والدي خمس حقائب من الحنطة، وحقيبتين من الشعير، وكانت ملك زوجي (أي هذه الأشياء) مدة سبع سنين، ولم يتسلم (من ثمنها) إلا أربع حقائب حنطة، وأنهما رجل وامرأة (وعلى ذلك تسلمت نصيبين وهما لي ولوالدتي).

ويلاحَظ أن هذه الوثيقة تختلف عن الوثائق الأخرى الخاصة بالوحي التي لا نجد فيها إلا ذكر حوادث مضت يقصها الكاتب، على حين أن في الوثيقة التي نحن بصددها نجد الشاكي يقدم لنا شكايته كما نطق بها هو، وبذلك نراه يقول في البداية: «يا سيدي» مخاطبًا الإله مباشرة، ويُفهَم أن المتحدث هنا امرأة.

والواقع أن هذا المتن مبهم المعنى، ولا يمكن حله بطريقة مفهومة تمامًا، ويمكن محاولة تلخيصه كالآتي مع التحفظ التام: وذلك أن والدة المدعية وأولادها تدعي أنها أعطت بنتها على ما يظهر بمناسبة زواجها نصيبين من النحاس بمثابة مهر، ومع ذلك فإن المدعية تقول: إن هذين النصيبين ليسا من والدتها ولكن من والدها، وإن الكاتب «بنتاور» — وهو موظف رسمي — قد قام بتدوين نقل هذه الملكية، وعلى الرغم من ذلك استولت الأم على الأشياء التي يتألف منها هذان النصيبان: مرآة يقدر ثمنها بالمبلغ الذي حددته المدعية وهو مائة دبن، ومن جهة أخرى تسلمت المدعية من والدها دخلًا مقداره خمس حقائب حنطة، وحقيبتان من الشعير، وهو ما كان يخص زوجها، غير أنه لم يتسلم إلا أربع حقائب وأنها لرجل وامرأة؛ أي هي وزوجها، وبهذه الكيفية يكون ما تسلمته هو نصيبان لها ولأمها.

وقد جمع الأستاذ «شرني» عدة استراكا كُتِبَ على كل منها متن قصير جدًّا ليس من السهل حله لأول وهلة، وقد عثر على معظم هذه المتون في «دير المدينة» (راجع Bull De l'InstIt. XXVII p. 43ff). والمقصود من كل متن هو إجابة الإله عليه بما يرى، ولا يدهشنك أن هذه المتون في العادة مبهمة؛ فإن الطالب كان يضع سؤاله للإله في عبارة قصيرة؛ لأنه كان مفروضًا أن الإله على علم بالموضوع، وهاك بعض الأسئلة القصيرة:

(١) هل سيعين «سبتي» كاهنًا؟
(٢) هل هو الذي سرق هذه الحصيرة؟
(٣) هل أناس المقبرة الملكية سرقوها؟ (أي الأشياء).
(٤) يا سيدي الطيب! هل ستعطي الجرايات؟
(٥) يا سيدي الطيب، إنه قال ذلك حقيقة.

ويدل كل ما لدينا من وثائق عن الوحي على أن هذه الاستعلامات لم تكن خطابات ترسل للإله، بل كانت إما أسئلة أو ذكر بيانات وحسب.

والواقع أن مسائل الوحي في العهد الفرعوني كانت تختلف كثيرًا عن مسائل الوحي في العهد الإغريقي الروماني؛ لأن الأخيرة كانت تتألف عادة من ثلاثة أجزاء (A. Z. LXVII p. 110–12)، وهي:

(١) خطاب موجه للإله في صيغة المنادي، أو كانت توجه في صيغة بيان وحسب، وقد ذكرنا حالتين في اللغة المصرية جاءتانا في صيغة المنادي: «يا سيدي الطيب».
(٢) يكون السؤال نفسه مباشرًا أو غير مباشر، (في حين أنه في العهد المصري تكون صيغة الإثبات أو صيغة الأمر، وهما الحالتان اللتان نجدهما كثيرًا).
(٣) ذكر صلاة أو دعاء مثل: «اكشف لي يا إلهي عن ذلك» أو ما يشبه هذا التعبير، وهذا مالم نجده قط في الاستراكا الصغيرة التي تحدث عنها «شرني» إلا في حالة واحدة.

إذ نجد في السؤال الموجه للوحي ما يأتي: «هل حور نزل فيه (أي تقمصه)؟ أرسل الحقيقة» (راجع Cerny, Bull. Ibid No. 11).

أما عن كيفية عمل الوحي فقد اقترح الأستاذ «شوبارت» عن العصر الإغريقي الروماني تفسيرًا (A. Z. LXII p. 114) مُرْضِيًا؛ فقد كانت الأسئلة المكتوبة توضع في إناء مختوم الواحدة بعد الأخرى، وعند فتح الإناء ثانية كانت تخرج الأسئلة وتحتها الأجوبة التي كان يُظَنُّ أن الإله قد كتبها.

أما العصور الأقدم من هذا العصر أو بعبارة أخرى العصر الذي تنسب إليه الاستراكا الصغيرة التي نحن بصددها؛ أي عصر الأسرتين: التاسعة عشرة، والعشرين؛ فكانت الطريقة لا بد مختلفة؛ إذ لم نجد في متون الاستراكا أي: جواب أجاب به الإله؛ لأن هذه في الواقع ليست أسئلة حقيقية، بل مجرد ذكر وقائع أو أوامر، وهي بهذه الكيفية كانت لا تتطلب بالضبط جوابًا. هذا فضلًا عن أن المتون الخاصة بالوحي — ولدينا عدد لا بأس به منها — لا تتحدث عن طريقة كالتي ذكرها المؤرخ «شوبارت»؛ إذ كان من الصعب أن يحدث مثل ذلك خلال الأحفال التي كان يظهر فيها الآلهة، وهي اللحظة التي كانت تعد الوقت المناسب إن لم تكن الوقت الوحيد الذي يَعرض فيه المتظلمون شكاياتهم للفصل فيها حالًا، ولا شك في أن جواب الإله كان يأتي في الحال بعد وضع السؤال مباشرة على حسب المتون التي بين أيدينا.

ونعلم أن الجواب بالرضا في العهد الفرعوني كان يعبَّر عنه في المتون المصرية بلفظة «هن»، ونعلم منذ زمن بعيد أن هذه اللفظة تدل على الجواب بالقبول، ويدل مخصص هذه الكلمة وهو الرأس على أن الجواب كان يحدث بتحريك رأس الإله، والمظنون أنه كانت توجد آلة في تمثال الإله فيتمكن الكاهن بوساطتها من تحريك رأس التمثال، وهذه الحركة بالرأس تُستعمَل حتى يومنا هذا علامة على الرضاء، ومن ثم أصبح معنى الكلمة المصرية يدل على القبول.

وكذلك عندما نقرأ في نقوش الكاهن الأكبر «بينوزم» أنه قد وُضِعَتْ أمام الإله وثيقتان مكتوبتان، وأن الإله قد أجاب بأخذ إحداهما؛ فإنه ليس من حقنا أن نفرض أن التمثال قد أخذها في يده؛ إذ إن الفعل «أخذ» هنا في اللغة المصرية يدل على معنى مجازي، وهو على ما يُظَنُّ يختار، وليس لدينا ما يدل على كيفية هذا الاختيار.

وقد ذكرنا من قبل أن الرفض قد يعبَّر عنه بالرجوع إلى الوراء أو التقهقر إلى الوراء؛ أي إن الإله قد تقهقر من الفكرة المعروضة أمامه.

ونقوش الكاهن «بينوزم» الثاني هامة بالنسبة لموضوع الوحي وما يوحَى به إما بالقبول أو بالرفض، وذلك أننا نجد فيها عند الاستشارة في موضوع الموظف الكبير «تحتمس» وللحكم عليه إذا كان مذنبًا أو بريئًا أنه وُضِعَ أمام تمثال الإله وثيقتان مكتوبتان: إحداهما ذُكر فيها أنه بريء مما نسب إليه، والثانية أنه غير بريء مما نسب إليه، وأن الإله كان في يده أن يفصل في أيهما تدل على الحقيقة. وقد لا يكون الحكم بين شيئين وحسب بل قد يكون بين عدة أشياء (كما ذكر من قبل).

وتدل شواهد الأحوال على أننا لو طبقنا هذه المعلومات الخاصة بطلب رأي الوحي الذي كان يوحي به تمثال الإله على مجموعة الاستراكا الصغيرة، التي جمعها الأستاذ «شرني»؛ فإنه يمكننا أن نستخلص أنها كانت تستعمل بالكيفية الآتية: كان المتظلم يكتب ملتَمَسَهُ بوساطة كاتب على استراكونين: إحداهما كتب عليها بالإيجاب، والثانية بالنفي، وذلك في صورة سؤال أو بيان أو أمر؛ فمثلًا إذا أخذنا على سبيل المثال موضوع الزواج فيكون لدينا الحقائق التالية:

(١) **السؤال والجواب:** هل سأتزوج؟ هل لا أتزوج؟
(٢) **بيان:** سأتزوج لن أتزوج.
(٣) **أمر:** تزوج لا تتزوج.

وبعد ذلك كانت توضع استراكونان على الأرض أمام التمثال الإلهي الذي كان يُحمَل على أعناق الكهنة في أثناء الاحتفال به، وكان كل من الاستراكونين على أحد جانبي الطريق التي يمر بها التمثال، وكان التمثال يجيب عند الاقتراب من الواحدة أو الأخرى، أو كانت توضع الاستراكون التي تدل على الإجابة بالموافقة أمام موكب تمثال الإله، والتي تدل على الرفض خلفه، وكان التمثال عندما يتقدم ينتخب الوثيقة التي تدل على الموافقة (هثن) أو التي تدل على الرفض (نعي-ن-حا).

والواقع أن الآلهة كانت تشترك في حياة الشعب المصري القديم اشتراكًا وثيقًا؛ فقد كانت لا تمر حادثة إلا رأيت تأثير الآلهة أو إرادتهم فيها، وبخاصة مع الآلهة المحليين، وقد كان ضمن العادات الدنيوية الشائعة عند عامة الشعب أن يستشيروا الآلهة قبل القيام بعملٍ ما، وبخاصة في عهد الدولة الحديثة كما قلنا من قبل.

وقد كان الآلهة يجيبون عن طلبات استشارات القوم بطرق مختلفة ذكرنا منها الكثير، وكانت إما بالكهنة، أو كان الإله يجيب شخصيًّا، وهذا ما أثر تأثيرًا كبيرًا في المتدينين منهم، وكان يحدث أحيانًا أن يجيب الإله عن سؤال وضع له عن أحلام رآها السائل في نومه، وكان تفسيرها بالإجابة عن السؤال بإحدى الطرق السابقة، أو بالتكلم بصوت خفي سري، إما في الغابات أو في الصحراء، وهو ما يعبر عنه بالهاتف، وكانت تماثيل الإله المقامة أحيانًا في المعابد تقوم بعمل حركات غير منتظرة، وذلك برفع اليد، أو تحريك الرأس كما ذكرنا من قبل، وغير ذلك من الحركات التي كان يخترعها الكهنة.

وقد كان الكهنة هم دائمًا المترجمون لإرادة الآلهة، بل كانوا أحيانًا هم الممثلون والمنظمون لهذا العمل الإلهي، وكان القوم يعلمون ذلك، ومع هذا فإن ذلك لم ينقص من قيمة الوحي أو قوته في أعين المتدينين من الشعب.

وقد ذكر لنا الكاتب «بليني» عند تحدثه عن استشارة الوحي أنه كانت تتخذ كل الاحتياطات بألا يحذف كلمة واحدة من كلامه؛ ولذلك كان ينطق بها حتى لا يرتكب خطأً فيه وكان يفسر كله على حسب صيغ منظمة تمامًا (ارجع Pline, XXVIII, 2 Juvenal, Satire VI, 390).

وقد كان الكهنة أحيانًا يرتدون أشياء تُصَوِّرُهُمْ بصور الآلهة، وبخاصة الرءوس المستعارة التي كانت تصورهم في صور الآلهة الذين كانوا يمثَّلون بصور حيوانات؛ فلدينا في معبد «دندرة» لوحتان غريبتان في بابهما: الأولى نشاهد عليها رجلًا راكعًا على تمساحين، قابضًا بإحدى يديه على عقرب من الذنب، وتدل نسبة الرسم بين الرجل وهذه الحيوانات على أن الأخيرة كانت صناعية، ويلاحظ في الصورة أن رأس الرجل يغطيه وجه مستعار يمثل الإله «حور» أي: الصقر وعلى كتفيه جناحا هذا الإله، وعلى ذلك فهو يمثل الإله «حور» على التمساحين. أما اللوحة الثانية فتمثل كاهنًا واقفًا يغطي رأسَه حتى الكتفين برأس مستعار يمثِّل رأس الإله «أنوبيس» (ابن آوى)، ويوجد في متحف «برلين» «هلدزهيم» في أواسط ألمانيا رأس مستعار مماثل للسابق مصنوع من الطين المحروق، وكذلك يوجد في متحف «اللوفر» بالقسم المصري وجه مستعار من الخشب يمثل رأس «أنوبيس» (ابن آوى)، ويلاحَظ أن فكه متحرك، وهذه الخاصية تسمح للكاهن أن يحرك فكه، وبذلك كان يقلد الإله «أنوبيس» متكلمًا من وراء ستار.

والواقع أننا لا نعرف على وجه التأكيد الاستعمال العادي للوجوه المستعارة التي من هذا الصنف، ولكن يمكننا أن نفرض أنها كانت تستعمل في الأحفال وإقامة الشعائر الدينية.

ويلاحَظ أن عدد الكهنة والكاهنات الذين كانوا يلبسون هذا الرأس المستعار كان كبيرًا في عهد أواخر الدولة الحديثة، وقد ازداد هذا العدد في عهد البطالمة والرومان، ولم تكن كل التماثيل لها ميزة الإجابة عن أسئلة المتدينين الذين يستشيرونهم، بل كان ذلك قاصرًا على التماثيل التي صُنِعَتْ بخاصة لهذا الغرض؛ فقد كان بعضها يُصنَع ومعه آلات خاصة يستعملها الكهنة، وذلك بتحريك عضو من أعضائها كانحناء الرأس وغير ذلك. ولدينا في متن لوحة «بختان» جملة غريبة في بابها، حيث نجد أن الفرعون يخاطب

تمثال الإله «خنسو»، ويطلب إليه أن يدير رأسه نحو«بختان»، وقد وافق الإله على ذلك بهز رأسه بقوة مرتين.

وكانت توجد من جهة أخرى تماثيل مجهزة بفوَّهات كان يُرى فيها صدى صوت الكاهن كأنه صوت التمثال أو صوت الإله نفسه، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا أي نموذج من هذا النوع كما يقول «مسبرو»، وكان يَظُن هذا الأثري أن الكاهن كان يتكلم باسم الإله الذي يوحي إليه (راجع Maspero, Causeries d'Egypte 1907, p. 167–173)، ويظن العالم الفرنسي «جارنو M. Garnault» أن الكهنة كانوا يستعملون الطريقة التي كانت تسمى التحدث من البطن، وهذه الطريقة تنحصر في أن أشخاصًا كان في مقدورهم أن يغيروا أصواتهم الطبعية بخنقها بطريقة خاصة عند خروجها من الحنجرة بصورة متقنة تمامًا حتى يخيل للإنسان أن الصوت آت من مكان بعيد نسبيًّا، وقد كان يُظَن فيما مضى أن هؤلاء الذي يحْذِقُون هذه العملية يتكلمون من بطونهم، وكانت المرأة البيثية في «دلفي» تؤدي الوحي الخاص بالأزمان الغابرة بهذه الكيفية، على أنها لم تكن تتحدث من بطنها، بل كان الإلهام بالوحي يصل إلى بطنها، وعندما تحدث «إسترابون» عن كلام الوحي الخاص بمعبد «آمون» القائم في واحة «سيوة»، وهو الوحي الذي كان موجهًا للإسكندر الأكبر؛ فإنه فسره بصورة حقيقية (Strabon, XVII, 43) وهاك ما كتبه: «يقص علينا المؤرخ «كالستن Calisthene» أن الإسكندر قد سُمح له وحده أن يدخل المحراب ليسمع جواب الوحي، وأن الكاهن كما هو مفهوم قام مقام الإله «جوبيتر» (المشتري) ولعب دوره، فأجاب الملك بصوت عال وبوضوح تام بأنه (أي الإسكندر) هو ابن المشتري.»

وقد قص لنا «هيرودوت» (Herod., 1, 139) أن في مصر كان إلهام الوحي في معبد «المشتري» أو «هرقل الطيبي»، ووحي «أبوللون» و«مرفا» و«ديان» و«مارس»، وبوجه خاص في معبد «لآتون» في «بوتو»، وقد ذكر كذلك وحي الإله «بس» في «العرابة» وفي «هليوبوليس» وبالقرب من «أنتنوي» (بالقرب من الشيخ فضل الحالية).

وذكر «إسترابون» (Strabon, XVII, 59) وحي «آمون» المشهور في واحة «سيوة»، وكان وحي معبد «دكه» ببلاد النوبة ذا مكانة عظيمة عند قدماء المصريين، وغالبًا ما كان القوم يطلبون الإيحاء من العجل المقدس «أبيس» الذي كان يعد حاجب الإله «بتاح» في معبده «بمنف»، كما ذَكَرَ ذلك كثير من كُتَّاب الإغريق والرومان (ارجع Pline, XIII, 71; Ammien Marcellin XXII, 14 وغيرهما).

وقد عُثِرَ في سنة ١٩٢٤ في «المدمود» على منظر للعجل المقدس في هذه الجهة، وهو يؤكد وجود وحي في «المدمود» يؤديه الثور المقدس، ونجد فيه تفاصيل هامة عن طريقة استجواب هذا الوحي، فنجد الإمبراطور الروماني (والمحتمل أنه «تراجان») قد مُثِّل في المنظر وهو يخاطب الثور المقدس الذي يتعبد إليه:

> يأيها الثور العظيم، إن مكانتك تعظم بصوتي، وإنك تتحرك على حسب كلامي، وإن قلبي راض لأنك تأتي.

ولكن ما هو أكثر أهمية وتوضيحًا لهذا المنظر أنه قد مُثِّل خلف الثور المقدس الإله «منتو–رع» الذي يجاوب الإمبراطور عندما يسلم على الثور، ويعلن تحقيق ما جاء الوحي (في النقوش التي خلف الإله) بالألفاظ التالية:

> … إن وحيي الخاص بك هو أن تقرر ما تريد، وإني سأخدم قلبك من أعلى. «عليين Empyree».

وفي عهد الدولة الحديثة نجد الملكة «حتشبسوت» قبل أن ترسل بعثها إلى بلاد «بنت» للبحث عن الروائح العطرية والبخور استشارت وحي الإله «آمون» في «طيبة»، وبعد أن أجابها الإله بالقبول أمرت بسفر البعثة. ونعلم كذلك أن الإله «آمون» قد أوحى بأن يكون «تحتمس الثالث» خلفًا لوالده «تحتمس الثاني» على عرش الملك، وذلك بوساطة أمر أصدره الإله من «فمه في نفس المحراب».

وقد ذكرنا من قبل أن الكاهن الأكبر لآمون المسمى «نبوننف» قد انتُخب بوساطة الوحي في غيابه؛ ليكون الكاهن الأكبر «لآمون»، وقد انتخبه الإله «آمون» نفسه (راجع مصر القديمة الجزء السادس).

وفي عهد الأسرة الإثيوبية التي حكمت مصر كانت نصائح تماثيل الوحي الخاصة بالإله «آمون» وإرشاداته في «نباتا» تلعب دورًا عظيمًا في انتخاب الفرعون المرشح للملك على حسب ما ذكره «ديدور الصقلي» (راجع Diodore III, 5).

وقد ذكر لنا «هيرودوت» عن الفرعون «شبكون» أحد ملوك هذه الأسرة (راجع Herod, II 130–139) أنه قد تولى عن مصر بسبب تنبؤات ونصائح أفضى بها الوحي إليه.

وقد كان الوحي بوصفه صوتًا إلهيًّا يلعب دورًا خطيرًا في انتخاب الملوك والكهنة العظام والقضاة، لا في مصر وحدها بل كذلك عند بني إسرائيل واليونان، كما يقص علينا ذلك كثير من الكتاب الأقدمين.

وقد كَتَبَ أخيرًا «أدولف لودز» مقالًا ممتعًا عن الدور الذي كان يلعبه الوحي في تعيين الملوك والكهنة والحكام عند الإسرائيليين والمصريين واليونان (راجع Melanges Maspero I p. 91–100).

أما عن بني إسرائيل فلدينا متن معروف يقص علينا كيفية تعيين أول ملك وطني إسرائيلي (راجع سفر «الملوك الأول» الفصل العاشر سطر ١٧–٢٤) وهاك نصه: «ثم إن صموئيل استدعى الشعب إلى الحرب في المصفاة (١٨) وقال لبني إسرائيل: قد قال الرب إله إسرائيل: أنا الذي أخرج إسرائيل من مصر وأنقذكم من أيدي المصريين ومن أيدي جميع الممالك التي ضايقتكم، (١٩) وأنتم اليوم قد رفضتم إلهكم الذي هو مخلِّصكم من جميع ويلاتكم وشدائدكم، وقلتم له: أقم علينا ملكًا. فقفوا الآن أمام الرب على حسب أسباطكم وعشائركم. (٢٠) ثم قدم صموئيل جميع أسباط إسرائيل، فأخذ سبط بنيامين (٢١) ثم قدم سبط بنيامين بعشائره فأُخذت عشيرة مطري، وأُخذ شارل بن قيس فطلبوه فلم يوجد، (٢٢) فسألوا الرب أيضًا: هل أتى الرجل إلى هنا؟ فقال الرب: هو ذا قد اختبأ بين الأمتعة، (٢٣) وأسرعوا وخذوه من هناك. فوقف الشعب فإذا هو يزيد طولًا على الشعب كافة من كتفه فما فوق، (٢٤) فقال صموئيل لجميع الشعب: أرأيتم أن الذي اختاره الرب لا نظير له في جميع الشعب؟ فهتف الشعب كله وقالوا: يحيا الملك.»

وهذا المتن على حسب قول بعض المؤرخين يحمل في طياته الخروج على نظام الملكية الغاشمة؛ إذ إن ما جاء فيه يدل على أن الملك في هذه الحالة قد انتُخب بتدخل الوحي على نظام الاقتراع. والواقع أن نظام الرجوع إلى الوحي بطريقة الاقتراع (البخت) كان نظامًا عاديًّا، وقد استمر يُعمَل به عند الإسرائيليين في عهودهم المتأخرة، غير أن الأستاذ «لدز» يميل إلى القول بأن نظام انتخاب الملك في «إسرائيل» كان وراثيًّا في الأسرة الحاكمة حتى عهد «شاوول».

ولا شك في أن كثيرًا من الأمم القديمة قد استعمل نظام الوحي بالاقتراع عند تعيين حكامهم، وأحسن حالات معروفة لنا تاريخيًّا في انتخاب كبار الموظفين في مصر القديمة الكاهن «نب وننف» الذي تحدثنا عنه فيما سبق.

وكذلك نجد أن هذه الطريقة كانت متبعة عند أهالي «أثينا»؛ فقد كانوا يَنتَخِبون بالاقتراع أعضاء مجلس الخمسمائة، وكذلك الأعضاء الذين كانوا يعينون رؤساء له على

التوالي، وقد كان كل واحد منهم يتولى رياسة المجلس يومًا، وبهذه الطريقة كان كذلك ينتخب «الأثينيون» قضاتهم وحتى الحكام العظام، والآن يتساءل الإنسان: هل كان أهل «أثينا» خاضعين في انتخاباتهم هذه لعواطفهم الدينية أو كان ذلك لأغراض سياسية مبيتة؟ وفي الحق قد انقسمت آراء المؤرخين في هذا، فيرى بعضهم (راجع Fustel de Coulange. Le Cite Antique p. 213–14) أن هذا يرجع لتفسير ديني، ويرى الفريق الآخر أن الغرض منه المساواة في الحقوق (راجع Les Democraties Antiques, Paris Flammarion (1909) p. 81–83).

وتدل شواهد الأحوال على أن الرأيين كانا يؤخذ بهما معًا حتى في «أثينا» نفسها منذ القدم؛ إذ يقول «أفلاطون»: «فالرجل الذي كانت تقع عليه القرعة فإنا نقول عنه: إنه عزيز لدى الإله. ونجد أنه من الصواب أن يحكم، وفيما يخص كل وظائف الحكم العظيمة التي لها علاقة بالأمور الدينية فإنها كانت بالاقتراع، وكان يترك للإله اختيار هؤلاء الذين يرضى عنهم.» (راجع Lois III p. 690, VI p. 759).

وعلى ذلك كانت المدينة تظن أنها تتسلم حكامها من الآلهة، ومن جهة أخرى يعتبر «أرسطاليس» أن الاقتراع كان إجراءً ديمقراطيًّا أصيلًا؛ لأنه كان يحقق فرصة العدالة بين المواطنين جميعًا، وذلك على عكس الانتخاب، فإنه كان أرستقراطيًّا (راجع Croiset, Les Democraties Antiques p. 81).

وقد أظهر الأستاذ «مسبرو» أسفه لعدم وجود تمثال متكلم من التي كانت تتحدث إلينا بالوحي حتى زمنه، ولكن لحسن الحظ قد وُجد حديثًا عند أحد تجار الآثار تمثال نصفي يغلب على الظن أنه كان من الصنف الذي يبحث عنه «مسبرو»، وهو يمثل الإله «رع حور ماخيس» في صورة إنسان برأس صقر، ويوجد في ظهره حفرة ليمكن تثبيته في الحائط كما قال بائعه، ويبلغ ارتفاعه ٥١ سنتيمترًا، وعرضه ٤٤ سنتيمترًا، وسمكه حوالي ١٧ سنتيمترًا، ويلبس التمثال قميصًا وعباءة ملكية ذات ثنيات، ويشاهَد على التمثال بقايا ألوان، فنشاهد بعض اللون الأحمر على الوجه، واللون الأزرق على الإكليل والعباءة، ويحلِّي رأسَ الإله تاجٌ إمبراطوري من أوراق البلوط عليه تاج صغير مزدوج لملك الوجه القبلي والوجه البحري، وخلف الرأس يسطع إكليل ثور عظيم، وقد نُقِشَ ظهر التمثال بإتقان؛ فقد حُفِرَ عليه من ارتفاع القفا حفرة بيضية حافتها العليا على مسافة ثلاثين سنتيمترًا من قاعدة التمثال، والحافة السفلية على مسافة ٢١ سنتيمترًا، وارتفاع الحفرة ٠٫٠٩ من المتر، وعرضها ٠٫٠٨ من المتر، وعمقها عشرة سنتيمترات.

ويوجد في هذه الحفرة من الجهة اليمنى قناة ضيقة مساحتها ٠٫٠١٥م × ٠٫٠١م، وطولها ٠٫٠٢ من المتر، وتنتهي بالضبط تحت الأذن اليمنى للإله بفتحة بيضية تقريبًا، وهذا الفتحة الصغيرة لا تُرى إذا نظر الإنسان للتمثال من وجهه.

والظاهر أن هذا التمثال النصفي كان يوضع في قديم الزمان على قاعدة مرتفعة، والواقع أن أسفل التمثال مسطح تمامًا؛ مما يدل على ذلك.

وإذا كان الكاهن — الذي كان يقعد خلف التمثال مختفيًا وراء التاج العظيم وجسم التمثال ولذلك لا يراه أحد — يقرِّب فاه من الحفرة ويتحدث، فإن صوته الذي تتغير نبراته كان يرن من الفتحة الصغيرة حتى يخيل للسامع أن التمثال نفسه هو الذي يتكلم.

ولا نزاع في أن هذا التمثال النصفي يمثل الوحي القديم، أو بعبارة أخرى كان يعد تمثالًا متكلمًا، وهو النموذج الوحيد — إذا صح هذا التفسير — لتماثيل الوحي في مصر القديمة التي جاء ذكرها في كثير من كتابات المؤلفين القدامى، ويدل وجود التاج الإمبراطوري المصنوع من ورق شجر البلوط، وكذلك العباءة الرومانية التي يرتديها التمثال والإكليل الذي حول رأسه على أن هذا التمثال النصفي للإله «رع حورماخيس» يرجع تاريخه للعصر المصري الروماني؛ أي ما بين القرنين: الثاني، والثالث بعد المسيح (راجع Lonkianoff A. S. XXXVI. p. 187ff).

هذا، وقد وافتنا الكشوف الحديثة بطريقة أخرى عن كيفية إبلاغ الوحي، وذلك أنه عُثر في «كوم وسط» (مركز المحمودية مديرية البحيرة) على قاعدة تمثال وجزء من نفق مصنوع من البرنز متصل بهذه القاعدة، وهذا النفق مؤلف من جزءين: قاعدة، وغطاء. وأحرف القاعدة متجهة إلى أعلى من كل جهة إلى ارتفاع ٤٫٦سم مكوِّنةً بذلك حواجز يبلغ ارتفاعها ١٧٫٧سم، ويلاحظ أن أحد أطراف النفق قد أُعِدَّ ليُرَكَّبَ في أحد طرفي القاعدة بواسطة مسمار، وهذا الطرف كان سليمًا، والطرف الآخر كان مهشمًا بعض الشئ، أما قاعدة التمثال فيبلغ طولها ٥٨سم، وعرضها ٢٤سم، وارتفاعها ٢٦سم، وتحتوي على ثقوب؛ مما يدل على أنه كان فيها مسامير لوصل النفق بها، وفي أعلى القاعدة توجد أربع حفر لتثبيت أقدام حيوان من ذوات الأربع، ويحتمل أنه كان ثورًا. وتدل الصورة التي أُخذت بعد كشف هذا الأثر مباشرةً أنه كان موضوعًا على الأرض على رقعة من الحجر الجيري، وهذا النفق لا بد كان مخفيًّا تحت الأرض. أما تاريخ هذا التمثال فنعرفه من الآجُرِّ المحروق الذي كانت مبنية به الحجرة التي وجد فيها، وبعبارة أخرى يرجع إلى العصر المتأخر من عهد البطالمة أو العصر الروماني المصري.

وليس لدينا أي تفسير معقول لوجود قاعدة هذا التمثال والنفق المتصل بها؛ إلا أن هذا الأثر كان خاصًّا بالوحي، وذلك أن أصحاب الحاجات الذين كانوا يأتون بقرباتهم ليقدموها أمام تمثال الحيوان المقدس، ويطلبون إليه إجابتهم عن أسئلتهم كانوا يتلقون الإجابة بأصوات، ويحتمل أنها كانت كلمات تخترق النفق، يقولها كاهن يقعد بعيدًا عن النظر عند الطرف الآخر من النفق. هذا، وقد تحدثنا عن الوحي في منظر على أحد جدران معبد المدامود، وقد ظهر فيه قاعدة تمثال بالضبط كالتي نحن بصددها يقف عليها ثور وأمامه إمبراطور روماني يقدِّم له القربان، غير أنه ليس لدينا معلومات عن مكان الوحي في معبد المدامود؛ ولذلك لا نعلم إذا كان يستعمل مثل الأثر الذي نحن بصدده الآن.

ومما سبق يمكن القول بأن «كوم الوسط» قد قدَّم لنا للمرة الأولى تفسيرًا للطريقة التي يمكن أن يجعل بها التمثال يجيب عن أسئلة توضع له.

وقد كان هذا الموضوع مثار بحث وتفكير دائم، وقد اقتُرِحَت عدة اقتراحات مختلفة بعضها مستحيل وبعضها مقبول كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد كتب الدكتور «أحمد فخري» عن الوحي في «واحة سيوة» (راجع Siwa Oasis p. 41–14).

وقد قال الأستاذ «ويز» الأثري الإغريقي: إنه كان يوجد في معبد «كورنث» نفق من هذا النوع، غير أنه كان كبيرًا يسع كاهنًا يزحف فيه، وكان يتكلم بصوت يمكن أن يسمعه أي فرد واقف أمام وجه الحائط. هذا، وكان المدخل السري للنفق في هذه الحالة مسدودًا بلوح من الحجر (راجع A. S. T. XLII p. 293ff).

التحنيط في عهد الأسرة الواحدة والعشرين

تحدثنا في الجزء الثاني من هذه الموسوعة عن التحنيط عامة، والمواد التي كانت تستعمل في عمله في مختلف العصور خاصة، ولكن قد دل الفحص العلمي على أن عملية التحنيط قد حدث فيها تغيرات غريبة في أساسها في عهد الأسرة الواحدة والعشرين لا بد أن نذكر هنا، أولًا أنه في عهد حكم الملك الكاهن «حريحور» وأخلافه المباشرين قد ظهر نشاط عظيم في إصلاح الآثار الباقية المهلهلة التي خلفها لنا ملوك الأسر الملكية الثلاثة السالفة العظيمة، وبخاصة موميات الملوك والكهنة وما أصابها من عطب على يد لصوص المقابر في الأزمان القديمة.

والواقع أنه عندما كشف عن خبيئة «الدير البحري» عام ١٨٨١، وما تحتويه من موميات ملكية، ظهر على أكفان هذه الموميات وتوابيتها الخشبية عدد عظيم من الكتابات الهيراطيقية مدونة بالمداد الأسود ذُكر فيها الإصلاح الذي عُمِلَ لكل مومية، أو الخطوات التي اتُّخِذَت لحفظها من العطب بنقلها إلى مقبرة أخرى، وقد دل الفحص على أن اللصوص عند بحثهم عن الكنوز التي كانت مع كل مومية مزقوا اللفافات، وألحقوا أضرارًا بالموميات نفسها، ومن ثم كان على أتقياء القوم أن يصلحوا ما تمزق من هذه الأكفان أو وضع غيرها، ولا بد أنهم كانوا قد دُهشوا من أن المحنطين لم يفلحوا كل الفلاح في حفظ الشبه الحقيقي الحي لموميات أسلافهم. وتدل شواهد الأحوال على أن مشاهدتهم أشكال كثير من هذه الموميات وهي منكمشة مشوهة قد ترك أثرًا عظيمًا في نفوس محنطي الأسرة الواحدة والعشرين؛ مما دلهم على ما في صناعتهم من نقائص وعيوب لا بد من العمل على تلافيها، ونحن نعلم من جانبنا على أقل تقدير أنه بعد الدرس العملي الذي تعلمه محنطو الأسرة

الواحدة والعشرين من فحصهم موميات الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين، قد جعلهم يجتهدون في وضع طرق لجعل المومية تظهر في شكلها الطبيعي الذي كانت عليه في الحياة الدنيا، وبخاصة أن تكون ساقاها ممتلئتين، وملامحها تبدو عليها ملامح الحياة والنضارة بداية واضحة، وقد كانت لديهم طريقتان ممكنتان لإعطاء المومية صورة حية: فالأولى تنحصر في وضع مواد على ظاهرها. والثانية تنحصر في حشو مواد تحت الجلد. وبعبارة أخرى كان لدى المحنِّط الخيار إما أن يكون صورة المومية الملفوفة أو يصلح الجسم نفسه، وقد كانت الطريقة الأولى مستعملة في عصر الأهرام، وبعد ذلك بزمن بعيد نجد أن نفس الطريقة قد استعملت في العهد الإغريقي الروماني. أما الطريقة الثانية فقد زعم البعض أنها استعملت في مومية الفرعون «أمنحتب الثالث»، غير أنها لم تستعمل في غير موميته من بعده، وبقيت الحال كذلك دون استعمالها حتى بُعثت ثانية في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ونحن نعلم حقًّا أنها لم تستعمل في عهد الأسرتين: التاسعة عشرة والعشرين، وهذا هو رأي الأستاذ «أليوت سميث» في كيفية تحنيط مومية «أمنحتب الثالث»، غير أن الأستاذ «دري» طلع علينا برأي آخر معقول (The Tomb of Tut-Ankh-Amon, Vol. II p. 174ff) يناقض رأي «أليوت سميث» من أصله.

وأساس هذا الرأي هو الشك الكبير الذي حام حول حقيقة مومية «أمنحتب الثالث» والد «توت عنخ آمون»؛ فقد ذكر لنا الأستاذ «أليوت سميث» أن الطرق التي كانت قد استعملت في حفظ جسم هذا الفرعون، وبخاصة طريقة الحشو تحت الجلد بمواد مختلفة، وبخاصة جلد الساقين والجذع والرقبة؛ لإعادة جسم المتوفَّى إلى صورته الأصلية كما كان في الحياة الدنيا قد بُدئ استعمالها للمرة الأولى في عهد الأسرة الواحدة والعشرين؛ أي بعد مرور ثلاثة قرون على وفاة «أمنحتب الثالث». على أنه من الجائز إذن أن هذا مَثَل من أمثلة الأغلاط التي كانت قد حدثت من جراء نقل الموميات من مكان لآخر وإعادة تكفينها مرات عدة خلال السرقات المتكررة التي كانت تحدث في قبور الملوك وغيرهم من العظماء. والواقع أن المومية المنسوبة إلى «أمنحتب الثالث» قد وُجِدت في تابوت من عصر متأخر كثيرًا نُقِشَ عليه أسماء ثلاثة ملوك من بينها اسم «أمنحتب الثالث»، وعلى ذلك، فإن القول بأن هذه المومية هي مومية هذا الفرعون خاطئ، بل المحتمل أنها مومية شخص آخر من عهد متأخر لا يمتُّ لعهد هذا الفرعون بصلة.

وهذا الرأي يعززه فحص موميات أخلاف «أمنحتب الثالث»، والواقع أنه ليس من المعقول أن تكون طريقة التحنيط هذه قد استعملت في عهد «أمنحتب الثالث»، ثم يُعْرِض

عنها أخلافه المباشرون، وبخاصة ابنه «توت عنخ آمون». حقًّا، لم يبقَ لنا من مومية ابنه «سمنخكارع» إلا بعض عظام، ولكن في حالة مومية «توت عنخ آمون» وُجِد أن الطريقة التي اتُّبِعَت في تحنيطها كانت هي الطريقة التي سادت في هذه الأسرة، وتتفق تمامًا مع الأوصاف التي وصفت بها تحنيط الأجسام المؤكد نسبتها إلى هذا العهد. وعلى ذلك يجب أن نقرر هنا بكل أسف أن مومية «أمنحتب الثالث» لم تُعْرَف بعد! وأن ما قرره «أليوت سميث» عن وجود موميته لا يرتكز على أساس علمي تاريخي صحيح.

ويدل الفحص الذي أُجْرِيَ في موميات الأسرة الواحدة والعشرين أن قصد المحنطين لم يكن مجرد حفظ الجسم وإعادة صورته كما كانت في الحياة الدنيا وحسب، بل كان كذلك غرضهم أن يحول الجسم الذابل إلى صورة حية تنطبق على الأصل؛ أي تصبح موحدة بقدر المستطاع بشخصية المتوفى، وعلى ذلك فإن الجسم الذي كان يعاد إصلاحه كان يصبح مثلما كان يلوَّن التمثال ليصبح مشابهًا للأصل، وكذلك كان يعاد كل عضو إلى مكانه من الأعضاء التي كانت قد انفصلت عن أماكنها وقت التحنيط ليحفظ للجسم كماله التام. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كان يصلح كل ما كان فيه من نقص، وبذلك كانت تظهر المومية وجيهة بعد الموت قدر المستطاع. ويؤكد لنا أن الغرض المقصود من تحول المومية إلى صورة تمثال ما نشاهده من أن استعمال الصور المصنوعة من الخشب أو الحجر قد بطل استعمالها في الوقت الذي أخذت هذه الطريقة الجديدة في التحنيط تستعمل؛ إذ قد حل بذلك الجسم الحقيقي بدلًا من هذه التماثيل.

وهذا الاستنباط لم يتأثر بما نشاهده من وقت لآخر بعد ذلك من أن عادة عمل التماثيل في أحوال أخرى قد أُحْيِيَ في صور مختلفة بعض الشيء، ولدينا لحسن الحظ مادة كافية يمكن اتخاذها أساسًا لدرس عملية التحنيط الفنية في هذا العهد؛ فقد فحصت فحصًا دقيقًا تسع موميات لملوك، وأكثر من أربعين مومية لكنهة من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ودُوِّنت النتائج بعناية (راجع Elliot Smith, The Royal Mummies p. 94–111, and Memoires de l'Inst. Egypte T. V. 1906; A. S. 1903, p. 13–17 1906 p. 1–28 with Plates etc).

وأقدم مومية ملكية من هذا العصر هي مومية الملكة «نزمت» زوج «حريحور» أول ملوك الأسرة الواحدة والعشرين في طيبة. وإنه لمن المهم بوجه خاص أن نلفت النظر هنا إلى أن الطريقة الأولى في حشو الجسم قد استُعملت في موميتها، في حين أنه في حالة من جاء بعدها قد استعملت فيه الطريقة الثانية. والواقع أنه توجد بعض دلائل توحي

بوجود سبب لتفضيل استعمال طريقة الحشو البالغة التعقيد بدلًا من استعمال طريقة التلوين السهلة؛ إذ لدينا تفاصيل عدة عن التحنيط قد ظهرت للمرة الأولى في موميات الأسرة الواحدة والعشرين تبرهن على ما ذكرناه فيما سبق؛ أي إن فكرة المحنطين هي ألا يجعلوا الجسم يطابق الجسم الحي وحسب، بل أن يكون كاملًا بقدر المستطاع حتى يمكن أن يمثل المتوفى، وأن يحل محل كلٍّ من بقاياه الفعلية، ومحل تمثاله الجنازي الذي كان يوضع في قبره في العهود القديمة، وبخاصة في الدولة القديمة.

وكان كل الجسم يلوَّن باللون الأحمر أو الأصفر الغامق وبالصمغ كما كان يستعمل في التماثيل، وكانت تُركَّب للمومية عينان صناعيتان، أما الخدان والرقبة فكانت تُحْشَى بمواد مختلفة على حسب الحالة، وكانت أشكال الجذع والأعضاء تصلح، أما الأحشاء التي كانت توضع عادة على حدة في أوان خاصة فكانت تعاد إلى الجسم ليصير كاملًا وتامًّا. والواقع أن فكرة جعل الجسم نفسه كاملًا كما كان قد حُدِّدت — بين اختيار طريقة التحنيط الخارجية وطريقة التحنيط الداخلية — بتفضيل الأخيرة على الأولى، ويظهر أن عملية وضع الأحشاء ثانية في الجسم وتركيب أعين صناعية كان قد بُدئ استعماله فعلًا في عهد الأسرة العشرين، مثال ذلك ما نشاهده في موميتي: «رعمسيس الرابع» و«رعمسيس الخامس» (راجع Elliot Smith; Royal Mummies p. 87–92).

وكذلك في المومية المحفوظة في متحف «ليدز»، وهي التي حنطت في عهد «رعمسيس الحادي عشر» (راجع W. Osburn, Account of an Egyptian Mummy presented to the Museum of Leeds Literary & Philosophical Society. Leeds 1828)، وذلك قبل أن تُعْمَل أية محاولة لإصلاح نقائص الشكل الخارجي للمومية. وعلى ذلك فإن مومية الملكة «نزمت» تنسب إلى عهد الانتقال عندما كان المحنطون يحاولون إصلاح شكل المومية المزملة، وليس فيها أثرٌ ما يدل على حشو الأعضاء أو الرقبة، ولكن الوجه قد حُشِيَ عن طريق الفم، وقد بقيت لنا حتى الآن كميات من النشارة في مكانها مع لفائف منقوعة في القطران وضعت على البطن والساقين والعَجُز، وعلى أجزاء أخرى من الجسم. ولم يكن لجرح التحنيط أو فتحة التحنيط لوحة معينة تغطيها، بل كانت تسد فوهتها بكتلة من الشمع، أما الحواجب فبدلًا من إظهارها بوساطة لون كان يركب عليها خصل الشعر الآدمي توضع طولًا وتلصق بالصمغ، وكذلك كانت تركب أعين صناعية تحت الأجفان، وهذه العيون التي كانت تُصنَع من حجر أسود وأبيض تعد أقدم محاولة لتمثيل إنسان العين في الأعين الصناعية لمومية، وذلك على الرغم من أنه في حالة التماثيل كانت هذه

الأعين مستعملة منذ عدة قرون قبل ذلك، أما الوجه فكان يحشى حشوًا متقَنًا بالنشارة لدرجة أن الخدود كانت تُملأ تمامًا، وبذلك يتخذ المُحَيَّا شكلًا يكاد يكون مستديرًا، وكان جوف الجسم يُملأ بوساطة فتحة التحنيط بالنشارة، غير أنه لم يمكن العثور على أي أثر للأحشاء، ولم تكن اليدان توضعان أمام البطن، بل كانتا توضعان عموديتين على امتداد الفخذين، وهذه العادة قد أصبحت عامة في الموميات الملكية للأسرة الواحدة والعشرين الرجال والنساء على السواء، كما كانت الحال في بداية الأسرة الثامنة عشرة. أما في موميات الكهنة والكاهنات للإله «آمون» فعلى العكس من ذلك في نفس الأسرة، فقد كانت اليدان توضعان عادة بطريقة تجعلهما تخفيان أعضاء التناسل، فمثلًا نجد أن مومية كاهنة لآمون من هذا العصر قد وضعت يديها بهذا الوضع (راجع A. S. IV P1. VII)، وكانت تحلِّي المعاصمَ أَسْوِرَةٌ عدة من الخرز.

وقد لوحظ في مومية الملكة «ماعت كارع» إتقان فني كبير؛ إذ على الرغم مما لحق بمومية هذه الملكة من عطب على يد اللصوص؛ فإنه يمكن أن نتبين أن كل جزء من الجسم قد حُشِيَ داخله وشُكِّلَ في صورة الملكة عندما كانت لا تزال على قيد الحياة، وقد لُفَّت المومية في كتان ذي نسيج مدهش في دقة صناعته، وقد لُوِّن الوجه بخليط من المغرة الصفراء والصمغ؛ مما جعل ملاءة الشاش التي فوقها تلتصق بها.

وقد حَشَا المحنط الرقبة بكمية من الدهن (يحتمل أن يكون زبدًا) ممزوجًا بالصودا؛ مما ملأ الجلد وجعله يظهر بصورة سمينة كأنه جسم حي إذا ما قرن بالرقاب المنكمشة الهزيلة التي نراها في موميات الأزمان التي قبل ذلك العهد، وهذا الحشو كان يُعمَل بوضع اليد في فتحة التحنيط ومدها حتى منطقة الصدر، وكان جوف الجسم يملأ بالنشارة. ويلاحَظ في هذا الجسم أن المحنط قد فصل الجلد عن الأنسجة العضلية التي تليه في الحافة الأمامية لفتحة المحنط، وفي المسافة التي تتخلف عن ذلك كان المحنط يضع يده ويدفع بها تحت الجلد في الجزء الأمامي من الصدر، ويُمْلَأ الفضاء المتخلف عن ذلك بالكتان الخشن، ولم تُعمَل أي محاولة لحشو الثديين، ولكن باقي الجذع كان يشكَّل على أساس هذا الحشو من الكتان، وقد كُبِّر الثديان في هذه المومية بدرجة عظيمة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الملكة كانت عند مماتها ترضع طفلًا، وقد دُفِنَت مومية الرضيع معها في تابوت واحد (ولم يمكن معرفة الرضيع إذا كان ذكرًا أو أنثى حتى الآن)، وتدل شواهد الأحوال على أن الملكة قد ماتت في أثناء الوضع أو بعده مباشرة. وهذه المومية تقدم لنا من جهة تفاصيل عدة عن الطرق الدقيقة للحشو الذي استعمل في تجهيز الجسم في ذلك العهد،

وعلى ذلك فإنه من المفيد هنا أن نصفها وصفًا عامًّا. والواقع أن كل العملية كانت معقدة تعقيدًا كبيرًا صعبًا؛ فقد كان على المحنط — لأجل أن يزيل أحشاء المتوفى القابلة للعطب — أن يدخل يده وذراعه من الفتحة التي كانت تُعمَل خاصة في الجانب الأيسر (راجع الصورة ٢٥) X، ثم يزج بها في جوف الجسم على امتداد الخط Z لحشو الرقبة T بالكتان والزبد أو بعض مواد أخرى، وبعد ذلك كانت توضع لفافة من الكتان في المكان المشار إليه في الصورة بحرف W؛ لأجل أن تحفظ الحشو من السقوط، وبعد ذلك كانت تستعمل اليد أو آلة أخرى للوصول إلى كل من الفخذين Y من جوف الجسم، وبهذه الكيفية يوضع الحشو V في كل الساق حتى الكعب.

وفي بعض الأحيان كانت تُعمَل فتحات إضافية في جلد القدم i & e، وفي أحوال نادرة في منطقة الكعب d وفي الركبة c لأجل أن يتمكن المحنط من حشو هذه الأجزاء من الجسم بدقة أكثر، وعند الفراغ من حشو الرقبة والساقين كانت تعاد الأحشاء المحفوظة في جوف الجسم ملفوفة في الكتان، وعندئذ كان يفصل الجلد من عضلات جدار الجسم في كل من حافتي فتحة التحنيط (صورة رقم ٢٥) X في الجانب الأيسر، وبعد ذلك كانت توضع مواد حشو لإصلاح صورة الجزء الأعلى من الجسم s، وكذلك الظهر R & Q، وعندما كانت تصادف المحنطَ عقباتٌ خاصة كان يقوم بعمل فتحتين في الجسم f, g & h، أما الكتفان والذراعان فكانت تحشى بوساطة فتحات خاصة a في الكتف، في حين أن الخدين كانا يحشيان بوساطة الفم (راجع Elliot Smith, Memories d’institut Egyptien t. V fasc., pp. 19–28).

وقد حُنِّطَ جسم الملكة «حنت تاوي» بنفس الطريقة مع الفارق أن المحنط هنا قد بالغ في حشو الجسم؛ فقد وضع كمية كبيرة جدًّا فوق المعتاد من مادة تشبه الجبن في الفم، ولكن ذوبان الأملاح المختلطة بالشحم تسبب عنه تمدد جلد الخدين مما جعلهما ينفجران من الجانبين من الزاوية الخارجية للعين إلى أسفل حتى الذقن (راجع Royal Mummies, Pls. LXXV & LXXVI).

وعلى الرغم من أن اللصوص قد عبثوا بهذه المومية ليأخذوا ما معها من حُلِيٍّ؛ فإنه قد أفلت من أيديهم قطعة ذات قيمة عظيمة؛ فقد وجد بين اللفائف المبعثرة طرف خيط، وعند تتبع أثره وُجد أنه كان متصلًا بلوحة فاخرة من الذهب كانت تغطي فتحة التحنيط، وأنها كانت في الأصل مربوطة حول وسط المومية. وهذه اللوحة تعد أحسن مثال عُثِرَ عليه حتى الآن، ويقدَّر وزنها بوزن ثمانين جنيهًا، وهي فريدة في نوعها؛ لا لأنها قد صُوِّرت

عليها العين السحرية العادية وحسب، بل قد رسم عليها كذلك صور أولاد «حور» الأربعة الذين كانوا يحرسون الأحشاء كلٌّ باسمه وألقاب الملكة وطغراءاها، وكان شعر هذه الملكة قد وُضِعَ مكانه شعر مستعار كما كانت الحال مع معظم الملكات، وقد لُوِّن وجهها باللون الأصفر، والخدان والشفتان باللون الأحمر، والحاجبان بالأسود. وكان يوضع في جوف الجسم بين النشارة التي كان يحشى بها بقايا الأحشاء التي وضعت ثانية في مكانها، وكان يوضع معها أشكال الآلهة الحراس المصنوعة من الشمع، وكانت فتحة التحنيط تُسَدُّ بكمية كبيرة من عجينة القطران، كما كان يوضع على سطح هذه الفتحة الخارجي لوحة من الشمع، وقد ظهر في هذه المومية معالجة خاصة في تجهيز الحوض، وهو المثال الوحيد الذي كُشِفَ عنه حتى الآن، وذلك أنه عندما أزال المحنطون الأحشاء نظفوا جوف الحوض تمامًا من محتوياته، ووضعت سدادة من الكتان في «الشرج Perineum»، وحفظت في مكانها بوساطة خيط غليظ اخترق الحوض، ومر في فتحة التحنيط ونزل ثانية إلى «الشرج Perineum».

وقد حُنِّطَت مومية الكاهن الأكبر «ماساهرتا» ابن الملك، والكاهن الأكبر «بينوزم الأول» بهذه الطريقة — والموميات التي سبق أن تحدثنا عنها كلها لنساء — وقد تسبب عن التصاق اللفائف الداخلية جدًّا بالجلد — وذلك لأنها كانت مشبعة بالقطران — تكوين قشرة كما كانت الحال في الموميات التي وصفناها فيما سبق، وقد ظهر الميل إلى حشو الوجه بأكثر مما يجب تمامًا في مومية هذا الكاهن مما جعل منظره منتفخًا بَشِعًا، وقد لُوِّن الوجه بالمغرى الحمراء، واللون الأحمر — كما هو معروف — لون الرجال، والأصفر لون السيدات، ويشاهَد ذلك في التماثيل والصور التي على الجدران من أقدم العهود، وكما كان المتبع في موميات الذكور الخاصة بهذه الأسرة نلحظ أن كل الجسم كان ملوَّنًا بالمغرى والصمغ، وكانت اليدان توضعان أمام منطقة التناسل، ولكن بالنسبة إلى عظم ضخامة جسم هذا الكاهن، فإن وضعهما بهذه الكيفية لم يجعلهما يصلان لإخفاء عضو التناسل كما كان المقصود من هذا الوضع.

ويلاحَظ أن فتحة التحنيط في هذه المومية كانت توجد في المكان الذي كانت تعمل فيها في عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ أي موازية لرباط بوبارت بدلًا من عملها في خلال هذا العهد فوق مستوى الشوكة الحرقفية، وهذا الخروج عن القاعدة المتبعة كغيره من الشواذ التي فحصناها له سبب، وهو في حالتنا هذه عظم ضخامة جسم هذا الكاهن راجع (Royal Mummies p. 106 P1 LXXIX).

ومومية والدة هذا الكاهن المسماة «أستمخب» قد وجدت سليمة، لدرجة أن لفائفها لم تفك بعد، وإنه لمن المفيد أن تؤخذ لها صورة أشعة (راجع Ibid P1. LXXX).

ومومية الكاهن والفرعون «بينوزم الثاني» قد حُنِّطت على حسب القواعد المتبعة في هذه الفترة؛ فقد وجد جوف الجسم محشوًّا بالنشارة وحُزَمٍ من الكتان تحتوي على الأحشاء التي حُنِّط كل جزء منها على انفراد (Ibid p. 107 P1. LXXXI).

أما موميتا الأميرة «نسخنسو» و«نسبتا نبأشر» فتعدان من أحسن النماذج في التحنيط في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فنجد أن حشو الأعضاء والجذع وتشكيلها قد عُمِلَ بمهارة فائقة، وقد لوحظت هنا غلطة زيادة حشو الوجه ونفخه، فلم ترتكب هنا ثانية، وعلى الرغم من المهارة التي وصل إليها الصناع في عملية الحشو الشاقة يلاحَظ بدهشة أنهم لم يقوموا بأية محاولة لإعطاء الجذع صورة مناسبة؛ إذ نجد أن الثديين قد فُرْطِحَا ولُصِقَا بجدار الجسم، أما الذراعان فقد مُدَّتا تمامًا، ونلاحظ أولًا أن راحتي اليدين قد قُلِبَتا إلى الداخل على الوجه الخارجي للفخذين، وفي حالة أخرى نجد أنهما قد وضعتا على مقدمة الفخذين.

ونجد في سلسلة الموميات الخاصة بالكهنة والكاهنات لآمون من هذه الأسرة — ويبلغ عددهم أربعًا وأربعين مومية — مزايا هامة تُظْهِر المهارة العظيمة التي كان يتصف بها محنطو هذا العهد، فمثلًا قد صنعوا مومية ناجحة لرجل على الرغم من التشويه البالغ للعمود الفقري الناتج من «مرض الاِحْدِيدَابِ Pott Disease» (راجع Elliot Smith & Ruffer in Part III of zur historischen Biologie der Krankheitserreger & Egyptian Mummies p. 156).

وفي مومية أخرى نجد أن فتحة التحنيط بدلًا من أن تُتْرك فاغرة فاها، كما كانت العادة المتبعة كانت تخاط بدقة (راجع Ibid. Fig. 36).

وفي حالة امرأة عجوز بدا هزالها بصورة كبيرة، وتدل حالتها العامة على أنها كانت قد لازمت الفراش مدة طويلة، نجد أنها تكشف لنا عن حالة غريبة، وذلك أنه وجدت جراح في جسمها حدثت قبل مماتها — ربما كان سببها من السرير — على الظهر بين الكتفين، وعلى الأَلْيَتَيْنِ، وهذه الفتحات المتسببة عن النوم قد استُعملت لحشو الظهر بوساطتها، ثم رقعت بقطع مربعة من الجلد الرفيع، ويحتمل أنه كان جلد غزال، وهذه الرقعات خِيطت في الجلد السليم البعيد من الجزء الممزق، وقد غطيت غرز الخياطة بقطع من نسيج الكتان المدهون بالقطران، وكذلك نجد أن خُرَّاجًا كبيرًا حدث في الجزء الذي بين

عضو التناسل والمستقيم، وقد سُدَّ وخِيطَ بخيط، هذا إلى قرحة على إحدى الساقين قد غطيت برقعة من الكتان المغموس في القطران (راجع Royal Mummies, Fig. 37)، وقد كان القلب دائمًا يُتْرَكُ بعناية في مكانه الأصلي (إلا إذا كان بطريق الصدفة قد قُطِعَ من يد محنط غير ماهر في عمله) متصلًا بأوعيته الدموية (راجع Ibid Fig. 38)، أما الأحشاء الأخرى فكانت تُلَف في أربع حزم منفردة كل منها معها صورة من الشمع تمثل الحارس الخاص بها وتوضع في جوف الجسم ثانية (راجع Ibid Fig. 39).

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نذكر أن الأحشاء كانت توضع في كل العصور السابقة منذ عهد الدولة القديمة في أوانٍ خاصة بالأحشاء، وقد وجد في عهد الأسرة الحادية عشرة مقبرة لفرد يدعى «سنبتيزي» باللشت وضع في كل من أواني الأحشاء الأربعة الجزء الخاص بها، وأغطية هذه الأواني كانت تصور على هيئة رأس إنسان حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة، وبعد ذلك كانت تصور برءوس أولاد حور الأربعة: واحد منها برأس إنسان، والثاني برأس صقر، والثالث برأس «ابن آوى»، والرابع برأس قرد. وهذه الأواني كانت تختم وتوضع في صندوق يمكن رؤيته مجرورًا على زحافة في الصور الجنازية، وقد عُثِرَ على أمثلة كثيرة منها.

وهذه المجموعة من الأواني التي لا يتعدى كل منها أربعًا موحدة بأحد أبناء حور الأربعة، وكانت الأحشاء تُلَفُّ في أربع لفافات منفصلة: واحدة تحتوي على الكبد وتوحَّد بالحارس «أمست»، والثانية تحتوي على المعدة وتوحَّد بالحارس «دواموتف»، والثالثة تحتوي على الرئتين وتوحَّد مع الحارس «حابي»، والرابعة تحتوي على الأمعاء توحَّد مع الحارس «قبح سنوف».

وقد جرت العادة أن تذكر الكتب المدرسية الصغيرة عندما تشير إلى تحنيط الأحشاء أن كل الأحشاء كانت تُزَال من الجسم وتوضع في أواني «كانوب»، فكان يوضع في الإناء الذي يمثل «أمستي» المعدة والأمعاء الغلاظ، وآنية «حابي» فيها الأمعاء الصغيرة، وآنية «دواموتف» يوضع فيها القلب والرئتان، وأخيرًا آنية «قبح سنوف» تحتوي على الكبد والطحال. وهذا البيان الذي نجده قد كُرِّرَ كثيرًا في الكتب المتداولة يرجع إلى أنه قد نُقِلَ عن مقال كتبه «بتيجرو» عام ١٨٣٧ (راجع Transaction of Society of Antiquities April 1838 The Jersey Mummy) بمناسبة مومية واحدة حدث إهمال من جانب المحنط فيها؛ مما أدى إلى نسبة خاطئة عن الأحشاء في هذا المثل، ولكن بعد فحص عدة موميات وصل العلماء إلى النتيجة التي ذُكرت سابقًا (راجع Elliot Smith, Contribution

to the Study of Mummification in Egypt in the Memoires Inst. Egypt t. V .(fasc. 1 (1906)

ويلاحَظ هنا أنه لم يُذكَر شيء عن القلب والكليتين، وقد ذكر «ديدور سيكبولس» قصدًا أن القلب والكليتين لم تحسب مع الأحشاء الأخرى، وقد دل فحص عدة موميات كثيرة جدًّا على أن القلب كان يُترَك دائمًا في مكانه الأصلي ويبقى متصلًا بالأوعية الكبيرة، اللهم إلا في حالات قليلة كان قد أزيل القلب عن طريق الإهمال كلية أو جزئيًّا، وفي مثل هذه الحالة كان يوضع ثانية في الجسم، ولم يُلَفَّ قط مع الأحشاء الأخرى.

أما من جهة الكليتين فإن الموضوع ليس بواضح، ففي عهد الأسرة الواحدة والعشرين كانت العادة المتبعة — وهي وضع الأحشاء المعروفة في أواني «كانوب» — قد بطلت تقريبًا (راجع J. E. A. V. Vol. V p. 273)، (وقد كانت توضع بدلًا منها أوان رمزية أحيانًا في القبر تخليدًا للعادة القديمة بعد أن بطل استعمالها الحقيقي، وقد وُجِدَت بعض أواني أحشاء من عهد الأسرة الواحدة والعشرين خاصة بأسرة الكهنة الملوك، غير أنها كانت قليلة الاستعمال جدًّا في هذا العهد). وقد أصبحت العادة المتبعة أن يُلَفَّ كل جزء مع تمثال الشمع الذي يمثل الإله الحارس الذي يحرسه ويوضع في الجسم، وقد كانت الكليتان توجدان من وقت لآخر في حزم الأحشاء، ومعها أحد آلهة هذه الأحشاء، وفي كثير من الأحيان كانتا توجدان في حزم منفردة عن تلك التي تحتوي على تماثيل لأولاد «حور»، وفي حالات عديدة لم يكن من المستطاع معرفة الحزمة التي تشمل الكليتين، على أن عدم نسبة الكليتين لأي إله معين من آلهة الأحشاء مضافًا إلى ذلك ما ذكره «ديدور» عن الكليتين يمكن على ما يُظَن أن يعتبر برهانًا معضدًا للرأي القائل إن قصد المحنطين ترك الكليتين مثل القلب في مكانهما الأصلي في الجسم، وإن هناك أهمية خاصة متصلة بهذين العضوين؛ مما جعل من غير المرغوب فيه إزالتهما من الجسم مع الأحشاء الأخرى، على أن إزالة الكليتين أحيانًا يمكن اعتباره أنه قد جاء عن طريق الإهمال من جانب المحنط كما كان يحدث من وقت لآخر في حالة القلب (راجع Elliot Smith, Journal of the .(Manchester Oriental Society Vol. I (1911) p. 45ff

التحنيط في عهد الأسرة الثانية والعشرين

وفي عهد الأسرة الثانية والعشرين استمر التحنيط كما كان عليه من تجديد وإتقان في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ولكن على إثر نهاية هذه الأسرة أخذ التحنيط يتدهور بسرعة، وكما قلنا كان محنطو الأسرة الواحدة والعشرين يرمون إلى جعل المومية تمثل صاحبها قبل الموت بقدر المستطاع، ولكن على مر الأيام وجدنا أن العناية بالمومية نفسها أخذ يقل شيئًا فشيئًا، وتحولت هذه العناية إلى اللفائف الخارجية التي كانت تحيط بالجسم، وبعبارة أخرى كان يُكتفَى بأن تظهر المومية من الخارج في صورة حسنة؛ ولذلك لم يكن من المهم لدى المحنط أن يعتني بالجسم الذي في هذه اللفائف.

ومن المدهش أننا نجد في متاحف العالم موميات عدة من العصر المتأخر، غير أن معظمها ليس له أية فائدة علمية، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لم تفك أكفان إلا القليل منها أو يصور بأشعة X إكس، أما في متاحف القاهرة فإن معلوماتنا كذلك قليلة؛ ولذلك فإن معلوماتنا عن هذا العصر تنحصر فيما فُحِصَ من موميات كُشِفَ عنها في بلاد النوبة (راجع Bulletins and Reports of the Archeological survey of Nubia Vol. II 1907-1908).

وفي متحف القاهرة نموذج طيب لمومية رجل حُنط في عهد الفرعون «شيشنق الأول» كُشِفَ عنها بين الموميات الملكية في الدير البحري، وهي لكاهن يدعى «زد بتاحفعنخ» (راجع Momies Royales, p. 572 Guide du Viseteur fourth Ed. p. 40; Elliot Smith, The Royal Mumies pp. 112–114 & P1, KXXXIX-XC).

ويلاحَظ أن طراز تحنيطها كان على نمط تحنيط الأسرة الواحدة والعشرين؛ إذ نجد أن اليدين موضوعتان على عضو التذكير، وحفرة البطن محشوة بنبات أشنة المجفف

Parmelia furfuracea، كما نجد الأحشاء ملفوفة في حُزَم من الكتان وموضوعة في الجسم. هذا، وقد استمرت عادة حشو الجسم ولكن بصورة أقل مهارة عما كانت عليه في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ومن ثم يمكننا أن نرى بداية الانحطاط الذي أخذ يبدو على عملية التحنيط كلها، فيلاحَظ أن أظفار الأصابع قد ثُبِّتَتْ على الأصابع بحلقات مصنوعة من سلوك من الذهب، ووُجِدَ على الذراع اليسرى للمومية تعاويذ هامة، كما نشاهد أن المخ قد استُخْرِجَ من الجمجمة بوساطة طاقة الأنف اليمنى.

هذا، وليس لدينا وصف أي مومية وصفًا دقيقًا منذ هذا العهد حتى الاحتلال الفارسي.

السيادة الحربية ووراثة الوظائف

يدل ما لدينا من نقوش على أن حكومة «طيبة» الإلهية التي وضعها «حريحور» وأخلافه تحت سيادة الأسرة التي كان مقرها في الدلتا لم تتغير في أصلها حتى جاء العهد الإثيوبي، وقد كان نفس النظام موجودًا في «منف»، حيث كان يشغل وظيفةَ الكاهن الأكبر عضو من الأسرة المالكة، وكذلك كانت الحال في «هليوبوليس» و«ليتوبوليس» وغيرهما. ولا بد أن نفهم تلك الحالة؛ لِمَا لها من أهمية عظمى لمن يريد أن يصل إلى كنه التغيرات الاجتماعية التي كانت لها علاقة مباشرة بسلطان الفرعون الذي كان ينفذه في مقاطعات الدلتا في نفس الوقت، ونعني بذلك تقسيم السكان وظائف وراثية كما جاء وصف ذلك في التقارير الإغريقية التي كتبها المؤلفون الإغريق ممن زاروا مصر في تلك الفترة، فمن الوظائف الموروثة طائفة الأجناد التي كانت وقفًا على اللوبيين بوجه خاص، ومع ذلك لا نجد في مصر الضباط الذين كانوا يلقبون الأمراء العظام لقوم المشوش أو باختصار «مي» إلا في متون قليلة من عهد الأسرة الواحدة والعشرين وذلك من وقت لآخر. هذا في الدلتا، أما في الصعيد فنجد ذكرهم فقط في «أهناسيا المدينة» التي كانت تعد مركز سلطان أجداد الأسرة الثانية والعشرين، وعلى العكس لا نجد لهم في منطقة «طيبة» آثارًا تذكر، والمتن الوحيد الذي عُثِرَ عليه لهم في «طيبة» هو لأمير لوبي، وقد ذكرناه فيما سبق، حيث نجد فيه أن «شيشنق الأول» كان يحمل هذه اللقب.

ونجد في «أهناسيا المدينة» فضلًا عن ذلك أن طائفة جنود رديف المقاطعة كانوا تحت قيادة الكاهن الأكبر للإله «حرشف»، فكانت «أهناسيا المدينة» تحت رياسة كبير المشوش الذي كان يحكم بوصفه الكاهن الأكبر للإله «حرشف» إله المقاطعة، ولكن هذا النظام الجديد لم ينفذ إلى هذه الجهة؛ وذلك لأن «طيبة» كان قد كسب إلهها «آمون» مكانة عالية في خلال الدولة الحديثة في عقول القوم، وقد استمرت هذه الحال في العهد

البوبسطي، غير أن مركز الجاذبية السياسية قد تحول إلى الوجه البحري في تلك الفترة. ويلاحَظ أن المكانة الخاصة التي اكتسبها إقليم «طيبة» في العهد الإغريقي الروماني يرجع أصلها فعلًا إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد، أو بعبارة أخرى حتى نهاية عصر الرعامسة (راجع Schubart, Agypten Von Alexander d. Gr. Bisouf Mohammed).

وكان يوجد في مقاطعات مصر منذ القدم طبقة ممتازة من الكهنة المطهرين «وعب»، والأشخاص الذين كانوا يؤلفون هذه الطبقة كانوا بولادتهم وأصلهم يشتركون في إقامة شعائر العبادة وأحفالها، وكذلك كان لهم نصيب في دخل المعبد وقربانه، وقد قُسِّم رجال هذه الطائفة أربع طبقات، وأفراد كل طبقة يتناوبون العمل في خلال العام لإنجاز الأعمال المقدسة، وهذا النظام بعينه كان معروفًا عند اليهود، وهم الذين كان يتألف منهم طائفة الكهنة الوراثية، غير أن الخدم هنا كانوا يتبادلون العمل بين أربعة وعشرين كاهنًا كل أسبوع، وكان يشرف على هؤلاء الكهنة كهنة محترفون كلٌّ على حسب درجته الدينية، حتى مرتبة الكاهن الذي كان يطلق عليه اسم والد الإله، وعلى رأس كل هؤلاء كان يشرف الكاهن الأكبر، وقد كان من الطَبَعي أن يرث الابن وظيفة والده كما كانت الحال في الوظائف الحكومية، غير أن هذه الوظائف كان من الممكن إسنادها إلى أناس من أصل آخر.

والواقع أنه لم يكن هناك وراثة حتمية معروفة لا في أفراد الكهنة، ولا في طوائفهم عامة في عهد الدولة الحديثة، ولا أدل على ذلك مما حدث في عهد «رعمسيس الثاني» عندما أراد أن ينصب كاهنًا أكبر للإله «آمون» (راجع مصر القديمة الجزء السادس). ولكن في العهد الذي أعقب الدولة الحديثة كانت وراثة ابن الكاهن لأبيه في وظيفته تعد نظامًا متبعًا، وفي ذلك يقول «هردوت»: «كانت لا تؤدَّى خدمة كل إله بوساطة كاهن واحد بل بعدة كهنة، وكان يقوم واحد منهم بأمر الرياسة، وعند وفاة أحد الكهنة كان ينصب ابنه مكانه.» أما أمر إشغال أكبر وظيفة فكان بطبيعة الحال موضوع نقاش، فوراثة وظيفة الكاهن الأعظم التي كانت موجودة في الأسرة الواحدة والعشرين لم يعترف بها ملوك الأسرة الثانية والعشرين، ولكن صفة الكهانة ومطالبها المتزايدة لم نجد فيها مناقشة ولا تغييرًا.

ومن النقوش التي تلفت النظر في هذا الصدد النقش الذي عُثِرَ عليه مدوَّنًا على الجدار الخلفي لقاعة الأعياد التي أقامها «تحتمس الثالث» في الكرنك (راجع L. D. III, 225i; Brugsch Thesaurus p. 1071).

ويلاحَظ أن قراءة «دارسي» لهذا النقش وتصحيحاته للأعلام فيها شك (راجع Rec. Trav. 35, p. 130 f). وهذا النقش يقص علينا أن الكاهن الأكبر «أوسركون» بن «تاكيلوت الثاني» قد أتى في السنة الحادية عشرة إلى «طيبة» لتَسلُّم وظيفة الكاهن الأكبر، وقد جاء الكاهن المطهر بما له من حق الدخول في معبد «آمون» للقيام بالخدمة الشهرية لمعبد «أخمنو» (وهو المعبد الذي نقش على جدرانه النص الذي نحن بصدده)، وهو من الطبقة الثانية من طوائف «حورسا إزيس» جاء ليقول: «لقد كنت واحدًا مطهرًا، ولي حق الدخول في الكرنك، وإني ابن «خلف» الكاهن الأكبر لآمون من جهة أمه، وكنت ابن واحد مطهر … وقد كان والد والدي كاهنًا والد إله وتابعًا للإله القديم، وقد تسلم وثيقتي التي حملتها إلى هنا «على النيل»، فلا تتوانَ فإني من «طيبة» وولدت بها.» (راجع Br. A. R § 753). والكلمات التي تلي ذلك في المتن غير مفهومة، ولكن مكانة الكاهن الأعظم الرفيعة كانت معلومة لموظفيه ولكاتب الوثيقة، فكان في قدرته أن يدخل في معبد «أخمنو» ليقوم بشعائر التطهير، وفي هذا المكان الخفي كان لا يُسمَح لأحد بالدخول إلا شيعة الإله، وقد كتب «حورسا إزيس» هذه الوثيقة على هذا الجدار ليثبت حقه في هذا العمل؛ أي حق الدخول في المعبد. ويدلنا هذا النقش على حقوق الكهنة في وراثة وظائف الكهانة، وعلى إيصاد باب التمتع بوظيفة الكاهن أمام الآخرين.

وتدلنا المصادر الإغريقية من جهة أخرى على الوظائف الحربية التي كانت وراثية، وهي التي كان منشؤها أسرى الحرب في عهد «رعمسيس الثالث» بعد انتصاراته على اللوبيين وغيرهم من الأمم المغِيرة، وكان قد وضعهم في مستعمرات حربية، وكذلك من أتى بعدهم من بلاد لوبيا في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وقد كانت السلطة فعلًا في أيديهم في مقر الملك بالدلتا، ولا أدل على ذلك من المكانة التي كان يحتلها الأمير العظيم لقوم المشوش «شيشنق» الأهناسي في عهد أواخر ملوك «تانيس» كما جاء في نقش الوحي الذي نفذه ملك «تانيس» له ولابنه «نمروت» المتوفى طبقًا لما أوحى به الإله «آمون». وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في «الجزء الثامن من مصر القديمة». وقد خَلَعَ «شيشنق» هذا آخرَ فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين من عرش الملك بنفس الطريقة التي خَلَعَ بها المماليكُ في القرن الثالث عشر بعد الميلاد ملوك الأيوبيين من عرش مصر، وفي عهد «شيشنق» وأخلافه أصبحت كل السلطة في أيدي هذه الطائفة العسكرية، وحرم على سائر الأمة الانخراط في سلك الجندية، ومن ثم نشاهد في عهد «بيعنخي» الإثيوبي صورة توضح لنا هذا المبدأ بجلاء، وذلك أننا نرى في الوجه البحري في كل مكان الرؤساء الذين يحملون الريشة

في لباس رءوسهم، وهي علامة مميزة لقوم المشوش كما فصلنا القول في ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء السابع). وقد كان من جراء ذلك أن أخذت قوة الأسرة تقل شيئًا فشيئًا، وانتهى الأمر بأن تَمَزق شمل البلاد حتى أصبح تقريبًا في كل مدينة رئيس مستقل بذاته من هؤلاء المشوش. وقد ذكر لنا «بيعنخي» في لوحته التي سرد فيها حملته على مصر ما لا يقل عن تسعة عشر من هؤلاء الحكام كما سنرى بعد عند الكلام عن العصر الإثيوبي، أما عن العصر الذي يلي ذلك وعن وصف الحالة الداخلية في عهد الأسرة السادسة والعشرين والعصر الفارسي في مصر؛ فإن المصادر الأصلية تعوزنا تمامًا، وليس لدينا مصدر قط في ذلك إلا ما جاء على لسان الكُتَّاب الإغريق وبخاصة «هردوت».

والواقع أن المعلومات الممتازة عن الحالة الحربية في مصر التي قدمها لنا هذا المؤرخ لا بد أنه استقاها من عهد الأسرة السادسة والعشرين، وكذلك من عهد السيادة الفارسية عندما كانت الحالة لم تتغير بعد، وقد كان الجنود من المشاة، أما عربات الحرب التي كانت في العهد الفرعوني فلم يكن لها وجود، وكذلك كان الخيالة قليلين جدًّا، وقد كانوا يؤلفون طائفة وراثية؛ إذ كان الابن من صغر سنه يدرَّب على فنون الحرب كما كان محرَّمًا عليه الاشتغال بأية حرفة أخرى، وعلى ذلك كان يمنح مثل الكهنة نصيبًا من الأرض دون ضرائب تُجْبَى منها، وذلك بمقدار لا يقل عن ثلاثة هكتارات من الأرض، وكانوا يعيشون في مستعمرات عسكرية على رأسها رئيس طائفة «المشوش» بوصفها حاميات ثابتة، وكانت عند الحاجة تنتقل من مكان لآخر، كما كانت الحال في المستعمرات العسكرية في عهد الفرس وفي سائر الممالك أيضًا.

وقد وجدنا هذا النظام في عهد البطالمة، وفي الوقت نفسه في المستعمرات البحرية التابعة للجمهورية الرومانية، وهي التي كان المواطن الروماني يعمل فيها بوصفها حاميات ثابتة، وقد كان الجندي منهم يُعطَى قطعة أرض مساحتها نفس المساحة التي كان يمنحها المصري (راجع مصر القديمة الجزء السادس)، وهؤلاء الأجناد كانوا ينقسمون قسمين، وهما: «الهرموتبير والكلازيري Hermotybiers. Calasiries»، وكان القسم الأول يتألف من ١٦٠٠٠ والثاني من ٢٥٠٠٠ رجل، وكان يُنتَخَب منهم سنويًّا ألف رجل ليكونوا حُرَّاسًا للفرعون، ومن هؤلاء الأجناد كان يتألف الجيش الذي كان تحت تصرف الفرعون في كل وقت، وقد ظل أصل هذين الاسمين ومعناهما غامضًا جدًّا إلى وقت قريب. ويعتقد الأستاذ «سبيجل برج» أن كلمة «كلازيري» معناها: «الفتى الصغير»، وأنها تتركب من الكلمة النوبية «كال» التي تعني «ابنًا» في بعض أسماء الأعلام مثل

«كال آمون» «كال أوزير»؛ أي ابن «آمون» وابن «أوزير»، ومن الكلمة المصرية «شيري» التي تعني «فتى» أو «صغيرًا»، وعلى ذلك فإن كلمة «كلازيري» تقابل في المصرية القديمة كلمة «حونفر»؛ أي المجند الفتى في العهد الكلاسيكي. أما كلمة «هرموتيبير» فإن الأستاذ «سبيجل برج» لم يوفَّق في اشتقاقها من الكلمة الأصلية «رمت حترو»؛ أي رجال العربات، وعلى ذلك يكون معناها «الخيالة» مقابل كلمة «كلازيري» التي تعني المشاة. ولكن الأستاذ «ستروف» تناول حديثًا في مقال له عن أصل كلمة «هرموتيبير» وافق فيه أولًا على اشتقاق كلمة «كلازيري» كما أورده الأستاذ «سبيجل برج»، وقال بعد بحث طويل: «إن كلمة «هرموتيبير» من كلمة «إرم ثوف»؛ أي قوم البردي، وذلك نسبة للإقليم الذي كان يقيم فيه هؤلاء الأجناد، وهي مستنقعات البردي في شمال الدلتا التي كانت تربَّى فيها المواشي بوصفها أهم حرفة للسكان في هذه الجهة، وعلى ذلك سميت جنود الرعاة من إقليم البردي تهكمًا.» (راجع Studies Presented to F. LL. Griffith p. 369ff).

ومن المهم لدينا جدًّا أسماء المقاطعات التي ذكرها «هردوت» وقال عنها: إن هؤلاء الأجناد كانوا يعسكرون فيها. فنجد من بينها أسماء عدة لا نجدها في قوائم أسماء المقاطعات فيما بعد في الكتابات المصرية ولا في نقوش عهد البطالة؛ لأنها تختلف عنها اختلافًا كليًّا.

وهذه المقاطعات تقع كلها في الدلتا عَدَا «طيبة»، وسنضع عند تعداد أسماء تلك المقاطعات رقمًا بين قوسين في قائمة مقاطعات الوجه البحري، فكان جنود «هرموتيبير» في المقاطعة البوصيرية «رقم ٩»، وفي المقاطعة الصاوية «رقم ٥»، والمقاطعة الخمية؛ أي مقاطعة «خميس» وهي الجزيرة التي في «بوتو» (راجع Hekat fr. 303; Jacoby Herod II, 156) حيث نشأ «حور» بن «إزيس» في مستنقعاتها، ومقاطعة «بابرميس Papremis» (راجع Herod II, 59, 63, 71 III, 12) ومقاطعة «بروزوبيتس Prosopitis» و«ناتو» (راجع ما كتب عن هذا المكان في ورقة فلبور مصر القديمة الجزء الثاني) ومعناها كما يقول «إدوارد مير»: مناقع الدلتا. وقد جاء ذكرها في متن «آشور بانيبال ناسو» بوصفها اسم إمارتين، حيث يقول «هردوت»: إنها كانت مزدهرة.

جنود كلازيري: كانوا في مقاطعة «طيبة» ومقاطعة «بوباسطة» (رقم ١٨)، وفي «أفثيتيس Aphthitis» في شرق الدلتا وفي المقاطعة «التانيسية» (رقم ١٤)، وفي المقاطعة «المنديسية» (رقم ١٦)، والمقاطعة «السمنودية» (رقم ١٢)، والمقاطعة «الأتريبية» أي: «بنها» (رقم ١٠)، والمقاطعة «الفربائية Pharbaethis» وهي على حسب «سترابون»

(Strabo XVII, 1, 20) تقع في الجنوب الغربي من «تانيس»، والمقاطعة «التيموتية Thmutes» في «منديس»، والمقاطعة «أنوفيس Onuphis» الواقعة شمالي «أتريب»، والمقاطعة «أنيسيس Anysis» (Herod. II, 137) وتقع في مناقع الدلتا وقد نشأ فيها الملك «أنيسيس»، وهي «خبس» الواقعة في الوجه البحري وهي «هيركليو بوليس الصغرى» في «بلزيون» (وهي عاصمة المقاطعة السنيوريتية، وقد كُتِبَت في متن «آشور بانيبال» «هنيشي Hinisi»، وأخيرًا مقاطعة غير معروفة لنا وتقع في جزيرة بالقرب من «بوباسطة» وتسمى «ميسيفونيس Mycephonis».

ويلاحَظ أن الوجه القبلي في هذه القائمة لم يمثل إلا «بطيبة»، وعلى ذلك كان يوجد فيها كما ذكرنا من قبل مستعمرة حربية أولًا في أواخر حكومة الكهنة في مدة الشجار الذي نشب بين مصر والإثيوبيين، أو في عهد «بسماتيك»، ومن جهة أخرى كان الجزء الأعظم من جنود «هرموتبير» يرابطون في معظم الجزء الغربي من الدلتا، وبخاصة في النصف الأوسط، كما كان جنود «كلازيري» يرابطون في وسط الدلتا وغربيها، ومن جهة أخرى لا نجدهم في نهاية الوجه القبلي و«منف» و«ليتوبوليس» و«هليوبوليس»، ويمكن فهم ذلك تمامًا؛ لأن «منف» كانت مثل «طيبة» و«هيركليوبوليس» (أهناسية المدينة) مركزًا للكهنة العظام من بيت الملك، كما كانت مدينة عين شمس المقدسة كذلك من هذا النوع، ولكن «ليتوبوليس» كانت في عهد الفرعون «بيعنخي» تحت سلطان كاهن بلدة «حور بحدت سماتواي»، وهي المدينة الوحيدة التي كان يوجد فيها كاهن بوصفه نائبًا، ومن ثم ثبت لنا السبب في عدم وجود هذه الأماكن الثلاثة في قائمة «هردوت»؛ وذلك لأنها كانت في الواقع تمثل النظام الذي وضعته الأسرة الثانية والعشرون من الوجهة الحربية.

وكانت الوظائف الحربية مثلها كمثل وظائف الكهنة وراثية أصلًا في طبقة خاصة؛ ولذلك كان محرمًا على أصحاب الحرف الأخرى الانخراط في سلكها، وقد كانت الوراثة هنا تتمثل في صورة تامة لها كل حقوقها، وقد كانت طبيعة الحال تدعو إلى ذلك في كل مكان بسبب العلاقات التي كانت بين طبقات الشعب، وبخاصة إذا علمنا أن الفلاحين والموالي والعبيد كانوا مقيدين بأصلهم، وعلى ذلك كانت الحرف الأرقى من حرفهم تجعل الابن يحل محل والده ويسير على نهجه، وقد كانت الحال كذلك في الوظائف العالية كما تُشْعِر بذلك النقوش التي نجدها على لوحات القبور من كل العصور؛ أي إن وظيفة الأب أو مكانته تكون في الغالب إرثًا للابن، ولم يكن من حق الملك وحده أن يرقى للوظائف العالية عندما يريد، بل كان في إمكان كل شخص بما له من المهارة وحسن الأحدوثة أن

يرقى للوظائف الكبيرة التي كانت دعامة الوصول إليها النبوغ في الكتابة والقراءة، فكان يُحَثُّ التلميذ على معرفة القراءة والكتابة وترك الحرف الأخرى جانبًا؛ لأنها أقل خطرًا وأحط قدرًا من الكتابة، ولكن كانت الوظائف كما نعلم من الكتابات المصرية في العهد الإغريقي المصري وراثية؛ ولذلك كان تقسيم سكان المدن طوائف كما يقول «أرسطو» — وبخاصة الفصل بين رجال الحرب والفلاحين — نافذًا تمامًا، وقد وازن «هردوت» بين وظائف الحرب العالية الوراثية التي كانت محرمة على رجال أية حرفة أخرى، وبين الحرف الصغيرة كما هي الحال عند معظم الأقوام الهمج، وكذلك عند الإغريق ومعظم أهل «أسبرطة»؛ إذ يقول: «وفي هذه الحالة نجد كذلك أن أهل «لاسبيدمونيا» يُشْبِهون المصريين، فحُجَّابهم وموسيقاروهم وطُهَاتهم يرثون آباءهم في حِرَفِهم، وعلى ذلك يكون الموسيقار ابن موسيقار، والطاهي ابن طاهٍ، والحاجب ابن حاجب، ومن ثمة لم يمكن لآخرين أن يصبحوا بسبب صفاء صوتهم مُغَنِّين؛ لأنهم بذلك يحرمون آخرين من أصحاب الوراثة، بل كانوا يستمرون في مزاولة الغناء بعد آبائهم، وهذا النظام كان متبعًا تمامًا.» (راجع Herod VI, 60). وقد ذكر لنا «هردوت» في كتابه سبع حِرَف (راجع Herod II, 164) فيقول: «توجد سبع طوائف من المصريين، ومن هذه يُسمَّى بعضها كهنة، وآخرون يسمَّوْن محاربين، وآخرون رعاةً، وآخرون رعاةَ خنازير، وآخرون تُجَّارًا، وآخرون مترجمين، وأخيرًا الملاحون، وهذه هي طوائف المصريين. ويشتقون أسماءهم من الأعمال التي يمارسونها.»

ولا بد أن «هردوت» قد وضع هذه القائمة على حسب مشاهداته، ويلاحَظ أنه قد ذكر المترجم الذي وُجِد في البلاد منذ عهد «بسماتيك»؛ ليكون عونًا للإغريق على فهم أحوال البلاد، ولكنه نسي الفلَّاح، وكذلك نسي أصحاب الحِرَف والصناعات.

أما «أفلاطون» الذي كان لا يعرف مصر فقد تحدث لنا في كتابه Timaeos (الفصل ٢٤) بتفصيل عن وظيفة الكاهن وطائفته التي كانت لا تختلط بأية طائفة أخرى، ثم ذكر الرعاة والصيادين والفلاحين، وفضلًا عن ذلك ذكر رجال الحرب الذين كان محرمًا عليهم قانونًا الاشتغال بأية حرفة أخرى، وقد صاغ «دكارس» القانون هكذا: «إنه محرم على أي فرد أن يتخلى عن وظيفة والده التي ورثها منه.»

وقد ذكر «ديودور Diod. I, 74» نقلًا عن «هكاته أبدري» ثلاث طوائف وهم: الرعاة، والفلاحون، وأصحاب الحرف اليدوية، وأنه محرم على سائر السكان قانونًا أن يزاول واحد منهم مهنة لم يمكن قد ورثها عن والده، كما حرم اشتراك جماعةٍ بعضهم مع

بعض في حرفة، وكذلك كان محرمًا عليهم الاشتغال بأي نشاط سياسي وإلا وقع عليهم لمخالفة هذه التعليمات عقاب صارم.

ولا ريب في أن هذا النظام كما ورد في المصادر الإغريقية كان لزامًا اتباعه قانونًا، ولا أدل على أهمية الوراثة في الوظائف والمراكز الاجتماعية أكثر مما نلحظه من محافظة المصريين على تسلسل نسبهم ومراعاة ذلك في كثير من الأحوال، كما نجد في شجرات الأنساب التي تركوها لنا منذ عهد الأسرة الثانية والعشرين على اللوحات الجنازية والتماثيل وجدران المقابر، ونقرأ عليها توريث الوظائف من أب إلى ابن عدة أجيال، ونجد ذلك في الكهنة وفي البنائِين، والذين نجد من بينهم في عهد «دارا» الأول الفارسي الذي حكم مصر أن «خنوم ابرع» قد ذكر لنا أجداده الذين كانوا يزاولون مهنة البناء مبتدئًا «بأمحوتب» رئيس أعمال الملك «زوسر» أحد ملوك الأسرة الثالثة، وأكد لنا في سلسلة شجرة نسبه أنه هو النسل الرابع والعشرون في أسرته (راجع L. D. III. 275 a).

ويعتقد الإغريق أن هذا النظام كان قديمًا، أما «أرسطو» و«دكارش» فإنهما يعتقدان أن هذا الزعم من الأساطير التي ترجع إلى عهد «سيزوستريس Sesostris» يقصد به «سنوسرت الثالث».

والواقع أنه كان لكل عصر في التاريخ المصري القديم نظامه وتقاليده الخاصة به في ذلك الموضوع، وإن كنا نجد على الآثار منذ الدولة القديمة أن الابن في كثير من الأحيان قد يخلف والده في وظيفته أو حرفته، وبخاصة صناعة الكتابة، إلى أن أصبح ذلك أمرًا متَّبَعًا في العهد المتأخر من تاريخ البلاد.

العبرانيون

تدل البحوث العلمية والنقوش الأثرية الباقية على أن قوم «العبرانيين» هم رابع قوم استوطنوا بلاد «سوريا»، وهؤلاء الأقوام هم «الآموريون» و«الكنعانيون» و«الآراميون» ثم «العبرانيون»؛ ففي العهد «الآموري» كان مركز الجاذبية للشئون السورية في الشمال، وفي العهد «الكنعاني» انتقلت هذه القوة المركزية إلى الشاطئ، وفي عصر «الآراميين» كانت في الداخل، وفي زمن «العبرانيين» انتقلت القوة إلى الجنوب في «فلسطين».

أصل العبرانيين

الظاهر أن دخول العبرانيين أرض «فلسطين» كان في ثلاث هجرات لم تحددها لنا الحوادث التاريخية تحديدًا شافيًا، فالهجرة الأولى بدأت من بلاد «مسوبوتاميا»، وهي على وجه التقريب معاصرة لهجرة القرن الثامن عشر ق.م التي كان من جرائها انتشار «الهكسوس الحوريين» على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض (راجع مصر القديمة الجزء الرابع)، والهجرة الثانية كان لها علاقة بقوم «الآراميين» في القرن الرابع عشر ق.م، وهم الذين عاصروا عهد «إخناتون» (راجع الجزء الخامس)، والهجرة الثالثة — وهي التي نعرف عنها الشيء الكثير بالنسبة لسابقتيها — فكانت على ما يقال من مصر والجنوب الشرقي في عهد «موسى» و«يوشع» في نهاية القرن الثالث عشر ق.م (راجع مصر القديمة الجزء السابع Theophile G. Meek. Heprew, Origins (New York 1936 p. 3ff). وقد كان الكنعانيون يؤلفون معظم السكان عندما جاء رؤساء قبائل الهجرة الأولى من بلاد «مسوبوتاميا»، وكان الأموريون يسكنون الأراضي المرتفعة التي لم يكن فيها سكان متوطنون بكثرة، وكانت هذه فرصة ليجد المهاجرون الجدد مكانًا يأوون

إليه، وهؤلاء الجدد أقوام صغيرة كانوا يحتلون الأماكن البعيدة عن الجهات المطروقة، وقد تزاوج المهاجرون الجدد بهؤلاء الناس؛ ومن ثم نتج قوم «العبرانيين» فكانوا خليطًا من «الساميين» و«الحوريين» و«الخيتا» وأقوام أخرى لا ينتسبون إلى الجنس السامي، وقد نبذ العبرانيون لهجتهم السامية القديمة وتكلموا باللهجة الكنعانية. والواقع أن اللغة الفينيقية واللغة العربية القديمة — كما جاء في كتاب العهد القديم — هما لغة واحدة تتميز كل منهما بلهجتها، وعلى أية حال، فإن العبرانيين الأُوَل قد أصبحوا الوارثين للثقافة الكنعانية المادية والمعتنقين لكثير من العبادات والعادات والشعائر الدينية الكنعانية.

ولا نزاع في أن بداية استيطان العبرانيين في سوريا أمر يحوطه الغموض، وقد وصل إلينا في صورة أساطير تقليدية، فذكرت لنا الروايات أن إبراهيم (بالعبرية أبه-رم = الوالد سامي) جدهم قد وفد من بلدة «أور» ببلاد «مسوبوتاميا» عن طريق حاران، وقطن بجوار «حبرون» مؤقتًا، وقد أنجب «إسحاق» (ومعناها ليته (أي أيل) يضحك)، وبعد أن استوطن عدة سنين في «بادان آرام» انتخب «يعقوب» (معناها ليته يحمي)؛ ليكون الابن المفضل على أخيه التوءم «عيساو» (سِفر التكوين إصحاح ٢٥، سَطْرَا ٢٣–٣٤) وهاك المتن: «فقال الرب: إن في جوفك أمتين، ومن أحشائك يتفرع شعبان: شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير.» إلخ). ثم غير اسمه إلى إسرائيل (يسير إيل = إيل يحكم)، وقد تسمى «عيساو» باسم آخر هو إدوم (أحمر)، وفي نهاية الأمر استولى أخلافه من الأهالي على جبل «سعير»، وأصبحوا يسمون الأميين (راجع كتاب التثنية الإصحاح ٢ سطر ٢)، وهاك المتن: «ومُرِ الشعبَ وقُلْ لهم: إنكم مارون في تخم إخوتكم بني «عيسو» المقيمين بسعير فسيخافونكم فتحرزوا جدًّا.» وكذلك «سطر ١٢» وهو: «وأما سعير فأقام بها الحوريون قبل «بني عيسو» فطردوهم وأبادوهم من بين أيديهم، وأقاموا مكانهم كما صنع إسرائيل في أرض ميراثهم التي أعطاها الرب لهم.» إلخ. وعلى ذلك حذف «عيساو» من مجرى حياة العبرانيين، وقد ظن أن مثله كان كمثل «إسماعيل» الذي أنجبه «إبراهيم» من «هاجر» المصرية؛ إذ تُغُوضِيَ عنه وفُضِّل عليه «إسحق»، وكان الابن الحادي عشر من أولاد «يعقوب» هو «يوسف»، وهو الابن الأكبر «لراشيل»، وقد بِيع في مصر، حيث رُفِعَ إلى أعلى المراتب؛ إذ نصبه الفرعون على خزائن الأرض (قال اجعلني على خزائن الأرض «قرآن كريم»)، وبعد أن مكث نسل «يوسف» وإخوته في مصر عدة أجيال عادوا إلى أرض الميعاد بقيادة «موسى».

هذا هو مختصر تاريخ العبرانيين في بعض جمل كما كتبه كتَّاب عاشوا بعد مئات السنين من وقوع حوادثه، وقد استندوا في كتابتهم على الرواية والسماع، فهو في هذا

كالأحاديث النبوية التي نقلت بالرواية، والصحيح منها قليل جدًّا إذا ما قرنت بالمكذوب الملفق، ولكن توجد في التوراة نواة الحقيقة التي كُسيت بالأساطير حتى غطت عليها في كثير من الأحوال. ومن الغريب أن هؤلاء المؤرخين لم يكتفوا ببدء قصتهم بأجداد قوم العبرانيين، بل رجعوا إلى الوراء مبتدئين بقصة أصل البشر إلى أن وصلوا بها إلى بداية الخليقة، وقد أخذوا مادتهم في ذلك من المصادر البابلية، وهذه الحقيقة لم يُكشَف عنها إلا بعد منتصف القرن الأخير عندما حُلَّت رموز اللغة المسمارية وكُشِفَ فيها عن قَصص مماثل لما جاء في التوراة عن أصل الخليقة، وعن الطوفان وغير ذلك من الأقاصيص التي نجدها في كتاب العهد القديم، وقد ضخمت وبسطت هذه القصص بقلم الكتَّاب العبرانيين، ووضعت في صورة أخلاقية، وكتبت بشكل شيق جدًّا حتى أصبحت جزءًا من الإرث الأدبي الإنساني؛ مما جعلها دائمًا منبع تعاليم تستمد منها الأجيال من القراء في كل بلاد العالم وفي كل اللغات.

ولا نزاع في أن التاريخ اليهودي — الذي كُتب قبل عهد القضاة وهو الذي وضعه مؤرخهم — ليس بتاريخ علمي ذي أسانيد، بل الواقع أنه من الصعب حتى في تاريخ القضاة أن يصل الإنسان منه إلى اللب التاريخي الذي يمكن الاعتماد عليه. ومن الجائز أن ما جاء عن قصة «إبراهيم» يضع أمامنا أقدم هجرة لهؤلاء القوم، وقصة «إسرائيل» قد تعكس أمامنا الهجرة الثانية لهم، أما قصة «موسى» فهي قصة تاريخية بلا نزاع كما يدل ظاهرها.

وعلى أية حال، يبتدئ تاريخ «إسرائيل» الحقيقي بوصفهم قومًا منذ وقت خروجهم من أرض مصر، وهذا الحادث كما فصلنا القول فيه (الجزء السابع من مصر القديمة) وقع في أواخر القرن الثالث عشر ق.م في عهد «رعمسيس الثاني» ١٢٩ق.م.

ويلاحَظ أن ما جاء على لوحة «مرنبتاح» التي ذكر عليها للمرة الأولى اسم «إسرائيل» قد يشير إلى إسرائيليين لم يهاجروا من مصر، بل كانوا متوطنين هناك «فلسطين» من قبل، وهذا في رأينا هو الواقع.

وقد ترك رجال قبيلة «راشيل» مصر في باكورة القرن الثالث عشر ق.م طئوا في طريقهم عدة سنين في «شبه جزيرة سينا» وضواحي «قادش بارنا» يحتمل أن هذا المكان هو عين قديس الحالية على بعد ٥١ ميلًا من بير شيبا حيث شربوا الذل والهوان ألوانًا، ومن العجيب أن هذه المفازة الكبيرة المخيفة التي أزعجت ذكرياتها عقول اليهود مدة أجيال يمكن قطعها الآن في خمس ساعات على طريق مُعَبَّدٍ سُفلت طوله ١٤٠ك.م بالسيارة، وهي الطريق الموصلة بين مصر وفلسطين.

والظاهر أن في «مدين» التي تؤلف الجزء الجنوبي من «شبه جزيرة سينا» عقد الميثاق الإلهي، وذلك أن قائد هؤلاء المهاجرين من اليهود وهو «موسى» (س = ابن) تزوج من ابنة كاهن مديني يعبد «يهوه» وهو «شعيب»، وقد لقن الكاهن «موسى» تعاليم هذا الدين، وهذا الإله الذي كان يعبد في شمال بلاد كان إله صحراء، وكان في الأصل إله القمر، ويسكن في خيمة، وكانت شعائره تشمل أعيادًا وضحايا من بين قطعان عباده، ولا بد أن آخرين من هؤلاء المهاجرين قد تزاوجوا هؤلاء المدينيين والقينيين[١] وغيرهم من سكان شمالي صحراء بلاد العرب.

وقد ظهر أهل هذه القبيلة وهم خليط رُحَّل حوالي ١٢٥٠ق.م من الجنوب الشرقي؛ أي من صحراء ما وراء الأردن، وفي عزمهم احتلال هذه الأرض الخصبة، وكان عددهم لا يتجاوز ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ نسمة، هذا إذا لاحظنا أحوال الحياة في الصحراء، وقلة الماء، والتموين المحدود من الطعام، والمساحة القليلة لرعي القطعان، أما ممالك «أدوم» و«مؤاب» و«عمون» الصغيرة التي تقع في الجنوب والشرق والشمال الشرقي «للبحر الميت» فقد تخطوها، ولم يقوموا بأية محاولة لإخضاعها حتى العهد الذي أسسوا فيه مملكتهم، وكان أول انتصار للعبرانيين هو الذي أحرزوه على الملك الآموري «سيحون»، وقد جاء على أعقاب ذلك نصر آخر كسبوه على الملك «عوج» الجبار.

(سفر العدد الإصحاح ٢١ سطر ٢١ إلخ) وهو: «وأرسل إسرائيل رسلًا إلى «سيحون» ملك الآموريين قائلًا: دعني أَمُرَّ في أرضك، لا نميل إلى حقل ولا إلى كَرْم، ولا نشرب ماء بئر، في طريق الملك نمشي حتى نتجاوز تخومك. فلم يسمح «سيحون» لإسرائيل بالمرور في تخومه، بل جمع «سيحون» جميع قومه وخرج للقاء إسرائيل في البرية، فأتى إلى «باهص» وحارب إسرائيل، فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من «أرنون» إلى «يبوق» إلى بني «عمون»؛ لأن «تخم» بني «عمون» كان قويًّا. إلخ.»

(سفر العدد الإصحاح ٢١ سطر ٣٣) وهو: «ثم تحولوا وصعدوا في طريق «باشان»، فخرج «عوج» ملك «باشان» للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في أدرعي، فقال الرب لموسى: «لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت

---

[١] القين معناه: المعدن. ومن المعلوم أنه يوجد مناجم نحاس في سيناء ووادي عرابة، وكانت معروفة للمصريين والعرب قبل ذلك الوقت. (راجع مصر القديمة الجزء السابع) الكلام الخاص عن خروج بني إسرائيل واجتيازهم شبه جزيرة سيناء.

«بسيحون» ملك الآموريين الساكن في «حشبون»، فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبقَ له شارد، وملكوا أرضه.»

وكانت من أول المدن الكنعانية المسورة التي سقطت في فلسطين نفسها مدينة «لاخيش» (تل الدواير) و«عاي» (بالقرب من دير ديوان الحالية). (سفر «يوشع» إصحاح ١٠ سطر ٣١) وهو: «ثم اجتاز يوشع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها.»

(وسفر يوشع إصحاح ٨ سطر ٣ إلخ) وهو: «فقام يوشع وجميع رجال الحرب للصعود إلى عاي، وانتخب يوشع ثلاثين ألف رجل جبابرة البأس وأرسلهم ليلًا إلخ.»

وكذلك اجتازوا «أريحا»، وقد كان سقوطها من أهم الحوادث، وقد حرقت «أريحا» عاصمة مملكة الكنعانيين وكل ما فيها، وقد جاء في «سفر يوشع إصحاح ٦ سطر ٢» ما يأتي: «فقال الرب ليوشع: انظر، قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب؛ حول المدينة مرة واحدة إلخ.»

وفي نفس الإصحاح سطر ١٥: «وكان في اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر، وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات، في ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات إلخ.»

وفي «سطر ٢٤ من نفس الإصحاح»: «وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب إلخ.»

أما «مجدو» في الشمال فلم تخرب إلا بعد حوالي مائة سنة بعد ذلك، وقد كان من جراء توغل العبرانيين في بلاد «جليلي» فتح «حاصور» (تل الوقاص أو تل القداح على مسيرة ثلاثة أميال وثلاثة أرباع ميل من جسر بنات يعقوب) عاصمة مملكة الكنعانيين في الشمال، وقد كان لا بد من فتح «حاصور» في عهد القضاة. (فسفر القضاة إصحاح ٤ سطر ٢) يقول: «فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب؛ لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد، وهو ضايق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة.»

وكذلك سطر ٢٣ يقول: «فأذل الله في ذلك اليوم يابين ملك كنعان أمام بني إسرائيل.»

وكذلك (سفر صموئيل الأول إصحاح ١٢ سطر ٩) يقول: «فلما نسوا الرب إلههم باعهم ليد سيسرا رئيس جيش حاصور، وليد الفلسطينيين، وليد ملك موآب فحاربوهم، فصرخوا إلى الرب وقالوا: أخطأنا؛ لأننا تركنا الرب وعبدنا البعليم والعشتاروت. إلخ. وهناك مدن أخرى هامة مثل «بيت شان» و«أورشليم» و«جيزر» لم تسقط إلا بعد حوالي مائة سنة أو بعد ذلك بقليل.»

والواقع أن ما يسمى الفتح العبري كان بعضه بحد السيف وبعضه الآخر بالتوغل السلمي في أرض «المن والسلوى»، وذلك أن النازحين الجدد لم يكادوا يضمنون لأنفسهم موطنًا في الأرض الزراعية حتى وطدوا أقدامهم بالتزاوج من العناصر القديمة في البلاد وكذلك بالانضمام لأقاربهم الذين كانوا قد بقوا في البلاد منذ الأزمان القديمة ولم يهاجروا قط إلى مصر، وبذلك كونوا لأنفسهم حكومة لها أهمية عظيمة.

وقد كان أهم شيء في نظر مؤرخي هؤلاء القوم هو المواقع الحربية، فكان محور قصة تاريخهم في غالب الأحوال منصبًّا على هذه المواقع، هذا بالإضافة إلى بعض حوادث كان لا بد من سردها. وجملة القول: أن كل هذه العملية قد أفضت إلى أن أصبح الأهلون في قبضة العبرانيين، إما بالمعاهدات، أو بالفتح، أو بضمهم إليهم شيئًا فشيئًا.

وتدل الحالة على أنه في إثر الاستيلاء على هذه الأرض قسمت بين الإحدى عشرة قبيلة التي كان يتألف منها العبرانيون، هذا مع ترك قبيلة «ليفي» الكهنوتية موزعة بين القبائل الأخرى؛ ليدير أفرادها حاجياتهم الدينية، وقد كان من جراء ذلك أن سكنت قبيلتا: «يهودا» و«بنيامين» في الإقليم الجبلي الواقع حوالي «أورشليم»، أما القبائل الأخرى فقد استوطنوا في السهول الخصبة الواقعة في الشمال.

وكانت مدة الاستقرار لهؤلاء القوم تنحصر تقريبًا في الربع الأخير من القرن الثاني عشر ق.م وثلاثة أرباع القرن الحادي عشر ق.م، وهذه الفترة تتفق مع العهد الذي يسمى «عصر القضاة»، وهؤلاء القضاة كانوا في الواقع أبطالًا وطنيين، وحكامًا ولدتهم الأحوال في الأوقات الحرجة، وقادوا قومهم لمحاربة الأعداء المجاورين أو الأجانب الغاشمين، مثال ذلك «دبورة» وكانت قاضية «إسرائيل»، فقد قادت مع «باراق» ست قبائل إلى النصر النهائي على «كنعان» في الشمال، وتعد من بين هؤلاء القضاة الشجعان، (فسفر القضاة إصحاح ٤ سطر ٤–١٤) يقول: «و«دبورة» امرأة نبية زوجة «لفيدوت» هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت، وهي جالسة تحت نخلة «دبورة» بين «الدامة» و«بيت إيل» في «جبل إفرايم»، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء، فأرسلت ودعت «باراق» بن «أبينوعم» من قادش نفتالي، وقالت له: ألم يأمر الرب إله إسرائيل، اذهب وازحف إلى جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون، فاجذب إليك في نهر فيشون سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وادفعه ليدك. فقال لها «باراق»: إن ذهبتِ معي أذهب، وإن لم تذهبي فلا أذهب. فقالت: إني أذهب معك، غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها؛ لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة. فقامت دبورة وذهبت مع باراق إلى قادش.»

«ودعا باراق زبولون ونفتالي إلى قادش وصعد ومعه عشرة آلاف رجل، وصعدت دبورة معه، وحابر القيني انفرد من قاين من بني حوباب حمى موسى وخيم حتى إلى بلوطة في صعنايم التي عند قادش، وأخبروا سيسرا بأنه قد صعد باراق ابن أبينوعم إلى جبل تابور، فدعا سيسرا جميع مركباته تسعمائة مركبة من حديد وجميع الشعب الذي معه من حروشة الأمم إلى نهر قيشون، فقالت دبورة لباراق: قم؛ لأن هذا هو اليوم الذي دفع فيه الرب سيسرا ليدك، ألم يخرج الرب قدامك؟ فنزل باراق من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رجل.» إلخ.

ومثل هذه الحال كانت مع «جدعون» الذي صد بقوة يبلغ عددها ٣٠٠ نسمة أهل «مدين». وفي «سفر القضاة إصحاح ٧ سطر ١٥» يقول: «وكان لما سمع «جدعون» خبر الحلم وتفسيره أنه سجد ورجع إلى محلة إسرائيل وقال: قوموا؛ لأن الرب قد دفع إلى يدكم جيش المديانيين.»

وكان أهم شخصية بين القضاة «شمشون»، وقد صبغت قصة الحروب التي أشعل نارها على الفلسطينيين بطبقات من الزينة حاكها خيال القصاصين اليهود.

(وسفر القضاة إصحاح ١٤) يقول: «ونزل «شمشون» إلى «تمنة» فرأى في «تمنة» امرأة من بنات فلسطين، فصعد وأخبر أباه وأمه وقال: رأيت في «تمنة» امرأة من بنات الفلسطينيين فاتخذاها لي زوجة. فقال له أبوه وأمه: أليس في بنات أخويك وفي شعبي كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغُلف؟! فقال «شمشون» لأبيه: بل إياها تأخذ لي؛ لأنها حَسُنَتْ في عيني. ولم يعلم أبوه وأمه أن هذا كان من قِبَلِ الرب، وأنه كان يطلب سببًا على الفلسطينيين، وكان الفلسطينيون في ذلك الزمان متسلطين على إسرائيل، فنزل «شمشون» وأبوه وأمه إلى «تمنة»، ولما بلغوا إلى كروم «تمنة» إذا شبل لبؤة يزأر في وجهه، فحلت عليه روح الرب ففسخه كما يُفْسَخ الجدي ولم يكن في يده شيء، ولم يخبر أباه وأمه بما فعل، ثم نزل وخاطب المرأة فحسنت في عيني «شمشون»، ورجع بعد أيام ليأخذها، فجاء لينظر إلى جثة الأسد، فإذا في جوف الأسد خشرم من النحل وعسل، فاشتار منه على كفيه ومضى وهو يأكل، وجاء أباه وأمه وأعطاهما فأكلا، ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتار العسل، ونزل أبوه إلى المرأة وصنع هناك «شمشون» وليمة؛ لأنه كذلك كانت تصنع الفتيان، فلما رأوه أحضروا ثلاثين صاحبًا فكانوا معه، فقال لهم «شمشون»: إني ملقٍ عليكم لغزًا فإن حللتموه لي في سبعة أيام الوليمة وأصبتموه أعطيتكم ثلاثين قميصًا وثلاثين حُلة من الثياب، وإن لم تقدروا أن تحلوه لي أعطيتموني ثلاثين قميصًا

وثلاثين حلة من الثياب. فقالوا له: ألق لغزك لنسمعه. فقال لهم: خرج من الآكل أكل، ومن الشديد حلاوة! فلم يستطيعوا في ثلاثة أيام أن يحلوا اللغز (١٥)، فلما كان اليوم السابع قالوا لامرأة شمشون: خادعي زوجك حتى يحل لنا اللغز؛ لئلا نحرقك مع بيت أبيك بالنار، أَلِتَسْلُبُونا دعوتمونا؟ فبكت امرأة شمشون لديه وقالت: إنما أنت تبغضني ولا تحبني، قد ألقيتَ على بني شعبي لغزًا ولم تطلعني عليه. فقال لها: إني لم أطلع عليه أبي وأمي، أفإياك أطلع عليه؟! فبكت لديه سبعة أيام الوليمة، فلما كان اليوم السابع أطلعها عليه؛ لأنها كانت قد ضايقته، فأطلعت بني شعبها على اللغز، ففي اليوم السابع قبل غروب الشمس قال رجال المدينة: أي شيء أحلى من العسل؟ وأي شيء أشد من الأسد؟ فقال لهم: لولا أنكم حرثتم على عجلتي لم تكشفوا لغزي. وحلت عليه روح الرب فنزل إلى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلًا وأخذ ثيابهم، وأعطى الحلل لكاشفي اللغز، واشتد غضبه ورجع إلى بيت أبيه، وصارت امرأة شمشون لرفيقه الذي كان يصاحبه.»

(وإصحاح ١٥ من نفس السفر): «وكان بعد مدة في أيام حصاد الحنطة أن شمشون افتقد امرأته بجدي معزى وقال: أدخل إلى امرأتي إلى حجرتها. ولكن أباها لم يدعه أن يدخل وقال أبوها: إني قلت: إنك قد كرهتها، فأعطيتها لصاحبك، أليست أختها الصغيرة أحسن منها؟ فلتكن لك عوضًا عنها. فقال لهم شمشون: إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شرًّا. وذهب شمشون وأمسك ثلثمائة ابن آوى، وأخذ مشاعل وجعل ذَنَبًا إلى ذَنَبٍ ووضع مشعلًا بين كل ذنبين في الوسط، ثم أضرم المشاعل نارًا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين، فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون، فقال الفلسطينيون: من فعل هذا؟ فقالوا: شمشون صهر التمني؛ لأنه أخذ امرأته وأعطاها لصاحبه. فصعد الفلسطينيون وأحرقوها وأباها بالنار، فقال لهم شمشون: ولو فعلتم هذا فإني أنتقم منكم. وبعد أكف وضربهم ساقًا على فخذ ضربًا عظيمًا، ثم نزل وأقام في شق صخرة «عيطم»، وصعد الفلسطينيون ونزلوا في يهوذا وتفرقوا في لحى، فقال رجال يهوذا: لماذا صعدتم علينا؟ فقالوا: صعدنا لكي نوثق شمشون لنفعل به كما فعل بنا. فنزل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا إلى شق صخرة «عيطم» وقالوا لشمشون: أما علمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا فماذا فعلت بنا؟ فقال لهم: كما فعلوا بي هكذا فعلت بهم. فقالوا له: نزلنا لكي نوثقك ونسلمك إلى يد الفلسطينيين. فقال لهم شمشون: احلفوا لي أنكم أنتم لا تقعون عليَّ. فكلموه قائلين: كلا، ولكننا نوثقك ونسلمك إلى يدهم، وقتلًا لا نقتلك. فأوثقوه بحبلين جديدين وأصعدوه من الصخرة، ولما جاء إلى لحى صاح الفلسطينيون للقائه، فحل عليه

روح الرب، فكان الحبلان اللذان على ذراعيه ككتان أحرق بالنار، فانحل الوثاق عن يديه! ووجد لحى حمارًا طريًّا، فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل، فقال شمشون: بلحى حمار كومة كومتين، بلحى حمار قتلت ألف رجل. ولما فرغ من الكلام ورمى اللحى من يده ودعا ذلك المكان: رمت لحى.»

ثم عطش جدًّا فدعا الرب وقال: إنك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم، والآن أموت من العطش وأسقط بيد الغُلْف، فشق الله الكفة التي في لحى فخرج منها ماء، فشرب، ورجعت روحه فانتعش؛ لذلك دعا اسمه: عين هقوري التي في لحى إلى هذا اليوم، وقضى لإسرائيل في أيام الفلسطينيين عشرين سنة.

(والإصحاح ١٦ من نفس السفر): «ثم ذهب شمشون إلى غزة، ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها، فقيل للغزيين: قد أتى شمشون إلى هنا. فأحاطوا به وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة فَهَدَءوا الليل كله قائلين: عند ضوء الصباح نقتله. واضطجع شمشون إلى نصف الليل، ثم قام في نصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون».

وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورق اسمها دليلة، فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها: تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه لكي نوثقه لإذلاله، فنعطيك كل واحد ألفًا ومائة شاقل فضة. فقالت دليلة لشمشون: أخبرني بماذا قوتك العظيمة؟ وبماذا تُوثَقُ لإذلالك؟ فقال لها شمشون: إذا وثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف أضعف وأصير كواحد من الناس. فأصعد لها أقطاب الفلسطينيين سبعة أوتار طرية لم تجف، فأوثقته بها، والكمين لابث عندها في الحجرة، فقالت له: الفلسطينيون عليك يا شمشون. فقطع الأوتار كما يُقطَع فتيل المشاقة إذا شم النار! ولم تعلم قوته، فقالت دليلة لشمشون: ها قد ختلتني وكلمتني بالكذب، فأخبرني الآن بماذا توثق؟ فقال لها: إذا أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل أضعف وأصير كواحد من الناس. فأخذت دليلة حبالًا جديدة وأوثقته بها وقالت له: الفلسطينيون عليك يا شمشون، والكمين لابث في الحجرة. فقطعها عن ذراعيه كخيط، فقالت دليلة لشمشون: حتى الآن ختلتني وكلمتني بالكذب، فأخبرني بماذا توثق؟ فقال لها: إذا ضفرت سبع خصل رأسي مع السدى فمكنتها بالوتد. وقالت له: الفلسطينيون عليك يا شمشون. فانتبه من نومه وقلع وتد النسيج والسدى، فقالت له: كيف تقول: أحبكِ وقلبك ليس معي؟ هو ذا ثلاث مرات قد ختلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة. ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم

وألحت عليه ضاقت نفسه إلى الموت، فكشف لها كل قلبه وقال لها: لم يَعْلُ موسى رأسي؛ لأني نذير الله من بطن أمي، فإن حلقتُ تفارقني قوتي وأضعف وأصير كأحد الناس. ولما رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت: اصعدوا هذه المرة؛ فإنه قد كشف لي كل قلبه. فصعد إليها أقطاب الفلسطينيين وأصعدوا الفضة بيدهم، وأنامته على ركبتها، ودعت رجلًا، وحلقت سبع خصل رأسه، وابتدأت بإذلاله وفارقته قوته، وقالت: الفلسطينيون عليك يا شمشون. فانتبه من نومه وقال: أخرج حسب كل مرة وأنتفض. ولم يعلم أن الرب قد فارقه، فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل من نحاس، وكان يطحن في بيت السجن وابتدأ شعر رأسه ينبت بعد أن حُلق.

وأما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ويفرحوا، وقالوا: قد دفع إلهنا ليدنا شمشون عدونا. ولما رآه الشعب مجدوا إلههم؛ لأنهم قالوا: قد دفع إلهنا ليدنا عدونا الذي خرب أرضنا وكثر قتلانا. وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا: ادعوا شمشون ليلعب لنا. فدعوا شمشون من بيت السجن، فلعب أمامهم وأوقفوه بين الأعمدة، فقال شمشون للغلام الماسك بيده: دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها لأستند عليها، وكان البيت مملوءًا رجالًا ونساءً، وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون، فدعا شمشون الرب وقال: يا سيدي الرب، اذكرني وشَدِّدني يا الله هذه المرة فقط فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين. وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائمًا عليهما، واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره، وقال شمشون: لتمت نفسي مع الفلسطينيين. وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذي فيه، فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته، فنزل إخوته وكل بيت أبيه وحملوه وصعدوا به ودفنوه بين صرعة وأشتأول في قبر منوح أبيه، وهو قضى لإسرائيل عشرين سنة.

وقد جاء أهل «مدين» إلى هذه البلاد للإغارة عليها مستعملين للمرة الأولى الجمل الأليف (راجع Hitti, History of Syria p. 52)، وبذلك ظهر سلاح جديد يستعمل للحروب برهن على أنه ذو مفعول مخيف، وبخاصة في الغارات البعيدة المدى.

وقد كان أقوى مناهض للعبرانيين في الاستيلاء على الأرض هم الفلسطينيين، وكانوا كما أشرنا إلى ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء السابع) من أقوام البحر الخمسة

الذين وفدوا من بحر إيجه لغزو مصر، وذلك أن العبرانيين بعد أن فتحوا الأراضي العالية الوسطى استولى الفلسطينيون على بلاد الساحل، والواقع أنه حدثت هجرات لا تزال غامضة لأقوام من «آسيا الصغرى» ومنطقة «إيجه» في نهاية القرن الثالث عشر ق.م وبداية القرن الثاني عشر ق.م نتج عنها انفصال قبائل بأكملها قامت لتبحث عن مواطن أقل اضطرابًا من مواطنهم الأصلية، فهاجرت جماعات من بينها قبائل الفلسطينيين وساروا برًّا وبحرًا نحو«سوريا» بعد أن خربوا كثيرًا من ولاياتها مثل «أوجاريت» وصلوا إلى الساحل المصري هناك قابلهم «رعمسيس الثالث» في موقعة حربية وهزمهم، ولكنه تركهم يستوطنون بصفة مستديمة على الساحل السوري الجنوبي، ومن ثم أطلق عليه «فلستيا».[٢]

وهناك قبيلة أخرى تدعى «تكر Tjeker» استوطنت «دور» تحت نهر الكرمل، حيث قابلهم الرسول المصري «ونآمون» بعد ذلك العهد بقرنين، والساحل الذي استوطن فيه الفلسطينيون يمتد من غزة حتى جنوبي يافا، والمدن الهامة التي استعمروها هي «غزة» و«عسقلان» و«أشد» و«أكرون» و«غاث»، ويحتمل أنها تل «عرف» المنشية (على مسافة ٦,٥ أميال غربيَّ بيت جبرين)، وقد حافظت على أسمائها السامية تحت نظام الحكم الجديد، وكانت بلدة «غاث» أبعد مستعمرة لهم في الداخل، وكانت سياستهم هي أن يبقوا قريبًا من البحر، حيث يمكنهم في الوقت نفسه السيطرة على طرقه ويفيدون من الجبال المحملة بالعنب خلف الشاطئ، وكانت جبال الكرمل الحد الفاصل بين إقليمهم الساحلي وبين الفينيقيين في الشمال، وإذا استثنينا بلدة وزقلاح (يحتمل أنها تل الخويليقة في الجنوب الأقصى من بودة) لم يؤسس الفلسطينيون مستعمرات. وقد أخذوا ينتقلون من الشريط الساحلي إلى الداخل واستولوا على عدة بلاد كنعانية نازعين سلاح الأهالي، ولا نزاع في أن الحملات التأديبية التي كان يقوم بها فراعنة مصر والضرائب التي كانت تجبى من سوريا قد أثرت كلها على مقاومتها للقبائل الصحراوية المغيرة وقرصان البحر؛ ولذلك لم يكن في مقدور الفلسطينيين أو العبرانيين أن ينالوا أي نجاح في تثبيت أقدامهم في هذه البلاد، هذا لو كانت الإمبراطورية المصرية لا تزال قادرة على استعمال كل نفوذها هناك.

---

[٢] اسم بالستا كان اسم مكان في إقليم الليري هو أبيروس (راجع Bonfante, “Who were the Phibstines?” American Journal of Archeology Vol. 50 (1946) p. 251).

وتدل المناظر التي خلفها «رعمسيس الثالث» على أن الفلسطينيين كانوا من جنس أوروبي، كما يدل طراز الفخار الذي جلبوه معهم على أنهم نزحوا من «كريت»، وقد جلبوا معهم نساءهم؛ ولذلك ظلوا بعيدين عن الأهالي الأصليين وكوَّنوا لأنفسهم طائفة حربية خاصة معسكرة في حاميات، وبذلك ألفوا ثقافة غربية، وكانت المدن الخمس التي استعمروها منظمة في صورة حكومات مدنية كل منها يحكمها سيدها، ومن كلٍّ كانت تتألف حكومة اتحادية، والظاهر أن «أشدد» كانت صاحبة السيادة. وقد بلغت قوة الفلسطينيين أوج عظمتها حوالي النصف الثاني من القرن الحادي عشر ق.م؛ ففي حوالي عام ١٠٥٠ق.م هزموا العبرانيين واستولوا على التابوت الذي حملوه إلى «أشدد»، وحوالي عام ١٠٢٠ق.م كانوا قد استوطنوا في حاميات الإقليم الجبلي نفسه، وفي خلال حكم «شاؤل» (١٠٠٤ق.م) كانوا قد مدوا سلطانهم إلى بلاد داخلية مثل «بيت شان». (فسفر صموئيل الأول إصحاح ١٣ سطر ٣) يقول: «وضرب «بوناثان» نصب الفلسطينيين الذي في جبع، فسمع الفلسطينيون، وضرب شاؤل بالبوق في جميع الأرض قائلًا: ليسمع العبرانيون.» إلخ.

وكذا صموئيل في «الأول إصحاح ٣١ سطر ١١–١٢»: «ولما سمع سكان «يابيش جلعاد» بما فعل الفلسطينيون بشاؤل قام كل ذي بأس وساروا الليل كله، وأخذوا جسد شاؤل وأجساد بنيه عن سور بيت شان، وجاءوا بها إلى يابيش وأحرقوها هناك.

ومعنى ذلك كما هو ظاهر هو أن الفلسطينيين كان لهم وقتئذٍ اليد العليا على إسرائيل.

وقد تفوق الفلسطينيون على أعدائهم بما لديهم من أسلحة ممتازة يتوقف صنعها على صَهر الحديد واستعماله للأسلحة اللازمة للدفاع والهجوم. وقد بقي لنا وصف محارب فلسطيني مرتدٍ دروعًا معدنية في قصة «جليات»، فقد كانت قناة رمحه مثل «عمود الناسج»، وكان رأس حربته تزن ستمائة شقل من الحديد، ودرعه كانت ثقيلًا لدرجة أن يحتاج إلى حمال خاص، (فسفر صموئيل الأول إصحاح ١٧ من سطر ٤–٧) يقول: «فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه «جليات» من «جت»، طوله ست أذرع وشبر، وعلى رأسه خوذة من نحاس، وكان لابسًا درعًا حرشفيًّا، ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس، وجرموقا نحاس على رجليه، ومزراق نحاس بين كتفيه، وقناة رمحه كنول النساجين، وسنان رمحه ستمائة شاقل حديد، وحامل الترس كان يمشي قدامه.»

هذا، وقد وُصِفَتْ لنا بعض أعمال الفروسية العبرانية كما جاء في وصف ضروب القوة التي أظهرها «شمشون» و«داود» في الحرب مع الفلسطينيين، وقد استغل الفلسطينيون صناعتهم للحديد لدرجة أنهم احتكروا هذه الصناعة ولم يعلموها لأحد من الإسرائيليين.

وقبل دخول الفلسطينيين أرض «كنعان» لم يستعمل «الخيتا» الحديد في باكورة القرن الثالث عشر إلا قليلًا كما يدل على ذلك مراسلات «ختوشيليش»، وهي «بوغاز كوي» الحالية، وكان مصدر هذا المعدن هو ساحل البحر الأسود، ولكن لم يستعمل هذا المعدن بصفة عامة في بلاد سوريا إلا عند دخول الفلسطينيين، وقد كان سر صنع الحديد محافظًا عليه بشدة عند الخيتا كما كانت الحال عند الفلسطينيين. أما الكنعانيون الذين تعلموا من الفلسطينيين استعمال العربات المصنوعة من الحديد فكانت له فائدة حاسمة على المقهورين اليهود.

ولم تنفرج قبضة الفلسطينيين عن البلاد إلا في عهد «داود» (٩٦٠ق.م)، وفي زمنه كذلك بدأ غير الفلسطينيين يتعلمون صناعة الحديد، (فسفر أخبار الأيام الأول إصحاح ٢٢ سطر ٣) يقول: «وهيأ داود حديدًا كثيرًا للمسامير لمصاريع الأبواب وللوصل ونحاسًا كثيرًا بلا وزن.»

وقد كانت هزيمة الفلسطينيين على يد «داود» وهو الذي فتح «أدوم» التي كانت مصدرًا غنيًّا للحديد الغفل، ويوجد هذا الحديد كذلك في «لبنان»، وقد تعلم الفينيقيون استعماله في بناء سفنهم، وبذلك رفع الفلسطينيون درجة الثقافة السورية من استعمال البرنز إلى درجة أرقى منها وهي استعمال الحديد، وفضلًا عن ذلك فإنه من الجائز أن نسلم بأنهم قد ورَّثوا جيرانهم الفينيقيين الذين يعدون أخلافهم تذوق المغامرات في عرض البحار والاتجار بوساطتها، وقد كان من نتائج ذلك أن كشفوا مجاهل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وشرقي المحيط الأطلنطي.

وهذا إلى ما خلفوه لنا من آثار قليلة تدل على ثقافتهم المادية في صورة فخار وآلات زراعية وفئوس من حديد وقواديم، ولم يترك الفلسطينيون خلافًا لذلك آثارًا أخرى يمكن أن تذكر. وهم باعتبارهم مجتمعًا أجنبيًّا في فلسطين فإنه لم يكن لهم أي ضمان يضمن بقاءهم إلا استمرار تجديد دمائهم بالهجرة، وقد كان ذلك من الأمور المستحيلة في الأحوال التي كانت تحيط بهم، وفي حوالي نهاية حكم «داود» بدءوا يختفون بوصفهم مستعمرة، وعلى مر الزمن أصبحوا ساميين وهضمتهم البلاد، ولم يتركوا إلا القليل جدًّا مما يمكن أن يميزوا به من الوجهة الدينية واللغوية والمعمارية ومظاهر الحياة الرفيعة الأخرى.

ونجد أن «نحميا» الذي كتب في أواسط القرن الخامس ق.م لا يتحدث عن الفلسطينيين بل عن الأشدوديين الذين كانوا يتكلمون لغة أشدودية، ومن الأسماء الفلسطينية الأصلية التي وصلت إلينا اسم «أخيش»، (فسفر صموئيل الأول إصحاح ٢٧ سطر ٢) يقول: «فقام داود وعبر هو والستمائة الرُّحَّل الذين معه إلى أخيش بن معوك ملك «جت».»

ومن اسم آلهتهم «داجون» إله الحب نعلم أنه مأخوذ من طائفة الآلهة الكنعانيين، وكان مركز عبادته «أشدود»، أما مقر عبادة زوجه «عشتاروت» فكان بلدة «عسقلان»، ولا يُعرَف شيء ما عن كيفية بناء معبد «داجون» وقصر الرب في «غزة»، وكذلك المعابد الفلسطينية الأخرى التي ذكرت في كتاب «العهد القديم».

مملكة العبرانيين

كان من جراء مقاومة الفلسطينيين على وجه خاص إعطاء الفرصة لإنشاء المملكة العبرانية، وهي التي بقيامها يبتدئ تاريخ الأمة العبرانية، وفي عهد العبرانيين نَمَت وترعرعت صفات قومية خاصة بهم، وإن كان قد نقصها المظهر السياسي، وهذه من الظواهر التي تتسم بها القومية الحديثة، ولا نزاع في أن العبرانيين يعدون الأمة الوحيدة بين الأمم السامية القدامى التي حافظت على أخلاقها القومية وشخصيتها، وقد كان الدين بطبيعة الحال من العوامل الكبيرة التي ساعدت على وحدتهم وتماسكهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

وقد كان لجيرانهم الأدوميين والمؤابيين والعامونيين ملوك يحكمونهم.

أما الفلسطينيون فكان لهم أسياد حافظوا على اتحاد مفكك، وكان للفينقيين حكومات مدنية، وقد نما بعضها مثل «جبيل» و«صيدا» و«صور»، فأصبحت أممًا قائمة بذواتها، ولكن العبرانيين كان يحكمهم حتى تلك اللحظة قضاة وهم قواد قد ظهروا على حسب مقتضيات الأحوال، وعلى ذلك ذهب شيوخ القوم إلى رئيسهم الديني «صمويل» طالبين إليه «ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب.» (سفر صمويل الأول إصحاح ٨ سطر ٥)، وقد نصب رجل كان رأسه وكفاه أطول من كل واحد في الناس يدعى «شاؤل»، وهو أول ملك عليهم في حوالي عام ١٠٢٠ق.م، وهذا الإلهام لم يكن الوحيد الذي أتى من مصدر خارجي، ولكن الملكية نفسها في نظامها كانت قد شكلت شيئًا فشيئًا على نظام الملكيات المجاورة. وعلى أية حال، كان نظامها يختلف في أمرين عن جيرانها بعض الشيء؛ فقد

استمر نظام القبائل من حيث الأغراض الإدارية، وكان الملك من جهة أخرى يحكم على حسب ما يمليه لهم «يهوه» كما يوحي به بوساطة القديسين.

وكان أول ملك عبراني نصب عليهم مخيبًا للآمال، بل في الواقع كان الخيبة نفسها؛ فقد كان ضعيف الخَلْق كئيب الطبع، عاش مثل الشيخ البدوي في خيمة في جبعة (تل الفول الحالية)، ولم تمتد مملكته الصغيرة في بادئ الأمر وراء قبيلته التي تدعى «بنيامين»، ومع ذلك فإن انتخابه ملكًا قد أدى إلى ثورة على الرؤساء الفلسطينيين، وبعد حرب طويلة قتل الفلسطينيون ثلاثة من أولاده وجرحوه جرحًا بليغًا، حتى إنه انتحر بعد موقعة جبل جلبوع (يحتمل أن تكون جليون الحالية سميت بهذا الاسم)، وقد مثَّل به الأعداء شر تمثيل؛ إذ إنهم بعد فصل رأسه عن جسمه صلبوا جسمه، وكذلك فعلوا بأجسام أبنائه على سور بلدة «بيت شان»، وبعثوا بدرعه فدية إلى معبد «عشتاروت». (فسفر صموئيل الأول إصحاح ٣١ سطر ١–١٠) يقول: «وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع، فشد الفلسطينيون وراء شاؤل وبنيه وضرب الفلسطينيون يوناتان وأبيناداب وملكيشوع أبناء شاؤل، واشتدت الحرب على شاؤل فأصابه الرماة رجال القسي فانجرح جدًّا من الرماة، فقال شاؤل لحامل سلاحه: استل سيفك واطعني به؛ لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني. فلم يشأ حامل سلاحه؛ لأنه خاف جدًّا، فأخذ شاؤل السيف وسقط عليه، ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاؤل سقط هو أيضًا على سيفه ومات معه، فمات شاؤل وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معًا، ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا وأن شأول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها.»

وفي الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شاؤل وبنيه الثلاثة ساقطين في جبل جلبوع، فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وأرسلوا إلى أرض الفلسطينيين في كل جهة لأجل التبشير في بيت أصنامهم وفي الشعب، ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت، وسمروا جسده على سور بيت شان.

والمؤسس الحقيقي لمملكة العبرانيين هو «داود» (١٠٠٤–٩٦٠ق.م)، وهو الذي ارتدى درع شاؤل، وابتدأ مجال ملكه تحت سيادة الفلسطينيين، وانتهى به الأمر أنه أفلح في استقلال بلاده ووسع حدودها إلى درجة لم تبلغها من قبل ولم تصل إليها بعد. وقد افتتح «داود» عهده بسلسلة معارك كان من نتائجها نزع النير الفلسطيني من فوق

رقاب العبرانيين، وأصبحت «آدوم» و«موآب» و«عمون» تحت حكمه، والظاهر أن حكمه امتد حتى بلدة «حماة»، (فسفر صموئيل الثاني إصحاح ٨ سطر ٩-١٠) يقول: «وسمع توعي ملك «حماة» أن «داود» قد ضرب كل جيش «هدد عزر»، فأرسل «توعي يورام» ابنه إلى الملك «داود» ليسأل عن سلامته ويباركه؛ لأنه حارب «هدد عزر» وضربه؛ لأن «هدد عزر» كانت له حروب مع «توعي» وكان بيده آنية فضة وآنية ذهب وآنية نحاس إلخ.»

(وفي سفر صموئيل الثاني إصحاح ١٢ سطر ٢٦–٣١) يقول: «وحارب «يوآب» ربة بني «عمون»، وأخذ مدينة المملكة، وأرسل «يوآب» رسلًا إلى «داود» يقول: قد حاربت ربه، وأخذت أيضًا مدينة المياة، فالآن اجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها؛ لئلا آخذ أنا المدينة فيدعى باسمي عليها، فجمع «داود» كل الشعب وذهب إلى ربه وحاربها وأخذها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب من حجر كريم وكان على رأس «داود»، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدًّا، وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد، وأمرهم في «آتون» الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني «عمون»، ثم رجع «داود» وجميع الشعب إلى أورشليم.»

وقد دخل جيشه المنتصر دمشق وسار في شوارعها. والواقع أن المملكة التي أسسها «داود» كانت أقوى حكومة وطنية، لم يؤسس قط مثلها في فلسطين، على أن عدم اشتمالها لكل الساحل لم يقلل من قيمة الجزء الأول من العبارة التي كتبها «جورج آدم سميث» (راجع Historical Geography p. 58) وهي: «إن فلسطين لم تكن يومًا ما قط تابعة لأمة واحدة، ومن المحتمل أنها لن تكون قط بعد.»

وقد كان نتيجة فتحه «لآدوم» أن أصبح في قبضته طريق التجارة بين سوريا وبلاد العرب، ولم نسمع بقيام ممالك في هذه البلاد الصغيرة أو في جارتيها الشماليتين: «موآب» و«عمون» بعد القرن الثالث عشر ق.م، وفي القرون السابقة لذلك نلحظ أن فروعًا من الآراميين وبعض «الخبيرو» قد سكنوا بطبيعة الحال في هذا الإقليم الذي كان منذ القرن العشرين قبل الميلاد مسرحًا لجولان البدو، ولا بد أن كل بقايا التحضر الذي كان قبل القرن العشرين ق.م قد قضى عليها «الهكسوس» «والآراميون»، ولم تفلح الكشوف الحديثة حتى الآن في الكشف عن وجود أي بلدة في بلاد «الأردن» من زمن هذا العهد الطويل.

وتدعيم البلاد بتثبيت حدودها وإخضاع جيرانها مكَّن «داود» أن يوجد وحدة مؤقتة من قومه، ويدل الإحصاء الذي عمله لبلاده — وهو من أقدم الإحصاءات التي سجلها لنا التاريخ — على أن عدد السكان بلغ حوالي ثمانمائة ألف نسمة (فسفر صموئيل الثاني

إصحاح ٢٤ سطر ٩) يقول: «فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك، فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف، ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل.» (وفي سفر أخبار الأيام الأول إصحاح ٢١ سطر ٥): «فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى داود، فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلي السيف، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلي السيف.»

وقد انتخب «أورشليم» عاصمة لملكه، وهي التي انتزعها من «الجوبيسيين Jebusites»، وقد كان موفقًا كل التوفيق في هذا الاختيار؛ وذلك لأن هذه المدينة تقع خارج المستعمرات القبلية الأصلية؛ إذ تكاد تقع على الحدود بين الجزءين: الشمالي والجنوبي للمملكة، وتشرف على واحدة من أهم الطرق الداخلية، وهي الطريق التي تسير شمالًا وجنوبًا على ظهر «وادي الأردن»، ومع ذلك فإنه كان من السهل حمايتها، وفي هذا البلد أقام «داود» مقره الملكي، وهو قصر مؤسس بالحجر وخشب الأرز الذي جلب من «لبنان» وقام ببنائه بنَّاءون صوريون ونجارون أرسلهم إليه صديقه الملك حيرام (٩٨١–٩٤٧ق.م)؛ إذ في «سفر صموئيل الثاني إصحاح ٥ سطر ١١» نجد: «وأرسل حيرام ملك صور رسلًا إلى «داود»، وخشب أرز، ونجارين، وبنائين فبنوا لداود بيتًا.»

وكانت المودة التي بين إسرائيل و«صور» قائمة على الفائدة المشتركة، فكانت بلدة «صور» فقيرة في المحاصيل الزراعية، في حين أن بلاد «إسرائيل» كان ينقصها التجارة البحرية، وقد أقام «داود» فضلًا عن قصره محرابًا قوميًّا «ليهوه» في العاصمة الجديدة، وبذلك جعل ديانة «يهوه» في العاصمة الجديدة الديانة الرسمية للمملكة المتحدة، وكان «داود» في الواقع في نظر العبرانيين الملك المثالي.

وفي عهد «داود» (رجل الحرب) بدأ الأدب العبراني الذي يعد من أغنى وأشرف المخلفات التي تركها لنا الشرق القديم، فكان «المزكير» — أي: المذكر الذي كان واجبه الرسمي تسجيل الحوادث الهامة وحفظ التواريخ الملكية — قد بدأ يظهر.

وكتابة القوم كانت مستعارة من الفينيقيين (راجع Hitti, History of Syria p. 169)، والظاهر أن الكهنة قد بدءوا فيما بعد تحضير كتب مماثلة خاصة بالسجلات الرسمية، ومن أمثال هذه السجلات أخذ تاريخ المملكة المبكر وامتزج في كتاب «العهد القديم». ومؤرخ هذا العصر كان مهمًّا؛ لأنه قد قدم لنا مادته في صورة ظاهرة تمامًا، فيصف لنا «داود» لا بوصفه ملكًا وحسب، بل كذلك بوصفه رجلًا يكتب كما ينبغي على الرجل المعاصر أن يكتب؛ فالفصلان الأولان من سفر «الملوك الأول» يعدان أول قطعة

نثرية في الأدب العبري، أما ترجمته «لداود» في كتاب «صموئيل الثاني» من «فصل ٩ إلى ٢٠» فتعد نموذجًا رائعًا في التأليف التاريخي. والواقع أنه لم يُكتَب تاريخٌ مماثل لذلك من قبل قط. ومما يدهش أن المؤرخ المجهول لا تقل كتاباته وبحثه عن المؤرخين المحدثين، وكذلك بدأت المجموعات الشعرية في عهد «داود» تظهر، وقد كان هو نفسه شاعرًا معروفًا، والواقع أن تأثير شعره وموسيقاه كان عظيمًا، لدرجة أنهما تركا أثرًا عميقًا في نفوس أخلافه، حتى إنهم نسبوا إليه تأليف عدة مزامير لا تزال صالحة لكل زمان، وعامة في استمالتها للشعور الإنساني، لدرجة أنها منتشرة حتى الآن بما تنفثه في روح الإنسان وتثير فيه من وجدان فياض.

«سليمان»: خلف «داود» ابنه «سليمان» على عرش الملك (حوالي ٩٦٠–٩٢٥ق.م)، وقد وصلت المملكة العبرانية في عهده إلى أوج عظمتها من الرفعة والبذخ. والواقع أن مشروعات «سليمان» التجارية والصناعية ونشاطه الواسع في استخراج المعادن وإقامة المباني ومستوى معيشته المترف لم يكن له مثيل في التاريخ العبراني، وقد عاش في وسط هذه المناظر الممتلئة بالنشاط والعمل عيشة الحاكم المهيمن والملك المنعم في بلاط يعد صورة من البلاط المصري أو الآشوري في عظمته، وقد كان من نتائج حكمه أن اندمج العبرانيون في مجرى الحياة والحضارة الشرقية.

وأقام قصرَ «سليمان» مهندسو عمارة من بلاد «فينيقية» مستعملين الخشب اللبناني كما فعل والده من قبل، وقد استغرق بناء هذا القصر ثلاث عشرة سنة، وكان الجزء الخاص بالملك غنيًّا بخشب الأرز؛ لدرجة أن أصبح يطلق عليه بيت «غابة لبنان»؛ فقد قيل في «سفر الملوك الأول إصحاح ٧ سطر ١–٢»: «وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة، وأكمل كل بيته وبنى بيت وعر لبنان طوله مائة ذراع، وعرضه خمسون ذراعًا، وسمكه ثلاثون ذراعًا على أربعة صفوف من أعمدة أرز وجوائز أرز على الأعمدة.»

وأما المعبد الذي أقامه هناك فكان أعظم شأنًا من الوجهة القومية، وموقعه على وجه التخمين هو المكان الذي يغطيه في أيامنا هذه «قبة الصخرة»، وكان تصميمه في الأصل ليكون محرابًا ملكيًّا تابعًا للقصر، وقد استغرق بناؤه سبعة أعوام فقط، ولكنه فيما بعد جعله معبدًا عامًّا للعبرانيين، وكان مهندسو العمارة والبناءون الذين صمموه وأقاموه من مدينة «صور» واستعملوا في إقامته خشب لبنان، وقد سُخِّر في بنائه ثلاثون ألف عامل من رعاياه بالتناوب، فكانوا يشتغلون شهرًا في «لبنان» مع رجال «حيرام»، وشهرين في بلادهم مزاولين عملهم المعتاد. (سفر الملوك الأول إصحاح ٥ من سطر ١٣ إلخ): «وسخر الملك

سليمان من جميع إسرائيل، وكان السخر ثلاثة ألف رجل، فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر بالنوبة، يكونون شهرًا في لبنان، وشهرين في بيوتهم.» إلخ. وكان الخشب الذي يقطع يحمل إلى البحر وينقل على ذوات ألواح ودسر إلى «يافا»، ثم يحمل إلى «أورشليم»، أما زينة هذا المعبد وحلياته فكانت متأثرة بالأشكال الكنعانية المعاصرة، وكذلك كانت شعائره وضحاياه تنعكس فيها العادات الكنعانية، وعبيد المعبد كانوا من الكنعانيين أيضًا، وحتى اسم هيكل (أي معبد) فقد استعير من المفردات الكنعانية، (وكلمة هيكالو مأخوذة من الكلمة السومرية «إجال» أي: «بيت عظيم» ونقلت إلى الكنعانية، وهذه الكلمة مستعملة في معظم لغات العالم القديم والحديث).

والمباني التي أقامها سليمان تشمل تحصينات وثكنات ومستودعات. وتدل الحفائر الحديثة التي عملت في «مجدو» على أن إصطبلاته التي كانت توضع فيها خيل عرباته كانت تحتوي على صفوف مزدوجة من المعالف تكفي لإيواء خمسين وأربعمائة جواد كان قد أحضر بعضها من «سوريا» و«سيليسيا». (كتاب الملوك الأول إصحاح ١٠ أسطر ٢٦) إلخ: «وجمع سليمان مراكب وفرسانًا، فكان له ألف وأربعمائة مركبة، واثنا عشر ألف فارس، فأقامهم في مدن المراكب ومع الملك في أورشليم.» إلخ.

وأقام «سليمان» بمساعدة صديقه الملك «حيرام» ملك «فينيقيا» أسطولًا من السفن لتجارة البحر الأحمر، وكانت قاعدة الأسطول «أزيون جبر» (موقعها الآن تل الخليفي عند رأس خليج العقبة)، وقد عمل فيها حفائر «نلسن جلوك» عام سنة ١٩٣٨ (راجع The First Campaign at Tell-el-Kaliefeh, Bull. American School of Oriental Research No. 62 (1938) pp. 3–18) وهذه البلدة قد سميت «عيله» في العهد الروماني.

وقد قام أسطول «سليمان» من هذه الميناء بقيادة ضباط من «صور» في بعوث بحرية حول ساحل بلاد العرب وشرقي إفريقيا (فسفر الملوك الإصحاح ٩ سطر ٢٧–٢٨) يقول: «فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان، فأتوا إلى أوفير، وأخذوا من هناك ذهبًا أربعمائة وَزْنَة وعشرين وزنة، وأتوا بها إلى الملك سليمان.» وكذا في نفس (السفر إصحاح ١٠ سطر ١١): «وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبًا من أوفير بخشب الصندل كثيرًا جدًّا وبحجارة كريمة.»

وكان الغرض الأصلي من هذه البعوث هو إحضار البخور وخشب الصندل والعاج والذهب والأحجار الثمينة، وذلك في مقابل النحاس والحديد اللذين كانا يكرران في «أزيون-جبر»، وهذه المواد كانت ترسل بطريق البحر أو بالقوافل إلى بلاد العرب والهند،

وكانت «أدوم» وكل الجزء الذي يسمى الآن «العرابة» من بلاد سليمان الواقع بين «البحر الميت» وخليج «العقبة» كان غنيًّا بالنحاس والحديد، وقد جعل ذلك ميناء «سليمان» المسماة «أزيون–جبر» مركزًا لصهر المعادن، ولا بد أن القانيين الأهالي هم الذين كانوا أول من جلب الأدوميين وهم رجال «سليمان» لاستخراج المعادن وصناعتها، وكانت القوافل الآتية من بلاد العرب المحملة بالتوابل معرَّضة لدفع ضرائب مقابل مرورها في أملاك «سليمان». وقد اتحدت الأقاصيص على أن تجعل اسم «سليمان» في كل العصور مرادفًا للقوة والبهاء والحكمة، وحتى الجن كانوا يأتمرون بأمره في الأرض وفي الهواء (سورة الأنبياء آية ٨١، ٨٢: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾).

وسورة سبأ آية ١٢ إلى ١٤: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

وسورة ص آية ٣٤–٤٠: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

وقد جذب فخامةُ بلاطه ملكةً من جنوب بلاد العرب وهي «بلقيس» التي جاء ذكرها في القرآن، وتدَّعي الأسرة المالكة في «الحبشة» أنها من نسل «سليمان» و«بلقيس»؛ ولذلك نجد ضمن ألقاب ملكها الحالي «أسيهودا»، وقد نسب إلى «سليمان» الحكيم عدة أمثال وجد بعضها طريقه إلى القانون؛ غير أن السجلات التاريخية لم تحدثنا عن هذا الموضوع. ويلاحَظ أن المملكة التي ورثها «سليمان» كانت أكبر بكثير من التي تركها لخلفه؛ وذلك لأن «فلسطين» اعترفت في هذا الوقت بالسيادة الفرعونية، هذا إلى أن «جيزر» وهو حصن كنعاني قد استولى عليه الفرعون الذي تزوج «سليمان» من ابنته، ووهب الفرعون هذا

الحصن مهرًا لابنته، وهذه الأميرة المصرية كانت واحدة من نساء «سليمان» وحَظِيَّاته اللاتي كان يبلغ عددهن سبعمائة زوجة وثلاثمائة حظية. (سفر الملوك الأول إصحاح ١١ سطر ٣): «وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه.» وقد أقام بتأثير من نسائه «المرتفعات» بالقرب من «أورشليم» لعبادة آلهة «صيدا» و«موآب» و«عمون». (سفر الملوك الأول إصحاح ١١ من سطر ٤ إلى ٨): «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه كقلب «داود» أبيه، فذهب سليمان وراء «عشتورت» إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين، وعلم سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه، حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه «أورشليم» ولمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن.»

وفي نهاية حكم «سليمان» خلص «رزون» الآرامي نفسه وبلاده من العبرانيين، وكان قبل ذلك الأمير «هدد» الأدومي الذي طرده «داود» من إقليمه بعد قتل كل ذكر فيه رجع لمضايقة «سليمان»، وكان «سليمان» يستعين بأعمال السخرة في مشاريعه العامة، وقد كان هذا الإجراء الظالم — مضافًا إليه إسرافه المسرف — السبب الأول لغضب الشعب، مما أدى إلى تقسيم البلاد في عهد خلفه، وكان إلى هذا العهد القومان: الإسرائيلي، واليهودي قد اتحدا مؤقتًا تحت حكم كل من «داود» و«سليمان»، غير أن الحياة الاقتصادية للقَوْمَيْن كانت مختلفة، فكان قوم الشمال رجال زراعة يعيشون على القمح والزيتون والكروم ومحاصيل أخرى مما تنتجه تربتهم الخصبة، أما قوم الجنوب فكان معظمهم رعاة يعيشون في هضاب صالحة لرعي الغنم والقطعان الأخرى. وكانت قبيلة «أفرايم» والقبائل الشمالية الأخرى أكثر تعرضًا للتأثير الكنعاني، وكان هواهم على ما يظهر مع عبادة الوهيم (إيل)، فكانوا يعبدونه ويقيمون له الأحفال والشعائر الشمسية المشتقة من العبادة الكنعانية، أما قبيلتا: «يهودة» و«بنيامين» في الجنوب فكان أهلهم بطبيعة الحال يفضلون «يهوه» الذي كان مركز عبادته معبد «أورشليم»، وكانت عبادته أبسط من عبادة «الوهيم»، وقد كان السبب المباشر في الخلاف والانقسام فيما بينهم اقتصاديًّا.

وعندما تُوُفِّيَ «سليمان» حوالي عام سنة ٩٢٥ق.م، وعقدت جمعية ممثلة للاثنتي عشرة قبيلة في «شخم Shechem»؛ ليباركوا ابنه «رحبعام» ملكًا عليهم، سألته الجمعية فيما إذا كان يأخذ على عاتقه ويقسم أنه سيخفف عبء الضرائب عن الأهلين أم لا؟ غير أن

جواب هذا الملك الصبي الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره كان طائشًا؛ إذ قال: «إن والدي قد أدبكم بالسياط، وإني أؤدبكم بالعقارب.» (سفر الملوك الأول إصحاح ١٢ سطر ١١). وعندئذ رفضت القبائل العشر الاعتراف به ملكًا عليهم، وأخذوا في انتخاب «يربعام» الأفريمي متكلم الجمعية ملكًا عليهم. وهذه القبائل العشر أُلِّفَت منها مملكة «إسرائيل» التي كانت عاصمتها في أول الأمر «شخم»، ثم «ترزاه»، وفيما بعد «سمارية» (السامرة)، أما القبيلتان الباقيتان وهما قبيلة «يهودا» و«بنيامين»، فقد بقي أهلهما ثابتين على ولائهم لملكهم «رحبعام»، وقد تألفت منهما مملكة «يهودا» وعاصمتها «أورشليم».

ودلت الحوادث على أن هاتين المملكتين كانت تناهض الواحدة منهما الأخرى، وكانتا أحيانًا عدوتين، وكانت كل منهما ترتفع أحيانًا وتنخفض أحيانًا أخرى، وقد كان ميزان القوة يميل تارة نحو«إسرائيل» وطورًا نحو«يهودا»، وقد وضح الميل إلى التفكك الداخلي من التغيرات الأسرية في «إسرائيل»؛ فقد تولى حكمها في مدة قرنين تسعة عشر ملكًا، يضاف إلى ذلك الثورات المتكررة في كلٍّ من المملكتين، وهذه هي العوامل الداخلية التي قضت في آخر الأمر على حياتهما. وكان العبرانيون مثلهم كمثل السوريين الآخرين لم يتعظوا بصفة جدية إلى قول مغنيهم عندما يقول: «ما أجمل وما أحلى للأَخَوَانِ أن يعيشا معًا متحدين!» (راجع سفر المزامير إصحاح ١٣٣ سطر ١).

مملكة إسرائيل

ويعد «عمري» أشهر ملوك «إسرائيل» الأول (٨٨٥–٨٧٤ق.م)، ويدل اسمه على أنه كان عربي المنبت، ويحتمل أنه كان نبطي الأصل، وأهم أثر خلفه لنا مدينة «سماريه» (سباطين الحالية)، وهي التي أسسها وحصنها ونقل إليها مقر الحكومة من «تيرزاه» التي لم يُحَقَّقْ موقعها حتى الآن، وأقام لنفسه في العاصمة الجديدة قصرًا زاد فيه وجمَّله خلفه «أخاب»، وهذا هو «البيت العاجي» (سفر الملوك الأول إصحاح ٢٢ سطر ٣٩) يقول: «وبقية أمور أخاب، وكل ما فعل، وبيت العاج الذي بناه، وكل المدن التي بناها، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل.» الذي كشفت عنه الحفائر الحديثة، وأثاثه مطعم بالعاج، ومغطى الكثير منه بأوراق من الذهب.

وفي خلال هذا العهد كانت مدرسة الحفر في العاج مزدهرة في الشمال في «سوريا»، حيث وجدت بيوت غنية تحتوي على حجرات مكسوة بخشب الأرز المطعم بألواح من العاج، ومن الجائز أن قصري «داود» و«سليمان» كان فيهما حُجَر مكسوة كذلك بالعاج،

والقصر الملكي في «سماريه» هو المثال الوحيد الذي عُثِرَ عليه من القصور التي ذُكِرَت في كتاب «العهد القديم»، وقد كان الأثر الذي تركه «عمري» في نفس معاصريه عظيمًا جدًّا، وقد بقي لمدة قرن بعد انقراض أسرته، حتى إن التواريخ الآشورية استمرت تشير إلى «سماريه» بوصفها بيت «عمري».

وقد عاش «أخاب» (٨٧٤–٨٥٢ق.م) في ود ومصافاة مع جيرانه، غير أنه كانت تعترضه مصاعب في داخلية بلاده، وقد لعب دورًا هامًّا بوصفه حليفًا «لدمشق» على الآشوريين في موقعة «قرقار» عام ٨٥٣ق.م التي لم تسفر عن نتيجة حاسمة[٣] (راجع Hitti, Ibid. p. 166)، وتزوج من «أزبيل» بنت «أتبعل» ملك «صور» و«صيدا»، وقد سيطرت هذه المرأة تمامًا على زوجها وحاولت أن تفرض عبادة الإله «بعل» الصوري على «إسرائيل»، وقد أدى ذلك إلى نضال مرير طويل بين الديانة البعلية وديانة «يهوه» للسيطرة على الحياة الدينية الإسرائيلية، وكان رد الفعل على بيت «عمري» وهو الذي قام به «والبشاه» قد وصل إلى قمته بعد ذلك بعدة سنين في ثورة قادها «ياهو» وهو ضابط بري، وقضت هذه الثورة على الأسرة، وقد أمر بإلقاء الملكة «أزبيل» المسنة من النافذة فنهش جسمها الكلاب! (راجع سفر الملوك الثاني إصحاح ٩ سطر ٣٣–٣٥)، ثم استولى «ياهو» على عرش الملك عام ٨٤٢ق.م فأعاد عبادة «يهوه» بمثابة الديانة الوحيدة، غير أنه في حروبه الخارجية لم يكن موفقًا قط. والظاهر أنه قد مُثِّل هو أو رسوله على المسلة السوداء التي أقامها «سالامنزر» مقبِّلًا للأرض عند قدمي ملك «آشور»، ومقدمًا له جزية من فضة وذهب وأواني قصدير، وقبل ظهور «ياهو» بمدة قصيرة قام «ميشا» ملك «موآب» بثورة على «إسرائيل» واحتفل باستقلاله بنقش على حجر أقامه في ديبون (ديان في الأردن) (راجع Cooke, North Semetic Inscriptions pp. 167)، وهذا الحجر نُقِشَ عاليه أطول متن من التي تعد من أقدم المتون العبرانية. ويختلف هذا المتن في لغته عن لغة «التوراة» من حيث لهجته، وفي نفس الوقت تقريبًا قامت ثورة أخرى ناجحة قام بها الآدوميون على بلاد «يهودا» مدلِّلة على ضَعْفِ كلٍّ من المملكتين.

[٣] وظن البعض أن «مصر» قد أرسلت قوة لمساعدة الحلفاء، غير أن ذلك يكاد يكون مستحيلًا؛ لأن كلمة المصري (الإقليم) الذي جاء منه ألف رجل لمساعدة «أخاب» وحلفائه يحتمل كثيرًا جدًّا أنه في الجزء الشمالي من «سوريا»، وهو إقليم بهذا الاسم (راجع Early History of Assyria p. 25, 389). وسنتحدث عن ذلك في حينه.

ومن المدهش أن نجد مظهرًا جديدًا لقوةٍ غير منتظرة في عهد حكم الملك «يربعام الثاني» (٧٨٥–٧٤٥ق.م) وهو ثالث نسل للملك «ياهو»؛ ففي عهده وسَّع حدوده الشمالية على حساب «آرام» (سفر الملوك الثاني إصحاح ١٤ سطر ٢٥): «وهو رد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة.» إلخ. وكُشِفَ عن بقايا السور المزدوج الذي حصن به «ساماريا»، ويبلغ سمك الجدار في بعض الأماكن حوالي ثلاثة وثلاثين قدمًا، على أن ما يميز حكمه هو أنه في نهايته أصبح «عاموس» نبيًّا في «بيت إيل» (بيت الله) (وهو المكان المسمى «لوز» عند الكنعانيين وخرائبه هي بلدة «بيتين» التي تقع على مسافة أحد عشر ميلًا شمالي «أورشليم»).

وقد كان في وسع «إسرائيل» أن تتمتع بالراحة قليلًا، ويرجع السبب في ذلك بوجه خاص إلى أن «آشور» كانت لمدة في مركز لا يسمح لها بمزاولة السياسة الهجومية، وكذلك كانت الدولة المصرية في ذلك العهد في حالة انحطاط.

ولكن هذه الحالة قد تغيرت عندما تولى «تجلاس — بيليسر الثالث» (٧٤٧–٧٢٧ق.م) عرش ملك «آشور»، وهو يعد بحق المعيد لمجدها الإمبراطوي؛ إذ نجده في سلسلة حملات سريعة هزم «دمشق» و«جلعاد» و«جليلي» و«سهل شارون» وصيرها ضمن أملاك «آشور» (سفر الملوك الثاني إصحاح ١٥ سطر ٢٩): «في أيام «فقح» ملك إسرائيل جاء «تغلث فلاسر» ملك «آشور» وأخذ عيون وآبل بيت معكه ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي وسباهم إلى «آشور»، ولم يرض «تجلاسي بيليسر» عن الطريقة التي كانت تتبع وهي ترك الحاكم الوطني يحكم بوصفه تابعًا للدولة، وجنح إلى سياسة تعيين نائب ملك من «آشور»؛ ليحكم البلاد التي فتحت بحد السيف.» (راجع Luckenbill Records Vol. I, 803, 805, 806, 809).

وقد حاول «زين» آخر ملوك «دمشق» و«بقاح» ملك إسرائيل إجبار «أحاز» ملك «أورشليم» على تأليف حلف من بلادهم على عدوهم المشترك، وقد أفضى الأمر إلى أن انكمشت «إسرائيل» إلى جزء من ملكها الأصلي، ودفعت «سمارية» جزية فادحة كما فعلت «يهودا» وجيرانها «فلسطين و«عمون» و«موآب» و«أدوم».

وبعد سنين قلائل كان «هوشع» ملك «إسرائيل» ينتظر المدد من مصر؛ ولذلك رفض الاستمرار في دفع الجزية للملك «سالا منزر» الخامس خلف «تجلات بيليسر»؛ ولذلك

حاصر مدينته لمدة ثلاثة أعوام لشدة مقاومة حصونها المتينة (سفر الملوك الثاني إصحاح ١٧ سطر ٤): «ووجد ملك «آشور» في «هوشع» خيانة؛ لأنه أرسل رسلًا إلى «سوا»[٤] ملك مصر، ولم يؤدِّ جزية إلى ملك «آشور» حسب كل سنة، فقبض عليه ملك «آشور» وأوثقه في السجن.» وقد سلمت في عام ٧٢٢–٧٢١ق.م لخلفه «سرجون الثاني» الذي ساق أمامه زبدة شباب «إسرائيل» (ويبلغ عددهم ٢٧٢٨٠ نسمة) إلى الأسر في «ميديا» (سفر الملوك الثاني إصحاح ١٧ سطر ٦): «في السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي.» (وكذا راجع Schrader Vol. I. p. 294).

ومن تلك اللحظة قضى على مملكة «إسرائيل» أبديًّا. على أن هؤلاء الشبان الذين سيقوا إلى «ميديا» لا يؤلفون إلا جزءًا من ٤٠٠٠٠٠ أو يزيد من سكان المملكة الشمالية الواقعة غربي الأردن، أما عشر القبائل المفقودة فإنهم لم يفقدوا؛ لأن الذين سيقوا إلى النفي قد اندمجوا في الأهالي على وجه عام، ومن السخافات أنه قد جرى بحث عنهم، وادعى بعض الطوائف في «بريطانيا العظمى» و«الولايات المتحدة» أنهم متناسلون منهم، وقد أظهر «بنيامين» المنسوب إلى «تودلا Tudela» وهو أحد سياح القرن الثاني عشر الميلادي صحةَ التحقيق التاريخي عندما كتب أن جماعة اليهود الذين يعيشون في جبال «نيسابور» في شرقي آسيا هم من نسل المنفيين الأصليين (راجع The Itinerary of Rabbli Benjamin of Tudela. Ed. A. Asher London 1840 p. 83. Tr. p. 129).

وفضلًا عن سياسة النفي التي اتبعها الآشوريون بنقل أولئك الذين كانوا شوكة في جانب «آشور» فإن «سرجون» وأخلافه قد استعملوا طريقة الاستعمار، وذلك بأن يحل محل المنفيين من الإسرائيليين غيرهم من قبائل «بابل» و«عيلام» و«سوريا» و«بلاد العرب» ووطنوهم في «سماريا» وأقطارها (راجع Luckenbill, vol II § 17, 118) (وسفر الملوك الثاني إصحاح ١٧ سطر ٢٤).

واختلط المهاجرون الجدد بالإسرائيليين وكونوا السامريين، وقد كانت معتقداتهم الدينية متحدة مع عبادة «يهوه» (سفر الملك الثاني إصحاح ١٧ من سطر ٢٤–٣٣). وأما الانشقاق النهائي بين المجتمعين فقد حدث حوالي عام ٤٣٢ق.م بعد أن عاد «أزرا» و«نحمايا» من المنفى وطالبوا بتطهير جنسهم؛ ولذلك طَرَدوا من «أورشليم» حفيدًا للكاهن

[٤] وهو على أغلب الظن الملك «شبكا» الكوشي.

الأكبر؛ لأنه تزوج ابنة حاكم السامريين (راجع سفر نحميا إصحاح ١٣ سطر ٢٨)، وأصبح بطبيعة الحال الشاب الطريد كاهن السامريين، وأقام معبدًا مناهضًا لمعبد أعدائه على جبل «جريزيم»، وفي هذا الوقت كان القانون اليهودي لا يحتوي إلا على الكتب الخمسة الأُوَل من العهد القديم فقط، وعلى ذلك فإن هذا الجزء من العهد القديم قد بقي منذ ذلك الوقت الكتاب الوحيد المقدس عند السامريين، وقد نقلوه في صور منوعة من الكتابة العبرانية القديمة، وكانوا يرون أن المحراب الحقيقي هو محراب «جريزيم» لا محراب «زيون».

وازدادت العداوة والبغضاء بين اليهود والسامريين على مر السنين ولم يسمح بالتزاوج بينهم قط، ومن أهم محاورات المسيح «عيسى بن مريم» ما دار بينه وبين المرأة السامرية التي أدهشها أنه بوصفه يهوديًّا يطلب إليها شربة ماء! (سفر إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع سطر ٩): «فقالت له المرأة السامرية: كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين.» وكذلك نجد المسيح يختار في واحد من أجمل أمثلته سامريًّا ممقوتًا بطلًا لقصة كان يقوم فيها بدور شريف (سفر إنجيل لوقا إصحاح ١٠ سطر ٣٠–٣٧): «فأجاب يسوع وقال: إنسان كان نازلًا من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين لصوص فعرَّوْه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت، فعرض أن كاهنًا نزل في تلك الطريق فرآه وجاز مقابله، وكذلك لاوي أيضًا؛ إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله، ولكن سامريًّا مسافرًا جاء إليه، ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتًا وخمرًا وأركبه على دابته، وأتى به إلى فندق، واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له: اعتنِ به، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك. فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص؟ فقال: الذي صنع معه الرحمة. فقال له يسوع: اذهب أنت أيضًا واصنع هكذا.» وفي خلال الاضطهاد الذي قام به «أنتيوكس أبيفالس» (١٧٥–١٦٤ق.م) لاقى السامريون من العذاب مثلما لاقى اليهود (راجع سفر المكابيين الثاني إصحاح ٥ سطر ١٢-١٣).

هذا على الرغم من تظاهرهم بالرضا بأن يتفقوا ويَهُدوا معبدهم الذي على جبل «جريزيم» للإله «زيوس» (راجع Josephus, Antiquities Bk XII ch. 5–2) (راجع سفر المكابيين الثاني إصحاح ٦ سطر ٢).

وقد كان مَثَل هذه الجماعة كمَثَل حفرية قد بقيت على مر العصور حتى يومنا هذا، وهم يمثِّلون الآن بحوالي مائتي شخص يعيشون في «نابولوس» وهي «شخم» القديمة،

وفي القرون الوسطى نما السامريون وترعرعوا في «غزة» و«القاهرة» و«دمشق» وبلاد أخرى، ولغتهم هي العربية اليوم، ويرى السائحون الذين يمرون صدفة أثناء عيدهم في «نابولوس» أنهم لا يزالون يضحون حمل عيد الفصح.

مملكة يهودا

وتولى عرش يهودا عدد من ملوك يماثل عدد ملوك إسرائيل؛ أي تسعة عشر ملكًا، غير أن المملكة الجنوبية قد امتد بها العمر أكثر من المملكة الشمالية بنحو قرن وثلث قرن. ومما يلفت النظر بين حوادثها السياسية المبكرة غزو فرعون مصر لبلادها، وذلك أن «شيشنق الأول» قد انتهز فرصة الانقسام بين «يهودا» و«إسرائيل» فاقتحم البلاد حوالي عام ٩٢٠ق.م، وضرب مدنها ونهب «أورشليم» وحمل غنيمة كل كنوز المعبد والقصر (سفر الملوك الأول إصحاح ١٤ سطر ٢٥-٢٦): وفي السنة الخامسة للملك «رحبعام» صعد «شيشنق» ملك مصر إلى «أورشليم» وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها «سليمان»، ولم يكن «رحبعام» في مركز يمكنه من صد غارة المعتدي، ويقال: إن إحدى بنات «شيشنق» تزوجت من «رحبعام»، كما أن والده «سليمان» تزوج من إحدى بنات الفرعون الذي سبق «شيشنق»، وقد أفاد كل من «يهودا» و«إسرائيل» من فترة السكون في «آشور» و«مصر» في خلال القرن الثامن قبل الميلاد؛ إذ لم يكن لهما نشاط حربي ملحوظ.

ولذلك نجد أن حكم «عوزيه» أو (إذاريه) الطويل ٦٨٢–٧٥١ق.م قد برزت فيه بلاده وسعد نجمها، فأعاد نظام جيشه، وأصلح معاقل «أورشليم»، ونال انتصارات على «فلسطين» و«العرب»، وتسلم جزية من العمونيين وأعداء آخرين (أخبار الأيام الثاني إصحاح ٢٦ سطر ٦–٨): «وخرج وحارب الفلسطينيين، وهدم سورجت وسوريبنه وسور أشدود، وبنى مدنًا في أرض أشدود والفلسطينيين، وساعده الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جور بعل والمعونيين.» وقد فضل الأعمال السلمية على الشئون الحربية، فشجع الزراعة بحفر الآبار، وحمى قطعانه في الصحراء بإقامة أبراج لا تزال باقية إلى يومنا هذا، ويدل عليها قطع الفخار المؤرخة (سفر أخبار الأيام الثاني إصحاح ٢٦ سطر ٩–١٠): «وبنى عزيا أبراجًا في أورشليم عند باب الزاوية، وعند باب الوادي، وعند الزاوية، وحصَّنَها، وبنى أبراجًا في البرية، وحفر آبارًا كثيرة؛ لأنه كان له ماشية كثيرة في الساحل والسهل وفلاحون وكرامون في الجبال وفي الكرمل؛ لأنه كان يحب الفلاحة.»

وكان من جراء القضاء على «إسرائيل» في عام ٧٢١ق.م أن تعرضت «يهودا» إلى هجمات مباشرة من آشور؛ إذ بعد سنين قلائل من هذا الحادث؛ أي في مستهل حكم «حزقيا» (٧٢١–٦٩٣ق.م) أصبحت خاضعة «لآشور»، وذلك أن المصريين حرضوا «حزقيا» الذي لم يأبه لتحذير «أشيعا Isaiah» على آشور فاعتنق سياسة الاستفزاز، وعقد محالفة مع البلاد الفلسطينية وغيرها من الحكومات المجاورة، واستعدادًا لما عساه أن يحدث من محاصرة العدو له حفر نفقًا في الصحراء طوله ١٧٠٠ قدم لتوصيل المياه لعاصمته، وهذا النفق هو المعروف باسم نفق «سيلوعام» الذي نُقِشَ على جداره متن مؤلف من ستة أسطر بالعبرية، وقد كُشِفَ عنه بطريق الصدفة، ودل على أن الحفر بُدِئَ به من كِلَا طرفي الصحراء بدقة مدهشة، وهاك النص: «وفي حين كان قاطعو الأحجار يرفعون الفأس الواحد في مقابل الآخر، وفي حين كان لا يزال باقيًا إلا ثلاث أذرع لتقطع، سمع صوت الواحد ينادى الآخر لوجود انشقاق في الصخر.» (راجع Cooke, North Semitic Inscriptions, p. 15)، وعلى ذلك قام «سرجون» بسلسلة حملات وبعوث تأديبية، وقفاه في ذلك خلفه «سنخرب» (٧٠٥–٦٨١ق.م) على مدن الفينيقيين والفلسطينيين ويهودا، وانتهى الأمر بحصار «أورشليم» عام ٧٠١ق.م، وبعد الاستيلاء على «صيدا» و«عكا» وقبول خضوع رسل «أشدد» و«عمون» و«موآب» و«أدوم»؛ سار «سنخرب» على ساحل «فلسطين» وأخضع «يافا» وغيرها من المدن حتى جنوبي «عسقلان» والحدود المصرية، ثم اتجه شرقًا واستولى على «لاكش»، ولكن «صور» و«أفرون» (وهي «عافير» الحالية على مسيرة ستة أميال من غرب «جيزر») قاومتا. ولما سمع «سنخرب» أن الجيش المصري كان يتقدم نحو الشمال فطن في الحال إلى أنه ليس من الحكمة في شيء أن يترك حصنًا قويًّا مثل «أورشليم» وراءه؛ ولذلك أرسل فرقة من جيشه إليها وسار هو بباقي الجيش جنوبًا والتحم عند «التكة Eltekeh» (يحتمل أنها «خرابة المقنع» الحالية) مع الجيش المصري الإثيوبي الذي كان يقوده «تاهرقا» في المعركة وأوقفت تقدمه، ولكن قبل أن يحول كل قوته على أورشليم «كان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفًا، ولما بكروا صباحًا إذا هم جميعًا جثث ميتة.» (سفر الملوك الثاني إصحاح ١٩ سطر ٣٥). فلا بد أن يكون هذا هو الطاعون الدملي، وهو نفس المرض الذي أصاب جيش «نابليون» في هذا الإقليم عام ١٧٩٩م، وهو نفس الطاعون الذي كثيرًا ما يصيب الحجاج.

ولم تسقط «أورشليم»، ولكن القرى المجاورة أصبحت خرابًا بلقعًا، وقد اعتقد بطبيعة الحال «أشعيا» والملك أن «يهوه» لا بد أن يحمي مدينتهم على كل حال، وقد سمح

«لحزقيال» أن يسترد عرشه، ولكن كان لزامًا عليه أن يدفع المتأخر من الجزية عليه، وأنه بعد عودة «سنخرب» إلى «نينوه» عليه أن يرسل بناته ونساء أخريات من القصر وكنوزًا ثمينة أيضًا إلى «نينوه».

ويلخص «سنخرب» بفخار انتصاراته فيما يلي: «أما عن «حزقيال» اليهودي الذي لم يخضع لنيري؛ فإن ستًّا وأربعين من مدنه المسورة والمدن المجاورة لها التي كانت لا تحصى قد حاصرتها واستوليت عليها ونهبتها وعددها بمثابة غنيمة، أما هو فقد حبسته مثل طائر في قفص في «أورشليم» مدينته الملكية ... وحزقيال هذا ... فإن بهاء جلالتي الرهيب قد استولى عليه.» (راجع Luckenbill Vol. II 312, cf. Schrader Vol. I p. 297 .2868). وادعى «سنخرب» أنه حمل معه ١٥٠–٢٠٠ رجلًا، وهؤلاء لا بد أن يكونوا عدد سكان بلاد «يهودا» الذين اعتبرهم غنيمة له.

ولا نزاع في أن بلاد «يهودا» قد تُرِكت في حالة خراب بسبب هذه الحملة، وبقيت مدة ثلاثة أرباع القرن السابع قبل الميلاد بمثابة قطر تابع «لنينوه» تدفع لها الجزية بانتظام، وعلى أية حال، فإنها عندما شعرت بضعف «آشور» لم تلبث أن بدأت تقوم من رقدتها، وهذا ما حدث في عهد «يوشع» الذي تولى عرش الملك حوالي ٦٣٦ق.م وهو في السنة الثامنة من عمره، وفي عهده اتسعت رقعة بلاده شمالًا في محاولة لتوحيد «إسرائيل» و«يهودا»، ولما سقطت «نينوه» عام ٦١٢ق.م في يد الكلدانيين شجع ذلك «مصر» على مد حدود إمبراطوريتها كَرَّة أخرى إلى شمال «سوريا»، فتقدم الفرعون «نخاو» على رأس جيشه شمالًا على طول الساحل، وفي هذا الوقت قام «يوشع» الذي كان يعد نفسه تابعًا لخلف «آشور» وهي «كلديا»، وسار لعرقلة التقدم المصري فجُرِحَ جرحًا مميتًا (٦٠٦ق.م) بسهم في ساحة موقعة «مدو». (سفر الملوك الثاني إصحاح ٢٣ سطر ٢٩-٣٠): «في أيامه صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك «آشور» إلى نهر الفرات، فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله في مجدو حين رآه، وأركبه عبيده ميتًا من مجدو وجاءوا به إلى أورشليم ودفنوه في قبره، فأخذ شعب الأرض يهو آحاز بن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضًا عن أبيه.»

ونال «يوشيا» شهرة خالدة بوصفه مصلحًا دينيًّا؛ ففي عام ٦٢١ق.م عندما كانت تُعْمَل إصلاحات في المعبد عُثِرَ على نسخة من كتاب، ولا بد أن تكون العهد القديم أو جزءًا منه، وهذا الكتاب قد اختفى عن الأنظار بطبيعة الحال في عهود الردة والاضطهاد، وبخاصة عصر «منشة» (٦٩٣–٦٣٩ق.م) ابن «حزقيال»، وقد كان لقراءة هذا الكتاب أثر عميق في نفس الملك وشعبه، حتى إنهم تعاقدوا على عبادة «يهوه» وحده، فحرقوا

أواني «بعل» و«السارية» و«أجناد السماء» التي كانت في المعبد، وخربوا البيوت المجاورة التابعة لأهل «سدوم»، وهدموا المرتفعات في كل أنحاء «يهودا» و«إسرائيل» (راجع سفر الملوك الثاني من كتاب العهد القديم إصحاح ٢٣ سطر ١–٢٥).

وقد تأرجحت «يهودا» بعد ذلك بين سياسة الخضوع لحكام «الفرات» الجدد والتحالف مع دولة «مصر» صديقتها القديمة، ولكن «يواقيم» بن «يوشيا» (٦٠٨–٥٩٧ق.م) اختار محالفة «نخاو» ملك «مصر». (سفر الملوك الثاني إصحاح ٢٣ سطر ٣٤): «وملك فرعون «نخاو» «الياقيم» بن «يوشيا» عوضًا عن «يوشيا» أبيه، وغيَّر اسمه إلى «يهو ياقيم»، وأخذ «يهو آحاز» وجاء إلى مصر فمات هناك.» فالواقع أنه كان في الأصل مرشح «نخاو» لعرض ملك «يهودا»؛ ولذلك قام في وجه «نبوخا دنزر» (بختنصر) الذي رأى والده «نابو بولسر» ثورة موفقة كانت من نتائجها بمساعدة الميديين تخريب «نينوه» وتأسيس دولة الكلدانيين، وكان «نبو خادنزر» وهو لا يزال قائدًا في جيش والده قد برهن على مهارته الحربية بهزيمة «نخاو» هزيمة منكرة في موقعة «قرقميش» عام ٦٠٥ق.م، وانتزع بذلك من «مصر» كل ممتلكاتها الآسيوية. (سفر الملوك الثاني إصحاح ٢٤ سطر ٧): «ولم يعد أيضًا ملك «مصر» يخرج من أرضه؛ لأن ملك «بابل» أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر.» وقد كان ذلك الحادث نقطة تحول في ذلك العصر، فقد فصل نهائيًّا في النزاع الطويل للسيادة في «آسيا الغربية»؛ فقد أصبحت «بابل» تحت سيادة الكلدانيين، وأصبحت هي الدولة المسيطرة التي لا منازع لها في شئون هذه الجهة.

ولم يكن «ليواقيم» من القوة ما يناهض بها «نبو خادنزر» الذي دخل جيشه «أورشليم» عنوة في عام ٥٩٧ق.م، وقيد الملك الثائر بالسلاسل ليحمله إلى بابل. (سفر أخبار الأيام الثاني إصحاح ٣٦ سطر ٦): «عليه صعد نبو خذناصر ملك بابل وقيده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل.» ولكنه إما مات أو قتل وأُلْقِيَ بجسمه خلف أبواب «أورشليم»، وقد تنبأ «أرميا» في وثيقة قطعها الملك وألقى بها في النار بأن «يواقيم» سيدفن دفن الحمار (سفر أرميا إصحاح ٢٢ سطر ١٩): «يدفن دفن حمار مسحوبًا ومطروحًا بعيدًا عن أبواب «أورشليم».» (وكذلك راجع Josephus, Antiquities Bk X cb. 6. § 3).

وتؤرخ نقوش «نبوخادنزر» التي نقشها على صخرة عند «الكلب» قبل هذه الحادثة بزمن قصير، وقد نقشها ثانية على صخرة في «وادي برسا» غربي «ربلة»، حيث نجد «نبوخادنزر» ممثَّلًا واقفًا أمام شجرة أرز في صورة أخرى غير السابقة مُثِّل فيها وهو يدفع عن نفسه أسدًا يقفز عليه (راجع Dussaud, Topographie p. 95).

ولم يكن ابن «يواقيم» وخلفه بأرجح عقلًا من والده، فقد اعتلى عرش البلاد بعد موت والده بثلاثة أشهر في عام ٥٩٧ق.م، ولم يلبث أن رأى «نبوخادنزر» يظهر شخصيًّا عند أبواب العاصمة، وبعد حصار قصير سلمت المدينة، وحمل الملك الشاب «يواقيم»، وأزواجه، وأمه، وموظفوه، وسبعمائة من جنوده، وألف من مَهَرَة صُنَّاعِه إلى بابل، وكان «أزقيل» ضمن القواد الدينيين الذي أُسِروا، وعلى إثر ذلك نصب «زدقيا» أحد أبناء «يوشيا» ملكًا بأمر «نبوخادنزر»، وقد بقي «زدقيا» الذي كان يبلغ من العمر الواحدة والثلاثين (٥٩٧–٥٨٦ق.م) على ولائه للملك «نبوخادنزر» لمدة أعوام، ولكنه لم يلبث أن عاد بعدها إلى طلب الاستقلال، وقد كان ذلك استجابة إلى تحريض قواده الوطنيين، هذا فضلًا عن أنه كان يعتمد على مساعدة مصر، ولما علم بذلك «نبوخادنزر» ثارت ثائرته وأرسل جيشًا ليخرب «أورشليم» التي كانت أصبحت تحت الحصار، وقد رفع الحصار مؤقتًا عندما اقتربت حملة مصرية بقيادة «حوفره» («أبريس» كما ذكره هيردوت) (راجع Diodorus, Bk 1 ch. 68, Bk II ch. 161) غير أنها حوصرت ثانية، وبعد عام ونصف نفدت قوة الحامية وهدمت جدران المدينة في عام ٥٨٦ق.م، ولما رأى ذلك ملكها فر في جنح الليل مع رجال حربه، غير أن العدو اقتفى أثره ولحق به في سهل «جريكو»، وأحضر إلى معسكر «نبوخادنزر» في «ربله» حيث رأى ذبح أولاده بعيني رأسه، ثم فقأ عينيه ليكون آخر مشهد لهما هذا المنظر المحزن! وبعد ذلك وُضِعَ الملك الأعمى في الأغلال وحمل إلى بابل (راجع سفر الملوك الثاني من كتاب العهد القديم إصحاح ٢٥ من سطر ١–٧).

أما «أورشليم» فخربت هي ومعبدها، وحمل عظماء المدينة والريف ويبلغ عددهم ٥٠٠٠٠ نسمة أسرى، ولم يبقَ في المدينة إلا عدد ضئيل من التعساء، ثم خرَّب هذا العاهل الجبار كل مدينة في «يهودا» تقريبًا، وقد بقيت كذلك عدة قرون، وبحلول عام ٥٨٢ق.م كان «نبوخادنزر» قد أعاد فتح البلاد المجاورة لبلاد «يهودا» عدا «صور» التي بقيت تقاوم الحصار حتى عام ٥٧٢ق.م، وقد كان ملكها المدافع عنها هو «أتبعل الثالث» الذي سلم الملك في عام ٥٧٤ق.م «لبعل الثاني»، وقد حدثت ثورة ضئيلة في «صور» في عام ٥٦٤ق.م ولكنها أخضعت بسهولة، وبذلك أصبحت كل «سوريا» في يد الكلدانيين.

المدنية العبرانية

يدين العبرانيون بالجزء الأعظم من حضارتهم لقوم الكنعانيين الذين سبقوهم استيطان بلاد «فلسطين»، فقد أخذ العبرانيون عنهم لغتهم وحروفهم الأبجدية، ولا نزاع في أن الإسرائيليين عندما استقر بهم المقام في موطنهم الجديد نبذوا لهجتهم السامية القديمة، وتكلموا بلهجة القوم الذين سكنوا معهم، وبدهي أن لهجتهم لم تكن تكتب؛ لأنهم لم يكونوا بعدُ يعرفون القراءة والكتابة؛ ولذلك لم يكن لهم في بادئ الأمر إنتاج أدبي أو تاريخي مكتوب.

ونعلم من تاريخ الإسرائيليين القديم أنهم كانوا من البدو أو العرب الرحَّل، ومن أجل ذلك كانوا لا يعرفون الزراعة، وقد تعلموها من الكنعانيين بعد أن استقروا مدة في فلسطين. ويلاحَظ في البلاد الجبلية التي كان يسكنها اليهود أن الكثير من نسلهم استمر في مزاولة حياة الرعاة، أما الجزء الشمالي الخصيب فقد كانت الزراعة فيه أول مورد لحياة سكانه.

وقد نتج عن الاختلاط من جهة الزراعة والتزاوج مع السكان الأصليين أن أخذ العبرانيون من الكنعانيين الشعائر الدينية والعادات التي كان يعدها السكان الجدد ضرورية للخصب وضمان المحاصيل الطيبة، ومعنى ذلك أن العبرانيين قد اتخذوا مجموعة عظيمة من الشعائر والأحفال بما في ذلك تقديس العمد الخشبية و«الشجرة المقدسة»[١]

[١] وهي تمثل النبات السرمدي الخضرة الذي يسكن فيه إله الخصب.

التي تدعى «العشيرة» و«المرتفعات»[٢] و«عبادة الثعابين»[٣] و«العجل الذهبي»، وقد كان الاعتقاد أن الطريقة المثلى للعبادة هي تضحية حيوان وتقديم قربان في المحراب من محاصيل الحقل والقطيع، وهذا الاعتقاد كان عامًّا بين أهالي «سوريا» و«مسبوتاميا» و«مصر» على السواء.

ولا نزاع في أن رقص «داود» أمام التابوت ليس إلا صدى للرقص الكنعاني الخاص بالخصب (راجع سفر صموئيل الثاني الإصحاح ٦ سطر ١٤): «وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب، وكان داود متمنطقًا بأفود من كتان.»

ولا تزال بقايا هذا الرقص موجودة حتى يومنا هذا عند الدراويش (وهو المعروف بالذكر).

أما الشعائر المحرمة التي نقرؤها في «التوراة» فتحمل في ثناياها معنى أنها قبل أن تحرَّم كانت مستعملة عند اليهود الذين أخذوها عن جيرانهم، ثم حرمها فيما بعدُ مرشدوهم؛ لأنها لا تتمشى مع مبادئ الديانة اليهودية. يضاف إلى ذلك أن تحريم طبخ جدي في لبن أمه كان يعد أمرًا غريبًا، وقد فُسِّر تفسيرًا في هذه الجهة (راجع الخروج إصحاح ٢٣ سطر ١٩): «أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك، لا تطبخ جديًا بلبن أمه.» (وكذا نفس السفر إصحاح ٣٤ سطر ٢٦).

ولم يكن الاعتراف «بيهوه» أنه الإله الأعلى بحق الفتح يحرم اعتبار الآلهة المحلية أنهم المراقبون على إنتاج الأرض، وقد كانت سلطة «يهوه» القضائية على الحكومة هي السلطة النافذة، أما شئون الحياة العادية كالزراعة والتجارة فلم تكن همه الأول.

ونجد أحيانًا — وعلى وجه خاص في الجزء الشمالي من المملكة العبرانية — أن «يهوه» كان قد اكتسب عدة صفات من صفات الإله «بعل»، فأصبح يعد رب السماء، ومرسل المطر، ومراقب العواصف. وكان الآباء اليهود يسمون بكر أولادهم باسم «يهوه»،

[٢] وذلك أنه فضلًا عن المعابد التي كانت تقوم في المدينة كان للكنعانيين محاريب معظمها محاريب في الهواء الطلق على قمم التلال، وهذه هي المرتفعات، وقد أنكرها مرارًا كتاب العهد القديم. (راجع سفر الملوك الأول إصحاح ١٣ سطر ٢): «فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال: يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب: هو ذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا، ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك وتحرق عليك عظام الناس.»

[٣] كانت إلهة الحصاد في مصر تدعى «رنوتت»، وتمثَّل في صورة ثعبان. (راجع مصر القديمة جزء ٥).

والأصغر باسم «بعل»؛ ولذلك نجد أن نسبة الأسماء العبرانية المركبة مع اسم «بعل» كانت تزداد باستمرار في العهد الأول، فنجد أن «شاؤل» سمى ابنه «أش-بعل» (رجل بعل)، و«يهوناثان» سمى «مري-بعل» (بعل يقاوم)، و«داود» سمى «بعليا راع» (بعل يعرف). (راجع سفر الأيام الأول إصحاح ٨ سطر ٣٣–٣٤): «ونير ولد قيس، وقيس ولد شاؤل، وشاؤل ولد يهوناثان وملكيشوع وأبيناداب وأشبعل وابن يهوناثان مريبيعل، ومريبيعل ولد ميخا.» (وكذا موجود بنفس السفر إصحاح ٩ سطر ٣٩–٤٠ ونفس السفر إصحاح ١٤ سطر ٧): «واليشمع وبعليا داع واليفلط.» وقد كان «ليهوه» مناهض في «بعل» الإله الكنعاني، حتى إنه في عهد «آخاب» و«أزابل» لم يكن يوجد أكثر من ٧٠٠٠ نسمة لم يجثوا على ركبهم لبعل، وهذا العدد على أية حال يَظْهَر أنه قد أرضى «اليشع» (سفر الملوك الأول إصحاح ١٩ سطر ١٨): «وقد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف؛ كل الرُّكَب التي لم تَجْثُ للبعل، وكل فم لم يقبِّله.»

الفن

أما من حيث الفن فإنه لا نزاع في أن الفن الديني والعمارة الدينية عند اليهود مأخوذة من أصل كنعاني؛ فمعبد «سليمان» — وهو الأثر الوحيد الديني الضخم الذي بقي لنا من عهد العبرانيين — لم يُقمه بناءون من «صور» وحسب، بل كذلك قد صُمِّمَ محاكيًا لتصميم محراب كنعاني، وزخرفته كذلك على حسب نماذج كنعانية، والقصر الملكي في «أورشليم» كان من إنتاج عمال فينيقيين كما ذكرنا من قبل، والملكان اللذان صُوِّرا على جدران هذا القصر في شكل إنسانين برأس حيوان يحرسان شجرة الحياة يمثِّلان حلية سامية قديمة، هذا إلى أن فكرة تصوير الملاك في صورة ولد صغير بجناحين ترجع في أصلها إلى فن عهد النهضة الذي أخذ بدوره من بولهول المجنح السوري أو الأسد المجنح برأس إنسان لا من الثور الآشوري المجنح كما كان يظن البعض، وكان برقع «التابوت» وكذلك جدران معبد سليمان محلًّى بصور الملائكة، وكان الإسرائيليون يتصورون إلههم واقفًا متربعًا على عرش فوق ملاك.

وكانت شعائر المعبد تتطلب أنغامًا موسيقية (سفر أخبار الأيام الأول إصحاح ٢٥ سطر ٦): «كل هؤلاء تحت يد أبيهم لأجل غناء بيت الرب بالصنوج والرباب والعيدان لخدمة بيت الله تحت يد الملك إلخ.»

وكان موسيقاروه ومغنوه الأُوَل كنعانِيِّي الأصل، أو تعلموا على يد كنعانيين، وعندما وضع «داود» أنغام الموسيقى المقدسة العبرانية — وهي التي رقاها من بعده «سليمان» — لم يكن لديهما نموذج يسيران على هديه إلا النماذج الكنعانية، ومما يؤكد ذلك أن طوائف الموسيقاريين المتأخرين كانوا يفخرون ويتشرفون بنسبتهم إلى أسر تحمل أسماء كنعانية (راجع Albright, Archeology and Religion of Israel, pp. 14, 162–197).

وتوجد صورة امرأة من بلدة «مجدو» القديمة مُثِّلث تضرب على آلة موسيقية، وهذه الآلة كانت معروفة في «فلسطين» منذ نحو ألفي سنة قبل عهد «داود»، ويعترف لنا مؤلف سفر «التكوين» بقدم الآلات الموسيقية التي كان يستعملها قومه بأنها تنتسب إلى أحد سلالة «قابيل» الذي كان أبًا لكل ضارب على العود أو نافخ في المزمار. (راجع سفر التكوين إصحاح ٤ سطر ٢١). وبعد أن تعلم رجال الدين استعمال هذه الآلات أصبحت تستعمل في الأغراض الدينية وغيرها.

ومن أهم هذه الآلات الإسرائيلية الدف الذي جاء ذكره في جهات كثيرة من كتاب «التوراة» (راجع القضاة إصحاح ١١ سطر ٣٤): «ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص.» إلخ. (وسفر صموئيل الأول إصحاح ١٨ سطر ٦): «وكان عند مجيئهم حين رجع «داود» من قتل الفلسطيني أن النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء «شاؤل» الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات.» (والمزامير إصحاح ٦٨ سطر ٢٥): «ومن قدام المغنون، من وراء ضاربو الأوتار، في الوسط فتيات ضاربات الدفوف.»

وكان لديهم كذلك الصفارة والقيثارة والبوق، أما الصفارة أو المزمور فكان كما نعلم قطعة يراع بسيطة أو مزدوجة (الأرغول)، وهو من النوع الذي يستعمله الراعي المصري والسوري الآن، وتصنع الصفارة من قرن الكبش أو التيس، وهي لا تزال مستعملة حتى الآن في المعابد اليهودية (راجع Curt Sachs, The history of Musical Instruments, New York 1940, pp. 110–112). ومن أحب الآلات الوترية عند العبرانيين القيثارة، غير أنه ليس لدينا أية فكرة عن الأنغام التي كانت تضرب على هذه الآلة، وكانت تغنَّى مع الضرب على هذه الآلات الأناشيد، وأقدم أغنية حُفِظَت لنا من هذا العهد هي أغنية «دبورة»، وهي أنشودة تحتفل بنصر بني إسرائيل على الكنعانيين كما جاء ذكره في «سفر القضاة الإصحاح الخامس»: «فترنمت دبورة وباراق أبينوعم في ذلك اليوم قائلين: لأجل قيادة القواد في إسرائيل؛ لأجل انتداب الشعب باركوا الرب، اسمعوا أيها الملوك، وأصغوا

أيها العظماء، أنا أنا للرب أترنم، أزمر للرب إله إسرائيل، يا رب، بخروجك من سعير، بصعودك من صحراء أدوم الأرض ارتعدت، السماوات أيضًا قطرت، كذلك السحب قطرت ماء، تزلزلت الجبال من وجه الرب وسيناء هذا من وجه الرب إله إسرائيل إلخ.»

وكذلك نجد أغاني للحجاج استعملوها في طريقهم إلى المعبد، ونجد كثيرًا منها في المزامير (راجع سفر المزامير من إصحاح ١٢٠–١٣٤). وهذه الأغاني كانت بطبيعة الحال شعرًا، ويلاحَظ أن الطباق هو أساس الشعر العبراني كما هي الحال في شعر «أوجاريت» (رأس الشمرة) التي كشف عنها حديثًا.[٤] والواقع أن الطباق المستعار من الكنعانيين هو الذي أسبغ على «المزامير» والمؤلفات الشعرية الأخرى في كتاب العهد القديم الكثير من بهائها وفخامتها وجمال أوزانها.

---

[٤] في عام ١٩٢٩ كُشِفَ بطريق الصدفة في بلدة «رأس الشمرة» على يد فلاح سوري بعض الآثار، ومن ثم بدأ بعث فرنسي يكشف عن آثار هذا المكان، وقد برهنت الكشوف على أنه تل يتألف من عدة مدن قديمة بعضها فوق بعض، وأقدم هذه المدن يرجع إلى الألف الخامسة ق.م كما يقول البعض، وحوالي عام ١٤٠٠ق.م عندما كانت هذه المدينة في أوج عزها كانت تسمى «أوجاريت»، وتقع على مسافة ميل في الداخل من مينائها التي تسمى الآن «الميناء البيضاء»، وهي تقابل بالضبط «قبرص»، وهذه البلدة مدينة برخائها للتجارة التي كانت تتدفق عليها بواسطة مينائها، وكان ملكها وقتئذٍ يدعى «بمتاد» صاحب القصر التي كانت عُمُدُه موشَّاة بالفضة، وكان يحميه برج ضخم مربع عرضه أربعة عشر مترًا وجدار سميك. ومن أهم الآثار التي عُثِرَ عليها في هذا المكان اللوحات المصنوعة من الطين التي نقشت عليها كتابات بالحروف الأبجدية بالخط المسماري، وقد عثر عليها في رقعة المعبد، وهذه النقوش قد نسخت في مستهل القرن الرابع عشر ق.م، وكان الأصل قد كتب في أزمان أقدم من ذلك بكثير، وكتابة هذه اللوحات تحتوي على ثلاثين حرفًا، وكلامها لهجة كنعانية، ومادة هذه اللوحات في معظمها شعائرية ودينية. وهذا الكشف يعيد لنا جزءًا كبيرًا من الأدب الكنعاني المفقود منذ زمن بعيد.

ومن أهم أشعار «أوجاريت» قصيدة تحدثنا عن الصراع السنوي بين إله النبات «بعل» وعدوه «موت» (الموت)، فنجد في هذه القصيدة أن «موت» يقهر «بعل»، وذلك يتفق مع أرض فيها حر الصيف يقضي على حياة الخضرة، ولكن بعودة المطر في أشهر الخريف ينتصر «بعل» على «موت»، وهذا يتفق تمامًا على ما كان يحدث في مصر؛ حيث كان الإله «أوزير» يمثل الدورة السنوية، أو بعبارة أخرى النيل فكان يحيا النبات بزيادة النيل ويموت في فصل التحاريق، وهكذا.

ويلاحَظ أنه يوجد تماثُل كبير في كلٍّ من لغة «أوجاريت» وكتاب «أيوب» من جهة اللغة والفكر، كما يوجد تشابه بين التراكيب الأدبية لهذه اللغة وألفاظها وأفكارها وأوزانها وبين المزامير العبرانية.

الحياة المنزلية

ودل البحث على أن حياة العبرانيين الدنيوية كانت مشتقة في كثير من الحالات من حياة قوم الكنعانيين الذين عاشوا معهم واختلطوا بهم وتزوجوا منهم؛ ولذلك يجد الباحث أن نظرتهم العامة إلى الحياة في الدنيا وفي الآخرة كانت في الواقع صورة من حياة الكنعانيين، وكانت عادات الدفن في كلا الشعبين واحدة؛ إذ كان الجسم يوضع في القبر ومعه أشياء من التي كانت تستعمل في الحياة الدنيا كالأطباق والجِرار، وكذلك كانت ملابسهم ومجوهراتهم وفخارهم وصناعاتهم تسير على حسب الطراز الكنعاني، فكان ملكهم يرتدي سربالًا طويلًا من نوع خاص، وكان الأنبياء يلبسون نفس السربال، وفيما بعد كان يلبسه النساء، أما لفائف الكتان فكان يلبسها كذلك الطبقة الراقية وتشمل قطعة مستطيلة من الكتان الرفيع.

وكان القوم يغزلون وينسجون عادة في بيوتهم لحاجتهم الخاصة، وهذا العمل كانت تقوم به النساء؛ ولذلك نجد أن الرجل العبراني الحكيم قد وصف الزوجة الصالحة أنها هي التي تبحث عن الصوف والكتان وتعمل طواعية بيديها (فسفر الأمثال إصحاح ٣١ من سطر ١٠–١٣) يقول: «امرأة فاضلة من يجدها؛ لأن ثمنها يفوق اللآلئ، بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة، تصنع له خيرًا لا شرًّا، كل أيام حياتها تطلب صوفًا وكتانًا وتشتغل بيدين راضيتين.»

وتدل ثقالات المغازل العديدة التي وجدت في «كيراجات يسفر» (أي مدينة الكتب وهي «تل بيت مرسيم» الحالي الواقع على مسافة ثلاثة عشر ميلًا جنوبي غرب «حبرون»)، وكذلك قطع خشب المغازل وأدوات الصباغة التي وجدت في «لاخش» على وجود محترفين كانوا يعملون للاستهلاك العام (راجع Barrois, Manuel Vol. I p. 482–7)، وكل من هاتين المدينتين كانتا في بادئ أمرهما من المراكز الكنعانية.

وقد امتاز العبرانيون بدرجة عظيمة عن غيرهم في قطع الأحجار الكريمة وتنسيقها، وتدل أختام من عهد الملكية على مهارتهم الفائقة في هذا الفن، ولدينا إشارات في التوراة عن أسر كتاب ونساجين وبعض الصياغ تدل على وجود نظام يشبه نظام الطوائف الذي يوجد بين أعضاء المهنة الواحدة، وكان مرماه الفائدة الاقتصادية والاجتماعية والدينية المتبادلة (راجع سفر أخبار الأيام الأول إصحاح ٢ سطر ٥٥): «وعشائر الكتبة سكان يعبيص ترعاتيم وشمعانيم وسوكاتيم.» إلخ. (وإصحاح ٤ سطر ٢١): «وعشائر عاملي البَزِّ من بيت أشبيع.» (وسفر نحميا إصحاح ٣ سطر ٨): «وبجانبهما رمم عزئييل بن حرهايا من الصياغين.»

والواقع أن الأنبياء كانوا عادة يحترفون حرفة والدهم، وهذه عادة كانت مستمرة في قوم العبرانيين، وقد وجدناها بصفة منظمة عند المصريين في آخر عهودهم كما تحدثنا عن ذلك من قبل [راجع الأسرة الرابعة والعشرين السيادة الحربية ووراثة الوظائف].

وكان نسيج الكتان يصنع من التيل الذي يُزرَع محليًّا، وهذا النبات القديم كان منتشرًا منذ عهد قديم على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وفي مصر (راجع مصر القديمة جزء ٢)، وكان ينمو في سهل «أريحة» قبل احتلال اليهود له (سفر يشوع إصحاح ٢ سطر ٦): «وأما هي فأطلعتهما على السطح ووارتهما بين عيدان الكتان لها منضدة على السطح.» وكان الكتان العادي قد اختفى فعلًا من فلسطين، ولكن لا تزال أزهار برية من فصيلة الكتان تزين في فصل الربيع وديان «سوريا» و«لبنان» (راجع George E. Post, Flora of Syria, Palestine & Sinai (Beirut 1896) pp. 181–184).

وقد جلب القطن بعد الكتان، ولكن الصوف كان يستعمل قبل ذلك بزمن طويل، وكان الإنتاج المحلي منه يستعمل ملابس يومية للطبقة المتوسطة الغنية، وقد جاء في نتيجة «جيزر» المؤرخة بمنتصف القرن العاشر ق.م ذكر القمح والزيتون والعنب، هذا خلافًا للكتان (راجع Gustaf Dalman, Arbeit und Sitte in Palastina Vol. I p. 7)، وكانت الأرض التي وعد بها «يهوه» هي أرض قمح وشعير وكروم وتين ورمان، وكذلك أرض زيتون وشهد (سفر التثنية إصحاح ٨ سطر ٨): «أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان، أرض زيتون زيت وعسل.» ولا نزاع في أن القمح كان أهم الحبوب في فلسطين، وكانت غارات الأعداء توجه غالبًا على أجران درس القمح كما هي الحال حتى الآن (سفر صموئيل الأول إصحاح ٢٣ سطر ١): «فأخبروا داود قائلين: هو ذا الفلسطينيون يحاربون قعيله وينهبون البيادر.»

وفي الحفائر التي عُمِلَت حديثًا عُثِرَ على أحجار طاحون لطحن الدقيق، وتدل الأفران التي وجدت في «بيت شمش» على أن بعض عادات خاصة لصنع الخبز قد استمرت حتى يومنا هذا، حيث نجد التنانير[٥] تستعمل، وكذلك نجد في نفس المكان بقايا معاصر للزيت والنبيذ، ووجدت حفر زيت كثيرة في «لاخش»؛ مما يدل على أن هذه الصناعة كانت من

[٥] راجع Elibu Grant, Rumeilih p. 49, do. The People of Palestine 1921 p. 78 و«بيت عين شمش» هو الآن قرية «عين شمس» التي تبعد مسافة ٢٠ ميلًا غربي «أورشليم» على الطريق من «يافا» إلى «حبرون»، وبالقرب من «عين شمس» يوجد «تل الرميلة» وهو موقع «بيت شمس» الأصلي.

الصناعات العظيمة في عهد الملكية اليهودية، وكانوا يستعملون مصابيح بسيطة من الطين على شكل طبق صنع في حافته مكان لشريط، ويرجع عهد استعمال هذه المصابيح إلى النصف الأول من الألف الثانية ق.م، فهم بذلك قد نقلوا استعمالها عن الكنعانيين، وكانوا يوقدون بزيت الزيتون، ولم يستعمل اليهود في الإنارة غير هذا الصنف من المصابيح لمدة سبعة قرون، والظاهر أنهم حوالي القرن الخامس ق.م استعملوا نوعًا آخر من المصابيح مجلوبًا من بلاد «مسوبوتاميا»، وقد وجد منه نماذج في «بيت شمش»، وكان بطبيعة الحال أحسن من الذي يستعملونه؛ إذ كان له مقبض على جانبه وغطاء من أعلى وثقب للشريط. هذا، وقد كُشِفَ عن خلية نحل مخروطية الشكل في «تل النصبة»[6] مما يدل على أن القوم كانوا يربون النحل.

وذُكِرَ في «التوراة» أنواع عدة من الخضر مثل: البصل، والثوم، والفول، والعدس، والقثاء، والكزبرة، وغير ذلك من أنواع الخضر والحبوب؛ مما يدل على أن عادات الأكل عند اليهود لم تختلف عن عادات جيرانها. وقد جاء ذكر هذه الخضر والحبوب في القرآن بمناسبة بني إسرائيل: «وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها» (وسفر العدد إصحاح ١١ سطر ٥): «قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم.» (وسفر صموئيل الثاني إصحاح ١٧ سطر ٢٨): «قدموا فرشًا وطسوسًا وآنية خزف وحنطة وشعيرًا ودقيقًا وفريكًا وفولًا وعدسًا وحمصًا مشويًّا إلخ.» (وسفر حزقيال إصحاح ٤ سطر ٩): «وخذ أنت لنفسك قمحًا وشعيرًا وفولًا وعدسًا ودخنًا إلخ.»

وكان للعنب ومنتجاته شأن في الشعائر والاقتصاد اليهودي؛ إذ إن شجرة العنب (الكرم) تعني الخصب، هذا، وكان الخمر يستعمل قربانًا في المعبد (سفر اللاويين إصحاح ٢٣ سطر ١٣): «وتقدمته عشرين من دقيق ملتوت بزيت وقودًا للرب، رائحة سرور وسكيبة ربع الهين من خمر.» (والعدد إصحاح ١٥ سطر ٤ إلخ): «يقرب الذي قرب للرب تقدمة من دقيق عشرًا ملتوتًا بربع الهين من الزيت، وخمرًا للسكيب ربع الهين إلخ.»

هذا، وكانت الكروم وعناقيد العنب تستعمل حلية في الصور المحفورة في معابد اليهود الأولى وفي مقابرهم، وكذلك كان الرمان يستعمل في الحلية كما كان يستعمل عصيره شرابًا

[6] «تل النصبة» على مسافة ثمانية أميال شمالي «أورشليم»، وعلى مسافة ميلين جنوبي «البيرة».

سائغًا (راجع نشيد الأناشيد إصحاح ٨ سطر ٢): «وأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي تعلمني، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني.»

وكانت السوسنة (وهي نبات مصري وقد اشتقت من كلمة «سشن») أحسن الأزهار وأجملها وأحبها لنفوس القوم، وقد جاء ذكرها في «نشيد الأناشيد» (إصحاح ٢ سطر ١-٢): «أنا نرجس شارون سوسنة الأودية، كالسوسنة بين الشوك، كذلك حبيبتي بين البنات.» (وسطر ١٦ من نفس الإصحاح): «حبيبي لي، وأنا له الراعي بين السوسن.» (ونفس السفر إصحاح ٤ سطر ٥): «ثدياك كخشفتي ظبية توءمين يرعيان بين السوسن.» (وإصحاح ٦ سطر ٢-٣): «حبيبي نزل إلى جنته في خمائل الطيب ليرعى في الجنات ويجمع السوسن، أنا لحبيبي وحبيبي لي، الراعي وبين السوسن.»

وكانت هذه الزهرة تزين جدران المعابد اليهودية، ثم رُسِمَت فيما بعد على نقودهم، هذا إلى أن أنشودة «سليمان» حافلة بالإشارات إلى هذه الزهرة وغيرها من النباتات، من المحتمل أن الزهر الذي ذكر في أنشودة «سليمان» كان قاصرًا على الديسم شقيق نعمان)، والأقحوان وأزهاره لا تزال تنتشر خلال الربيع بساطًا من اللون الفاخر على وديان «سوريا» الفيحاء. ولا بد أن «المسيح» كان يفكر في واحدة من هذه الأزهار، عندما قال: «ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ولا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم: إنه ولا «سليمان» في كل مجده كان يلبس واحدة منها.» (إنجيل متَّى إصحاح ٦ سطر ٢٨-٢٩).

هذا، ولم تُجْلَب النقود المضروبة إلى فلسطين حتى القرن الخامس ق.م، وكان التعامل قبل ذلك بالنقد البابلي الذي كان أساسه وحدة الوزن (الشكل)، فنعلم أن الفضة لم تكن تضرب نقودًا، بل كانت المعاملة بها بالوزن، واستعملت لذلك الغرض في كل غربي آسيا، وإن كانت التجارة تسير بالمبادلة. وقد ذكر لنا «سنخرب» (٧٠٥–٦٨٠ق.م) — وهو أحد الفاتحين الآشوريين لبلاد «سوريا» — مثل هذه الموازين عندما قال: لقد صنعت قالبًا من الطين، وصببت بُرُنزًا فيه كما تصنع قطعة تساوي نصف شكل (راجع Daniel D. Luckinbill, The Annals of Sennachrib Chicago (1924) p. 123).

وعندما كانت الأعمال التجارية لا تسير بطريق المبادلة كانت تسير بوساطة الوزن؛ أي إنه كانت توجد موازين مختلفة كوِّنت على حسب نظام الشكل، وقد كُشِفَ عن هذه الطريقة في مواقع أثرية مختلفة.

وفي باكورة القرن الخامس ق.م كانت الفضة الأثينية التي أصبحت وقتئذٍ عملة دولية قد أخذت تستعمل في الشرق الأدنى، وكانت تقلد في «فلسطين وبلاد العرب» (راجع Hitti, History of the Arabs p. 57–58).

أما أول عملة عبرانية فإنها ظهرت في أواسط القرن الخامس ق.م، ومن المحتمل أن الذي ضربها هو «ناحوم».

الديانة

لا نزاع في أن أعظم إنتاج قدمه العبرانيون للعالم هو الإرث الديني الذي خلفوه للعالم، أما الفنون الأخرى فتدل شواهد الأحوال على أن إنتاجهم كان ضئيلًا نسبيًّا، والمعترف به الآن أن الإنتاج الديني الذي خلفه العبرانيون قد جعلهم من أهم المعلمين لبني البشر من الوجهة الأدبية والأخلاقية، ويجد القارئ كل ما خلفه لنا العبرانيون في كتاب «العهد القديم» الذي يعد أهم وأعظم كتاب أدبي كامل وصل إلينا قبل عهد المسيح، والواقع أن هذا الكتاب يعد منهلًا ضخمًا لفنون الحضارة العالمية. حقًّا، قد وصلت إلينا آثار دينية وأخرى أدبية عن الحضارات القديمة من الوثائق التي كشف عنها عن طريق الحفائر الحديثة، وكلها يمكن الاعتماد عليها إلى حد ما؛ لأنها وصلتنا مدوَّنة في وثائق نقشت على جدران المعبد، أو على لوحات من الآجُرِّ، أو على بردي، وغير ذلك من أدوات الكتابة، ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن كتاب «العهد القديم» الذي يحوي كل مدينة العبرانيين قد وصل إلينا عن طريق الرواية، فاختلطت به بعض الروايات المحرفة! ومع ذلك فإنه قد بقي أزمانًا طويلة قوة فعالة في حياة الإنسان عامة، فنجد أن مادته قد مرت عليها تقلبات فاختير بعضها وحذف بعضها قبل أن تتخذ صورتها النهائية، ومع ذلك نجد أن وحدة شاملة تسود هذه المادة التي كانت موضع الدرس الدقيق في كل الأزمان، فكان أهل الفن والشعراء والكتاب في العهود القديمة والمتوسطة والحديثة يجدون فيه موردًا عذبًا وإلهامًا عظيمًا.

وتدل شواهد الأحوال على أنه قد اشترك في تأليف هذا الكتاب العظيم غير المؤرخين معلمون مختلفون في ثقافتهم، فنجد من بينهم أولًا رجل القانون الذي مثل في «موسى»

الذي تكلم بوصفه لسان «يهوه»،[1] ونجد مقابل قانون «موسى» بوصفه من عند الله على لسان «موسى» ما في قوانين «حمورابي» التي على الرغم من أنها أقدم منها بقليل، فإنها تعكس أمامنا صورة أرقى من الوجهة الصناعية والتجارية إذا ما قرنت بحياة البداوة والزراعة عند العبرانيين.

ففي قانون «حمورابي» نجد أن العبد يحرر في السنة الرابعة (راجع Robert W. Rogers, The Code of Hammurabi in the Cuniform Parellels to the Old Testament (New York 1912) 117).

وفي قانون «موسى» يحرر العبد في السنة السابعة (التثنية إصحاح ١٥ سطر ١٢): «إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين، ففي السنة السابعة تطلقه حرًّا من عندك.» وفي قانون «حمورابي» نجد أن الغرامة تتراوح من ضعفين إلى ثلاثة بقدر المسروق، وفي الميثاق تكون أربع مرات (راجع سفر الخروج إصحاح ٢٢ سطر ١–٤): «إذا سرق إنسان ثورًا أو شاة فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران، وعن الشاة بأربعة من الغنم. إن وُجد السارق وهو ينقب فضُرِبَ ومات فليس له دم، ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم. إنه يعوض إن لم يكن له يبع بسرقته إن وجدت السرقة في يد حية ثورًا كانت أم حمارًا أم شاة يعوض باثنين.»

وفي قانون «حمورابي» كان يعاقب ضارب الأب بالتشويه (Rogers, Ibid p. 195) وفي شريعة موسى كان عقاب ذلك الموت (سفر الخروج إصحاح ٢١ سطر ١٥): «ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلًا.»

ويقضي قانون «حمورابي» بتوقيع العقاب على القضاة المرتشين (Rogers, Ibid. p. 5)، أما قانون «موسى» فإنه يحرم الرشوة (سفر الخروج إصحاح ٢٣ سطر ٨): «لا تأخذ رشوة؛ لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار.»

ويلاحَظ أن كلًّا من القانونين قد تضمن العادات الموجودة، ويشمل مبدأ القصاص القائل: النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص. (سفر الخروج إصحاح ٢١ سطر ٢٣-٢٤): «وإن حصلت أذية تعطي نفسًا بنفس، وعينًا بعين، وسنًّا

[1] (راجع سفر الخروج ٢٠ سطر ١٩–٢٢): «وقالوا لموسى: تكلم أنت معنا فنسمع، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت. فقال موسى للشعب: لا تخافوا؛ لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم، ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا. فوقف الشعب من بعيد، وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله.»

بسن، ويدًا بيد، ورِجْلًا برِجلٍ.» وهذا نفس ما نجده في قانون «حمورابي» (راجع Delaporte, Le Proche Orient. Asiatique p. 136).

الإسلام وقرر هذا القانون، غير أنه أباح الصفح لمن يريد ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ (قرآن كريم).

وكان كل من «حمورابي» و«موسى» يتلقى قوانينه من ربه، فكان الأول يتلقاها من شمش (إله الشمس)، والثاني من «يهوه»، غير أن العنصر الخلقي الذي نجده في قانون «موسى» الذي يشمل الوصايا العشر ليس له نظير في أي قانون في العالم، ولم يكن في مقدور من جاء بعده إلا «عيسى» أن يضيف تحسينات على هذه الوصايا العشر، فنجد فيها أن التحريم يذهب إلى ما وراء دائرة العمل، فيذهب إلى التفكير في كل موبق. ومن رجال التعليم العبرانيين الكاهن، وكانت وظيفته تعليم القانون، ولكن كان يؤديه أكثر مما يعلمه، فكان الكاهن يقوم بواجباته عند المذبح وتأدية الشعائر الأخرى، فكان يعمل وسيطًا بين الإنسان والله، وكان الكهنة يؤلفون طائفة خاصة بين أمم العالم القديم، ونجد في حالة الكهانة عند العبرانيين أنهم كانوا يتوارثونها في أسرة «هارون» وحسب. (سفر الخروج إصحاح ٢٨ سطر ١): «وقرِّب إليك هارون أخاك من بني إسرائيل ليكهن لي.» إلخ. (وسفر العدد إصحاح ١٦ سطر ٤٠): «تذكارًا لبني إسرائيل لكيلا يقترب رجل أجنبي ليس من نسل هارون ليبخر بخورًا أمام الرب فيكون مثل «قورح» وجماعته كما كلمه الرب عن يد «موسى».»

وكان من بين المعلمين كذلك في البيئة اليهودية الرجل الحكيم، والواقع أن الحكماء العبرانيين كانوا يتحدثون إلى الأفراد أكثر مما يتحدثون إلى المجتمع، وقد كانت رسالته أن يفلح في عمله لا ليكسب حظوة الإله ورضاه، وكانت الحكمة على خلاف القانون مصدرها الإنسان؛ إذ كانت نتيجة ملاحظته وتجاربه، وكُتُبُ الحكمة المشهورة هي: كتاب «أيوب»، و«الأمثال»، و«سفر الجامعة». وأهم كاتب بين كل كُتَّاب الحكم الأدبية هو كاتب سفر «أيوب».

ومؤلف كتاب «أيوب» لا يعد حكيمًا منقطع النظير وحسب، بل كذلك يعد شاعرًا نسيج وحده، والشعر العبري مثله كمثل الشعر في كل اللغات الشرقية، يعبر عن أقوال خارجة عن شعور قوي وُضِعَت في أوزان خاصة، والشعر الغنائي كان السائد بين بني إسرائيل، فكان الشاعر بوصفه مغنِّيًا يحفل في قصائده العظيمة بالخلاص الذي صنعه «يهوه»، أما بوصفه كاتبًا للزبور (المزامير)؛ فإنه كان يعبر عن عواطف التائب الذي كان

يرجو الرحمة أو يعبر عن فرحه بالمغفرة التي نالها. (راجع المزامير إصحاح ٣٢): «طوبى للذي غُفِرَ إثمُه وسُتِرَتْ خطيته.» إلخ. (ومزامير إصحاح ٥١): «ارحمني يا الله حسب رحمتك.» أو يعبر عن مشاعر رجل ضعيف يصبح يائسًا، أو يصلي لله للنجاة (راجع مزامير إصحاح ٣): «يا رب، ما أكثر مضايقيَّ! كثيرون قائمون عليَّ.» إلخ. (والمزامير إصحاح ٢٣): «الرب راع فلا يعوزني شيء.» إلخ. (والمزامير إصحاح ٣٨): «يا رب، لا توبخني بسخطك، ولا تؤدبني بغيظك.» إلخ. ولذلك كان الشاعر معلمًا في بني إسرائيل.

ومن أهم المعلمين بوجه خاص «النبي» (المبلغ بالعبرية)، ولا يقصد بكلمة «نبي» هنا ذلك الرجل الذي يخبر عن الحوادث المستقبلة، بل هو الذي يتحدث بالنيابة عن آخر، وفي هذه الحالة كان ينوب عن الله، وهذا هو المعنى اللغوي لكلمة «نبي»، وقد بدأت الديانة العبرية بالأنبياء، وقد نشأ النبي بمثابة احتجاج على الديانة البعلية وعبادات أخرى أجنبية، وقد كان الغرض من الأنبياء هو توطيد ديانة «يهوه»، فكان الأنبياء في الواقع هم أبطاله، وقد بدءوا فعلًا باتخاذ ذلك قاعدة لمبدئهم. واستمر أنبياء «إسرائيل» على هذا المنوال، فشقوا طريقهم إلى عالم سامٍ من التفكير الروحاني، وبذلك انتخبوا ديانة جديدة وهي ديانة توحيد تتمثل في إله واحد سام لجميع العالم، وقد علَّم الأنبياءُ الناسَ أن هذا الإله الأحد كان قبل كل شيء إله أخلاق وحق، وفضلًا عن ذلك كان ينتظر هذا الإله من أتباعه أن يكونوا أصحاب أخلاق وأصحاب عدالة مثله، وهذا الإله كان لا يتمتع بالضحايا والقربان التي كانت تقرب له، بل يحيا وينعم بالأخلاق المثالية الصالحة، فكان كل ما يهمه هو سلوك الشخص لا التعبد إليه، وكان المبدأ الرئيسي في تعاليم الأنبياء هو التوحيد المبني على الأخلاق الصالحة التي لا تشوبها شائبة.

وقد ظهر هؤلاء المعلمون الجدد بتفسير مبتدع للإله في عالم كانت كل دياناته تتألف من سلسلة أعمال وإجراءات كانت تأديتها على الوجه الصحيح ضرورية لكسب رضا الإله أو تجنب غضبه، ولم يكن هدف القوم الواقعي هو نجاة الروح،[٢] بل هو تقدم الفرد

[٢] كان المصريون وحدهم من بين أمم العالم لهم نظام خاص محكم عن الحياة بعد الموت، و«شول» الذي كان يعد مأوى الموتى عند العبرانيين مبهم وغير محدد، ولم يكن له تصميم رسمي، فكان الصالح والطالح يذهبان إليه، وبخاصة الطالح، ويمضي فيه حياة خاملة مظلمة (راجع التكوين إصحاح ٣٧ سطر ٣٥): «فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال: إني أنزل إلى ابني نائحًا إلى الهاوية، وبكى عليه أبوه.» (وسفر صموئيل الأول إصحاح ٢ سطر ٦، والمزامير إصحاح ٩ سطر ١٧،

والمحافظة على المجتمع، فكانوا بذلك هم أئمة العدالة الاجتماعية، ولم يقم معلمون دينيون من أهل «بابل» أو «خيتا» أو «اليونان» بأي محاولة كهذه ترمي إلى ربط الأخلاق بالدين أو تدبر قواعد السلوك الاجتماعي بمثابة أوامر إلهية. وإذا قرنَّا العنصر الخلقي الذي جاء في كتاب «الموتى» عند قدماء المصريين وغيره من الأدب المصري القديم نجد أن فيها ما يشبه ما جاء به أنبياء بني إسرائيل، غير أنه كان نفعيًّا قبل كل شيء واختلط بالسحر (راجع مصر القديمة الجزء الخامس).

وقد بنى المسيح تعاليمه على تعاليم الأنبياء العبرانيين لا على القوانين أو أقوال كهنة العبرانيين، وقد سار «محمد» — عليه الصلاة والسلام — على ما جاء في «التوراة»، ولن نكون إذن مبالغين إذا قلنا: إن أنبياء «إسرائيل» قد أدخلوا أكبر حركة في التاريخ الروحي لبني الإنسان (راجع Julius A. Bewer, The literature of the Old Testament in the Historical Development (New York) p. 87).

على أن تفكير الأنبياء لم ينتج رأيًا جديدًا عن طبيعة الله وصفاته، أو علاقة الإنسان بالله وحسب، بل أنتج طرازًا شعريًّا جديدًا من الأدب مُقَفًّى يؤثر في النفس ويستهويها، وقد فقد بطبيعة الحال كثيرًا من تأثيره الشعري بالترجمة، وكان أول ظهور أدب الأنبياء ما بين سنة ٧٥٠ و٥٥٠ق.م.

وتدل ظواهر الأحوال على أن البابليين والآشوريين والإغريق قد وصلوا إلى أعلى مرتبة دينية بأن عبدوا إلهًا عاليًا من بين عدة آلهة، ومن جهة أخرى ظن البعض أن «إخناتون» الذي كان يعبد إلهًا واحدًا — وهو القوة الكامنة وراء قرص الشمس — لم يكن موحِّدًا بالفعل؛ لأن «إخناتون» أشرك نفسه معه وصار إلهًا يُعبَد أيضًا (راجع Wilson, The Burden of Egypt, p. 216ff)، فهؤلاء الأقوام قد وصلوا في عبادتهم إلى الوحدانية؛ أي عبادة إله واحد، ولكن بجانب هذا الإله الواحد كان يوجد غيره من الآلهة في آن واحد، فنجد بعض الناس كان يصلي للإله «مردوك» أو «آتون» أو «أبوللو» كأنه لا يوجد إله غيره موجود في فترة الصلاة. والواقع أن التوحيد نظام اعتقاد لا ينكر قانونية أية آلهة أخرى في مجالاتهم المحدودة وحسب، بل ينكر كذلك مجرد وجود أي إله آخر، فإله العبرانيين لم يكن إله قبيلة أو أمة، بل إلهًا دوليًّا عالميًّا. والواقع أن عبادة إله واحد عالٍ مع وجود

وإصحاح ٦ سطر ٥، وإصحاح ٣١ سطر ٧، وسفر الجامعة إصحاح ٩ سطر ١٠، وأشير إصحاح ١٤ سطر ٩، وسفر دانيال إصحاح ١٢ سطر ٢).

آلهة أخرى معه تعد خطوة وسطى بين تعدد الآلهة والوحدانية.[٣] ويقول علماء الأديان المستشرقون: إن «موسى» كان يعبد إلهًا واحدًا مع وجود آلهة آخرين، وكذلك كانت الحال مع «داود»، فكان «يهوه» في نظره هو إله العبرانيين وحسب، وكان قضاؤه وسلطانه على أرض إسرائيل (سفر التثنية إصحاح ٢٨ سطر ٦٤): «ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر.» وهذه الرابطة الوثيقة بين الإله والأرض لم تكن بصفة خاصة عبرانية في أصلها، بل قد اعترف بها معاصروهم، وقد بقيت الحال كذلك حتى بزغ فجر عصر الأنبياء، وعندئذٍ بدأ إله العبرانيين «يهوه» مجاله بوصفه في بادئ الأمر إلهًا قبليًّا ينعم بإنزال العقاب الصارم على الغاشمين من المصريين الظالمين لقومه، وبعد ذلك أصبح إلهًا شعبيًّا مبيحًا إبادة الآموريين والكنعانيين،[٤] وأمر بذبح المئات من مناهضيه من الكهنة، ومن ثم رُفِعَ إلى مرتبة فريدة بوصفه الإله الواحد الفرد في كل العالم الذي من صفاته الحب والرحمة والعدالة والغفران. على أنه من الصعب أن نفسر هذا التطور، فعلى حسب نظام الفكر القديم كان من المفهوم أنه عندما تسود قبيلة في التغلب على أخرى كان يسود كذلك إله هذه القبيلة أو البلد الغالب فيصبح معبود البلد المقهور.

غير أن أنبياء العبرانيين لم يسيروا على هذا المنهج؛ إذ نجد أنه في حين كان الجيش الآشوري يقهر أهل «يهوه»، كان أنبياؤه يعلِّمون العبرانيين أن «يهوه» يستعمل «آشور» بمثابة آلة عقاب تنصب على قومه؛ لأنهم تعدوا حدود إلههم، وبذلك انقلبت الهزيمة إلى نصر، ومن ثم لم تصبح مكانة «يهوه» ثابتة في مكان واحد بل رُفِعَت إلى درجة أعلى؛ إذ صارت مكانة سامية فريدة تسود كل العالم وتملؤه.

وقد كان مما لا يصدقه العقل أن يصبح راعي غنم وخاتن شجر جميز من بلدة خاملة الذكر في «يهودا» والصحراء المجاورة أول فرد في تاريخ الفكر الإنساني يصل إلى تصور الإله بأنه الفرد الأحد وإله العالم كافة! ونعني بذلك «عاموس» التقوعي (تقوع بلدة خربة على مسافة ستة أميال جنوبي بيت لحم) الذي أعلن رسالته عام ٧٥٠ق.م وكان

[٣] وقد تمثل ذلك الدين في هذه الصورة في عبادة الإله «آمون» بوصفه الإله الأحد الفرد الصمد في عهد الأسرة الواحدة والعشرين (راجع مصر القديمة الجزء الثامن).

[٤] سفر الملوك الأول إصحاح ١٨ سطر ٣٠–٤٠، وسفر التثنية إصحاح ١٣ سطر ١٣–١٧، وإصحاح ١٧ سطر ٢–٥.

«عاموس» هذا يبشر بلسانه لا بقلمه، فكان بذلك مثله كمثل «محمد» — عليه الصلاة والسلام، ومن المحتمل أنه كان كذلك أميًّا، وقد نشر رسالته في مملكة الجنوب في عهد الملك «يربوعام» الثاني الذي جلبت فتوحه ثروة حديثة ومطايب جديدة لبني إسرائيل كما ذكرنا من قبل، وكان «عاموس» أول من عبد «يهوه» إلهًا للناس كافة (سفر عاموس إصحاح ٩٨ سطر ٥–٧): «إن السيد رب الجنود هو الذي يمس الأرض فتذوب، وينوح جميع الساكنين فيها وتطمو كلها ثم تنضب كنهر مصر، وهو الذي يشيد في السماء علاليه، ويؤسس على الأرض قبته، الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض «يهوه» اسمه، ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل؟ يقول الرب: ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والآراميين من قير؟» وكان «عاموس» هذا ينظر إلى «يهوه» بأنه رب العدالة الاجتماعية.

وهذه هي الكلمات التي وضعها في فم «يهوه»، أو بعبارة أخرى التي بلغه إياها الإله «يهوه». (وسفر عاموس إصحاح ٥ سطر ٢١–٢٤): «بغضت كرهت أعيادكم، ولست ألتذ باعتكافاتكم، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، أبعد عني ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع، وليَجْرِ الحق كالمياه، والبِرُّ كنهر دائم.»

نبوءة أشعيا وقداسة الله

وقد فكر «أشعيا» الذي ابتدأ تبليغه لرسالته حوالي عام ٧٣٨ق.م[٥] مثلما فكر «عاموس» بطريقةٍ نظرية في وحدانية الله، فقد كان يعتقد أن مناهضي الله لا قيمة لهم؛ لأنهم من صنع الإنسان (راجع سفر أشعيا إصحاح ٢ سطر ٨): «وامتلأت أرضهم أوثانًا يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم.» وسطر ١٨: «وتزول الأوثان بتمامها» (وإصحاح ١٠ سطر ١٠): «كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هي أكثر من التي لأورشليم وللسامرة.»

[٥] يطلق النبي عند اليهود على كل كاتب ملهم، فيدخل في ذلك موسى وصموئيل وغيرهما، أما في عرف الكنيسة فيراد به من صدق عليه وصف النبوءة من حيث معناها الوضعي؛ أي الإنباء اليقين بحوادث آتية لا يمكن أن تهتدي إليها بأسباب مقدماتها بمجرد استدلال العقل. والذين من هذا النمط ممن دونوا

وقد خطا «أشعيا» إلى الأمام بتفكير عصره، وذلك بتوكيد قداسة الله مُظهِرًا كماله بقرنه بعدم كمال الإنسان (سفر أشعيا إصحاح ٦ سطر ٣): «وكان هذا ينادي ذاك ويقول: قدوس، قدوس، قدوس، رب الجنود، الأرض كلها مملوءة من مجده.»

وعاش «أشعيا» في عصر مضطرب رأى فيه تخريب «سمارية» على يد «سرجون» ٧٢٢ق.م، كما شاهد هجوم «سنخريب» على «أورشليم» ٧٠١ق.م، وقد واجه هذه الأحداث وبرز على معاصريه وقدم لهم مثلًا لامعًا في الوطنية التي لا تنكمش أمام أية تضحية؛ لأنه كان ملهمًا بروح من عند الله لا تعرف الهزيمة؛ فقد سار مدة ثلاث سنوات عاري الجسم حافي القدمين؛ ليظهر لقومه نوع المعاملة التي يلاقيها الأسرى الذين وقعوا في شراك المصريين والكوشيين (سفر أشعيا إصحاح ٢٠ سطر ٣): «فقال الرب: كما مشى عبدي «أشعيا» عاريًا حافيًا فكان آية وأعجوبة ثلاث سنين على مصر وكوش.» وكان «أشعيا» فضلًا عن ذلك يبشر بالمسيح، فقد رأى بعين العقيدة رؤيا السلام العالمي تحت حكم «أمير سلام» ملكه العالم كله؛ أي في عصر ستنقلب فيه السيوف إلى أسلحة محاريث وتسكن فيه الذئاب مع الغنم (سفر أشعيا إصحاح ٩ سطر ٦–٧): «لأنه يولد لنا ولد، ونعطَى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًّا، رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته؛ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيره رب الجنود تصنع هذا.» (وإصحاح ٢ سطر ٢–٤): «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يوطد في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه جميع

نبوءاتهم ونظمت أسفارهم في عداد الكتب المقدسة من «العهد القديم»، هم سبعة عشر نبيًّا منهم مَن يعرفون بالأنبياء الكبار وهم: «أشعيا» و«أرميا» و«حزقيال» و«دانيال»، قيل لهم ذلك لكبر أسفارهم بالنسبة إلى ما كتبه غيرهم من الأنبياء الآخرين، وهم اثنا عشر يعرفون لذلك بالأنبياء الأصاغر ما خلا «بلووك»؛ فإنهم ألحقوا سفره بسفر «أرميا» الذي كان هو تلميذًا له، فكان السفران كسفر واحد؛ ولذلك لم يفردوه بنفسه، وهؤلاء الأنبياء كلهم جاءوا متتابعين بعضهم في أعقاب بعض على نحو أربعة قرون من الزمن؛ أي من سنة ٨٣٠ق.م إلى ٤٣٥ق.م على نحو الترتيب الآتي ذكره: كان «يونان» و«يوثيل» نحو سنة ٨٣٠ أو ٨٠٠ق.م، و«عاموس» و«ميخا» و«نحوم» في نحو ذلك العهد أي: سنة ٧٢٣ق.م، وكان «ميخا» معاصرًا «لأشعيا» و«أرميا» و«مثليا» «حبقوق» و«باروك» نحو سنة ٦٢٧ق.م و«حزقيال» و«دانيال» نحو سنة ٥٩٤، وحجي وزكريا حوالي ٥٣٠ق.م، و«ملاخي» حوالي عام ٤٥٣ق.م، وهو خاتمة الأنبياء، وكان كلامه الإنباء بقرب ظهور السابق؛ أي يوحنا المعمداني وفي أثره مجيء المخلص عيسى. (راجع كتاب العهد العتيق الجزء الثاني مطبعة المرسلين اليسوعيين ببيروت سنة ١٨٨٥ ص٨٦٣).

الأمم، وينطق شعوب كثيرون ويقولون: هلموا نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب وهو يعلمنا طرقه فنسلك في سبله الأنهار، من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، ويحكم بين الأمم، ويقضي للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سككًا، وأَسِنَّتَهم مناجل، فلا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب من بعد.» (وإصحاح ١١ سطر ١–٩): «ويخرج قضيب من جذع يسي، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم حسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنقمة شفتيه، ويكون البر مِنْطَقَةُ مَتْنَيْه، والأمانة منطقة حِقْوَيْهِ.

فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمسمن معًا، وصبي صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهما معًا، والأسد كالبقر يأكل تبنًا، ويلعب الرضيع على سرب الصل، ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان، لا يسوءون ولا يفسدون، في كل جبل قدسي؛ لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر.»

وقد بشر بدين جديد لم يكن في استطاعة جهود ستة وعشرين قرنًا من التقدم أن تصل إلى تحقيق كنهه والسير على ما جاء فيه. هذا، وقد دعا «أشعيا الثاني» بالتوحيد أيضًا.

نبوءة أرميا

كان «أرميا» من بيت كهانة، ولد في مدينة صغيرة تدعى «عانوت» على نحو ساعة من «أورشليم» إلى الشمال، وكان «أرميا» يختلف عن «أشعيا» بعض الشيء في تبليغه؛ فقد كان من دأب «أشعيا» التعزية وإيحاء الآمال، ولكن «أرميا» كان على عكسه فيُنْذِر بالموبقات ولا يفتح للرجاء سبيلًا. وهناك تفاوت آخر بين هذين النبيين من حيث النفس والإنشاء؛ فإن كلام «أشعيا» كثير الماء والرونق، عالي الطبقة، حاد اللهجة، فخم العبارة. أما كلام «أرميا» فسهل مفهوم، عامي اللهجة، على غير حدة في المقال شأن المتكلم بثقة. ويرجع هذا التفاوت إلى البيئة التي ولد كل منهما فيها.

هذا، وكان يختلف «أرميا» كذلك عن «عاموس» و«أشعيا» بأنه كان نبيًّا كاتبًا (سفر أرميا إصحاح ٣٦ سطر ٢١–٢٣).

وكانت مدة رسالته حوالي سنة ٦٢٦–٥٨٦ق.م، مضاها في الآلام والتعذيب، ولسنا مبالغين إذا قلنا: إن سيرته تعد أسمى سيرة في كل كُتَّاب العهد القديم؛ فقد رأى بعيني رأسه هجوم «بختنصر» على «أورشليم» عام ٥٩٧ق.م وتخريبها عام ٥٨٦ق.م، وقد كان مثل «عاموس» و«أشعيا الثاني» موحدًا، غير أن توحيده كان نافذًا وعمليًّا، فقد أعلن بكلمات لا يتطرق إليها الشك أو الإبهام أن كل الآلهة غير الإله الأحد الفرد الصمد إن هي إلا غرور ومن صنع الإنسان وأوهام الخيال، وقد رأى مثل «أشعيا» عالَمًا مثاليًّا تؤدَّى فيه المحاكمة والعدالة (راجع سفر أرميا إصحاح ٥ سطر ٧): «كيف أصفح لك عن هذه؟ بنوك تركوني وحلفوا بما ليست آلهة، ولما أشبعتهم زنوا، وفي بيت زانية تزاحموا.» ونفس السفر (إصحاح ١٤ سطر ٣٢): «هل يوجد في أباطيل الأمم من يمطر؟ أو هل تعطي السماوات وابلًا؟ أما أنت هو الرب إلهنا فنرجوك؛ لأنك أنت صنعت كل هذه.» (وكذا إصحاح ١٠ سطر ١٠–١٢): «أما الرب الإله فحق، هو إله حي، وملك أبدي، مِن سخطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأمم غضبه، هكذا تقولون لهم: الآلهة التي لم تصنع السماوات والأرض تبيد من الأرض ومن تحت هذه السماوات، صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه بسط السماوات.» (وإصحاح ١٦ سطر ١٧–٢١): «لأن عيني على كل طرقهم لم تستتر عن وجهي، ولم يختف إثمهم من أمام عيني، وأعاقب أولًا إثمهم وخطيتهم ضعفين؛ لأنهم دنسوا أرضي، وبجثث مكرهاتهم ورجاساتهم قد ملئوا ميراثي. يا رب، عزي وحصني وملجئي في يوم الضيق، إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون: إنما ورث آباؤنا كذبًا وأباطيل وما لا منفعة فيه، هل يصنع الإنسان لنفسه آلهة وهي ليست آلهة؟ لذلك هأنذا أعرفهم هذه المرة أعرفهم يدي وجبروتي فيعرفون أن اسمي «يهوه».»

ويعد بعض الكتاب بأن ما جاء في الفصول من ثلاثين إلى ثلاثة وثلاثين من سفر «أرميا» أجمل درة فيه؛ إذ تشمل هذه الفصول أسمى أفكار كتاب «العهد القديم»؛ ففيها نجد «يهوه» يدخل مع قومه في عهد جديد نفذ به إلى أعماق النفوس، فلم يكتب على لوحات من الحجر كما كانت الحال مع آباء هؤلاء القوم، بل نقش تعاليمه على صفحات القلوب. (راجع أرميا إصحاح ٣١ سطر ٣١–٣٤): «ها أيام تأتي، يقول الرب: وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم. يقول الرب: بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا، ولا يعلمون بعد كل

واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين: اعرفوا الرب؛ لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. يقول الرب: لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد.»

وقد اتخذ المسيح فكرة العهد الجديد هذه في العَشاء الأخير، واقتبس مؤلف الرسالة للعبرانيين الإشارة الأصلية لها (راجع إنجيل متى إصحاح ٣٦ سطر ٢٧–٢٨): «وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلًا: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (وإنجيل لوقا إصحاح ٢٢ سطر ١٩–٢٠): «وأخذ خبزًا وشكر وكسر وأعطاهم قائلًا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري، وكذلك الكأس أيضًا بعد العَشاء قائلًا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم.»

وفي المناسبة نفسها أعلن «أرميا» عقيدة المسئولية الشخصية التي تتنافى مع العقيدة القديمة القائلة: «إن الآباء قد أكلوا حصرمًا، وإن أسنان الأطفال قد ضرست منها.» فأبرز بذلك خطوة في الحساسية الأدبية لم يصل إليها بعد في أيامنا هذه بعض الأمم الأوروبية عندما تحكم عليهم بسلوكهم في الحرب العالمية الثانية. (راجع أرميا سفر ٣١ سطر ٢٩–٣٠): «في تلك الأيام لا يقال بعدُ: إن الآباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرست، بل كل واحد بمأثمه يموت، وكل إنسان يأكل الحصرم فإنما تضرس أسنانه.»

وهناك أنبياء آخرون قاموا بقسطهم في إعلان رسالة التوحيد كلٌّ بما كُلِّف به ومنهم:

«هوشع»: وهو من أهل المملكة الشمالية، وقد عاش بين عامي ٧٤٥ و٧٣٥ق.م، وقد مر بتجربة قاسية محزنة في أسرته جعلته يسمو بفكره إلى أن الله هو الحب (راجع هوشع إصحاح ١٤ سطر ٤): «أنا أشفي ارتدادهم، أحبهم فضلًا لأن غضبي قد ارتد عنه.» وهذا النبي قد تزوج من امرأة وضعت له ثلاثة أطفال، غير أنها خانته، ومع ذلك فإنه بقي يحبها، وهكذا نجد «يهوه» يحب «إسرائيل» الذين لم يكونوا غير أوفياء له.

نبوءة «ميخا»

عاش «ميخا» حوالي عامي ٧٣٠–٧٢٢ق.م، ويدعى «ميخا المورشتي» نسبة إلى «مورشة جت»، وهي قرية من قرى بسط «يهودا»، وهو معاصر النبي «أشعيا»، وكان لسان حال الفقراء الذين رآهم يتألمون من الظلم وعدم نصفتهم، وقد رأى بعينيه الثاقبتين أن هناك أشياء حسنة ستأتي بعد. (سفر ميخا إصحاح ٤ سطر ١–٨): «ويكون في آخر الأيام

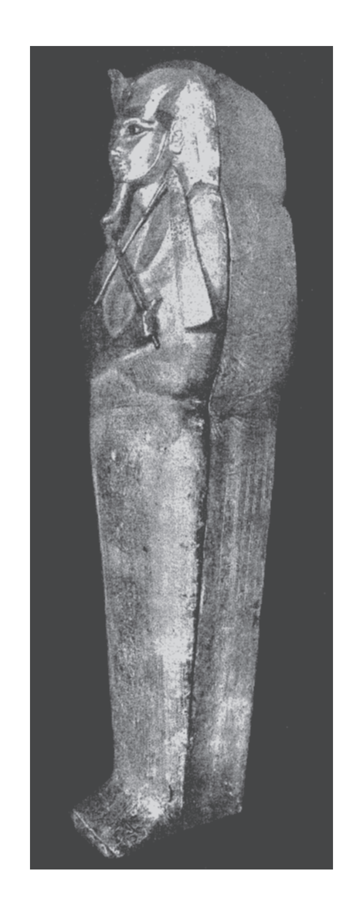
أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه شعوب وتسير أمم كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين شعوب كثيرين، ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد، بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته، ولا يكون من يرعب؛ لأن فم رب الجنود تكلم؛ لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه، ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد.

وفي ذلك اليوم يقول الرب: أجمع الظالعة، وأضم المطرودة، والتي أضررت بها، وأجعل الظالعة بقية، والمقصاة أمة قوية، ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلى الأبد، وأنت يا برج القطيع أكمة بنت صهيون إليك يأتي ويجيء الحكم الأول ملك بنت أورشليم.»

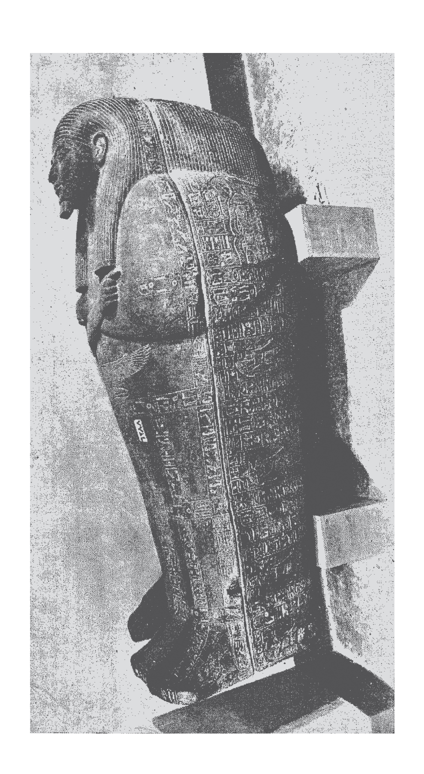
وقد كان يُعَدُّ في زمنه إمام العدالة الاجتماعية، وكلماته الذي فاه بها في هذا الصدد تعد من الكلمات الخالدة (سفر ميخا إصحاح ٦ سطر ٦–٨): «بماذا أتقدم إلى الرب وأنحني لله العلي؟ أبمحرقات أتقدم إليه وبعجول حولية؟ أيرتضي الرب بألوف الكباش وربوات أنهار زيت؟ أأبذل بكري عن معصيتي، وثمرة بطني عن خطيئة نفسي؟ قد بين لك أيها الإنسان ما هو صالح، وما يطلب منك الرب إنما هو أن تجري الحكم، وتحب الرحمة، وتسير بتواضع مع إلهك.»

نبوءة حزقيال

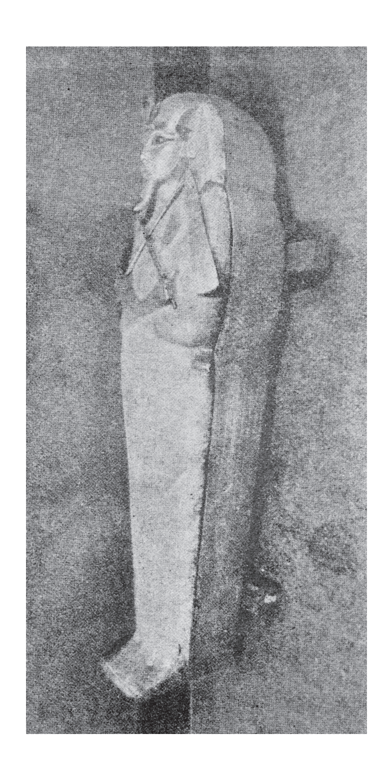
هو «حزقيال» بن «بوزي» من السلالة الكهنوتية، وكان في جملة من أُجْلِيَ إلى «بابل» مع الملك «بكنيا»، وصار نبيًّا في السنة الخامسة من الجلاء. وفي بعض التقاليد القديمة يقال: إن «حزقيال» تُوُفِّيَ شهيدًا، قتله أحد رؤساء أمته؛ لأنه كان يزجره عن عبادة الأوثان. ونقرأ في الإصحاح الثامن عشر من سفره كلامًا ممتعًا عن المسئولية الشخصية، وهو معاصر للنبي «أرميا»، وقد أظهر لنا في هذا الفصل شعوره الفياض بالمُثُل العليا مما قصر عن بلوغه الأمم المسيحية في القرن العشرين الميلادي. ومما يلفت النظر بوجه خاص أن أنبياء العبرانيين قد ارتفعوا في كلامهم إلى مستوًى سامٍ لم يَفُقْهُ حتى الآن إلا المسيح ومحمد — عليه الصلاة والسلام — والواقع أن الإسلام الذي يعد ثالث ديانة موحِّدة بالله قد أخذ تعاليمه عن اليهودية والمسيحية كما جاء ذلك في التنزيل.



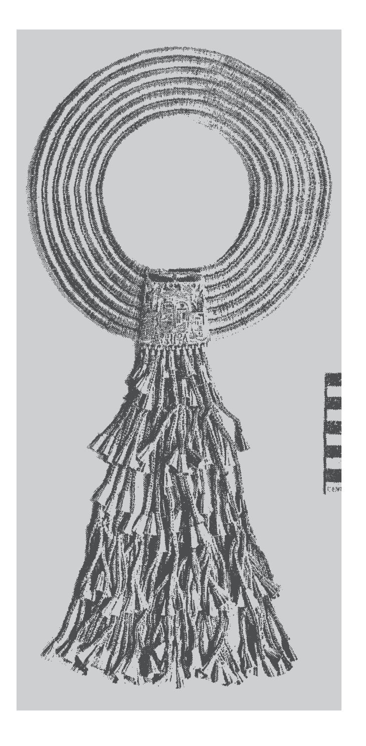
شكل ١: تابوت بسوسنس الأول الداخلي.



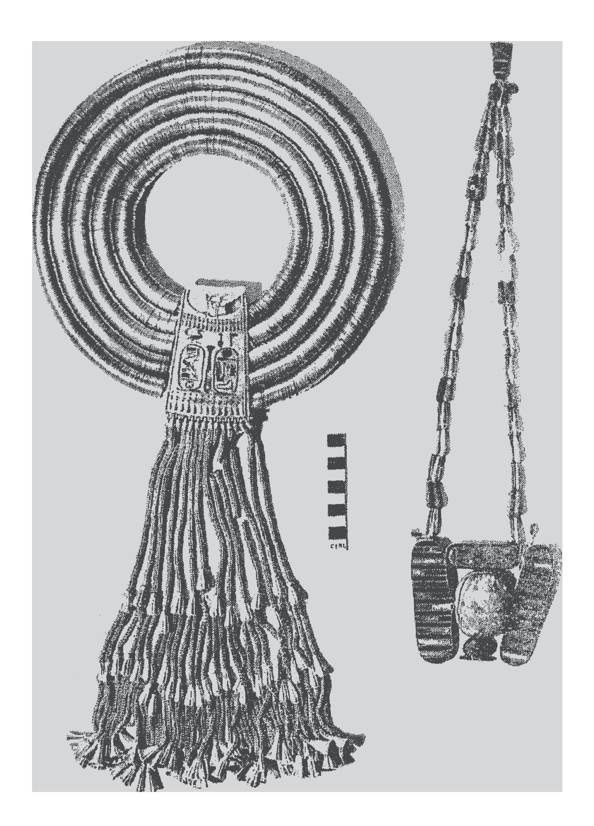
شكل ٢: تابوت جرانيتي للملك بسوسنس.



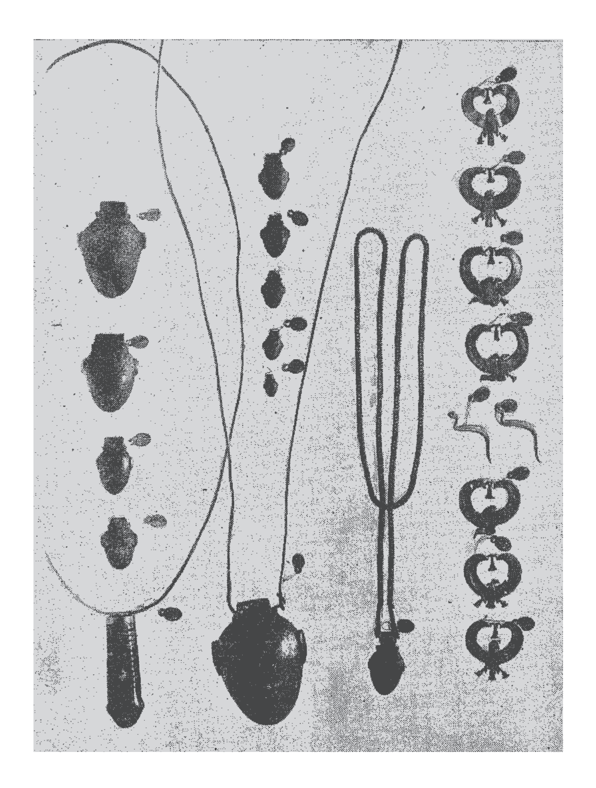
شكل ٣: منظر آخر لتابوت بسوسنس الأول.



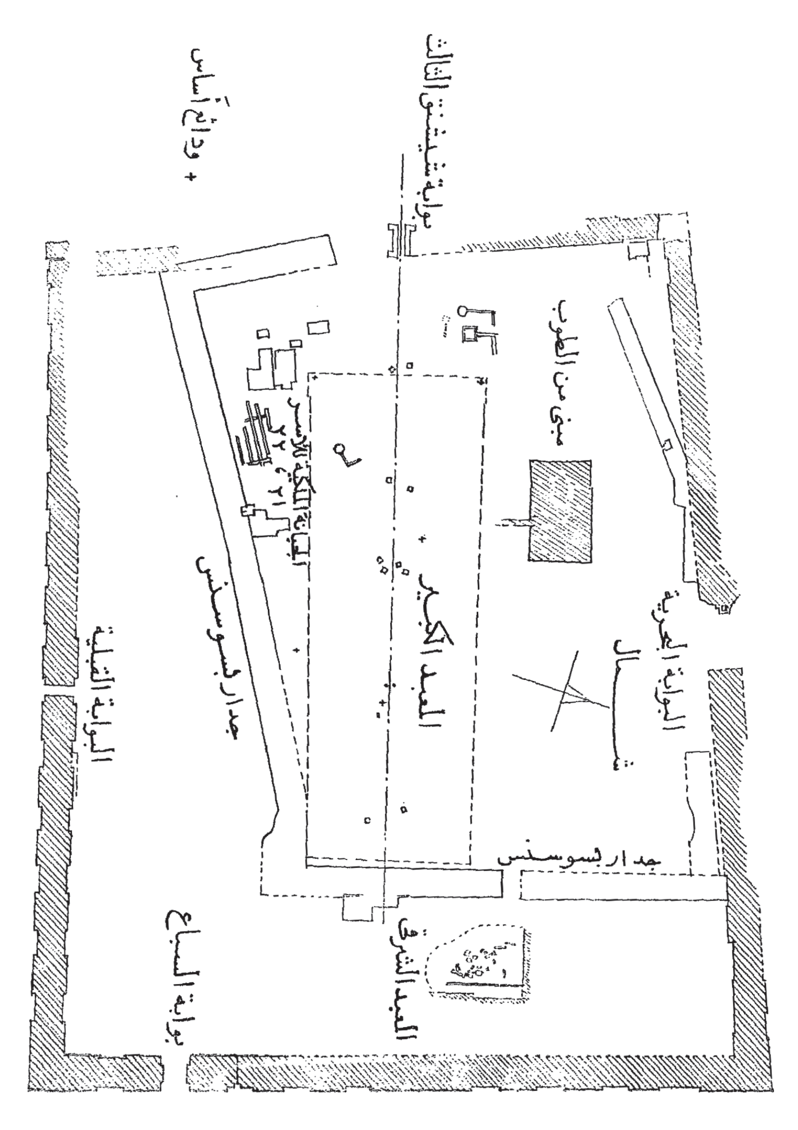
شكل ٤: عقد من الذهب للملك بسوسنس الأول.



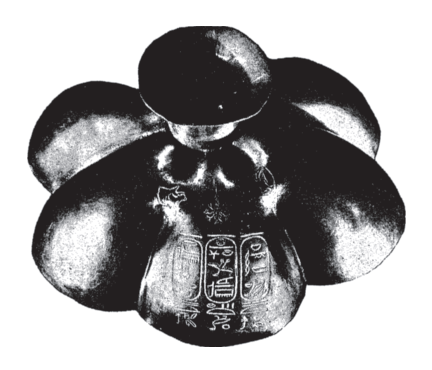
شكل ٥: قلادتان للملك بسوسنس الأول.



شكل ٦: حلي مومية بسوسنس الأول.



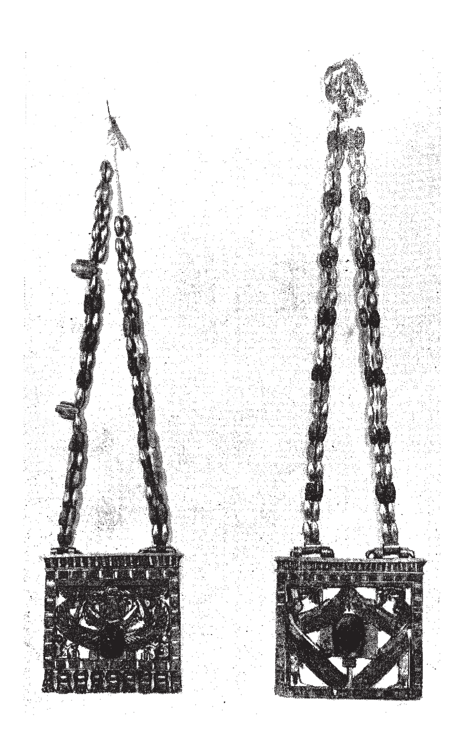
شكل ٧: تخطيط المعبد الكبير بتانيس.



شكل ٨: آنية من الذهب والسام نقش عليها اسما الملك بسوسنس الأول والملكة «موت نزم» (من مقبرة اوندياوندد).



شكل ٩: قناع مومية أوندباوندد رئيس رماة الملك بسوسنس الأول.



شكل ١٠: قلائد من مقبرة أوندباوندد رئيس رماة الملك بسوسنس الأول.



شكل ١١: الغطاء الذهبي لتابوت أمنمأبت قبل الترميم.



شكل ١٢: الغطاء الذهبي لتابوت أمنمأبت بعد الترميم.



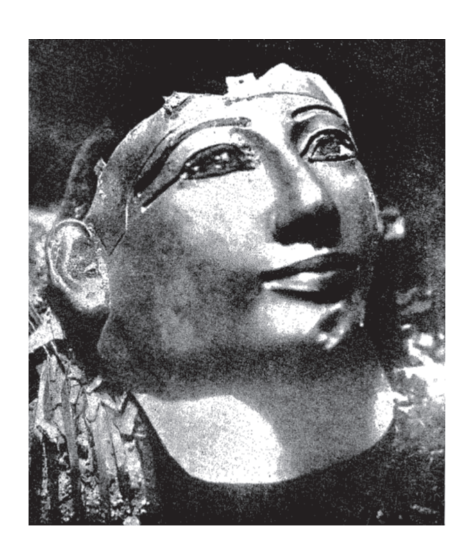
شكل ١٣: قناع مومية أمنمأبت.



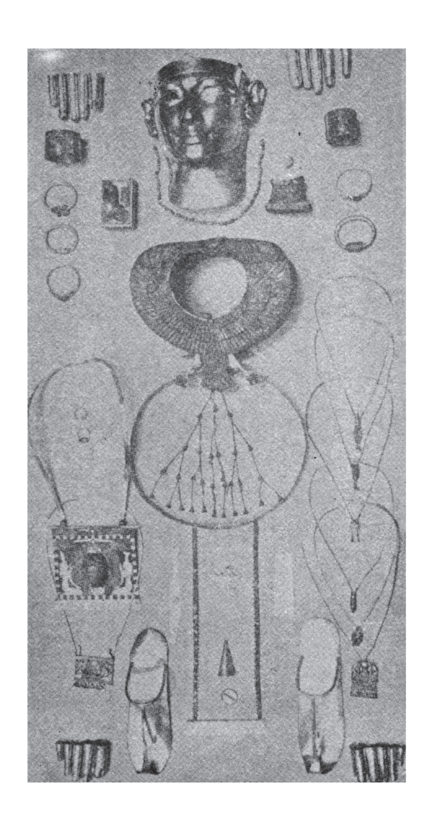
شكل ١٤: تابوت شيشنق الثاني برأس صقر.



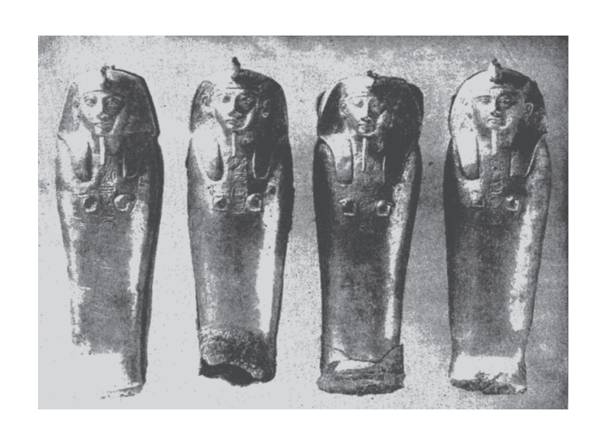
شكل ١٥: قناع شيشنق الثاني.



شكل ١٦: منظر آخر لقناع شيشنق الثاني.



شكل ١٧: حلي وعقود وصدريات شيشنق الثاني.



شكل ١٨: أواني أحشاء شيشنق الثاني.

(١) مقبرة با أري مس عا

(٢) مقبرة أوسركون الثاني

(٣) مقبرة بسوسنس الأول

(٤) مقبرة امنمابت

(٥) مقبرة شيشنق الثالث

(٦) مقبرة غير كاملة

مدخل

حورنخت

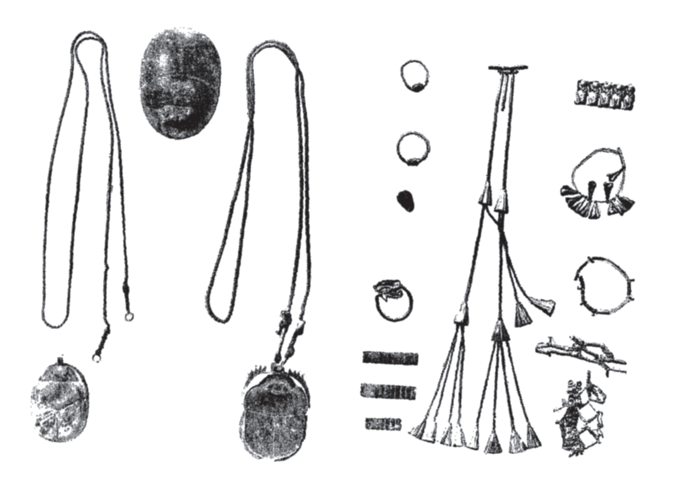
عنخف نحوت

اوندباندد

تابوت شيشنق الثاني

شمال

شكل ١٩



شكل ٢٠: جعارين وعقود وخواتم وخرز للكاهن الأكبر حورنخت.



شكل ٢١: تمثال كبش من اللازورد وخمس أساور من الحجر والذهب وتمثال الآلهة ماعت من الذهب واللازورد وجعارين من مقبرة الكاهن الأكبر حورنخت.



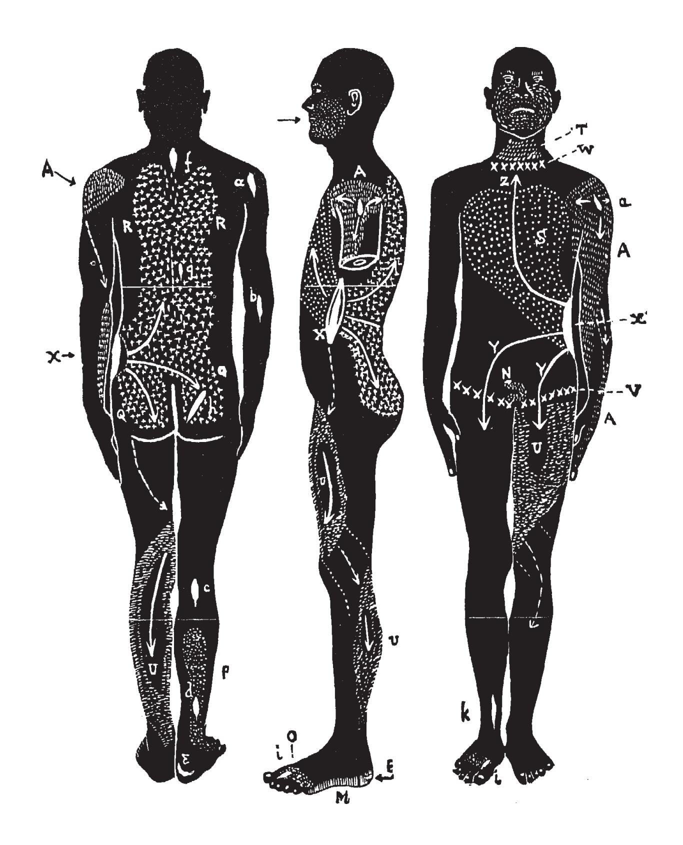
شكل ٢٢: حلي الكاهن الأكبر حورنخت.



شكل ٢٣: حلي من مقبرة الكاهن الأكبر حورنخت.



شكل ٢٤: تمثال لأوسركون الثالث.



شكل ٢٥: صورة لشرح عملية التحنيط.

مختصر المصادر الإفرنجية

A. J. S. L. = “The American Journal of Semetic Language and Literatures” (Chicago, 1884).

A. S. = “Annales du Service des Antiquities de I’Egypte” (Cairo 1901).

A. Z. = “Zeitschrift für Agytische Sprache und Altertumskunde” (Leipzig, 1863).

B. A. S. O. R. = “Bulletin of Schools of Oriental Research” (South Hadly, Mass., 1919.

Bates: Oric, Bates = The Eastren Libyans.

Benson and Gourlay, “Temple of Mut” = Benson and Gourlay, “The Temple of Mut in Asher” (London, 1899)

B. I. F. A. O. = “Bulletin de l’Institut Française d’Archeologie Orientale (Cairo, 1901).

Bisson de la Roque, “Medamoud” = Bisson de la Roque, “Les Fouilles de Medamoud”, (Cairo).

Boeser, “Leyden” = Boeser and Holwerda, “Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederlandischen Reichmuseums der Altertumer in Leiden” (Copenhagen, 1908–1918).

Borchardt, “Statuen” = Borchardt, “Statuen und Statuetten von konigen und Privalueten” Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911–1925).

Breasted, A. R. = Breasted, “Ancient Records of Egypt” (Chicago, 1906-7).

Brugsch, “Thesaurus” = Brugsch, “Thesaurus Inscription um Aegyptiacarum” (Leipzig, 1833–1891).

Brugsch, “Recueil” = Brugsch and Dumichen, “Recueil de Monuments Egyptions” (Leipzig, 1865–1885).

Budge. “Guide” = Budge, “A Guide to the Egyption Collections in the British Museum” (London, 1909).

Budge, “Sculpture” = Budge, “A Guide to the Egyption Galleries (Sculptute)”, (London, 1909).

Budge, “The Book of Kings” = Budge, “The Book of the kings of Egypt” (London, 1908).

Budge, “History” = Budge, “A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B.C. 30” (London, 1902).

Champollion, “Notices” = Champollion, “Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musée Charles x” (Paris, 1827).

Daressy. = Cercuils des Cachets Royales.

Elliot Smith, The Royal Mummies.

Eric. Peet. Tomb-Robberies. = The Great Tomb Robberies of the Twentieth Egyption Dynasty (1930).

Erichsen: = Papyrus Harris (Bibliotheque Aegyptiaca V).

Evans, “Palace of Minos” = Evans, “The Palace of Minos at Knossos” (London, 1921).

Praser Coll. = Fraser, “A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser”, (London, 1900).

Gardiner, Admonitions of an Egyption Stage.

Gardiner. Ramesside Administ. = Ramessid Administrative Documents, University Press.

Gardiner, Wilbour Pap. = The Wilbour Papyrus by Alan Gardiner in three volumes, Oxford University Press.

Gardiner, "Onomastica" = Gardiner, "Ancient Egypion Onomastica", (Oxford, 1947).

Gardiner and Peet, "Sinai" = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai" (London, 1917).

Gauthier, "Dict. Geog" = Gauthier, "Dictionnaire des Nom Geographiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiques" (Cairo, 1925).

Grifith, "Kahùn Papyri" = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob" (London, 1898).

Hall, "Catalogue of Scarabs" = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum" (London, 1913).

Hall, "Ancient History" = Hall, "The Ancient History of the Near East" (London 1920).

Helk = Hans Wolfgang Helk; Der Einfluss Militarfuhrer In der 18 Agyptischen Dynastie.

Hitti, = History of Syria.

Historical Records: = Historical Reords of Ramses III.

Holscher: Wilhelm Holscher, Libyer und Agypter.

Holscher, Excavations at Ancient Thebes (1930-1931).

J. E. A. = "The Journal of Egyption Archaeology" (London 1914—1947).

J. P. O. S. = "The Journal of the Palestine Oreintal Society", (1923).

Kemi: Revue de philology et d'archeologie, Egyptienne et Coptes.

Lanzone, "Cat. Turin" = Lanzone, "Catalogo Generale dei Musei di antichita: Reigo Museo di Torino".

L. D. = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien" (Berlin, 1894).

Legrain, “Statues” = Legrain, “Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers” Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Cairo. (Cairo, 1906–1914).

Legrain, “Repertoire” = Legrain, “Repertoire Geneoloique et Onomastique du Musse Egyption du Cairo” (Geneva, 1908).

Lepsius, “Auswahl: = Lepsius” Auswabl der wichtigsten Urkunden des agyptishen Altertums” (Leipzig 1842).

Lieblien, “Dict. Noms” = Lieblien, “Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique” (Christiania, 1871).

Lucas, Ancient Egyption Materials & Industries.

Luckenbill, = Ancient Records of Assyria and Babylonia.

Mariette, “Abydos” = Mariette,” Catalogue General des Monument d’Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville” (Paris, 1880).

Mariette, “Abydos ll.”, = Mariette, Abydos. Description des Fotille Executees sur l’Emplacement de cette Ville” (Paries, 1869–1880).

Mariette, “Monuments” = Mariette, “Monuments Dilers Recueilles Egypt et en Nubie” (Paris, 1889).

Mariette, = La Serapeum de Memphis.

Maspero, “Bib. Egypt” = Maspero, “Bibliotheque Egyptologique”, XVll (Paris, 1904).

Maspero, “Temples Immerges” = Maspero, “Les Temples Immergés de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples” (Cairo 1909–1911).

Maspero, “Guide” = Maspero, “Guide du Visteur au Muse du Caire” (Cairo, 1915).

Maspero, “Momies Royales” = Maspero,” Les Momies Royales de Deir el Bahari” (Paris 1889).

Maspero, “Melanges d’Arch” = Maspero, “Melamges d’Archeologiques Egyptien”.

Mem. Miss. Franç. = Memories Publiés par les Membres de la mission Archeologiques Française au Caire.

Meyer, “Gesch”, = Meyer, “Geschichte des Alterturns” (Stuttgart 1928).

Meyer, “Hist. de I’Antiq” = Meyer, “Histoire de I’Antiquite” (Paris 1912–1926).

Miss J. R. Buttles, The Queens of Egypt.

M. M. A. = “The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art.” (New York, 1909.

Montet, = Novelles Fouilles a’Tanis.

Montet, = Le Drama D’Avaris.

Montet, = Les Necropolis Royales de Tanis.

Môller, Die Agypter und ihre Libyscher Nachbarn.

Morgan (De), “Cat. Mon.” = Morgan (De), “Catalogue des Monuments et Inscriptions de I’Egypte Antique” (Vienna, 1894–1909).

Muller, Egyption Research.

Naville, Inscription Historique.

Naville, Festival Hall of Osorkon.

Naville, The Store City of Pithon London (1885).

Naviile, Bubastis.

Newberry, “Timins Collection” = Newberry, “The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals” (London 1907).

O. I. P. = “The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications” (Chicago, 1924).

Petrie, Tanis.

Petrie, “Scarabs” = Petrie, “Scarabs and Cylinders” (London, 1917).

Petrie, “Six Temples” = Petrie, “Six Temples at Thebes, 1896” (London, 1897).

Petrie, IIIahun" = Petrie, "IIIahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs" = Petrie, "Historical Scarabs" (London 1927).

Petrie, "History" = Petrie, "A History of Egypt" (London, 1927).

Petrie "Season" = Petrie, "A Season in Egypt, 1887" (London, 1888).

Petrie "Kahun" = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara" (London, 1890).

Petrie "H. I. C." = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities" (London, 1890).

Petrie, Pyramids of Giza.

P. E. F. Q. S. = "The Palestine Exploration Fund Quartely Statement" (London, 1869).

Piehl, "Recueil" = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt" (Stockholm, 1886–1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions" = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre" (Paris, 1874–1878).

Porter and Moss, "Bibliography I" = Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyption Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis" (Oxford, 1921).

Porter and Moss, "Bibliography II" = "The Theban Temples" (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III" = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss "Bibliography IV" = Lower and Middle Egypt (Oxford, 1934).

Porter and Moss," Bibliography V" = "Upper Egyptian Sites" (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology" (London, 1879–1918).

R. E. A. = "Revue de I'Egypte Ancienne", (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs à Ia Philologie et à I'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes" (Paris, 1870–1923).

Rev. d’Arch. = “Revue d’Archeologie”.

Rouge (De), “Monuments” = Rouge (De), “Notice des Monuments Exposés dans Ia Galerie d’Antiqutіes Egyptiennes au Musee du Louvre.

(Paris, 1885).

S. A. O. C. = “Chicago Univesity. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilzation” (Cicago, 1931).

Schafer. “Aeg. Insch. Berlin” = Schafer, “Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin” (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, “Catalogue” = Schiaparelli, “Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze” (Rome, 1887).

Sethe, “Untersuchungen” = Sethe, “Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens” (Leipzig, 1896–1917).

Sethe, “Urkunden IV, Urk. IV” = Sethe, “Urkunden des Agyptischen Alter-tums” (Leipzig, 1906–1914).

Sethe, “Pyramidentexte” = Sethe, “Die Altagyptischen Pyramidentexte” (Leipzig, 1908–1922).

Sethe, “Achtung” = Sethe, “Die Achtung feindicher Fursten-Volker und Dinge auf altayptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches”.

(Preussische Akademie der Wissenchaften Philos-Hist. Klass, 1926).

Siegiried Schott = Altagypnsche Liebeslides Mit Marchen and Siebesges-chëehter, Artemis-Verlag Zurich (1650), Altagyptichen Liébeslieder.

Struve, = Ort des Herkunft und zwick des Harris papyrus in Aegyptens 1926.

Ungar, Chronologic des Manetho.

W. B. = Erman and Grapow, “Worterbuch der Aegyptische Sprache”

(Leipzig, 1925).

Weigall, “Guide” = Weigall, “A Guide to the Antiquites of Upper Egypt” (London, 1913).

Weigall" History" = Weigall," A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall. "Lower Nubia" = Weigall, "Report on the Antiquites of Lower Nu-biain 1906–1987" (Oxford, 1907).

Weil, "Veziere" = Weil, "Die Veztere des Pharaonenreiches" (Leipzig, 1908).

Weidemann, "Geschichte" = Weidemann, "Agyptische Geschichte" (Gotha, 1884).

Weidemann, "Kleinere Agypt. Insc." = Wiedemann. "Kleinere Inschriften aus der XIII-XIV Dynasie" (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes" = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt" (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". = Winlock, "Excavations at Dier el Bahri" (1943).

Wreszinski, "Atlas" = Wreszinski, "Atlas zur Altagyptishen Kulturges-Chichte", (Leipzig, 1923–1936).

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche. Verofentlichungen" Leipzig, 1900.


هنداوي